

﴿هذه فهرست ما فى النصف الثانى من كتاب المستطرف فى كل فن مستظرف من الابواب والفصول المعرف جميعها فى ديباجة الكتاب وهى أربعة وثمانون بابا منها فى هذا النصف اثنان وأربعون كما هو موضوع بهذه الفهرست المجعولة للاستدلال على أى باب من الابواب أو فصل من الفصول فى أى صحيفة من صحائف هذا النصف﴾

(تمت)

﴿فهرست بقية كتاب ثمرات الاوراق الموشى به هامش كتاب المستطرف﴾

(تمت)

فهرست الذيل الاول لثمرات الاوراق

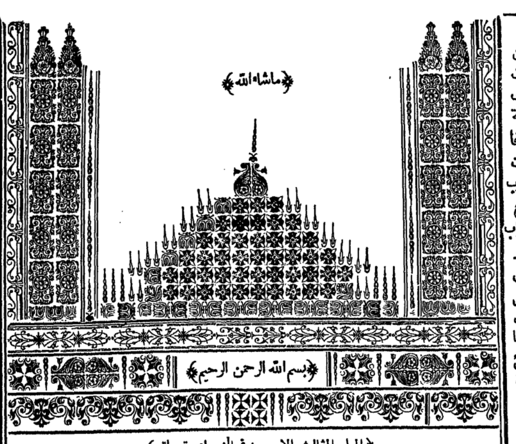
(تمت)

فهرست الذيل الثانى للثمرات أيضا

(تمت)

الجزء الثانى من كتاب المستطرف فى كل فنّ
مستظرف تأليف الامام الأوحد العالم
العلامه اللوذعى الفهامه الشيخ
شهاب الدين أحمد الابشيهى
تغمده الله بالرحمة
والرضوان
آمين

وبهامشه بقية كتاب ثمرات الأوراق فى المحاضرات لحجة العرب وترجمان الأدب الامام تقى الدين ابن أبى بكر بن على المعروف بابن حجة الحموى الحنفى تغمده الله برحمته وأسكنه فراديس جنته مكملا بمجة آدابه للواقف عليه بأن نظم فى سموط فرائده عقود ذيليه أولهما فى المحاضرات أيضا للامام ابن حجة المذكور ضاعف الله لناوله الاجور وثانيهما للعلامة الاديب والفهامة الاريب الهمام الكامل واللوذعى الفاضل الشيخ ابراهيم بن الاحدب بلغه الله فى آخرته كل مأرب بمنه وكرمه آمين بجاه سيد الاوّلين والآخرين



﴿الباب الثالث والاربعون فى الهجاء ومقدماته﴾

القصد من الهجاء الوقوف على ملحه وما فيه من ألفاظ فصيحة ومعان بديعة لا التشفى بالاعراض والوقوع فيها وليس الهجاء دليلا على اساءة المهجو ولا صدق الشاعر فيما رماه به فما كل مذموم بذميم. وقد يهجى الانسان بهتانا وظلما أو عبثا أو ارهابا * قال المتوكل لابى العيناء كم تمدح الناس وتذمهم قال ما أحسنوا وأساؤا * وقد رضى الله تعالى على عبد من عبيده فدحه فقال نعم العبد انه أواب وغضب على آخر فقال مناع للخير معتد أثيم عتل بعد ذلك زنيم قيل الزنيم الملصق بالقوم وليس منهم وقال دعبل فى المأمون بعد البيعة له وقتل الأمين

انى من القوم الذين همو وهمو * قتلوا أخاك وشرفوك بمقعد
شادوا الذكرك بعد طول خموله * واستنقذوك من الحضيض الأوهد

فقال المأمون ما أبهته ليت شعرى متى كنت خاملا وفى حجر الخلافة ربيت وبدرها غذيت * ولما قتل جعفر بن يحيى بكى عليه أبونواس فقيل له أتبكى على جعفر وأنت هجوته فقال كان ذلك لركوب الهوى وقد بلغيه والله انى قلت

ولست وان أطنبت فى وصف جعفر * باول انسان خرى فى ثيابه

فكتب يدفع اليه عشرة آلاف درهم يغسل بها ثيابه * ومن العبث بالهجو ما روى ان الحطيئة هم بهجاء فلم يجد من يستحقه فقال

أبت شفتاى اليوم الا تكلما * بسوء فلا أدرى لمن أنا قائله

وعبث بامه فقال

أرى لى وجها قبح الله خلقه * فقبح من وجه وقبح حامله

تنحى فاجلسى عنا بعيدا * أراح الله منك العالمينا
أغربالا اذا استودعت سرا * وكانونا على المتحدثينا
حياتك ما علمت حياة سوء * وموتك قد يسر الصالحينا

وقال رجل ما أبالى أهجيت أو مدحت فقال له الاحنف أرحت نفسك من حيث تعب الكرام * وقال رجل لآخر ان هجوتنى أتوت ابنتى قال لا قال أفتخرب ضيعتى قال لا قال فرحلى مع ساقى الى حلقى فى حرامك قال ولم تركت رأسك قال لانظر ما تصنع * وأنا أقول انما يخشى من الهجو من يخاف على عرضه وأما من لا يخاف على عرضه فقد يستوى عنده المدح والذم وبئس الرجل ذاك * وكان الرجل من غير اذا قيل له ممن الرجل

(قال الشافعى رضى الله عنه)
وهى أول كلمة سمعتها فى الحجاز من امرأة فلما هممت بالدخول قالت لى العجوز الى أين عزمت فقلت الى المنزل فقالت هيهات تخرج من مكة بالامس فقيرا وتعود اليها مترفا تفخر على بنى عمك بذلك فقلت ما أصنع فقالت ناد بالابطح فى العرب باشباع الجائع وحمل المنقطع وكسوة العراة فتربح ثناء الدنيا وثواب الآخرة ففعلت ما أمرت به وسار بذلك الفعل الرجال على آباط الابل وبلغ ذلك مالكا فبعث الى يستحثنى على الفعل ويعدنى انه يحمل الى فى كل عام مثل ما صار الى منه وما دخلت الى مكة وأنا أقدر على شئ مما جاء معى الا على بغلة واحدة وخمسين دينارا فوقعت المقرعة فناولتنى اياها امة على كتفها قربة فاخرجت لها خمسة دنانير فقالت لى العجوز ما أنت صانع فقلت أجيزها على فعلها فقالت ادفع اليها جميع ما تأخر معك قال فدفعت اليها ودخلت الى مكة فبت تلك الليلة الا مديونا وأقام مالك رضى الله عنه يحمل الى فى كل عام مثل ما كان دفع الى أولا احدى عشرة سنة فلما مات ضاق بى الحجاز وخرجت الى مصر فعوضنى الله عبد الله بن عبد الحكم فقام بالكلفة فهذا جميع ما لقيته فى سفرى فافهم ذلك يا ربيع قال الربيع وسألنى المزنى املاء ذلك بحضرته فما وجدنا للمجلس فرغة فاوقع كتاب السفر الى أحد غيرى (ومن لطائف المنقول) ما نقله القرطبى فى كتابه المسمى بالاعلام عن صدق محبة أبى طالب لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خرج الى الكعبة يوما وأراد ان يصلى فلما دخل فى الصلاة قال أبو جهل لعنه الله من يقوم الى

يقول من غير وأمال بها عنقه فلما هجاهم جرير بقوله

فغض الطرف انك من نمير * فلا كعبا بلغت ولا كلابا

صار اذا قيل لاحدهم ممن الرجل يقول من بني عامر وما لقيت قبيلة من العرب بهجو ما لقيت نمير بهجو جرير وهجا ابن بسام رجلا فقال

يا طلوع الرقيب من غير الف * يا غريما أتى على ميعاد

يا ركودا في وقت غيم وصيف * يا وجوه التجار يوم كساد

(وقصد) ابن عيينة قبيصة المهلبي واستماحه فلم يسمح له بشيء فانصرف مغضبا فوجه اليه داود بن زيد بن حاتم فترضاه وأحسن اليه فقال في ذلك

داود محمود وأنت مذمم * عجبا لذاك وأنتما من عود
ولرب عود قد يشق لمسجد * نصفا وباقيه لحش يهودي
فالحش أنت له وذاك لمسجد * كم بين موضع مسلح ومجود

هذا جزاؤك يا قبيص لانه * جادت يداه وأنت قفل حديد

(وله هجاء في خالد) أبوك لنا غيث يغيث بوبله * وأنت جراد لست تبقي ولا تذر
له أثر في المكرمات يسرنا * وأنت تعفي دائما ذلك الاثر

(وقال) المبرد في حقه لم يجتمع لأحد من المحدثين في بيت واحد هجاء رجل ومدح أبيه الا له * ولما قعد حماد عجرد لتأديب ولد الأمين قال بشار بن برد

قل للامين جزاك الله صالحة * لا يجمع الله بين السخل والذيب
السخل يعلم ان الذئب آكله * والذئب يعلم ما بالسخل من طيب

(وقال فيه أيضا)

يا أبا الفضل لا تنم * وقع الذئب في الغنم
ان حمادا عجرد * شيخ سوء قد اغتنم
بين فخذيه حربة * في غلاف من الادم
ان رأى ثم غفلة * يجمع الميم بالقلم

فشاعت الأبيات فأمر الامين باخراج حماد (وقال) رجل لأخيه لأبويه لأهجونك هجاء يدخل معك في قبرك قال كيف تهجوني وأبوك أبي وأمك أمي قال أقول

بني أمية هبوا طال نومكمو * ان الخليفة يعقوب بن داود
ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسوا * خليفة الله بين الماء والعود

ثم دخل يعقوب على المهدي فأخبره ان بشارا هجاه فاغتاظ المهدي وانحدر الى البصرة لينظر في أمرها فسمع أذانا في ضحى النهار فقال انظروا ما هذا واذا به بشار وهو سكران فقال له يا زنديق عجب أن يكون هذا من غيرك ثم أمر به فضرب بسبعين سوطا حتى أتلفه بها وألقي في سفينة فقال عين الشعمق تراني حيث يقول

ان بشار بن برد * تيس أعمى في سفينة

فلما مات ألقيت جثته في الماء فحمله الماء فأخرجه الى الدجلة فجاء بعض أهله فحملوه الى البصرة وأخرجت جنازته فما تبعه أحد وتباشر عامة الناس بموته لما كان يلحقهم من الأذى منه * وخاصم أبو دلامة رجلا فارتفعا الى عافية القاضي فلما رآه أبو دلامة أنشد يقول

لقد خاصمتني دهاة الرجال * وخاصمتها سنة وافيه
فما أدحض الله لي حجة * ولا خيب الله لي قافيه
ومن خفت من جوره في القضاء * فلست أخافك يا عافيه

فقال عافية لاشكونك الى أمير المؤمنين ولأعلمنه انك هجوتني قال له أبو دلامة اذا والله يعزلك قال ولم قال لانك لا تعرف الهجاء من المدح قال فبلغ ذلك المنصور فضحك وأمر له بجائزة * ودخل أبو دلامة على المهدي وعنده اسمعيل بن علي وعيسى بن موسى والعباس بن محمد وجماعة من بني هاشم فقال له المهدي والله لئن لم تهج واحدا ممن في هذا البيت لأقطعن لسانك فنظر الى القوم وتحير في أمره وجعل ينظر الى كل واحد فيغمزه بان عليه رضاه قال أبو دلامة فازددت حيرة فما رأيت أسلم لي من أن أهجو نفسي فقلت

ألا أبلغ لديك أبا دلامه * فلست من الكرام ولا كرامه
جمعت دمامة وجمعت لوما

هذا الرجل فيفسد عليه صلاته فقام عبد الله بن الزبعرى وأخذ فرثا ودما فلطخ به وجه النبي صلى الله عليه وسلم فانفتل النبي صلى الله عليه وسلم من صلاته وأتى الى أبي طالب عمه وقال يا عم ألا ترى ما فعل بي فقال له أبو طالب من فعل بك هذا فقال النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن الزبعرى فقام أبو طالب فوضع سيفه على عاتقه ومشى حتى أتى القوم فلما رأوه قد أقبل نهضوا له فقال أبو طالب والله ان قام رجل جللته بسيفي هذا ثم قال يا بني من الفاعل بك هذا فقال عبد الله ابن الزبعرى فأخذ أبو طالب فرثا ودما فلطخ وجوههم ولحاهم وثيابهم وأساء لهم القول فنزلت هذه الآية الشريفة وهم ينهون عنه وينأون عنه فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا عم نزلت فيك آية قال وما هي قال تمنع قريشا أن يؤذوني وتأبى أن تأمن بي فقال أبو طالب

والله لن يصلوا اليك بجمعهم
حتى أوسد في التراب دفينا
فامض لأمرك قد زعمتك ناصحي
فلقد صدقت وكنت ثم أمينا
وعرضت دينا قد عرفت بأنه
من خير أديان البرية دينا
لولا الملامة أو حذار مسبة
لوجدتني سمحا بذاك يقينا

* وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله هل تنفع نصرة أبي طالب قال نعم رفع عنه بذلك الغفل انه لم يقرن مع الشياطين ولم يدخل جب الحيات والعقارب انما عذابه في نعلين من نار في رجليه يغلي منهما دماغه وهو أهون أهل النار عذابا * وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي طالب قل لا اله الا الله أشهد لك بها يوم القيامة فقال أبو طالب لولا ان يعايروني بها يعني قريشا يقولون انما حمله الجزع

كذاك اللؤم تتبعه الدمامه * اذا لبس العمامة قلت قردا * وخنزيرا اذا نزع العمامه

فهلك القوم ولم يبق منهم أحد الا أجازه (وقال) ابن الاعرابي ان أهجى بيت قاله المحدثون قول محمد بن وهب في محمد بن هاشم لم تند كفاك من بذل النوال كما * لم يند سيفك مذ قلدته بدم

(وهجا) بعضهم القمر فقال يهدم العمر ويوجب أجرة المنزل ويشحب الألوان ويقرض الكتان ويضل السارى ويعين السارق ويفضح العاشق * ولابن منقذ في ابن طليب المصري وقد احترقت داره

أنظر الى الأيام كيف تسوقنا * قسرا الى الأقدار بالاقدار

ما أوقد ابن طليب قط بداره * نارا وكان خرابها بالنار

(وكان) للوجيه بن صورة المصري دلال الكتب دار بمصر موصوفة بالحسن فاحترقت فقال فيها ابن المنجم

أقول وقد عاينت دار ابن صورة * وللنار فيها وهجة تتضرم

كذا هو الا كافر طال عمره * فجاءته لما استبطأته جهنم

وقد أحسن الأديب كمال الدين علي بن محمد بن المبارك الشهير بابن الأعمى في ذم دار كان يسكنها حيث قال

دار سكنت بها أقل صفاتها * ان تكثر الحشرات في جنباتها * الخير عنها نازح متباعد

والشر دان من جميع جهاتها * من بعض ما فيها البعوض عدمته * كم أعدم الأجفان طيب سناتها

وتبيت تسعدها براغيث متى * غنت لها رقصت على نغماتها * رقص بتنقيط ولكن قافه

قد قدمت فيه على اخواتها * وبها ذباب كالضباب يسد عيـ * ن الشمس ما طربي سوى غناتها

أين الصوارم والقنا من فتكها * فينا وأين الأسد من وثباتها * وبها من الخطاف ما هو معجز

أبصارنا عن وصف كيفياتها * وبها خفافيش تطير نهارها * مع ليلها ليست على عاداتها

وبها من الجرذان ما قد قصرت * عنه العتاق الجرد في حملاتها * وبها خنافس كالطنافس أفرشت

في أرضها وعلت على جنباتها * لو شم أهل الحرب منتن فسوها * أردى الكماة الصيد عن صهواتها

وبنات وردان وأشكال لها * مما يفوت العين كنه ذواتها * أبدا تعص دماءنا فكأنها

حجامة لبدت على كاساتها * وبها من النمل السليماني ما * قد قل ذر الشمس عن ذراتها

ما راعني شيء سوى وزغاتها * فتعوذوا بالله من لدغاتها * سجعت على أوكارها فظننتها

ورق الحمام سجعن في شجراتها * وبها زنابير تظن عقاربا * حرا لسموم أخف من زفراتها

وبها عقارب كالاقارب رتع * فينا حمانا الله لدغ حماتها * كيف السبيل الى النجاة ولا نجا

ة ولا حياة لمن رأى حياتها * منسوجة بالعنكبوت سماؤها * والارض قد نسجت على آفاتها

فضجيجها كالرعد في جنباتها * وترابها كالرمل في خشناتها * والبوم ها كفة على أرجائها

والدود يبحث في ثرى عرصاتها * والجن تأتيها اذا جن الدجى * تحكي الخيول الجرد في حملاتها

والنار جزء من تلهب حرها * وجهنم تعزى الى لفحاتها * شاهدت مكتوبا على أرجائها

ورأيت مسطورا على جنباتها * لا تقربوا منها وخافوها ولا * تلقوا بايديكم الى هلكاتها

أبدا يقول الداخلون ببابها * يارب نج الناس من آفاتها * قالوا اذا ندب الغراب منازلا

يتفرق السكان من ساحاتها * وبدارنا ألفا غراب ناعق * كذب الرواة فاين صدق رواتها

صبرا لعل الله يعقب راحة * للنفس اذ غلبت على شهواتها * دار تبيت الجن تحرس نفسها

فيها وتندب باختلاف لغاتها * كم بت فيها مفردا والعين من * شوق الصباح تسح من عبراتها

وأقول يارب السموات العلا * يارازقا للوحش في فلواتها * أسكنتني بجهنم الدنيا ففي

أخراي هب لى الخلد في جناتها * واجمع بن أهواه شملي عاجلا * ياجامع الأرواح بعد شتاتها

(ولبعضهم في بلان) أشكو الى الله بلانا بليت به * مست أنامله ظهري فأدماني

فلا يدلك تدليكا بعرفة * ولا يسرح تسريحا باحسان

(وللشيخ شمس الدين البدوي في بلان أيضا)

وبلان له ظفر يباهي * به حد الشفار المرهفات * هرى جسمي فألبسه نجيعا

لا قرت بها عينك فأنزل الله تعالى انك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء (وأما) عبد الله ابن الزبعرى فانه أسلم عام الفتح وحسن اسلامه واعتذر الى النبي صلى الله عليه وسلم فقبل عذره وكان شاعرا مجيدا فقال يمدح النبي صلى الله عليه وسلم بأبيات منها في حكاية حاله

اني لمعتذر اليك من الذي
أسديت اذ أنا في الضلال مقيم

فاغفر فدى لك والداي كلاهما
وارحم فانك راحم مرحوم

(ومن غريب ما نقله القرطبي في الاعلام) ان الانصار الذين نصروا النبي صلى الله عليه وسلم كانوا من أولاد العلماء والحكماء الذين كانوا مع تبع الاول فيما ذكر ابن اسحق وكان تبع من الخمسة الذين كانت لهم الدنيا بأسرها وكان كثير الوزراء فاختار منهم واحدا وأخرجه معه لينظر في ملكه فكان اذا أتى بلدة يختار من حكمائها عشرة رجال وكان معه من العلماء والحكماء مائة ألف رجل ثم الذين اختارهم من البلدان وهذا القدر غير محسوب من الجيش فلما انتهى الى مكة لم تخضع له أهل مكة كخضوع أهل البلاد ولم تعظمه فغضب لذلك ودعا وزيره وكان اسمه عماريا فقال له كيف شاهدت هذه البلدة فانهم لم يهابوني ولم يخشوا عسكري فقال انهم عرب لا يعرفون شيأ ولهم بيت يقال له الكعبة وهم معجبون به ويسجدون فيه للاصنام قال فنزل الملك بعسكره ببطحاء مكة وعزم على هدم البيت وقتل الرجال وسبي النساء فأخذه الله بالصداع وتفجر من عينيه وأذنيه ومنخريه وفمه ماء منتن فلم يصبر عنده أحد طرفة عين من نتن الريح فاستيقظ لذلك وقال لوزيره اجمع العلماء والحكماء والاطباء وتكلم معهم في أمري فاجتمع عنده

على حلل الستور السابلات * ورام يلين أعضائى برفق * فأيبسها وكسر فوقعاتى
ولم أنظره له أبدا جميلا * وذلك من عظيم المهلكات * وأعمى مقلتى بصنان ابط
يفوح به على كل الجهات * فلا تجعل الهى مثل هذا * يغسلنى اذا ما نت وفاتى

(ولبعضهم فى حمام) وحمام دخلناه لامر * حكى سقرا وفيه المحرمونا
فيصطرخوا بقولوا أخرجونا * فان عدنا فانا ظالمونا

وللشريف أبي يعلى الهاشمى البغدادى فى نظام الملك يهدده بالهجاء يقول

أيجمل يا نظام الملك أنى * أعاود من ذرالك كما قدمت * وأصدر عن حياضك وهي نهب
بأفواه السقاة وما وردت * يدل على فعالك سوء حالى * ويخبر عن نوالك ان كتمت
اذا استخبرت ماذا نلت منه * وقد علم الورى كرما سكت

(وممن) عرض بالهجو فى شعره الخوارزمى قال فى أبى جعفر

أباجعفر لست بالمنصف * ومثلك ان قال قولا يفى * فان أنت أنجزت لى ما وعدت
والا هجيت وأدخلت فى * وقد علم الناس ما بعد فى * فغط الحديث ولا تكشف

ومدح السراج الوراق انسانا فلم يجزه فكتب يعرض له بالهجاء ويهدده يقول

أعد مدحى على وخذ سواه * فقد أتعبتنى يا مستريح
ولا تغضب اذا أنشدت يوما * سواه وقيل لى هذا صحيح

(وله أيضا يقول) أعد مدحا كذبت عليك فيه * وقد عوقبت بالحرمان عنه
ولكنى سأصدق فيك قولا * فلا يصعب عليك الحق منه

(وقال بعضهم فى حجاج قدموا ولم يهدوا اليه شيأ)

مضوا الحجوا والوجوه كأنها * تكاد لفرط البشر أن توضح السبلا
وعادوا كأن القار فوق وجوههم * فلا مرحبا بالقادمين ولا سهلا
وجاؤا وما جادوا بعود أراكة * ولا وضعوا فى كف طفل لنا نقلا

(وقال آخر) اذا رمت هجوا فى فلان تصدنى * خلائق قبح عنه لا تتزحزح
تجاوز قدر الهجو حتى كأنه * بأقبح ما يهجى به المرء يمدح

(وهجا بعضهم امرأة فقال)

لها جسم برغوث وساق بعوضة * ووجه كوجه القرد بل هو أقبح
تبرق عينيها اذا ما رأيتها * وتعبس فى وجه الضجيع وتكلح
لها منظر كالنار تحسب أنها * اذا ضحكت فى أوجه الناس تلفح
اذا عاين الشيطان صورة وجهها * تعوذ منها حين يمسى ويصبح

(ولبعضهم فى عظيم أنف) لك وجه وفيه قطعة أنف * كجدار قد دعموه ببغله
وهو كالقبر فى المثال ولكن * جعلوا نصفه على غير قبله

(وفيه أيضا) رأينا للزكى جدار أنف * يضاهى فى تشامخه الجبالا
تصدى للهلال لكى يراه * فلولا عظمه لرأى الهلالا

(ولبعضهم فى أبخر مخنث) قالوا فلان به نتن فقلت لهم * يا قوم قد حار فكرى فى مساويه
يا قوم لا تعجبوا من نتن نكهته * فالاير يدفع ما فيه الى فيه

(ولصفى الدين الحلى)

رأى فرسى اصطبل عيسى فقال لى * قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل
به لم أذق طعم الشعير كأننى * بسقط اللوى بين الدخول فحومل
تقعقع من برد الشتاء أضالعى * لما نسجتها من جنوب وشمال

(وله أيضا) ليهنك ان لى ولدا وعبدا * سواء فى المقال وفى المقام

العلماء والحكماء والاطباء فلم يقدروا على الجلوس عنده ساعة وعجزوا عن مداواته وقالوا نحن نقدر على مداواة ما يعرض من أمور الأرض وهذا شئ من السماء لا نستطيع له ردا ثم اشتد امره ونفرت الناس عنه ولم يزل أمره فى شدة حتى أقبل الليل فجاء أحد العلماء الى وزيره فقال له ان بينى وبينك سرا وهو ان كان الملك يصدقنى فى حديثه عالجته فاستبشر الوزير بذلك وقال له قل ما شئت فقال أريد الخلوة فأخلى له المكان فلما خلا بمجلس الملك قال له العالم أيها الملك أنت نويت لهذا البيت سوأ قال نعم نويت خرابه وقتل رجاله وسبى نسائه فقال له العالم ايها الملك هذه النية هى التى احدثت لك هذا الداء ورب هذا البيت قادر يعلم الأسرار فبادر واخرج من قلبك ما هممت به من امر هذا البيت وأهله ولك خير الدنيا والآخرة قال الملك قد أخرجت ذلك من قلبى ونويت لهذا البيت المبارك ولاهله كل خير فلم يخرج العالم من عنده حتى برأ من علته وعافاه الله تعالى بقدرته فآمن بالله من ساعته وخلع على الكعبة سبعة أثواب وهو أول من كسا الكعبة وخرج الى يثرب وهى يومئذ بقعة فيها عين ماء ليس فيها بيت فنزل على رأس العين هو وعسكره وجميع العلماء الذين كانوا معه ومعهم رئيسهم عمار يا الذى يرى الملك برأيه ثم ان العلماء والحكماء أخرجوا من بينهم أربعمائة وهم أعلمهم وبايع كل واحد منهم صاحبه أن لا يخرجوا من ذلك المقام وان قتلهم الملك فلما علم الملك بما عزموا عليه قال للوزير ما شأنهم يمتنعون من الخروج معى وأنا محتاج اليهم وأى حكمة اقتضت نزولهم فى هذا المكان واختيارهم اياه على سائر النواحى فسألهم الوزير عن ذلك فقالوا أيها الوزير ان ذلك

فهذا سابق من غير سين * وهذا عاقل من غير لام

(وله في طبيب يدعى اسحق)

مباضع اسحق الطبيب كأنها * لها بفناء العالمين كفيل
معودة أن لا تسل نصالها * فتغمد حتى يستباح قتيل

(وله في أحمق طويل اللسان)

لو أن قوة وجهه في قلبه * قنص الأسود وجندل الابطالا
أو كان طول لسانه بيمينه * أفنى الكنوز وأنفذ الاموالا

(وهجا اعرابي رجلا ثم مدحه فقال)

اني مدحتك من فساد قريحتي * وعلمت أن المدح فيك يضيع
لكن رأيت المسك عند فساده * يدني الى بيت الخلاء فيضوع

(وقيل) لبعضهم ما تقول في فلان وفلان قال هما الخمر والميسر اثمهما أكبر من نفعهما (وقيل) لرجل كيف وجدت فلانا قال طويل اللسان في اللوم قصير الباع في الكرم وثابا على الشر مناعا للخير * وسمع اعرابي قوله تعالى الأعراب أشد كفرا ونفاقا فانتفض ثم سمع قوله تعالى ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر فقال الله أكبر هجانا ثم مدحنا وكذلك قال الشاعر

هجوت زهيرا ثم اني مدحته * ومازالت الأشراف تهجى وتمدح

استب رجلان فقال أحدهما للآخر لو قطع زبك وعلق لم تبق زانية بالكوفة الا عرفته (وقال) أبو زيد العبدي

ولقد قتلتك بالهجاء فلم تمت * ان الكلاب طويلة الأعمار

وقال المتوكل لابي العيناء ما بقي أحد في المجلس الا هجاك وذمك غيري فقال

اذا رضيت عني كرام عشيرتي * فلا زال غضبانا علي لئامها

(الباب الرابع والاربعون في الصدق والكذب وفيه فصلان)

(الفصل الاول في الصدق) قال الله تعالى مبشرا للصادقين هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم وقال تعالى والصادقين والصادقات فمدحهم وبين لهم المغفرة والاجر العظيم (وقال) عمر رضي الله عنه عليك بالصدق وان قتلك * وما أحسن ما قيل في ذلك

عليك بالصدق ولو أنه * أحرقك الصدق بنار الوعيد
وابغ رضا المولى فاغبى الورى * من أسخط المولى وأرضى العبيد

وقال اسمعيل بن عبيد الله لما حضرت أبي الوفاة جمع بنيه فقال لهم يا بني عليكم بتقوى الله وعليكم بالقرآن فتعاهدوه وعليكم بالصدق حتى لو قتل أحدكم قتيلا ثم سئل عنه أقر به والله ما كذبت كذبة قط مذ قرأت القرآن * وعن عائشة رضي الله عنها قالت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم بم يعرف المؤمن قال بوقاره ولين كلامه وصدق حديثه * وقيل لكل شئ حلية وحلية النطق الصدق (وقال محمود الوراق)

الصدق منجاة لاربابه * وقربة تدني من الرب

وقيل الصدق عمود الدين وركن الادب وأصل المروأة فلا تتم هذه الثلاثة الا به وقال ارسطاطاليس أحسن الكلام ما صدق فيه قائله وانتفع به سامعه * وقال المهلب بن أبي صفرة ما السيف الصارم في يد الشجاع بأعز له من الصدق وكان يقال على الصدوق فلان وقف لسانه على الصدق و يقال الصدق محمود من كل أحد الا من الساعي * و يقال لو صدق عبد فيما بينه و بين الله تعالى حقيقة الصدق لاطلع على خزائن الغيب ولكان أمينا في السموات والارض * وقيل من لزم الصدق وعود لسانه به وفق * و يقال الصدق بالحر أحرى * وقال عتبة بن أبي سفيان اذا اجتمع في قلبك أمران لا تدري أيهما أصوب فانظر أيهما أقرب الى هواك فخالفه فان الصواب أقرب الى مخالفة الهوى * وقال ارسطاطاليس الموت مع الصدق خير من الحياة مع الكذب * وكان نقش خاتم ذي يزن وضع الحد للحق عز * وامتدح ابن ميادة جعفر بن سليمان فأمر له بمائة ناقة فقبل يده وقال والله ما قبلت يد قرشي غيرك الا واحدا فقال أهو المنصور قال لا والله قال فمن هو قال الوليد بن يزيد فغضب وقال والله

ماقبلتها

البيت وهذه البقعة التي نحن فيها تشرفان برجل يبعث في آخر الزمان يقال له محمد ووصفوه له ثم قالوا طوبى لمن أدركه وآمن به ونحن على رجاء ان ندركه أو تدركه أولادنا فلما سمع الوزير مقالتهم هم بالمقام معهم فلما جاء وقت الرحيل أمرهم الملك أن يرتحلوا فقالوا لا نفعل وقد أعلمنا الوزير بحكمة مقامنا فدعا بالوزير فأخبره بما سمع منهم فتفكر الملك وهم أن يقيم معهم رجاء ان يدرك محمدا صلى الله عليه وسلم فأقام وأمر الناس ان يبنوا أربعمائة دار على عدة العلماء والحكماء واشترى لكل واحد منهم جارية وأعتقها وزوجها برجل منهم وأعطى كل واحد منهم عطاء جزيلا وأمرهم أن يقيموا في ذلك المكان الى أن يجيء زمان النبي صلى الله عليه وسلم ثم كتب الكتاب وختمه بخاتم من ذهب ودفعه الى عالمهم الكبير وأمره أن يدفع الكتاب الى محمد صلى الله عليه وسلم ان أدركه والا فيوصي به أولاده مثل ما أوصاه به وكذلك الاولاد حتى يتصل بالنبي صلى الله عليه وسلم وكان في ذلك الكتاب * أما بعد فاني آمنت بك و بكتابك الذي أنزل عليك وأنا على دينك وسنتك وآمنت بربك وبكل ما جاء من ربك من شرائع الايمان والاسلام فان أدركتك فبها ونعمت والا فاشفع لي ولا تنسني يوم القيامة فاني من أمتك الأولين وقد بايعتك قبل مجيئك وأنا على ملتك وملة أبيك ابراهيم عليه السلام ثم ختم الكتاب ونقش عليه لله الامر من قبل ومن بعد وكتب عنوانه الى محمد بن عبد الله نبي الله ورسوله وخاتم النبيين ورسول رب العالمين صلى الله عليه وسلم من تبع الاول الحميري ودفع الكتاب الى الرجل العالم الذي أبرأه من علته وسار تبع من يثرب حتى وصل الى بلاد الهند

ماقبلتها الله تعالى فقال والله ولا يدك ماقبلتها الله تعالى ولكن قبلتها النفسي فقال والله لاضرك الصدق عندى أعطوه مائة أخرى (وقال) عامر العدوانى فى وصيته انى وجدت صدق الحديث طرفا من الغيب فاصدقوا يعنى من لزم الصدق وعوده لسانه وفق فلا يكاد ينطق بشئ يظنه الا جاء على ظنه وخطب بلال لاخيه امرأة قرشية فقال لاهلها نحن من قد عرفتم كنا عبدين فاعتقنا الله تعالى وكنا ضالين فهدانا الله تعالى وكنا فقيرين فاغنانا الله تعالى وأنا أخطب اليكم فلانة لاخى فان تنكحوها له فالحمد لله تعالى وان تردونا فالله أكبر فاقبل بعضهم على بعض فقالوا بلال ممن عرفتم سابقته ومشاهده ومكانه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فزوجوا أخاه فزوجوه فلما انصرفوا قال له أخوه يغفر الله لك أما كنت تذكر سوابقنا ومشاهدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وتترك ماعدا ذلك فقال مه يا أخى صدقت فانكحك الصدق (وخطب) الحجاج فاطال فقام رجل فقال الصلاة فان الوقت لا ينتظرك والرب لا يعذرك فامر بحبسه فاتاه قومه وزعموا انه مجنون وسألوه ان يخلى سبيله فقال ان اقر بالجنون خليته فقيل له فقال معاذ الله لا ازعم ان الله ابتلانى وقد عافانى فبلغ ذلك الحجاج فعفا عنه لصدقه

﴿الفصل الثانى من هذا الباب فى الكذب وماجاء فيه﴾ قال الله تعالى فى الكاذبين ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون وقال تعالى ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم والكذب فان الكذب يهدى الى الفجور والفجور يهدى الى النار وتحروا الصدق فان الصدق يهدى الى البر والبر يهدى الى الجنة * وعن عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كذب العبد كذبة تباعد الملكان عنه مسيرة ميل من نتن ماجاء به * ويقال راوى الكذب أحد الكذابين * ويقال رأس المآثم الكذب وعمود الكذب البهتان وقيل أمران لا ينفكان من الكذب كثرة المواعيد وشدة الاعتذار وقال الحسن فى قوله تعالى ولكم الويل مما تصفون وهى لكل واصف كذب الى يوم القيامة * قال الأصمعى قلت لكذاب أصدقت قط قال لولا انى أخاف أصدق فى هذا لقلت لك لا فتعجب (وقال محمود بن أبى الجنود)

لى حيلة فيمن ينم وليس فى الكذاب حيله
من كان يخلق مايقو * ل فحيلتى فيه قليله

(ويقال) فلان أكذب من لمعان السراب ومن سحاب تموز * وكان بفارس محتسب يعرف بجراب الكذب وكان يقول ان منعت الكذب انشقت مرارتى وانى والله لأجد به مع مايلحقنى من عاره من المسرة مالا أجده بالصدق مع ماينالنى من نفعه * وقال فيلسوف من عرف من نفسه الكذب لم يصدق الصادق فيما يقوله (ولبعضهم)

حسب الكذوب من البلية بعض مايحكى عليه
فتى سمعت بكذبة * من غيره نسبت اليه

وأضاف سير فى قوما فاقبل يحدثهم فقال بعضهم نحن كما قال تعالى سماعون للكذب أكالون للسحت وعن عبد الله بن السدى قال قلت لابن المبارك حدثنا حديثا قال ارجعوا فلست أحدثكم فقيل له انك لم تحلف فقال لو حلفت لكفرت وحدثتكم ولكن لست أكذب فكان هذا أحب الينا من الحديث وقال مجاهد يكتب على ابن آدم كل شئ حتى أنينه فى سقمه وحتى ان الصبى ليبكى فتقول له امه اسكت وأشترى لك كذا ثم لا تفعل فتكتب كذبة * وقال الفضيل مامن مضغة أحب الى الله تعالى من اللسان اذا كان صدوقا ولا مضغة أبغض الى الله تعالى من اللسان اذا كان كذوبا وعن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه مرفوعا أعظم الخطايا اللسان الكذوب (قال الشاعر)

لا يكذب المرء الا من مهانته * أو فعله السوء أو من قلة الأدب
لبعض جيفة كلب خير رائحة * من كذبة المرء فى جد وفى لعب

(ولما) نصب معاوية رضى الله تعالى عنه ابنه يزيد لولاية العهد أقعده فى قبة حمراء وجعل الناس يسلمون على معاوية ثم يسلمون على يزيد حتى جاء رجل ففعل ذلك ثم رجع الى معاوية فقال يا أمير المؤمنين اعلم انك لو لم تول هذا أمور المسلمين لأضعتها والأحنف ساكت فقال معاوية مالك لا تقول يا أبا بحر فقال أخاف الله تعالى ان كذبت وأخافكم ان صدقت فقال جزاك الله خيرا عما تقول ثم أمر له بالوف فلما خرج الأحنف لقيه ذلك الرجل بالباب فقال له يا أبا بحر انى لأعلم أن هذا من شرار خلق الله تعالى ولكنهم استوثقوا من الأموال بالأبواب

فماث بها وكان من اليوم الذى مات فيه تبع الى اليوم الذى بعث فيه النبى صلى الله عليه وسلم ألف سنة لاتزيد ولا تنقص وكانت الأنصار الذين نصروا النبى صلى الله عليه وسلم من أولاد أولئك العلماء والحكماء فلما هاجر النبى صلى الله عليه وسلم الى المدينة سأله أهل القبائل أن ينزل عليهم فكانوا يتعلقون بناقته وهو يقول خلوا الناقة فانها مأمورة حتى جاءت الى دار أبى أيوب وكان من أولاد العالم الذى أبرأ تبع بأمر أيه ثم استشار الأنصار عبد الرحمن بن عوف فى ايصال الكتاب الى النبى صلى الله عليه وسلم الماظهر خبره قبل هجرته فأشار عبد الرحمن أن يدفعوه الى رجل ثقة فاختاروا رجلا يقال له أبو ليلى وكان من الأنصار فدفعوا الكتاب اليه وأوصوه بحفظه فاخذ الكتاب وخرج من المدينة على طريق مكة فوجد النبى صلى الله عليه وسلم فى قبيلة بنى سليم فعرفه رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاه وقال أنت أبو ليلى قال نعم قال ومعك كتاب تبع الأول قال نعم فبقى أبو ليلى متفكرا وقال فى نفسه ان هذا من العجائب ثم قال له أبو ليلى من أنت فانى لست أعرفك وتوهم انه ساحر وقال فى وجهك أثر السحر فقال له بل أنا محمد رسول الله هات الكتاب فاخرجه ودفعه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذه النبى صلى الله عليه وسلم ودفعه الى على كرم الله وجهه فقرأه عليه فلما سمع النبى صلى الله عليه وسلم كلام تبع قال مرحبا بالأخ الصالح ثلاث مرات ثم أمر أبا ليلى بالرجوع الى المدينة ليبشرهم بقدومه عليهم (قال أبو عبد الله محمد القرطبى نور الله ضريحه) ماذكرت هذا الخبر الا لما احتوى عليه من فضل

والا فقال فلسنا نطمع في اخراجها الا باعمعت فقال له الأحنف يا هذا أمسك فان ذا الوجهين خليق أن لا يكون عند الله وجيها وقيل ان الكذب يحمد اذا وصل بين المتقاطعين أو أصلح بين الزوجين ويذم الصدق اذا كان غيبة وقد رفع الحرج عن الكاذب في الحرب وعن المصلح بين المرء وزوجه * وكان المهلب في حرب الخوارج يكذب لأصحابه يقوي بذلك جأشهم فكانوا اذا رأوه مقبلا اليهم قالوا جاءنا يكذب وقال يحيى بن خالد رأينا شارب خمر نزع ولصا أقلع وصاحب فواحش رجع ولم نر كذابا صار صادقا وكان عمرو بن معديكرب مشهورا بالكذب * وقيل لخلف الأحمر وكان شديد التعصب لليمن أكان ابن معديكرب يكذب فقال كان يكذب في المقال ويصدق في الفعال * قيل ان بلالا لم يكذب مذ أسلم رضي الله تعالى عنه والحمد لله وحده

* الباب الخامس والأربعون في بر الوالدين وذم العقوق وذكر الأولاد وما يجب لهم وعليهم وصلة الرحم والقرابات وذكر الانساب وفيه فصول *

* الفصل الأول في بر الوالدين وذم العقوق * قال الله تعالى واعبدوا الله ولا تشركوا به شيأ وبالوالدين احسانا * وقال تعالى وقضى ربك أن لا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا * وقال تعالى أن اشكر لي ولوالديك الي المصير * وقال تعالى فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا * وعن علي رضي الله تعالى عنه لو علم الله شيأ في العقوق أدنى من أف لحرمه فليعمل العاق ما شاء أن يعمل فلن يدخل الجنة وليعمل البار ما شاء أن يعمل فلن يدخل النار * وقيل ان رضا الرب في رضا الوالدين وسخط الرب في سخط الوالدين * وحكى * أبو سهل عن أبي صالح عن أبي نجيح عن ربيعة عن عبد الرحمن عن عطاء بن أبي مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من حج عن والديه بعد وفاته كتب الله لوالديه حجة وكتب له براءة من النار وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم وعقوق الوالدين فان ريح الجنة يوجد من مسيرة خمسمائة عام ولا يجد ريحها عاق * وكان رجل من النساك يقبل كل يوم قدم أمه فابطأ يوما على اخوانه فسألوه فقال كنت أتمرغ في رياض الجنة فقد بلغنا ان الجنة تحت أقدام الامهات وبلغنا أن الله تعالى كلم موسى عليه السلام ثلاثة آلاف وخمسمائة كلمة فكان آخر كلامه يارب أوصني قال أوصيك بأمك حسنا قال له سبع مرات قال حسبي ثم قال ياموسى ألا ان رضاها رضاي وسخطها سخطي وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه لابن مهران لا تأتين أبواب السلاطين وان أمرتهم بمعروف أو نهيتهم عن منكر ولا تخلون بامرأة وان علمتها سورة من القرآن ولا تصحبن عاقا فانه لن يقبلك وقد عق والديه * وقال فيلسوف من عق والديه عقه ولده وقال المأمون لم أر أحدا أبر من الفضل بن يحيى بأبيه بلغ من بره له انه كان لا يتوضأ الا بماء سخن فمنعهم السجان من الوقود في ليلة باردة فلما أخذ يحيى مضجعه قام الفضل الى قمقم نحاس فملأه ماء وأدناه من المصباح فلم يزل قائما وهو في يده الى الصباح حتى استيقظ يحيى من منامه (قيل) طلب بعضهم من ولده أن يسقيه ماء فلما أتاه بالشربة نام أبوه فما زال الولد واقفا بالشربة في يده الى الصباح حتى استيقظ أبوه من منامه * وقال رجل لعمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ان لي أما بلغ منها الكبر أنها لا تقضي حاجتها الا وظهري لها مطية فهل أديت حقها قال لا لأنها كانت تصنع بك ذلك وهي تتمنى بقاءك وأنت تصنعه وتتمنى فراقها وقال ابن المنكدر بت أكبس رجل أبي وبات آخر يصلي ولا يسرني ليلته بليلتي وقيل ان محمد بن سيرين كان يكلم أمه كما يكلم الامير الذي لا ينتصف منه وقيل لعلي بن الحسين رضي الله تعالى عنه انك من أبر الناس ولا تأكل مع أمك في صحفة فقال أخاف أن تسبق يدي يدها الى ما تسبق عينها اليه فأكون قد عققتها

* الفصل الثاني في الاولاد وحقوقهم وذكر النجباء والاذكياء والبلداء والاشقياء * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الولد ريحانة من الجنة * وقال الفضل ريح الولد من الجنة وكان يقال ابنك ريحانتك سبعا ثم حاجبك سبعا ثم عدو أو صديق * وعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال قلت لسيدي رسول الله صلى الله عليه وسلم يارسول الله هل يولد لاهل الجنة قال والذي نفسي بيده ان الرجل يشتهي أن يكون له ولد فيكون حمله ووضعه وشبابه الذي ينتهي اليه في ساعة واحدة وقيل من حق الولد على الوالد أن يوسع عليه حاله كي لا يفسق وقال عمر رضي الله تعالى عنه اني لاكره نفسي على الجماع رجاء ان يخرج الله مني نسمة

تسبحه

مكة والمدينة والتصديق بنبوة النبي صلى الله عليه وسلم قبل ايجاده بالف عام * ومن لطائف ما نقلته من كتاب الاعلام للقرطبي * ما أورده من مسند أبي داود عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قول الله عز وجل اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه الى آخر الآية ان أول من جحد آدم عليه السلام لانه لما أراه الله تعالى ذريته رأى فيهم رجلا أزهر ساطع النور فقال يارب من هذا قال ابنك داود قال يارب فما عمره قال ستون سنة قال يارب زد في عمره قال لا الا ان تزيده من عمرك قال وما عمري قال الف سنة قال آدم فقد وهبته اربعين سنة قال فكتب الله عليه كتابا وأشهد عليه ملائكته فلما حضرته الوفاة قال بقي من عمري أربعون سنة فقيل له قد وهبتها لابنك داود قال ما وهبت لاحد شيأ فأخرج الله ذلك الكتاب وفيه شهادة الملائكة * وفي رواية ان الله جل جلاله أتم لداود مائة سنة ولآدم الف سنة أخرجه الترمذي بمعناه وصححه وفيه فقال عليه الصلاة والسلام نسي آدم فنسيت ذريته وجحد آدم فجحدت ذريته والله أعلم * ومن لطائف الغرائب المنقولة من كتاب الاعلام للقرطبي * ان العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه مدح النبي صلى الله عليه وسلم بابيات على قافية بديعة اعجبت النبي صلى الله عليه وسلم منها قوله

وانت لما ولدت اشرقت الار
ض وضاءت بنورك الافق
فنحن في ذلك الضياء وفي النو
ر وسبل الرشاد نخترق

فقال يا عم لكل شاعر جائزة وجائزتك ان الخلافة في عقبك الى يوم القيامة * ومن غرائب التفسير ما نقلته من الاعلام * ان في قوله

تسبحه وتذكره وقال رضي الله تعالى عنه أكثروا من العيال فانكم لا تدرون بمن ترزقون وقال شبيب بن شبة ذهب اللذات الا من ثلاث شم الصبيان وملاقاة الاخوان والخلو مع النسوان ودخل عمرو بن العاص على معاوية وعنده ابنته عائشة فقال من هذه يا أمير المؤمنين قال هذه تفاحة القلب فقال انبذها عنك فانهن يلدن الاعداء ويقربن البعداء ويورثن الضغائن قال لا تقل يا عمرو ذلك فوالله ما مرض المرضى ولا ندب الموتى ولا أعان على الاخوان الا هن فقال عمرو يا أمير المؤمنين انك حببتهن الى وقيل لرجل أي ولدك أحب اليك قال صغيرهم حتى يكبر ومريضهم حتى يبرأ وغائبهم حتى يحضر وقال ابن عامر لامرأته امامة بنت الحكم الخزاعية ان ولدت غلاما فلك حكمك فلما ولدت قالت حكمي أن تطعم سبعة أيام كل يوم على ألف خوان من فالوذج وأن تعق بألف شاة ففعل لها ذلك * وغضب معاوية على يزيد فهجره فقال الاحنف يا أمير المؤمنين أولادنا ثمار قلوبنا وعماد ظهورنا ونحن لهم سماء ظليلة وأرض ذليلة وبهم نصول على كل جليلة فان غضبوا فارضهم وان سألوا فاعطهم وان لم يسألوا فابتدئهم ولا تنظر اليهم شزرا فيملوا حياتك ويتمنوا وفاتك فقال معاوية يا غلام اذا رأيت يزيد فاقرئه السلام واحمل اليه مائتي ألف درهم ومائتي ثوب فقال يزيد من عند أمير المؤمنين فقيل له الأحنف فقال يزيد بن معاوية على به فقال يا أبا بحر كيف كانت القصة فحكاها له فشكر صنيعه وشاطره الصلة ﴿وحكى﴾ الكسائي انه دخل على الرشيد يوما فأمر باحضار الأمين والمأمون ولديه قال فلم يلبث قليلا أن أقبلا ككوكبي أفق يزينهما هداهما ووقارهما وقد غضا أبصارهما حتى وقفا في مجلسه فسلما عليه بالخلافة ودعوا له بأحسن الدعاء فاستدناهما وأسند محمدا عن يمينه وعبد الله عن يساره ثم أمرني أن ألقي عليهما أبوابا من النحو فما سألتهما شيئا الا أحسنا الجواب عنه فسره ذلك سرورا عظيما وقال كيف تراهما فقلت شعرا

أرى قمري أفق وفرعي بشامة * يزينهما عرق كريم ومحتد
سليلي أمير المؤمنين وحائزي * مواريث ما أبقى النبي محمد
يسدان أنفاق النفاق بشيمة * يزينهما حزم وسيف مهند

ثم قلت ما رأيت أعز الله أمير المؤمنين أحدا من أبناء الخلافة ومعدن الرسالة وأغصان هذه الشجرة الزلالية آدب منهما ألسنا ولا أحسن ألفاظا ولا أشد اقتدارا على الكلام روية وحفظا منهما أسأل الله تعالى أن يزيد بهما الاسلام تأييدا وعزا ويدخل بهما على أهل الشرك ذلا وقمعا وأمن الرشيد على دعائه ثم ضمهما اليه وجمع عليهما يديه فلم يبسطهما حتى رأيت الدموع تنحدر على صدره ثم أمرهما بالخروج وقال كأنكم بهما وقد دهم القضاء ونزلت مقادير السماء وقد تشتت أمرهما وافترقت كلمتهما بسفك الدماء وتهتك الستور * وكان يقال بنو أمية دنخل أخرج الله منه زق عسل يعني عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه * وسب اعرابي ولده وذكر له حقه فقال يا أبتاه ان عظيم حقك على لا يبطل صغير حقي عليك قال سيدي عبد العزيز الديريني رحمه الله تعالى

أحب بنيتي وودت أني * دفنت بنيتي في قاع لحد
وما بي أن تهون على لكن * مخافة أن تذوق الذل بعدي
فان زوجتها رجلا فقيرا * أراها عنده والهم عندي
وان زوجتها رجلا غنيا * فيلطم خدها ويسب جدي
سألت الله يأخذها قريبا * ولو كانت أحب الناس عندي

﴿وقال هرون بن علي بن يحيى المنجم﴾

أرى ابني تشابه من علي * ومن يحيى وذلك به خليق
وان يشبههما خلقا وخلقا * فقد تسري الى الشبه العروق

﴿وقال أبو النصر مولى بني سليم﴾

ونفرح بالمولود من آل برمك * ولا سيما ان كان من ولد الفضل

﴿وقال الحسن بن زيد العلوي﴾

قالوا عقيم ولم يولد له ولد * والمرء يخلفه من بعده الولد
فقلت من علقت بالحرب همته * عاف النساء ولم يكثر له عدد

﴿وكان الزبير بن العوام رضي الله عنه يرقص ولده ويقول﴾

تعالى ووجدك ضالا فهدى اقوالا ذكرت في احكام مخارج القرآن احسنها ما ذكره بعض المتكلمين ان العرب كانت اذا وجدت شجرة منفردة في فلاة من الارض لا شجر معها سموها ضالة فيهتدى بها على الطريق فقال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ووجدك ضالا فهدى اي وجدتك لا احد على دينك فهديت بك الخلق الى (قلت) قد تقدم الكلام في سعادة العباس ابن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم وما نال بالاسلام من العز وقول النبي صلى الله عليه وسلم ان الخلافة في عقبك الى يوم القيامة وتقدم ذكر شقاوة عمه أبي طالب بالشرك مع حمايته ورعايته لجانب النبي صلى الله عليه وسلم وهو الذي تقدم قوله مشيرا الى قريش في خطابه الى النبي صلى الله عليه وسلم

والله لن يصلوا اليك بجمعهم
حتى اوسد في التراب دفينا

(قال السهيلي) نور الله ضريحه في الروض الانف هذا من باب النظر في حكمة الله (ونقل) في الروض الانف ايضا عن هشام ابن السائب ان ابا طالب لما حضرته الوفاة جمع وجوه قريش وقال لهم انكم صفوة الله من خلقه وقلب العرب وفيكم السيد المطاع وفيكم المتقدم الشجاع والواسع الباع لم تتركوا للعرب في المآثر نصيبا الا أحرزتموه ولا شرفا الا أدركتموه فلكم على الناس بذلك الفضيلة ولهم به اليكم الوسيلة والناس لكم حرب وعلى حربكم ألب واني أوصيكم بتعظيم هذه البنية فان فيها مرضاة للرب وقواما للمعاش وثباتا للوطأة صلوا أرحامكم ولا تقطعوها فان في صلة الرحم منسأة في الأجل وزيادة في العدد واتركوا البغي والعقوق ففيهما هلكت القرون قبلكم وأجيبوا

أزهر من آل بني عتيق * مبارك من ولد الصديق * ألذه كالذ الريق

(وكانت اعرابية ترقص ولدها وتقول)

ياحبذا ريح الولد * ريح الخزامى في البلد أهكذا كل ولد * أم لم يلد مثلي أحد

(وكان اعرابي يرقص ولده و يقول)

أحبه حب الشحيح ماله * قد ذاق طعم الفقر ثم ناله * اذا أراد بذله بداله

(وكان) لاعرابي امرأتان فولدت احداهما جارية والأخرى غلاما فرقصته أمه يوما وقالت معايرة لضرتها

الحمد لله الحميد العالي * أنقذني العام من الجوالي

من كل شوهاء كشن بالي * لا تدفع الضيم عن العيال

فسمعتها ضرتها فأقبلت ترقص ابنتها وتقول

وما علي أن تكون جاريه * تغسل رأسي وتكون الفاليه * وترفع الساقط من خماريه

حتى اذا ما بلغت ثمانية * أزرتها بنقبة يمانيه * أنكحتها مروان أو معاويه

* اصهار صدق ومهور غاليه *

قال فسمعها مروان فتزوجها على مائة ألف مثقال وقال ان أمها حقيقة أن لا يكذب ظنها ولا يخان عهدها فقال معاوية لولا مروان سبقنا اليها لاضعفنا لها المهر ولكن لا تحرم الصلة فبعث اليها بمائتي ألف درهم والله أعلم

(ومما جاء في الاولاد البلداء القليلي التوفيق)

(قيل) نظر اعرابي الى ولد له قبيح المنظر فقال له يا بني انك لست من زينة الحياة الدنيا * وقال رجل لولده وهو في المكتب في أي سورة أنت قال لا أقسم بهذا البلد ووالدي بلا ولد فقال لعمري من كنت أنت ولده فهو بلا ولد * وأرسل رجل ولده يشتري له رشاء للبئر طوله عشرون ذراعا فوصل الى نصف الطريق ثم رجع فقال يا أبت عشرون في عرض كم قال في عرض مصيبتي فيك يا بني * وكان لرجل من الاعراب ولد اسمه حمزة فبينما هو يوما يمشي مع أبيه اذا برجل يصيح بشاب يا عبد الله فلم يجبه ذلك الشاب فقال ألا تسمع فقال يا عم كلنا عبيد الله فأي عبد الله تعني فالتفت أبو حمزة اليه وقال يا حمزة ألا تنظر الى بلاغة هذا الشاب فلما كان من الغد اذا برجل ينادي شابا يا حمزة فقال حمزة بن الاعرابي كلنا حمامير الله فأي حمزة تعني فقال له أبوه ليس يعنيك يا من أخمد الله به ذكر أبيه * وكان لمحمد بن بشير الشاعر ابن جسيم فأرسله في حاجته فابطأ عليه ثم عاد ولم يقضها فنظر اليه ثم قال

عقله عقل طائر * وهو في خلقة الجمل

(فاجابه) مشبه بك يا أبي * ليس لي عنك منتقل

(ونهى) اعرابي ابنه عن شرب النبيذ فلم ينته وقال

أمن شربة من ماء كرم شربتها * غضبت علي الآن طابت لي الخمر

سأشرب فاسخط لا رضيت كلاهما * حبيب الى قلبي عقوقك والسكر

وقيل قال ذلك يزيد بن معاوية لابيه حين نهاه عن شرب الخمر

(ومما جاء في صلة الرحم)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلة الرحم منماة للولد مثراة للمال * وقيل وجد حجر حين حفر ابراهيم الخليل عليه السلام أساس البيت مكتوب عليه بالعبرانية أنا الله ذو بكة خلقت الرحم وشققت لها اسما من أسمائي فمن وصلها وصلته ومن قطعها بتته أي قطعته وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعجل الخير ثوابا صلة الرحم حدثنا أبو سهل عن صالح بن جرير بن عبد الحميد عن منصور عن عطاء بن أبي مروان عن أبيه عن كعب الاحبار انه قال والذي فلق البحر لموسى بن عمران ان في التوراة لمكتوبا يا ابن آدم اتق ربك وبر والديك وصل رحمك أزد في عمرك وأيسر لك في يسرك وأصرف عنك عسيرك وعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال صنائع المعروف تقي مصارع السوء وصدقة السر تطفئ غضب الرب جل وعلا وصلة الرحم تزيد في العمر وذكر تمام الحديث

(الفصل الثالث من هذا الباب في ذكر الانساب والاقارب والعشيرة) قال عمر رضي الله عنه تعلموا أنسابكم

الداعي وأعطوا السائل فان فيهما شرف الحياة والممات وعليكم بصدق الحديث واداء الأمانة فان فيهما محبة في الخاص ومكرمة في العام وأنا أوصيكم بمحمد خيرا فانه الامين في قريش والصديق في العرب وهو جامع لكل ما أوصيكم به وقد جاء بامر قبله الجنان وأنكره اللسان مخافة الشنآن وايم الله كأني أنظر الى صعاليك العرب وأهل البر في الاطراف والمستضعفين من الناس قد أجابوا دعوته وصدقوا كلمته وعظموا أمره فخاض بهم غمرات فصارت رؤساء قريش وصناديدها أذنابا ودورها خرابا وضعفاؤها أربابا واذا أعظمهم عليه أحوجهم اليه وأبعدهم منه أحظاهم عنده قد محضته العرب ودادها وأصغت له فؤادها وأعطته قيادها دونكم يا معشر قريش ابن أبيكم كونوا له ولاة ولحزبه حماة والله لا يسلك أحد منكم سبيله الا رشد ولا يأخذ أحد بهديه الا سعد ولو كان لنفسي مدة ولاجلي تأخير لكفيت عنه الهزاهز ولدفعت عنه الدواهي ثم هلك (ومن شهي المجتنى من ثمرات الأوراق) ما روي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه انه مر على طائفة بالمدينة أيام خلافته فاذا بجارية تبكي وتقول

وهويته من قبل قطع تمائمي
متمايسا مثل القضيب الناعم
فكأن نور البدر سنة وجهه
يمشي ويصعد من ذؤابة هاشم

فقرع الباب فخرجت اليه فقال لها أحرة أنت أم أمة فقالت بل أمة يا صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من هويت فبكت وقالت بحق صاحب هذا القبر الا انصرفت عني فقال لست بمنصرف من مكاني حتى تعلميني وتقولي فقالت

وأنا التي لعب الغرام بقلبها
فبكت بحب محمد بن القاسم

تعرفوا بها أصولكم فتصلوا بها أرحامكم وقيل لو لم يكن من معرفة الانساب الا اعتزازها من صولة الاعداء وتنازع الاكفاء لكان تعلمها من أحزم الرأى وأفضل الثواب ألا ترى الى قوم شعيب عليه السلام حيث قالوا ولولا رهطك لرجمناك فابقوا عليه لرهطه وقال عمر رضى الله عنه تعلموا العربية فانها تزيد فى المروءة وتعلموا النسب فرب رحم مجهولة قد وصلت بعرفان نسبها (وسئل) عيسى عليه السلام أى الناس أشرف فقبض قبضتين من تراب وقال أى هاتين أشرف ثم جمعهما وطرحهما وقال الناس كلهم من تراب ان أكرمكم عند الله أتقاكم * كان أبو كبشة جد رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبل أمه فلما خالف رسول الله صلى الله عليه وسلم دين قريش قالوا نزعه عرق أبى كبشة حيث خالفهم فى عبادة الشعرى وقال خالد بن عبد الله القشيرى سألت واصل بن عطاء عن نسبه فقال نسبى الاسلام من ضيعه فقد ضيع نسبه ومن حفظه فقد حفظ نسبه فقال خالد وجه عبد وكلام حر ومن كلام على كرم الله وجهه أكرم عشيرتك فانهم جناحك الذى به تطير فانك بهم تصول وبهم تطول وهم العدة عند الشدة أكرم كريمهم وعد سقيمهم وأشركهم فى أمورك ويسر عن معسرهم وكان يقال اذا كان لك قريب فلم تمش اليه برجلك ولم تعطه من مالك فقد قطعته ويقال حق الاقارب اعظام الاصغر للاكبر وحنو الاكبر على الاصغر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حق كبير الاخوة على صغيرهم كحق الوالد على ولده قال بعضهم

واذا رزقت من النوافل ثروة * فامنح عشيرتك الادانى فضلها
واعلم بانك لا تسود فيهم * حتى ترى دمث الخلائق سهلها

الباب السادس والاربعون فى الخلق وصفاتهم وأحوالهم وذكر الحسن والقبيح والطول والقصر والالوان والثياب وما أشبه ذلك وفيه فصول

الفصل الاول فى الحسن ومحاسن الاخلاق والى سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتهى الحسن والجمال كان سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ربعة من القوم لا بائنا من طول ولا تقتحمه عين من قصر أبيض اللون مشربا بحمرة أدعج العينين مفلج الثنايا دقيق المسربة أزهر الجبين واضح الخد أقنى الانف كأن عنقه ابريق فضة ظاهر الوضاءة يتلألأ وجهه تلألؤ القمر شثن الكفين مسيح القدمين واسع الصدر من لبته الى سرته شعر يجرى كالقضيب ليس فى بطنه ولا صدره شعر غيره أشعر الذراعين والمنكبين لم يبلغ شيبه فى رأسه ولحيته عشرين شعرة ضخم الكراديس أنور المتجرد اذا مشى كانما ينحط من صبب واذا التفت التفت جميعا بين كتفيه خاتم النبوة كانه زر حجلة أو بيض حمامة لونه كلون جسده أبلج الوجه حسن الخلق وسيما قسيما فى جبينه زجج وفى عينيه دعج وفى عنقه سطع وفى لحيته كثافة ان صمت فعليه الوقار وان تكلم سما وعلاه البهاء أجمل الناس وأبهاهم من بعيد وأحسنهم وأكملهم من قريب كانما منطقه خرزات نظم يتحدرن قال أنس رضى الله عنه ما رأيت من ذى لمة سوداء فى حلة حمراء أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومدحه صلى الله عليه وسلم حسان بن ثابت رضى الله عنه فقال

وأحسن منك لم تر قط عينى * وأجمل منك لم تلد النساء
خلقت مبرأ من كل عيب * كانك قد خلقت كما تشاء

اللهم صل وسلم عليه واجعله شفيعا لمن يصلى عليه وقال صلى الله عليه وسلم ما حسن الله خلق عبد وخلقه الا استحيا ان يطعم لحمه النار وقد كان المتوكل رحمه الله من أحسن الخلفاء العباسية وجها وأبهاهم منظرا وكان مصعب بن الزبير من أحسن الناس وجها (حكى) انه كان جالسا بفناء داره يوما بالبصرة اذ جاءت امرأة فوقفت تنظر اليه فقال لها ما وقوفك يرحمك الله فقالت طفئ مصباحنا فجئنا نقتبس من وجهك مصباحا وقيل لاعرابية ظريفة ما بال شفتيك مشققة فقالت ان التين اذا حلا تشقق والورد يتشقق اذا مسه الندى وكانت لبابة بنت عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنهم من أجمل الناس وجها وكانت عند الوليد بن عتبة بن أبى سفيان فكانت تقول ما نظرت وجهى فى مرآة مع انسان الا رحمته من حسن وجهى الا الوليد فكنت اذا نظرت الى وجهى مع وجهه رحمت وجهى من حسن وجهه قال الشاعر

ولو انها فى عهد يوسف قطعت * قلوب رجال لا أكف نساء

(وقال كثير)

لو ان عزة حاكمت شمس الضحى * فى الحسن عند موفق لقضى لها

فسار أبو بكر رضى الله عنه الى المسجد وبعث الى مولاها فاشتراها منه وبعث بها الى محمد بن القاسم بن جعفر بن أبى طالب عفى عنه (ومن مناقب الامام عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه) فى فتح بيت المقدس ان المسلمين تكامل لهم فتوح الشام فأقاموا على دمشق شهرا فجمع أبو عبيدة أمراء المسلمين واستشارهم فى المسير الى قيسارية أو الى بيت المقدس فقال له معاذ بن جبل أيها الامير اكتب الى أمير المؤمنين عمر فحيث أمرك امتثله قال له أصبت الرأى يا معاذ ثم كتب الى أمير المؤمنين عمر يعلمه بذلك وأرسل الكتاب مع عرفجة ابن ناصح النخعى فسار حتى وصل المدينة فسلم الكتاب الى عمر رضى الله عنه فقرأه على المسلمين واستشارهم فقال على رضى الله تعالى عنه يا أمير المؤمنين مر صاحبك ينزل بجيوش المسلمين الى بيت المقدس فاذا فتح الله بيت المقدس صرف وجهه الى قيسارية فانها تفتح بعدها ان شاء الله تعالى كذا أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عمر صدق المصطفى صلى الله عليه وسلم وصدقت أنت يا أبا الحسن ثم دعا بدواة وبياض وكتب بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر الى عامله بالشام أبى عبيدة أما بعد فانى أحمد الله الذى لا اله الا هو وأصلى على نبيه وقد وصلنى كتابك تستشيرنى الى أى ناحية تتوجه وقد أشار ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمسير الى بيت المقدس فان الله يفتحها على يديك والسلام فلما وصل الكتاب الى أبى عبيدة قرأه على المسلمين ففرحوا بالمسير الى بيت المقدس وتقدمها الجيش الى بيت المقدس وأقام المسلمون فى القتال عشرة أيام وأهل بيت المقدس يظهرون الفرح لعدم الخوف فلما كان فى يوم

﴿وممّا جاء فى محاسن الخلق منظوما على الترتيب من الفرق الى القدم﴾

(ما قيل فى الشعر) كان يقال من تزوج امرأة أو اتخذ جارية فليستحسن من شعرها فان الشعر الحسن أحد الوجهين قال بكر بن النطاح

بيضاء تسحب من قيام شعرها * وتغيب فيه وهو وجه أسحم

فكأنها فيه نهار ساطع * وكأنه ليل عليها مظلم

(وللمتنبي) نشرت ثلاث ذوائب من شعرها * فى ليلة فأرت ليالى أربعا

واستقبلت قمر السماء بوجهها * فأرتنى القمرين فى وقت معا

(وله أيضا) لبسن الوشى لا متجملات * ولكن كى يصن به الجمالا

وضفرن الغدائر لا لحسن * ولكن خفن فى الشعر الضلالا

(وقال الصفدى) لولا شفاعة شعره فى صبه * ما كان زار ولا أزال سقاما

لكن تنازل فى الشفاعة عنده * فغدا على أقدامه يترامى

(وقال ابن الصائغ) ثنى غصنا ومد عليه فرعا * كحظى حين أطلب منه وصلا

وبلبله على الارداف منه * فلم أر مثل ذاك الفرع أصلا

(وقال آخر) أرخى ثلاثا يوم حمامه * ذوائبا تعبق منها الغوال

فقلت والقصد ذؤاباته * واسهرى فى ذى الليالى الطوال

(وقال آخر) بدت ثريا قرطها وشعرها * متصل بكعبها كما ترى

يا عجبا لشعرها لما ابتدى * من الثريا فانتهى الى الثرى

(وقال ابن المعتز) توارت عن الواشى بليل ذوائب * لها من محيا واضح تحته فجر

يغطى عليها شعرها بظلامه * وفى الليلة الظلماء يفتقد البدر

﴿وممّا قيل فى الاصداغ﴾

(قال ابن المعتز) ريم يتيه بحسن صورته * عبث النعاس بلحظ مقلته

وكأن عقرب صدغه وقفت * لما دنت من ورد وجنته

(وقال العادلى) وعهدى بالعقارب حين تشتو * يخفف لدغها ويقل ضرا

فما بال الشتاء أتى وهذى * عقارب صدغها تزداد شرا

(وقال آخر) وما ضره نار بخديه ألهبت * ولكن بها قلب المحب يعذب

عناقيد صدغيه بخديه تلتوى * وأمواج ردفيه بخصريه تلعب

شربت الهوى صرفا زلالا وانما * لواحظه تسقى وقلبى يشرب

(وقال آخر) حل القباولوى صدغيه فانعقدا * واحيرتى بين محلول ومعقود

وأسكرتنى ثناياه وريقته * هل هذه الخمر من تلك العناقيد

(ومما قيل فى مدح العذار) قال أبو فراس بن حمدان

يا من يلوم على هواه جهالة * انظر الى تلك السوالف تعذر

حسنت وطاب نسيمها فكأنها * مسك تساقط فوق خد أحمر

(وقال محمد بن وهب)

صدودك والهوى هتكا استتارى * وساعدنى البكاء على اشتهارى

وكم أبصرت من حسن ولكن * عليك لشقوتى وقع اختيارى

ولم أخلع عذارا فيك الا * لما عاينت من خلع العذار

(وقال آخر) ومعذر رقت حواشى خده * فقلوبنا وجدا عليه رقاق

لم يكس عارضه السواد وانما * نفضت عليه سوادها الاحداق

(وقال آخر) ومهفهف راقت نضارة وجهه * والعين تنظر منه أحسن منظر

الحادى عشر أشرفت عليهم راية أبى عبيدة وخالد عن يمينه وعبد الرحمن بن أبى بكر الصديق عن يساره فضج الناس ضجة عظيمة بالتهليل والتكبير فوقع الرعب فى أهل بيت المقدس فاجتمعوا بقمامة وهى البيعة المعظمة عندهم فلما وقفوا بين يدى البطرك قال لهم ما هذه الضجة التى أسمع قالوا يا أبانا قد قدم أمير المؤمنين ببقية المسلمين فلما سمع البطرك منهم ذلك انخطف لونه وتغير وجهه وقال انا وجدنا فى علمنا الذى ورثناه ان الذى يفتح الأرض هو الرجل الأحمر صاحب نبيهم محمد فان كان قدم عليكم فلا سبيل الى قتاله ولا بد ان أشرف عليه وأنظر الى صفته فان كان هو أجبته الى ما يريد وان كان غيره فلا بأس عليكم ثم وثب قائما والقسس والرهبان والشمامسة من حوله وقد رفعوا الصلبان على رأسه فصعدوا الى السور الى أن ورد أبو عبيدة رضى الله عنه فناداهم رجل من الروم باذن البطرك يا معاشر المسلمين كفوا عن القتال حتى نسألكم فأمسك المسلمون عنهم فناداهم الرجل بلسان عربى اعلموا ان الرجل الذى يفتح بلدتنا هذه وجميع الأرض صفته عندنا فان كانت فى أميركم لم نقاتلكم بل نسلم اليكم وان لم تكن هذه صفته فلا نسلم اليكم أبدا فاعلم المسلمون أبا عبيدة بذلك فخرج أبو عبيدة اليهم الى أن حاذاهم فنظر البطرك وحقق صورته فقال ليس هو الرجل فابشروا وقاتلوا عن دينكم وحريمكم وكان نزول المسلمين على بيت المقدس فى فصل الشتاء والبرد فأقاموا عليها أربعة أشهر فى أشد قتال مع الصبر على المطر والثلج فلما نظر أهل بيت المقدس الى شدة الحصار فى ذلك الفصل الصعب وما نزل بهم من المسلمين وقفوا بين يدى البطرك

أصلى بنار الخد عنبر خاله * فبدا العذار دخان ذاك العنبر

(وقال آخر) أصبحت سلطان القلوب ملاحة * وجمال وجهك للبرية عسكر
طلعت طلائع وجنتيك مغيرة * بالنصر يقدمها اللواء الاخضر

(وقال آخر) يا ذا الذي خط العذار بخده * خطين هاجا لوعة وبلابلا
ما صح عندي ان لحظك صارم * حتى حملت بعارضيك حمائلا

(وقال آخر) من لا رأى كعبة الحسن التي حرست * بالنمل حيث مقام النحل في فمه
فلينظر النمل أضحى فوق عارضه * يطوف سبعا وسبعا حول مبسمه

(وقال بدر الدين الدماميني)

يحدث ليل عارضه بأنى * سأسلوه وينصرم المزار
فأشرق صبح غرته ينادى * حديث الليل يمحوه النهار

(وقال آخر) وقالوا تسلى فقد شانه * عذار أراحك من صده
فقلت وهمتم ولكنني * خلعت العذار على خده

(سيدى أبو الفضل بن أبي الوفاء)

على وجنتيه جنة ذات بهجة * ترى لعيون الناس فيها ازدحاما
حمى ورد خديه حماة عذاره * فيا حسن ريحان العذار حماحمى

(وقال ابن نباتة) وبمهجتي رشأ يميس قوامه * فكأنه نشوان من شفتيه
شغف العذار بخده ورآه قد * نعست لواحظه فدب عليه

(وقال الموصلى) لحديث نبت العارضين حلاوة * وطلاوة هامت بها العشاق
فاذا نهاني المرء قلت ترفقوا * فاليكم هذا الحديث يساق

(وقال آخر) أصبحت مكسورا بسهم لحاظه * ومقيدا من صدغه بلسانه
حتى بدا سيف العذار مجردا * فخشيت يقتلني وذا من شانه

(وقال آخر) يا صاح قد حضر المدام ومنيتي * وحظيت بعد الهجر بالايناس
وكسا العذار الخد حسنا فاسقني * واجعل حديثك كله في الكاس

(ابن نباتة) وضعت سلاح الصبر عنه فماله * يغازل بالالحاظ من لا يغازله
وسال عذار فوق خديه سائل * على خده فليتق الله سائله

(ومما قيل في ذم العذار) قال الشاعر

غدا لما التحى ليلا بهيما * وكان كأنه قمر منير
وقد كتب السواد بعارضيه * لمن يقرا وجاءكم النذير

(آخر في ذمه) قلت لأصحابي وقد مر بي * منتقبا بعد الضيا بالظلم
بالله يا أهل ودي قفوا * ثم انظروا كيف زوال النعم

(وقال آخر) ما زال ينتف ريحانا بعارضه * حتى استطال عليه صار يحلقه
كأنما طور سينا فوق عارضه * طول الزمان فموسى لا يفارقه

(وقال آخر) ما زال يحلف لي بكل ألية * أن لا يزال مدى الزمان مصاحبي
لما جنى نزل العذار بخده * فتعجبوا لسواد وجه الكاذب

(ابن المعتز) يارب ان لم يكن في وصله طمع * ولم يكن فرج من طول جفوته
فاشف السقام الذي في لحظ مقلته * واستر ملاحة خديه بلحيته

(ومما قيل في الجبين والحواجب) خالد الكاتب

لها من ظباء الرمل عين مريضة * ومن ناضر الريحان خضرة حاجب
ومن يانع الأغصان قد وقامة * ومن حالك الحبر اسوداد الذوائب

وقالوا الله قد عظم الأمر وليس بد منك أن تشرف على القوم وتسأل ما الذي يريدون فان كان أمرا صعبا فتحنا الأبواب وخرجنا اليهم فاما نقتل عن آخرنا أو نهزمهم عنا فأجابهم البطرك الى ذلك وبعد السور واجتمع القسيسون والرهبان حوله ونادى منهم رجل بالعربي وقال يا معاشر الفرسان عمدة دين النصرانية قد أقبل يخاطبكم فليدن منا أميركم فقام أبو عبيدة يمشي ومعه جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وترجمان فلما وقف بازائهم قال ما الذي تريدون هذا أمير العرب فقال البطرك انكم لو أقمتم علينا عشرين سنة لم تصلوا الى فتح بلدتنا أبدا وانما يفتحه رجل موصوف وليست الصفة معكم قال أبو عبيدة وما صفته من يفتح بلدكم قال البطرك لا نخبركم بصفته ولكن قرأنا ان هذا البلد يفتحه صاحب لمحمد اسمه عمر بن الخطاب ويعرف بالفاروق وهو رجل شديد لا تأخذه في الله لومة لائم ولسنا نرى صفته فيكم فلما سمع أبو عبيدة كلام البطرك تبسم وقال فتحنا البلد ورب الكعبة ثم أقبل على البطرك وقال ان رأيت الرجل تعرفه قال نعم وكيف لا أعرفه وصفته عندنا قال أبو عبيدة هو والله خليفتنا وصاحب نبينا صلى الله عليه وسلم قال البطرك فاذا كان الأمر على ما ذكرتم فاحقن الدماء وابعث الى صاحبك يأتي فاذا رأيناه وتبينا نعته فتحنا له البلد وأعطيناه الجزية فانصرف أبو عبيدة وأمر الناس بالكف عن القتال وأعلمهم بالخبر فكبروا وكتب أبو عبيدة الى الامام عمر رضي الله عنه يعلمه بالخبر على يد ميسرة بن مسروق فلما وصل الكتاب الى عمر رضي الله عنه فرح وقرأه على المسلمين وقال ما ترون رحمكم الله

(وقال آخر) غزاني الهوى في جيشه وجنوده * وهب على الجيش من كل جانب
ميسرة أجنادها أعين المها * وميمنة تقضي بزج الحواجب

(وقال آخر) أيا قمرا تبسم عن أقاح * ويا غصنا يميل مع الرياح
جبينك والمقبل والثنايا * صباح في صباح في صباح

(ومما قيل في العيون) قال الأصمعي ما وصف أحد العيون بمثل ما وصف أحمد بن الرقاع في قوله
وكأنها دون النساء أعارها * عينيه أحور من جآذر جاسم
وسنان أقصده النعاس ترنقت * في جفنه سنة وليس بنائم

(وقال ابن المعتز) عليم بما تحت العيون من الهوى * سريع بكسر اللحظ والقلب جازع
فيجرح أحشائي بعين مريضة * كما لان متن السيف والحد قاطع

(وقال الأخطل) ولا تلمم بدار بني كليب * ولا تقرب لها أبدا رجالا
ترى فيها بوارق مرهفات * يكدن يكدن بالحدق الرجالا

(وقال أبو فراس وأحسن)

وبيض بألحاظ العيون كأنما * هززن سيوفا واستللن خناجرا
تصدين لي يوما بمنعرج اللوى * فغادرن قلبي بالتصبر غادرا
سفرن بدورا وانتقبن أهلة * ومسن غصونا والتفتن جآذرا

(وقال آخر) ومريض جفن ليس يصرف طرفه * نحو امرئ إلا رماه بحتفه
قد قلت إذ أبصرته متمايلا * والردف يجذب خصره من خلفه
يا من يسلم خصره من ردفه * سلم فؤاد محبه من طرفه

(وقال أبو هفان) أخو دنف رمته فأقصدته * سهام من جفونك لا تطيش
فواتك لا يقال سوى احورار * بهن ولا سوى الأهداب ريش
أصبن فؤاد مهجته فأضحى * سقيما لا يموت ولا يعيش
كئيبا إن ترحل عنه جيش * من البلوى أناخ به جيوش

(وقال آخر) وجاؤا إليه بالتعاويذ والرقى * وصبوا عليه الماء من شدة النكس
وقالوا به من أعين الجن نظرة * ولو أنصفوا قالوا به أعين الإنس

(عز الدين الموصلي) لها عين لها غزو وغزل * مكحلة ولي عين تباكت
وحاكت في فعائلها المواضي * فيا لك مقلة غزلت وحاكت

(برهان الدين القيراطي)

شبه السيف والسنان بعيني * من لقتلي بين الأنام استحلا
فأتى السيف والسنان وقالا * حدنا دون ذاك حاشى وكلا

(وله أيضا) بأبي أهيف المعاطف لدن * حسد الأسمر المثقف قده
ذو جفون مذ رمت منها كلاما * كلمتني سيوفهن بحده

(بدر الدين بن حبيب) عيناه قد شهدت بأني مخطئ * وأتت بخط عذاره تذكارا
يا حاكم الحب اتئد في قتلتي * فالخط زور والشهود سكارى

(جلال الدين بن خطيب داريا)

شهدت جفون معذبي بملالة * مني وأن وداده تكليف
لكنني لم أنا عنه لأنه * خبر رواه الجفن وهو ضعيف

(وقال الشيخ عز الدين الموصلي)

يا مقلة الحب مهلا * فقد أخذت بثارك * وأنت يا وجنتيه * لا تحرقيني بنارك

(وقال ابن الصائغ) لمثلي من لواحظها سهام * لها في القلب فتك أي فتك

فيما كتب إلينا أمين الأمة فكان أول من تكلم عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه فقال يا أمير المؤمنين إن الله قد أذل الروم فإن أنت أقمت ولم تسر إليهم علموا أنك بأمرهم مستخف فلا يثبتون إلا يسيرا فلما سمع عمر ذلك من عثمان جزاه خيرا وقال هل عند أحد منكم رأي غير هذا فقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه نعم عندي غير هذا الرأي وأنا أبديه إليك رحمك الله فقال له عمر وما هو يا أبا الحسن قال إن القوم قد سألوك وفي سؤالهم ذل وهو على المسلمين فتح وقد أصابهم جهد عظيم البرد والقتال وطول المقام وإن سرت إليهم فتح الله على يديك هذه المدينة وكان لك في مسيرك الأجر العظيم ولست آمن منهم أنهم إذا أيسوا منك أن يأتيهم المدد من طاغيتهم فيحصل للمسلمين بذلك الضرر والصواب أن تسير إليهم ففرح عمر بمشورة علي وقال لقد أحسن عثمان النظر في المكيدة للعدو وعلي أحسن النظر للمسلمين جزاهما الله خيرا ولست آخذا إلا بمشورة علي فما عرفناه إلا محمود المشورة ميمون الطلعة ثم إن عمر أمر الناس أن يأخذوا الأهبة للمسير معه واستخلف على المدينة علي بن أبي طالب وخرج من المدينة وهو على بعير له أحمر عليه غرارتان في إحداهما سويق وفي الأخرى تمر وبين يديه قربة وخلفه جفنة للزاد وسار إلى أن أقبل على بيت المقدس فالتقاه أبو عبيدة فلما رآه أناخ قلوصه وأناخ عمر بعيره وترجلا ومد أبو عبيدة يده وصافح عمر وتعانقا وسلم كل منهما على صاحبه وأقبل المسلمون يسلمون على عمر ثم ركبوا جميعا إلى أن نزلوا فصلى عمر بالمسلمين صلاة الفجر ثم خطبهم فلما فرغ من خطبته جلس وأبو عبيدة يحدثه بما لقي من الروم إلى أن حضرت صلاة الظهر أذن بلال

اذا رامت تشك به فؤادا * يموت المستهام بغير شك

(وقال الصلاح الصفدى)

ياعاذلى على عين محجبة * خف سحر ناظرها فالسحر فيه خفى

وخذ فؤادى ودعه نصب مقلتها * لا ترم نفسك بين السهم والهدف

(وقال آخر) بسهم أجفانه رمانى * فذبت من هجره وبينه

ان مت مالى سواه خصم * لأنه قاتلى بعينه

(وقال آخر) سهام الجفن كم قتلت لنفس * مبرأة من السلوى زكيه

فما أقوى جفونك وهى مرضى * وأقدرها على قتل البريه

(ومما قيل فى الخال) للصلاح الصفدى

بروحى خده المحمر أضحى * عليه شامة شرط المحبه

كأن الحسن يعشقه قديما * فنطقه بدينار وحبه

(لابن الصائغ) بروحى أفدى خاله فوق خده * ومن أنا فى الدنيا فأفديه بالمال

تبارك من أخلى من الشعر خده * وأسكن كل الحسن فى ذلك الخال

(وللشيخ جمال الدين بن نباتة)

لله خال على خد الحبيب له * فى العاشقين كما شاء الهوى عبث

أورثته مهجة القلب القتيل به * وكان عهدى بأن الخال لا يرث

(وقال آخر) ياسالبا قمر السماء جماله * ألبستنى فى الحزن ثوب سمائه

أحرقت قلبى فارتمى بشرارة * علقت بخدك فانطفت فى مائه

(للشيخ تقى الدين بن حجة)

قلت للخال اذ بدا * فى نقا جيده السعيد * فزت يا عبد قال لى * أنا عبد لكل جيد

(وقال ابن ايبك) فى الجانب الأيمن من خدها * نقطة مسك أشتهى شمها

حسبته لما بدا خالها * وجدته من حسنها عمها

(وقال الحسين بن الضحاك)

ياصائد الطير كم ذا * باللحظ تضنى وتسبى * نصبت نقطة خال * فصدت طائر قلبى

(ومما قيل فى الخدود) قال ابن المعتز

صل بخدى خديك تلق عجيبا * من معان يحار فيها الضمير

فبخديك للربيع رياض * وبخدى للدموع غدير

(وقال آخر) ورد الخدود ونرجس اللحظات * وتصافح الشفتين فى الخلوات

شئ أسر به وأعلم أنه * وحياته أحلى من اللذات

(ومما قيل فى الثغور) قال يوسف بن مسعود الصواف

بروحى من ولى فولى بمهجتى * وولى منامى وهو كالوصل شارد

حمى ثغره منى بسيف لحاظه * وحتام يحمى ثغره وهو بارد

(وقال آخر) أنفقت كنز مدامعى فى ثغره * وجمعت فيه كل معنى شارد

وطلبت منه جزاء ذلك قبلة * فقضى وراح تغزلى فى البارد

(وقال آخر) رأى ثغر من أهوى عذولى فقال لى * ولم يدر أن اللوم فى خده يغرى

شغلت بهذا وارتبطت بحسنه * وأحسن ما كان الرباط على ثغر

(وقال ابن ريان) لاحت على مبسمه المشتهى * ثلاث شامات غدت فى الشام

لا تعجبوا ان كثرت حوله * فالمنهل العذب كثير الزحام

(ومما قيل فى طيب الريق والنكهة) قال ذو الرمة

فى ذلك اليوم فلما قال الله أكبر خشعت جوارحهم واقشعرت أبدانهم فلما قال أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله بكى الناس بكاء شديدا عند ذكر الله وذكر رسوله وكاد بلال أن يقطع الاذان فلما فرغ الأذان صلى عمر وجلس ثم أمرهم بالركوب فلما هم بالركوب على بعيره وعليه مرقعة الصوف وفيها أربع عشرة رقعة بعضها من أدم قال المسلمون ياأمير المؤمنين لو ركبت غير بعيرك جوادا ولبست ثيابا الكان ذلك أعظم لهيبتك فى قلوب أعدائك وأقبلوا يسألونه ويتلطفون به الى أن أجابهم الى ذلك ونزع مرقعته ولبس ثيابا بيضا قال الزبير أحسبها كانت من ثياب مصر تساوى خمسة عشر درهما وطرح على كتفه منديلا من الكتان دفعه اليه أبو عبيدة وقدم له برذونا أشهب من براذين الروم فلما صار عمر فوقه جعل البرذون يهملج به فلما نظر عمر الى ذلك نزل مسرعا وقال أقيلونى عثرتى أقالكم الله عثراتكم يوم القيامة لقد كاد أميركم يهلك مما داخله من الكبر ثم انه نزع البياض وعاد الى لبس مرقعته وركوب بعيره فعلت ضجة المسلمين بالتهليل والتكبير فقال البطرك للروم انظروا ماشأن العرب فأشرف رجل من المتنصرة فقال يامعاشر العرب ماقضيتكم فقالوا ان عمر بن الخطاب قد قدم علينا من مدينة نبينا صلى الله عليه وسلم فرجع المتنصر وأعلم البطرك فأطرق ولم يتكلم فلما كان من الغد صلى عمر بالمسلمين صلاة الفجر ثم قال لأبى عبيدة تقدم الى القوم وأعلمهم أنى قد أتيت فخرج أبو عبيدة وصاح بهم وقال ان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب قد أتى فما تصنعون فيما قلتم فأعلم البطرك بذلك فخرج من قمامة وعليه المسوح ومن حوله

أسيلة مجرى الدمع هيفاء طفلة * عروب كإيماض الغمام ابتسامها
كأن على فيها وما ذقت طعمه * زجاجة خمر طاب فيها مدامها

﴿وقال شهاب الدين الكردي﴾

ذكرت ريق حبيبي * بشرب راح تعطر * وليس ذا بعجيب * فالشيء بالشيء يذكر

(غيره) رشفت ريقك حلوا * ولم يكن لي صبر * وسوف أحظى بوصل * فأول الغيث قطر

(الصلاح الصفدي) نقل الأراك بأن ريقة ثغره * من قهوة مزجت بماء الكوثر
قد صح ما نقل الأراك لأنه * يرويه نصا عن صحاح الجوهري

(وقال آخر) ثلاث يجمعن في ثغرها * ملاح أدلتها واضحه
فإن قيل ما هي قل لي أقل * هي الطعم واللون والرائحه

(وقال آخر) يا رب ممتنع الوصال محجب * بستوره كالبدر بين غيومه
دارت مراشفه على وكأسه * فسكرت في الحالين من خرطومه

(وقال آخر) أريقا من رضابك أم رحيقا * رشفت فكدت منه أن أفيقا
وللصهباء أسماء ولكن * جهلت بأن في الأسماء ريقا

﴿ومما قيل في حسن الحديث﴾ قال البحتري

ولما التقينا والنقا موعد لنا * تعجب رائي الدر حسنا ولاقطه
فمن لؤلؤ تجلوه عند ابتسامها * ومن لؤلؤ عند الحديث تساقطه

(وقال سلم الخاسر) ظللنا فبتنا عند أم محمد * بيوم ولم نشرب شرابا ولا خمرا
اذا صمتت عنا ضجرنا لصمتها * وان نطقت هاجت لألبابنا سكرا

(وقال ابن الرومي) يمسي ويصبح معرضا فكأنه * ملك عزيز قاهر سلطانه
ليست إساءته بناقصة له * در يساقطه الى لسانه

(وما أحسن هذه الأبيات) وهي من طارف الشعر ووافره وناقده وجيد الكلام وبارع الوصف

وكل حديث الناس الا حديثها * رجيع وفيما حدثتك الطرائف * جرحن بأعناق الظباء وأعين الـ
جآذر وارتجت بهن الروادف * رجحن بأرداف ثقال وأسوق * خدال وأعضاء عليها المطارف

﴿ومما قيل في رقة البشرة﴾ قال ابن المعتز

نضت عنها القميص لصب ماء * فورد خدها فرط الحياء * وقابلت الهواء وقد تعرت
بمعتدل أرق من الهواء * ومدت راحة كالماء منها * الى ماء معتد في اناء
فلما ان قضت وطرا وهمت * على عجل الى أخذ الرداء * رأت شخص الرقيب على تدان
فأسبلت الظلام على الضياء * فغاب الصبح منها تحت ليل * وظل الماء يقطر فوق ماء

(وقال آخر) تغير عن مودته وحالا * وكان مواصلا فطوى الوصالا
وعلمنا التدلل كيف هجري * فليت الوصل كان له دلالا * ترى من فوق حقويه قضيبا
اذا حركته خطاء مالا * اذا كلمته أثرت فيه * وان حركته فالجرس سالا

(وقال بشار) وما ظفرت عيني غداة لقيتها * بشيء سوى أطرافها والمحاجر
تخور من حور الجنان غريرة * يرى وجهه في وجهها كل ناظر

﴿ومنه أخذ أبو نواس قوله﴾

نظرت الى وجهه نظرة * فأبصرت وجهي في وجهه

(وقال آخر) توهمه قلبي فأصبح خده * وفيه مكان الوهم من نظري أثر
ومر بفكري جسمه فجرحته * ولم أر جسما قط تجرحه الفكر

(وقال آخر) سقى الله روضا قد تبدى لناظر * به شادن كالغصن يلهو ويمرح
وقد نضحت خداه من ماء ورده * وكل اناء بالذي فيه ينضح

الرهبان والقسس ثم علا السور وأشرف على أبي عبيدة وقال ما هذا أيها الشيخ قال أبو عبيدة هذا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فقال البطرك قل له يدنو مني فانا نعرفه بصفاته ونعته وأفردوه من بينكم حتى تراه فرجع أبو عبيدة الى عمر فأخبره بما قال البطرك فهم عمر بالقيام فقال له أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم نخشى عليك من الانفراد بلا عدة فقال عمر قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون ثم لبس مرقعته وركب بعيره وأبو عبيدة سائر بين يديه الى أن أتى بازاء البطرك قريبا من الحصن فقال أبو عبيدة هذا أمير المؤمنين فمد البطرك عنقه ونظر اليه فزعق زعقة وقال هذا والله الذي صفته ونعته في كتبنا ثم قال يا أهل بيت المقدس انزلوا اليه وخذوا منه الأمان والذمة فهذا والله صاحب محمد بن عبد الله فنزلوا مسرعين وكانت أنفسهم قد ضاقت من شدة الحصار وفتحوا الباب وخرجوا الى عمر يسألونه العهد فلما رآهم عمر رضي الله عنه في تلك الحالة تواضع لله سبحانه وتعالى وخر ساجدا على قتب بعيره ثم أقبل عليهم وقال ارجعوا الى بلدكم ولكم العهد فرجع القوم الى البلد ولم يغلقوا الباب ورجع عمر فلما كان من الغد وهو يوم الاثنين دخل اليها وأقام بها الى يوم الجمعة وخط بها محرابا وهو موضع مسجد وتقدم وصلى بالمسلمين صلاة الجمعة وأقام في بيت المقدس عشرة أيام وبها أسلم كعب الأحبار على يده وارتحل معه الى المدينة لزيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم وذلك بعد أن كتب الامام عمر لأهل بيت المقدس وأقرهم في بلدهم على عهدهم وأداء الجزية ﴿ومن شهي المجتنى من ثمرات الأوراق﴾ ما نقله أبو

(وقال آخر) وأهيف قده كسى احمرارا * وحاز الحسن فهو بلا شبيه
فلو أخجلته بالقول جهدى * لحمرة خده ما بان فيه

(ومما قيل فى التقبيل) للظفر الأعمى
قبلته فتلظى جمر وجنته * وفاح من عارضيه العنبر العبق
وحال بينهما ماء ولا عجب * لا ينطفى ذا ولا ذا منه يحترق

(وقال آخر) سألته فى ثغره قبلة * فقال ثغرى لم يجز لثمه
فهاكها فى الخد واقنع بها * ما قارب الشئ له حكمه

(وقال صاحب حماة) قال الذى تيمنى * قولوا لمن خبلته يروم منى قبلة * لومات ما قبلته

(الشيخ عز الدين الموصلى) كالزرد المنظوم أصداغه * وخده كالورد لما ورد
بالغت فى اللثم وقبلته * فى الخد تقبيلا يفك الزرد

(وقال آخر) رأيت الهلال على وجهه * فلم أدر أيهما أنور * سوى ان ذاك بعيد المزار
وهذا قريب لمن ينظر * وذاك يغيب وذا حاضر * وما من يغيب كمن يحضر
ونفع الهلال قليل لنا * ونفع الحبيب لنا أكثر

(وقال ابن صابر) قبلت وجنته فالفت جيده * خجلا ومال بعطفه المياس
فانهل من خديه فوق عذاره * عرق يحاكى الطل فوق الآس
فكانني استقطرت ورد خدوده * بتصاعد الزفرات من أنفاسى

(وقال آخر)
قبلت رجلى حبيبى * فازور واحمر خدا * وقال تلثم رجلى * لقد تنازلت حدا
فقلت ماجئت بدعا * ولا تجاوزت حدا * رجل سعت بك نحوى * حقوقها لا تؤدى

(ومما قيل فى الوجه الحسن) ابن نباتة
انسية فى مثال الجن تحسبها * شمسا بدت بين تشريق وتغييم
شقت لها الشمس ثوبا من محاسنها * فالوجه للشمس والعينان للريم

(عبد الله بن أبى خبيص) تصد من غير علة * بالعز أضحت مذله
كأنها حين تدنو * شمس عليها مظله * وان أضاءت بليل * تفوق نور الاهله

(وقال آخر) أقسم بالله وآياته * ما نظرت عينى الى مثله
ولا بدا وجهه طالعا * الا سألت الله من فضله

(وقال آخر) أقيمى مكان البدر ان أفل البدر * وقومى مقام الشمس قد أمها الفجر
ففيك من الشمس المنيرة نورها * وليس لها منك التبسم والثغر

(عمر بن ربيعة) ذات حسن ان تغب شمس الضحى * فلنا من وجهها عنها اخلاف
أجمع الناس على تفضيلها * وهواهم فى سوى هذا اختلاف

(أخذ أبو تمام هذا المعنى فرده الى المدح فقال)
لو أن أجماعنا فى فضل سودده * فى الدين لم يختلف فى الامة اثنان

(وقال آخر) يا مفردا فى الحسن والشكل * من دل عينيك على قتلى
البدر من شمس الضحى نوره * والشمس من نورك تستملى

(وقال آخر) ففى أربع منى حلت منك أربع * فما أنا أدرى أيها هاج لى كربى
أوجهك فى عينى أم الريق فى فى * أم النطق فى سمعى أم الحب فى قلبى
فلما سمعه اسحق بن يعقوب الكندى قال هذا تقسيم فلسفى وجعله العلوى خمسة فقال
وفى خمسة منى حلت منك خمسة * فريقك منها فى فى طيب الرشف
ووجهك فى عينى ولمسك فى يدى * ونطقك فى سمعى وعرفك فى أنفى

الحسن على بن عبد المحسن التنوخى فى المستجاد ان أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه لما بات على فراش النبى صلى الله عليه وسلم ليفديه بنفسه أوحى الله تعالى الى جبريل وميكائيل عليهما السلام انى آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من الآخر فايكما يؤثر صاحبه بالحياة فاختار كل منهما الحياة فاوحى الله اليهما أفلا كنتما مثل على بن أبى طالب آخيت بينه و بين نبيى محمد فبات على فراشه يفديه بنفسه و يؤثره الحياة اهبطا الى الارض واحفظاه من عدوه فكان جبريل عند رأسه وميكائيل عند رجليه وجبريل ينادى بخ بخ من مثلك يا ابن أبى طالب يباهى الله بك الملائكة فأنزل الله تعالى ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رؤف بالعباد (قال أبو الحسن المدائنى) خرج الحسن والحسين عليهما السلام وعبد الله ابن جعفر رضى الله عنه حجاجا ففاتتهم أثقالهم فجاعوا وعطشوا فمروا بعجوز فى خباء لها فقال أحدهم هل من شراب قالت نعم فأناخوا اليها وليس لها الا شويهة فقالت احلبوها واشربوا لبنها ففعلوا فقالوا هل من طعام قالت لا الا هذه الشاة فليذبحها أحدكم حتى أهيئ لكم ما تأكلون فقام اليها أحدهم فذبحها وكشطها ثم هيأت لهم طعاما فأكلوا وأقاموا حتى أبردوا فلما ارتحلوا قالوا نحن نفر من قريش نريد هذا الوجه فاذا رجعنا سالمين فالمى بنا فانا صانعون اليك خيرا فارتحلوا وأقبل زوجها فاخبرته بخبر القوم والشاة فغضب وقال ويحك تذبحين شاتى لقوم لا أعرفهم ثم تقولين نفر من قريش ثم بعد مدة ألجأتهم الحاجة الى دخول المدينة فدخلاها وجعلا ينقلان البعر و يعيشان بثمنه فمرت العجوز ببعض سكك المدينة

(ابن نباتة) أيها العاذل الغبي تأمل * من غدا في صفاته القلب ذائب
وتعجب لطرة وجبين * ان في الليل والنهار عجائب

محمود المخزومي) رأيتك في الشمس المنيرة غدوة * فكنت على عيني أبهى من الشمس
لانك تزهوان بدا الليل بهجة * وشمس الضحى ليست تضيء اذا تمسي

(وقال آخر) اذا احتجبت لم يكفك البدر وجهها * وتكفيك فقد البدران غرب البدر
وحسبك من خمر مذاق ريقها * ووالله مامن ريقها حسبك الخمر

(ومما قيل في البنان المخضب) قال ابن الرومي
وقفت وقفة بباب الطاق * ظبية من مخدرات العراق * بنت سبع وأربع وثلاث
أسرت قلب صبها المشتاق * قلت من أنت ياغزال فقالت * أنا من لطف صنعة الخلاق
لاترم وصلنا فهذا بنان * قد صبغناه من دم العشاق

(وقال الراضي بالله) قالوا الرحيل فانشبت أظفارها * في خدها وقد اعتلقت خطابها
فظننت ان بنانها من فضة * قطفت بنور بنفسج عنابها

(وقال آخر) لما اعتنقنا للوداع وأعربت * عبراتنا عنا بدمع ناطق
فرقن بين محاجر ومعاجر * وجمعن بين بنفسج وشقائق

(وقال آخر) ولما تلاقينا رأيت بنانها * مخضبة تحكي عصارة عندم
فقلت خضبت الكف بعدي أهكذا * يكون جزاء المستهام المتيم
فقالت وأذكت في الحشى لاعج الجوى * مقالة من بالود لم يتبرم
بكيت دما يوم النوى فمسحته * بكفي فاحمرت بناني من دمي

(وقال آخر) دنوت عشية التوديع مني * ولي عينان بالدم يجريان
فلم يسحن اكراما جفوني * ولكن رمن تخضيب البنان

(ومما قيل في النحور) قال دعبل
أتاح لك الهوى بيضا حسانا * تباهي بالعيون وبالنحور
نظرت الى النحور فكدت تقضي * فكيف اذا انظرت الى الخصور

(ومما قيل في نعت النهود) قال العباس بن الاحنف
والله لو أن القلوب كقلبها * مارق للولد الضعيف الوالد
أجال الوشاح على قضيب زانه * تفاح صدر ماحوته ناهد

(وقال آخر) ومحبوبة عند الوداع رأيتها * تنشف دمعا بالرداء الممسك
وتبكي حذار البين منها بدمعة * تسيل على الخدين في حسن مسلك
فتحسب مجرى الدمع من وجناتها * بقية طل فوق ورد مفتك
وقد سفرت عن غرة بابلية * وصدر به نهد بحق مفلك

(عمرو بن كلثوم) تراك اذا دخلت على خلاء * قدامنت عيون الكاشحينا
لنهد مثل حق العاج حسنا * حصينا من أكف اللامسينا

(وقال آخر) بصدرها كوكبا در كأنهما * ركنان لم يدنسا من لمس مستلم
صانتهما بستور من غلائلها * فالناس في الحل والركنان في الحرم

(وقال آخر) صدور فوقهن حقاق عاج * ودر زانه حسن اتساق
تقول الناظرون اذا رأوه * أهذا الحلي من هذي الحقاق * وماتلك الحقاق سوى ثدي
جعلن من الحقاق على وفاق * نواهد لا يعد لهن عيب * سوى منع المحب من العناق

(وقال آخر) لقد فتكت عيون الغيد فينا * ببيض مرهفات وهي سود
وتطعننا القدود اذا التقينا * بسمر من أسنتها النهود

فاذا الحسن بن علي على باب داره فعرف العجوز وهي منكرة فبعث اليها غلامه فدعا بها فقال لها ياأمة الله أتعرفينني قالت لا قال أنا ضيفك بالامس يوم كذا وكذا قالت بابي أنت وأمي ثم اشترى لها من شاة الصدقة ألف شاة وأمر لها بالف دينار وبعث بها مع غلامه الى الحسين رضي الله عنهما فامر لها بمثل ذلك وبعث بها مع غلامه الى عبد الله بن جعفر رضي الله عنه فقال لها بكم وصلك الحسن والحسين قالت بالفي شاة وألفي دينار فقال لها لو بدأت بي لاتعبتهما في العطاء أعطوها عطيتهما فرجعت العجوز الى زوجها باربعة آلاف دينار وأربعة آلاف شاة (ومما يضارع هذه اللطائف) أنه جرى بين الحسين بن علي بن أبي طالب وبين أخيه محمد بن الحنفية رضي الله عنهما كلام فانصرفا متغاضبين فلما وصل محمد الى منزله أخذ رقعة وكتب فيها بسم الله الرحمن الرحيم من محمد ابن علي بن أبي طالب الى أخيه الحسين ابن علي بن أبي طالب * أما بعد فان لك شرفا لا أبلغه وفضلا لا أدركه فاذا قرأت رقعتي هذه فالبس رداءك ونعليك وسر الي فترضني واياك أن أكون سابقك الى الفضل الذي أنت أولى به مني والسلام فلما قرأ الحسين رضي الله عنه الرقعة لبس رداءه ونعليه ثم جاء الى أخيه محمد فترضاه (قال أبو الفرج الاصفهاني) حدثني أحمد بن محمد الجعدي ومحمد بن يحيى قالا حدثنا محمد بن زكريا الغلابي قال حدثنا ابن عائشة قال حج هشام بن عبد الملك في خلافة أخيه الوليد ومعه رؤساء أهل الشام فطاف وجهد أن يستلم الحجر فلم يقدر من الازدحام فنصب له منبر وجلس عليه ينظر الى الناس فاقبل علي بن الحسين رضي الله عنهما وهو أحسن الناس وجها وأنظفهم ثوبا وأطيبهم رائحة فلما طاف بالبيت وبلغ الحجر

(ومما

(وممّا قيل في الارداف والخصور) قال ابن الرومي

وشربت كأس مدامة من كفها * مقرونة بمدامة من ثغرها
وتمايلت فضحكت من اردافها * عجبا ولكني بكيت لخصرها

(الطنبغا الجاربي) ردفه زاد في الثقالة حتى * أقعد الخصر والقوام السويا
نهض الخصر والقوام وقالا * فضيعفان يغلبان قويا

(وقال آخر) ياخصره كم جفاه * تبدي وأنت نحيل * يا ردفه ملت عني * ما أنت الا بخيل

(القيراطي) بدت روادف بدري * تحت الحنين لعيني * فقلت يا بدر هذا * حقا خيال الحيني

(وقال آخر) أسائلها أين الوشاح وقد سرت * معطلة منه معطرة النشر
فقالت وأومت للسوار بحلته * الى معصمي لما تقلق في خصري

(وقال آخر) بيض وسمر مقلتاه وقده * بدر وليل وجنتاه وشعره
أقسى من الحجر الاصم فؤاده * وأرق من شكوى المتيم خصره

(وقال آخر) رخيمات المقال مدللات * جواعل في الثرى قضبا جدالا
جمعن فخامة وخلوص جيد * وقدا بعد ذلك واعتدالا

(ومما قيل في المعاصم) قال عمر بن أبي ربيعة

حسروا الوجوه بأذرع ومعاصم * ورنوا بخبل للقلوب كوالم
حسروا الا كمة عن سواعد فضة * فكأنما انتصبت متون صوارم

(ومما قيل في اعتدال القوام) قال صلاح الدين الصفدي

تقول له الاغصان اذ هز عطفه * أتزعم ان الاين عندك ماثوي
فقم نحتكم للروض عند نسيمه * ليقضي على من مال منا الى الهوى

(وقيل) ليس لاحد من شعراء العرب في نعت محاسن النساء من الاوصاف البارعة مع جودة السبك ورقة اللفظ ما للذي الرمة حتى كأنه حضري من أهل المدن لا من أهل الوبر (وقال) القاضي مجد الدين بن مكانس

أقول لحبي قم ومل يا معذبي * كميلة خود غير السكر حالها
ولا تله عن شيء اذا ما حكيتها * فقام كغصن البان لينا ومالها

(وقال آخر)

ومحكم أعطافه * في قتل صب ماغوى فاعجب لعادل قده * في النفس يحكم بالهوى

(وقال آخر) ومهفهف عني يميل ولم يمل * يوما الى فصحت من ألم الجوى
لم لا تميل الى يا غصن النقا * فأجاب كيف وأنت من أهل الهوى

(ومما قيل في الساق) قال ذو الرمة

لم أنسه اذ قام يكشف عامدا * عن ساقه كاللؤلؤ البراق
لا تعجبوا ان قام فيه قيامتي * ان القيامة يوم كشف الساق

(وقال آخر) جاءت بساق أبيض أملس * كاللؤلؤ يبدو لعشاقها
فافتتنت فيها جميع الورى * وقامت الحرب على ساقها

(وقال ابن منقذ) بدر ولكنه قريب * ظبي ولكنه أنيس
ان لم يكن قده قضيبا * فما لاعطافه تميس

(ومما قيل في مشي النساء) قال بعضهم

يهززن للمشي أطرافا مخضبة * هز الشمال ضحى عيدان نسرين
أو كاهتزاز رديني تداوله * أيدي الرجال فزاد المتن في اللين

(وقال آخر) يمشين مشي قطا البطاح تأودا * قب البطون رواجح الا كفال
فكأنهن اذا أردن زيارة * يقلعن أرجلهن من أوحال

تخفى الناس كلهم اجلالا له فاستلم الحجر وحده فغاظ ذلك هشاما وبلغ منه فقال رجل من أهل الشام لهشام من هذا أصلح الله الامير قال لا أعرفه وكان به عارفا ولكن خاف من رغبة أهل الشام فقال الفرزدق وكان حاضرا أنا أعرفه يا شامي قال من هو قال

هذا ابن من تعرف البطحاء وطأته * والبيت يعرفه والحل والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلهم * هذا التقي النقي الطاهر العلم
اذا رأته قريش قال قائلهم * الى مكارم هذا ينتهي الكرم
هذا ابن فاطمة ان كنت جاهله * بجده أنبياء الله قد ختموا
يكاد يمسكه عرفان راحته * ركن الحطيم اذا ما جاء يستلم
أي الخلائق ليست في رقابهم * لاولية هذا أوله نعم
من يعرف الله يعرف أولية ذا * فالدين من بيت هذا ناله الامم
وليس قولك من هذا بضائره * فالعرب تعرف من أنكرت والعجم

فحبسه هشام ثم أطلقه فوجه اليه علي ابن الحسين عشرة آلاف درهم وقال اعذرنا يا أبا فراس فلو كان معنا في هذا الوقت أكثر من هذا لوصلناك به فردها الفرزدق وقال ما قلت ما كان الا لله فقال له علي بن الحسين قد رأى الله مكانك ولكنا أهل بيت اذا أنفذنا شيأ لم نرجع فيه وأقسم عليه فقبلها (ومن كتاب جواهر العقد لابن عبد ربه) قال يزيد حدثني أبي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قدم من المدينة الى الشام على حمار فتلقاه معاوية في موكب نبيل فاعرض عنه عمر فجعل يمشي الى جنبه راجلا فقال له عبد الرحمن بن عوف أتعبت الرجل فاقبل عليه وقال يا معاوية أنت صاحب الموكب مع ما بلغني من وقوف ذوي الحاجات ببابك قال نعم يا أمير المؤمنين قال ولم ذلك قال لانا

﴿ومما قيل في العناق وطيبه﴾ لابن المعتز

ما أقصر الليل على الراقد * وأهون السقم على العائد * كأنني عانقت ريحانة
تنفست في ليلها البارد * فلو ترانا في قميص الدجى * حسبتنا في جسد واحد

(وقال آخر) وموشح نازعت فضل وشاحه * وأعرته من ساعدي وشاحا
بات الغيور يشق جلدة وجهه * وأمال أعطافا على ملاحا

(وقال ابن المعذل) أقول وجنح الدجى مسبل * وليل في كل فج يد
ونحن ضجيعان في مسجد * فلله ما ضمنا المسجد * أيا غدان كنت لي محسنا
فلا تدن من ليلتي يا غد * ويا ليلة الوصل لا تقصري * كما ليلة الهجر لا تنفد

(وقال آخر) وليل رقيق الطرتين تظلمت * كواكبه من بدره المتألق
لهونا بغزلان الصريعة تحته * تميت الهوى ما بين صدر ومرفق

(وقال ابن المعتز) وكم عناق لنا وكم قبل * مختلسات حذار مرتقب
نقر العصافير وهي خائفة * من النواطير يانع الرطب

(وقال ديك الجن) ومعدولة مهما أمالت ازارها * فغصن وأما قدها فقضيب
لها القمر الساري شقيق وانها * لتطلع أحيانا له فيغيب
أقول لها والليل مرخ سدوله * وغصن الهوى غض النبات رطيب
لأنت المنى يا زين كل مليحة * وأنت الهوى أدعى له فأجيب

(وقال علي بن الجهم) سقى الله ليلا ضمنا بعد فرقة * وأدنى فؤادا من فؤاد معذب
فبتنا جميعا لو تراق زجاجة * من الخمر فيما بيننا لم تشرب

(وقال آخر) يا ليل دم لي لا أريد براحا * حسبي بوجه معذبي مصباحا
حسبي به نورا وحسبي ريقه * خمرا وحسبي خده تفاحا
حسبي بضحكه اذا استضحكته * مستغنيا عن كل نجم لاحا
طوقته طوق العناق بساعد * وجعلت كفي للشام وشاحا
هذا هو اليوم النعيم نخلنا * متعانقين فلا نريد براحا

(وقال آخر) ولم أنس ضمي للحبيب على رضا * ورشفي رضابا كالرحيق المسلسل
ولا قوله لي عند تقبيل خده * تنقل فلذات الهوى في التنقل

(ومما قيل في السمن) قال الربيع بن سليمان سمعت الشافعي رضي الله تعالى عنه يقول ما رأيت سمينا عاقلا الا محمد بن الحسن قال الشاعر

لا أعشق الابيض المنفوخ من سمن * لكنني أعشق السمر المهازيلا
اني امرؤ أركب المهر المضمر في * يوم الرهان وغيري يركب الفيلا

﴿ومما قيل في مدح الالوان والثياب﴾

(مدح البياض) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم البياض نصف الحسن وكان صلى الله عليه وسلم أبيض أزهر اللون مشربا بحمرة قال الشاعر بيض الوجوه كريمة احسابهم * شم الانوف من الطراز الاول

(ومما قيل في مدح السواد) قيل لبعضهم ما تقول في السواد قال النور في السواد أراد بذلك نور العينين في سوادهما وقال بعضهم

قالوا تعشقتها سوداء قلت لهم * لون الغوالي ولون المسك والعود
اني امرؤ ليس شأن البيض مرتفعا * عندي ولو خلت الدنيا من السود

(وقال الحيقطان)

لئن كنت جعد الرأس واللون فاحم * فاني بسيط الكف والعرض أزهر
وان سواد اللون ليس بضائري * اذا كنت يوم الروع بالسيف أخطر

في بلاد لا تمنع من الجواسيس ولابد لهم ما يروعهم من هيبة السلطان فان أمرتني بذلك أقمت عليه وان نهيتني عنه انتهيت قال ان كان الذي قلت حقا فانه رأي أريب وان كان باطلا فانها خدعة أديب فلا آمرك ولا أنهاك عنه (ومن لطائف معاوية) انه كان لعبد الله بن الزبير أرض قريبة لارض معاوية فيها عبيد له من الزنوج يعمرونها فدخلوا في أرض عبد الله فكتب الى معاوية أما بعد فانه يا معاوية ان لم تمنع عبيدك من الدخول في أرضي والا كان لي ولك شأن فلما وقف معاوية على الكتاب دفعه الى ابنه يزيد فلما قرأه قال له ما ترى قال أرى أن تنفذ اليه جيشا أوله عنده وآخره عندك يأتوك برأسه فقال يا بني عندي خير من ذلك علي بدواة وقرطاس وكتب وقفت على كتابك يا ابن حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم وساءني والله ما ساءك والدنيا هينة عندي في جنب رضاك وقد كتبت على نفسي رقا بالارض والعبيد وأشهدت علي فيه ولتضف الارض الى أرضك والعبيد الى عبيدك والسلام فلما وقف عبد الله على كتاب معاوية كتب اليه وقفت على كتاب أمير المؤمنين أطال الله بقاءه فلا عدم الرأي الذي أحله من قريش هذا المحل والسلام فلما وقف معاوية على كتاب عبد الله رماه الى ابنه يزيد فلما قرأه أسفر وجهه فقال يا بني اذا رميت بهذا الداء داوه بهذا الدواء (نادرة لطيفة) قال الاستاذ أبو علي لما سعى غلام خليل بالصوفية الى الخليفة بالزندقة أمر بضرب أعناقهم فأما الجنيد فانه استتر بالفقه وأما الشحام والرقام والثوري وجماعة فقبض عليهم وبسط النطع لضرب أعناقهم فتقدم الثوري فقال له السياف أتدري لماذا تتقدم قال نعم قال فما

(دخل) ابراهيم بن المهدى على المأمون فقال انك لنعم الخليفة الاسود فقال ابراهيم نعم فقال المأمون بيت نصيب فقال

ان كنت عبدا فنفسي حرة كرما * أو أسود اللون انى أبيض الخلق

ثم قال يا عم أخرجنا الهزل الى الجد فأنشد ابراهيم

ليس يزرى السواد بالرجل الشهم ولا بالفتى الاريب الاديب

ان يكن للسواد فيك نصيب * فبياض الاخلاق منك نصيبى

(وقال آخر) لام العواذل فى سوداء فاحمة * كأنها فى سواد القلب تمثال

وهام فى الخال أقوام وما علموا * انى أهيم بشخص كله خال

وقيل لمدنى كيف رغبتم فى السواد فقال لو وجدنا بيضاء لسودناها (وقال آخر)

يكون الخال فى خد قبيح * فيكسوه الملاحة والجمالا

فكيف يلام ذو عشق على من * يراها كلها فى الخد خالا

(وقال آخر) فاستحسنوا الخال فى خد فقلت لهم * انى عشقت مليحا كله خال

وكان أبو حاتم المدنى ينشد ومن بلى بحبها بنة كسرى * فانى محب بينات حام

وتفاخرت حبشية ورومية فقالت الرومية أنا حبة كافور وأنت عدل فحم فقالت الحبشية أنا حبة مسك وأنت عدل ملح (وقد قال الشاعر) أحب لحبها السودان حتى * أحب لحبها سود الكلاب

(وقال آخر) أشبهك المسك وأشبهته * قائمة فى لونه قاعده

لاشك اذ لونكما واحد * أنكما من طينة واحدة

(ومما قيل فى الصفرة) قال الشاعر

أصفراء كان الهجر منك مزاحا * ليالى كان الود منك مباحا

كأن نساء الحى مادمت فيهم * قباح فلما غبت صرن ملاحا

(وقال آخر) قالوا به صفرة شانت محاسنه * فقلت ماذاك من عيب به نزلا

عيناه مطلوبة فى ثار من قتلت * فلست تلقاه الاخائفا وجلا

(ومما قيل فى طول اللحية) قيل ان اللحية الطويلة عش البراغيث ونظر يزيد الشيبانى الى رجل ذى لحية عظيمة تلتف على صدره واذا هو خاضب فقال له يا هذا انك من لحيتك فى مؤنة فقال أجل ولذلك أقول

لها درهم للدهن فى كل جمعة * وآخر للحناء يبتدران

ولولا نوال من يزيد بن مزيد * لأصبح فى حافاتها الجنان

(وقال اسحق بن خلف فى قصير طويل اللحية)

ماشيت داود فاستضحكت من عجب * كأنه والدى يمشى بمولود

ماطول داود الاطول لحيته * يظن داود فيها غير موجود

(وقال ابن المقفع) تأملت أسواق العراق فلم أجد * دكاكينهم الا عليها المواليا

جلوسا عليها ينفضون لحاهم * كما نفضت عجب البغال المخاليا

(ومما جاء فى عظم الخلقة والطول والقصر)

قيل خرب القهندر فبرزت منه جماجم أموات فتصدعت جمجمة فانتثرت أسنانها فوزن السن منها فكان وزنها أربعة أرطال فاتى بها الى ابن المبارك فجعل يقلبها ويتعجب من عظمها ثم قال

اذا ماتذكرت أجسامهم * تصاغرت النفس حتى تهون

(وأراد) ملك الروم ان يباهى أهل الاسلام فبعث الى معاوية رجلين أحدهما طويل والثانى قصير شديد القوة فدعا للطويل بقيس بن سعد بن عبادة فنزع قيس سراويله ورمى بها اليه فلبسها الطويل فبلغت ثدييه فلاموا قيسا على نزع السراويل فقال

أردت لكيما يعلم الناس انها * سراويل قيس والوفود شهود

وكى لا يقولوا غاب قيس وهذه * سراويل عاد أحرزتها ثمود

وانى من القوم اليمانين سيد * وما الناس الا سيد ومسود

يحياك قال أوثر أصحابى بحياة ساعة فتحير السياف ونمى الخبر الى الخليفة فردهم الى القاضى ليعرف أحوالهم فألقى القاضى على أبى الحسن الثورى مسائل فقهية فأجاب عن الكل ثم أخذ يقول ان لله عبادا اذا قاموا قاموا بالله واذا نطقوا نطقوا بالله وسرد حتى بكى القاضى فأرسل الى الخليفة يقول ان كان هؤلاء زنادقة فما على وجه الارض مسلم فاكرمهم وأطلقهم (ومن المروى عن أحمد بن أبى داود القاضى) انه قال مارأيت رجلا عرض على الموت فلم يكترث به الاتميم بن جميل الخارجى كان قد خرج على المعتصم ورأيته قد جىء به أسيرا فادخل عليه فى يوم موكب وقد جلس المعتصم للناس مجلسا عاما ودعا بالسيف والنطع فلما مثل بين يديه نظر اليه المعتصم فأعجبه شكله وقده ورآه يمشى الى الموت غير مكترث به فأطال الفكرة فيه ثم استنطقه لينظر فى عقله وبلاغته فقال يا تميم ان كان لك عذر فأت به فقال أما اذا أذن أمير المؤمنين جبر الله به صدع الدين ولم شعث المسلمين وأخمد شهاب الباطل وأنار سبل الحق فالذنوب يا أمير المؤمنين تخرس الالسن وتصدع الافئدة وايم الله لقد عظمت الجريرة وانقطعت الحجة وساء الظن ولم يبق الا العفو وهو الاليق بشيمك الطاهرة ثم أنشد

أرى الموت بين السيف والنطع كامنا * يلاحظنى من حيث لا أتلفت

وأكبر ظنى انك اليوم قاتلى * وأى امرئ مما قضى الله يفلت

ومن ذا الذى يأتى بعذر وحجة * وسيف المنايا بين عينيه مصلت

وما جزعى من أن أموت وانى * لاعلم أن الموت شىء موقت

ولكن خلفى صبية قد تركتهم * وأكبادهم من حسرة تتفتت

كأنى أراهم حين أنعى اليهم

ثم دعامعاوية للرجل الشديد فى قوته بمحمد بن الحنفية نخيره بين أن يقعد فيقيمه أو يقوم فيقعده فغلبه فى الحالتين وانصرفامغلوبين (وقيل) كان سلمة بن مرة الناموسى أسرامرأ القيس بن النعمان اللخمى الملك وكان الناموسى قصيرا مقتحما واللخمى طويلا جسيما فقالت بنت امرئ القيس ياهذا القصير أطلق أبى فسمعها سلمة ابن مرة فقال

لقدزعمت بنت امرئ القيس اننى * قصيروقدأعيا أباهاقصيرها
ورب طويل قدنزعت سلاحه * وعانقته والخيل تدمى نحورها

(وقالوا) عظم اللحية يدل على البله وعرضها على قلة العقل وصغرها على لطف الحركة واذاوقع الحاجب على العين دل على الحسد والعين المتوسطة فى حجمها تدل على الفطنة وحسن الخلق والمروأة والتى يطول تحديقها تدل على الحمق والتى تكسر طرفها تدل على خفة وطيش والشعر على الاذن يدل على جودة السمع والاذن الكبيرة المنتصبة تدل على حمق وهذيان (ومماقيل فى القبح والدمامة) أرادرجل أن يكتب كتابا لبعض أصحابه فلم يجدمن يرسله معه الارجلا وخش الصورة بشع المنظر فلم يقدر على تحليته لفرط دمامته فكتب الى صاحبه يأتيك بهذا الكتاب آية من آيات الله تعالى وقدره فدعه يذهب الى نارالله وسقره (ومر) أبو الاسود الدؤلى بمجاس لبنى بشير فقال بعض فتيانهم كان وجهه وجه عجوزراحت الى أهلها بطلاقها وقال الجاحظ ماأخجلنى قط الاامرأة مرت بى الى صائغ فقالت له اعمل مثل هذا فبقيت مبهوتا ثم سألت الصائغ فقال هذه امرأة أرادت أن أعمل لهاصورة شيطان فقلت لا أدرى كيف أصوره فأتت بك الى لاصوره على صورتك وفى الجاحظ يقول الشاعر

لويمسخ الخنزير مسخا ثانيا * ماكان الادون قبح الجاحظ
رجل ينوب عن الجحيم بوجهه * وهوالقذى فى عين كل ملاحظ
ولوان مرآة جلست تمثاله * ورآه كان له كأعظم واعظ

وقال الاصمعى رأيت بدوية من أحسن الناس وجهاولهازوج قبيح فقلت ياهذه أترضين أن تكونى تحت هذا فقالت ياهذا لعله أحسن فيمابينه وبين ربه فجعلنى ثوابه وأسأت فيمابينى وبين ربى فجعله عذابى أفلا أرضى بمارضى الله به وحج مخنث فرأى رجلا قبيح الوجه يستغفر فقال ياحبيبى ماأرالله تبخل بهذا الوجه على جهنم * وقال بعضهم لرجل طلع لى دمل فى أقبح المواضع فقال له كذبت هذا وجهك ليس فيه شئ وخرج رجل قبيح الوجه الى المتجر فدخل اليمن فلم يرفيها أحسن منه وجها فقال

لم أروجها حسنا * منذدخلت اليمنا * فياشقاء بلدة * أحسن مافيها أنا

وخطب رجل عظيم الانف امرأة فقال لهاقدعرفت أنى رجل كريم المعاشرة محتمل المكاره فقالت لاشك فى احتمالك المكاره مع حملك هذا الانف أربعين سنة (وقال) الشاعر فى رجل كبير الانف

لك وجه وفيه قطعة أنف * كجدارقدأدعموه بنغله
وهوكالقبرفى المثال ولكن * جعلوانصبه على غيرقبله

(وقال آخر)

لك أنف ذو أنوف * أنفت منه الانوف
أنت فى القدس تصلى * وهوفى البيت يطوف

(ومماجاء فى الثقلاء) قال مطيع بن اياس

قل لعباس أخينا * ياثقيل الثقلاء * أنت فى الصيف سموم
وجليدفى الشتاء * أنت فى الارض ثقيل * وثقيل فى السماء

(ومماجاء فى الملابس وألوانها والعمائم ونحوها)

قال الله تعالى وأما بنعمة ربك فحدث وقال تعالى يابنى آدم خذوازينتكم عندكل مسجد وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يحب أن يرى أثرنعمته على عبده وقال صلى الله عليه وسلم تعمموا تزدادوا جمالا وقال صلى الله عليه وسلم العمائم تيجان العرب وكان الزبير بن العوام يقاتل يوم بدروعليه عمامة صفراء فنزلت الملائكة وعليهم عمائم صفرقدأرخوها وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن بن عوف الى دومة الجندل فتخلف عن الجيش وأتى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه عمامة سوداء من خز فنقضها رسول الله صلى الله عليه وسلم وعممه بيده وأسدلها بين كتفيه قدرشبر وقال هكذا اعتم ياابن عوف وبعث ملك الروم الى

وقدألطموا ثلاث الخدود وصوتوا
وان عشت عاشواسالمين بغبطة
اذودالردى عنهم وان مت موتوا
وكم قائل لايبعدالله داره
وآخرجذلان يسرويشمت

قال فبكى المعتصم وقال ان من البيان لسحرا ثم قال كادوالله ياتميم أن يسبق السيف العذل وقد وهبتك لله ولصبيتك وأعطاه خمسين ألف درهم (ومن لطائف المنقول من المستجاد) انه كان بين غسان بن عباد وبين على بن عيسى القمر عداوة عظيمة وكان على بن عيسى ضامنا أعمال الخراج والضياع ببلده فبقيت عليه بقية مبلغها أربعون ألف دينار فألح المأمون عليه بطلبها الى أن قال لعلى بن صالح الحاجب أمهله ثلاثة أيام فان أحضر المال والافاضربه بالسياط حتى يؤدى المال أويتلف فانصرف على بن عيسى من دار المأمون آيسامن نفسه وهولايدرى وجهايتجه اليه فقال له كاتبه لوعرجت على غسان بن عباد وعرفته خبرك لرجوت أن يعينك على أمرك فقال له على مابينى وبينه من العداوة فقال نعم فان الرجل أريحى كريم فدخل على غسان فقام اليه وتلقاه بالجميل وأوفاه حقه بالخدمة ثم قال له الحال الذى بينى وبينك على حاله ولكن دخولك الى دارى له حرمة توجب بلوغ مارجوته منى فاذكران كان لك حاجة فقص عليه القصة فقال أرجو أن يكفيكه الله تعالى ولم يزده على ذلك شيأ فنهض على بن عيسى وخرج آيسانادما على قصد غسان وقال لكاتبه ماأفدتنى بالدخول على غسان غيرتعجيل الشماتة والهوان فلم يصل على بن عيسى الى داره حتى حضر اليه كاتب غسان معه البغال عليها المال فتقدم وسلمه وبكر الى دار أمير المؤمنين فوجد غسان قدسبقه اليها ودخل على

النبي صلى الله عليه وسلم جبة ديباج فلبسها ثم كساها عثمان وكان سعيد بن المسيب يلبس الحلة بألف درهم ويدخل المسجد فقيل له في ذلك فقال اني أجالس ربي وقيل المروأة الظاهرة الثياب الطاهرة وقيل البس البياض والسواد فان الدهر هكذا بياض نهار وسواد ليل

(ومما قيل في لبس السواد قول أبي قيس)

رأيتك في السواد فقلت بدر * بدا في ظلمة الليل البهيم
وألقيت السواد فقلت شمس * محت بشعاعها ضوء النجوم

وقدم تاجر الى المدينة بحمل من خمر العراق فباع الجميع الا السود فشكا الى الدارمي ذلك وكان الدارمي قد نسك وتعبد فعمل بيتين وأمر من يغني بهما في المدينة وهما هذان البيتان

قل للمليحة في الخمار الاسود * ماذا فعلت بزاهد متعبد
قد كان شمر للصلاة ازاره * حتى قعدت له بباب المسجد

قال فشاع الخبر في المدينة ان الدارمي رجع عن زهده وتعشق صاحبة الخمار الاسود فلم يبق في المدينة مليحة الا اشترت لها خمارا أسود فلما أنفد التاجر ما كان معه رجع الدارمي الى تعبده وعمد الى ثياب نسكه فلبسها وقال آخر في لابسة الاحمر

وشمس من قضيب في كثيب * تبدت في لباس جلناري
سقتني ريقها صرفا وحيت * بوجنتها فهاجت جل ناري

(وقال آخر في لابسة ثوب خمري)

في ثوبها الخمري قد أقبلت * بوجنة حمراء كالجمر
قلت سكرا حين أبصرتها * لا تنكروا سكري من الخمر

(وقال الصنوبري في لابسة أخضر)

وجارية أدبتها الشطاره * ترى الشمس من حسنها مستعاره * بدت في قميص لها أخضر
كما ستر الورق الجلناره * فقلت لها ما اسم هذا اللباس * فابدت جوابا لطيف العباره
شققنا مرائر قوم به * فنحن نسميه شق المراره

وقال حكيم لابنه اياك أن تلبس ما يديم الأنظار اليك به واعلم ان الوشي لا يلبسه الا الاحمق أو ملك وعليك بالبياض وقيل لباس البخلاء الاستبرق لطول بقائه ولباس المترفهين السندس لقلة بقائه ولباس المقتصدين الديباج لتوسط بقائه * وقال بعض الامراء لحاجبه ادخل علي بعاقل فأتاه برجل فقال بم عرفت عقله فقال رأيته يلبس الكتان في الصيف والقطن في الشتاء والملبوس في الحر والجديد في البرد وقيل كان لابراويز عمامة طولها خمسون ذراعا اذا اتسخت ألقاها في النار فيحترق الوسخ ولا تحترق وكان له رداء حسن يتلون كل ساعة وسراويل بجوهر وتكة من أنابيب الزمرد وقيل الاقبية لباس الفرس والقراطق لباس الهند والازار لباس العرب وسئل بعض العرب عن الثياب فقال الصفر أشكل والحمر أجمل والخضر أقبل والسود أهول والبيض أفضل وقال أفلاطون الصبغ الشقائقي والروائح الزعفرانية تسكن الغضب والصبغ الياقوتي والروائح الوردية تحرك السرور واذا قرب اللون الأحمر الى اللون الاصفر تحركت القوة العشقية واذا امتزجت الحمرة بالصفرة تحركت القوة الغريزية واذا امتزجت التفاحية بالحمرة تحركت الطبائع كلها وكان مصعب بن الزبير يقول لكل شيء رائحة ورائحة البيت كنسه ورائحة الثوب طيه وقال بعض الاعراب رأيت بالبصرة برودا كأنها نسجت بأنواع الربيع ودخل بعض العذريين على معاوية وعليه عباءة فازدراه فقال يا أمير المؤمنين ان العباءة لا تكلمك وانما يكلمك من فيها

(ومما قيل فيمن رذل لبسه وعرف نفسه) قال الاصمعي رأيت اعرابيا فاستنشدته فانشدني أبياتا وروى أخبارا فتعجبت من جماله وسوء حاله فسكت سكتة ثم قال

أأخي ان الحادثا * ت عركنني عرك الاديم * لا تنكرن ان قد رأيـ
ـت أخاك في طمري عديم * ان كان أثوابي رثا * ثا انهن على كريم

(وقال بعضهم وقيل للشافعي رحمه الله تعالى)

المأمون وقال يا أمير المؤمنين ان لعلي بن عيسى بحضرتك حرمة وخدمة وسالف أصل وقد لحقه من الخسران في ضمانه ما تعارفه الناس وقد توعدته بضرب السياط بما أطار عقله وأذهب لبه فان رأى أمير المؤمنين أن يجبرني على حسن كرمه ببعض ما عليه فهي صنيعة يجددها علي تحرس ما تقدمها من احسانه ولم يزل يتلطف الى أن حط عنه النصف واقتصر على عشرين ألف دينار فقال غسان على أن يجدد عليه أمير المؤمنين الضمان ويشرفه بخلعة تقوي نفسه وترهف عزمه ويعرف بها مكان الرضا عنه فاجابه المأمون الى ذلك قال فيأذن أمير المؤمنين أن أحمل الدواة الى حضرته ليوقع ما رآه من هذا الانعام قال افعل فحمل الدواة الى أمير المؤمنين فوقع ذلك وخرج علي بن عيسى بالخلعة والتوقيع بيده فلما حضر في داره حمل من المال عشرين ألف دينار وأرسلها الى غسان وشكره على جميل فعله معه فقال غسان لكاتبه والله ما شفعت عند أمير المؤمنين الا لتوفر عليه وينتفع بها فامض بها اليه فلما ردها كاتبه الى علي بن عيسى علم قدر ما فعل معه غسان فلم يزل يخدمه الى آخر العمر (ومن غريب ما يقتطف من ثمرات الاوراق) أن عمر بن عبد العزيز رحمه الله خلف احد عشر ابنا فاصاب كل ابن نصف وربع دينار وقال لهم عند وفاته يا بني ليس لي مال فاوصي فيه وخلف هشام بن عبد الملك احد عشر ابنا فأصاب كل واحد من البنين ألف ألف دينار فأما أولاد عمر بن عبد العزيز فما رؤي احد منهم الا وهو غني ومنهم واحد جهز من ماله مائة ألف فارس على مائة ألف فرس في سبيل الله تعالى وما رؤي

عـــلي ثياب لو تقاس جميعها * بفلس لكان الفلس منهن أكثرا
وفيهن نفس لو يقاس ببعضها * نفوس الورى كانت أجل وأكبرا
وما ضر نصل السيف أخلاق غمده * اذا كان عضبا حيث وجهته برى

ودخل بعضهم على الرشيد فازدراه فانشده

ترى الرجل الخفيف فتزدريه * وفى أثوابه أســـد هصور * و يعجبك الطرير فتبتليه
فيخلف ظنك الرجل الطرير * لقد عظم البعير بغير لب * فلم يستغن بالعظم البعير
يصرفه الصبي بغير وجه * ويحبسه على الخسف الجرير * وتضربه الوليدة بالهراوى
فلا عار عليــه ولا نكير * فان أك فى شراركموا قليلا * فانى فى خياركموا كثير

و يقال كل ماتشتهيه نفسك والبس ماتشتهيه الناس وقد نظمه من قال

ان العيون رمتك اذ فاجأتها * وعليك من مهن الثياب لباس
أما الطعام فكل لنفسك ما اشتهت * واجعل لباسك ما اشتهته الناس

وفى هذا القدر كفاية والله أعلم بالصواب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب السابع والاربعون فى التختم والحلى والمصوغ والطيب والتطيب وما أشبه ذلك﴾

(ماجاء فى التختم) عن عائشة رضى الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتختم فى يمينه وقبض عليه الصلاة والسلام والخاتم فى يمينه قال بعض من مدحه عليه الصلاة والسلام

كف الرسالة ليس يخفى حسنها * وتمام حسن الكف لبس الخاتم

وذكر السلامى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتختم فى يمينه والخلفاء بعده فنقله معاوية رضى الله تعالى عنه الى اليسار وأخذ الامويه بذلك ثم نقله السفاح الى اليمين فبقى الى أيام الرشيد رضى الله تعالى عنه فنقله الى اليسار وأخذ الناس بذلك وعن على رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم تختموا بخواتيم العقيق فانه لا يصيب أحدكم غم مادام عليه ذلك و بلغ عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه ان ابنه اشترى فص خاتم بالف دينار فكتب اليه عزمت عليك الا ما بعت خاتمك بالف دينار وجعلتها فى بطن جائع واستعمل خاتما من ورق وانقش عليه رحم الله امرأ عرف نفسه وكان خاتم على رضى الله عنه من ورق ونقشه نعم القادر الله وكان لابى نواس خاتمان أحدهما عقيق مربع وعليه مكتوب

تعاظمنى ذنبى فلما قرنته * بعفوك ربى كان عفوك أعظما

والآخر حديد صينى عليه أشهد أن لا اله الا الله مخلصا وأوصى عند موته أن يغسل الفص و يجعل فى فيه قال جعفر ابن محمد رضى الله تعالى عنه ما افتقرت يد تختمت بخاتم فيروزج وقيل الخواتم أربعة الياقوت للعطش والفيروزج للمال والعقيق للسنة والحديد الصينى للحرز وقيل للخوف والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿ذكر ماجاء فى الحلى﴾ قيل ان قرطى مارية بنت ظالم بن وهب بن الحرث بن معاوية كان فيهما درتان كبيض الحمام لم ير مثلهما ولم يدر قيمتهما (وقال محمد) بعثنى يوسف بن عمر الى هشام بياقوتة حمراء يخرج طرفاها من كفى كانت للرائقة جارية خالد بن عبد الله القسرى اشتراها بثلاثة وسبعين ألف دينار وحبة لؤلؤ أعظم ما يكون من الحب فدخلت عليه بهما فقال أكتب معك بوزنهما فقلت يا أمير المؤمنين هما أعظم من أن يكتب بوزنهما فقال صدقت و بعث معاوية الى عائشة رضى الله تعالى عنها طوقا من ذهب فيه جوهر قومت بمائة ألف دينار فقسمته بين أزواج النبى صلى الله عليه وسلم وكان ملك العرب كلما مرت عليه سنة من سنين ملكه زيدت فى تاجه خرزة وكان يقال لها خرزات الملك

﴿ذكر ماجاء فى الطيب والتطيب﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أطيب الطيب المسك وعن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت كانى أنظر الى وبيص الطيب فى مفارق رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو محرم وعن سهل ابن سعد يرفعه ان فى الجنة لمرعى من مسك مثل مراعى دوابكم هذه وعن أنس رضى الله تعالى عنه قال دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنام عندنا فعرق فجاءت أمى بقارورة فجعلت تسلت العرق فيها فاستيقظ وقال يا أم سليم ماهذا الذى تصنعين فقالت هذا عرق نجعله فى طيبنا وهو من أطيب الطيب وعن عمر رضى

أحد من أولاد هشام ابن عبد الملك الا وهو فقير ولقد شوهد أحدهم وهو يوقد فى الاتون (قيل) لمعاوية ابن أبى سفيان ان بالحيرة رجلا من بنى جرهم قد عمر ورأى أعاجيب فقال معاوية على به فلما حضر قال من الرجل قال عبيد بن شرية قال ثم ممن قال من قوم لم يبق منهم بقية قال فكم مضى من عمرك قال عشرون ومائتا سنة قال أخبرنى باعجب مارأيت فى عمرك قال نعم يا أمير المؤمنين كنت فى حى من أحياء العرب فمات عندهم ميت يقال له عشير بن لبيد العذرى فمشيت فى جنازته وتأسيت بجماعته فلما دفن فى قبره وأعول النساء فى أثره أدركتنى عليه عبرة ولم أستطع ردها وتمثلت بابيات كنت سمعتها قديما وعلق الآن على خاطرى منها هذه الابيات

ياقلب انك من أسماء مغرور
فاذكر وهل ينفعنك اليوم تذكير
قد بحت بالحب ماتخفيه من أحد
حتى جرت لك اطلاقا محاضير
فلست تدرى ولا تدرى أعاجلها
أدنى لرشدك أم مافيه تأخير
فاستقدر الله خيرا وأرضين به
فبينما العسر اذ دارت مياسير
و بينما المرء فى الأحياء مغتبط
اذا هو الرمس تعفوه الاعاصير
يبكى الغريب عليه ليس يعرفه
وذو قرابته فى الحى مسرور
وذاك آخر عهد من أخيك اذا
ما المرء ضمنه اللحد الخناسير

فبينما أنا أردد هذه الابيات وعيناى ينسكبان اذ قال لى رجل الى جنبى من عذرة ياعبد الله هل تعرف قائل هذا الشعر قلت لا والله قال قائله هذا الميت الذى دفناه وأنت الغريب الذى تبكى عليه ولا تعرفه ولا تعلم انه قائل هذه الابيات وذو قرابته الذى ذكرته مسرور وهو ذاك وأشار الى رجل فى الجماعة

الله تعالى عنه قال لو كنت تاجرا ما اخترت على العطر ان فاتني ربحه لم يفتني ريحه وناول المتوكل فتى فارة المسك فقال

لئن كان هذا طيبنا وهو طيب * لقد طيبته من يديك الانامل

وأهدى عبد الله بن جعفر لمعاوية قارورة من الغالية فسأله كم أنفق عليها فذكر مالا جزيلا فقال هذه غالية فسميت بذلك وشمها مالك بن سليمان بن خارجة من أخته هند بنت أسماء فقال علميني كيف تصنعين طيبك فقالت لا أفعل تريد ان تعلمه جواريك هولك مني كلما أردته ثم قالت والله اني ما تعلمته الا من شعرك حيث تقول

أطيب الطيب عرف أم أبان * فارمسك بعنبر مسحوق

قال أبو قلابة كان ابن مسعود رضي الله تعالى عنه اذا خرج من بيته الى المسجد عرف جيران الطريق انه مر من طيب ريحه وعن الحسن بن زيد الهاشمي عن أبيه قال رأيت ابن عباس رضي الله تعالى عنهما يطلي جسده فاذا مر في الطريق قال الناس أمر ابن عباس أم مر المسك وعنه وعن أبيه قال رأيت ابن عباس رضي الله تعالى عنهما حين أحرم والغالية على صدغيه كأنها الرقة وقال أبو الضحى رأيت على رأس الزبير من المسك مالو كان لي لكان رأس مالي وقيل لما بنى عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه بفاطمة بنت عبد الملك أسرج في مسارجه تلك الليلة بالغالية وقال الشعبي الرائحة الطيبة تزيد في العقل وقال علي كرم الله تعالى وجهه تشمموا النرجس ولو في العام مرة فان في قلب الانسان حالة لا يزيلها الا النرجس وكان الشعبي يقول اذا ورد الورد صدر البرد وكانت الصحابة رضي الله تعالى عنهم يستحبون اذا قاموا من الليل أن يمسوا الحاهم بالطيب وكان من اختلف في طرقات المدينة وجد عرقا طيبا قيل ولذلك سميت طيبة وأقول والله ما طابت طيبة الا بالطيب الطاهر صلى الله عليه وسلم وما أحسن ما قيل

اذا لم أطب في طيبة عند طيب * به طيبة طابت فاين أطيب

وقيل ان فارة المسك دويبة شبيهة بالخشف تصاد لسرتها فاذا اصادها الصياد عصب السرة بعصابة شديدة فيجتمع فيها دمها ثم يذبحها ثم يأخذ السرة فيدفنها في الشعير حتى يستحيل الدم المجتمع فيها مسكا ذكيا بعد ان كان لا يرام نتنا وقد يوجد جرذان سود يقال لها فارات المسك ليس عندها الا رائحة لازمة لها (وحكي) ان العنبر يأتي على طفاوة الماء لا يدري أحد معدنه فلا يأكله شيء الا مات ولا ينقره طائر الا بقي منقاره فيه ولا يقع عليه حيوان الا نصلت أظفاره فيه والتجار العطارون ربما وجدوا أظفارا فيه وقال الزمخشري عفا الله عنه سمعت ناسا من أهل مكة يقولون هو من زبد بحر سرنديب وأجود العنبر الاشهب ثم الازرق وأدونه الاسود وفي حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ليس في العنبر زكاة انما هو شيء نثره البحر وأما العود فاجوده المندلي وهو منسوب الى مندل قرية من قرى الهند وأجوده أصلبه وامتحان رطبه أن تطبع فيه نقش الخاتم فان انطبع فرطب والافلا ومن خصائصه أن رائحته تطبع في الثوب أسبوعا فلا يقمل مادامت فيه وأما الكافور فهو ماء شجر بجزيرة الكافور يحزونه بالحديد فاذا خرج ظاهرا وضرب به الهواء انعقد كالصموغ الجامدة على الاشجار وأما الند فمصنوع وهو العود المستقطر بالعنبر واللبان قال

لو كنت أحمل خمرا حين زرتكم * لم ينكر الكلب اني صاحب الدار

لكن أتيت وريح المسك يقدمني * والعنبر الند مشبوب على النار

وكانت ملوك الفرس تأمر برفع الطيب أيام الورد وكان المتوكل يلبس أيام الورد الثياب المورّدة ويفرش الورد في مجلسه ويطيب جميع آلاته بالورد * وقال الحسن بن سهل أمهات الرياحين تقوى بامهات الطيب فالنرجس يقوى بالورد والورد يقوى بالمسك والبنفسج يقوى بالعنبر والريحان يقوى بالكافور والنسرين يقوى بالعود وقال جالينوس المسك يقوى القلب والعنبر يقوى الدماغ والكافور يقوى الرئة والعود يقوى المعدة والغالية تحل الزكام والصندل يحل الاورام وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تردوا الطيب فانه طيب الريح خفيف المحمل * تبخر بعض الامراء وعنده أعرابي ففرت من الامير ريح خفيفة فأراد أن يعلم هل فطن بها الاعرابي ام لا فقال ما أطيب هذا المثلث قال نعم ولكنك ربعتها وقال الاحنف ان شم رائحة المسك يحيي القلب وقال سلمة لابن عباس وعنده جعفر بن سليمان ما شممت أنفى من ريح مسك شممته من الناس الاريح كفك أطيب فأمر له بألف دينار ومائة مثقال مسك ومائة مثقال عنبر والله أعلم

فرأيته لا يستطيع كتمان ما هو عليه من المسرة فقال معاوية يا أخا جرهم سل ما شئت قال ما مضى من عمري ترده والاجل اذا حضر تدفعه قال ليس ذلك لي سل غيره قال يا أمير المؤمنين ليس اليك رد شبابي ولا الآخرة فتكرم مآبي والمآل فقد أخذت منه في عنفواني ما كفاني قال لابد أن تسألني قال أما اذ شئت فأمر لي برغيفين أتغدى بأحدهما وأتعشى بالآخر واتق الله واعلم انك مفارق ما أنت فيه وقادم على ما قدمت فأمر له معاوية باشياء من حنطة وغيرها فردها وقال ان أعطيت المسلمين كلهم مثلها أعطيتني والا فلا حاجة لي في ذلك ثم ودعه وانصرف (قيل) وفد عبد الله بن جعفر رضي الله عنه على أحد خلفاء بني أمية فقال له الخليفة كم كان امير المؤمنين يعطيك يعني أباه قال كان رحمه الله يعطيني ألف ألف درهم قال زدناك لترحمك عليه ألف ألف درهم قال بأبي أنت وأمي قال ويهذه ألف ألف قال لا أقولها لاحد بعدك قال ولهذه ألف ألف قال منعني من الاطناب في وصفك الاشفاق عليك من جودك قال ولهذه ألف ألف فقيل له فرقت يا امير المؤمنين بيت مال المسلمين على رجل واحد قال انما فرقته على اهل المدينة اجمعين ثم وكل به من يعلمه بخبره من حيث لا يشعر فلما قدم المدينة فرق جميع ما معه حتى احتاج بعد شهر الى القرض (ومن لطائف المنقول) ان رجلا قال لهشام القرطبي كم تعد قال من واحد الى ألف ألف واكثر قال لم ارد هذا كم تعد من السن قال اثنتين وثلاثين ستة عشر من اعلى وستة عشر من اسفل قال لم ارد هذا كم لك من السنين قال والله ليس لي منها شيء والسنون كلها لله قال يا هذا ما سنك قال عظم قال ابن لي ابن كم أنت قال ابن اثنين رجل

بالصواب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب الثامن والأربعون في الشباب والصحة والعافية وأخبار المعمرين وما أشبه ذلك وفيه فصول﴾

﴿الفصل الأول في الشباب وفضله﴾ روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال ما بعث الله نبيا الا شابا ولا أوتي العلم عالم الا شابا ثم تلا هذه الآية قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم وقد أخبر الله تعالى به ثم آتى يحيى بن زكريا الحكمة قال تعالى وآتيناه الحكم صبيا وقال تعالى اذ أوى الفتية الى الكهف وقال تعالى انهم فتية آمنوا بربهم وقال تعالى واذ قال موسى لفتاه وقال أنس رضي الله تعالى عنه قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء وقد قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد على جميع الأنصار وكبار المهاجرين على حداثة سنه وعتاب بن أسيد ولاه مكة وبها أكابر قريش وعبد الله بن عباس على جلالة قدره وحفظه من العلم وقال بعض البلغاء الشباب باكورة الحياة وأطيب العيش أوائله كما أن أطيب الثمار بواكرها والشباب أبلغ الشفعاء عند النساء وأكثر الوسائل لقلوبهن ولذلك قال الشاعر

أحلى الرجال مع النساء مواقعا * من كان أشبههم بهن خدودا

وما بكت العرب على شيء ما بكت على الشباب ولو لم يكن هذا الشباب حميدا وزمانه حبيبا والوسامة صورته والبهجة منظره وجمال خلقته واعتدال قامته لما جاور الله في جنات خلده شاب كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جردا مردا أبناء ثلاثين وقد جاء في ذلك أشياء كثيرة ليس هذا موضع بسطها

(الفصل الثاني في الشيب وفضله) أول من شاب سيدنا ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام وفي الخبر ان الله تعالى يقول الشيب نوري وأنا أستحي أن أحرقه بناري وعن جعفر بن محمد عن أبيه قال جاء رجلان الى النبي صلى الله عليه وسلم شيخ وشاب فتكلم الشاب قبل أن يتكلم الشيخ فقال عليه الصلاة والسلام كبر كبر وبهذه الرواية من وقر كبير السن آمنه الله من فزع يوم القيامة وعن أنس رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يقول الله تعالى وعزتي وجلالي وفاقة خلقي الي اني لأستحي من عبدي وأمتي يشيبان في الاسلام أن أعذبهما ثم بكى فقيل له ما يبكيك يا رسول الله قال أبكي ممن يستحي الله منه وهو لا يستحي من الله وقال من بلغ ثمانين من هذه الأمة حرمه الله على النار وقال اذا بلغ المؤمن ثمانين سنة فانه أسير الله في الارض تكتب له الحسنات وتمحى عنه السيئات وقيل كان الرجل فيمن كان قبلكم لا يحتلم حتى يبلغ ثمانين سنة وقال ابن وهب ان أصغر من مات من ولد آدم ابن مائتي سنة فبكته الانس والجن لحداثة سنه وقال النخعي كان يقال اذا بلغ الرجل أربعين سنة على خلق لم يتغير عنه حتى يموت وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما رفعه من أتى عليه أربعون سنة ثم لم يغلب خيره على شره فليتجهز الى النار وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال قال ملك الموت لنوح عليه الصلاة والسلام يا أطول النبيين عمرا كيف وجدت الدنيا ولذاتها قال كرجل دخل في بيت له بابان فقام وسط البيت ساعة ثم خرج من الباب الثاني ويقال أطع أكبر منك ولو بليلة وقال عبد العزيز بن مروان من لم يتعظ بثلاث لم ينته بشيء الاسلام والقرآن والشيب قال الشاعر

يا عامر الدنيا على شيبه * فيك أعاجيب لمن يعجب
ما عذر من يعمر بنيانه * وعمره منهدم يخرب

وقال الشعبي الشيب علة لا يعاد منها ومصيبة لا يعزى عليها وقال الفرزدق

ويقول كيف يميل مثلك للظبا * وعليك من عظم المشيب عذار
والشيب ينقص في الشباب كأنه * ليل يصيح بعارضيه نهار

(وقال أبو دلف في بياض اللحية)

تكلفني هم لبيضاء نابته * لها بغضة في مضمر القلب ثابته
ومن عجب اني اذا رمت قصها * قصصت سواها وهي تضحك نابته

(وقال أيضا) أرى شيب الرجال من الغواني * بمبلغ شيبهن من الرجال

(وقال ابن المعتز) فظللت أطلب وصلها بتذلل * والشيب يغمزها بأن لا تفعلي

قيل صاح شاب بشيخ أحدب بكم ابتعت هذا القوس يا عماه فقال يا بني ان أعطيتها بغير ثمن ﴿ومر رجل

وامرأة قال كم أتى عليك قال لو أتى على شيء قتلني قال كيف أقول قال تقول كم مضى من عمرك (قيل) عرض محمد بن الجهم داره للبيع بخمسين ألف درهم فلما حضروا ليشتروا قال بكم تشترون مني جوار سعيد بن العاص فقالوا وهل الجوار يباع قال وكيف لا يباع جوار من ان سألته أعطاك وان سكت عنه ابتدأك وان أسأت اليه أحسن اليك فبلغ ذلك سعيدا فوجه اليه بمائة ألف درهم وقال أمسك دارك عليك (قيل) خرج عبد الله بن جعفر الى ضيعة له فنزل على نخل قوم فيها غلام أسود يقوم عليها فأتى بثلاثة أقراص فدخل كلب فدنا منه فرمى اليه بقرص فأكله ثم رمى اليه بالثاني والثالث فأكلهما وعبد الله ينظر اليه فقال يا غلام كم قوتك كل يوم قال ما رأيت قال فلم آثرت الكلب قال لأن أرضنا ما هي بأرض كلاب وأظنه جاء من مسافة بعيدة جائعا فكرهت رده قال فما أنت صانع اليوم قال أطوي يومي هذا فقال عبد الله بن جعفر الأمر مني على السخاء والله ان هذا الأسخى مني فاشترى النخل والعبد فأعتقه ووهب ذلك له (ومن لطائف المنقول) انه رفع للرشيد موت العباس ابن الأحنف وابراهيم الموصلي المعروف بالنديم وهشيمة الخمارة في يوم واحد فخرج للصلاة عليهم فصفوا بين يديه فقال من الأول فقالوا ابراهيم الموصلي فقال أخروه وقدموا العباس ابن الأحنف فقدم وصلى عليه فلما فرغ وانصرف دنا منه هاشم بن عبد الله الخزاعي وقال يا أمير المؤمنين كيف آثرت العباس بالتقديم على من حضر فقال بقوله

وسعى بها قوم وقالوا انها
لهي التي تشقى بها وتكابد
فجحدتهم ليكون غيرك ظنهم
اني ليعجبني المحب الجاحد

أشمط بامرأة عجيبة فى الجمال فقال ياهذه ان كان للتزوج فبارك الله لك فيه والافاعلمينا فقالت كأنك تخطبنى قال نعم فقالت ان فى عيبا قال وماهو قالت شيب فى رأسى فثنى عنان دابته فقالت على رسلك فلا والله ما بلغت عشرين سنة ولا رأيت فى رأسى شعرة بيضاء ولكننى أحببت أن أعلمك انى أكره منك مثل ما تكره منى فانشد ويقال انه لابن المعتز

رأين الغوانى الشيب لاح بمفرقى * فاعرضن عنى بالخدود النواضر

(وقال آخر) سألتها قبلة يوما وقد نظرت * شيبى وقد كنت ذامال وذانعم
فأعرضت وتولت وهى قائلة * لا والذى أوجد الأشياء من عدم
ما كان لى فى بياض الشيب من أرب * أفى الحياة يكون القطن حشوفمى

(وقال آخر) قالت أرى مسكة الشعر البهيم غدت * كافورة قد أحالتها يد الزمن
فقلت طيب بطيب والتنقل فى * معادن الطيب أمر غير ممتهن
قالت صدقت وما أنكرت ذاك بذا * المسك للشم والكافور للكفن

(وقال آخر) قالت أراك خضبت الشيب قلت لها * سترته عنك ياسمعى ويابصرى
فقهقهت ثم قالت من تعجبها * تكاثر الغش حتى صار فى الشعر

(وقال ابن نباتة) تبسم الشيب بوجه الفتى * يوجب مع الدمع من جفنه
وكيف لا يبكى على نفسه * من ضحك الشيب على ذقنه

(وقال ابن المعتز) فما أقبح التفريط فى زمن الصبا * فكيف به والشيب فى الرأس شامل

وكان المأمون يتمثل بقول الشاعر

رأت وضحا فى الرأس منى فراعها * فريقان مبيض به وبهيم
تفاريق شيب فى السواد لوامع * فياحسن ليل لاح فيه نجوم

ويقال فى الرجل اذا شاب ليله عسعس وصبحه تنفس

اذا نازع الشيب الشباب فاصلتا * بسيفيهما فالشيب لاشك غالب

(وقال آخر) ألا ان شيب العبد من نقرة القفا * وشيب كرام الناس شيب المفارق

(وقال العتبى) قالت عهدتك مجنونا فقلت لها * ان الشباب جنون برؤه الكبر

(وقال على بن ربيع) كبرت ودق العظم منى وعقنى * بنى وزالت عن فراشى العقائد
وأصبحت أعشى أخبط الارض بالعصا * يقودنى بين البيوت الولائد

(وقال آخر) عريت من الشباب وكنت غضنا * كما يعرى من الورق القضيب
وفضت على الشباب بدمع عينى * فما نفع البكاء ولا النحيب
فياليت الشباب يعود يوما * فاخبره بما فعل المشيب

(وقال ابن النقيب) وكم كان من عين على وحافظ * وكم كان من واش لها ورقيب
فلما بدا شيبى اطمأنت قلوبهم * ولم يحفظونى واكتفوا بمشيبى

وقال الامام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى ماشبهت الشباب الا كشئ كان فى كمى فسقط (قال الشاعر)

شيئان لو بكت الدماء عليهما * عيناك حتى يؤذنا بذهاب
لم يبلغا المعشار من حقيهما * فقد الشباب وفرقة الأحباب

(وقال الجاحظ) أترجو أن تكون وأنت شيخ * كما قد كنت فى زمن الشباب
لقد كذبتك نفسك ليس ثوب * دريس كالجديد من الثياب

﴿ومما جاء فى الخضاب﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بالخضاب فانه أهيب لعدوكم وأعجب لنسائكم وعن أبى عامر الأنصارى رضى الله تعالى عنه رأيت أبا بكر الصديق رضى الله تعالى عنه يغير بالحناء والكتم وقيل خضاب الحناء يصفى البصر ويذهب بالصداع ويزيد فى الباه بيت

تسود أعلاها وتأبى أصولها * وليس الى رد الشباب سبيل

ثم قال أتحفظهما قلت نعم قال أليس من قال هذا الشعر أولى بالتقديم فقلت بلى والله ياأمير المؤمنين (قلت ويضارع هذا ماحكاه صاحب الاغانى) حكى ان رجلا أدى شهادة عند بعض القضاة فقال القاضى هل يعرفك أحد من ذوى العدالة قال نعم فلان فلما حضر قال له القاضى هل تعرف هذا قال نعم أعرفه عدلا وماذاك الا أنى سمعته ينشد لجرير

ان الذين غدوا بلبك غادروا
وشلا بعينك لا يزال معينا
غيضن من أبصارهن وقلن لى
ماذا لقيت من الهوى ولقينا

فعلمت ان هذا لا يرسخ الا فى قلب مؤمن (وقال الشيخ أثير الدين أبو حيان رحمه الله) كانت رقائق الشيخ تقى الدين السروجى تسلب العقول وكان يغنى بها فى عصره لانها فى الطريق الغرامى غاية لا تدرك فمن ذلك قوله رحمه الله

أنعم بوصلك لى فهذا وقته
يكفى من الهجران ماقد ذقته
أنفقت عمرى فى هواك وليتنى
أعطى وصولا بالذى أنفقته
يامن شغلت بحبه عن غيره
وسلوت كل الناس حين عشقته
كم جال فى ميدان حسنك فارس
بالسبق فيك الى رضاك سبقته
أنت الذى جمع المحاسن وجهه
لكن عليه تصبرى فرقته
قال الوشاة قد ادعى بك نسبة
فسررت لما قلت قد صدقته
بالله ان سألوك عنى قل لهم
عبدى اوملك يدى وما أعتقته
أوقيل مشتاق اليك فقل لهم
أدرى بذا وأنا الذى شوقته

(قلت) لو كان الشيخ تقى الدين السروجى رحمه الله فى جملة من صلى عليه الرشيد لم يقدم غيره عليه (قال الشهاب محمود) وكان الشيخ تقى الدين السروجى مسح

وقيل وفد عبد المطلب بن هاشم على سيف بن ذي يزن فقال له لو خضبت شعرك فلما رجع الى مكة اختضب فقالت امرأته نبيلة ما أحسن هذا الودام فقال

ولودام لى هذا الخضاب حمدته * وكان بديلا من خليل قد انصرم
تمتعت منه والحياة قصيرة * ولا بد من موت نبيلة أوهرم

(وقال آخر)

ياخاضب الشيب الذى * فى كل ثالثة يعود
ان الخضاب اذا انضا * فكأنه شيب جديد
فدع المشيب وما يريـ * ـد فلن يعود كما تريد

(وقال محمود الوراق)

فأمنك الشباب ولست منه * اذا سامتك لحيتك الخضابا

﴿الفصل الثالث فى العافية والصحة﴾ عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اليك انتهت الامانى ياصاحب العافية وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال أول مايحاسب به العبد يوم القيامة أن يقال له ألم أصح بدنك وأروك بالماء البارد وقال على رضى الله تعالى عنه فى قوله تعالى ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم هو الامن والصحة والعافية وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما يسأل الله العباد عن الابدان والاسماع والابصار فيم استعملوها وهو أعلم بذلك وقال ابن عيينة من تمام النعمة طول الحياة فى الصحة والأمن والسرور وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها لو رأيت ليلة القدر ما سألت الله الا العفو والعافية وقال قبيصة بن ذؤيب كنا نسمع نداء عبد الملك بن مروان من وراء الحجرة فى مرضه يا أهل النعم لا تستقلوا شيأ من النعم مع العافية ويقال البحر لا جوار له والملك لا صديق له والعافية لا ثمن لها قال ابن الرومى

اذا ما كساك الدهر سربال صحة * ولم يخل من قوت يحل ويقرب
فلا تغبطن أهل الكثير فانما * على قدر ما يعطيهم الدهر يسلب

ويقال صحة الجسم أوفر القسم وذكر بعضهم العافية فقال وأى وطاء وأى غطاء وقال حكيم ان كان شئ فوق الحياة فالصحة وان كان شئ مثل الحياة فالغنى وان كان شئ فوق الموت فالمرض وان كان شئ مثل الموت فالفقر وقال على رضى الله تعالى عنه ما المبتلى الذى اشتد به البلاء بأحوج الى الدعاء من المعافى الذى لا يأمن البلاء وقيل ان فأرة البيوت رأت فأرة الصحراء فى شدة ومحنة فقالت لها ما تصنعين ههنا اذهبى معى الى البيوت التى فيها أنواع النعيم والخصب فذهبت معها واذا صاحب البيت الذى كانت تسكنه قد هيأ لها الرصد لبنة تحتها شحمة فاقتحمت لتأخذ الشحمة فوقعت عليها اللبنة فحطمتها فهربت الفأرة البرية وهزت رأسها متعجبة وقالت أرى نعمة كثيرة وبلاء شديدا ألا وان العافية والفقر أحب الى من غنى يكون فيه الموت ثم فرت الى البرية * وكان عند رومى خنزير فربطه الى اسطوانة ووضع العلف بين يديه ليسمنه وكان بجنبه أتان لها جحش وكان ذلك الجحش يلتقط من العلف ما يتناثر فقال لامه يا أماه ما أطيب هذا العلف لو دام فقالت له أمه يابنى لا تقربه فان وراءه الطامة الكبرى فلما أراد الرومى أن يذبح الخنزير ووضع السكين على حلقه جعل يضطرب وينفخ فهرب الجحش وأتى الى أمه وأخرج لها أسنانه وقال ويحك يا أماه انظرى هل بقى فى خلال أسنانى شئ من ذلك العلف فاقلعيه فما أحسن القنع مع السلامة والله أعلم بالصواب

﴿الفصل الرابع فى أخبار المعمرين فى الجاهلية والاسلام﴾ قال الحسن رضى الله تعالى عنه أفضل الناس ثوابا يوم القيامة المؤمن المعمر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أنبئكم بخياركم قالوا بلى يارسول الله قال أطولكم أعمارا فى الاسلام اذا سددوا وزعموا أن تبعا الفزارى كان من المعمرين وانه دخل على بعض خلفاء بنى أمية فسأله عن عمره فقال عشت أربعمائة وعشرين سنة فى فترة عيسى بن مريم عليه السلام فى الجاهلية وستين فى الاسلام قال له أخبرنى عما رأيت فى سالف عمرك قال رأيت الدنيا ليلة فى أثر ليلة ويوما فى أثر يوم ورأيت الناس بين جامع مال مفرق ومفرق مال مجموع وبين قوى يظلم وضعيف يظلم وصغير يكبر وكبير يهرم وحى يموت وجنين يولد وكلهم بين مسرور بموجود ومحزون بمفقود وقد قال ابن الجوزى ان آدم عليه السلام عاش ألف سنة وعاش ابنه شيث تسعمائة سنة وعاش ابنه مهلاييل ثمانمائة وخمسا وتسعين سنة وعاش ابنه ادريس ثلثمائة وخمسا وتسعين سنة وعاش ابنه هود تسعمائة واثنتين وستين سنة وعاش ابنه متوشلخ

تسعمائة

دينه وورعه وزهده وعفته مغرما بالجمال وكذلك قال الشيخ أثير الدين وكان يكره مكانا فيه امرأة ومن دعاه من أصحابه قال شرطى معروف وهو ان لا يحضر بالمجلس امرأة (قال الشهاب محمود) وكنا يوما فى دعوة فأحضر صاحب الدعوة شواء وأمر بادخاله الى النساء ليجعلنه فى الصحون فلما أحضر بعد ذلك تعرف منه وقال كيف يؤكل وقد مسسنه بأيديهن (قال الشيخ أثير الدين) ولما توفى الشيخ تقى الدين عصر رابع رمضان المعظم سنة ثلاث وتسعين وستمائة حلف أبو محبوبه أن لا يدفنه الا فى قبر ابنه وقال كان الشيخ يهواه بالحياة وما أفرق بينهما بالممات هذا لما كان يعلمه من دينه وعفافه (قلت) والشيخ مدرك هو أبو هذه العذرة وثمرة هذه الشجرة فانه ممن هام مع زهده وورعه بالجمال وعف وصبر الى أن مات وكان الشيخ مدرك المذكور من أكابر علماء المغرب المتفقهين وكان مطبوعا فى نظم الشعر الجيد الرقيق وكان يقرئ الأدب وله مجلس بمحلة دار الروم وكان لا يقرئ الا الاحداث ففتن بنصرانى اسمه عمرو بن يوحنا كان من أحسن أهل زمانه وأسلمهم طبعا ففهم الشيخ به وكتب رقعة وطرحها فى حجره وهى

بمجالس العلم التى * بك تم جمع جموعها
الا رثيت لمقلة * غرقت بماء دموعها
بينى وبينك حرمة * الله فى تضييعها

فلما قرأها عمرو استحيا وعلم بها من فى المجلس فانقطع عمرو واشتد بالشيخ الوجد فترك المجلس ونظم القصيدة المشهورة قيل انها اشتملت على سائر عبادات النصارى ومواقيتهم وأسماء المعظمين فى دينهم وعده صاحب مصارع العشاق مع الذين ماتوا غراما

تسعمائة وستين سنة وأما ابنه نوح عليه السلام فروى عن عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنهما انه قال عاش نوح عليه السلام ألفا وأربعمائة وخمسين عاما وأما الخضر عليه السلام واسمه خضرون فهو أطول بنى آدم عمرا وذكر ان لقمان عليه السلام عاش ثلاثة آلاف وخمسمائة سنة وكانت العرب لا تعد من الاعمار الا ما بلغ مائة وعشرين سنة فما فوقها وعاش أكثم بن صيفى ثلثمائة وستين سنة وأدرك الاسلام وعاش سطيح سبعمائة سنة وعاش قس بن ساعدة الايادى سبعمائة سنة وكان من حكماء العرب وعاش لبيد بن ربيعة الشاعر مائة وعشرين سنة وأدرك الاسلام وعاش دريد بن الصمة مائة وسبعين سنة حتى سقط حاجباه على عينيه وأدرك الاسلام ولم يسلم ومن المعمرين عدى بن حاتم الطائى وزهير بن جنادة عاشا مائتين وعشرين سنة ومن المعمرين ذو الاصابع العذرى عاش مائتين وعشرين سنة وهو أحد حكماء العرب فى الجاهلية ومن المعمرين عمرو بن معديكرب الزبيدى ومن المعمرين عبد المسيح بن نفيلة عاش ثلثمائة وعشرين سنة وأدرك الاسلام وقد رأيت رجلا من أهل محلة مسير بالغربية وذكر أنه بلغ من العمر مائة وأربعين سنة وان امرأته بلغت من العمر كذلك ولقد رأيت منه مالم أر من بعض شبان هذا العصر فى القوة وشدة البأس ورأيت له ولدا شيخا وهو أشد قوة من ولده وذلك فى صفر سنة تسع وعشرين وثمانمائة والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿الباب التاسع والأربعون فى الأسماء والكنى والالقاب وما يستحسن منها﴾

فأشرف الاسماء وأعظمها بسم الله الرحمن الرحيم قال الله تعالى هل تعلم له سميا وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من رفع قرطاسا من الأرض مكتوبا عليه بسم الله الرحمن الرحيم اجلالا له ولاسمه عن أن يداس كان عند الله من الصديقين وخفف عنه وعن والديه العذاب وان كانا مشركين وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما لم يرن ابليس لعنه الله قط الا ثلاث رنات رنة حين لعن وأخرج من ملكوت السموات والارض ورنة حين ولد محمد صلى الله عليه وسلم ورنة حين أنزلت سورة الحمد وفى أولها بسم الله الرحمن الرحيم وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرد دعاء أوله بسم الله الرحمن الرحيم وان أمتى يأتون يوم القيامة يقولون بسم الله الرحمن الرحيم فتثقل حسناتهم فى الميزان فتقول الأمم ما أثقل موازين أمة محمد فتقول الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ابتداء كلامهم ثلاثة أسماء من أسماء الله تعالى لو وضعت فى كفة الميزان ووضعت سيآت الخلق فى كفة لرجحت كفة الأسماء (وأما الأسماء والكنى) ففى صحيح مسلم عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب أسمائكم الى الله تعالى عبد الله وعبد الرحمن وأصدقها حارث وهمام وأقبحها حرب ومرة وينبغى أن تنادى من لا تعرف اسمه بعبارة لطيفة لا يتأذى بها ولا يكون فيها كذب كقولك يا فقيه يا أخى يا فقير يا سيدى يا صاحب الثوب الفلانى أو البغل الفلانى أو الفرس الفلانى أو السيف الفلانى وما أشبه ذلك ودخل عبادة على المتوكل وبين يديه جام من ذهب فيه ألف مثقال فقال له أسألك عن شئ ان أجبتنى عنه ابتداء من غير أن تفكر فلك الجام بما فيه فقال سل يا أمير المؤمنين قال أسألك عن شئ له اسم ولا كنية له وعن شئ له كنية ولا اسم له قال المنارة وأبو رياح فعجب المتوكل وأعطاه الجام بما فيه وقيل لعثمان ذو النورين رضى الله تعالى عنه لانه هو ورقية كانا أحسن زوجين فى الاسلام وقيل لانه تزوج برقية ثم بأم كلثوم ابنتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يوجد من تزوج بابنتى نبى غيره وكان قتادة بن النعمان الأنصارى رضى الله تعالى عنه أصيب فى عينه يوم أحد فسقطت على خده فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت أحسن وأصح من الأخرى فكانت تعتل أى ترمد عينه الباقية ولا تعتل عينه المردودة فقيل له ذو العينين وقال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه كنيت بهرة صغيرة كنت أحملها فى حجرى فالعب بها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا أبا هريرة واختلف فى اسمه فقيل عبد الرحمن وقيل عبد شمس وقيل عمير وقيل سليمان وقال الشعبى رضى الله تعالى عنه كنية الدجال أبو يوسف * ذو الشهرة أبو دجانة الأنصارى رضى الله تعالى عنه كان له شهرة يلبسها بين الصفين * ذو الرياستين الفضيل بن سهل لانه دبر أمر السيف والقلم وولى رياسة الجيوش والدواوين ودخل عليه شاعر يوم المهرجان وبين يديه الهدايا فقال

اليوم يوم المهرجان * هديتى فيه اللسان * لك دولتان حديثة

(وقال فى كتابه الموسوم بمصارع العشاق) أخبرنا القاضى أبو القاسم التنوخى سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة قال حدثنا القاضى أبو الفرج المعافى قال أنشدنا أبو القاسم مدرك بن محمد الشيبانى لنفسه فى عمرو النصرانى قال القاضى أبو الفرج وقد رأيت عمرا وقد ابيض رأسه

من عاشق ناء هواه دان
ناطق دمع صامت اللسان
موثق قلب مطلق الجثمان
معذب بالصد والهجران
من غير ذنب كسبت يداه
لكن هوى نمت به عيناه
شوقا الى رؤية من أشقاه
كأنما عافاه من أبلاه
يا ويحه من عاشق ما يلقى
من أدمع منهلة ما ترقى
ذاب الى ان كاد يفنى عشقا
وعن دقيق الفكر سقما دقا
لم يبق منه غير طرف يبكى
بأدمع مثل نظام السلك
تخمد نيران الهوى وتذكى
منهلة قطر السماء تحكى
الى غزال من بنى النصارى
فضل بالحسن على العذارى
وغادر الاسد به حيارى
فى ربقة الحب له أسارى
ريم به أى هزبر لم يصد
يقتل باللحظ ولا يخشى القود
متى تقل ها قالت الألحاظ قد
كأنه ناسوته حين اتحد
ياليتنى كنت له زنارا
يديرنى فى الخصر كيف دارا
حتى اذا الليل طوى النهارا
صرت له حينئذ ازارا
يا عمرو ناشدتك بالمسيح
الا سمعت القول من فصيح
يذب عن قلب له جريح
ليس من الحب بمستريح
يا عمرو بالحق مع اللاهوت
والروح روح القدس والناسوت

وقديعة ور ياستان * لك فى الورى من هاشم * نبت وبيت خسروان
علم الخليفة كيف أنـ * ـت فصرت فى هذا المكان

فأمر له بجميع الهدايا * المطيبون بنو عبد مناف و بنو أسد بن عبد العزى وزهرة بن كلاب ونعيم بن مرة والحرث بن فهر غمسوا أيديهم فى خلوف ثم تحالفوا *شيبة الحمد عبد المطلب لقب بشيبة كانت فى رأسه حين ولد قال حذافة

بنو شيبة الحمد الذى كان وجهه * يضئ ظلام الليل كالقمر البدر

وقيل له عبد المطلب لان عمه المطلب مر به فى سوق مكة مردوفا له فجعلوا يقولون من هذا الذى وراءك فيقول عبدلى *سيدنا أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه اسمه عبد الله ولقباه العتيق والصديق لجماله وتصديقه بخبر الاسراء أو لانه أول من صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم *سيدنا عمر رضى الله تعالى عنه لقب بالفاروق لانه قال يوم أسلم لا يعبد الله اليوم سرا فظهر به الاسلام وفرق بين الحق والباطل *الكامل سعد بن عبادة رضى الله تعالى عنه لانه كان يكتب ويحسن الرمى والعوم *طلحة بن عبد الله رضى الله تعالى عنه كان يقال له طلحة الخير وطلحة الفياض وطلحة الطلحات لسخائه *رشح الحجر وأبو ذباب عبد الملك بن مروان لقب بذلك لبخله وبخره *عكة العسل سعيد بن العاص رضى الله تعالى عنه *الحبر عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنه لقب بذلك لعلمه كان يقال له مرة الحبر ومرة البحر *الاشدق عمرو بن سعيد لانه كان مائل الشدق *الفياض عكرمة بن ربعى لقب بذلك لسخائه *المصطلق خزيمة بن سعد الخزاعى قيل له المصطلق لحسن صوته وشدته وكان أول من غنى من خزاعة *راح يكذب لقب به المهلب لانه كان يضع الحديث أيام الخوارج فيحدث به فاذا رأوه قالوا راح يكذب *واصل الغزال كان يكثر الجلوس فى سوق الغزالين وكان يتبع العجائز فيتصدق عليهم ولم يكن غزالا *سليمان التيمى كان داره ومسجده فى بنى تيم ولم يكن منهم وهو شيبانى *أبو عمرو الشيبانى لم يكن من بنى شيبان وانما كان يعلم يزيد بن مزيد الشيبانى *اليزيدى كان يعلم يزيد بن منصور الحميرى فنسب اليه *ذو القروح امرؤ القيس كان ملك الروم كساه الحلة المسمومة فقرحته وقالوا لم تكن الكنى لاحد من الأمم الا للعرب وهى مفاخرهم وقال بعضهم

أكنيه حين أناديه لاكرمه * ولا ألقبه والسوأة اللقب

وقيل فى قوله تعالى فقولا له قولا لينا أى كنياه ولما ضرب موسى عليه الصلاة والسلام البحر ولم ينفلق أوحى الله تعالى اليه أن كنه فقال انفلق أبا خالد فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم (وأما الالقاب) فقد قال الله تعالى ولا تنابزوا بالالقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان سماه الله تعالى فسوقا واتفق العلماء رضى الله تعالى عنهم على جواز ذلك على وجه التعريف لمن لا يعرف الا بذلك كالأعمش والأعمى والأعرج والأحول والافطس والاقرع ونحو ذلك وقل من المشاهير فى الجاهلية والاسلام من ليس له لقب ولم يزل فى الأمم كلها يجرى فى المخاطبات والمكاتبات من غير نكير غير أنها كانت تطلق على حسب الموسومين وأما ما استحسن من تلقيب السفلة بالالقاب العلية حتى زال الفضل وذهب التفاوت وانقلب النقص والشرف شرعا واحدا فنكر وهب أن العذر مبسوط فى ذلك فما العذر فى تلقيب من ليس من الدين فى دبير ولا قبيل ولا له فيه ناقة ولا فصيل بل هو يحتو على ما يضاد الدين وينافى كمال الدين وشرف الاسلام وهى لعمر الله الغصة التى لا تساغ والغبن الذى يعجز الصبر دونه فلا يستطاع نسأل الله تعالى اعزاز دينه واعلاء كلمته وأن يصلح فسادنا ويوقظ غافلنا *الرجل يكنى باسم ولده والمرأة كذلك واذا كنوا من لم يكن له ولد فعلى جهة التفاؤل وبناء الأمر على رجاء أن يعيش فيولد له وقد يكنون بما يلائم المكنى من غير الأولاد كقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فى على رضى الله تعالى عنه أبو تراب وذلك انه نام فى غزوة ذى العشيرة فذهب به النوم فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متمرغ فى التراب فقال له اجلس أبا تراب وكان أحب أسمائه اليه وكقولهم أبى لهب لحمرة خديه ولونه وقال الزمخشرى رحمه الله تعالى وسمعتهم يكنون الكبير الرأس والعمامة بأبى الرأس وأبى العمامة وسمعت العرب ينادون الطويل اللحية يا أبا الطويلة وسمعت عرب البحيرة يكنون بأسماء بناتهم كابى زهو وأبى سلطانة وأبى ليلى ونحو ذلك ولا حرج فى ذلك وقد تكنى جماعة من أفاضل الصحابة بأبى فلانة منهم سيدنا عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه كان له ثلاث كنى أبو عمرو وأبو عبد الله وأبو ليلى ومنهم أبو أمامة وأبو رقية تميم الدارى وأبو كريعة المقداد بن معد يكرب

ذاك الذى فى مهده المنعوت
عوض بالنطق عن السكوت
بحق ناسوت ببطن مريم
حل محل الريق منها بالفم
ثم استحال فى القنوم الأقدم
يكلم الناس ولما يفطم
بحق من بعد الممات قصا
يوما على مقداره ماقصصا
وكان لله تقيا مخلصا
يشفى ويبرى أكمها وأبرصا
بحق محيى صورة الطيور
وباعث الموتى من القبور
ومن اليه مرجع الامور
يعلم ما فى البر والبحور
بحق من فى شامخ الصوامع
من ساجد له وراكع
يبكى اذا ما نام كل هاجع
خوفا من الله بدمع هامع
بحق قوم حلقوا الرؤسا
وعالجوا طول الحياة بوسا
وقرعوا فى البيعة الناقوسا
مشمعلين يعبدون عيسى
بحق مارمريم وبولس
بحق شمعون الصفا وبطرس
بحق دانيل بحق يونس
بحق حزقيل وبيت المقدس
ونينوى اذ قام يدعو ربه
مطهرا من كل سوء قلبه
ومستقيلا فاقيل ذنبه
ونال من مولاه ما أحبه
بحق ما فى قلة الميرون
من نافع الادواء للمجنون
بحق ما يؤثر عن شمعون
من بركات النخل والزيتون
بحق أعياد الصليب الزهر
وعيد شمعون وعيد الفطر
وبالشعانين الجليل القدر
وعيد مرمارى الرفيع الذكر
وعيد شعيا وبالهيا كل
والدخن اللاتى بكف الحامل
يشفى بها من خبل كل خابل
ومن دخيل السقم فى المفاصل

وكثير من الصحابة ومن التابعين رضوان الله تعالى عليهم أجمعين أبو عائشة مسروق بن الأجدع وكان لأنس أخ صغير وله نغير يلعب به فمات فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فرآه حزينا فقال ما شأنه فقالوا مات نغيره فقال يا أبا عمير ما فعل النغير * ونظر المأمون الى غلام حسن فى الموكب فسأله عن اسمه فقال لا أدرى فقال

تسميت لا أدرى فانك لا تدرى * بما فعل الحب المبرح فى صدرى

وعن على رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم اذا سميتم الولد محمدا فاكرموه ووسعوا له فى المجالس ولا تقبحوا له وجها وعنه ما من قوم كان بينهم مشورة فحضر معه من كان اسمه محمد أو أحمد فادخلوه فى مشورتهم الا كان خير لهم وما من مائدة وضعت فحضر عليها من اسمه محمد أو أحمد الا قدس الله ذلك المنزل فى كل يوم مرتين كل ذلك ببركة هذا الاسم الشريف (ومما جاء فى مدح الأسماء منظوما) قال بعضهم فى مليح اسمه ابراهيم

رأيت حبيبى فى المنام معانقى * وذلك للمهجور مرتبة عليا
وقد رق لى من بعد هجر وقسوة * وما ضر ابراهيم لو صدق الرؤيا

(وفيه أيضا)

لا زال بابك كعبة محجوجة * وترابها فوق الجباه وسيم
حتى ينادى فى البقاع بأسرها * هذا المقام وأنت ابراهيم

(وفيه أيضا)

ياسمى الخليل ان فؤادى * فيه من لوعة الغرام جحيم
وعجيب يا قاتلى ان قلبى * فيه نار وأنت فيه مقيم

(ولبعضهم فى مليح اسمه عمر)

يا أعدل الناس اسما كم تجور على * فؤاد مضناك بالهجران والبين
أظنهم سرقوك القاف من قمر * وأبدلوها بعين خيفة العين

(وفيه أيضا)

ما عليهم فى الهوى لو نظروا * حين سموك فقالوا عمر
أبدلوا قافك عينا غلطا * أخطؤا ما أنت الا القمر

(ولبعضهم فى مليح حامل شمعة موقودة اسمه عثمان)

وافى الى بشمعة وضياؤها * وضياؤه حكيا لنا القمرين
ناديته ما الاسم يا كل المنى * فأجابنى عثمان ذو النورين

(ولبعضهم فى مليح اسمه يوسف)

يا من سبى الشعراء غزل عذاره * النجم يشهد لى بأنى مدنف
صيرت قلبى من صدودك فاطرا * فامنن على بزورة يا يوسف

(وللصفى الحلى فيمن اسمه داود)

وثقت بأن قلبى من حديد * وفيه على الهوى بأس شديد
فلان على هواك ولا عجيب * اذا داود لان له الحديد

(وله فيمن اسمه موسى)

أتى موسى بآية خال خده * حوته صوارم الحدق المراض
فآيته ذا بياض فى سواد * وآيته ذا سواد فى بياض
فجاء بضد ما قد جاء موسى * كليم الله فى الحقب المواضى

(وللقيراطى فى مليح اسمه بدر)

سموه بدرا وذاك لما * ان فاق فى حسنه وتما * وأجمع الناس اذ رأوه * بأنه اسم على مسمى

(ولمؤلفه رحمه الله تعالى) فى قاضى القضاة علم الدين صالح البلقينى

وعظ الانام امامنا الحبر الذى * سكب العلوم كبحر فضل طافح
فشفى القلوب بعلمه وبوعظه * والعلم يشفى ان يكن من صالح

وتوجهت مرة الى بلتاج لأجتمع بالحاج خليل بن منصور فى ضرورة فلم أجده ولم يقم أحد من اخوته بقضاء ما توجهت بسببه فقلت

خصال خليل كلهن حميدة * وأوصافه تزرى بكل جميل
فلا خير فى بلتاج ان لم يكن بها * ولا خير فى الدنيا بغير خليل

بحق سبعين من العباد
قاموا بدين الله فى البلاد
وأرشدوا الناس الى الرشاد
حتى اهتدى من لم يكن بهاد
بحق ثنتى عشرة من الأمم
ساروا الى الاقطار يتلون الحكم
حتى اذا اصبح الهدى جلا الظلم
ساروا الى الله ففازوا بالنعم
بحق ما فى محكم الانجيل
من منزل التحريم والتحليل
وخبر ذى نبا جليل
يرويه جيل قد مضى عن جيل
بحق مرعيد التقى الصالح
بحق لوقا بالحكيم الراجح
والشهداء بالفلا الصحاصح
من كل غاد منهم ورائح
بحق معمودية الارواح
والمذبح المشهور فى النواحى
ومن به من لابس الامساح
من راهب باك ومن نواح
بحق تقريبك فى الاعياد
وشربك القهوة كالفرصاد
بما بعينيك من السواد
بطول تقطيعك للاكباد
بحق ما قدس شعيا فيه
بالحمد لله وبالتنزيه
بحق نسطور وما يرويه
عن كل ناموس له فقيه
شيخان كانا من شيوخ العلم
وبعض أركان التقى والحلم
لم ينطقا قط بغير الفهم
موتهما كان حياة الجسم
بحرمة الاسقف والمطران
والجاثليق العالم الربانى
والقس والشماس والديرانى
والبطرق الأكبر والرهبان
بحرمة المحبوس فى أعلى الجبل
ومارقولا حين صلى وابتهل
وبالكنيسات القديمات الأول
وبالمسيح المرتضى وما فعل
بحرمة الاسقوفيا والبيرم
وما حوى مغفر رأس مريم
بحرمة الصوم الكبير الأعظم
بحق كل بركة ومحرم

(وقال آخر في مقبل) يامن تحجب عن محب صادق * مازال عنه كل يوم يسأل
من لي بيوم فيه تسمح باللقا * و يقال لي هذا حبيبك مقبل
(ولبعضهم في مليح اسمه محسن)
وأهيف يعلو على عشاقه * برتبة من الجمال نالها
واسمه وهو العجيب محسن * وكم دموع في الهوى أسالها
(صفي الدين الحلي في اسم حسين)
حبيبي وافر والشوق مني * طويل والهوى عندي مديد
وأعجب انني أهوى حسينا * وشوقي في محبته يزيد
(ومما قيل في أسماء النساء) في فاطمة
عجبت من فاتنة لم تزل * لمرتجي الوصل لها فاطمه
تنكر ما ألقاه من وجدها * وهي بشوقي والجوى عالمه
(ابن مكانس في اسم عائشة)
يادهر خبرني بحقك واشفني * فسهام فكري في أمورك طائشه
أيحل اني في المحبة ميت * وحبيبتي من بعد موتي عائشة
(شمس الدين البديري في اسم حليمة)
ولما رأتني في هواها متيما * أكابد من حر الغرام اليمه
فجادت بطيب الوصل منها ولم تجر * ومن أين تدري الجور وهي حليمه
(ولبعضهم في اسم بركة دوبيت)
لما نصب الهوى لقلبي شركه * ناديت وقلبي تارك من تركه
ياقلب أفق ولا تمل لشركه * تغنيك سنين ساعة من بركه
(مردوفا أيضا) لما نصب الهوى لقلبي شركه * في كل طريق
ناديت وقلبي تارك من تركه * لو كان يفيق * ياقلب أفق ولا تمل للشركه
ما الشرك يليق * تغنيك سنين ساعة من بركه * عن كل صديق

ولو تتبعت هذا المعنى لاحتجت الى مجلدات ولكن فيما ذكرته كفاية والله الموفق بأساله العناية وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الخمسون فيما جاء في الاسفار والاغتراب وما قيل في الوداع والفراق والحث على ترك الاقامة بدار الهوان وحب الوطن والحنين اليه)

(أما ما جاء في الاسفار والحث على ترك الاقامة بدار الهوان)

فقد قال الله تعالى هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا الآية وفي الأثر سافروا تغنموا وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو يعلم الناس رحمة الله للمسافر لاصبح الناس على ظهر سفر وهو ميزان الاخلاق ان الله بالمسافر رحيم و يقال الحركة ولود والسكون عاقر وقال حكيم السفر يسفر عن أخلاق الرجال وكان بعضهم يريد السفر فيمنعه والده اشفاقا عليه فقال يوما

ألا خلني أمضي لشأني ولا أكن * على الاهل كلا ان ذا لشديد
تهيبني ريب المنون ولم أكن * لاهرب عما ليس منه محيد
فلو كنت ذا مال لقرب مجلسي * وقيل اذا أخطأت أنت رشيد
فدعني أجول الأرض عمري لعله * يسر صديق أو يغاظ حسود

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بالدلجة فان الارض تطوى بالليل ولا تطوى بالنهار وقال كعب بن مالك رضي الله تعالى عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكره أن يسافر الرجل في غير رفقة وقال صلى الله عليه وسلم الراكب شيطان والراكبان شيطانان والثلاثة ركب قال صلى الله عليه وسلم اذا خرج ثلاثة في

بحق يوم الذبح في الاشراق
وليلة الميلاد والتلاقي
والذهب الابريز لا الاوراق
بالفصح يامهذب الاخلاق
بكل قداس على قداس
قدسه القس مع الشماس
وقربوا يوم خميس الناس
وقدموا الكاس لكل حاس
الارغبت في رضا أديب
باعده الحب عن الحبيب
فذاب من شوق الى المذيب
أعلى مناه أيسر التقريب
انظر أميري في صلاح أمري
محتسبا في عظيم الاجر
مكتسبا مني جميل الشكر
من نثر ألفاظ ونظم شعر
(قلت والشيء بالشيء يذكر) الشيخ مدرك ألجأته الضرورة الغرامية أن يتجشم المشاق و يتقرب الى محبوبه باقسام لها عند أهل دين النصرانية محل عظيم الموقع كما ألجأت الشيخ مهذب الدين بن منير الطرابلسي الشاعر المشهور أن يترك التشيع وكان من كبار الشيعة ويرجح جانب السنة ويوهي أقوال الرافضة وموجب ذلك أن مهذب الدين المذكور هاجر الى بغداد بسبب مدح الشريف الموسوي نقيب الأشراف بها وكان الشريف أيضا من كبار الشيعة فلما دخل بغداد جهز الى الشريف هدية مع مملوكه بل معشوقه تتر الذي سارت الركبان بغرامه فيه فاخذ الهدية وأعجبه المملوك فاخذ فلما وصل الخبر الى مهذب الدين بن منير أشرف على ذهاب روحه وكتب الى الشريف والى تتر
عذبت طرفي بالسهر
وأذبت قلبي بالفكر
ومزجت صفو مودتي
من بعد بعدك بالكدر
ومنحت جثماني الضنا
وكحلت جفني بالسهر

ركب فليؤمر واحدهم (وقيل) أغار حذيفة بن بدر على هجان النعمان بن المنذر بن ماء السماء وسار في ليلة مسافة ثماني ليال فضرب به المثل وقال قيس بن الحطيم

همنا بالاقامة ثم سرنا * مسير حذيفة الخير بن بدر

وسار ذكوان مولى عمر رضي الله تعالى عنه من مكة الى المدينة في يوم وليلة وقال المأمون لا شيء ألذ من السفر في كفاية وعافية لانك تحل كل يوم في محلة لم تحل فيها وتعاشر قوما لم تعرفهم (ومما قيل في ترك الاقامة بدار الهوان)

قال الفرزدق وفي الارض عن دار القلى متحول * وكل بلاد أوطنتك بلاد

(وقال آخر) وما هي الا بلدة مثل بلدتي * خيارهما ما كان عونا على دهري

(وقال آخر) واذا البلاد تغيرت عن حالها * فدع المقام وبادر التحويلا

ليس المقام عليك فرضا واجبا * في بلدة تدع العزيز ذليلا

(وقال الصفي الحلي)

تنقل فلذات الهوى في التنقل * ورد كل صاف لا تقف عند منهل

ففي الارض أحباب وفيها منازل * فلا تبك من ذكرى حبيب ومنزل

ولا تستمع قول امرئ القيس انه * مضل ومن ذا يهتدي بمضلل

(وقال عبد الله بن الجعدي)

فان تجف عني أو تردني اهانة * أجد عنك في الارض العريضة مذهبا

(ومما قيل في الوداع والفراق والشوق والبكاء) قال جرير

لو كنت أعلم ان آخر عهدكم * يوم الرحيل فعلت ما لم أفعل

وقيل لعمارة بن عقيل بن بلال بن جرير ما كان جدك صانعا في قوله فعلت ما لم أفعل قال كان يقلع عينيه حتى لا يرى مظعن أحبابه ثم أنشد يقول

وما وجد مغلول بصنعاء موثق * بساقيه من ماء الحديد كبول

قليل الموالي مسلم بجريرة * له بعد نومات العيون أليل

يقول له الحداد أنت معذب * غداة غد أو مسلم فقتيل

با كبر مني لوعة يوم راعني * فراق حبيب ما اليه سبيل

(وقال الشاعر) وما أم خشف طول يوم وليلة * ببلقعة بيداء ظمآن صاديا

تهيم ولا تدري الى أين تبتغي * مولهة حزنا تجوب الفيافيا

أضر بها حر الهجير فلم تجد * لغلتها من بارد الماء شافيا

اذا بعدت عن خشفها انعطفت له * فالفته ملهوف الجوانح طاويا

باوجع مني يوم شدوا حمولهم * ونادى منادي البين أن لا تلاقيا

وقال عبد العزيز الماجشون وهو من فقهاء المدينة قال لي المهدي يا ماجشون ما قلت حين فارقت أحبابك قال قلت يا أمير المؤمنين

لله باك على أحبابه جزعا * قد كنت أحذر هذا قبل أن يقعا

ما كان والله شؤم الدهر يتركني * حتى يجرعني من بعدهم جرعا

ان الزمان رأى الف السرور لنا * فدب بالبين فيما بيننا وسعى

فليصنع الدهر بي ما شاء مجتهدا * فلا زيادة شيء فوق ما صنعا

فقال والله لاغنينك فاعطاه عشرة آلاف دينار (وقال آخر)

وقفت يوم النوى منهم على بعد * ولم أودعهم وجدا واشفاقا

اني خشيت على الاظعان من نفسي * ومن دموعي احراقا واغراقا

(وقال عمر بن أحمد) أتى الرحيل فحين جد ترحلت * مهج النفوس له عن الاجساد

من لم يبت والبين يصدع قلبه * لم يدر كيف تفتت الاكباد

وحكى بعضهم قال دخلنا الى دير هرقل فنظرنا الى مجنون في شباك وهو ينشد شعرا فقلنا له أحسنت فاوما بيده الى حجر يرمينا به وقال ألمثلي يقال أحسنت ففررنا منه فقال أقسمت عليكم الا ما رجعتم حتى أنشدكم فان أنا أحسنت فقولوا أحسنت وان أنا أسأت فقولوا أسأت فرجعنا اليه فأنشد يقول

وجفونه صبا ماله

من حسن وجهك مصطبر

يا قلب ويحك كم تخا

دع بالغرور وكم تغر

والام تكلف بالاغ

ن من الظباء وبالاغر

ريم يفوق ان رما

ك بسهم ناظره النظر

تركتك أعين تركها

من بأسهن على خطر

ورمت فاصمت عن قسـ

ى لا يناط بها وتر

جرحتك جرحا لا يخيـ

ط بالخيوط ولا الأبر

تلهو وتلعب بالعقو

ل عيون أبناء الخزر

فكانهن صوالج

وكأنهن لها أكر

تخفي الهوى وتسره

وخفي سرك قد ظهر

أذهول وجدك من مدى

يقضى اليه فينتظر

نفسي الفداء لشادن * أنا من هواه على خطر

رشأ تحاوله الحوا

طر ان تثنى أو خطر

عذل العذول وما رآ

ه فحين عاينه عذر

قمر يزين ضوء صـ

بح جبينه ليل الشعر

تدمى للواحظ خده

فيرى لها فيه أثر

هو كالهلال ملثما

والبدر حسنا ان سفر

ولاه ما أحلاه في * قلبي الشقي وما أمر

نومي المحرم بعده

وربيع لذاتي صفر

بالمشعرين و بالصفا

والبيت أقسم والحجر

وبمن سعى فيه وطا

ف ولبى واعتمر

لأن الشريف الموسوي

ابن الشريف أبي مضر

لما أناخوا قبيل الصبح عيسهموا * وحملوها وسارت بالدمى الابل
وقلبت بخلال السجف ناظرها * يرنو الى ودمع العين ينهمل
وودعت ببنان زانه عنم * ناديت لاحملت رجلاك ياجمل
ياحادي العيس عرج كي أودعهم * ياحادي العيس في ترحالك الاجل
انى على العهد لم أنقض مودتهم * ياليت شعرى لطول البعد مافعلوا

فقلنا له ماتوا فقال والله وأنا أموت ثم شهق شهقة فاذا هو ميت رحمه الله تعالى وقال آخر

لما علمت بان القوم قد رحلوا * وراهب الدير بالناقوس مشتغل
شبكت عشرى على رأسي وقلت له * ياراهب الدير هل مرت بك الابل
فحن لي وبكى بل رق لي ورثى * وقال لي يافتى ضاقت بك الحيل
ان الخيام التي قد جئت تطلبهم * بالامس كانوا هنا والآن قد رحلوا

(وقال الشيخ الأكبر سيدى محيي الدين بن عربي رحمه الله تعالى)

مارحلوا يوم ساروا البزل العيسا * الا وقد حملوا فيها الطواويسا
من كل فاتكة الالحاظ مالكة * تخالها فوق عرش الدر بلقيسا
اذا تمشت على صرح الزجاج ترى * شمسا على فلك في حجر ادريسا
أسقفة من بنات الروم عاطلة * ترى عليها من الانوار ناموسا
وحشية مالها أنس قد اتخذت * في بيت خلوتها للذكر ناووسا
ان أومأت تطلب الانجيل تحسبهم * قساقسا أو بطاريقا شماميسا
ناديت اذ رحلوا للبين ناقتها * ياحادي العيس لاتحدو بها العيسا
عبيت أجناد صبرى يوم بينهم * على الطريق كراديسا كراديسا
ساروا وأصبحت أنعى الربع بعدهموا * والوجد في القلب لاينفك مغروسا

(وقال آخر) ولما تبدت للرحيل جمالنا * وجد بنا سير وفاضت مدامع
تبدت لنا مذعورة من خبائها * وناظرها باللؤلؤ الرطب دامع
أشارت باطراف البنان وودعت * وأومت بعينيها متى أنت راجع
فقلت لها والله مامن مسافر * يسير ويدرى مابه الله صانع
فشالت نقاب الحسن من فوق وجهها * فسالت من الطرف الكحيل مدامع
وقالت الهي كن عليه خليفة * فيارب ماخابت لديك الودائع

(وقال آخر) ياراحلا وجميل الصبر يتبعه * هل من سبيل الى لقياك يتفق
ما أنصفتك دموعي وهي دامية * ولا وفى لك قلبي وهو يحترق

(قال البغدادى) قالت وقد نالها للبين أوجعه * والبين صعب على الاحباب موقعه
اجعل يديك على قلبي فقد ضعفت * قواه عن حمل مافيه وأضعه
واعطف على المطايا ساعة فعسى * من شتت شمل الهوى بالبين يجمعه
كأننى يوم ولت حسرة وأسى * غريق بحر يرى الشاطى ويمنعه

(وقال ابن البديرى)

قفا حاد بي ليلى فاني وامق * ولا تعجلا يوما على من يفارق * وزما مطاياها قبيل مسيرها
ليلتذ منها بالسترود عاشق * ولا تزجروا بالسوق أظعان عيسها * فان حبيبي للظعائن سائق

ولما التقينا والغرام يذيبنا * ونحن كلانا في التفكر غارق
وقفنا ودمع العين يحجب بيننا * تسارقني في نظرة وأسارق
فلا تسألا ماحل بالبين بيننا * ولا تعجبا أنا مشوق وشائق

وقال أيضا تذكرت ليلى حين شط مزارها * وعادت منازلها خليات بلقع

أبدى الجحود ولم يرد الى ـ علوى تتر
واليت آل أمية الـ ـطهر الميامين الغرر
وجحدت بيعة حيدر ـ وعدلت عنه الى عمر * واذا جرى ذكر الصحا ـ بة بين قوم واشتهر
قلت المقدم شيخ تيـ ـم ثم صاحبه عمر
ماسل قط ظباه على * آل النبي ولاشهر
كلا ولاصد البتو ـ ل عن التراث ولازجر
وأثابها الحسنى وما ـ شق الكتاب ولابقر
وبكيت عثمان الشهيـ ـد بكاء نسوان الحضر
وشرحت حسن صلاته ـ جنح الظلام المعتكر
وقرأت من أوراق مصـ ـحفه البراءة والزمر
ورثيت طلحة والزبيـ ـر بكل شعر مبتكر
وأزور قبرهما وأز ـ جر من لحاني أوزجر
وأقول أم المؤمنيـ ـن عقوقها احدى الكبر
ركبت على جمل لتصـ ـلح من بنيها ما انتشر
وأتت لتصلح بين جيـ ـش المسلمين على غرر
فأتى أبو حسن وسلـ ـل حسامه وسطا وكر
وأذاق اخوته الردى ـ وبعير أمهم عقر
ماضره لو كان كف ـ وعف عنهم اذقدر
وأقول ان امامكم ـ ولى بصفين وفر
وأقول ان أخطا معا ـ وية فما أخطا القدر
هذا ولم يغدر معا ـ وية ولاعمرو مكر
بطل بسوأته يقا ـ تل لابصارمه الذكر

بكيت عليها والقنا يقرع القنا * وسمر العوالى للمنايا تشرع * وخالفت لوامى عليها وعذلى
وحالفت سهدى والخليون هجع * ولم أستطع يوم النوى رد عبرة * فؤادى أسى من حرها يتقطع

فقال خليلى اذ رأى الدمع دائما * يفيض دما من مقلتى ليس يدفع
لئن كان هذا الدمع يجرى صبابة * على غير ليلى فهو دمع مضيع

(وقال آخر) مددت الى التوديع كفا ضعيفة * وأخرى على الرمضاء فرق فؤادى
فلا كان هذا آخر العهد منكمو * ولا كان ذا التوديع آخر زادى

(وقال آخر) ولما وقفنا للوداع عشية * وطرفى وقلبى دامع وخفوق
بكيت فاضحكت الوشاة شماتة * كأنى سحاب والوشاة بروق

﴿ولمؤلفه رحمه الله تعالى﴾

ياسادة فى سويد القلب مسكنهم * وفى منامى أرى أنى أعانقهم
أوحشتمونا وعز الصبر بعدكمو * يامن يعز علينا أن نفارقهم

(وقال آخر) لوأن مالك عالم بذرى الهوى * ومحله من أضلع العشاق
ماعذب العشاق الا بالهوى * واذا استغاثوا غاثهم بفراق

﴿وقال ابن الوردى﴾

دهرنا أضحى ضنينا * باللقا حتى ضنينا * ياليالى الوصل عودى * اجمعينا أجمعينا

﴿وقال الشريف الرضى﴾

عللانى بذكرهم واسقيانى * وامزجا لى دمعى بكاس دهاق
وخذا النوم من جفونى فانى * قد خلعت الكرى على العشاق

﴿وقال آخر عند ذلك﴾

قالوا أترقد اذ غبنا فقلت لهم * نعم وأشفق من دمعى على بصرى
ماحق طرف هدانى نحو حسنكمو * أنى أعذبه بالدمع والسهر

(وقال الموصلى) فسدت لطول بعادكم أحلامنا * وعقولنا وجفا الجفون منام
والطيف قد وعد الجفون بزورة * ياحبذا ان صحت الأحلام

﴿ومما قيل فى البكاء﴾ قال الشاعر

رجوت طيف خياله * وكيف لى بهجوع * والذاريات جفونى * والمرسلات دموعى

(وقال آخر) ارحم رحمت للوعتى * وابعث خيالك فى الكرى
ودموع عينى لاتسل * عن حالها ياماجرى

(وقال آخر) ان عينى مذ غاب شخصك عنها * يأمر السهد فى كراها وينهى
بدموع كأنهن الغوادى * لاتسل ماجرى على الخد منها

(وقال آخر) ياقلب صبرا على الفراق ولو * روعت عمن تحب بالبين
وأنت يادمع ان ظهرت بما * يخفيه من قلبى سقطت من عينى

(وقال آخر) خاض العواذل فى حديث مدامعى * لما غدا كالبحر سرعة سيره
فحبسته لاصون سرهوا كموا * حتى يخوضوا فى حديث غيره

وقال ابن المواز رحت يوم الفراق أجرى دموعى * حسرة اذ قضى الفراق ببينى
قيل كم ذا تجرى دموعك نعمى * أوقف الدمع قلت من بعد عينى

(وقال آخر) لما لبست لبعده ثوب الضنى * وغدوت من ثوب اصطبارى عاريا
أجريت وقف مدامعى من بعده * وجعلته وقفا عليه جاريا

(وقال آخر) ولم أر مثلى فار من طول ليله * عليه كأن الليل يعشقه دمعى
ومازلت أبكى فى دجى الليل صبوة * من الوجد حتى ابيض من فيض أدمعى

وجئيت من رطب النوا
صب ماتمر واختمر
وأقول ذنب الخارجيـ
ـن على على مغتفر
لا ثار لقتالهم
فى النهروان ولا أثر
والا شعرى بما يقو
ل اليه أمرهما شعر
قال انصبوا الى منبرا
فانا البرئ من الخطر
فعلا وقال خلعت صا
حبكم وأوجز واختصر
وأقول ان يزيدما
شرب الخمور ولا فجر
والجيشه بالكف عن
أبناء فاطمة أمر
والشمر ماقتل الحسـ
ـين ولا ابن سعد ماغدر
وحلقت فى عشر المحر
رم مااستطال من الشعر
ونويت صوم نهاره
وصيام أيام أخر
ولبست فيه أجل ثو
ب للملابس يدخر
وسهرت فى طبخ الحبو
ب من العشاء الى السحر
وغدوت مكتحلا أصا
فح من لقيت من البشر
ووقفت فى وسط الطر
ق أقص شارب من عبر
وأكلت جرجير البقو
ل بلحم جوفى الجفر
وجعلتها خير المآ
كل والفواكه والخضر
وغسلت رجلى كلها
ومسحت خفى فى السفر
وأمين أجهر فى الصلا
ة كمن بها قبلى جهر
وأسن تسنيم القبو
ر لكل قبر يحتفر
واذا جرى ذكر الغديـ
ـر أقول ماصح الخبر
وسكنت جلق واقتديـ
ـت بهم وان كانوا بقر

(وقال الموصلي) عيـن أفاضت دموعي * لطول صد وبين
ووجنة الخد قالت * رأيت غسلي بعيني

(وقال آخر) وما فارقت ليلى من مراد * ولكن شقوة بلغت مداها
بكيت نعم بكيت وكل الف * اذا بانت حبيبته بكاها

وفي بعض الكتب السماوية ان مما عاقبت به عبادي أن ابتليتهم بفراق الاحبة

﴿ومما جاء في الحنين الى الوطن﴾ أما محبة الوطن فمستولية على الطباع مستدعية أشد الشوق اليها روى ان ابان قدم على النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا ابان كيف تركت مكة قال تركت الاذخر وقد أعذق والثمام وقد أورق فاغرورقت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بلال رضي الله تعالى عنه

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة * بواد وحولي اذخر وجليل
وهل أردن يوما مياه مجنة * وهل يبدون لي شامة وطفيل

وقيل من علامة الرشد أن تكون النفس الى بلدها تواقة والى مسقط رأسها مشتاقة ﴿ومن حب الوطن﴾ ما حكي أن سيدنا يوسف عليه الصلاة والسلام أوصى بان يحمل تابوته الى مقابر آبائه فمنع أهل مصر أولياءه من ذلك فلما بعث موسى عليه الصلاة والسلام وأهلك الله تعالى فرعون لعنه الله حمله موسى الى مقابر آبائه فقبره بالارض المقدسة * وأوصى الاسكندر رحمه الله تعالى أن تحمل رمته في تابوت من ذهب الى بلاد الروم حبا لوطنه * واعتل سابور ذو الاكتاف وكان أسيرا ببلاد الروم فقالت له بنت الملك وكانت قد عشقته ما تشتهي قال شربة من ماء دجلة وشميما من تراب اصطخر فأتته بعد أيام بشربة من ماء وقبضة من تراب وقالت له هذا من ماء دجلة ومن تربة أرضك فشرب واشتم بالوهم فنفعه من علته وقال الجاحظ كان النفر في زمن البرامكة اذا سافر أحدهم أخذ معه من تربة أرضه في جراب يتداوى به وما أحسن ما قال بعضهم

بلاد ألفناها على كل حالة * وقد يؤلف الشيء الذي ليس بالحسن
وتستعذب الارض التي لا هوى بها * ولا ماؤها عذب ولكنها وطن

ووصف بعضهم بلاد الهند فقال بحرها در وجبالها ياقوت وشجرها عود وورقها عطر وقال عبد الله بن سليمان في نهاوند أرضها مسك وترابها الزعفران وثمارها الفاكهة وحيطانها الشهد وقال الحجاج لعامله على أصبهان وقد وليتك على بلدة حجرها الكحل وذبابها النحل وحشيشها الزعفران وكان يقال البصرة خزانة العرب وقبة الاسلام لانتقال قبائل العرب اليها واتخاذ المسلمين بها وطنا ومركزا وكان أبو اسحق الزجاج يقول بغداد حاضرة الدنيا وما سواها بادية وأنا أقول مصر كنانة الله في أرضه والسلام

﴿ومما جاء في ذم السفر﴾ قيل لرجل السفر قطعة من العذاب فقال بل العذاب قطعة من السفر وقال بعضهم

كل العذاب قطعة من السفر * يا رب فارددنا على خير الحضر

وقيل لاعرابي ما الغبطة قال الكفاية مع لزوم الاوطان ومر اياس بن معاوية بمكان فقال أسمع صوت كلب غريب فقيل له بم عرفت ذلك قال بخضوع صوته وشدة نباح غيره وأراد اعرابي السفر فقال لامرأته

عدي السنين لغيبتي وتصبري * وذري الشهور فانهن قصار

(فأجابته) فاذكر صبابتنا اليك وشوقنا * وارحم بناتك انهن صغار

فأقام وترك السفر ويقال رب ملازم لمهنته فاز ببغيته (وقال ابن الهيثم)

لعمرك ما ضاقت بلاد بأهلها * ولكن أخلاق الرجال تضيق

وفيما ذكرته كفاية وأسأل الله التوفيق والهداية وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب الحادي والخمسون في ذكر الغنى وحب المال والافتخار بجمعه﴾

قال الله تعالى المال والبنون زينة الحياة الدنيا وقيل الفقر رأس كل بلاء وداعية الى مقت الناس وهو مع ذلك مسلبة للمروأة مذهبة للحياء فمتى نزل الفقر بالرجل لم يجد بدا من ترك الحياء ومن فقد حياءه فقد مروأته ومن فقد مروأته مقت ومن مقت ازدري به ومن صار كذلك كان كلامه عليه لا له وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انك ان تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس وفي الحديث لا خير فيمن

وأقول مثل مقالهم
بالفاشر يا قد فشر
مصطبتي مكسورة
وفطيرتي فيها قصر
بقرتي برنيسهم
طيش الظليم اذا نفر
وخفيفهم مستثقل
وصواب قولهم هذر
وطباعهم كجبالهم
خبثت وقدت من حجر
ما يدرك التشبيه تغ
ريد البلابل في السحر
وأقول في يوم تحا
ر له البصائر والبصر
والصحف ينشر طيها
والنار ترمي بالشرر
هذا الشريف أضلني
بعد الهداية والنظر
مالي مضل في الورى الا الشر
يف أبو مضر
فيقال خذ بيد الشري
ف فمستقر كما سقر
لواحة تسطو فما * تبقي عليه ولا تذر
والله يغفر للمسي
ء اذا تنصل واعتذر
فاخش الاله بسوءه
للشوا حتذر كل الحذر
واليك ابديه * رقت لرقتها الحضر
شامية لو شامها
قس الفصاحة لافتخر
ودري وأيقن انني * بحر وألفاظي درر
حبرتها فغدت كزهـ
ـر الروض باكره المطر
والى الشريف بعثتها
لما قراها وانسبر
رد الغلام وما استمر
وعلى الجحود ولا أصر
وأتانى وجزيته
شكرا وقال لقد صبر

﴿ومن لطائف المنقول﴾ ما نقله الشيخ الامام العالم العلامة الحبر زين الدين أبو حفص عمر ابن الوردي رحمه الله تعالى لما دخل دمشق

لا يحب المال ليصل به رحمه و يؤدى به أمانته ويستغنى به عن خلق ربه وقال على كرم الله تعالى وجهه الفقر الموت الاكبر وقد استعاذ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكفر والفقر وعذاب القبر وقيل من حفظ دنياه حفظ الاكرمين دينه وعرضه قال الشاعر

لا تلمنى اذا وقيت الاواقى * بالأواقى الماء وجهى واقى

وقال لقمان لابنه يابنى أكلت الحنظل وذقت الصبر فلم أر شيأ أمر من الفقر فان افتقرت فلا تحدث به الناس كيلا ينتقصوك ولكن اسأل الله تعالى من فضله فمن ذا الذى سأل الله فلم يعطه أو دعاه فلم يجبه أو تضرع اليه فلم يكشف ما به وكان العباس رضى الله تعالى عنه يقول الناس لصاحب المال ألزم من الشعاع للشمس وهو عندهم أعذب من الماء وأرفع من السماء وأحلى من الشهد وأزكى من الورد خطؤه صواب وسيآته حسنات وقوله مقبول يرفع مجلسه ولا يمل حديثه والمفلس عند الناس أكذب من لمعان السراب وأثقل من الرصاص لايسلم عليه ان قدم ولا يسئل عليه ان غاب ان حضر ازدروه وان غاب شتموه وان غضب صفعوه مصافحته تنقض الوضوء وقراءته تقطع الصلاة وقال بعضهم طلبت الراحة لنفسى فلم أجدلها أروح من ترك مالا يعنيها وتوحشت فى البرية فلم أر وحشة أقر من قرين السوء وشهدت الزحوف وغالبت الاقران فلم أر قرينا أغلب للرجل من المرأة السوء ونظرت الى كل ما يذل القوى ويكسره فلم أر شيأ أذل له ولا أكسر من الفاقة قال الشاعر

وكل مقل حين يغدو لحاجة * الى كل ما يلاقى من الناس مذنب
وكانت بنو عمى يقولون مرحبا * فلما رأونى معدما مات مرحب

(وقال آخر) المال يرفع سقفا لا عماد له * والفقر يهدم بيت العز والشرف

(وقال آخر) جروح الليالى مالهن طبيب * وعيش الفتى بالفقر ليس يطيب
وحسبك أن المرء فى حال فقره * تحمقه الاقوام وهو لبيب * ومن يغترر بالحادثات وصرفها
يبت وهو مغلوب الفؤاد سليب * وما ضرنى ان قال أخطأت جاهل * اذا قال كل الناس أنت مصيب

(وقال آخر) الفقر يزرى بأقوام ذوى حسب * وقد يسود غير السيد المال

(وقال آخر) لعمرك ان المال قد يجعل الفتى * سنيا وان الفقر بالمرء قد يزرى
ومارفع النفس الدنيئة كالغنى * ولا وضع النفس النفيسة كالفقر

(وقال آخر) اذا قل مال المرء لانت قناته * وهان على الادنى فكيف الاباعد

(وقال ابن الأحنف) يمشى الفقير وكل شئ ضده * والناس تغلق دونه أبوابها
وتراه مبغوضا وليس بمذنب * ويرى العداوة لايرى أسبابها * حتى الكلاب اذا رأت ذا ثروة
خضعت لديه وحركت أذنابها * واذا رأت يوما فقيرا عابرا * نبحت عليه وكشرت أنيابها

(وقال آخر) فقر الفتى يذهب أنواره * مثل اصفرار الشمس عند المغيب
والله ما الانسان فى قومه * اذا بلى بالفقر الا غريب

(وقال آخر) ان الدراهم فى المواطن كلها * تكسو الرجال مهابة وجمالا
فهى اللسان لمن أراد فصاحة * وهى السلاح لمن أراد قتالا

(وقال آخر) ما الناس الامع الدنيا وصاحبها * فكلما انقلبت يوما به انقلبوا
يعظمون أخا الدنيا فان وثبت * يوما عليه بمالا يشتهى وثبوا

وقال بعض الفرس من زعم انه لايحب المال فهو عندى كذاب

(وقال الكتانى) أصبحت الدنيا لنا عبرة * فالحمد لله على ذلكا
قد أجمع الناس على ذمها * وما أرى منهم لها تاركا

(وقال الزمخشرى) واذا رأيت صعوبة فى مطلب * فاحمل صعوبته على الدينار
وابعثه فيما تشتهيه فانه * حجر يلين قوة الاحجار

قال الثورى رحمه الله تعالى لان أخلف عشرة آلاف درهم يحاسبنى الله عليها أحب الى من أن أحتاج الى لئيم

المحروسة فى أيام قاضى القضاة نجم الدين بن مصرى الشافعى تغمده الله برحمته ورضوانه فأجلسه فى صفة الشهود المعروفة بالشباك وكان الشيخ زين الدين يلبس زى أهل المعرة فاستزراه الشهود فحضر كتاب مشترى فقال بعضهم أعطوا المعرى يكتبه فقال الشيخ زين الدين ترسمون أكتبه نظما أو نثرا فزاد استهزاؤهم فقالوا نظما فأخذ القرطاس وكتب

بسم الله الخالق هذا ما اشترى
محمد بن يونس بن سنقرا
من مالك بن أحمد بن الازرق
كلاهما قد عرفا من جلق
فباعه قطعة أرض واقعه
بكورة الغوطة وهى جامعة
لشجر مختلف الأجناس
والأرض فى البيع مع الغراس
وذرع هذى الأرض بالذراع
عشرون فى الطول بلا نزاع
وذرعها فى العرض أيضا عشره
وهى ذراع باليد المعتبره
وحدها من قبلة ملك التقى
وحائز الرومى حد المشرق
ومن شمال ملك أولاد على
والغرب ملك عامل بن جهبل
وهذه تعرف من قديم
بانها قطعة بيت الرومى
بيعا صحيحا لازما شرعيا
ثم شراء قاطعا مرعيا
بثمن مبلغه من فضه
وازنة جيدة مبيضه
جارية للناس فى المعامله
ألفان منها النصف ألف كامله
قبضها البائع منه وافيه
فعادت الذمة منه خاليه
وسلم الارض الى من اشترى
فقبض القطعة منه وجرى
بينهما بالبدن التفرق
طوعا فما لاحد تعلق
ثم ضمان الدرك المشهور
فيه على بائعه المذكور

وفى هذا المعنى قال الشاعر

احفظ عرى مالك تحظى به * ولا تفرط فيه تبقى ذليل * وان يقولوا باخل بالعطا

فالبخل خير من سؤال البخيل * واحفظ على نفسك من زلة * يرى عزيز القوم فيها ذليل

﴿وأما ما جاء فى الاحتراز على الاموال﴾

فقد قالوا ينبغى لصاحب المال أن يحترز ويحتفظ عليه من المطمعين والمبرطحين والمحترفين الموهمين والمتنمسين ﴿فاما المطمعون﴾ فهم الذين يتلقون أصحاب الاموال بالبشر والاكرام والتحية والاعظام الى أن يأنسوا بهم ويعرفونهم بالمشاهدة ورعاقضوا ما قدروا عليه من حوائجهم الى أن يألفوهم ويحصل بينهم سبب الصداقة ثم ان أحدهم يذكر لصاحب المال فى معرض المقال انه كسب فائدة كثيرة فى معيشته ثم يمشى معه فى الحديث الى أن يقول انى فكرت فيما عليك من المؤن والنفقات وهذا أمر يعود ضرره فى المستقبل ان لم تساعد بالمكاسب وغرضى التقرب اليك ونصحك وخدمتك وأريد أن أوجه اليك فائدة من المتجر بشرط أن لا أضع يدى لك على مال بل يكون مالك تحت يدك أو تحت يد أحد من جهتك ويخرج له فى صفة الناصحين المشفقين فاذا أجابه الى ذلك كان أمره معه على قسمين ان ائتمنه وجعل المال بيده أعطاه اليسير منه على صفة أنه من الربح وطاول به الأوقات ودفع اليه فى المدة الطويلة الشئ اليسير من ماله ثم يحتج عليه ببعض الآفات ويدعى الخسارة فان لزمه صاحب المال قابحه وبرطل من جملة المال صاحب جاه فيدفعه ويقول هذا رابانى فان روى صاحب المال وفق بينهما على أن يكتب عليه ببقية المال وثيقة فلا يستوفى ما فيها الا فى الآخرة وان هو لم يأتمنه وعول أن يكون القبض بيده والمتاع مخزونا لديه واطأ عليه البائعين والمشترين وحصل لنفسه وعمل ما يقول فيه فان حصل لصاحب المال أدنى ربح أوهمه أن مفاتيح الأرزاق بيده وان كسد المشترى أو رخص أحال الأمر على الاقدار وقال ليس لى علم بالغيب * ومن أشد المطمعين المتعرضون لصنعة الكيمياء وهم الطماعون المطمعون فى عمل الذهب والفضة من غير معدنهما فيجب أن يحذر التقرب منهم والاستماع لهم فى شئ من حديثهم فان كذبهم ظاهر وذلك أنهم يوهمون الغير أنهم ينيلونهم خيرا ويطلعونهم على صنعتهم ابتداء منهم لا لحاجة وهذا يستحيل ويحتجون بأن ما يلجئهم الى ذلك الاعدام الامكان وتعذر المكان فمنهم من يكون شوقه الى أن يدخل الى المكان ويترك عنده عدة لهاقيمة فيأخذها ويتسحب ومنهم من يشترط أن عمله لا ينتهى الى مدة فيقنع فى تلك المدة بالأكل غدوة وعشية وسبيله بعد ذلك ان كان معروفا قال فسد على العمل من جهة كيت وكيت ويقول للذى ينفق عليه هل لك فى المعاودة فان حمله الطمع ووافقه كان هذا له أتم غرض ثم يحتال آخر المدة على الفراق بأى سبب كان وان كان منكورا غافل صاحب المكان وخرج هاربا * ومن المطمعين قوم يجعلون فى الجبال أمارات من ردم وحجر ويأتون الى أصحاب الاموال يقولون انا نعرف علم كنز فيه من الامارات كيت وكيت ثم يوقفونهم على ورقة متصنعة ويقولون نريد أن تأخذ لنا عدة وتنفق علينا ومهما حصل من فضل الله تعالى لنا ولك فيوافقهم على ذلك ويوطن نفسه على أن المدة تكون قريبة فيعملون يوما ويومين فيظهر لهم أكثر الامارات فيزداد طمعا ويعتقد الصحة ثم يدرجونه الى أن ينفق عليهم ما شاء الله تعالى ويكون آخر أمرهم كصاحب الكيمياء وان كانوا منكورين ورغبتهم الطمعة فى قماشه أو فى العدة التى معه فربما قتلوه هنالك لأجل ذلك ومضوا فهذا أمر المطمعين (وأما أمر المبرطحين) فهم من الخونة والناس بهم أكثر غررا وذلك أنهم اذا ندب صاحب المال أحدا منهم لشراء حاجة سارع واحتاط فى جودتها وتوفير كيلها أو وزنها أو ذرعها ووضع من أصل ثمنها شيئا أو زنه من عنده سرا حتى يبيض وجهه عند صاحب المال ويعتقد نصحه وأمانته ونجح مساعيه وكذلك ان ندبه لشئ يبيعه استظهر واستجاد النقد ولا يزال هكذا دأبه حتى يلقى مقاليد أموره اليه فيستعطفه ويفوز به ثم يغير الحال الأول فى الباطن فينبغى لصاحب المال أن لا يغفل عنه (وأما المحترفون الموهمون) فهم الذين يتعرضون لذوى الاموال فيظهرون لهم الغنى والكفاية ويباسطونهم مباسطة الاصدقاء ويعتمدون جودة اللباس ويستعملون كثيرا من الطيب ثم ان أحدهم يذكر أنه يربح الارباح العظيمة فيما يعانيه ويذكر ذلك مع الغير ولا يزال كذلك حتى يثبت ويستقر فى ذهن صاحب المال انه يكتسب فى كل سنة الجمل الكثيرة من المال وانه لا يبالى اذا أنفق أو أكل أو شرب فتشره نفس صاحب المال لذلك

فيقول

وأشهدا عليهما بذلك فى

رابع عشر رمضان الاشرف

من عام سبعمائة وعشرة

من بعد خمس تلوها الهجره

والحمد لله وصلى ربى

على النبى وآله والصحب

يشهد بالمضمون من هذا عمر

ابن المظفر المعرى اذ حضر

فلما فرغ الشيخ زين الدين وتأمل

الجماعة سرعة بديهته مع استيعاب

الشروط الشرعية اعترفوا بفضله

واعتذروا اليه لما علموا انه ابن

الوردى وأجلسوه فى الصدر

ولكنهم عجزوا عن رسم الشهادة

نظما وسألوه ذلك فكتب عن

شخص منهم الى جانبه يدعى ابن

رسول

قد حضر العقد لذاك أحمد

ابن رسول وبذاك يشهد

﴿تحفة من فوائد كتاب الانشاء﴾

قال عبد الحميد كاتب مروان آخر

ملوك بنى أمية لو كان الوحى ينزل

على أحد بعد الانبياء لنزل على

كتاب الانشاء وقال البلاغة هى

مارضيته الخاصة وفهمته العامة

ومن كلامه خير الكلام ما كان

لفظه فحلا ومعناه بكرا (اسمعيل بن صبيح

كاتب الرشيد) كتب الى يحيى بن

خالد فى شكر ما تقدم من احسانك

شاغل عن استبطاء ما تأخر منه

جمع من الشكر والاستزادة

بابلغ عبارة وأوجز (عمرو بن

مسعدة كاتب المأمون) كتب اليه

كتابى هذا وأجناد أمير المؤمنين

على أحسن ما تكون عليه طاعة

جند تأخرت أرزاقهم واختلت

أحوالهم فقال المأمون لأحمد بن

يوسف لله در عمرو ما أبلغه ألا ترى

الى ادماجه المسئلة فى الأخبار

واعفائه من الاكثار (ابراهيم

الصولى كاتب المعتصم والواثق

والمتوكل) كان يقول التصفح

للكتاب أبصر بمواقع الخلل من

فيقول له على سبيل المداعبة يافلان تريد الدنيا كلها لنفسك لم لا تشركنا في متاجرك هذه وأرباحك فيقول له أنت جبان يعز عليك اخراج الدينار وتظن انك ان أظهرته خطف منك ولا تدري انه مثل البازي ان أرسلته أكل وأطعمك وان أمسكته لم يصد شيأ واحتجت الى أن تطعمه والامات وأنا والله لو كان عندي علم انك تنبسط لهذا كنت فعلت معك خيرا كثيرا ولكن ما كان الا هكذا وما كان لا كلام فيه والعمل في المستأنف فيشكره صاحب المال ويسأله أخذ المال فيمطله بتسليمه فيزداد فيه رغبة الى أن يسلمه اليه فيكون حاله كحال المطمع اذا صار المال تحت يده (وأما المتمسون) فهم أهل الرياء المظهرون التعفف والنسك ومجانبة الحرام ومواظبة الصلاة والصيام لكي يشتهر ذكرهم عند الخاص والعام ثم يلقون ذوي الاموال بالبشر والاكرام والتلطف في المقال ويمشون الى أبواب الملوك على صفة التهاني بالاعياد وربما يأتي معه بأحد من الاولاد ويظهرون النزاهة والغنى ويجعلون الدين سلما الى الدنيا وأكثر أغراضهم أن تودع عندهم الاموال وتفوض اليهم الوصايا ويجلهم العوام وتقبل شهادتهم الحكام وتندبهم الملوك الى الوصايا والاموال وهؤلاء أشر من اللصوص والقطاع وذلك أن شهرة اللصوص والقطاع تدعو الى الاحتراز منهم وتشبه هؤلاء بأهل الخير يحمل الناس على الاغترار بهم قال الشاعر

صلى وصام لامر كان أمله * حتى حواه فما صلى ولا صاما

وقيل لا فقير أفقر من غني يأمن الفقر قال الشاعر

ألم تر أن الفقر يرجى له الغنى * وأن الغني يخشى عليه من الفقر

وأوصى بعض الحكماء ولده فقال يابني عليك بطلب العلم وجمع المال فان الناس طائفتان خاصة وعامة فالخاصة تكرمك للعلم والعامة تكرمك للمال وقال بعض الحكماء اذا افتقر الرجل اتهمه من كان به واثقا وأساء به الظن من كان ظنه به حسنا ومن نزل به الفقر والفاقة لم يجد بدا من ترك الحياء ومن ذهب حياؤه ذهب بهاؤه وما من خلة هي للغنى مدح الا وهي للفقير عيب فان كان شجاعا سمي أهوج وان كان مؤثرا سمي مفسدا وان كان حليما سمي ضعيفا وان كان وقورا سمي بليدا وان كان لسنا سمي مهذارا وان كان صموتا سمي عييا

قال ابن كثير

الناس اتباع من دامت له نعم * والويل للمرء ان زلت به القدم

المال زين ومن قلت دراهمه * حي كمن مات الا انه صنم

لما رأيت اخلائي وخالصتي * والكل مستتر عني ومحتشم

أبدوا جفاء واعراضا فقلت لهم * أذنبت ذنبا فقالوا ذنبك العدم

وكان ابن مقلة وزيرا لبعض الخلفاء فزور عنه يهودي كتابا الى بلاد الكفار وضمنه أمورا من أسرار الدولة ثم تحيل اليهودي الى أن وصل الكتاب الى الخليفة فوقف عليه وكان عند ابن مقلة حظية هويت هذا اليهودي فاعطته درجا بخطه فلم يزل يجتهد حتى حاكى خطه ذلك الخط الذي كان في الدرج فلما قرأ الخليفة الكتاب أمر بقطع يد ابن مقلة وكان ذلك يوم عرفة وقد لبس خلعة العيد ومضى الى داره وفي موكبه كل من في الدولة فلما قطعت يده وأصبح يوم العيد لم يأت أحد اليه ولا توجع له ثم اتضحت القضية في أثناء النهار للخليفة انها من جهة اليهودي والجارية فقتلهما شر قتلة ثم أرسل الى ابن مقلة أموالا كثيرة وخلعا سنية وندم على فعله واعتذر اليه فكتب ابن مقلة على باب داره يقول

تحالف الناس والزمان * فحيث كان الزمان كانوا

عاداني الدهر نصف يوم * فانكشف الناس لي وبانوا

أيها المعرضون عني * عودوا فقد عاد لي الزمان

(ثم أقام بقية عمره يكتب بيده اليسرى قال بعضهم

انما قوة الظهور النقود * وبها يكمل الفتى ويسود

كم كريم أزرى به الدهر يوما * ولئيم تسعى اليه الوفود

والاطباء يعلمون أمراضا من علاجها اللعب بالدينار وشرب الأدوية والمساليق التي يغلى فيها الذهب قال الشاعر

احرص على الدرهم والعين * تسلم من العيلة والدين

فقوة العين بانسانها * وقوة الانسان بالعين

(واعلم) أن القلب عمود البدن فاذا قوي القلب قوي سائر البدن وليس له قوة أشد من المال وبالضد اذا

منشئه وكان يقول الخبز ليونته والطبيخ لساعته والنبيذ لسنته (ومن بديع نثره) ما كتبه عن أمير المؤمنين الى بعض الخارجين يتهددهم ويتوعدهم أما بعد فان لأمير المؤمنين أناة فان لم تغن عقب بعدها وعيدا فان لم يغن أغنت عزائمه والسلام * وهذا الكلام وجازته في غاية الابداع وينشأ منه بيت شعر وهو

أناة فان لم تغن عقب بعدها
وعيدا فان لم يغن أغنت عزائمه

(وكان) يقول ما اتكلت في مكاتبتي الا على ما يتخيله خاطري ويجلس في صدري الاقولي وصارما يحرزهم يبرزهم وما كان يعقلهم يعتقلهم وقولي من أحرى فانزلوه من معقل الى عقال ويدلوه آجالا من آمال فاني ألممته بقولي آجالا من امال بقول مسلم بن الوليد الانصاري المعروف بصريع الغواني

موف على مهج في يوم ذي وهج
كأنه أجل يسعى الى أمل

وفي المعقل والعقال بقول أبي تمام

فان باشر الاصحار فالبيض والقنا
قراه وأحواض المنايا مناهله
وان تبن حيطانا عليه فانما
أولئك عقالاته لا معاقله
والا فاعلمه بانك ساخط
عليه فان الخوف لا شك قاتله

(ومن رقيق شعره) وحين أحضر لمناظرته أحمد بن المدبر فقال ارتجالا

صد عني وصدق الاقوالا
وأطاع الوشاة والعذالا
أتراه يكون شهر صدود
وعلى وجهه رأيت الهلالا

فطرب المتوكل واهتز وخلع عليه (ومن رقيق شعره أيضا قوله)

دنت بأناس عن تناء زيارة
وشط بليلى عن دنو مزارها
وان مقيمات بمنعرج اللوى
لاقرب من ليلى وهاتيك دارها

(الحسن بن وهب سئل عن مبيتسه

ضعف من الفقر ضعف له البدن (وحكى) ان ملكا رأى شيخا قد وثب وثبة عظيمة على نهر فتخطاه والشاب يعجز عن ذلك فعجب منه فاستحضره فحادثه فى ذلك فاراه ألف دينار مربوطة على وسطه وقال لقمان لابنه يا بنى شيئان اذا أنت حفظتهما لا تبالى بما صنعت بعدهما دينك لمعادك ودرهمك لمعاشك والكلام فى هذا المعنى كثير وقد اقتصرت منه على النزر اليسير وقد كان فى الناس من يتظاهر بالغنى ويراه مروأة وفخرا (فمن ذلك) ما حكى عن أحمد بن طولون أنه دخل يوما بعض بساتينه فرأى النرجس وقد تفتح زهره فاستحسنه فدعا بغدائه فتغدى ثم دعا بشرابه فشرب فلما انتشى قال على بألف مثقال من المسك فنثره على أوراق النرجس * ولنذكر الآن نبذة من الذخائر والتحف (حكى) الرشيد بن الزبير فى كتابه الملقب بالعجائب والظرف أن أبا الوليد ذكر فى كتابه المعروف بأخبار مكة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة عام الفتح فى سنة ثمان من الهجرة وجد فى الجب الذى كان فى الكعبة سبعين ألف أوقية من الذهب مما كان يهدى للبيت قيمتها ألف ألف وتسعمائة ألف وتسعون ألف دينار وباع زهرة التميمى يوم القادسية منطقة كان قتل صاحبها بثمانين ألف دينار ولبس سلبه وقيمته خمسمائة ألف وخمسون ألفا وأصاب رجل يوم القادسية راية كسرى فعوض عنها ثلاثين ألف دينار وكانت قيمتها ألف ألف دينار ومائتى ألف ووجد المستورد بن ربيعة يوم القادسية ابريق ذهب مرصعا بالجوهر فلم يدر أحد ما قيمته فقال رجل من الفرس أنا آخذه بعشرة آلاف دينار ولم يعرف قيمته فذهب به الى سعد بن أبى وقاص فأعطاه اياه وقال لا تبعه الا بعشرة آلاف دينار فباعه سعد بمائة ألف دينار ولما أتت الترك الى عبد الله بن زياد بخارى فى سنة أربع وخمسين كان مع ملكهم امرأته خاتون فلما هزمهم الله تعالى أعجلوها عن لبس خفها فلبست احدى فردتيه ونسيت الأخرى فأصابها المسلمون فقومت بمائتى ألف دينار ولما فتح قتيبة بن مسلم بخارى فى سنة تسع وثمانين وجد فيها قدور ذهب ينزل اليها بسلالم * ودفع مصعب بن الزبير حين أحس بالقتل الى زياد مولاه فصا من ياقوت أحمر وقال له انج به وكان قد قوم ذلك الفص بألف ألف درهم فأخذه زياد ورضه بين حجرين وقال والله لا ينتفع به أحد بعد مصعب * وذكر مصعب بن الزبير أن بعض عمال خراسان فى ولايته ظهر على كنز وجد فيه حلة كانت لبعض الأكاسرة مصوغة من الذهب مرصعة بالدر والجوهر والياقوت الأحمر والأصفر والزبرجد فحملها الى مصعب بن الزبير فخرج من قومها فبلغت قيمتها ألفى ألف دينار فقال الى من أدفعها فقيل الى نسائك وأهلك فقال لا بل الى رجل قدم عندنا يدا وأولانا جميلا ادع لى عبد الله بن أبى در يد فدفعها اليه (ولما) صار موجود عماد الدولة فى قبضة أمير الجيوش وجد فى جملته دملج ذهب فيه جوهرة حمراء كالبيضة وزنها سبعة عشر مثقالا فأنفذها أمير الجيوش الى المستنصر فقومت بتسعين ألف دينار ووجد فى بستان العباس بن الحسن الوزير مما أعده من آلة الشرب يوم قتل سبعمائة صينية من ذهب وفضة ووجد له مائة ألف مثقال عنبر * وترك هشام بن عبد الملك بعد موته اثنى عشر ألف قميص وشى وعشرة آلاف تكة حرير وحملت كسوته لما حج على سبعمائة جمل وترك بعد وفاته احد عشر ألف ألف دينار ولم تأت دولة بنى العباس الا وجميع أولاده فقراء لا مال لواحد منهم و بين الدولة العباسية ووفاة هشام سبع سنين (ولما) قتل الأفضل بن أمير الجيوش فى شهر رمضان سنة خمس عشرة وخمسمائة خلف بعده مائة ألف ألف دينار ومن الدراهم مائة وخمسين أردبا وخمسة وسبعين ألف ثوب ديباج ودواة من الذهب قوم ما عليها من الجواهر واليواقيت بمائتى ألف دينار وعشرة بيوت فى كل بيت منها مسمار ذهب قيمته مائة دينار على كل مسمار عمامة لونا وخلف كعبة عنبر يجعل عليه ثيابه اذا نزعها وخلف عشرة صناديق مملوءة من الجوهر الفائق الذى لا يوجد مثله وخلف خمسمائة صندوق كبار لكسوة جسمه وخلف من الزبادى الصينى والبلور المحكم وسق مائة جمل وخلف عشرة آلاف ملعقة فضة وثلاثة آلاف ملعقة ذهب وعشرة آلاف زبدية فضة كبار وصغار وأربع قدور ذهبا كل قدر وزنها مائة رطل وسبعمائة جام ذهبا بفصوص زمرذ وألف خريطة مملوءة دراهم خارجا عن الأرادب فى كل خريطة عشرة آلاف درهم وخلف من الخدم والرقيق والخيل والبغال والجمال وحلى النساء ما لا يحصى عدده الا الله تعالى وخلف ألف حسكة ذهبا وألفى حسكة فضة وثلاثة آلاف نرجسة ذهبا وخمسة آلاف نرجسة فضة وألف صورة ذهبا وألف صورة فضة منقوشة عمل المغرب وثلثمائة تور ذهبا وأربعة آلاف تور فضة وخلف من البسط

الرومية

فقال) شربت البارحة على عقد الثريا ونطاق الجوزاء فلما تنبه الصبح غت فلم أستيقظ الا بلبسى قميص الصبح (بديع الزمان الهمدانى) الحمد لله الذى بيض القار وعماه الوقار وعسى الله أن يغسل الفؤاد كما غسل السواد (ومن انشائه البديع) قد يوحش اللفظ وكله ود ويكره الشئ وليس منه بد هذه العرب تقول لا أبا لك ولا يقصدون الذم وويل أمه لامر اذاهم وسبيل ذوى الالباب فى الدخول من هذا الباب أن ينظروا فى القول الى قائله فان كان وليا فهو الولاء وان خشن وان كان عدوا فهو البلاء وان حسن (ومن انشاء أبى القاسم على بن الحسن المعروف بالمغربى) وصلت الرقعة فاستخفيت النسيم بالاضافة الى لطافتها واستثقلت عقود اللؤلؤ بالقياس الى خفة موقعها (ومن بديع انشائه) وغرقت فى هواجس الفكر ووساوس الذكر حتى نسيتكم من شدة التذكر ولقيتكم من حدة التصور والله تعالى أسأل أن يسقط بيننا فى تشاكى ألم الفراق اسناد القلم بمشافهة الفم للفم (أبو الحسن بن بسام) من انشائه عارض اذا هم استوشلت البحار ونجم اذا طلع تضاءلت الشموس والاقمار وسابق لا يمسح وجهه الا بهيادب الغيوم وصارم لا يجلى غمده الا بافراد النجوم (ضياء الدين بن الأثير الجزرى) ودولته هى الضاحكة وان كان نسبها الى العباس وهى خير دولة أخرجت للدهور عا يا ها خير أمة أخرجت للناس ولم يعتل شعارها من لون الشباب الا تفاؤلا بانها لا تهرم وانها لا تزال محبوة من أبكار السعادة بالوصل الذى لا يصرم * وله فى القلم فهو الملقب بالجواد المضمر واذا أخذت السوابق فى احضارها بلغ الغاية وما أحضروله لون تحقق فيه

الرومية والأندلسية ماملأبه خزائن الايوان وداخل قصر الزمرذ وخلف من البقر والجاموس والأغنام ما يباع لبنه فى كل سنة بثلاثين ألف دينار وخلف من الحواصل المملوأة من الحبوب مالا يحصى (ولما) احتوى الناصر على ذخائر قصر العاضد وجد فيه طبلا كان بالقرب من موضع العاضد محتفظا به فلما رأوه سخروا منه فضرب عليه انسان فضرط فضحكوا منه ثم أمسكه آخر وضرب به فضرط فضحكوا عليه فكسروه استهزاء وسخرية ولم يدروا خاصيته وكانت الفائدة فيه أنه وضع للقولنج فلما أخبروا بخاصيته ندموا على كسره * وقد جمعت الملوك من الأموال والذخائر والتحف كنوزا لا تحصى وبعد ذلك ماتوا ونفدت ذخائرهم وفنيت أموالهم فسبحان من يدوم ملكه وبقاؤه قال بعضهم

هب الدنيا تقاد اليك عفوا * أليس مصير ذلك للزوال

﴿فضمنت أنا هذا البيت وقلت﴾

أيا من عاش فى الدنيا طويلا * وأفنى العمر فى قيل وقال * وأتعب نفسه فيما سيفنى

وجمع من حرام أو حلال * هب الدنيا تقاد اليك عفوا * أليس مصير ذلك للزوال

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب الثانى والخمسون فى ذكر الفقر ومدحه﴾

قد دل قوله تعالى كلا ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى على ذم الغنى ان كان سبب الطغيان وسئل أبو حنيفة رحمه الله تعالى عن الغنى والفقر فقال وهل طغى من طغى من خلق الله عز وجل الا بالغنى وتلا هذه الآية المتقدمة والمحققون يرون الغنى والفقر من قبل النفس لا فى المال وكان الصحابة رضى الله تعالى عنهم يرون الفقر فضيلة وحدث الحسن رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يدخل فقراء أمتى الجنة قبل الأغنياء بأربعين عاما فقال جليس للحسن أمن الأغنياء أنا أم من الفقراء فقال هل تغديت اليوم قال نعم قال فهل عندك ما تتعشى به قال نعم قال فاذا أنت من الأغنياء وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما كان النبى صلى الله عليه وسلم يبيت طاويا الليالى ماله ولا لأهله عشاء وكان عامة طعامه الشعير وكان يعصب الحجر على بطنه من الجوع وكان صلى الله عليه وسلم يأكل خبز الشعير غير منخول هذا وقد عرضت عليه مفاتيح كنوز الأرض فأبى أن يقبلها صلوات الله وسلامه عليه وكان يقول اللهم توفنى فقيرا ولا تتوفنى غنيا واحشرنى فى زمرة المساكين وقال جابر رضى الله تعالى عنه دخل النبى صلى الله عليه وسلم على ابنته فاطمة الزهراء رضى الله تعالى عنها وهى تطحن بالرحى وعليها كساء من وبر الابل فبكى وقال تجرعى يا فاطمة مرارة الدنيا لنعيم الآخرة * قال الله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى وقال صلى الله عليه وسلم الفقر موهبة من مواهب الآخرة وهبها الله تعالى لمن اختاره ولا يختاره الا أولياء الله تعالى وفى الخبر اذا كان يوم القيامة يقول الله عز وجل للملائكته أدنوا الى أحبائى فتقول الملائكة ومن أحباؤك يا اله العالمين فيقول فقراء المؤمنين أحبائى فيدنونهم منه فيقول يا عبادى الصالحين انى ما زويت الدنيا عنكم لهوانكم على ولكن لكرامتكم تمتعوا بالنظر الى وتمنوا ما شئتم فيقولون وعزتك وجلالك لقد أحسنت الينا بما زويت عنا منها ولقد أحسنت بما صرفت عنا فيأمر بهم فيكرمون ويحبرون ويزفون الى أعلى مراتب الجنان وقال صلى الله عليه وسلم هل تنصرون الا بفقرائكم وضعفائكم والذى نفسى بيده ليدخلن فقراء أمتى الجنة قبل أغنيائها بخمسمائة عام والأغنياء يحاسبون على زكاتهم وقال عليه الصلاة والسلام رب أشعث أغبر ذى طمرين لا يؤبه به لو أقسم على الله تعالى لأبره أى لو قال اللهم انى أسألك الجنة لأعطاه الجنة ولم يعطه من الدنيا شيأ وقال عليه الصلاة والسلام ان أهل الجنة كل أشعث أغبر ذى طمرين لا يؤبه به الذين اذا استأذنوا على الأمير لا يؤذن لهم وان خطبوا النساء لم ينكحوا واذا قالوا لم ينصت لهم حوائج أحدهم تتلجلج فى صدره لو قسم نوره على الناس يوم القيامة لوسعهم وروى عن خالد بن عبد العزيز أنه قال كان حيوة بن شريح من البكائين وكان ضيق الحال جدا فجلست اليه ذات يوم وهو جالس وحده يدعو فقلت له يرحمك الله لو دعوت الله تعالى ليوسع عليك فى معيشتك قال فالتفت يمينا وشمالا فلم ير أحدا فأخذ حصاة من الأرض وقال اللهم اجعلها ذهبا فاذا هى تبرة فى كفه ما رأيت أحسن منها قال فرمى بها الى وقال هو أعلم بما يصلح عباده فقلت ما أصنع بهذه قال أنفقها على عيالك فهبته والله ان أردها عليه وقال

القول النبوى لو جمعت الخيل فى صعيد لسبقها الاشقر (ومن انشاء القاضى تاج الدين بن الاثير) والمنجنيقات تفوق اليهم قسيها وتخيل لهم انها ساعية بحبالها اليهم وعصيها وهى للحصون من آكد اللهوم واذا أمت حصنا حكم بأنه ليس بامام معصوم ومتى امترى خلق فى آلات الفتوح لم يكن فيها أحد من الممترين واذا نزلت بساحة قوم فساء صباح المنذرين تدعى الى الوغى فتسكام وما أقيمت صلاة حرب عند حصن الا كان ذلك الحصن ممن يسجد ويسلم (ولقد) سهوت عن الصابى وكان فى هذا الفن أمة وهو أبو اسحق ابراهيم بن هلال صاحب الرسائل المشهورة والنظم البديع كان كاتب الانشاء ببغداد عند الخليفة وعند معز الدولة بن بويه وكان متشددا فى دينه واجتهد معز الدولة أن يسلم فلم يفعل وكان يصوم شهر رمضان ويحفظ القرآن الكريم أحسن حفظ واستعمله فى رسائله والصابى عند العرب من خرج عن دين قومه (قيل) للصابى ان الصاحب بن عباد قال ما بقى من أوطارى وأغراضى الا أن أملك العراق وأتصدر ببغداد وأستكتب الصابى ويكتب عنى وأغير عليه فقال الصابى ويغير على وان أصبت (ومن انشائه) ما كتب به الى أبى الخير عن رقعة وصلت تتضمن انه أهدى اليه جملا وصلت رقعتك ففضضتها عن بلاغة يعجز عنها عبد الحميد فى بلاغته وسحبان فى خطابته وتصرف بين جد أمضى من القدر وهزل أرق من نسيم السحر الا أن الفعل قصر عن القول لانك ذكرت جملا جعلته لصفتك جملا وكان المعيدى ان تسمع لا أن تراه صغر عن الكبر وكبر عن القدم يعجب العاقل من طول الحياة به ومن تأتى الحركة فيه لانه عظم مجلد

عون بن عبد الله صحبت الاغنياء فلم أجد فيهم أحداً أكثر مني هماً لاني كنت أرى ثياباً أحسن من ثيابي ودابة أحسن من دابتي ثم صحبت الفقراء بعد ذلك فاسترحت قال بعضهم

وقد يهلك الانسان كثرة ماله * كما يذبح الطاوس من أجل ريشه

(وقال عبد الله بن طاهر)

ألم تر أن الدهر يهدم ما بنى * ويأخذ ما أعطى ويفسد ما أسدى

فمن سره أن لا يرى ما يسوءه * فلا يتخذ شيأ يبالي به فقدا

وكان من دعاء السلف رضي الله تعالى عنهم اللهم اني أعوذ بك من ذل الفقر وبطر الغنى وقيل مكتوب على باب مدينة الرقة ويل لمن جمع المال من غير حقه وويل لمن ورثه لمن لا يحمده وقدم على من لا يعذره (ولما) فتحت بلخ في زمن عمر رضي الله تعالى عنه وجد على بابها صخرة مكتوب فيها انما يتبين الفقير من الغني بعد الانصراف من بين يدي الله تعالى أي بعد العرض قال الشاعر

ومن يطلب الاعلى من العيش لم يزل * حزيناً على الدنيا رهين غبونها

اذا شئت أن تحيا سعيداً فلا تكن * على حالة الا رضيت بدونها

(وقال آخر) ولا ترهبن الفقر ما عشت في غد * لكل غد رزق من الله وارد

وقال هرون بن جعفر الطالبي

توعدت همتي وقورب مالي * ففعالي مقصر عن مقالي * ما اكتسى الناس مثل ثوب اقتناع

وهو من بين ما اكتسوا اسمر بالي * ولقد تعلم الحوادث أني * ذو اصطبار على صروف الليالي

وقال اعرابي من ولد في الفقر أبطره الغنى ومن ولد في الغنى لم يزده الا تواضعاً فما أحسن الفقر وأكثر ثوابه وأعظم أجر من رضي به وصبر عليه اللهم اجعلنا من الصابرين برحمتك يا أرحم الراحمين يارب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

الباب الثالث والخمسون في التلطف في السؤال وذكر من سئل فجاد

(روى) الامام مالك في الموطأ عن زيد بن أسلم رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أعطوا السائل ولو جاء على فرس وما سئل عليه السلام شيأ قط فقال لا وأتى اعرابي علي رضي الله تعالى عنه فسأله شيأ فقال والله ما أصبح في بيتي شيء فضل عن قوتي فولى الاعرابي وهو يقول والله ليسألنك الله عن موقفي بين يديك يوم القيامة فبكى علي رضي الله تعالى عنه بكاء شديداً وأمر برده وقال ياقنبر ائتني بدرعي الفلانية فدفعها الى الاعرابي وقال لا تخدعن عنها فطالما كشف بها الكروب عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قنبر يا أمير المؤمنين كان يجزيه عشرون درهماً فقال ياقنبر والله ما يسرني ان لي زنة الدنيا ذهباً وفضة فتصدقت به وقبل الله مني ذلك وانه يسألني عن موقف هذا بين يدي وقال علي رضي الله تعالى عنه ان لكل شيء ثمرة وثمرة المعروف تعجيل السراح وقال مسلمة لنصيب سلني فقال كفك بالعطية أبسط من لساني بالمسئلة فقال لحاجبه ادفع اليه ألف دينار *وسأل رجل الحسن رضي الله تعالى عنه فقال له ما وسيلتك قال وسيلتي اني أتيتك عام أول فبررتني فقال مرحباً بمن توسل الينا بنا ثم وصله وأكرمه ويقال الكريم اذا سئل ارتاح واللئيم اذا سئل ارتاع (ولما) وفد المهدي من الري الى العراق امتدحه الشعراء فقال أبو دلامة

اني نذرت لئن رأيتك قادماً * أرض العراق وأنت ذو وفر

لتصلين على النبي محمد * ولتملأن دراهماً حجري

فقال المهدي صلى الله على محمد فقال أبو دلامة ما أسرعك للاولى وأبطأك عن الثانية فضحك وأمر ببدرة فصبت في حجره *وسمع الرشيد اعرابية بمكة تقول

طحنتنا كلاكل الاعوام * ورتنا طوارق الايام * فأتينا كم نمد أكفا

لالتقام من زادكم والطعام * فاطلبوا الاجر والمثوبة فينا * أيها الزائرون بيت حرام

فبكى الرشيد وقال لمن معه سألتكم بالله تعالى الا ما دفعتم اليها ما صدقاتكم فالقوا عليها الثياب حتى وارتها كثرة ومواجر ها دراهم ودنانير * وسأل اعرابي بمكة وأحسن في سؤاله فقال أخ في الله وجار في بلد الله وطالب خير

قد طال الكلاف قصده وبعد بالمرمى عهده لم ير القت الا نائماً ولا عرف الشعير الا حالماً وقد كنت ملت الى استبقائه لما تعرفه من محبتي للتوفير ورغبتي في التثمير فلم أجد فيه مستبقى لبقاء ولا مدفعاً لعناء لأنه ليس بانثى فتلد ولا بفتى فينسل ولا ولا بصحيح فيرعى ولا بسليم فيبقى فقلت اذبحه ليكون وظيفة للعيال وأقيمه رطباً مقام قديد الغزال فأنشدني وقد أضرمت النار وحددت الشفار

أعيذها نظرات منك صادقة * أن تحسب الشحم فيمن شحمه ورم

واست بذي لحم فاصلح للاكل لأن الدهر قد أكل لحمي ولا بذي جلد يصلح للدباغ لأن الأيام قد مزقت أدمي ولا بذي صوف يصلح للغزل لان الحوادث قد حصت وبري الا أن تطالبني بذحل أو بيني وبينك دم فوجدته صادقاً في مقالته ناصحاً في مشورته ولم أعلم من أي أمريه أعجب أمن مطالبته الدهر بالبقاء أم من صبره على الضر والبلاء أم من قدرتك عليه مع عدم مثله أم من هديتك اياه للصديق مع خساسة قدره وياليت شعري ما كنت مهدياً لو أني رجل من عرض الكتاب كأبي علي وأبي الخطاب ما كنت مهدياً الا كلباً أجرب أو قرداً أحدب والسلام (وله من رسالة) هو أخفض قدراً ومكانة وأظهر عجزاً ومهانة من أن تستقل به قدم في مطاولتنا أو تطمئن له ضلوع في منابذتنا وهو في نشوزه عنا وطلبنا اياه كالضالة المنشودة والظلامة المردودة وكان له عبد اسمه عين وكان يهواه وله فيه المعاني البديعة فمن ذلك قوله فيه

قد قال عين وهو أسود للذي * ببياضه استعلى علو الخائن

ما فخر وجهك بالبياض وهل ترى * ان قد أفدت به مزيد محاسن

ولو ان مني فيه خالا زانه * ولو ان منه في خال لا شانني

من عند الله فهل من أخ يواسينى فى الله قال الشاعر

ليس فى كل وهلة وأوان * تتهيأ صنائع الاحسان
فاذا أمكنت فبادر اليها * حذرا من تعذر الامكان

وقال البصرى

أضحت حوائجنا اليك مناخة * معقولة برحابك الوصال
أطلق فديتك بالنجاح عقالها * حتى تثور بنا بغير عقال

وعن على رضى الله تعالى عنه قال يا كميل مر أهلك ان يروحوا فى كسب المكارم و يدلجوا فى حاجة من هو نائم فو الذى وسع سمعه الاصوات ما من أحد أودع قلبا سرورا الا خلق الله تعالى من ذلك السرور لطفا فاذا نابته نائبة جرى اليها كالماء فى انحداره حتى يطردها عنه كما تطرد غريبة الابل وقال لجابر بن عبد الله يا جابر من كثرت نعم الله تعالى عليه كثرت حوائج الناس اليه فاذا قام بما يجب لله فيها فقد عرضها للدوام والبقاء ومن لم يقم بما يجب لله فيها عرض نعمه لزوالها وكان لبيد رحمه الله تعالى آلى على نفسه كلما هبت الصبا أن ينحر و يطعم و بماذبح العناق اذا ضاق الخناق فخطب الوليد بن عتبة يوما فقال قد علمت ما جعل أبو عقيل على نفسه فاعينوه على مروأته ثم بعث اليه بخمس من الابل و بهذه الابيات

أرى الجزار يشحذ مديتيه * اذا هبت رياح بنى عقيل * طويل الباع أبلج جعفرى
كريم الجد كالسيف الصقيل * وفى ابن الجعفرى بما نواه * على العلات بالمال القليل

فدعا لبيد بنتا له خماسية وقال يا بنية انى تركت قول الشعر فاجيبى الامير عنى فقالت

اذا هبت رياح بنى عقيل * تداعينا لهبتها الوليدا * طويل الباع أبلج عبشمى
أعان على مروأته لبيدا * بامثال الهضاب كان راعيا * عليها من بنى حام قعودا
أبا وهب جزاك الله خيرا * نحرناها وأطعمنا الثريدا
فعد ان الكريم له معاد * وظنى فى ابن عتبة أن يعودا

فقال لقد أحسنت والله يا بنية لولا انك سألت وقلت عد فقالت يا أبت ان الملوك لا يستحيا منهم فى المسئلة فقال والله لانت فى هذا أشعر منى * ووفد رجل من بنى ضبة على عبد الملك فانشده

والله ماندرى اذا ما فاتنا * طلب اليك من الذى نتطلب * ولقد ضربنا فى البلاد فلم نجد
أحدا سواك الى المكارم ينسب * فاصبر لعادتك التى عودتنا * أولا فارشدنا الى من نذهب

فامر له بالف دينار فعاد اليه من قابل وقال يا أمير المؤمنين ان الروى لينازعنى وان الحياء يمنعنى فامر له بالف دينار وقال والله لو قلت حتى تنفد بيوت الاموال لاعطيتك * وقيل ان رجلا عرض للمنصور فسأله حاجة فلم يقضها فعرض له بعد ذلك فقال له المنصور أليس قد كلمتنى مرة قبل هذه قال نعم يا أمير المؤمنين ولكن بعض الاوقات أسعد من بعض و بعض البقاع أعز من بعض فقال صدقت وقضى حاجته وأحسن اليه * و روى ان أبا دلامة الشاعر كان واقفا بين يدى السفاح فى بعض الايام فقال له سلنى حاجتك فقال كلب صيد فقال أعطوه اياه فقال ودابة أصيد عليها فقال اعطوه دابة فقال وغلاما يقود الكلب و يصيد به قال أعطوه غلاما قال وجارية تصلح لنا الصيد وتطعمنا منه قال أعطوه جارية فقال هؤلاء يا أمير المؤمنين عيال ولا بد لهم من دار يسكنونها قال أعطوه دارا تجمعهم قال فان لم يكن لهم ضيعة فمن أين يعيشون قال قد أقطعته عشر ضياع عامرة وعشر ضياع غامرة فقال ما الغامرة يا أمير المؤمنين قال ما لا نبات فيها قال قد أقطعتك يا أمير المؤمنين مائة ضيعة غامرة من فيافى بنى أسد فضحك وقال اجعلوها كلها عامرة فانظر الى حذقه بالمسئلة ولطفه فيها كيف ابتدأ بكلب صيد فسهل القضية وجعل يأتى بمسئلة بعد مسئلة على ترتيب وفكاهة حتى سأل ما سأله ولو سأل ذلك بديهة لما وصل اليه (وحكى) عن المأمون انه قال ليحيى بن أكثم يوما سر بنا نتفرج فسارا فبينما هما فى الطريق واذا بعقصبة خرج منها رجل بقصبة للمأمون يتظلم له فنفرت دابته فالقته على الارض صريعا فامر بضرب ذلك الرجل فقال يا أمير المؤمنين ان المضطر يرتكب الصعب من الامور وهو عالم به و يتجاوز حد الادب وهو كاره لتجاوزه ولو أحسنت الايام مطالبتى لاحسنت مطالبتك ولانت على رد مالم تفعل أقدر من رد ما قد فعلت قال فبكى المأمون وقال بالله أعد على ما قلت فاعاده فالتفت المأمون الى يحيى بن أكثم وقال أما تنظر الى مخاطبة

(الصاحب بن عباد) من بلاغته المخترعة انه قيل له ما هو أحسن السجع قال ما خف على السمع قيل مثل ماذا قال مثل هذا * وسئل ابن العميد عن بغداد فقال بغداد فى البلاد كالأستاذ فى العباد (وله جواب كتاب) وصل كتاب مولاى فكانت فاتحته أحسن من كتاب الفتح وواسطته أنفس من واسطة العقد وخاتمته أشرف من خاتم الملك (ومن شعره) يرثى كثير بن أحمد الوزير

يقولون قد أودى كثير بن أحمد
وذلك رزء فى الأنام جليل
فقلت دعونى والعلا نبكه معا
فمثل كثير فى الرجال قليل

(القاضى الفاضل أبو على عبد الرحيم) علم المتقدمين والمتأخرين وزير السلطان صلاح الدين بن أيوب الملقب بالملك الناصر تمكن منه غاية التمكين و برز فى صناعة الانشاء على المتقدمين قال ابن خلكان فى تاريخه أخبرنى أحد الفضلاء الثقات المطلعين على حقيقة أمره أن مسودات رسائله اذا جمعت ما تقصر عن مائة مجلد وهو مجيد فى أكثرها (وذكر) ابن خلكان فى تاريخه أيضا ان العماد الكاتب قال فى الخريدة هو كالشريعة المحمدية التى نسخت الشرائع وكانت ولادته خامس عشر جمادى الآخرة سنة تسع وعشرين وخمسمائة مدينة عسقلان وولى أبوه القضاء ببيسان فلهذا نسبوه اليها (وقال) الفقيه عمارة اليمنى فى كتاب النكت العصرية فى أخبار الوزراء المصرية فى ترجمة العادل بن الصالح بن رزيك ومن أيامه الحسنة التى لا توازى بل هى اليد البيضاء التى لا تجازى خروج أمره الى والى الاسكندرية باحضار القاضى الفاضل الى الباب واستخدامه بحضرته فى الديوان فانه عروس الدولة بل للملة شجرة مباركة

هذا الرجل باصغر يه والنبي صلى الله عليه وسلم يقول المرء باصغريه قلبه ولسانه والله لا وقفت لك الا وأنا قائم على قدمي فوقف وأمر له بصلة جزيلة واعتذر اليه فلما هم المأمون بالانصراف قال الرجل يا أمير المؤمنين بيتان قد حضراني ثم أنشد يقول

ما جاد بالوفر الا وهو معتذر * ولا عفا قط الا وهو مقتدر
وكلما قصدوه زاد نائله * كالنار يؤخذ منها وهي تستعر

(وقيل) ان بعض الحكماء لزم باب كسرى في حاجة دهرا فلم يوصل اليه فكتب أربعة أسطر في ورقة ودفعها للحاجب فكان في السطر الأول العديم لا يكون معه صبر على المطالبة وفي السطر الثاني الضرورة والأمل أقدماني عليك وفي السطر الثالث الانصراف من غير فائدة شماتة الأعداء وفي السطر الرابع أما نعم فثمرة وأما لا فريحة فلما قرأها كسرى دفع له في كل سطر ألف دينار (وحكى) أن رجلا كان جارا لابن عبيد الله فاصاب الناس قحط بالعراق حتى رحل أكثر الناس عنه فعزم جار ابن عبيد الله على الخروج من البلاد في طلب المعيشة وكانت له زوجة لا تقدر على السفر فلما رأت زوجها تهيأ للسفر قالت له اذا سافرت من ينفق علينا قال ان لي على ابن عبيد الله دينا ومعي به اشهاد عليه شرعي فخذي الاشهاد وقدميه اليه فاذا قرأه أنفق عليك مما عنده حتى أحضر ثم ناولها رقعة كتب فيها هذه الأبيات يقول

قالت وقد رأت الاحمال محدجة * والبين قد جمع المشكو والشاكي
من لي اذا غبت في ذا المحل قلت لها * الله وابن عبيد الله مولاك

فمضت اليه المرأة وحكت له ما قال زوجها وأخبرته بسفره وناولته الرقعة فقرأها وقال صدق زوجك ومازال ينفق عليها ويواصلها بالبر والاحسان الى أن قدم زوجها فشكره على فضله واحسانه (وحكى) ان مطيع بن اياس مدح معن بن زائدة بقصيدة حسنة ثم أنشدها بين يديه فلما فرغ من انشاده أراد معن أن يباسطه فقال يا مطيع ان شئت أعطيناك وان شئت مدحناك كما مدحتنا فاستحيا مطيع من اختيار الثواب وكره اختيار المدح وهو محتاج فلما خرج من عنده معن أرسل اليه بهذين البيتين

ثناء من أمير خير كسب * لصاحب نعمة وأخي ثراء
ولكن الزمان برى عظامي * ومالي كالدراهم من دواء

فلما قرأها معن ضحك وقال ما مثل الدراهم من دواء وأمر له بصلة جزيلة ومال كثير قال الشاعر

هززتك لا اني جعلتك ناسيا * لأمري ولا اني أردت التقاضيا
ولكن رأيت السيف من بعد سله * الى الهز محتاجا وان كان ماضيا

(وقال آخر)

ماذا أقول اذا رجعت وقيل لي * ماذا لقيت من الجواد الأفضل
ان قلت أعطاني كذبت وان أقل * بخل الجواد بماله لم يجمل
فاختر لنفسك ما أقول فانني * لابد أخبرهم وان لم أسئل

(وقال آخر)

لنوائب الدنيا خبأتك فانتبه * يا نائما من جملة النوام
أعلى الصراط تزيل لوعة كربتي * أم في المعاد تجود بالانعام

﴿ومما يستحسن الحاقه بهذا الباب ذكر شيء مما جاء في ذم السؤال والنهي عنه﴾ روى عن عبد الرحمن بن عوف بن مالك الأشجعي رضي الله تعالى عنه قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعة أو ثمانية أو سبعة فقال ألا تبايعون رسول الله صلى الله عليه وسلم فبسطنا أيدينا وكنا حديثي عهد بالمبايعة فقلنا قد بايعناك يا رسول الله فعلام يا رسول الله نبايعك قال ان تعبدوا الله ولا تشركوا به شيأ وتقيموا الصلوات الخمس وتطيعوا الله وأسر كلمة خفية وهي ولا تسألوا الناس شيأ فلقد رأيت بعض أولئك النفر يسقط سوط أحدهم فما يسأل أحدا يناوله اياه رواه مسلم * وقال رجل لابنه اياك أن تريق ماء وجهك عند من لا ماء في وجهه وكان لقمان يقول لولده يا بني اياك والسؤال فانه يذهب ماء الحياء من الوجه وأعظم من هذا استخفاف الناس بك وأوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام لان تدخل يدك في فم التنين الى المرفق خير لك من أن تبسطها الى غني قد نشأ في الفقر * وقيل لأعرابي ما السقم الذي لا يبرأ والجرح الذي لا يندمل قال حاجة الكريم الى اللئيم وقال أبو محلم السعدي

اذا ما رماك الدهر في الضيق فانتجع * قديم الغنى في الناس انك حامده

مزايدة النماء أصلها ثابت وفرعها في السماء (وتوفي الفاضل) في ليلة الأربعاء سابع ربيع الأول سنة ست وتسعين وخمسمائة ودفن في تربة بسفح المقطم في القرافة الصغرى (قال) ابن خلكان كان القاضي الفاضل من محاسن الدنيا وهيهات أن يخلف الزمان مثله (فمن انشائه المرقص المطرب قوله) وقد كان يقال ان الذهب الابريز لا تدخل عليه آفة وان يد الدهر البخيلة به كافة وأنتم يا بني أيوب أيديكم آفة نفائس الأموال كما ان سيوفكم آفة نفوس الابطال فلو ملكتم الدهر لامتطيتم لياليه أداهم وقلدتم أيامه صوارم ووهبتم شموسه وأقماره دنانير ودراهم وأيام دولتكم أعراس وما مأتم فيها لاعلى الأموال مأتم والجود في أيديكم خاتم ونفس حاتم في نقش ذلك الخاتم (ومن انشائه في كاحل) كأنه غاسل يدخل الى انسان العين بحنوط من كحله المعوت لعلة المنون ويدرجه في كفن من الخرقة السوداء التي يلبسها سواد العيون ينقل العين الى بياض الثغور ويسلبها سواد الملا وما برحت عصيه مردودة ولديها عصا العمى قد انتهى الى فوق ما يضرب به المثل اذ قيل يسرق الكحل من العين فهذا يسرق العين من الكحل وهو لص من أكابر اللصوص وسموا كحالين وهم صاغة لما يركبون فوق العين من الفصوص قد أودع كحله حزن يعقوب فمن كحل منه ابيضت عيناه وجسده عجز القميص اليوسفي فلو مر وابه على ناظر انقرحت جفناه وهو من الذين اذا رفعوا أميالهم فانما هي لشمس العيون مزولة واذا أولج أحدهم الميل في المكحلة فهو أولى بالرجم ممن أولج الميل في المكحلة (ومن انشائه سقى الله ثراه) والجو يتنفس عن صدر

ولا تطلبن الخير ممن أفاده * حديثا ومن لا يورث المجد والده

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مسئلة الناس من الفواحش ما أحل من الفواحش غيرها وقال عليه الصلاة والسلام لان يأخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره خير له من أن يأتي رجلا فيسأله أعطاه أو منعه قال الشاعر

ما اعتاض باذل وجهه بسؤاله * عوضا ولو نال الغنى بسؤال

واذا السؤال مع النوال وزنته * رجح السؤال وخف كل نوال

(وقال أحمد الانباري) لموت الفتى خير من البخل للغنى * وللبخل خير من سؤال بخيل

لعمرك ماشي لوجهك قيمة * فلا تلق انسانا بوجه ذليل

(وقال سلم الخاسر) اذا أذن الله في حاجة * أتاك النجاح على رسله

فلا تسأل الناس من فضلهم * ولكن سل الله من فضله

ويقال أحب الناس الى الله من سأله وأبغض الناس الى الناس من احتاج اليهم وسألهم وفي هذا المعنى قيل

لا تسألن بني آدم حاجة * وسل الذي أبوابه لا تحجب

الله يغضب ان تركت سؤاله * وبني آدم حين يسئل يغضب

(وقال محمود الوراق) شاد الملوك قصورهم وتحصنوا * من كل طالب حاجة أو راغب

فارغب الى ملك الملوك ولا تكن * يا ذا الضراعة طالبا من طالب

(وقال ابن دقيق العيد) وقائلة مات الكرام فمن لنا * اذا عضنا الدهر الشديد بنابه

فقلت لها من كان غاية قصده * سؤال المخلوق فليس بنابه

اذا مات من يرجى فمقصودنا الذي * ترجيه باق فالوذي ببابه

(وقال بعض أهل الفضل) لما اقتربت لصحبي ما وجدتهمو * لجأت لله لساني وأغناني

واها على بذل وجهي للورى سفها * فلو بذلت الى مولاي والاني

وسأل رجل رجلا حاجة فلم يقضها فقال سألت فلانا حاجة أقل من قيمته فردني رد أقبح من خلقته وسأل عروة مصعبا حاجة فلم يقضها فقال علم الله تعالى ان لكل قوم شيخا يفزعون اليه وأنا أفزع منك ويقال لا شئ أوجع للاخيار من الوقوف بباب الأشرار وقال الامام الشافعي رحمه الله تعالى

بلوت بني الدنيا فلم أر فيهم * سوى من غدا والبخل مل اهابه * فجردت من غمد القناعة صارما

قطعت رجائي منهم بذبابه * فلا ذا يراني واقفا في طريقه * ولا ذا يراني قاعدا عند بابه

غني بلا مال عن الناس كلهم * وليس الغنى الا عن الشئ لا به * اذا ظالم يستحسن الظلم مذهبا

ولج عتوا في قبيح اكتسابه * فكله الى صرف الليالي فانها * ستبدي له ما لم يكن في حسابه

فكم قد رأينا ظالما متمردا * يرى النجم تيها تحت ظل ركابه * فعما قليل وهو في غفلاته

أناخت صروف الحادثات ببابه * فأصبح لا مال ولا جاه يرتجى * ولا حسنات تلتقي في كتابه

وجوزي بالأمر الذي كان فاعلا * وصب عليه الله سوط عذابه

(وقال آخر) لا تسألن الى صديق حاجة * فيحول عنك كما الزمان يحول

واستغن بالشئ القليل فانه * ما صان عرضك لا يقال قليل * من عف خف على الصديق لقاؤه

وأخو الحوائج وجهه مملول * وأخوك من وفرت ما في كفه * ومتى علقت به فأنت ثقيل

(وقال آخر) ليس جودا أعطيته بسؤال * قد يهز السؤال غير جواد

انما الجود ما أتاك ابتداء * لم تذق فيه ذلة الترداد

(وقال آخر) لا تحسبن الموت موت البلى * انما الموت سؤال الرجال

كلاهما موت ولكن ذا * أخف من ذاك لذل السؤال

﴿وقال الشافعي رضي الله تعالى عنه﴾

قنعت بالقوت من زماني * وصنت نفسي عن الهوان * خوفا من الناس أن يقولوا

---

*مجرور كصدر المهجور والمجرور صالح اليه في هذا التحويل ومجرور والمهامه قد نشرت فيها الأسراب وزخرفيها بحر ماء ولد الغيرة شدة على غير فراش السحاب وحر الرمل قد منع حث الرمل ونحن في أكثر من جموع صفين الا أننا نخاف وقعة الجمل وورد نا ماء هذه العيون وهو كالمحابر يغترف منه الجرم مثل عمله ويرسله سهما فلا يخطئ ثغرة مقتله وهو مع هذا قليل كأنه مما جادت به الآماق في ساحات النفاق لا في ساعات الفراق فيا لك من ماء لا تتميز أوصافه من التراب ولا يرتفع به فرض التيمم كما لا يرتفع بالسراب ولا يعدو ما وصف به أهل الجحيم في قوله تعالى وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب فنحن حوله كالعواند حول المريض يعللون عليلا لا يرد الجواب بل يندبون ميتا قد حال بينه وبينهم التراب يجهز للدفن ونعشه المزاد ويحفر عليه ليقوم من قبره وذلك خلاف المعتاد * وفي غير من قد وارت الأرض فاطمع * على أنه لو كان دمعا لما بل الأجفان ولو كان مالا لما رفع كفة الميزان (ومن انشائه) الى أن يرد كتب العساكر وأعلامها من مدات ألفاته ورؤس العدا قطعات همزاته (ومنه) فمنت سنابك الخيل سماء من العجاج نجومها الأسنة وطارت اليهم عقبان الخيول قوادمها القوائم وخوافيها الأعنة وتصوبت عيون السمر الى قلوبهم كأنما تطلب سوادها وقصدت أنهار السيوف صدورهم لتروي أكبادها (ومنه) وما أحسب الاقلام جعلت ساجدة الا لان طرسه محراب ولا أنها سميت خرسا الا قبل أن ينفث سحرا في روع هاتيك هذا الصواب ولا أنها اضطجعت الا ليبعثها ما ينفخ فيها من روحه من مرقدها ولا سودت

فضل فلان على فلان * من كنت عن ماله غنيا * فلا أبالى اذا جفانى
ومن رآنى بعين نقص * رأيته بالتى رآنى ومن رآنى بعين تم * رأيته كامل المعانى

والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب الرابع والخمسون فى ذكر الهدايا والتحف وما أشبه ذلك

قال الله تعالى واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أوردوها فسرها بعضهم بالهدية وقال صلى الله عليه وسلم تهادوا وتحابوا فانها تجلب المحبة وتذهب الشحناء وقال صلى الله عليه وسلم الهدية مشتركة وقال صلى الله عليه وسلم من سألكم بالله فاعطوه ومن استعاذ كم فأعيذوه ومن أهدى اليكم كراعا فاقبلوه وكان صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية و يثيب عليها ما هو خير منها * وفى الأثر الهدية تجلب المودة الى القلب والسمع والبصر * ومن الامثال اذا قدمت من سفر فأهد لأهلك ولو حجرا وقال الفضيل بن سهل ما استرضى الغضبان ولا استعطف السلطان ولا سليت السخائم ولا دفعت المغارم ولا استميل المحبوب ولا توقى المحذور بمثل الهدية وأتى فتح الموصلى بهدية وهى خمسون دينارا فقال حدثنا عطاء عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من آتاه الله رزقا من غير مسئلة ورده فكأنما رده على الله تعالى وأهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم هدية الى عمر فردها فقال يا عمر لم رددت هديتى فقال رضى الله تعالى عنه انى سمعتك تقول خيركم من لم يقبل شيأ من الناس فقال يا عمر انما ذلك ما كان عن ظهر مسئلة فاما اذا أتاك من غير مسئلة فانما هو رزق ساقه الله إليك وقالت أم حكيم الخزاعية سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تهادوا فانه يضاعف الحب و يذهب بغوائل الصدر و يقال فى نشر المهاداة طى المعاداة

ذكر أنواع الهدايا للخلفاء وغيرهم عن قصرت به قدرته فاهدى اليسير وكتب معه مكاتبة يعتذر بها

أهدى الى سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام ثمانية أشياء متباينة فى يوم واحد فيلة من ملك الهند وجارية من ملك الترك وفرس من ملك العرب وجوهرة من ملك الصين واستبرق من ملك الروم ودرة من ملك البحر وجرادة من ملك النمل وذرة من ملك البعوض فتأمل ذلك وقال سبحان القادر على جمع الاضداد * وأهدى ملك الروم الى المأمون هدية فقال المأمون أهدوا اله ما يكون ضعفها مائة مرة ليعلم عز الاسلام ونعمة الله تعالى علينا ففعلوا ذلك فلما عزموا على حملها قال ما أعز الاشياء عندهم قالوا المسك والسمور قال وكم فى الهدية من ذلك قالوا مائتا رطل مسكا ومائتا فروة سمورا (وأهدت) قطر الندى الى المعتضد بالله فى يوم نيروز فى سنة اثنتين وثمانين ومائتين هدية كان فيها عشرون صينية ذهب فى عشرة منها مشام عنبر وزنها أربعة وثمانون رطلا وعشرون صينية فضة فى عشرة منها مشام صندل زنتها نيف وثلاثون رطلا وخمس خلع وشى قيمتها خمسة آلاف دينار * وعملت شمامات ليوم النيروز بلغت النفقة عليها ثلاثة عشر ألف دينار * وأهدى يعقوب بن الليث الصفار الى المعتمد على الله هدية فى بعض السنين من جملتها عشرة بازات منها باز أبلق لم ير مثله ومائة مهر وعشرون صندوقا على عشر بغال فيهم طرائف الصين وغرائبه ومسجد فضة بدرابزين يصلى فيه خمسة عشر انسانا ومائة رطل من مسك ومائة عود هندى وأربعة آلاف ألف درهم * وأهدت تريا بنت الأوبارى ملكة افرنجة وما والاها الى المكتفى بالله فى سنة ثلاث وسبعين ومائتين خمسين سيفا وخمسين رمحا وعشرين ثوبا منسوجا بالذهب وعشرين خادما صقلبيا وعشرين جارية صقلبية وعشرة كلاب كبار لا تطيقها السباع وستة بازات وسبع صقور ومضرب حرير مثلون بجميع الألوان كأنه قوس قزح يتلون فى كل ساعة من ساعات النهار وثلاثة أطيار من الأطيار الأفرنجية اذا نظرت الى الطعام أو الشراب المسموم صاحت صياحا منكرا وصفقت باجنحتها حتى يعلم بذلك وخرزا يجذب النصول بعد نبات اللحم عليها بغير وجع وحمارة وحشية عظيمة الخلقة فى قدر البغل وآذانها شبه آذان البغل وهى مخططة تخطيطا عاما لجميع خلقتها * وأهدى قسطنطين ملك الروم الى المستنصر بالله فى سنة سبع وثلاثين وأربعمائة هدية عظيمة اشتملت قيمتها على ثلاثين قنطارا من الذهب الأحمر كل قنطار منها عشرة آلاف دينار عربية قيمة ذلك ثلثمائة ألف دينار عربية (وحكى) أن الخيزران جارية المهدى كانت أديبة شاعرة فعزم المهدى على شرب دواء فانفذت اليه جام بلور فيه شراب اختارته له مع وصيفة بكر بارعة الجمال

وكتبت

رؤسها الا أنها أعلام عباسية وتناولتها الحضرة بيدها الا جرم أنها تحامى الحمى وتسفك دما وتحقن دما وتشيح بهايده عنانا وترسلها فتعلم الفرسان ان فى الكتاب لفرسانا وتقوم الخطباء بما كتبت تعلم الالسنة ان فى الايدى كما فى الأفواه لسانا (قلت ومن) مخترعاته قوله وان ادعى سحر البيان أنه يقضى أيسر حقوقه ويثمر ما يجب من شكر فروعه وعروقه كنت أفصح باطل سحره وأذيقه وبال أمره وأصب الخواطر السحارة على جذوع الأقلام وأعقد ألسنتها كما تعقد السحرة الالسنة عن الكلام (ومن انشائه فى وفاء النيل المبارك عن الملك الناصر صلاح الدين نور الله ضريحه) نعم الله سبحانه وتعالى من أضوئها بزوغا وأضفاها سبوغا وأصفاها ينبوعا وأسناها منقوعا وأمدها بحر مواهب وأضمنها حسن عواقب النعمة بالنيل المصرى الذى يبسط الآمال ويقبض امده وجزره ويربى النبات بحره ويحيى مطلقه الحيوان ويجنى ثمرات الأرض صنوان وغير صنوان و ينشر مطوى حريرها و ينشر مواتها ويوضح معنى قوله عز وجل و بارك فيها وقدر فيها أقواتها وكان وفاء النيل المبارك تاريخ كذا فاسفر وجه الارض وان كانت تنقب وأمن يوم بشراه من كان خائفا يترقب ورأينا الابانة عن لطائف الله التى حققت الظنون ووفت بالرزق المضمون ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون وقد أعلمناك لتوفى حقه من الاذاعه وتبعده من الأضاعه وتصرف على ما يصرفك فى الطاعه وتشهر ما أورده البشير من البشرى بأياته وتعده بايصال رسمه مهنأ على عادته (ورسم لى فى الأيام المؤيدية وأنا منشى الديوان

وكتبت اليه تقول

اذا خرج الامام من الدواء * وأعقب بالسلامة والشفاء * وأصلح حاله من بعد شرب
بهذا الجام من هذا الطلاء * فينعم للتى قد أنفذته * اليه بزورة بعد العشاء

فسر بذلك ووقعت الجارية معه أعظم موقع وزار الخيزران وأقام عندها يومين * وأهدى الصابى الى عضد الدولة اسطرلابا فى يوم المهرجان وكتب اليه يقول

أهدى اليك بنو الاملاك واحتفلوا * فى مهرجان جديد أنت تبليه
لكن عبدك ابراهيم حين رأى * سموقدرك عن شئ يدانيه
لم يرض بالارض يهديها اليك وقد * أهدى لك الفلك الأعلى بما فيه

وأهدى رجل الى المتوكل قارورة ذهب وكتب معها ان الهدية اذا كانت من الصغير الى الكبير فكلما لطفت ودقت كانت أبهى وأحسن واذا كانت من الكبير الى الصغير فكلما عظمت وجلت كانت أوقع وأنفع *وأهدى مرة أبو الهذيل الى موسى بن عمران دجاجة ووصفها له بصفات جليلة ثم لم يزل يذكرها وكلما ذكر شئ بجمال أو سمن قال هو أحسن أو أسمن من الدجاجة التى أهديتها اليكم وان ذكر حادث قال ذلك قبل أن أهدى لكم الدجاجة بشهر وما كان بين ذلك و بين اهداء الدجاجة الا أيام قلائل فصارت مثلا لمن يستعظم الهدية و يذكرها قال الشاعر

وان امرأ أهدى الى صنيعة * وذكرنيها مرة للئيم

وقال سفيان الثورى اذا أردت أن تتزوج فاهد للام وكان سفيان يروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما من أهديت اليه هدية وعنده قوم فهم شركاؤه فيها فاهدى اليه صديق له ثيابا من ثياب مصر وعنده قوم فذكروا الخبر فقال انما ذلك فيما يؤكل و يشرب أما فى ثياب مصر فلا * وكتب الحمدونى الى جارية اسمها برهان وقد جفاها مواليها فقال

جفاك مواليك يا برهان واعتمروا * وقد أتتك الهدايا من مواليك
فاطرفينى بما قد أطرفوك به * ولا تكن طرفتى غير المساويك
ولست أقبل الا ما جلوت به * ثنيتيك وما رددت فى فيك

وكتب بعضهم الى صديقه وقد أهدى اليه هدية يسيرة يقول

تفضل بالقبول على انى * بعثت بما يقل العبد عندك

وأهدى بعضهم الى صديقه هدية فى يوم نيروز وكتب اليه يقول هذا يوم جرت فيه العادة بالطاف العبيد للسادة وقدر الأمير يجل عما تحيط به المقدرة وفى سودده ما يوجب التفضل ببسط المعذرة وقد وجهت ما حضر علما بانه لا يستكثر ما جل ولا يستقل لعبده ما قل فان رأى أن يتطول بقبول القليل كتطوله باهداء الجزيل فعل وجعل يقول

رأيت كثير ما يهدى اليكم * قليلا فاقتصرت على الدعاء

و بلغ الحسن بن عمارة ان الأعمش يقع فيه و يقول ظالم ولى المظالم فاهدى اليه هدية فمدحه الأعمش بعد ذلك وقال الحمد لله الذى ولى علينا من يعرف حقوقنا فقيل له كنت تذمه ثم الآن تمدحه فقال حدثنى خيثمة عن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جبلت القلوب على حب من أحسن اليها و بغض من أساء اليها وقال عبد الله بن مروان ثلاثة أشياء تدل على عقول أربابها الكتاب يدل على عقل كاتبه والرسول يدل على عقل مرسله والهدية تدل على عقل مهديها والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الخامس والخمسون فى العمل والكسب والصناعات والحرف وما أشبه ذلك)

(أما العمل) فقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال أفضل العمل أدومه وان قل وقال على بن أبى طالب كرم الله تعالى وجهه قليل مدام عليه خير من كثير مملول وفى التوراة حرك يدك أفتح لك باب الرزق *وكان ابراهيم بن أدهم يسقى و يرعى و يعمل بالكراء و يحفظ البساتين والمزارع و يحصد بالنهار و يصلى بالليل * وعن على رضى الله تعالى عنه قال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما ينفى عنى حجة العلم قال العمل وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز

الشريف المؤيدى سنة تسع عشرة وثمانمائة) أن أنشئ رسالة بوفاء النيل المبارك لم أسبق اليها عمن تقدمنى من المنشئين بالديار المصرية حتى ان المقر الأشرف المرحومى القاضوى الناصرى محمد بن البارزى الجهنى الشافعى سقى الله ثراه قرأ على المسامع الشريفة هذه الرسالة المسطرة ورسالة من انشاء الشيخ جمال الدين بن نباتة وكان غرضه فى ذلك اختبار الألفاظ والمعانى من الرسالتين فأنشأت بعد المستعان بالله *و نبدى لعلمه الكريم ظهور آية النيل الذى عاملنا فيه بالحسنى وزيادة وأجراه لنا فى طرق الوفاء على أجمل عادة وخلق أصابعه ليزول الابهام فاعلن المسلمون بالشهادة كسر جسره فامسى كل قلب بهذا الكسر مجبورا وأتبعناه بنوروز وما برح هذا الاسم بالسعد المؤيدى مكسورا دق قفا السودان فالراية البيضاء من كل قلم عليه وقبل ثغور الاسلام وأرشفها ريقه الحلو فمالت أعطاف غصونها اليه وشبب خريره فى الصعيد بالقصب ومد سبائكه الذهبية الى جزيرة الذهب فضرب الناصرية واتصل بام دينار وقلنا انه صبغ بقوة الماجاه وعليه ذلك الاحمرار وأطال الله عمر زيادته فتردد فى الآثار وعمته البركة فاجرى سواقى مكة الى ان غدت جنة تجرى من تحتها الأنهار وحضن مشتهى الروضة فى صدره وحنا عليها حنو المرضعات على الفطيم وأرشفنا على ظما زلالا ألذ من المدامة للنديم وراق مديد بحره لما انتظمت عليه تلك الابيات وسقى الارض سلافته الخمرية فخدمته بحلو النبات وأدخله الى جنات النخيل والاعناق فالق النوى والحب فارضع جنين النبت وأحياه

من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى *وقال الأوزاعى اذا أراد الله بقوم سوأ أعطاهم الجدل ومنعهم العمل وأنشد بقول

وما المرء الاحيث يجعل نفسه * ففى صالح الاعمال نفسك فاجعل

وقال بعض الحكماء لاشئ أحسن من عقل زانه حلم ومن عمل زانه علم ومن حلم زانه صدق ودخل بعض الخواص على ابراهيم بن صالح وهو أمير فلسطين فقال له عظنى فقال له الولى بلغنى رحمك الله ان أعمال الأحياء تعرض على أقاربهم الموتى فانظر ماذا تعرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم من عملك فبكى ابراهيم حتى سالت دموعه *وقيل من جد وجد وأنشدوا فى المعنى

انى رأيت وفى الأيام تجربة * للصبر عاقبة محمودة الاثر

وقل من جد فى أمر يحاوله * واستصحب الصبر الافاز بالظفر

وتقول العرب فلان وثاب على الفرص وقال بعضهم

وانى اذا باشرت أمرا أريده * تدانت أقاصيه وهان أشده

وعن أنس رضى الله تعالى عنه يتبع الميت ثلاث يرجع اثنان ويبقى واحد يتبعه أهله وماله وعمله فيرجع أهله وماله ولا يرجع عمله *وقال بعضهم العمل سعى الأركان الى الله والنية سعى القلوب الى الله والقلب ملك والأركان جنود ولا يحارب الملك الا بالجنود ولا الجنود الا بالملك *وقيل الدنيا كلها ظلمات الاموضع العلم والعلم كله هباء الاموضع العمل والعمل كله هباء الاموضع الاخلاص هذا هو العمل (وأما الكسب) فقد جاء فى تفسير قوله تعالى وعلمناه صنعة لبوس لكم أى دروع من الحديد وذلك أن داود عليه الصلاة والسلام كان يدور فى الصحارى فاذا رأى من لا يعرفه تحدث معه فى أمر داود فاذا سمعه عابه بشئ يصلحه من نفسه فسمع يوما من يقول انى لا أجد فى داود عيبا الا أنه يأكل من غير كسبه فعند ذلك صلى داود عليه الصلاة والسلام فى محرابه وتضرع بين يدى الله تعالى وسأله أن يعلمه ما يستعين به على قوته فعلمه الله تعالى صنعة الحديد وجعله فى يده كالشمع فاحترفها واستعان بها على أمره وصار يحكم منها الدروع *وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل رزقى تحت رمحى فكانت حرفته الجهاد وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يحب العبد المحترف وقال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يبغض العبد الصحيح الفارغ وقال عليه الصلاة والسلام من اكتسب قوته ولم يسأل الناس لم يعذبه الله تعالى يوم القيامة ولو تعلمون ما أعلم من المسئلة لما سأل رجل رجلا شيأ وهو يجد قوت يومه وليس عند الله أحب من عبد يأكل من كسب يده ان الله تعالى يبغض كل فارغ من أعمال الدنيا والآخرة وعن أنس رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم من بات كالا فى طلب الحلال أصبح مغفورا له وعن الحسن رحمه الله كسب الدرهم الحلال أشد من لقاء الزحف وقيل لمحمد بن مهران ان ههنا أقواما يقولون نجلس فى بيوتنا وتأتينا أرزاقنا فقال هؤلاء قوم حمقى ان كان لهم مثل يقين ابراهيم خليل الرحمن فليفعلوا وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه لا يقعدن أحدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم ارزقنى فقد علمتم ان السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة وقال أيضا انى لارى الرجل فيعجبنى فأقول أله حرفة فان قالوا لا سقط من عينى واشترى سليمان وسقا من طعام وهو ستون صاعا فقيل له فى ذلك فقال ان النفس اذا أحرزت رزقها اطمأنت قال بعضهم فى السعى

خاطر بنفسك كى تصيب غنيمة * ان الجلوس مع العيال قبيح

وقيل ان أول من صنع لسان الميزان عبد الله بن عامر وكان الناس انما يزنون بالشاهينى وعن أنس رضى الله عنه قال غلا السعر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله سعر لنا فقال ان الله الخالق القابض المسعر الرازق وانى لارجو أن ألقى الله تعالى وليس أحد يطلبنى بمظلمة ظلمته بها فى أهل ولا مال *(وأما ما جاء فى العجز والتوانى)* فقد روى عن على بن أبى طالب كرم الله تعالى وجهه أنه قال من أطاع التوانى ضيع الحقوق ومن العجز طلب ما فات مما لا يمكن استدراكه وترك ما أمكن مما تحمد عواقبه (قال الشاعر)

على المرء أن يسعى ويبذل جهده * ويقضى الاله الخلق ما كان قاضيا

ومثله

أمهات العصف والأب وصافحته كفوف الموز فختمها بخواتمه العقيقية ولبس الورد تشريفه وقال ارجو أن تكون شوكتى فى أيامه قويه ونسى الزهرى بحلاوة لقائه مرارة النوى وهامت به مخدرات الأشجار فارخت ضفائر فروعها عليه من شدة الهوى واستوفى النبات ما كان له فى ذمة الرى من الديون ومازج الحوامض بحلاوته فهام الناس بالسكر والليمون وانجذب اليه الكباد وامتد ولكن قوى قوسه لما حظى منه بسهم لا يرد ولبس شربوش الاترج وترفع الى أن لبس بعده التاج وفتح منشور الارض لعلامته بسعة الرزق وقد نفذ أمره ورواج فتناول معالم الشنبر وعلم باقلامه هاورسم لمحبوس كل سد بالافراج وسرح بطائق السفن فخفقت أجنحتها بخلق بشائره وأشار بأصابعه الى فتل المحل فبادر الخصب الى امتثال أوامره وحظى بالمعشوق وبلغ من كل منية مناه فلا سكن على البحر الا تحرك ساكنه بعد ما تفقه واتقن باب المياه ومدشفاه أمواجه الى تقبيل فم الجسر وزاد بسرعته فاستحلى المصريون زائده على الفور ونزل فى بركة الحبش فدخل التكرور فى طاعته وحمل على الجهات البحرية فكسر المنصورة وعلا على الطويلة بشهامته وأظهر فى مسجد الخضر عين الحياة فاقر الله عينه وصار أهل دمياط فى برزخ بين المالح وبينه وطلب المالح رده بالصدر وطعن فى حلاوة شمائله فما شعر الا وقد ركب عليه ونزل فى ساحله وأمست واوات دوائره على وجنات الدهر عاطفة وثقلت أرداف أمواجه على خصور الجوارى فاضطربت كالخائفة ومال شق النخيل اليه فلثم ثغر طلعه وقبل سالفه وأمست سود الجوارى كالحسنات فى سمرة

ومثله قوله   على المرء أن يسعى لما فيه نفعه * وليس عليه أن يساعده الدهر

وقيل احذر مجالسة العاجز فإنه من سكن الى عاجز أعداه من عجزه وأمده من جزعه وعوده قلة الصبر ونساه ما في العواقب وليس للعجز ضد إلا الحزم وقال بعض العلماء من الخذلان مسامرة الأماني ومن التوفيق بغض التواني وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال باكروا في طلب الرزق والحوائج فإن الغدو بركة ونجاح وقال الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه احرص على ما ينفعك ودع كلام الناس فإنه لا سبيل الى السلامة من ألسنة الناس وقال علي رضي الله تعالى عنه التواني مفتاح البؤس وبالعجز والكسل تولدت الفاقة ونتجت الهلكة ومن لم يطلب لم يجد وأفضى الى الفساد * وقال حكيم من دلائل العجز كثرة الإحالة على المقادير * وقال بعض الحكماء الحركة بركة والتواني هلكة والكسل شؤم وكلب طائف خير من أسد رابض ومن لم يحترف لم يعتلف * وقيل من العجز والتواني تنتج الفاقة قال هلال بن العلاء الرقي هذين البيتين من جملة أبيات

كأن التواني أنكح العجز بنته * وساق اليها حين زوجها مهرا
فراشا وطيئا ثم قال لها اتكي * فإنكما لا بد أن تلدا الفقرا

(وقال آخر)
توكل على الرحمن في الأمر كله * ولا ترغبن في العجز يوما عن الطلب
ألم تر أن الله قال لمريم * وهزي اليك الجذع يساقط الرطب
ولو شاء أن تجنيه من غير هزه * جنته ولكن كل رزق له سبب

وسأل معاوية رضي الله تعالى عنه سعيد بن العاص عن المروأة فقال العفة والحرفة وكان أيوب السختياني يقول يا فتيان احترفوا فإني لا آمن عليكم أن تحتاجوا الى القوم يعني الأمراء وقال رجل للحسن اني أنشر مصحفي فأقرؤه بالنهار كله فقال اقرأه بالغداة والعشي ويكون يومك في صنعتك وما لا بد منه ومر رحمه الله تعالى بإسكاف فقال يا هذا اعمل وكل فإن الله يحب من يعمل ويأكل ولا يحب من يأكل ولا يعمل وقال أبو تمام

أعاذلتي ما أحسن الليل مركبا * وأحسن منه في الملمات راكبه * ذريني وأهوال الزمان أقاسها
فأهواله العظمى تليها رغائبه * أرى عاجزا يدعى جليد القسمة * ولو كلف التقوى لكلت مضاربه
وعفا يسمى عاجزا بعفافه * ولولا التقى ما أعجزته مذاهبه
وليس بعجز المرء أخطأه الغنى * ولا باحتيال أدرك المال كاسبه

(وقال آخر)
فلا تركن الى كسل وعجز * يحيل على المقادر والقضاء

وقال أعرابي العاجز هو الشاب القليل الحيلة الملازم للأماني المستحيلة ويقال فلان يخدعه الشيطان عن الحزم فيمثل له التواني في صورة التوكل ويريه الهوينا بإحالته على القدر وقال لقمان لابنه يا بني إياك والكسل والضجر فإنك إذا كسلت لم تؤد حقا وإذا ضجرت لم تصبر على حق (قال أبو العتاهية)

إذا وضع الراعي على الأرض صدره * فحق على المعزى بأن تتبددا

فالتواني هو الكسل وتضييع الحزم وعدم القيام على مصالح النفس وترك التسبب والاحتراف والإحالة على المقادير وهذا من أقبح الأفعال (وأما التأني) فإنه خلاف التواني وهو الرفق ورفض العجلة والنظر في العواقب وقد قيل من نظر في عواقب الأمور سلم من آفات الدهور * ومما جاء في ذلك قوله تعالى ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه * وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أعطي حظه من الرفق أعطي حظه من الدنيا والآخرة وقال عليه الصلاة والسلام لعائشة عليك بالرفق فإن الرفق لا يخالط شيئا إلا زانه ولا يفارق شيئا إلا شانه * وفي التوراة الرفق رأس الحكمة * وقالوا العقل أصله التثبت وثمرته السلامة * ووجد على سيف مكتوبا التأني فيما لا يخاف فيه الفوت أفضل من العجلة في إدراك الأمل * وقال بعض الحكماء إذا شككت فاجزم وإذا استوضحت فاعزم وقالوا يد الرفق تجني ثمرة السلامة ويد العجلة تغرس شجرة الندامة وأنشدوا في ذلك

قد يدرك المتأني بعض حاجته * وقد يكون مع المستعجل الزلل

وقالوا التأني حصن السلامة والعجلة مفتاح الندامة وقالوا إذا لم يدرك الظفر بالرفق والتأني فبماذا يدرك وقال المهلب أناة في عواقبها درك خير من عجلة في عواقبها فوت وقالوا من تأنى نال ما تمنى والرفق مفتاح النجاح وقال بعض الحكماء إياك والعجلة فإنها تكنى أم الندامة لأن صاحبها يقول قبل أن يعلم ويجيب قبل أن يفهم ويعزم

لا و جنانه وكلما زاد زاده الله في حسناته فلا فقير سد الا حصل له من فيض نعماه فتوح ولا ميت خليج الا عاش به ودبت فيه الروح ولكنه احمرت عينه على الناس بزيادة وترفع فقال له المقياس عندي قبالة كل عين أصبع فنشر أعلامه فأوعه وحمل وله على ذلك الجر بر زجر ورام أن يهجم على غير بلاده فبادر اليه عزم المؤيدي وكسره وقد أثر ذا القمر بهذه البشرى التي عم فضلها برا وبحرا وحدثناه عن البحر ولا حرج وشرحناه حالا وصدر البأخذ حظه من هذه البشارة البحرية بالزيادة الوافرة ويتنشق من طيبها انشراحا فقد حملت له من طيبات ذلك النسيم أنفاسا عاطرة والله تعالى يوصل بشائرنا الشريفة بسمعه الكريم ليصير بها في كل وقت مشنفا ولا برح من نيلها المبارك وإنعامنا الشريف على كلا الحالين في وفا (قلت) تقدم قولي ان الشيء بالشيء يذكر وقد ذكرت بوصف النيل المبارك هنا رسالتي البحرية التي كتبت بها الى علامة عصرنا الشيخ بدر الدين الدماميني فسح الله في أجله من القاهرة المحروسة الى ثغر الاسكندرية المحروسة عند دخولي اليها من ثغر طرابلس الشام وقد عضت على أنياب الحرب بثغرها شائبا من أهوال برها وبحرها وذلك في منتصف ربيع الآخر سنة اثنتين وثمانمائة (وهي) يقبل الأرض التي سقى دوحها بنزول الغيث فأثمر الفواكه البدرية وطلع بدر كمالها من المغرب فسلمنا لمعجزاتها المحمدية وجرى لسان البلاغة في ثغرها فسما على العقد بنظمه المستجاد وأنشد وقد ابتسم عن محاسنه التي لم يخلق مثلها في البلاد

قبل أن يفكر و يحمد قبل أن يجرب ولن تصحب هذه الصفة أحدا الاصحب الندامة وجانب السلامة

﴿وأما الصناعات والحرف وما يتعلق بها﴾ فقد روى عن سهل بن سعد رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عمل الابرار من الرجال الخياطة وعمل الابرار من النساء الغزل * وكان صلى الله عليه وسلم يخيط ثوبه و يخصف نعله ويحلب شاته و يعلف ناضحه وقال سعيد بن المسيب كان لقمان الحكيم خياطا وقيل كان ادريس عليه السلام خياطا * ووقف على بن أبي طالب كرم الله تعالى وجهه على خياط فقال له ياخياط ثكلتك الثوا كل صلب الخيط ودقق الدرور وقارب الغروز فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يحشر الله الخياط الخائن وعليه قيص ورداء مما خاط وخان فيه واحذر السقاطات فان صاحب الثوب أحق بها ولا تتخذ بها الايادى وتطلب المكافاة وقال فيلسوف ان من القبيح أن يتولى امتحان الصناع من ليس بصانع * وفى الحديث أكذب أمتى الصواغون والصباغون * وكذب الدلال مثل وقالوا الكل أحد رأس مال ورأس مال الدلال الكذب وقال عبد الرحمن بن شبل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول التجار هم الفجار فقيل أليس الله تعالى قد أحل البيع قال نعم ولكن يحدثون فيكذبون و يحلفون فيحنثون وقال الفضيل بخس الموازين سواد فى الوجه يوم القيامة وانما أهلكت القرون الاولى لانهم أكلوا الربا وعطلوا الحد ونقصوا الكيل والميزان وقال مجاهد فى قوله تعالى واتبعك الارذلون قيل هم الحاكة والاساكفة وقيل ان حائكا سأل ابراهيم الحربى ما تقول فيمن صلى العيد ولم يشتر ناطفا فما الذى يجب عليه فتبسم ابراهيم ثم قال يتصدق بدرهمين فلما مضى قال ما علينا أن نفرح المساكين من مال هذا الأحمق وقيل لرجل هل فيكم حائك قال لا قيل فمن ينسج لكم ثيابكم قال كل منا ينسج لنفسه فى بيته وكان أردشير بن بابك لا يرتضى لمنادمته ذا صناعة رديئة كحائك وحجام ولو كان يعلم الغيب مثلا وقال كعب لا تستشيروا الحاكة فان الله تعالى سلب عقولهم ونزع البركة من كسبهم لان مريم عليها السلام مرت بجماعة من الحياكين فسألتهم عن الطريق فدلوها على غير الطريق فقالت نزع الله البركة من كسبكم (قال أبو العتاهية)

ألا انما التقوى هى العز والكرم * وحبك للدنيا هو الذل والسقم
وليس على عبد تقى نقيصة * اذا صحح التقوى وان حاك أو حجم

وهذا ما أردنا سياقه فى هذا الباب والله الموفق للصواب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب السادس والخمسون فى شكوى الزمان وانقلابه بأهله والصبر على المكاره والتسلى عن نوائب الدهر وفيه ثلاثة فصول﴾

﴿الفصل الأول فى شكوى الزمان وانقلابه باهله﴾ روى عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه أنه قال ما من يوم ولا ليلة ولا شهر ولا سنة الا والذى قبله خير منه سمعت ذلك من نبيكم صلى الله عليه وسلم وكان معاوية رضى الله تعالى عنه يقول معروف زماننا منكر زمان قد مضى ومنكره معروف زمان لم يات وكانت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم العضباء لا تسبق فجاء اعرابى فسبقها فشق ذلك على الصحابة رضى الله تعالى عنهم فقال صلى الله عليه وسلم ان حقا على الله أن لا يرفع شيأ من هذه الدنيا الا وضعه (وحكى) عن شيخ من همدان قال بعثنى أهلى فى الجاهلية الى ذى الكلاع الحميرى بهدايا فمكثت شهرا لا أصل اليه ثم بعد ذلك أشرف اشرافة من كوة له فخرله من حول القصر سجدا ثم رأيته من بعد ذلك وقد هاجر الى حمص واشترى بدرهم لحما وسمطه خلف دابته وهو القائل هذه الابيات

أف للدنيا اذا كانت كذا * أنا منها فى بلاء وأذى * ان صفا عيش امرئ فى صبحها
جرعته ممسيا كاس الردى * ولقد كنت اذا ما قيل من * أنعم العالم عيشا قيل ذا

وقال يونس بن ميسرة لا يأتى علينا زمان الا بكينا منه ولا يتولى عنا زمان الا بكينا عليه (ومن ذلك قوله)

رب يوم بكيت منه فلما * صرت فى غيره بكيت عليه

(ومثله)

وما من يوم أرتجى فيه راحة * فاخبره الا بكيت على أمسى

(ومن كلام ابن الاعرابى)

عن الايام عدفعن قليل * ترى الايام فى صور الليالى

لقد حسنت بك الايام حتى
كانك فى فم الدهر ابتسام

فاكرم به مورد فضل ما برح منهله العذب كثير الزحام ومدينة علم تشرفت بالجناب المحمدى فعلى ساكنها السلام ومجلس حكم ما ثبت للباطل به حجة وعرفات أدب ان وقفت بها رفقة كنت على الحقيقة ابن حجه وأفق معال بالغ فى سمو بدره فلم يقنع بدون النجوم وميدان عرشه تجول به فرسان الفصاحة من بنى مخزوم وتالله ما لفرسان الشعراء والابلق فى هذا الميدان مجال واذا اعترفوا بما حصل للفارس المخزومى عندهم من الفتح كفى الله المؤمنين القتال و ينهى بعد أدعية ما برح المملوك منتصبا لرفعها وثغر ثلاثية ما السجع المطوق فى الاوراق النباتية حلاوة سجعها وأشواق برحت بالمملوك ولكن عسك فى مصر بالآثار

وأبرح ما يكون الدهر يوما
اذا دنت الديار من الديار

وصول المملوك الى مصر محتميا بكنانتها وهو بسهام البين مصاب مذعور لما شاهده من المصارع عند مقابلة الفرسان فى منازل الأحباب مكلما من ثغر طرابلس الشام باسنة الرماح محمولا على جناح غراب وقد حكم عليه البين أن لا يبرح من سفره على جناح

وكان فى البين ما كفانى
فكيف بالبين والغراب

(يا مولانا) لقد قرعت سن هذا الثغر باصابع السهام وقلع منه ضرس الأمن ولم يبق له بعد ما شعر به البين نظام وكسرت الحرب فى ثناياه عن أنياب واقتلعنا منه مع انهم لم يتركوا النافيه ثنية ولا ناب وأمست شهب الرماح قافية على آثارنا والسابق السابق منا الجواد ولزمت الروى من دمائنا الا لا يظهر لقافيتها عند نظم الحرب سناد

وقال على رضى الله تعالى عنه ماقال الناس لشئ طوبى الا وقد خبأ له الدهر يوم سوء قال الشاعر

فما الناس بالناس الذين عهدتهم * ولا الدار بالدار التى كنت أعهد

ودخل داود عليه الصلاة والسلام غارا فوجد فيه رجلا ميتا وعند رأسه لوح مكتوب فيه أنا فلان بن فلان الملك عشت ألف عام و بنيت ألف مدينة وافتضضت ألف بكر وهزمت ألف جيش ثم صار أمرى الى أن بعثت زنبيلا من الدراهم فى رغيف فلم يوجد ثم بعثت زنبيلا من الجوهر فلم يوجد فدققت الجواهر واستففتها فت مكانى فمن أصبح وله رغيف وهو يحسب أن على وجه الأرض أغنى منه أماته الله كاماتنى *وذكر أن عبد الرحمن بن زياد لما ولى خراسان حاز من الأموال ماقدر لنفسه انه ان عاش مائة سنة ينفق فى كل يوم ألف درهم على نفسه انه يكفيه فرؤى بعد مدة وقد احتاج الى أن باع حلية مصحفه وأنفقها *وقال هيثم بن خالد الطويل دخلت على صالح مولى منارة فى يوم شات وهو جالس فى قبة مغشاة بالسمور وجميع فروشها سمور و بين يديه كانون فضة يبخر فيه بالعود ثم رأيته بعد ذلك فى رأس الجسر وهو يسأل الناس (ولما) قتل عامر بن اسمعيل مروان ابن محمد ونزل فى داره وقعد على فرشه دخلت عليه عبدة بنت مروان فقالت يا عامر ان دهرا أنزل مروان عن فرشه وأقعدك عليه لقد أبلغ فى عظتك وقال مالك بن دينار مررت بقصر تضرب فيه الجوارى بالدفوف ويقلن

ألا يادار لايدخلك حزن * ولا يغدر بصاحبك الزمان

فنعم الدار تؤوى كل ضيف * اذا ماضاق بالضيف المكان

ثم مررت عليه بعد حين وهو خراب و به عجوز فسألتها عما كنت رأيت وسمعت فقالت ياعبد الله ان الله يغير ولا يتغير والموت غالب كل مخلوق قد والله دخل بها الحزن وذهب بأهلها الزمان (وقال أبو العتاهية)

لئن كنت فى الدنيا بصيرا فانما * بلاغك منها مثل زاد المسافر

اذا أبقت الدنيا على المرء دينه * فمافاته منها فليس بضائر

وقال عبد الملك بن عمير رأيت رأس الحسين رضى الله تعالى عنه بين يدى ابن زياد فى قصر الكوفة ثم رأيت رأس ابن زياد بين يدى المختار ثم رأيت رأس المختار بين يدى مصعب ثم رأيت رأس مصعب بين يدى عبد الملك قال سفيان فقلت له كم بين أول الرؤس وآخرها قال اثنتا عشرة سنة وقال الشاعر

ان للدهر صرعة فاحذرنها * لاتبيتن قد أمنت الشرورا

قد يبيت الفتى معافى فيردى * ولقد كان آمنا مسرورا

وكان محمد بن عبد الله بن طاهر فى قصره على الدجلة ينظر فاذا هو بحشيش فى وسط الماء وفى وسطه قصبة على رأسها رقعة فدعا بها فاذا فيها مكتوب شعرا وهو للشافعى رضى الله تعالى عنه

تاه الاعيرج واستعلى به البطر * فقل له خير مااستعملته الحذر * أحسنت ظنك بالأيام اذ حسنت

ولم تخف سوء مايأتى به القدر * وسالمتك الليالى فاغتررت بها * وعند صفو الليالى يحدث الكدر

قال فما انتفع بنفسه مدة وأعجب ماوجد فى السير خبر القاهر أحد الخلفاء وقلعه من الملك وخروجه الى الجامع فى بطانة جبة بغير ظهارة ومد يده يسأل الناس بعد ان كان ملكه لاقطار الأرض فتبارك الله يعز من يشاء و يذل من يشاء *وقيل كان لمحمد المهلبى قبل اتصاله بالسلطان حال ضعيف فبينما هو فى بعض أسفاره مع رفيق له من أصحاب الحرث والحرات الا انه من أهل الأدب اذ أنشده يقول

ألا موت يباع فاشتريه * فهذا العيش مالا خير فيه

ألا رحم المهيمن نفس حر * تصدق بالوفاة على أخيه

قال فرثى له رفيقه وأحضر له بدرهم ماسد به رمقه وحفظ الأبيات وتفرقا ثم ترقى المهلبى الى الوزارة وأخنى الدهر على ذلك الرجل الذى كان رفيقه فتوصل الى ايصال رقعة اليه مكتوب فيها

ألا قل للوزير فدته نفسى * مقالا مذكرا ما قد نسيه

أتذكر اذ تقول لضنك عيش * ألا موت يباع فاشتريه

فلما قرأها تذكر فأمر له بسبعمائة درهم ووقع تحت رقعته مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة ثم قلده عملا يرتزق منه (ودخل) مسلمة بن زيد بن وهب على عبد الملك

وفسد انسجام تلك الأبيات المنظومة على ذلك البحر المديد وبدات جنتها بنار الحرب التى كم تقول لها هل امتلأت وتقول هل من مزيد ونفذ حكم القضاء وكم جرح خصم السيف فى ذلك اليوم شهودا واتصل الحكم بقضاء القضاة فلم يسلم منهم الا من كان مسعودا ووقع غالبنا فى القبض من عروض حربهم الطويل وتبدلت محاسن طرابلس الشام بالوحشة فلم نفارقها على وجه جميل وتالله لم يدخلها المملوك فى هذه الواقعة الامكرها لابطل وكم قلت لسارية العزم لما كشف لى عن مضيق سهلها ياسارية الجبل ولم يطلق المملوك عروس حماته الاجبرا أظهروا به كسره والعلوم الكريمة محيطة كيف يكون طلاق المكره (يامولانا)

بوادى حماة الشام من أيمن الشط
وحقك تطوى شقة الهم بالبسط
بلاد اذا ماذقت كوثر مائها
أهيم كأنى قد ثملت باسفنط
ومن يجتهد فى أن بالارض بقعة
تشاكلها قل أنت مجتهد يخطى
وصوب حديثى ماؤها وهواؤها
فان أحاديث الصحيحين ماتخطى
بعصمها ان دار ملوى سوارها
فما الشام بالخلخال أومصر بالقرط
تنظم بالشطين در ثمارها
عقودا لها العاصى رأيناه كالسمط
وترخى علينا للغصون ذوائبا
يسرحها كف النسيم بلا مشط
ومذمد ذاك النهر ساقا مدملجا
وراح بنقش النبت يمشى على بسط
لوينا خلاخيل النواعير فالتوت
وأبدت لنا دورا على ساقط السقط
سقى سفحها ان قل دمعى سحابة
مطنبة بالدمع منهلة النقط
ويا أسطر النبت التى قد تسلسلت
بصفحتها لازلت واضحة الخط
ولازال ذاك الخط بالطل معجما

ابن مروان * فقال له أى الزمان أدركته أفضل وأى الملوك أكمل فقال أما الملوك فلم أر الا حامدا وذاما وأما الزمان فيرفع أقواما ويضع آخرين وكلهم يذكر أنه يبلى جديدهم ويفرق عديدهم ويهرم صغيرهم ويهلك كبيرهم وقال حبيب بن أوس

لم أبك من زمن لم أرض خلته * الا بكيت عليه حين ينصرم

(وقال آخر) يامعرضا عنى بوجه مدبر * ووجوه دنياه عليه مقبله

هل بعد حالك هذه من حالة * أو غاية الا انحطاط المنزله

وقال عبد الله بن عروة بن الزبير

ذهب الذين اذا أوفى مقبلا * بشوا الى ورحبوا بالمقبل

وبقيت فى خلف كان حديثهم * ولغ الكلاب تهارشت فى المنزل

(وقال آخر فى معناه) يامنزلا عبث الزمان بأهله * فأبادهم بتفرق لا يجمع

أين الذين عهدتهم بك مرة * كان الزمان بهم يضر وينفع * أيام لا يغشى لذكرك مربع

الا وفيه للمكارم مرتع * ذهب الذين يعاش فى أكنافهم * وبقى الذين حياتهم لا تنفع

(وقال اسحق بن ابراهيم الموصلى)

وانى رأيت الدهر منذ صحبته * محاسنه مقرونة ومعايبه

اذا سرنى فى أول الامر لم أزل * على حذر من أن تذم عواقبه

(وقال بعضهم) ذهب الرجال المقتدى بفعالهم * والمنكرون لكل أمر منكر

وبقيت فى خلف يزين بعضه * بعضا ليدفع معور عن معور

حلف الزمان ليأتين بمثلهم * حنثت يمينك يا زمان فكفر

وكان يقال اذا أدبر الامر أتى الشر من حيث يأتى الخير وكان يقال بتقلب الدهر تعرف جواهر الرجال ويقال زمام العافية بيد البلاء ورأس السلامة تحت جناح العطب وقال بعضهم نحن فى زمن لا يزداد الخير فيه الا ادبارا والشر الا اقبالا والشيطان فى هلاك الناس الا طمعا اضرب بطرفك حيث شئت هل تنظر الا فقيرا يكابد فقرا أو غنيا بدل نعمة الله كفرا أو بخيلا اتخذ بحق الله وفرا أو متمردا كأن بسمعه عن سماع المواعظ وقرا * وقال آخر نحن فى زمان اذا ذكرنا الموتى حييت القلوب واذا ذكرنا الاحياء ماتت القلوب ويؤيد ذلك قوله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر أخيه فيقول ياليتنى مكانه (ويقال) لا يقاوم عز الولاية بذل العزل (بيت)

ما من مسىء وان طالت اساءته * الا ويكفيك يوم من مساعيه

(وقال الامين) يانفس قد حق الحذر * أين المفر من القدر * كل امرئ مما يخا

ف ويرتجيه على خطر * من يرتشف صفو الزما * ن يغص يوما بالكدر

(وقال بعضهم) وقائلة ما بال وجهك قد نضت * محاسنه والجسم بان شحوبه

فقلت لها ماهاتى من الناس واحدا * صفا وقته والنائبات تنوبه

وللامير أبى على بن منقذ)

أما والذى لا يملك الامر غيره * ومن هو بالسر المكتم أعلم * لئن كان كتمان المصائب مؤلما

لاعلانها عندى أشد وأعظم * وبى كل ما يبكى العيون أقله * وان كنت منه دائما أتبسم

قال على بن أبى طالب كرم الله تعالى وجهه وايم الله ما كان قوم قط فى خفض عيش فزال عنهم الا بذنوب اقترفوها لأن الله تعالى ليس بظلام للعبيد ولو أن الناس حين تنزل بهم الفقر ويزول عنهم الغنى فزعوا الى ربهم بصدق نياتهم لرد عليهم كل شارد وأصلح لهم كل فاسد قال الشاعر

يقولون الزمان به فساد * وهم فسدوا وما فسد الزمان

وكفى بالقرآن واعظا قال الله تعالى ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم والله سبحانه وتعالى أعلم

* الفصل الثانى فى الصبر على المكاره ومدح التثبت وذم الجزع * قد مدح الله تعالى الصبر فى كتابه العزيز

ومن شكل أنواع الازاهر فى ضبط
لو يت عنانى فى حماها عن اللوى
وهمت بها الا بالمحصب والسقط
ولذ عناق الفقر لى بفنائها
وفى غيرها لم أرض بالملك والرهط
منازل أحبابى ومنبت شعبتى
وأوطان أوطارى بها ورضا سخطى
نعمت بها دهرا ولكن سلبته
برغمى وهذا الدهر يسلب ما يعطى
وقد جاء شرط البين انى أغيب عن
حماها لقد أوفى فؤادى بالشرط
وحط على الدهر حدا وشالنى
الى غرها صبرا على الشيل والحط
وسبحة جمع الشمل كانت لنا بها
منظمة لكن قضى الدهر بالفرط
أمثل شوقا شكلها فى ضمائرى
فتتبع عينى ذلك الشكل بالنقط
وقد سار عيشى الهم نحوى بسرعة
فياليته لو كان فى مشيه يبطى
وأصبح نظمى راجعا بى الى ورا
كأنى فى الديوان أكتب بالقبطى
(يامولانا) وأبثك ما لقيت من
من أهوال هذا البحر وأحدث عنه
ولا حرج فكم وقع الملوك من
أعاريضه فى زحاف تقطع منه القلب
لما دخل الى دوائر اللج وشاهدت
منه سلطانا جائرا يأخذ كل سفينة
غصبا ونظرت الى الجوارى الحسان
وقد رمت أزرقوا عها وهى بين يديه
تقبل رجلها تسبى فتحققت
أن رأى من بجاه يسبى فى الفلك جالسا
غير صائب واستصوبت هنا رأى
من جاء يمشى وهو راكب وزاد
الظما بالمملوك وقد اتخذ البحر سبيلا
وكم قلت من شدة الظما يا ترى قبل
المغفرة هل أطوى من البحر هذه
الشقة الطويلة
وهل أبا كر بحر النيل منشرحا
وأشرب الحلو من أكواب ملاح
بحر تلاطمت علينا أمواجه حين
متنا من الخوف وحملنا على نعش
الغراب وقامت واوات دوائره مقامع
فنصبتنا للغرق لما استوت المياه

في مواضع كثيرة وأمر به وجعل أكثر الخيرات مضافا الى الصبر وأثنى على فاعله وأخبر انه سبحانه وتعالى معه وحث على التثبت في الاشياء ومجانبة الاستعجال فيها فمن ذلك قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة ان الله مع الصابرين فبدأ بالصبر قبل الصلاة ثم جعل نفسه مع الصابرين دون المصلين وقوله تعالى انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب وقوله تعالى وجعلناهم أئمة يهدون بامرنا لما صبروا وقوله تعالى وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا وبالجملة فقد ذكر الله سبحانه وتعالى الصبر في كتابه العزيز في نيف وسبعين موضعا وأمر نبيه صلى الله عليه وسلم به فقال تعالى فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك أخبار كثيرة فمن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم النصر في الصبر وقوله عليه الصلاة والسلام بالصبر يتوقع الفرج وقوله الاناة من الله تعالى والعجلة من الشيطان فمن هداه الله تعالى بنور توفيقه ألهمه الصبر في مواطن طلباته والتثبت في حركاته وسكناته وكثيرا ما أدرك الصابر مرامه أو كاد وفات المستعجل غرضه أو كاد * وقال الاشعث بن قيس دخلت على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه فوجدته قد أثر فيه صبره على العبادة الشديدة ليلا ونهارا فقلت يا أمير المؤمنين الى كم تصبر على مكابدة هذه الشدة فما زادني الا أن قال

اصبر على مضض الادلاج في السحر * وفي الرواح الى الطاعات في البكر * اني رأيت وفي الايام تجربة
للصبر عاقبة محمودة الاثر * وقل من جد في أمر يؤمله * واستصحب الصبر الا فاز بالظفر

فحفظتها منه وألزمت نفسي الصبر في الامور فوجدت بركة ذلك وعن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله تعالى عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها الا حط الله بها من خطاياه وعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا واذا أراد الله بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم ان عظم الجزاء مع عظم البلاء وان الله تعالى اذا أحب قوما ابتلاهم فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط رواه الترمذي وقال حديث حسن وعن اسحق بن عبد الله بن أبي فروة عن أنس بن مالك قال قال النبي صلى الله عليه وسلم الضرب على الفخذ عند المصيبة يحبط الاجر والصبر عند الصدمة الاولى وعظم الاجر على قدر المصيبة ومن استرجع بعد مصيبته جدد الله له أجرها كيوم أصيب بها وروى عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه أنه قال احفظوا عني خمسا اثنتين وثنتين وواحدة لا يخافن أحدكم الا ذنبه ولا يرجو الا ربه ولا يستحي أحد منكم اذا سئل عن شيء وهو لا يعلم أن يقول لا أعلم واعلموا أن الصبر من الامور بمنزلة الرأس من الجسد اذا فارق الرأس الجسد فسد الجسد واذا فارق الصبر الامور فسدت الامور وأيما رجل حبسه السلطان ظلما فمات في حبسه مات شهيدا فان ضربه فمات فهو شهيد وروى في الخبر لما نزل قوله تعالى من يعمل سوأ يجز به قال أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه يا رسول الله كيف الفرج بعد هذه الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم غفر الله لك يا أبا بكر أليس تمرض أليس يصيبك الاذى أليس تحزن قال بلى يا رسول الله قال فهذا ما تجزون به يعني جميع ما يصيبك من سوء يكون كفارة لك وبهذا اتضح لك أن العبد لا يدرك منزلة الاخيار الا بالصبر على الشدة والبلاء * وروى عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه أنه قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي عند الكعبة وأبو جهل وأصحابه جلوس وقد نحرت جزور بالامس فقال أبو جهل لعنه الله أيكم يقوم الى سلا الجزور فيلقيه على كتفي محمد اذا سجد فانبعث أشقى القوم فأخذه وأتى به فلما سجد صلى الله عليه وسلم وضع بين كتفيه السلا والفرث والدم فضحكوا ساعة وأنا قائم أنظر فقلت لو كان لي منعة لطرحته عن ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم والنبي صلى الله عليه وسلم ساجد ما يرفع رأسه حتى انطلق انسان فأخبر فاطمة رضي الله تعالى عنها فجاءت فطرحته عن ظهره ثم أقبلت عليهم فسبتهم فلما قضى صلى الله عليه وسلم الصلاة رفع يديه فدعا عليهم فقال اللهم عليك بقريش ثلاث مرات فلما سمع القوم صوته ودعاءه ذهب عنهم الضحك وخافوا دعوته فقال اللهم عليك بأبي جهل وعتبة وشيبة وربيعة والوليد وأمية بن خلف فقال علي رضي الله تعالى عنه والذي بعث محمدا بالحق رأيت الذين سماهم صرعى يوم بدر وكان الصالحون يفرحون بالشدة لاجل غفران الذنوب لان فيها كفارة السيآت ورفع

والاخشاب وقارن العبد فيه سوداء استرقت موالينا وهي جارية وغشيهم منها ما غشيهم فهل أتاك حديث الغاشية واقعها الحرب فحملت بناو دخلها الماء فجاءها المخاض وانشق قلبها الفقد رجالها وجرى ما جرى على ذلك القلب وفاض وتوشحت بالسواد في هذا المأتم سارت على البحر وهي مثل وكم سمع للمغاربة على ذلك التوشيح زجل برح مابي ولكن تعرب في رفعها وخفضها عن النسر والحوت وتتشامخ كالجبال وهي خشب مسندة من تبطنها عد من المتصبرين في تابوت تأتي بالطباق ولكن بالقلوب لأن صغيرها كبير وبياضها سواد وتمشي على الماء وتطير مع الهواء وصلاحها عين الفسادات نقر الموج على دفوفها لعبت أنامل قلوعها بالعود ورقص على آلتها الحدباء فتقوم قيامتنا من هذا الرقص الخارج ونحن قعود نتشاءم وهي كما قيل أنف في السماء واست في الماء وكم نطيل الشكوى الى قامة صار بها عند الميل وهي الصعدة الصماء فيها الهدى وليس لها عقل ولا دين وتتصابى اذا هبت الصبا وهي بنت أربعمائة وثمانين وتوقف أحوال القوم وهي تجري بهم في موج كالجبال وتدعي براءة الذمة وكم استغرقت لهم من أموال هذا وكم ضعف نحيل خصرها عن تثاقل أرداف الامواج وكم وجلت القلوب لما صار لاهداب مجاديفها في مقلة البحر اختلاج وكم أسبلت على وجنته طرة قلعها فبالغ الريح في تشويشها وكم مر على قريتها العامرة فتركها وهي خاوية على عروشها تتعاظم فتهزل الى أن ترى ضلوعها من السقم تعد ولقد رأيناها بعد ذلك قد تبت وهي حمالة الحطب في جيدها حبل من مسد وتخلص المملوك من كدر المالح

الدرجات وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ثلاث من رزقهن فقد رزق خيرى الدنيا والآخرة الرضا بالقضاء والصبر على البلاء والدعاء فى الرخاء (وحكى) ان امرأة من بنى اسرائيل لم يكن لها الا دجاجة فسرقها سارق فصبرت وردت أمرها الى الله تعالى ولم تدع عليه فلما ذبحها السارق ونتف ريشها نبت جميعه فى وجهه فسعى فى ازالته فلم يقدر على ذلك الى أن أتى حبرا من أحبار بنى اسرائيل فشكاله فقال لا أجد لك دواء الا ان تدعو عليك هذه المرأة فارسل اليها من قال لها أين دجاجتك فقالت سرقت فقال لقد آذاك من سرقها قالت قد فعل ولم تدع عليه قال وقد جعل فى بيضها قالت هو كذلك فما زال بها حتى أثار الغضب منها فدعت عليه فتساقط الريش من وجهه فقيل لذلك الحبر من أين علمت ذلك قال لانها لما صبرت ولم تدع عليه انتصر الله لها فلما انتصرت لنفسها ودعت عليه سقط الريش من وجهه فالواجب على العبد أن يصبر على ما يصيبه من الشدة ويحمد الله تعالى ويعلم ان النصر مع الصبر وان مع العسر يسرا وان المصائب والرزايا اذا توالت أعقبها الفرج والفرح عاجلا * ومن أحسن ما قيل فى ذلك من المنظوم

واذا امسك الزمان بضر * عظمت دونه الخطوب وجلت * وأتت بعده نوائب أخرى
سئمت نفسك الحياة وملت * فاصطبر وانتظر بلوغ الأمانى * فالرزايا اذا توالت تولت
واذا أوهنت قواك وجلت * كشفت عنك جملة وتخلت

(ولمحمد بن بشر الخارجى) ان الامور اذا استدت مسالكها * فالصبر يفتح منها كل مارتجا
لا تيأسن وان طالت مطالبة * اذا استعنت بصبر أن ترى فرجا

(ولزهير بن أبى سلمى)

ثلاث يعز الصبر عند حلولها * ويذهل عنها عقل كل لبيب
خروج اضطرار من بلاد يحبها * وفرقة اخوان وفقد حبيب

(وقال بعضهم) عليك باظهار التجلد للعدا * ولا تظهرن منك الذبول فتحقرا
أما تنظر الريحان يشمم ناضرا * ويطرح فى البيد اذا ما تغيرا

(ولابن نباتة) صبرا على نوب الزما * ن وان أبى القلب الجريح
فلكل شئ آخر * اما جميل أو قبيح

(وقال أبو الأسود وأجاد) وان امرأ قد جرب الدهر لم يخف * تقلب عصريه لغير لبيب
وما الدهر والأيام الا كما ترى * رزية مال أو فراق حبيب

ومن كلام الحكماء ما جوهد الهوى بمثل الرأى ولا استنبط الرأى بمثل المشورة ولا حفظت النعم بمثل المواساة ولا اكتسبت البغضاء بمثل الكبر وما استنجحت الامور بمثل الصبر (وقال نهشل)

ويوم كان آل المصطلين بحره * وان لم يكن نار قيام على الجمر
صبرنا له صبرا جميلا وانما * تفرج أبواب الكريهة بالصبر

(وقال ابن طاهر)

حذرتنى وذا الحذر * ليس يغنى من القدر ليس من يكتم الهوى * مثل من باح واشتهر
انما يعرف الهوى * من على مره صبر نفس يا نفس فاصبرى * فاز بالصبر من صبر

وكان يقال من تبصر تصبر وكان يقال ان نوائب الدهر لا تدفع الا بعزائم الصبر وكان يقال لا دواء لداء الدهر الا بالصبر ولله در القائل الدهر أدبنى والصبر ربانى * والقوت أقنعنى واليأس أغنانى
وحنكتنى من الايام تجربة * حتى نهيت الذى قد كان ينهانى

(وما أحسن ما قال محمود الوراق)

انى رأيت الصبر خير معول * فى النائبات لمن أراد معولا * ورأيت أسباب القناعة أكدت
بعرى الغنى فجعلتها لى معقلا * فاذا نبا بى منزل جاوزته * وجعلت منه غيره لى منزلا
واذا غلا شئ على تركته * فيكون أرخص ما يكون اذا غلا

(وقال بعضهم) اذا ما أتاك الدهر يوما بنكبة * فافرغ لها صبرا ووسع لها صدرا

الى النيل المبارك فوجده من أهل الصفا واخوان الوفا وتنصل من ذلك العدو الازرق ذى الباطن الكدر وجمع من عذوبة النيل ونضارة شطوطه بين عين الحياة والخضر وتلا لسان الحال على المملوك وأصحابه ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين وقضى الامر وقيل بعدا للقوم الظالمين (وبعد) فان المملوك يسأل الاقالة من عثرات هذه الرسالة فقد علم الله انها صدرت من فكر تركه البين مشتتا وأعضاء مع كثرة بردها قد خرجت من البحر عارية فى فصل الشتاء وليستر عوراتها بستائر الحلم وينظر اليها من الرحمة بعين وليكن ضربها بسيف النقد صفحا فقد كفى ما جرحت بسيوف البين وتالله لم يسلك المملوك هذه الجادة الا لجعله سبيلا الى نهلة من عذب تلك الموارد ويعود على الضعيف الذى قطعت صلاته من صفاء هذا المشرب عائد ويصير العبد مسعودا اذا عد للابواب العالية من جملة الخدام ويحصل لكبده الحراء من ذلك النسيم الغربى برد وسلام والله تعالى يعين بقرب المثول بين يديه ليحصل للملوك بعد التخلص من البين حسن الختام (القاضى السعيد هبة الله بن سناء الملك) وان الشوق بحر وقلبه والله الغريق بامواجه وجمر وصدره المظلم بسراجه (ومن انشائه) فالاسلام من طاقاته والكفر مجاهد ولكن باتقائه وسيوفه تحسن فى الاجسام البسط وفى الارواح القبض ورماحه تكاد لطولها تمسك السماء ان تقع على الارض (ومن انشائه) وكيف لا يجد المملوك تلك الاشواق وهى تغريه من المولى بالتخييل اذا أبعدته الايام وتمثل المقام الكريم فيقابله كل ساعة بالسجود ويشافهه بالسلام ويرفع ناظره فلولا نظره اليه لكانت عينه مطرقة وستور

فان

فان تصاريف الزمان عجيبة * فيوما ترى يسرا ويوما ترى عسرا

(وقال بعضهم)

وما مسني عسر ففوضت أمره * الى الملك الجبار الا تيسرا

(وما أحسن ما قيل)

الدهر لا يبقى على حالة * لا بد ان يقبل أو يدبر

فان تلقاك بمكروهه * فاصبر فان الدهر لا يصبر

ونقل عن محمد بن الحسن رحمه الله تعالى قال كنت معتقلا بالكوفة فخرجت يوما من السجن مع بعض الرجال وقد زاد همي وكادت نفسي ان تزهق وضاقت على الارض بما رحبت واذا برجل عليه آثار العبادة قد أقبل على ورأى ما أنا فيه من الكآبة فقال ما حالك فاخبرته القصة فقال الصبر الصبر فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الصبر ستر للكروب وعون على الخطوب وروى عن ابن عم علي رضي الله تعالى عنه أنه قال الصبر مطية لا تدبر وسيف لا يكل وأنا أقول

ما أحسن الصبر في الدنيا وأجمله * عند الاله وأنجاه من الجزع

من شد بالصبر كفا عند مؤلمة * ألوت يداه بحبل غير منقطع

فقلت له بالله عليك زدني فقد وجدت بك راحة فقال ما يحضرني شيء عن النبي صلى الله عليه وسلم ولكني أقول

أما والذي لا يعلم الغيب غيره * ومن ليس في كل الامور له كفو

لئن كان بدء الصبر مرا مذاقه * لقد يجتني من بعده الثمر الحلو

ثم ذهب فسألت عنه فما وجدت أحدا يعرفه ولا رآه أحد قبل ذلك في الكوفة ثم أخرجت في ذلك اليوم من السجن وقد حصل لي سرور عظيم بما سمعت منه وانتفعت به ووقع في نفسي انه من الابدال الصالحين قيضه الله تعالى لي يوقظني ويؤدبني ويسليني وقيل ان رجلا كان يضرب بالسياط ويجلد جلدا بليغا ولم يتكلم ويصبر ولم يتأوه فوقف بعض مشايخ الطريقة فقال له أما يؤلمك هذا الضرب الشديد فقال بلى قال لم لا تصيح فقال ان في هؤلاء القوم الذين وقفوا على صديقا لي يعتقد في الشجاعة والجلادة وهو يرقبني بعينه فأخشى ان صحت يذهب ماء وجهي عنده ويسوء ظنه بي فأنا أصبر على شدة الضرب وأحتمله لاجل ذلك قال الشاعر

على قدر فضل المرء تأتي خطوبه * ويحمد منه الصبر مما يصيبه

فمن قل فيما يتقيه اصطباره * لقد قل فيما يرتجيه نصيبه

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله تعالى عنها يا عائشة ان الله تعالى لم يرض من أولي العزم من الرسل الا بالصبر ولم يكلفني الا ما كلفوا به فقال عز وجل فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل واني والله لا صبرت كما صبروا فان النبي صلى الله عليه وسلم لما صبر كما أمر أسفر وجه صبره عن ظفره ونصره وكذلك الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين الذين هم أولوا العزم لما صبروا ظفروا وانتصروا وقد اختلف أهل العلم فيهم على أقوال كثيرة فقال مقاتل رضي الله تعالى عنه هم نوح وابراهيم واسحق ويعقوب ويونس وأيوب صلوات الله عليهم وقال قتادة هم نوح وابراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام ويقال ما الذي صبروا عليه حتى سماهم الله تعالى أولي العزم فاقول نذكر ما صبروا عليه (أما نوح عليه الصلاة والسلام) فقد قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كان نوح عليه الصلاة والسلام يضرب ثم يلف في لبد ويلقى في بيته يرون أنه قد مات ثم يعود ويخرج الى قومه ويدعوهم الى الله تعالى ولما أيس منهم ومن ايمانهم جاء رجل كبير يتوكأ على عصاه ومعه ابنه فقال لابنه يا بني انظر الى هذا الشيخ واعرفه ولا يغرك فقال له ابنه يا أبت مكني من العصا فأخذها من أبيه وضرب بها نوحا عليه الصلاة والسلام شج بها رأسه وسال الدم على وجهه فقال رب قد ترى ما يفعل بي عبادك فان يكن لك فيهم حاجة فاهدهم والا فصبرني الى أن تحكم فأوحى الله تعالى اليه أنه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون واصنع الفلك قال يا رب وما الفلك قال بيت من خشب يجري على وجه الماء أنجي فيه أهل طاعتي وأغرق أهل معصيتي قال يا رب وأين الماء قال أنا على كل شيء قدير قال يا رب وأين الخشب قال اغرس الخشب فغرس الساج عشرين سنة وكف عن دعائهم وكفوا عن ضربه الا انهم كانوا يستهزؤن به فلما أدرك الشجر أمره ربه فقطعها وجففها وقال يا رب كيف اتخذ هذا البيت قال اجعله على ثلاث صور وبعث الله له جبريل فعلمه وأوحى الله تعالى اليه أن عجل بعمل السفينة فقد اشتد غضبي على من عصاني فلما فرغت

أهدابه مسبلة وأبواب جفونه مغلقة ولولا اشتغالها بمطالعة طلعته لالتهب من دموعها بماء محرقة فهو منها في نار وجنه مغلول بغله مطرق عنه (ومن انشائه) ولقد أنساه فراق مولاه حروف المعجم فما يعرف منها حرفا وعاقب خاطره الذي كفر بالبلاد فاسقط عليه من سمائها كسفا شوق ما خطر مثله على قلب بشر ودمع ما مر على بصر الا ومر كلمح بالبصر ولسان لا ينفك من الدعاء على يوم الفراق ومن دعا على ظالمه فقد انتصر * القاضي محيي الدين ابن عبد الظاهر * خليفة القاضي الفاضل (ومن انشائه قوله) نعلمه بفتوحات استطعم الايمان حلاوتها من أطراف المران واستنطق الاسلام عبارتها من ألسنة الخرسان وذلك بفتح حصن الاكراد الذي كان في حلق البلاد الشامية غصة لم تسغ بماء السيوف المجردة وشجى في صدورها لم تقومه أدوية العزائم المفردة (ومن انشائه بابطال الحشيش بعد الخمر) نعلمه ان المنكرات أمرنا أن تملأ الصحائف باجرها وتفرغ الصحاف وأن لا نخلي بيوتها من كسر أوزحاف وقد بلغنا الآن انها اختصرت وان كلمة الشيطان بالتعريض عنها ما قصرت وان أم الخبائث ما عقمت وان الجماعة التي كانت ترضع ثدي الكاس عن ثديها ما فطمت وانها في النشوة ما خيب ابليس مسعاها وانها لما أخرج المنع عنها ماء الخمر أخرج لها من الحشيش مرعاها وانها استراحت من الخمار واستغنت بما تشتريه بدرهم مما كانت تبتاعه من الخمر بدينار وان ذلك فشا في كثير من الناس وعرف في عيونهم ما يعرف من الاحمرار في الكاس وصاروا كأنهم خشب مسندة سكرى واذا مشوا يقدمون

السفينة جاءه أمر الله سبحانه وتعالى بانتصار نوح ونجاته واهلاك قومه وعذابهم الا من آمن معه وفار التنور وظهر الماء على وجه الارض وقذفت السماء بامطار كافواه القرب حتى عظم الماء وصارت أمواجه كالجبال وعلا فوق أعلى جبل فى الارض أربعون ذراعا وانتقم الله سبحانه وتعالى من الكافرين ونصر نبيه نوحا عليه الصلاة والسلام وفى تمام قصته وحديث السفينة كلام مبسوط لاهل التفسير ليس هذا موضع شرحه وبسطه فهذا زبدة صبر نوح عليه الصلاة والسلام وانتصاره على قومه (وأما ابراهيم) عليه الصلاة والسلام فانه لما كسر أصنام قومه التى كانوا يعبدونها لم يروا فى قتله ونصرة آلهتهم أبلغ من احراقه فاخذوه وحبسوه ببيت ثم بنوا حائرا كالحوش طول جداره ستون ذراعا الى سفح جبل عال ونادى منادى ملكهم أن احتطبوا لاحراق ابراهيم ومن تخلف عن الاحتطاب أحرقه فلم يتخلف منهم أحد وفعلوا ذلك أربعين يوما ليلا ونهارا حتى كاد الحطب يساوى رؤس الجبال وسدوا أبواب ذلك الحائر وقذفوا فيه النار فارتفع لهيبها حتى كان الطائر يمر بها فيحترق من شدة لهيبها ثم بنوا بنيانا شامخا وبنوا فوقه منجنيقا ثم رفعوا ابراهيم على رأس البنيان فرفع ابراهيم عليه الصلاة والسلام طرفه الى السماء ودعا الله تعالى وقال حسبى الله ونعم الوكيل وقيل كان عمره يومئذ ستة وعشرين سنة فنزل اليه جبريل عليه الصلاة والسلام وقال يا ابراهيم ألك حاجة قال أما اليك فلا فقال جبريل سل ربك فقال حسبى من سؤالى علمه بحالى فقال الله تعالى يا نار كونى بردا وسلاما على ابراهيم فلما قذفوه فيها نزل معه جبريل عليه الصلاة والسلام فجلس به على الارض وأخرج الله له ماء عذبا قال كعب ما أحرقت النار غير كتافه وأقام فى ذلك الموضع سبعة أيام وقيل أكثر من ذلك ونجاه الله تعالى ثم أهلك نمروذ وقومه باخس الاشياء وانتقم منهم وظفر ابراهيم عليه الصلاة والسلام بهم فهذه ثمرة صبره على مثل هذه الحالة العظمى ولم يجزع منها وصبر وفوض أمره الى الله تعالى فى ذلك وتوكل عليه ووثق به ثم جاءته قصة ذبح ولده وأمره الله تعالى بذلك فقابل أمره بالتسليم والامتثال وسارع الى ذبحه من غير اهمال ولا امهال وقصته مشهورة وتفاصيل القصة فى كتب التفسير مسطورة فلما ظهر صدقه ورضاه ومبادرته الى طاعة مولاه وصبر على ما قدره وقضاه عوضه الله تعالى عن ذبح ولده أن فداه واتخذه خليلا من بين خلقه واجتباه وأما الذبيح صلوات الله وسلامه عليه فانه صبر على بلية الذبح وتلخيصها ان الله تعالى لما ابتلى ابراهيم عليه الصلاة والسلام بذبح ولده قال انى أريد أن أقرب قربانا فأخذ ولده والسكين والحبل وانطلق فلما دخل بين الجبال قال ابنه أين قربانك يا أبت قال ان الله تعالى قد أمرنى بذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين يا أبت اشدد وثاقى كى لا أضطرب واجمع ثيابك حتى لا يصل اليها رشاش الدم فتراه أمى فيشتد حزنها وأسرع امرار السكين على حلقى ليكون أهون للموت على واذا لقيت أمى فاقرأ السلام عليها فاقبل ابراهيم عليه الصلاة والسلام على ولده يقبله ويبكى ويقول نعم العون أنت يا بنى على ما أمر الله تعالى قال مجاهد لما أمر السكين على حلقه انقلبت السكين فقال يا أبت اطعن بها طعنا وقال السدى جعل الله حلقه كصفيحة من نحاس لا تعمل فيها السكين شيأ فلما ظهر فيهما صدق التسليم نودى أن يا ابراهيم هذا فداء ابنك فأتاه جبريل عليه السلام بكبش أملح فاخذه وأطلق ولده وذبح الكبش فلا جرم ان جعل الذبيح نبيا بصبره وامتثاله لامره (وأما يعقوب عليه الصلاة والسلام) فانه لما ابتلى بفراق ولده وذهاب بصره واشتداد حزنه قال فصبر جميل وكذلك يوسف صلاة الله وسلامه عليهم أجمعين لما ابتلاه الله تعالى بالقائه فى ظلمة الجب وبيعه كما تباع العبيد وفراقه لابيه وادخاله السجن وحبسه فيه بضع سنين وانه تلقى ذلك كله بصبره وقبوله فلا جرم أورثهما صبرهما جمع شملهما واتساع القدرة بالملك فى الدنيا مع ملك النبوة فى الآخرة (وأما أيوب عليه الصلاة والسلام) فانه ابتلاه الله تعالى بهلاك أهله وماله وتتابع المرض المزمن والسقم المهلك حتى أفضى أمره الى ما تضعف القوى البشرية عن حمله* ولنذكر شيأ مختصرا من ذلك وهو أن ملكا من ملوك بنى اسرائيل كان يظلم الناس فنهاه جماعة من الانبياء عن الظلم وسكت عنه أيوب عليه الصلاة والسلام فلم يكلمه ولم ينهه لاجل خيل كانت له فى مملكته فأوحى الله تعالى الى أيوب عليه الصلاة والسلام تركت نهيه عن الظلم لاجل خيلك لاطيلن بلاءك فقال ابليس لعنه الله يا رب سلطنى على أولاده وماله فسلطه فبث ابليس مردته من الشياطين فبعث بعضهم الى دوابه ورعاتها فاحتملوها جميعا وقذفوها فى البحر وبعث بعضهم الى زرعه وجنانه فاحرقوها وبعث بعضهم الى منازله وفيها أولاده وكانوا ثلاثة عشر

ولدا

افساد عقولهم رجلا ويؤخرون أخرى ونحن نأمر بان تجتث أصولها وتقتلع ويؤدب غارسها حتى يحصد الندامة مازرع وتطهر منها المساجد والجوامع ويشهر مستعملها فى المحافل والمجامع حتى تنتبه العيون من هذا الوسن وحتى لا تشتهى بعدها خضراء ولا خضراء الدمن (ومن انشائه عن لسان الشريف الى الفرنج وقد أخذت شوانى السلطان) وفرق بين من يتصيد بالصقور من الخيل العراب وبين من اذا افتخر قال تصيدت بغراب فلئن أخذتم لنا قرية مكسورة فكم أخذنا لكم قرية معمورة وقد قال الملك فقلنا وعلم الله أن قولنا من الصحيح واتكل واتكلنا وأين من اتكل على الله ممن اتكل على الريح (ومن انشاء الصدر عز الدين بن سينا) فى بشارة بكسر عساكر الفرنج عن الملك الصالح نجم الدين أيوب سنة اثنتين وأربعين وستمائة فلا روضة الا درع ولا جدول الا حسام ولا غمامة الا نقع ولا وبل الا سهام ولا مدامة الا دم ولا نغم الا صليل ولا معربد الا قاتل ولا سكران الا قتيل حتى أنبت كافور الرمال شقيقا واستحال بلور الحصباء عقيقا وازدحمت الجنائب فى الفضاء فجعلته مضيقا وضرب النقع فى السماء طريقا (شعر)

وضاقت الأرض حتى كاد هاربهم ... اذا رأى غير شئ ظنه رجلا

(قلت) ذكرت بهذا التلاعب المطرب من انشاء الصدر عز الدين تلاعب القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر فى شفاعة ما نسج على على منوالها (وهى) أدام الله نعمة مولانا ولا زال علم علمه مرفوعا أبدا وبناء مجده منصوبا بخفض العدا ولا برحت أقلامه لا فعال الشك جازمة ولا عدائه متعدية ولآرائه

ولدا وخدمه وأهله فزلزلوها فهلكوا ثم جاء ابليس الى أيوب عليه الصلاة والسلام وهو يصلى فتمثل له فى صورة رجل من غلمانه فقال يا أيوب أنت تصلى ودوابك ورعاتك قد هبت عليها ريح عظيمة وقذفت الجميع فى البحر وأحرقت زرعك وهدمت منازلك على أولادك وأهلك فهلك الجميع ماهذه الصلاة فالتفت اليه وقال الحمد لله الذى أعطانى ذلك كله ثم قبله منى ثم قام الى صلاته فرجع ابليس ثانيا فقال يارب سلطنى على جسده فسلطه فنفخ فى ابهام رجله فانتفخ ولازال يسقط لحمه من شدة البلاء الى أن بقى امعاؤه تبين وهو مع ذلك كله صابر محتسب مفوض أمره الى الله تعالى وكان الناس قد هجروه واستقذروه وألقوه خارجا عن البيوت من نتن ريحه وكانت زوجته رحمة بنت يوسف الصديق قد سلمت فترددت اليه متفقدة فجاءها ابليس يوما فى صورة شيخ ومعه سخلة وقال لها يذبح أيوب هذه السخلة على اسمى فيبرأ فجاءته فأخبرته فقال لها ان شفانى الله تعالى لأجلدنك مائة جلدة تأمرينى أن أذبح لغير الله تعالى فطردها عنه فذهبت وبقى ليس له من يقوم به فلما رأى انه لاطعام له ولاشراب ولا أحد من الناس يتفقده خر ساجدا لله تعالى وقال رب انى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين. فلما علم الله تعالى منه ثباته على هذه البلوى طول هذه المدة وهى على ماقيل ثمان عشرة سنة وقيل غير ذلك وانه تلقى جميع ذلك بالقبول وماشكا الى مخلوق مانزل به عاد الله تعالى بالطافه فقال تعالى فكشفنا مابه من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وأفاض عليه من نعمه ماأنساه بلوى نقمه ومنحه من أقسام كرمه أن أفتاه فى يمينه تحلة قسمه ومدحه فى نص الكتاب فقال تعالى وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث انا وجدناه صابرا نعم العبد انه أوّاب فلولم يكن الصبر من أعلى المراتب وأسنى المواهب لما أمر الله تعالى به رسله ذوى الحزم وسماهم بسبب صبرهم أولى العزم وفتح لهم بصبرهم ابواب مرادهم وسؤالهم ومنحهم من لدنه غاية أمرهم ومامولهم ومرامهم فما أسعد من اهتدى بهداهم واقتدى بهم وان قصر عن مداهم * وقيل العسر يعقبه اليسر والشدة يعقبها الرخاء والتعب يعقبه الراحة والضيق يعقبه السعة والصبر يعقبه الفرج وعند تناهى الشدة تنزل الرحمة والموفق من رزقه صبرا وأجرا والشقى من ساق القدر اليه جزعا ووزرا (ومما) شنف السمع من نجح هذه الاشارة وأتحف النفع فى نهج هذه العبارة ماروى عن الحسن البصرى رضى الله تعالى عنه قال كنت بواسط فرأيت رجلا كأنه قد نبش من قبر فقلت مادهاك ياهذا فقال اكتم على أمرى حبسنى الحجاج منذ ثلاث سنين فكنت فى أضيق حال وأسوء عيش وأقبح مكان وأنا مع ذلك كله صابرلا أتكلم فلما كان بالأمس أخرجت جماعة كانوا معى فضربت رقابهم وتحدث بعض أعوان السجن أن غدا تضرب عنقى فأخذنى حزن شديد وبكاء مفرط وأجرى الله تعالى على لسانى فقلت الهى اشتد الضر وفقد الصبر وأنت المستعان ثم ذهب من الليل أكثره فأخذتنى غشية وأنا بين اليقظان والنائم اذ أتانى آت فقال لى قم فصل ركعتين وقل يامن لايشغله شئ عن شئ يامن أحاط علمه بماذرأ وبرأ أنت عالم بخفيات الأمور ومحصى وساوس الصدور وأنت بالمنزل الأعلى وعلمك محيط بالمنزل الأدنى تعاليت علوا كبيرا يامغيث أغثنى وفك أسرى واكشف ضرى فقد نفد صبرى فقمت وتوضأت فى الحال وصليت ركعتين وتلوت ماسمعته منه ولم تختلف على منه كلمة واحدة فما تم القول حتى سقط القيد من رجلى ونظرت الى أبواب السجن فرأيتها قد فتحت فقمت فخرجت ولم يعارضنى أحد فانا والله طليق الرحمن وأعقبنى الله بصبرى فرجا وجعل لى من ذلك الضيق مخرجا ثم ودعنى وانصرف يقصد الحجاز *وفيما يروى عن الله تعالى انه أوحى الى داود عليه الصلاة والسلام ياداود من صبر علينا وصل الينا وقال بعض الرواة دخلت مدينة يقال لها دقار فبينما أنا أطوف فى خرابها اذ رأيت مكتوبا بباب قصر خرب بماء الذهب واللازورد هذه الأبيات

يامن ألح عليه الهم والفكر * وغيرت حاله الايام والغير
أما سمعت بما قد قيل من مثل * عند الاياس فأين الله والقدر
ثم الخطوب اذا أحداثها طرقت * فاصبر فقد فاز أقوام بما صبروا
وكل ضيق سيأتى بعده سعة * وكل فوت وشيك بعده الظفر

(ولما حبس أبو أيوب فى السجن خمس عشرة سنة ضاقت حيلته وقل صبره فكتب الى بعض اخوانه يشكو اليه طول حبسه وقلة صبره فرد عليه جواب رقعته يقول

وادعى أنه رخم فى غير النداء وجزم والجزم لايدخل فى الاسماء واستثنى من غيره ووجب خفض والخفض من أدوات الاستثناء وذكر أن العامل الذى دخل عليه منعه من الصرف ولزمه لزوم البناء واجتمع معه فى الشرط وأفرده بالجزاء والمأثور من مكارم مولانا نصب محله على المدح لا على الاغراء ورفع اسمه المعرى من العوامل على الابتداء ففيه من التمييز والظرف مايوجب العطف ومن المعرفة والعدل مايمنعه من الصرف لازال مولانا بابا للعطف والصلة وماتر مكارمه متصلة لامنفصلة (قلت) قد انتهت الغاية هنا الى التحلى بالقطر النباتى وقد عن لى أن أورد هنا حظيرة الانس الى حضرة القدس فانها من بديع انشائه وهى فى رحلته الى القدس الشريف مع الصاحب أمين الدين (وهى) الحمد لله حافظ سر الملك بأمينه وحامى حماه بمن قسم الشكر والاجر بين دنياه ودينه ومن اذا رفعت راية مجد تلقاها عرابة براعته بيمينه واذا امتدت اليه أجياد الممالك حلاها من عقد التدبير بثمينه واذا نوى فى السيادة فعلا أمضى العزم السنى قبل دخول سينه واذا حمل بنانه القلم روينا عن ابن بحر كتاب بيانه فى الفضل وتبيينه وصلى الله على سيدنا محمد الذى أيد بالروح الامين وعضد بوزراء آله وصحبه الغر الميامين وسلم عليه وعليهم سلاما باقيا الى يوم الدين (أما بعد) فان الله سبحانه وتعالى لما يريد من صلاح عباده وانتظام هذا العالم الارضى فى سلك سداده وتمام أمر هذا السواد الاعظم بدبره تماما خط الطرس بسواده جعل لكل دولة قائمة وزيرا قائما بتدبيرها مفرغا ص القلم بتثميرها منفذا أمر سلطانها ومبلغا

صبراً أبا أيوب صبر مبرح * واذا عجزت عن الخطوب فمن لها * ان الذي عقد الذي انعقدت به

عقد المكاره فيك يملك حلها * صبراً فان الصبر يعقب راحة * ولعلها أن تنجلي ولعلها

فأجابه أبو أيوب يقول

صبرتني ووعظتني وأنا لها * وستنجلي بل لا أقول لعلها

ويحلها من كان صاحب عقدها * كرماً به اذ كان يملك حلها

فما لبث بعد ذلك أياماً حتى أطلق مكرما (وأنشدوا)

اذا ابتليت فثق بالله وارض به * ان الذي يكشف البلوى هو الله * اليأس يقطع أحياناً بصاحبه

لا تيأسن فان الصانع الله * اذا قضى الله فاستسلم لقدرته * فما ترى حيلة فيما قضى الله

﴿الفصل الثالث من هذا الباب في التأسي في الشدة والتسلي عن نوائب الدهر﴾ قال الثوري رحمه الله تعالى لم يفقه عندنا من لم يعد البلاء نعمة والرخاء مصيبة وقيل الهموم التي تعرض للقلوب كفارات للذنوب وسمع حكيم رجلاً يقول لآخر لا أراك الله مكروهاً فقال كأنك دعوت عليه بالموت فان صاحب الدنيا لا بد له أن يرى مكروها وتقول العرب ويل أهون من ويلين وقال ابن عيينة الدنيا كلها غموم فما كان فيها من سرور فهو ربح وقال العتبي اذا تناهى الغم انقطع الدمع بدليل أنك لا ترى مضروباً بالسياط ولا مقدماً لضرب العنق يبكي (وقيل) تزوج مغن بنائحة فسمعها تقول اللهم أوسع لنا في الرزق فقال لها يا هذه انما الدنيا فرح وحزن وقد أخذنا بطرفي ذلك فان كان فرح دعوني وان كان حزن دعوك * وقال وهب بن منبه اذ سلك بك طريق البلاء سلك بك طريق الأنبياء وقال مطرف ما نزل بي مكروه قط فاستعظمته الا ذكرت ذنوبي فاستصغرته * وعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنه يرفعه يود أهل العافية يوم القيامة ان لحومهم كانت تقرض بالمقاريض لما يرون من ثواب الله تعالى لأهل البلاء وروى أبو عتبة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا أحب الله عبداً ابتلاه فاذا أحبه الحب البالغ اقتناه قالوا وما اقتناه قال لا يترك له مالاً ولا ولداً * ومر موسى عليه الصلاة والسلام برجل كان يعرفه مطيعاً لله عز وجل قد مزقت السباع لحمه وأضلاعه وكبده ملقاة على الأرض فوقف متعجباً فقال أي رب عبدك ابتليته بما أرى فأوحى الله تعالى اليه انه سألني درجة لم يبلغها بعمله فأحببت أن أبتليه لأبلغه تلك الدرجة (وكان) عروة بن الزبير صبوراً حين ابتلى حكي أنه خرج الى الوليد بن يزيد فوطئ عظماً فما بلغ الى دمشق حتى بلغ به كل مذهب فجمع له الوليد الأطباء فأجمع رأيهم على قطع رجله فقالوا له اشرب مرقداً فقال ما أحب ان أغفل عن ذكر الله تعالى فأحمي له المنشار وقطعت رجله فقال ضعوها بين يدي ولم يتوجع ثم قال لئن كنت ابتليت في عضو فقد عوفيت في أعضاء فبينما هو كذلك اذ أتاه خبر ولده انه أطلع من سطح على دواب الوليد فسقط بينها فمات فقال الحمد لله على كل حال لئن أخذت واحداً لقد أبقيت جماعة وقدم على الوليد وفد من عبس فيهم شيخ ضرير فسأله عن حاله وسبب ذهاب بصره فقال خرجت مع رفقة مسافرين ومعي مالي وعيالي ولا أعلم عبسياً يزيد ماله على مالي فعرسنا في بطن واد فطرقنا سيل فذهب ما كان لي من أهل ومال وولد غير صبي صغير وبعير فشرد البعير فوضعت الصغير على الأرض ومضيت لآخذ البعير فسمعت صيحة الصغير فرجعت اليه فاذا رأس الذئب في بطنه وهو يأكل فيه فرجعت الى البعير فحطم وجهي برجليه فذهبت عيناي فأصبحت بلا عينين ولا ولد ولا مال ولا أهل فقال الوليد اذهبوا به الى عروة ليعلم أن في الدنيا من هو أعظم مصيبة منه * وقيل الحوادث الممضة مكسبة لحظوظ جليلة اما ثواب مدخر أو تطهير من ذنب أو تنبيه من غفلة أو تعريف لقدر النعمة قال البحتري يسلي محمد بن يوسف على حبسه

وما هذه الأيام الا منازل * فمن منزل رحب الى منزل ضنك * وقد هذبتك الحادثات وانما

صفا الذهب الابريز قبلك بالسبك * أما في نبي الله يوسف أسوة * لمثلك محبوس عن الظلم والافك

أقام جميل الصبر في السجن برهة * فآل به الصبر الجميل الى الملك

﴿وقال علي بن الجهم لما حبسه المتوكل﴾

قالوا حبست فقلت ليس بضائري * حبسي وأي مهند لا يغمد * والشمس لولا أنها محجوبة

عن ناظريك لما أضاء الفرقد * والنار في أحجارها مخبوءة * لا تصطلي ان لم تثرها الأزند

أحكام عدلها واحسانها ينبي عما لكها على الاسل من أقلامه. ويحوط أطرافها الحاطة الزهر بكمامه ويتحفها بأوصاف وزيرية يعقد عليها العدل خنصره ويتضح بها وجه الاستحقاق من ابهامه (وكان) صاحب هذه الدولة التي خضعت لها الدول وفاضل أمرها الجليل وراسخ دوحها الذي ما مال مع الهوى وقديم صحائفها الذي تلا تسديده ما ضل صاحبكم وما غوى وضابط أمورها الذي طال ما استشرفت اليه أسماع وأبصار وانتصرت به تقديم هجرته فلا غرو ان صار من المهاجرين بها والانصار المقر الاشرف الصاحبي الوزيري الاميني أعلى الله تعالى أبدا شانه ورفع على فرق الفرقدين مكانه وزان بأقلامه أقاليم مصر فهذه سهام وهذه كنانة عن استدعت رواة المحافل وتردد في المناصب العلية تردد الاقمار في المنازل وجمع الاوصاف الوزيرية جمع أبي جاد للحروف وتنبه قلبه ونامت ملء أجفانها السيوف وعرف بالسيادة والزهد فعلى كلا الحالين هو السري وقدره معروف وكنت أود لو نقلت الشهادة بصفاته عن الخبر الى المعاينة وجمعت بملازمة مقره الشريف الظاهر الوصف باطنه ورويت الاخبار عن لسنه وجنيت الورد من غصنه بل التبر من معدنه هذا وأشغاله بتدبير الدول شاغلة له وأيام البعد عند فراغه بيني وبين القصد حائلة (فلما) عزم بدمشق المحروسة سنة خمس وثلاثين على زيارة القدس الشريف اطلع رأيه الشريف على ما في خاطري وأمرني بالمسير في ظل ركابه فسر على الحقيقة سائري وكاشف ولا ينكر التكشف ان كثرت زواياه في البلاد ونظر لحالي ولا ينكر النظر في الأحوال لسيد الوزراء والزهاد وكان له في

والحبس مالم تغشه لدنية * شنعاء نعم المنزل المتودد
بيت يجدد للكريم كرامة * ويزار فيه ولا يزور ويحمد
لو لم يكن فى الحبس الا أنه * لا تستذلك بالحجاب الاعبد
غر الليالى باديات عود * والمال عارية يعار وينفد
ولكل حى معقب ولربما * أجلى لك المكروه عما يحمد
لا يؤيسنك من تفرج نكبة * خطب رماك به الزمان الانكد
كم من عليل قد تخطاه الردى * فنجا ومات طبيبه والعود
صبرا فان اليوم يعقبه غد * ويد الخلافة لا تطاولها يد

قال وأنشد اسحق الموصلى ابراهيم بن المهدى حين حبس

هى المقادير تجرى فى أعنتها * فاصبر فليس لها صبر على حال
يوما تريك خسيس الاصل ترفعه * الى العلا ويوم تخفض العالى

فما أمسى حتى وردت عليه الخلع السنية من المأمون ورضى عنه وقال ابراهيم بن عيسى الكاتب فى ابراهيم بن المدنى حين عزل

ليهن أبا اسحق أسباب نعمة * مجددة بالعزل والعزل أنبل
شهدت لقد منوا عليك وأحسنوا * لانك يوم العزل أعلى وأفضل

(وقال آخر) قد زاد ملك سليمان فعاوده * والشمس تنحط فى المجرى وترتفع

وقال أبو بكر الخوارزمى لمعزول الحمد لله الذى ابتلى فى الصغير وهو المال وعافى فى الكبير وهو الحال

ولا عار ان زالت عن الحر نعمة * ولكن عارا أن يزول التجمل

وقيل المال حظ ينقص ثم يزيد وظل ينحسر ثم يعود * وسئل بزرجمهر عن حاله فى نكبته فقال عولت على أربعة أشياء أولها أنى قلت القضاء والقدر لا بد من جريانهما الثانى أنى قلت ان لم أصبر فما أصنع الثالث أنى قلت قد كان يجوز أن يكون أعظم من هذا الرابع أنى قلت لعل الفرج قريب والله تعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب السابع والخمسون ماجاء فى اليسر بعد العسر والفرج بعد الشدة والفرح والسرور ونحو ذلك مما يتعلق بهذا الباب﴾

(فمما) يليق بهذا الباب من كتاب الله عز وجل قوله تعالى سيجعل الله بعد عسر يسرا وقوله تعالى وهو الذى ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو الولى الحميد وقوله تعالى حتى اذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجى من نشاء ويروى عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لو كان العسر فى جحر لدخل عليه اليسر حتى يخرجه وقال عليه الصلاة والسلام عند تناهى الشدة يكون الفرج وعند تضايق البلاء يكون الرخاء وقال على رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أفضل عبادة أمتى انتظارها فرج الله تعالى وقال الحسن لما نزل قوله تعالى فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا قال النبى صلى الله عليه وسلم أبشروا فلن يغلب عسر يسرين ومن كلام الحكماء ان تيقنت لم يبق هم وقال أبو حاتم

اذا اشتملت على البؤس القلوب * وضاق بما به الصدر الرحيب
وأوطنت المكاره واطمأنت * وأرست فى مكامنها الخطوب
ولم تر لانكشاف الضر وجها * ولا أغنى بحيلته الاريب
أتاك على قنوط منك غوث * يمن به اللطيف المستجيب

(وقال آخر) عسى الهم الذى أمسيت فيه * يكون وراءه فرج قريب
فيأمن خائف ويغاث عان * ويأتى أهله النائى الغريب

(وقال آخر) تصبر أيها العبد اللبيب * لعلك بعد صبرك ما تخيب
وكل الحادثات اذا تناهت * يكون وراءها فرج قريب

(وقال ابراهيم بن العباس)

ولرب نازلة يضيق بها الفتى * ذرعا وعند الله منها المخرج

استعمانى مقصد تقبل الله عمله الصالح ومتجره الرابح وذلك انى كنت لابسا ثياب الحزن على ولدى مقيما بين المقابر اقامة تفتت حبة قلبى على قطعة كبدى ساقيا روض الحزن بغمائم الجفون باكيا على دينار وجه ما جلته الأيام بصرف المنون أطلب قلبى فى التراب وأنشده وأطارح صوت الصدا فينشدنى وأنشده شعر

يالهف قلبى على عبد الرحيم ويا
شوقى اليه ويا شجوى ويا دائى
فى شهر كانون وافاه الحمام لقد
أحرقت بالنار يا كانون احشائى

(وقال أيضا)

آها لعقد وهى سلكه
وكان ذا در بعبد الرحيم
فليتنى لاقيت عنه الردى
وعاد ذاك الدر درا يتيم

فاقتضى تدقيق النظير الصاحبى فى اسداء العوارف وابداء عواطف الفضل وفضل العواطف ان ينزع عنى بعجيبة ركابه الكريم لباس الباس ويشغلنى بمشافهة الانس القابل ألا هكذا فليصنع الناس وينهضنى بالانعام من حوادث الزمن ويقرب مثلى قربانا لا يفطن لمثله الامن ومن فيا لها سفرة قابلها وجه الاقبال بالسفور وتلا فضلها الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور ومد فيها الانعام على ظلالا ظليلا وما أبقى وعيني دقيقا وجليلا وأمرنى ان أصف له المنازل والطرق وصفا كقصده الجميل جميلا فسرنا وأيدى السعد قد ذللت الطرق بل طوتها وقدمت وعود الآمال بل أنجزتها والارض قد شرعت فى لباس حليها وحللها ومراعى الربيع قد وعدت حتى الشمس لتسمين حملها والشتاء قد آن أن يقوض الخيام والافق قد شمر للانصراف

ضاقت فلما استحكمت حلقاتها * فرجت وكان يظنها لا تفرج

(وقال آخر)

لئن صدع البين المشتت شملنا * فللبين حكم في الجموع صدوع
وللنجم من بعد الرجوع استقامة * وللشمس من بعد الغروب طلوع
وان نعمة زالت عن الحر وانقضت * فان لها بعد الزوال رجوع
فكن واثقا بالله واصبر لحكمه * فان زوال الشر عنك سريع

ولنذكر نبذة ممن حصل له الفرج بعد الشدة

روى ان الوليد بن عبد الملك كتب الى صالح بن عبد الله عامله على المدينة المنورة أن أخرج الحسن بن الحسن بن علي من السجن وكان محبوسا واضربه في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسمائة سوط فأخرجه الى المسجد واجتمع الناس وصعد صالح يقرأ عليهم الكتاب ثم نزل يأمر بضربه فبينما هو يقرأ الكتاب اذ جاء علي ابن الحسين عليه السلام فافرج له الناس حتى أتى الى جنب الحسن فقال يا ابن العم مالك ادع الله تعالى بدعاء الكرب يفرج الله عنك قال ما هو يا ابن العم فقال لا اله الا الله الحليم الكريم لا اله الا الله العلي العظيم سبحان رب السموات السبع ورب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين ثم انصرف عنه وأقبل الحسن يكررها فلما فرغ صالح من قراءة الكتاب ونزل قال أراه في سحنة مظلوما أخروه وأنا أراجع أمير المؤمنين في أمره فاطلق بعد أيام وأتاه الفرج من عند الله تعالى * وقال الربيع لما حبس المهدي موسى بن جعفر رأى في المنام عليا رضي الله تعالى عنه وهو يقول يا محمد فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا في الارض وتقطعوا أرحامكم قال الربيع فارسل المهدي الي ليلا فراعني ذلك فجئته فاذا هو يقرأ هذه الآية وكان حسن الصوت فقص علي الرؤيا ثم قال ائتني بموسى بن جعفر فجئته به فعانقه وأجلسه الى جانبه وقال يا أبا الحسن رأيت أمير المؤمنين يقرأ علي كذا فعاهدني أن لا تخرج علي ولا على أحد من ولدي فقال والله ما ذاك من شأني فقال صدقت ثم قال يا ربيع اعطه ثلاثة آلاف دينار ورده الى أهله بالمدينة قال الربيع فاحكمت أمره ليلا فما أصبح الا على الطريق وقال اسمعيل بن بشار

وكل حزن طالت بليته * يوما تفرج غماه وتنكشف

(وقال) مسلم بن الوليد كنت يوما جالسا عند خياط بازاء منزلي فرأيت انسانا أعرفه فقمت اليه وسلمت عليه وجئت به الى منزلي لاضيفه وليس معي درهم بل كان عندي زوج اخفاف فارسلتهما مع جاريتي لبعض معارفه فباعهما بتسعة دراهم واشترى بها ما قلته لها من الخبز واللحم فجلسنا نأكل واذا بالباب يطرق فنظرت من شق الباب واذا بانسان يسأل هذا منزل فلان ففتحت الباب وخرجت فقال أنت مسلم بن الوليد قلت نعم واستشهدت له بالخياط على ذلك فاخرج لي كتابا وقال هذا من الامير يزيد بن مزيد فاذا فيه قد بعثنا لك بعشرة آلاف درهم لتسكون في منزلك وثلاثة آلاف درهم تتجمل بها القدوم علينا فادخلته الى داري وزدت في الطعام واشتريت فاكهة وجلسنا فاكلنا ثم وهبت لضيفي شيأ يشتري به هدية لاهله وتوجهنا الى باب يزيد بالرقة فوجدناه في الحمام فلما خرج استؤذن لي عليه فدخلت فاذا هو جالس على كرسي وبيده مشط يسرح به لحيته فسلمت عليه فرد أحسن رد وقال ما الذي أقعدك عنا قلت قلة ذات اليد وأنشدته قصيدة مدحته بها قال أتدري لم أحضرتك قلت لا أدري قال كنت عند الرشيد منذ ليال أحادثه فقال لي يا يزيد من القائل فيك هذه الابيات

سل الخليفة سيفا من بني مضر * يمضي فيخترق الاجسام والهاما
كالدهر لا ينثني عما يهم به * قد أوسع الناس انعاما وارغاما

فقلت والله لا أدري يا أمير المؤمنين فقال سبحان الله أيقال فيك مثل هذا ولا تدري من قاله فسألت فقيل لي هو مسلم بن الوليد فارسلت اليك فانهض بنا الى الرشيد فسرنا اليه واستؤذن لنا فدخلنا عليه فقبلت الارض وسلمت فرد علي السلام فانشدته ما لي فيه من شعر فامر لي بمائتي ألف درهم وأمر لي يزيد بمائة وتسعين ألف درهم وقال ما ينبغي لي أن أساوي أمير المؤمنين في العطاء فانظر الى هذا التيسير الجسيم بعد العسر العظيم وما أحسن ما قيل

الامن والخوف أيام مداولة * بين الانام وبعد الضيق تتسع

ذيل الغمام ومبدأ الروض أحق بقول أبي الطيب المتنبي

لقد حسنت بك الايام حتى * كأنك في فم الدهر ابتسام

فاتتنا الكسوة فلبسنا منها للمسرة ثيابا سابغة الذيول وطفنا منها بكعبة الفضل طوافا واضح الاقبال والقبول وقلنا للمقاصد تباشري بالحظوة ولعيون الاقبال تأملي فما أحسن الكعبة في الكسوة ومررنا والخيل تجمز جمزا وجزنا بالصفين فهممت أن تقفز بواطئ خيلنا على اللات والعزى وصعدنا منزلة رأس الماء فكاد الطرب يهزه هزا ورأينا بينها وبين منزلة المغير أرضا قد اخضر جنابها وطرزت بأثمار طرف ثيابها فامرت بالقول فقلت سقى الله أرضا طرقها مثل طرزها وسائرها برد من الوشي أخضر تذكرت أحبابي بمثوى بريدها فعيني رأس الماء وجسمي المغير ووافينا الحصين وقد راغت الخيل روغان أبيه وتلقتنا بالبشر والبشرى وجوه أهليه وسألونا أن نربع عندهم الركاب من الاين وعجلوا بالضيافة على الفتوح ولا ينكر تعجيل الفتوح للحصين ووجدنا هنالك فقيرا مغربيا حسن التلاوة وقد عجز عن المسير وارتدى طرف قصده عن القدس خاسئا وهو حسير فامرت له الصدقات الصاحبية بمركوب ونفقة تعينه على السفر والاقامة ولحقه في ذلك فقير عجمي ينشد لسان حاله

بي مثل ما بك يا حمامة فسلي

أرملها صدقات تجود من الزاد والراحلة بالغيث والبرق ولا مثله متصدقا بمجلس لحظة واحدة فيركض نداه في الغرب والشرق وجئنا يعجلون حشر الناس لدينا ضحى وجاء أهل المدينة يستبشرون فرحا وارتفعت الاصوات بالادعية الوافية وأردنا أن نكتم دخولنا البلد

(ولما) وجه سليمان بن عبد الملك محمد بن يزيد الى العراق ليطلق أهل السجون ويقسم الأموال ضيق على يزيد بن أبي مسلم فلما ولي يزيد بن عبد الملك الخلافة ولى يزيد بن أبي مسلم أفريقية وكان محمد بن يزيد واليا عليها فاستخفى محمد بن يزيد فطلبه يزيد بن أبي مسلم وشدد في طلبه فأتى به اليه في شهر رمضان عند المغرب وكان في يد يزيد بن أبي مسلم عنقود عنب فقال لمحمد بن يزيد حين رآه يا محمد بن يزيد قال نعم قال طالما سألت الله أن يمكنني منك فقال وأنا والله طالما سألت الله أن يجيرني منك فقال والله ما أجارك ولا أعاذك وان سبقني ملك الموت الى قبض روحك سبقته والله لا آكل هذه الحبة العنب حتى أقتلك ثم أمر به فكتف ووضع في النطع وقام السياف فأقيمت الصلاة فوضع العنقود من يده وتقدم ليصلي وكان أهل أفريقية قد أجمعوا على قتله فلما رفع رأسه ضربه رجل بعمود على رأسه فقتله وقيل لمحمد بن يزيد اذهب حيث شئت فسبحان من قتل الأمير وفك الأسير (وقال) اسحق بن ابراهيم الموصلي رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم وهو يقول أطلق القاتل فارتعت لذلك ودعوت بالشموع ونظرت في أوراق السجن واذا ورقة انسان ادعى عليه بالقتل وأقربه فأمرت باحضاره فلما رأيته وقد ارتاع فقلت له ان صدقتني أطلقتك فحدثني انه كان هو وجماعة من أصحابه يرتكبون كل عظيمة وان عجوزا باتت لهم بامرأة فلما صارت عندهم صاحت الله الله وغشي عليها فلما أفاقت قالت أنشدك الله في أمري فان هذه العجوز غرتني وقالت ان في هذه الدار نساء صالحات وأنا شريفة جدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمي فاطمة وأبي الحسين بن علي فاحفظوهم في فقمت دونها وناضلت عنها فاشتد على واحد من الجماعة وقال لا بد منها وقاتلني فقتلته وخلصت الجارية من يده فقالت سترك الله كما سترتني وسمع الجيران الصيحة فدخلوا علينا فوجدوا الرجل مقتولا والسكين بيدي فامسكوني وأتوا بي اليك وهذا أمري فقال اسحق قد وهبتك لله ولرسوله فقال وحق الذين وهبتني لهما لا أعود الى معصية أبدا وأمر الحجاج باحضار رجل من السجن فلما حضر أمر بضرب عنقه فقال أيها الامير أخرني الى غد قال وأي فرج لك في تأخير يوم واحد ثم أمر برده الى السجن فسمعه الحجاج وهو راجع الى السجن يقول

عسى فرج يأتي به الله انه * له كل يوم في خليقته أمر

فقال الحجاج والله ما أخذه الا من كتاب الله وهو قوله تعالى كل يوم هو في شان وأمر باطلاقه (وقال) بعض جلساء المعتمد كنا بين يديه ليلة فخفق رأسه بالنعاس فقال لا تبرحوا حتى أغفي سويعة فغفا ساعة ثم أفاق جزعا مرعوبا وقال امضوا الى السجن وائتوني بمنصور الجمال فجاؤا به فقال له كم لك في السجن قال سنة ونصف قال على ماذا قال أنا جمال من أهل الموصل وضاق على الكسب ببلدي فأخذت جملي وتوجهت الى بلد غير بلدي لأعمل عليه فوجدت جماعة من الجند قد ظفروا بقوم غير مستقيمي الحال وهم مقدار عشرة أنفس وجدوهم يقطعون الطريق فدفع واحد منهم شيأ للاعوان فأطلقوه وأمسكوني عوضه وأخذوا جملي فناشدتهم الله فأبوا وسجنت أنا والقوم فأطلق بعضهم ومات بعضهم وبقيت أنا فدفع له المعتمد خمسمائة دينار وأجرى له ثلاثين دينارا في كل شهر وقال اجعلوه على جمالنا ثم قال أتدرون ما سبب فعلي هذا قلنا لا قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول أطلق منصورا الجمال من السجن وأحسن اليه * وأخذ الطاعون أهل بيت فسد بابه فقضل فيه طفل يرضع لم يشعر به أحد ففتح الباب بعد شهر فوجدوا الطفل قد عطف الله عليه كلبة ترضعه مع جروها فسبحان القادر على كل شيء لا اله غيره ولا معبود سواه قال الشاعر

اذا تضايق أمر فانتظر فرجا * فاضيق الامر أدناه الى الفرج

(وقال آخر) فلا تجزعن ان أظلم الدهر مرة * فان اعتكار الليل يؤذن بالفجر

(وقال آخر) لعمرك ما كل التعاطيل ضائرا * ولا كل شغل فيه للمرء منفعه

اذا كانت الارزاق في القرب والنوى * عليك سواء فاغتنم لذة الدعه

فان ضقت فاصبر يفرج الله ماترى * ألا رب ضيق في عواقبه سعه

وقال الرياشي ما اعتراني هم فانشدت قول أبي العتاهية حيث قال

هي الايام والغير * وأمر الله ينتظر * أتيأس أن ترى فرجا * فاين الله والقدر

الاسرى عني وهبت ريح الفرج ويروى ان سلطان صقلية أرق ذات ليلة ومنع النوم فارسل الى قائد البحر

وكيف تكتمنا وهي ذات عين صافية ثم نزلنا بالخيام في مرجتها الخضراء تحت قلعتها الغراء وهي في معارج السحب صاعدة شائدة في الجو كأنها في السحر على عمود الصبح قاعدة مضيئة بين عقود الانجم كأنها درتها اليتيمة جالسة على سرير الجبل تنادم الفرقدين كأنها جذيمة فنظر في المصالح وميز بالعدل بين الصالح والطالح وعجل من تجاوز المسير فلم ينظر الغادي الذي هو رائح وأشرفنا على بركات القصد المنجية واقتحمنا الى الغور عقبة سهلها السعد فلا تقل ما أدراك ما العقبة واستفتحنا المزارات التي نوينا قصدها وطوينا غورها ونجدها بمشهد صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أبو عبيدة ابن الجراح رضي الله تعالى عنه فترامينا اليه بالعزم الفاخر وزار أمين هذه الامة الاول أمينها الآخر وأجرى أمر مشهده على سنن الصلاح ونظر في مرتبه بعين العدل وأعانه بيد السماح وجعل والي الناحية عبيدة وما جعل لشاهده المعروف بالجراح وسلكنا جانب الغور المطور فاجتنبنا باوروا وكنا نظن الماء فيه غورا فوجدنا الغور ماء وخضنا في حديثه وخاضت الخيل وتركنا عقباته كالعلقة وملنا الى السهل كل الميل وتلقينا كل ذي قصد ببشر الصباح ولم نقل أهلك والليل ومازلنا كذلك لا نغربوا دالا أتت مع الابتهال بطول العمر ماله وأراملة ولا بنادا الا قامت للدعاء رجاله وأطفاله وحلائله ولا بولاية الا ارتج غدرها ولا ببلدة الا زهاء على التي بين السماكين بدرها ولا ماش الا احتمله المعروف ولا عابر سبيل الا آنسه من النعماء صنوف ولا جائز الا شملته جائزة ولا منقطع بمفازة الا وعقباه فائزة ولا ظبية

وقال له انفذ الآن مركبا الى أفريقية يأتوني بأخبارها فجد القائد الى مقدم مركب وأرسله فلما أصبحوا اذا بالمركب فى موضعه كأنه لم يبرح فقال الملك لقائد البحر أليس قد فعلت ما أمرتك به قال نعم قد امتثلت أمرك وأنفذت مركبا فرجع بعد ساعة وسجد ثلث مقدم المركب فأمر باحضاره فجاء ومعه رجل فقال له الملك ما منعك أن تذهب حيث أمرت قال ذهبت بالمركب فبينما أنا فى جوف الليل والرجال يجدفون اذا بصوت يقول يا ألله يا ألله يا غياث المستغيثين يكررها مرارا فلما استقر صوته فى أسماعنا ناديناه مرارا لبيك لبيك وهو ينادى يا ألله يا ألله يا غياث المستغيثين فجدفنا بالمركب نحو الصوت فلقينا هذا الرجل غريقا فى آخر رمق من الحياة فطلعنا به المركب وسألناه عن حاله فقال كنا مقلعين من افريقية فغرقت سفينتنا منذ أيام وأشرفت على الموت ومازلت أصيح حتى أتانى الغوث من ناحيتكم فسبحان من أسهر سلطانا وأرقه فى قصره لغريق فى البحر حتى استخرجه من تلك الظلمات الثلاث ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة الوحدة فسبحانه لا اله غيره ولا معبود سواه

(وحكى) سيدى أبو بكر الطرطوشى فى كتابه سراج الملوك قال أخبرنى أبو الوليد الباجى عن أبى ذر قال كنت اقرأ على الشيخ أبى حفص عمر بن أحمد بن شاهين ببغداد جزأ من الحديث فى حانوت رجل عطار فبينما أنا جالس معه فى الحانوت اذ جاءه رجل من الطوّافين ممن يبيع العطر فى طبق يحمله على يده فدفع اليه عشرة دراهم وقال له اعطنى بها أشياء سماها له من العطر فأعطاه اياها فأخذها فى طبقه وأراد أن يمضى فسقط الطبق من يده فانكب جميع ما فيه فبكى الطوّاف وجزع حتى رحمناه فقال أبو حفص لصاحب الحانوت لعلك تعينه على بعض هذه الأشياء فقال سمعا وطاعة فنزل وجمع له ماقدر على جمعه منها ودفع له ماعدم منها وأقبل الشيخ على الطوّاف يصبره ويقول له لا تجزع فأمر الدنيا أيسر من ذلك فقال الطوّاف أيها الشيخ ليس جزعى لضياع ماضاع لقد علم الله تعالى أنى كنت فى القافلة الفلانية فضاع لى هميان فيه أربعة آلاف دينار ومعها فصوص قيمتها كذلك فما جزعت لضياعها حيث كان لى غيرها من المال ولكن ولدلى ولد فى هذه الليلة فاحتجنا الامه ماتحتاج النفساء ولم يكن عندى غير هذه العشرة دراهم فخشيت أن أشترى بها حاجة النفساء فأبقى بلا رأس مال وأنا قد صرت شيخا كبيرا لا أقدر على التكسب فقلت فى نفسى أشترى بها شيأ من العطر فأطوف به صدر النهار فعسى أستفضل شيأ أسد به رمق أهلى ويبقى رأس المال أتكسب به واشتريت هذا العطر فحين انكب الطبق علمت أنه لم يبق لى الا الفرار منهم فهذا الذى أوجب جزعى قال أبو حفص وكان رجل من الجند جالسا الى جانبى يستوعب الحديث فقال للشيخ أبى حفص ياسيدى أريد أن تأتى بهذا الرجل الى منزلى فظننا أنه يريد أن يعطيه شيأ قال فدخلنا الى منزله فاقبل على الطوّاف وقال له عجبت من جزعك فأعاد عليه القصة فقال له الجندى وكنت فى تلك القافلة قال نعم وكان فيها فلان وفلان فعلم الجندى صحة قوله فقال وما علامة الهميان وفى أى موضع سقط منك فوصف له المكان والعلامة قال الجندى اذا رأيته تعرفه قال نعم فأخرج الجندى له هميانا ووضعه بين يديه فحين رآه صاح وقال هذا هميانى والله وعلامة صحة قولى ان فيه من الفصوص ما هو كيت وكيت ففتح الهميان فوجده كما ذكر فقال الجندى خذ مالك بارك الله لك فيه فقال الطوّاف ان هذه الفصوص قيمتها مثل الدنانير وأكثر فخذها وأنت فى حل منها ونفسى طيبة بذلك فقال الجندى ما كنت لآخذ على أمانتى مالا وأبى أن يأخذ شيأ ثم دفعها للطوّاف جميعها فأخذها ومضى ودخل الطوّاف وهو من الفقراء وخرج وهو من الأغنياء اللهم أغن فقرنا ويسر أمرنا برحمتك يا أرحم الراحمين. (وحكى) ان الملك ناصر الدولة من آل حمدان كان يشكو وجع القولنج حتى أعيا الأطباء دواؤه ولم يجدوا له شفاء فدسوا على قتله وأرصدوا له رجلا ومعه خنجر فلما كان فى بعض دهاليز القصر وثب عليه ذلك الرجل وضربه بالخنجر فجاءت الضربة أسفل خاصرته فلم تخط المعا الذى فيه القولنج فخرج ما فيه من الخلط فعافاه الله تعالى وبرئ أحسن ما كان * ويعضد هذا ما حكاه أبو بكر الطرطوشى قال حدثنا القاضى أبو مروان الدارانى بطرطوشة قال نزلت قافلة بقرية خربة من أعمال دانية فأووا الى دار خربة هنالك فاستكنوا فيها من الرياح والأمطار واستوقدوا نارهم وسووا معيشتهم وكان فى تلك الخربة حائط مائل قد أشرف على الوقوع فقال رجل منهم يا هؤلاء لا تقعدوا تحت هذا الحائط ولا يدخلن أحد فى هذه البقعة فأبوا الا دخولها فاعتزلهم ذلك الرجل وبات خارجا عنهم ولم يقرب ذلك المكان فأصبحوا فى عافية وحملوا على دوابهم فبينما هم كذلك اذ دخل ذلك الرجل الى الدار ليقضى حاجته فخر عليه الحائط

من ظبيات دمشق الا والمكارم تواليها وتواليها وتوجدها فى القفار كما توجدها أولياء الله فيها الى أن قدمنا القدس الشريف نحن والغمام وسبقنا اليه طرة الصبح تحت أذيال الظلام وخف بنا جناح الشوق والسوق حين دنت الخيام من الخيام وألقينا بباب حرمه عصى السفر وألقت هنالك رحالها كائب المطر وزرنا باب الرحمة من الارض وزارنا باب الرحمة من السماء وصرنا من الصالحين عند زيارة الاقصى فمشينا على الماء وحمدنا الاوطان والاقطار واستمرت السحب حتى عادت الصخرة كحجر موسى تتفجر منها الانهار وأقمنا فى بيوت أذن الله أن يرفع شأنها ويسبح فيها بالغدو والآصال سكانها وكان معنا شخص يلقب بالخالد سكن يشاحننا وغمض عينه على الرفاق تغميضا بينا (فقال) مولانا الصاحب ما تقول فى بيته فقلت ما أقول فى جنة الخلد وشكا قوم عشرة هذا الرجل فكتبت على ورقتهم اصبروا على ما يفعلون وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون ثم دخل الناس على الأبواب الصاحبية أفواجا وما ترك أحد منهم منهاجا اذا ناحية الا منها جا ومكثنا فى البيوت الى أن صحا الافق من مدامة غمامه وحسر عن وجهه للابصار فضل لثامه وقفنا البقية المشاهد قاصدين وتلك المبانى المعظمة شاهدين ومشاهدين فعاودنا الصخرة بقلوب قد لانت ونثرنا على مواطئ القدم دموعا عزت بلمسها ولا نقول هانت ونظرنا آثارا قديمة تذهل عيون النظارة وآثارا متجددة فى هذه الدولة القاهرة تقصر عنها العبارة ومحاسن يقف فى طريق الزيارة متأملها ووقفة فى الطريق نصف الزيارة فمنها ما هو مخصوص بالحرم الشريف نستلم

فمات لوقته * قال وأخبرنى أبو القاسم بن حبيش بالموصل قال لقد جرت فى هذه الدار وأشار الى دار هناك قصة عجيبة قلت وما هى قال كان يسكن هذه الدار رجل من التجار ممن يسافر الى الكوفة فى تجارة الخزفاتفق أنه جعل جميع ما معه من الخز فى خرج وحمله على حماره وسار مع القافلة فلما نزلت القافلة أراد انزال الخرج عن الحمار فثقل عليه فأمر انسانا هناك فأعانه على انزاله ثم جلس يأكل فاستدعى ذلك الرجل ليأكل معه فسأله عن أمره فأخبره أنه من أهل الكوفة وأنه خرج لحاجة عرضت له بغير نفقة ولازاد فقال له الرجل كن رفيقى آنس بك وتعيننى على سفرى ونفقتك ومؤنتك على فقال له الرجل وأنا أيضا أختار صحبتك وأرغب فى مرافقتك فسار معه فى سفره وخدمه أحسن خدمة الى أن وصلا الى تكريت فنزل الرفقة خارج المدينة ودخل الناس الى قضاء حوائجهم فقال التاجر لذلك الرجل احفظ حوائجنا حتى أدخل المدينة وأشترى ما نحتاج اليه ثم دخل المدينة وقضى جميع حوائجه ورجع فلم يجد القافلة ولا صاحبه ورحلت الرفقة ولم ير أحدا فظن انه لما رحلت الرفقة رحل ذلك الخادم معهم فلم يزل يسير ويجد السير فى المشى الى أن أدرك القافلة بعد جهد عظيم وتعب شديد فسألهم عن صاحبه فقالوا ما رأيناه ولا جاء معنا ولكنه ارتحل على أثرك فظننا انك أمرته فكر الرجل راجعا الى تكريت وسأل عن الرجل فلم يجد له أثرا ولا سمع له خبرا فيئس منه ورجع الى الموصل مسلوب المال فوصلها نهارا فقيرا جائعا عريانا مجهودا فاستحى أن يدخلها نهارا فتشمت به الأعداء نعوذ بالله من شماتتهم وخشى أن يحزن الصديق اذا رآه على تلك الحالة فاستخفى الى الليل ثم عاد الى داره فطرق الباب فقيل له من هذا قال فلان يعنى نفسه فاظهروا له سرورا عظيما وحاجة اليه وقالوا الحمد لله الذى جاء بك فى هذا الوقت على ما نحن فيه من الضرورة والحاجة فانك أخذت مالك معك وما تركت لنا نفقة كافية وأطلت سفرك واحتجنا وقد وضعت زوجتك اليوم والله ما وجدنا ما نشترى به شيأ للنفساء فأتنا بدقيق ودهن نسرج به علينا فلا سراج عندنا فلما سمع ذلك ازداد غما على غمه وكره أن يخبرهم بحاله فيحزنهم بذلك فأخذ وعاء للدهن ووعاء للدقيق وخرج الى حانوت امام داره وكان فيه رجل يبيع الدقيق والزيت والعسل ونحو ذلك وكان البياع أطفأ سراجه وأغلق حانوته ونام فناداه فعرفه فأجابه وشكر الله على سلامته فقال له افتح حانوتك وأعطنا ما نحتاج اليه من دقيق وعسل ودهن فنزل البياع الى حانوته وأوقد المصباح ووقف يزن له ما طلب فبينما هو كذلك اذ حانت من التاجر التفاتة الى قعر الحانوت فرأى خرجه الذى هرب به صاحبه فلم يملك نفسه أن وثب اليه والتزمه وقال يا عدو الله ائتنى بمالى فقال له البياع ما هذا يا فلان والله ما علمتك متعديا وأنا أبدا ما جنيت عليك ولا على غيرك فما هذا الكلام قال هذا خرجى هرب به خادم كان يخدمنى وأخذ حمارى وجميع مالى فقال البياع والله مالى علم غير أن رجلا ورد على بعد العشاء واشترى منى عشاء وأعطانى هذا الخرج فجعلته فى حانوتى وديعة الى حين يصبح والحمار فى دار جارنا والرجل فى المسجد نائم قال له احمل معى الخرج وامض بنا الى الرجل فرفع الخرج على عاتقه ومضى معه الى المسجد فاذا الرجل نائم فى المسجد فوكزه برجله فقام الرجل مرعوبا فقال مالك قال أين مالى يا خائن قال ها هو فى خرجك فوالله ما أخذت منه ذرة قال فأين الحمار وآلته قال هو عند هذا الرجل الذى معك فعفا عنه وخلى سبيله ومضى بخرجه الى داره فوجد متاعه سالما فوسع على أهله وأخبرهم بقصته فازداد سرورهم وفرحهم وتبركوا بذلك المولود فسبحان من لا يخيب من قصده ولا ينسى من ذكره (ولنلحق بهذا الباب ذكر شئ مما جاء فى التهنئة والبشائر) كتب بعضهم الى أخيه وقد أتاه خبر استبشر به سمعت عنك خبرا سارا كتب فى الألواح وامتزج بالأرواح وعد فى جملة البشائر العظام وجرى فى العروق وتمشى فى العظام وكان خالد بن عبد الله القسرى أخا هشام بن عبد الملك من الرضاع وكان يقول له انى لأرى فيك آثار الخلافة ولا تموت حتى تليها فقال له ان أنا وليتها فلك العراق فلما ولى أتاه فقام بين الصفين وقال يا أمير المؤمنين أعزك الله بعزته وأيدك بملائكته وبارك لك فيما والاك ورعاك فيما استرعاك وجعل ولايتك على أهل الاسلام نعمة وعلى أهل الشرك نقمة لقد كانت الولاية اليك أشوق منك اليها وأنت لها أزين منها لك وما مثلها ومثلك الا كما قال الأحوص هذه الأبيات

وان الدر زاد حسن وجوه * كان للدر حسن وجهك زينا
وتزيدن أطيب الطيب طيبا * ان تمسنه أين مثلك أينا

كالجباج أركانه ونقلب وجوهنا فى سماء سقف يكاد يقطر علينا لجينه وعقيانه ونشاهد درخاما بلغ فى الحسن والمحل الاقصى الاقصى وعت به فى بهجة المكان زيادة تخالف قول النحاة ان فى الترخيم نقصا فاما المياه التى تجرى فى الحرم على رأسها وتطوف على مواضع المنافع بنفسها فتلك نعمة مقيمة يكافى الله عنها فى دار المقامة وحسنة فى المعنى والصورة جارية الى يوم القيامة ومن المبانى المذكورة ما هو خصيص بمولانا ملك الامراء أعز الله أنصاره وأبقاه سيفا يقف كل ذى قدر عند حده فلا يجاوز مقداره من مدرسة علم يدرس ولا يدرس معهده ودار حديث يروى فيروى الاسماع الظامئة مورده وخانقاه تضىء عليها أنوار البركات الكوامل ورباط ومكتب هما كما قيل

ثمال اليتامى عصمة للارامل

وقلت فيها

بنيت رباطا للنساء ومكتبا
يدير على الأيتام سحب أنامل
فلله من هذا وذلك كما ترى
ثمال اليتامى عصمة للارامل

فجبينا من تلك المحاسن بساتين دانية القطوف ولحظنا من الظلال السيفية جنة نشأت وكذلك الجنة تحت ظلال السيوف وشرعت صدقات السر والجهر وقوبل السؤال بجر لا يسمع عنده نهر وغص بفقرائهم المكان والطريق وجاؤا رجالا ونساء وعلى كل ضامر من العصى يأتين من كل فج عميق فوضع فى مواضع النوال وقدرت الكساوى حتى على المستورين والاطفال هذا وكم ثياب صوف أعرض اشراقها عن مقال اللاحين واتخذ الفقراء والأغنياء من أصوافها أثاثا ومتاعا الى حين وجاءت الدراهم بعد التفاصيل بالجمل وقال بجودها الحاتم هذى التى

(ودخل) على المهدى اعرابى فقال له فيم جئت قال أتيتك برسالة قال هاتها قال أتانى آت فى منامى فقال ائت أمير المؤمنين فأبلغه هذه الأبيات

لكم ارث الخلافة من قريش * تزف اليكم وأبدا عروسا
الى هرون تهدى بعد موسى * تميس وما لها أن لا تميسا

فقال المهدى ياغلام على بالجواهر فحشا فاه حتى يكاد ينشق ثم قال اكتبوا هذه الأبيات واجعلوها فى بخانق صبياننا (وقال) ابراهيم الموصلى فى تهنئة الرشيد بالخلافة

ألم تر أن الشمس كانت مريضة * فلما أتى هرون أشرق نورها
تلبست الدنيا جمالا بملكه * فهرون واليها ويحيى وزيرها

وغناه بهما من وراء الحجاب فوصله بمائة ألف دينار ويحيى بخمسين ألفا * ودخل عطاء بن أبى صيفى على يزيد ابن معاوية وهو أول من جمع بين التهنئة والتعزية فقال رزئت خليفة الله وأعطيت خلافة الله قضى معاوية نحبه فغفر الله ذنبه ووليت الرياسة وكنت أحق بالسياسة فاحتسب عند الله أعظم الرزية واشكر الله على أعظم العطية * ومر عمر بن هبيرة بعد اطلاقه من السجن بالرقة فاذا امرأة من بنى سليم على سطح لها تحادث جارة لها بالبلا وهى تقول لا والذى أسأله أن يخلص عمر بن هبيرة مما هو فيه ما كان كذا فرمى اليها بصرة فيها مائة دينار وقال قد خلص الله عمر بن هبيرة فطيبى نفسا وقرى عينا والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب الثامن والخمسون فى ذكر العبيد والاماء والخدم وفيه فصلان﴾

﴿الفصل الأول فى مدح العبيد والاماء والاستيصاء بهم خيرا﴾ عن على رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أول من يدخل الجنة شهيد وعبد أحسن عبادة ربه ونصح لسيده وعن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما رفعه ان العبد اذا نصح لسيده وأحسن عبادة ربه فله أجره مرتين وكان زيد بن حارثة خادما لخديجة رضى الله تعالى عنها اشترى لها بسوق عكاظ فوهبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء أبوه يريد شراءه منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رضى بذلك فعلت فسئل زيد فقال ذل الرق مع صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب الى من عز الحرية مع مفارقته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اختارنا اخترناه فاعتقه وزوجه أم أيمن وبعدها زينب بنت جحش وعن على رضى الله تعالى عنه قال كان آخر كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصيكم بالصلاة واتقوا الله فيما ملكت أيمانكم وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه لا يقولن أحدكم عبدى وأمتى كلكم عبيد الله وكل نسائكم اماء الله ولكن ليقل غلامى وجاريتى وفتاى وفتاتى وعن ابن مسعود الانصارى قال ضربت غلاما لى فسمعت من خلفى صوتا اعلم أبا مسعود ان الله أقدر عليك منك عليه فالتفت فاذا هو النبى صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله هو حر لوجه الله فقال اما انك لو لم تفعل للفحتك النار وروى عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله كم تعفو عن الخادم ثم أعاد عليه فصمت فلما كانت الثالثة قال له أعفو عنه كل يوم سبعين مرة وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال حدثنى أبو القاسم نبى التوبة صلى الله عليه وسلم من قذف مملوكه وهو برىء مما قال جلد له يوم القيامة حدا وقيل أراد رجل بيع جارية فبكت فقال لها مالك فقالت لو ملكت منك ما ملكت منى ما أخرجتك من يدى فاعتقها وتزوجها وقال أبو اليقظان ان قريشا لم تكن ترغب فى أمهات الأولاد حتى ولدن ثلاثة هم خير أهل زمانهم على بن الحسين والقاسم بن محمد وسالم بن عبد الله وذلك أن عمر رضى الله تعالى عنه أتى ببنات يزدجرد بن شهريار بن كسرى مسبيات فأراد بيعهن فأعطاهن للدلال ينادى عليهن بالسوق فكشف عن وجه احداهن فلطمته لطمة شديدة على وجهه فصاح واعمراه وشكا اليه فدعاهن عمر وأراد أن يضربهن بالدرة فقال على رضى الله تعالى عنه يا أمير المؤمنين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أكرموا عزيز قوم ذل وغنى قوم افتقر ان بنات الملوك لا يبعن ولكن قوموهن فقومهن وأعطاه أثمانهن وقسمهن بين الحسن بن على ومحمد بن أبى بكر وعبد الله بن عمر فولدت هؤلاء الثلاثة وقيل استبق بنو عبد الملك فسبقوا مسلمة وكان ابن أمة فتمثل عبد الملك بقول عمرو العبدى

نهيتكموا

لا ناقة لى فيها ولا جمل

﴿وقد قلت فى ذلك﴾

لله حال امرئ مقتر
قضيت فى القدس بتنفيسه
ودرهم ولى واسكنه
قد أخذ الأجر على كيسه

ثم تليت الختمات التى شرف الله تعالى ذكرها ومواعيد التفاسير والرقائق التى أجرت الأوقات الصاحبية أجرها وشرع فى بناء الرواق على سطح الزاوية الصاحبية بباب الحرم الشريف وأخذ راقم الرخام فى التوشيع والتفويف فيالها الواحا كتب فيها من الحسن كل شىء واطرد ماء رونقها فكان العين منها فى ماء وفىء وياله رواقا شاق وصفه وراق ورفع محله فقال لسان المتصوف حبذا رفاهى الرواق ثم رتب للشيخ والفقراء ما يحتاجون اليه من كل نوع فريدوا أصبح كل أحد وهو للنزول عند ذلك الشيخ مريد وبرزنا فى اليوم السابع من الاقامة وقد قدمنا نقصد الخليل صلوات الله عليه بالنية الجلية وطربنا لتلك المنازل وكيف لا نطرب لها وهى الخليلية وزرنا قبر يونس عليه السلام فى طريقنا ورفعنا لأنواره الجفون وعلى عند الزيارة وذا العين بذى النون ثم نزلنا من محل الخليل على محل القرى وحمدنا عند صباح ذلك الوجه السرى واستقبلنا بمقام ابراهيم أمانا واستلمنا من ضريح شائد الركن ومن ضرائح أهله أركانا وأكلنا من شهى عدسه لونا ووجدنا من الهناء ألوانا وقلنا لأنفاس الشوق كونى بردا وسلاما على ابراهيم ووردنا موردا للقاء نشفى ظما البراهيم وفرقت الهبات وتليت الختمات وجرت المواعيد على عوائدها المحكمات فقلت

قصدنا خليل الله فى ظل صاحب
جلى العلى والمكرمات جليل

نهيتكم أن تحملوا فوق خيلكم * هجيناً لكم يوم الرهان فيدرك
فتعثر كفاه ويسقط سوطه * ويخدر ساقاه فما يتحرك
وهل يستوى المرآن هذا ابن حرة * وهذا ابن أخرى ظهرها متشرك

فقال له مسلمة يغفر الله لك يا أمير المؤمنين ليس هذا مثلي ولكن كما قال ابن المعمر هذه الأبيات

فما أنكحونا طائعين بناتهم * ولكن خطبناهم بأرماحنا قسرا
فما زادنا فيها السباء مذلة * ولا كلفت خبزا ولا طبخت قدرا
وكم قد ترى فينا من ابن سبية * اذا لقى الأبطال يطعنهم شزرا
ويأخذ رايات الطعان بكفه * فيوردها بيضا ويصدرها حمرا

فقبل رأسه وعينيه وقال أحسنت يا بني ذاك والله أنت وأمر له بمائة ألف درهم مثل ما أخذ السابق والله أعلم

﴿الفصل الثاني في ذم العبيد والخدم﴾ روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال بئس المال في آخر الزمان المماليك وقال مجاهد اذا كثرت الخدم كثرت الشياطين وقال لقمان لابنه لا تأمن امرأة على سر ولا تطأ خادما تريدها للخدمة * ووصف بعضهم عبدا فقال يأكل فارها ويعمل كارها ويبغض قوما ويحب نوما وقيل لبعضهم ألك غلام فقال

ومالى غلام فادعو به * سوى من أبوه أخو عمتى

وقال أكثم الحر حر وان مسه الضر والعبد عبد وان ألبسته الدر * ودعا بعض أهل الكوفة اخوانه وله جارية فقصرت فيما ينبغي لهم من الخدمة فقال

اذا لم يكن في منزل المرء حرة * رأى خللا فيما تولى الولائد
فلا يتخذ منهن حر قعيدة * فهن لعمر الله بئس القعائد

وكان لرجل غلام من أكسل الناس فأرسله يوما يشترى له عنبا وتينا فأبطأ عليه حتى عيل صبره ثم جاء بأحدهما فضربه وقال ينبغي لك اذا استقضيتك حاجة أن تقضي حاجتين فمرض الرجل فأمر الغلام أن يأتيه بطبيب فغاب ثم جاء بالطبيب ومعه رجل آخر فسأله عنه فقال أما ضربتني وأمرتني أن أقضي حاجتين في حاجة فجئتك بالطبيب فان شفاك الله تعالى والا حفر لك هذا قبرك فهذا طبيب وهذا حفار وقيل كان عمرو الأعجمي يلي حكم السند فكتب الى موسى الهادي أن رجلا من أشراف أهل الهند من آل المهلب بن أبي صفرة اشترى غلاما أسود فرباه وتبناه فلما كبر وشب اشتد به هوى مولاته فراودها عن نفسها فأجابته فدخل مولاه يوما على غفلة منه من حيث لا يعلم فاذا هو على صدر مولاته فعمد اليه فجب ذكره وتركه يتشحط في دمه ثم أدركته عليه رقة وندم على ذلك فعالجه الى أن برئ من علته فأقام الغلام بعدها مدة يطلب أن يأخذ ثاره من مولاه ويدبر عليه أمرا يكون فيه شفاء غليله وكان لمولاه ابنان أحدهما طفل والآخر يافع كأنهما الشمس والقمر فغاب الرجل يوما عن منزله لبعض الأمور فأخذ الأسود الصبيين فصعد بهما على ذروة سطح عال فنصبهما هنالك وجعل يعللهما بالمطعم مرة وباللعب أخرى الى أن دخل مولاه فرفع رأسه فرأى ابنيه في شاهق مع الغلام فقال ويلك عرضت ابني للموت قال أجل والله الذي لا يحلف العبد بأعظم منه لئن لم تجب ذكرك مثل ما جببتني لأرمين بهما فقال الله الله يا ولدي في تربيتي لك قال دع هذا عنك فوالله ما هي الا نفس وانى لأسمح بها في شربة ماء فجعل يكرر عليه ويتضرع له وهو لا يقبل ذلك ويذهب الوالد يريد الصعود اليه فيدليهما من ذلك الشاهق فقال أبوهما ويلك فاصبر حتى أخرج مدية وأفعل ما أردت ثم أسرع وأخرج مدية فجب نفسه وهو يراه فلما رأى الأسود ذلك رمى الصبيين من ذلك الشاهق فتقطعا وقال ان جبك لنفسك ثارى وقتل أولادك زيادة فيه فأخذ الأسود وكتب بخبره لموسى الهادي فكتب موسى لصاحب السند عمرو الأعجمي بقتل الغلام وقال ما سمعت بمثل هذا قط وأمر أن يخرج من مملكته كل أسود فما ترى أردأ من العبيد ولا أقل خيرا منهم وأكثرهم داء المولدون لو أحسنت الى أحدهم الدهر كله بكل ما تصل يدك اليه أنكره كأن لم ير منك شيأ وكلما أحسنت اليه تمرد وان أسأت اليه خضع وذل وقد جربت أنا ذلك كثيرا وما أحسن ما قيل

اذا أنت أكرمت الكريم ملكته * وان أنت أكرمت اللئيم تمردا

فهذا الدنيا ناو هذا الدينا

فما حبذا من صاحب وخليل
وسرنا في ظل الصاحب من الخليل وكادت دمشق تمد أيدى اعطائها المجاذبة ركابه ومصر تتضرع بأصابع نيلها طمعا في اقترابه وترضع ثدى هرمها داعية الى الله بعوده اليها وايابه وهم شمالك الوزارة أن يتلقى صاحب فتحه وصدر الخزائن أن يعانق ما اعتاده من رأى عطفه ومنحه فانه ما جلس فيه أبهر وأبهى من الطلعة الامينية بإجماع الآملين المتأملين والخزائن التي قال لها تدبيره انى حفيظ عليم فقال الملك وانك لدينا مكين أمين ثم عطفتنا الاقدار الى جهة الرملة وجاءت الوفود كالرمل وخفت أكياس دراهم الصلات وثقلت أكياس دراهم الحمل وأقمنا ثلاثة أيام نكاد ننشد

خرجنا على أن المقام ثلاثة
فطاب لنا حتى أقمنا بها عشرا

ورأينا مجدا يعرف بالركني قد غير الزمان محاسنه الأنيقة وهدم الخراب والموت ركنيه على الحقيقة فأمر مولانا الصاحب بعمارة ما منه اندثر ولحظت لآراء تجارته المنقضة فتبين أن السعادة تلحظ الحجر ولقد صنع في هذه المنزلة من المعروف ما لا صنع ذوو الدهر الطويل مثله وبنى من المكرمات ما ثبت ولولا ابداع سعادته ما ثبت البناء فوق الرملة ورحلنا عن الرملة بنية الزيارة لمشهد زكريا ويحيى عليهما الصلاة والسلام فمررنا في طريقنا بجملة خير معترضة وبنية في وجهة القبول مبيضة تحتوى على قبر بنيامين أخي يوسف عليهما السلام فألحقناه بالزيارة بأخيه وتوكلنا على الله في القبول توكل أبيه وتيممنا بنيامين وقرعنا أبواب السماء بأدعية فاتحة فقال النجح عقيب الفاتحة آمين وسرنا والصدور

وقيل ان العبد اذا شبع فسق وان جاع سرق وكان جدى لأمى يقول شر المال تربية العبيد والمولدون منهم ألأم من الزنوج وأردأ لان المولد لا يعرف له أب او بما يعرف الزنجى أبويه و يقال فى المولد بغل لأنه مجنس والبغل تكون أمه فرسا وأبوه حمارا او بالعكس فلا تثق بمولد لأنه قل أن يكون فيه خير وان كان فذلك نادر والنادر لا حكم له وأنا أستغفر الله العظيم وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

❋ الباب التاسع والخمسون فى أخبار العرب الجاهلية وأوابدهم وذكر غرائب من عوائدهم وعجائب من أكاذيبهم ❋

للعرب أوابد وعوائد كانوا يرونها فضلا وقد دل على بعضها القرآن العظيم وأكذب الله دعاويهم فيها فمن ذلك قوله تعالى ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون ❋ قال أهل اللغة البحيرة ناقة كانت اذا أنتجت خمسة أبطن وكان الأخير ذكرا بحروا أذنها أى شقوا أذنها وامتنعوا من ذكاتها ولا تمنع من ماء ولا مرعى ❋ وكان الرجل اذا أعتق عبدا وقال هو سائبة فلا عقد بينهما ولا ميراث ❋ وأما الوصيلة ففى الغنم كانت الشاة اذا ولدت أنثى فهى لهم وان ولدت ذكرا جعلوه لآلهتهم فان ولدت ذكرا وأنثى قالوا وصلت أخاها فلا يذبح الذكر لآلهتهم ❋ وأما الحام فالذكر من الابل كانت العرب اذا أنتج من صلب الفحل عشرة أبطن قالوا حمى ظهره فلا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا مرعى ❋ وقال تعالى انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون فالخمر ما خامر العقل ومنه سميت الخمر خمرا والميسر القمار والانصاب حجارة كانت لهم يعبدونها وهى الأوثان واحدها نصب والأزلام سهام كانت لهم مكتوب على بعضها أمرنى ربى وعلى بعضها نهانى ربى فاذا أراد الرجل سفرا أو أمرا يهتم به ضرب بتلك القداح فاذا خرج الأمر مضى لحاجته واذا خرج النهى لم يمض ❋ ومن أوابدهم وأد البنات أى دفنهن أحياء كانوا فى الجاهلية اذا رزق أحدهم أنثى وأدها واذا بشر بها ضاق صدره وكظم وجهه وهو قوله تعالى واذا بشر أحدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم وقال تعالى ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياكم وقد قيل انهم كانوا يقتلونهن خوف العار وعكة جبل يقال له أبو دلامة كانت قريش تدفن فيه البنات ❋ وقيل ان صعصعة جد الفرزدق كان يشترى البنات ويفديهن من القتل كل بنت بناقتين عشراوين وجمل وفاخر الفرزدق رجلا عند بعض خلفاء بنى أمية فقال أنا ابن محيى الموتى فأنكر الرجل ذلك فقال ان الله تعالى يقول ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا (وأما الرفادة فى الحج) فكانت خرجا تخرجه قريش فى كل موسم من أموالهم الى قصى فيصنع به طعاما للحاج فيأكله من لم يكن له سعة ولا زاد وذلك ان قصيا فرضه على قريش فقال لهم حين أمرهم به يا معشر قريش انكم جيران الله وأهل بيته وأهل الحرم وان الحجاج ضيوف الله وزوار بيته وهم أحق الضيف بالكرامة فاجعلوا لهم طعاما وشرابا أيام الحاج حتى يصدر واعنكم ففعلوا وكانوا يخرجون ذلك كل عام من أموالهم فيدفعونه اليهم ❋ وقيل أول من أقام الرفادة عبد المطلب وهو الذى حفر بئر زمزم وكانت مطمومة واستخرج منها الغزالين الذهب اللذين عليهما الدر والجوهر وغير ذلك من الحلى وسبعة أسياف وخمسة دروع سوابغ فضرب من الأسياف باب الكعبة وجعل أحد الغزالين الذهب صفائح الذهب وجعل الآخر فى الكعبة ❋ (واعلم) ❋ وفقنى الله واياك انه لم يسمع بعجب أعظم من عجب سعيد بن زرارة وعبد الله بن زياد التميمى وابن سماك الأسدى الذين ضرب بهم المثل ❋ فأما سعيد بن زرارة فقيل انه مرت به امرأة فقالت له يا عبد الله كيف الطريق الى مكان كذا فقال لها يا هنتاه مثلى يكون من عبيد الله ❋ وأما عبد الله بن زياد التميمى فقيل انه خطب الناس بالبصرة فأحسن وأوجز فنودى من نواحى المسجد كثر الله فينا مثلك فقال لقد كلفتم الله شططا وأما ابن سماك فانه أضل راحلته فالتمسها فلم توجد فقال والله لئن لم يرد راحلتى على لا صليت له أبدا فوجدت وقد تعلق زمامها ببعض أغصان الشجر فقيل له قد رد الله عليك راحلتك فصل فقال انما كانت يمينى يمينا قصدا فانظر رحمك الله الى هذا العجب كيف ذهب بهم حتى أفضى بهم الى الكفر وصاروا حديثا مستبشعا ومثلا بين العالمين مستشنعا نعوذ بالله من الخذلان المؤدى الى النيران ولا حول ولا قوة

منشرحة والطريق الى خير الدارين متضحة وجئنا المشهد وقد ظهرت عليه بضر يحين كريمين بهجة الدين والدنيا وتلا مزارها القادم انا نبشرك بيحيى وبتنا ليلة طيبة نحييها وغيبت النوم ونعصى بالسهر أمره فماله سلطان على أعين القوم وأصبحنا وقد امتلأت القلوب سرورا والاعين نورا وقوينا على قصد جنى الجنان واستقبلنا محاسن بيسان وختمنا الزيارة بمشهد معاذ بن جبل رضى الله تعالى عنه فأنقذت أنواره القلوب من الهم أى انقاذ وكدنا نفتتن بالأنس حتى نقول أفتان أنت يا معاذ وأمسكنا عنده من الدعاء بعروة لا تنفصم وأوينا من طوفان الذنوب الى جبل ينجع من به يعتصم وأمر بما يحتاج اليه من تجديد عمارة وانشاء طهارة وألحق بكل مزار وردنا عليه فى هذه السيارة فانا لا نفارقه الا عن اقامة صلاة وصلات وتجديد آثار يزين به وجه القبول كاتب الحسنات ثم نهضنا على الفور نهوض لينه المبدو جزنا مبتسمين فما بكينا بكاء لبيد يوم فراقه أربد وانتشقنا من تلقاء طيبة الاسم أطيب العرف وسلكنا بحرف واديها مستبشرين فكانت طيبة الاسم والفعل والحرف ثم عاودنا المنازل التى قد مناذكرها ورجعنا كما تسترجع منازل الأفق زهرها وتنسمنا أرواح دمشق حتى كدنا ننشق من ذيل الكسوة عطرها واستقبلنا الديار على هذا السعى الجليل وفاصلنا السفر على كل وجه للفضل جميل وقطعنا بالكسوة ليلا طالا نذاؤه كل ليل للعاشقين طويل وفى تلك الليلة كان دخولنا الى دمشق المحروسة كدخولنا الى القدس الشريف سائرين سرى النجوم فى الليل سابقين لغرة الصباح بغرر الخيل موفرين للخواطر

الا بالله العلى العظيم ﴿حكى﴾ عن الحجاج بن يوسف الثقفى انه قيل له كيف وجدت منزلك بالعراق قال خير منزل ان الله أظفرنى بأناس بلغنى الأمل فيهم وأعاننى على الانتقام منهم فكنت أتقرب اليه بدمائهم فقيل له من هم فذكر هؤلاء الثلاثة وذكر حديثهم ولا محالة أنها من محاسن الحجاج وان قلت فى جنب سيآته والله تعالى أعلم

﴿ذكر أديان العرب فى الجاهلية﴾ كانت النصرانية فى ربيعة وغسان وبعض قضاعة وكانت اليهودية فى حمير وبنى كنانة وبنى الحرث بن كعب وكندة وكانت المجوسية فى بنى تميم منهم زرارة بن عدى وابنه على وكان تزوج ابنته ثم ندم ومنهم الأقرع بن حابس كان مجوسيا وكانت الزندقة فى قريش أخذوها من الجزيرة وكانت بنو حنيفة اتخذوا فى الجاهلية صنما من حيس فعبدوه دهرا طويلا ثم أدركتهم مجاعة فأكلوه وقد قيل ان أول من غير الحنيفية عمرو بن لحى أبو خزاعة وهو انه رحل الى الشام فرأى العماليق يعبدون الأصنام فأعجبه ذلك فقال ما هذه الأصنام التى أراكم تعبدونها قالوا هذه أصنام نستمطرها فتمطرنا ونستنصرها فتنصرنا فقال أعطونى منها صنما أسير به الى أرض العرب فيعبدونه فأعطوه صنما يقال له هبل فقدم به مكة فنصبه وأمر الناس بعبادته وتعظيمه * وقيل ان أول ما كانت عبادة الأحجار فى بنى اسمعيل وسبب ذلك انه كان لا يظعن من مكة ظاعن منهم حتى ضاقت عليهم وتفرقوا فى البلاد وما من أحد الاحمل معه حجرا من حجارة الحرم تعظيما للحرم فحيثما نزلوا وضعوه وطافوا به كطوافهم بالكعبة وأفضى ذلك بهم الى أن عبدوا ما استحسنوه من الحجارة ثم خلفت الخلوف ونسوا ما كانوا عليه من دين اسمعيل فعبدوا الأوثان وصاروا الى ما كانت عليه الأمم قبلهم من الضلال وكانت قريش قد اتخذت صنما على بئر فى جوف الكعبة يقال له هبل وأيضا اتخذوا اسافا ونائلة على موضع زمزم فينحرون عندها ويطعمون وكان اساف ونائلة رجلا وامرأة فوقع اساف على نائلة فى الكعبة فمسخهما الله حجرين واتخذ أهل كل دار فى دارهم صنما يعبدونه فاذا أراد الرجل سفرا تمسح به حين يركب وكان ذلك آخر ما يصنع اذا توجه الى سفره واذا قدم من سفره بدأ به قبل أن يدخل الى أهله واتخذت العرب الأصنام وانهمكوا على عبادتها وكانت لقريش وبنى كنانة العزى وكان حجابها بنى شيبة وكانت اللات لثقيف بالطائف وكان حجابها بنى مغيث من ثقيف وكانت مناة للاوس والخزرج ومن دان بدينهم *وأما يغوث ويعوق ونسر فقيل انهم كانوا أسماء أولاد آدم عليه الصلاة والسلام وكانوا أتقياء عبادا فمات أحدهم فحزنوا عليه حزنا شديدا فجاءهم الشيطان وحسن لهم أن يصوروا صورته فى قبلة مسجدهم ليذكروه اذا نظروه فكرهوا ذلك فقال اجعلوه فى مؤخر المسجد ففعلوا وصوروه من صفر ورصاص ثم مات آخر ففعلوا ذلك الى أن ماتوا كلهم فصورهم هنالك وأقام من بعدهم على ذلك الى أن تركوا الدين وحسن لهم الشيطان عبادة شئ غير الله فقالوا له من نعبد قال آلهتكم المصورة فى مصلاكم فعبدوها الى أن بعث الله نوحا عليه الصلاة والسلام فنهاهم عن عبادتها فقالوا كما أخبر الله عنهم لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا الآية ولما عم الطوفان الأرض طمها وعلا عليها التراب زمانا طويلا فأخرجها الشيطان لمشركى العرب فعبدوها وذكر الواحدى فى الوسيط أن هذه أسماء قوم صالحين كانوا بين آدم ونوح عليهما الصلاة والسلام فسول الشيطان لقومهم بعد موتهم أن يصوروا صورهم ليكون أنشط لهم وأشوق للعبادة كما رأوهم ففعلوا ثم نشأ بعدهم قوم جهال بالأحوال فحسن لهم عبادتها وأن من سبقهم من قومهم عبدوها فسموها بأسمائهم وقال الواقدى كان ود على صورة رجل وسواع على صورة امرأة ويغوث على صورة أسد ويعوق على صورة فرس ونسر على صورة نسر والله تعالى أعلم أى ذلك كان

﴿ذكر أوابدهم﴾ الرتم شجر معروف كانت العرب اذا خرج أحدهم الى سفر عمد الى شجرة منه فيعقد غصنا منها فاذا عاد من سفره ووجده قد انحل قال قد خانتنى امرأتى وان وجده على حالته قال لم تخنى * الرتيمة ناقة كانت العرب اذا مات واحد منهم عقلوا ناقته عند قبره وسدوا عينيها حتى تموت يزعمون انه اذا بعث من قبره ركبها التعمية والتفقئة كان الرجل اذا بلغت ابله ألفا قلع عين الفحل يقولون ان ذلك يدفع عنها العين فاذا زادت على الألف فقأ عينه الأخرى * العر داء يصيب الابل شبه الجرب كانوا يكوون السليمة ويزعمون أن ذلك يبرئ داء العر * ضرب الثور عن البقر كانت البقر اذا امتنعت عن الشرب ضربوا الثور يزعمون أن الجن

الملتقين وهيهات وقد سال منهم السيل نازلين من دمشق جنة قد تبسمت لقدومنا عن ثغور الازهار وأجرت امام ركابنا الأنهار ولبست من وشى البديع حللا لها من أوائل ما انعقد من الثمار أزرار فائزين من الثناء والثواب بفوق الارادة داعين لمن فضله لنا جامع مترقبين لرتبته باب الزيارة وتمت هذه السفرة على أحسن ما يكون واشتملت من وجوه المحاسن على عيون قضيت المهمات بها بالنهار وقضيت فى الليل المذاكره والتقطت من الفوائد الوزيرية ما كنت أرتقب جواهره وأزاهره وأردت أن أذكرها فى هذه الخطبة لأنها جواهر واضمنها بعض العلم فى هذه الأوراق فانها أزاهر فكثرت على هذا اللفظ المسجوع واقتضى الحال أن أجمعها فى سفر يقال فيه تلك رحله وهذا تاريخ ومجموع وقد علم الله ان هذه النبذة من القول وردت من قريحة مسها فقد الولد بقرح وأى قرح وقال تفكرها الذى كان حائك الكلام لست اليوم من ذلك الطرح فليبسط الواقف على هذه الرحلة عذرى ويعلم السبب فى كونها ليست عادة نظمى ونثرى واذا كانت القريحة فى بقايا قروحها فليت شعرى أينهض نجى وشعرى والله تعالى المسؤل أن يجعل فى البقاء الصاحبى سلوة عن كل فقيد ويصل أسبابنا أبدا بتحريره الوافر وظله المديد ويرزقنا فى شكر نعمه لسانا لفظه ذهب وذهنا بصره حديد (قلت) ذكرت برحلة الشيخ جمال الدين رحمه الله تعالى الى القدس الشريف صحبة الركاب الصاحبى الامينى رحلتى صحبة الركاب الشريف السلطانى المؤيدى سقى الله ثراه الى البلاد الرومية وبروز أمره الشريف بذكر الفتوحات بها وتسمية البلاد

يركبون الثيران فيصدون البقر عن الشرب * الهامة كانوا يزعمون أن الانسان اذا قتل ولم يؤخذ بثاره يخرج من رأسه طائر يسمى الهامة وهو كالبومة فلا يزال يصيح على قبره اسقونى اسقونى الى أن يؤخذ بثاره * وكان للعرب مذاهب فى الجاهلية فى النفس وتنازع فى كيفياتها فمنهم من زعم أن النفس هى الدم وأن الروح الهواء الذى فى باطن جسم الانسان الذى منه نفسه وقالوا ان الميت لا يوجد فيه الدم وانما يوجد فى الحياة مع الحرارة والرطوبة لان كل حى فيه حرارة ورطوبة فاذا مات ذهبت حرارته وحل به اليبس والبرودة وطائفة منهم يزعمون أن النفس طائر ينبسط من جسم الانسان اذا مات أو قتل ولا يزال متصورا فى صورة الطائر يصرخ على قبره مستوحشا له وفى ذلك يقول بعضهم

سلط الموت والمنون عليهم * فلهم فى صدى المقابر هام

ثم جاء الاسلام والعرب ترى صحة أمر الهام حتى قال النبى صلى الله عليه وسلم لا عدوى ولا طيرة ولا صفر ولا هام وزعموا أن هذا الطائر يكون صغيرا ويكبر حتى يصير كضرب من البوم ويتوحش ويصرخ ويوجد فى الديار المعطلة والنواويس ومصارع القتلى ويزعمون أن الهامة لا تزال عند ولد الميت لتعلم ما يكون من خبره فتخبر الميت * الصفر زعموا أن الانسان اذا جاع عض على شرسوفه الصفر وهى حية تسكون فى البطن * تثنية الضربة زعموا أن الحية تموت فى أول ضربة فاذا ثنيت عاشت * الغيلان والتغول للعرب فى الغيلان والتغول أخبار وأقاويل يزعمون أن الغول يتغول لهم فى الخلوات فى أنواع الصور فيخاطبونه او تخاطبهم وزعمت طائفة من الناس أن الغول حيوان مشؤم وانه خرج منفردا لم يستأنس وتوحش وطلب القفار وهو يشبه الانسان والبهيمة ويتراءى لبعض السفار فى أوقات الخلوات وفى الليل (وحكى) أن سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه رآه فى سفره الى الشام فضربه بالسيف * وقال الجاحظ الغول كل شئ يتعرض للسيارة ويتلون فى ضروب من الصور والثياب وفيه خلاف وقالوا انه ذكر وأنثى الا أن أكثر كلامهم انه أنثى * وأما القطرب فى قولهم فهو نوع من الأشخاص المتشيطنة يعرف بهذا الاسم فيظهر فى أكناف اليمن وصعيد مصر فى أعاليه وربما انه يلحق الانسان فينكحه فيدود دبره فيموت وربما يتراءى على الانسان وأمسكه فيقول أهل تلك النواحى التى ذكرناها أمنكوح هو أو مذعور فان كان قد نكحه أيسوا منه وان كان قد ذعر سكن روعه وشجع قلبه واذا رآه الانسان وقع مغشيا عليه ومنهم من يظهر له فلا يكترث به لشهامته وثبات قلبه

﴿ذكر الهواتف﴾ أما الهواتف فقد كانت كثرت فى العرب وكان أكثرها أيام ولد سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وان من حكم الهواتف أن تهتف بصوت مسموع وجسم غير مرئى ﴿ومن عجيب ما حكى من أمر الهواتف﴾ ما حكاه أبو عمرو بن العلاء قال خرجنا حجاجا فصاحبنا رجل وجعل يقول فى طريقه

ياليت شعرى هل بغت على * فلما انصرفنا من مكة قالها فى بعض الطريق فاجابه صوت فى الظلام *نعم نعم ونا كها حبيه * وهو رجل أحمر ضخم فى قفاه كيه * فسكت الرجل فلما صرنا الى البصرة أخبرنا ذلك الرجل قال دخل جيرانى يسلمون على فاذا فيهم رجل أحمر ضخم فى قفاه كية فقلت لأهلى من هذا قالت رجل كان ألطف جيراننا بنا فجزاه الله خيرا فسألتها عن اسمه فقالت حبيه فقلت الحقى باهلك (وأما) بكاء المقتول فكانت النساء لا يبكين المقتول حتى يؤخذ بثاره فاذا أخذ بثاره بكينه (وأما) رمى السن فكانوا يزعمون أن الغلام اذا أثغر فرمى سنه فى عين الشمس بسبابته وابهامه وقال ابدلينى باحسن منها فانه يأمن على اسنانه العوج والفلج (وأما) خضاب النحر فكانوا اذا أرسلوا الخيل على الصيد فسبق واحد منها خضبوا صدره بدم الصيد علامة (وأما) نصب الراية فكانت العرب تنصب الرايات على أبواب بيوتها للتعرف بها (وأما) جز النواصى فكانوا اذا أسروا رجلا ومنوا عليه وأطلقوه جزوا ناصيته (وأما) الالتفات فكانوا يزعمون أن من خرج فى سفر والتفت وراءه لم يتم سفره فان التفت تطيروا له * وكانوا يقولون من علق عليه كعب الأرنب لم تصبه عين ولا سحر وذلك أن الجن تهرب من الأرنب لأنها تحيض وليست من مطايا الجن ويزعمون أن المرأة اذا أحبت رجلا وأحبها ثم لم يشق عليها رداءه وتشق عليه برقعها فسد حبهما ويزعمون أن الرجل اذا قدم قرية فخاف وباءها فوقف على بابها قبل أن يدخلها ونهق كما تنهق الحمير لم يصبه وباؤها ويزعمون أن الجرقوص وهو دويبة أكبر من البرغوث تدخل فى فروج الأبكار فتفتضهن ويزعمون أن الرجل اذا ضل فقلب ثيابه اهتدى وكانوا

واستيعاب الرحلة الشريفة فى البشارة المجهزة الى الديار المصرية وأن لا يقرأها بالجوامع المطهرة غير مولانا شيخ الاسلام قاضى القضاة شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلانى الشافعى عظم الله شأنه فقرأها بالجامع المؤيدى والأزهر فى شهر رجب الفرد سنة ست عشرة وثمانمائة وقد عن لى أن أقرنها بالرحلة النباتية فانهما رحلتان (وهى) ضاعف الله تعالى نعمة الجناب العالى ولا زالت طرف أخبارها السارة تسر خاطره وتشنف سمعه وترنحه بنسمات قربنا وتجاور كريم سمعه ليأخذها بالشفعة وان حصل بينه وبين المسرة لبعدنا طلاق فاتلنا الشريف يبشره بالرجعة (صدرت) هذه المكاتبة تهدى اليه من أوراقها ثمرات الفتح ليتفكه بالفواكه الفتحية وتعرب عما أبدته عربياتنا من شواهد التسهيل فى فتح البلاد الرومية فانها رحلة مؤبدة تشد اليها الرحال وان كانت دول الاسلام حلة على أعطاف الدهر فهى لها من أطهر الأذيال ونبدى لكريم علمه تجلى مخدرات الحصون بكل وجه حسن تحت عصابتها المؤيدية واستقرار سيس فى هذه الحلبة على قديم عادتها بين الجنائب الحلبية وفتح قلعتها وقد حرك بابها مصراعى شفتيه وأعلن بسورة الفتح جهرا وتلت أقفاله بعدما عسرت على الغير فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا وصعدت أنفاس الأدعية من أفواه مراميها فرحا بنا وسرورا وبدلت صوامعها وتلك البيع بمساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا وأخلصت الطاعة لشيخ ملوك الأرض طائفتها الأرمينية وانقطعوا فى زوايا الطاعة مريدين لهذه المشيخة الشريعية الصوفية ورغب ابن

يزعمون أن الناقة اذا انفرت وذكر اسم أمها فانها تسكن وكانت لهم خرزة يزعمون أن العاشق اذا حكها وشرب ما يخرج منها صبر وتسمى السلوان *ونكاح المقت من سنتهم وهو أن الرجل اذا مات قام ولده الأكبر فالقى ثوبه على امرأة أبيه فورث نكاحها فان لم يكن له بها حاجة زوجها لبعض اخوته بمهر جديد فكانوا يرثون النكاح كما يرثون المال ولهم حكايات عجيبة وأحوال غريبة والله تعالى أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم

❊الباب الستون فى الكهانة والقيافة والزجر والعرافة والفال والطيرة والفراسة والنوم والرؤية وما أشبه ذلك❊

(أما الكهانة) فكانت فاشية فى الجاهلية حتى جاء الاسلام فلم يسمع فيه بكاهن وكان ذلك من معجزات النبوة وآياتها وللكهنة أخبار (فمنهم) سطيح ورد عليه عبد المسيح وهو يعالج الموت وأخبره على ما يزعمون عما جاء لأجله وذلك أن الموبذان رأى ابلا صعابا تقود خيلا عرابا قد قطعت دجلة وانتشرت فى بلادها فلما أصبح أعلم كسرى بذلك فتصبر كسرى تشجعا ثم رأى أن لا يكتم ذلك عن وزرائه ورؤساء مملكته فلبس تاجه وقعد على سريره وجمع وزراءه ورؤساء مملكته فأخبرهم بالخبر فبينما هم كذلك اذ ورد عليهم كتاب بخمود النيران وارتجاس الأيوان فازدادوا غما على غمهم فكتب كسرى كتابا الى النعمان بن المنذر أما بعد فوجه الى رجلا عالما بما أريد أن أسأله عنه فوجه اليه عبد المسيح الغسانى فقال له كسرى أعندك علم بما أريد أن أسألك عنه قال ليخبرنى الملك فان كان عندى علم منه والا أخبرته بمن يعلمه به فأخبره بما رآه الموبذان فقال علم ذلك عند كاهن يسكن مشارف الشام يقال له سطيح قال فأته فاسأله عما سألتك وائتنى بالجواب فركب عبد المسيح وتوجه الى سطيح فوجده قد أشرف على الضريح فسلم عليه وحياه ولم يخبره عبد المسيح بما جاء بسببه غير أنه أنشده شعرا يذكر فيه أنه جاء برسالة من قبل ملك العجم ولم يذكر له السبب فرفع رأسه وقال عبد المسيح على جمل يسيح الى سطيح بعثك ملك بنى ساسان لارتجاس الأيوان وخمود النيران ورؤيا الموبذان رأى ابلا صعابا تقود خيلا عرابا قد قطعت الدجلة وانتشرت فى بلادها يا عبد المسيح اذا كثرت التلاوه وفاض وادى سماوه وغاضت بحيرة ساوه وخمدت نار فارس فليس الشام لسطيح شاما ولا العجم لعبد المسيح مقاما يرتفع أمر العرب وأظن ان وقت ولادة محمد قد اقترب يملك منهم ملوكا وملكات بعدد الشرافات وكل ما هو آت آت ثم قضى سطيح مكانه فثار عبد المسيح الى راحلته وعاد فأخبر كسرى بذلك (وحكى) أن ربيعة بن مضر اللخمى رأى مناما هاله فأراد تفسيره فقال له أهل مملكته ما يفسره لك الا شق وسطيح فاحضرهما وقال لسطيح انى رأيت مناما هالنى فان عرفته فقد أصبت تفسيره فقال رأيت جمجمة خرجت من ظلمة فوقعت بأرض تهمة فأكل منها كل ذات جمجمة فقال له الملك ما أخطأت شيأ فما تفسيره قال ليهبطن بأرضك الحبش وتملك ما بين أبين الى جرش فقال الملك ان هذا الغائظ موجع فمتى هو كائن أفى زمانى أم بعده قال بل بعده بحين أكثر من ستين أو سبعين تمضى من السنين ثم يقتلون بها أجمعين ويخرجون منها هاربين قال ومن ذا الذى يملك بعدهم قال أراه ذا يزن يخرج عليهم من عدن فما يترك منهم أحدا باليمن قال الملك فيدوم ذلك أم ينقطع قال بل ينقطع قال ومن يقطعه قال نبى زكى يأتيه الوحى من العلى قال وممن يكون هذا النبى قال من ولد عدنان بن فهر بن مالك بن النضر يكون فى قومه الملك الى آخر الدهر قال وهل للدهر من آخر قال نعم يوم يجمع فيه الأولون والآخرون ويسعد فيه المحسنون ويشقى المسيئون قال أوحق ما تخبر قال والشفق والقمر اذا اتسق ان ما أنبأتك به لحق ثم دعا بشق فقال مثل ما قال سطيح *ومن ذلك ما حكى ان أمية بن عبد شمس دعا هاشم بن عبد مناف الى المفاخرة فقال له هاشم أفاخرك على خمسين ناقة سود الحدق تنحر بمكة فرضى أمية بذلك وجعلا بينهما الخزاعى الكاهن حكما فخبآ له شيأ وخرجا اليه ومعهما جماعة من قومهما فقالوا قد خبأنا لك خبأ فان علمته تحاكمنا اليك وان لم تعلمه تحاكمنا الى غيرك فقال لقد خبأتم لى كيت وكيت قالوا صدقت احكم بين هاشم بن عبد مناف وبين أمية بن عبد شمس أيهما أشرف بيتا ونسبا ونفسا فقال والقمر الباهر والكوكب الزاهر والغمام الماطر وما بالجو من طائر وما اهتدى بعلم مسافر لقد سبق هاشم أمية الى المآثر ولأمية أواخر فأخذ هاشم الابل ونحرها وأطعمها من حضر وخرج أمية الى

رمضان فى طاعتنا الشريفة فجعلنا له فى ربيع خلاوة الرغائب ورفعنا قواعد بيته الابراهيمى وأدنيناه من أرمنة فدنا منها الى أعلى المراتب وتلاطت سيوفنا بحلاوة الفتح ورشفت بألسنتها فى كل قطر قطرها فتحت اياس من بعيد لهذه الحلاوة ثغرها وانسجمت أبياتها لما نظمت على بسيط الطاعة بحرها ومص حصن مصيصة من رحيق هذه الطاعة فامسى ثغره بأفواه الشكر يقبل وبسط جبين جسره لمواطئ خيلنا فرحة وتهلل وجانس الفتح بين اياس وبانياس ولم ينتظم لبنى كند بيت علطية يقام له وزن ويظهر منه اقتباس وانعكس هذا الاسم بعد الاستحالة وان كان مما لا يستحيل بالانعكاس وتسحر كافرهم وقد أضرم به النار فخاطبته بلسان جمر لا يفهم

وما هو الا كافر طال عمره

فجاءته لما استبطأته جهنم

وفر الى ملك عثمان فكمنا بقتله فى تلك الأرض علما ان الجهاد فى أعداء الدين عند العصابة المحمدية من الفرض وسمع العصاة بطرسوس زئير آسادنا من بعيد فأدبر مقبلهم وتخيل ان الموت أقرب اليه من حبل الوريد وأعربت أبوابها بعد كسرة عن الفتح وقال أهلها ادخلوها بسلام آمنين وأوى العصاة الى جبل القلعة لما رأوا بعد القتال هذا الفتح المبين وصفع مقبلهم وجهه فبصقت فيه أفواه المدافع وحكم عليه القضاء بالاعتقال ولم يأت عند ذلك الحكم بدافع وشاهد القرمانيون من سيوفنا شدة القرم فخشى كل منهم أن يصير لحما على وضم ورأوا ألسن السهام فى أفواه تلك المرامى برأينا الصائب ناطقة وما أظهروا على سماء برج غيوم ستائر الا لمعت فيها من بوارق نفوطنا بارقة فزقوا الأطواق من الحنق فطوقناهم

الشام وأقام بها عشر سنين ويقال انها أول عداوة وقعت بين بني هاشم وبين أمية ﴿وحكي﴾ أن هند
بنت عتبة بن ربيعة كانت تحت الفاكه بن المغيرة وكان الفاكه من فتيان قريش وكان له بيت ضيافة خارجا عن
البيوت تغشاه الناس من غير اذن فخلا البيت ذات يوم واضطجع فيه هو وهند ثم نهض لحاجة فأقبل رجل ممن
كان يغشى البيت فولجه فلما رأى هندا رجع هاربا فلما نظره الفاكه دخل عليها فضربها برجله وقال لها من
هذا الذي خرج من عندك قالت ما رأيت أحدا قط وما انتبهت حتى أنبهتني قال فارجعي الى بيت أبيك وتكلم
الناس فيها فقال أبوها يا بنية ان الناس قد أكثروا فيك الكلام فان يكن الرجل صادقا فادسيت عليه من
يقتله لينقطع كلام الناس وان يك كاذبا حاكمته الى بعض كهان اليمن فقالت له لا والله ما هو علي بصادق فقال
له يا فاكه انك قد رميت ابنتي بأمر عظيم فحاكمني الى بعض كهان اليمن فخرج الفاكه في جماعة من بني مخزوم
وخرج أبوها في جماعة من بني عبد مناف ومعهم هند ونسوة فلما شارفوا البلاد قالوا غدا نرد على هذا الرجل
فتغيرت حالة هند فقال لها أبوها اني أرى حالك قد تغير وما هذا الا لمكروه عندك فقالت لا والله ولكن أعرف
أنكم تأتون بشرا يخطئ ويصيب ولا آمنه أن يسمني بسيما تكون علي سبة فقال لها لا تخشي فسوف أختبره
فصفر لفرسه حتى أدلى ثم أدخل في احليله حبة حنطة وربطه فلما أصبحوا قدموا على الرجل فأكرمهم ونحر
لهم فلما تغدوا قال له عتبة قد جئناك في أمر وقد خبأنا لك خبيئة نختبرك بها قال خبأتم لي ثمرة في كمرة قال
اني أريد أبين من هذا قال حبة بر في احليل مهر قال فانظر في أمر هؤلاء النسوة فجعل يأتي الى كل واحدة منهن
ويضرب بيده على كتفها ويقول لها انهضي حتى بلغ هندا فقال انهضي غير رمحاء ولا زانية وستلدين ملكا
اسمه معاوية فنهض اليها الفاكه فأخذ بيدها فجذبت يدها من يده وقالت اليك عني فوالله اني لأحرص
أن يكون ذلك من غيرك فتزوجها أبو سفيان فولدت منه أمير المؤمنين معاوية رضي الله تعالى عنه ﴿وأما
القيافة﴾ فهي على ضربين قيافة البشر وقيافة الأثر * فأما قيافة البشر فالاستدلال بصفات أعضاء الانسان
وتختص بقوم من العرب يقال لهم بنو مدلج يعرض على أحدهم مولود في عشرين نفرا فيلحقه بأحدهم
﴿وحكي﴾ عن بعض أبناء التجار أنه كان في بعض أسفاره راكبا على بعيره يقوده غلام أسود فمر بهؤلاء
القبيلة فنظر اليه واحد منهم وقال ما أشبه الراكب بالقائد قال ولد التاجر فوقع في نفسي من ذلك شيء فلما
رجعت الى أمي ذكرت لها القصة فقالت يا ولدي ان أباك كان شيخا كبيرا ذا مال وليس له ولد فخشيت أن
يفوتنا ماله فمكنت هذا الغلام من نفسي فحملت بك ولولا ان هذا شيء ستعلمه غدا في الدار الآخرة لما أعلمتك به
في الدنيا * وأما قيافة الأثر فالاستدلال بالأقدام والحوافر والخفاف وقد اختص به قوم من العرب أرضهم
ذات رمل اذا هرب منهم هارب أو دخل عليهم سارق تتبعوا آثار قدمه حتى يظفروا به ومن العجب انهم
يعرفون قدم الشاب من الشيخ والمرأة من الرجل والبكر من الثيب والغريب من المستوطن ويذكر أن في
قطية وثغر البرلس أقواما بهذه الصفة وقد وقعت من قريش حين خرج النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر الى
الغار على صخر صلد وأحجار صم ولا طين ولا تراب تبين فيه الأقدام فحجبهم الله تعالى عن نبيه صلى الله عليه
وسلم بما كان من نسج العنكبوت وما لحق القائف من الحيرة وقوله الى ههنا انتهت الأقدام هذا ومعهم الجماعة
من قريش وأبصارهم سليمة ولولا ان هنالك لطيفة لا يتساوى الناس فيها يعني في علمها لما استأثر بعلم ذلك
طائفة دون أخرى وقيل ان القيافة لبني مدلج في أحياء مضر واختلف رجلان من القافة في أمر بعير وهما
بين مكة ومنى فقال أحدهما هو جمل وقال الآخر هي ناقة وقصدا يتبعان الأثر حتى دخلا شعب بني عامر فاذا
بعير واقف فقال أحدهما لصاحبه أهو ذا قال نعم فوجداه خنثى فأصابا جميعا * ومنهم من كان يخط الرمل في
الأرض ويقول فيوافق قوله ما يأتي بعد وقال رجل شردت لي ابل فجئت الى خراش فسألته عنها فأمر بنته أن
تخط لي في الأرض فخطت ثم قامت فضحك خراش ثم قال أتدري قيامها لأي شيء قلت لا قال قد علمت انك تجد
ابلك وتتزوجها فاستحيت ثم خرجت فوجدت ابلي ثم تزوجتها * وخرج عمرو بن عبد الله بن معمر ومعه
مالك بن خراش الخزاعي فاجتازا بامرأة وهي تخط للناس في الأرض فضحك منها مالك هزؤا وقال ما هذا
فقالت أما والله لا تخرجن من سجستان حتى تموت ويتزوج عمرو هذا زوجتك فكان كما ذكرت (وأما الزجر
والعرافة) فأحسنه ما روي ان كسرى ابرويز بعث الى النبي صلى الله عليه وسلم حين بعث زاجرا ومصورا

بالحديد وأحيينا الفتح المأموني برأينا
الرشيد وما خفي عن كريم علمه
وقوع انتقامنا الشريف في الغادر
ابن الغادر لما أدبر وقطع الله دابره
وظهور السر الابراهيمي لما ادعى
انه غرور تلك الفئة الغادرة كاسه
بسيوفنا فأخرسه وتخبطه شيطان
الرعب بمسه ورأى فيه تلك الهمة
العالية فنجا من تلك الوقعة بفرسه
ونفسه وأوى من قبل الى جبل
ليعصمه فقال له لا عاصم اليوم من
أمر الله ورماه من شاهقه في بحر
عساكرنا بعد ما عض عليه بثناياه
وسمع الرعد من سيف ابراهيم ففر
وقد شاهد من أصيب بصواعقه من
عصاة التركمان وصدقت فيه عزائم
أتراكنا وما روى أحد في ذلك اليوم
من التركمان وسقوا أوعار تلك
الجبال من دمائهم فكادت
أحجارها أن تورق وتخصب بعد
المحل وجنوا بالعسال على النصر
وغنموا من الأنعام ما زاد في عدد
أجناسه على النحل ونفرت عنهم
أوانس تلك الظباء والمتيم ينشد
لهفي لظبية أنس منكم نفرت
وانفطرت كبده لما رأى كواكب
الحلي من أفلاك تلك الصدور وقد
انتثرت وسن المقر الصارمي فيهم
عزمه فقطع بهذا الصارم من
عواتقهم أوصالا وحميت نار حربه
فسبكت أوانيهم من الذهب والفضة
تحت حوافر خيله نعالا ورخصت
أنواع الديباج فكم من معدني صار
معدني لأن قبورهم بعثرت وتلا
لسان حال الكسب على السمور
وغيره من أصناف الوبر واذا
الوحوش حشرت وانقادت ركائبهم
البناوبدور مواطنها في بروج تلك
الجبال قد أشرقت والنناظر يتلو
متعجبا أفلا ينظرون الى الابل
كيف خلقت وكانت نار حرب القوم
على المقر الابراهيمي بردا وسلاما
فانه رفع قواعد بيته في ذلك اليوم

فقال للزاجر انظر ماترى فى طريقك وعنده وقال للمصور ائتنى بصورته فلما عاد اليه أعطاه المصور صورته صلى الله عليه وسلم فوضعها كسرى على وسادته ثم قال للزاجر ماذا رأيت قال مارأيت ما أزجر به الا أنه سيعلو أمره عليك لانك وضعت صورته على وسادتك * وبعث صاحب الروم الى النبى صلى الله عليه وسلم رسولا وقال له انظر اليه ومل الى جانبه وانظر الى ما بين كتفيه حتى ترى الخاتم والشامة فقدم الرسول فرأى النبى صلى الله عليه وسلم على نشز عال واضعا قدميه فى الماء وعن يمينه على رضى الله تعالى عنه فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له تحول فانظر ما أمرت به فنظر الرسول فلما رجع الى صاحبه أخبره الخبر فقال ليعلون أمره وليملكن ماتحت قدمى فتفاءل بالنشز العلو وبالماء الحياة * وقال المداينى وقع الطاعون بمصر فى ولاية عبد العزيز بن مروان حين أتاها فخرج هاربا ونزل بقرية من قرى الصعيد فقدم عليه حين نزلها رسول لعبد الملك بن مروان فقال للرسول ما اسمك قال طالب بن مدرك فقال أوّاه ما أظن أنى أرجع الى الفسطاط فمات ولم يرجع وكانت نائلة بنت عمار الكلبى تحت معاوية فقال لفاختة بنت قرظة اذهبى فانظرى اليها فذهبت ونظرت فقالت مارأيت مثلها ولكنى رأيت تحت سرتها خالا ليوضعن معه رأس زوجها فى حجرها فطلقها معاوية وتزوّجها بعده رجلان حبيب بن مسلمة والنعمان بن بشير فقتل أحدهما ووضع رأسه فى حجرها وبينما مروان بن محمد جالس فى ايوانه يتفقد الأمور اذ تصدّعت زجاجة من الايوان فوقعت منها الشمس على منكب مروان وكان هناك عراف وقيل قياف فقام فتبعه ثوبان مولى مروان فسأله فقال صدع الزجاج صدع السلطان ستذهب الشمس بملك مروان بقوم من الترك أو خراسان ذلك عندى واضح البرهان فما مضى غير شهرين حتى مضى ملك مروان (وروى) المداينى ان عليا رضى الله تعالى عنه بعث معقلا فى ثلاثة آلاف ليقيم بالرقة وذلك فى وقعة صفين فسار حتى نزل الحديبية فبينما هو ذات يوم جالس اذ نظر الى كبشين ينتطحان فجاء رجلان فأخذ كل واحد منهما كبشا فذهب به فقال شداد بن أبى ربيعة الخثعمى الزاجر انكم لتنصرفون من موجهكم هذا لا تغلبون ولا تغلبون أماترى الكبشين كيف انتطحا حتى حجز بينهما فافترقا ولا فضل لاحدهما على الآخر (وحكى) أن الاسكندر ملك بعض البلاد فدخل فيها فوجد امرأة تنسج ثوبا فلما رأته قالت له أيها الملك قد أعطيت ملكا ذا طول وعرض ثم دخل عليها بعد ذلك فقالت ستعزل من الملك قال فغضب عند ذلك فقالت له لا تغضب فانك فى المرة الأولى دخلت على والشقة بين يدى أدبر طولها وعرضها ودخلت على الآن والشقة فى يدى أريد قطعها لانى قد فرغت من نسجها فلا تغضب فان النفوس تعلم أشياء بعلامات قال الراوى فكان كذلك (وحكى) أن سيف بن ذى يزن لما استنجد كسرى على قتال الحبشة بعث اليه بجيش عظيم فخرج اليهم ملك الحبشة وهو مسروق بن أبرهة فى مائة ألف من الحبشة وكان بين عينيه ياقوتة حمراء بعلاقة من الذهب على تاجه تضىء كالنور وهو على فيل عظيم قال وكان فى عسكر ذى يزن رجل يقال له زهير فتأمل ذلك منه ثم قال للأمير اصبر لننظر ما يكون من أمره قال فتحوّل مسروق من الفيل الى جمل فقال اصبر فتحوّل بعد ذلك الى فرس ثم الى بغل ثم الى حمار وكأنه أنف من مقاتلتهم على شئ من ذلك الا على حمار لما أنه استصغرهم واستحقرهم وتفرس ذلك الرجل فيه من الانتقال من أعلى الى أدنى وقال احملوا عليهم فان ملكهم قد ذهب فانه انتقل من كبير الى صغير فحملوا عليهم فكسروهم وقتل الملك (وحكى) أنه كان عراف من الطرقيين ببغداد يخبر بما يسئل عنه فلم يخطئ فسأله رجل عن شخص محبوس هل ينطلق قال نعم ويخلع عليه قال فقلت له بأى شئ عرفت ذلك فقال انك لما سألتنى التفت يمينا وشمالا فوجدت رجلا على ظهره قربة ماء ففرغها ثم حملها على كتفه فأولت الماء بالمحبوس وتفريغه بالانطلاق ووضعها على كتفه بالخلعة قال وكان الأمر كذلك (وأما الفال) فقد روى أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يحب الفأل الصالح والاسم الحسن وروى أنه صلى الله عليه وسلم لما نزل المدينة على كلثوم دعا غلامين له يابشار ويا سالم فقال صلى الله عليه وسلم لأبى بكر رضى الله تعالى عنه ابشر يا أبا بكر فقد سلمت لنا الدار وقال الأصمعى سألت ابن عون عن الفال فقال هو أن يكون مريض فيسمع ياسالم أو طالب حاجة فيسمع ياواجد وما أشبه ذلك (وأما الطيرة) فقد كان صلى الله عليه وسلم يحب الفال ويكره الطيرة وقيل ذكرت الطيرة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من عرض له من هذه الطيرة شئ فليقل اللهم لا طير الا طيرك ولا خير الا خيرك ولا اله غيرك ولا حول

وعلمنا ان الله قد جعل لابراهيم فى هذا البيت الشريف مقاما ورقاه فى عمر الابدار الى بروج الكمال فابدر فيها وسرى وأنشد لسان الحال بهذا المقال

وقد ظهرت فلا تخفى على أحد
الا على أكمه لا يعرف القمرا

وان كان شبلا فهو فى المخبر كاسده ومصارع ليوث الحرب قد جعلها الله من صغره تحت يده ورفع له فى هذا المبتدا وسيره فى الآفاق خبرا وعلم الأعداء ان دمعهم يجرى عند لقائه دما وكذا جرى وهذه المقابلة تليق بابن الغادر على قبح سريرته وغدره فانه أخرج أهل تلك البلاد من أرضهم بظلمه لا بسحره وسألنا قبل ذلك فى ولده وقد كره العود اليه وألف أبوتنا الشريفة وتوطن فرددناه الى أمه كى تقر عينها ولا تحزن عليه فخالف نص الكتاب ومشى فى ظلم الطغيان ولم يعمل بقوله تعالى هل جزاء الاحسان الا الاحسان فقابلته سطواتنا الشريفة على قوله وفعله وما حاق المكر السيئ الا باهله وحل ركابنا الشريف بالابلستين فى العشرين من ربيع الآخر فجمعنا بحصنها الزاهر بين ربيعين وتممناها بعشر الاقامة لاستيفاء مالنا فى ذمة جيرانها من الدين فرحبت بنا وبسطت بساطها الأخضر وقالت على الرأس والعين وألقتنا الى درندة وما العيان من صنع الله فى أخذها كالخبر وقررنا صدع صخورها باختلاف الآلات فجاء ماقررناه نقشا على حجر وادعت ان صخرها أصم فاسمعناه من آذان المرامى تنقير المدافع وتحريك الوتر وطلعت فى ظهر الجبل كدمل فطار كل جارح من سهامنا بريشه الى فتحها وظنت صونه من بها العلو وذلك السفح فطالت سيوفنا الى دماء القوم وسفحها وقرعنا جبلها باسبابات المدافع

ولا قوة الا بالله العلى العظيم وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال ليس منا من تطير أو تطير له أو تكهن أو تكهن له وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما رفعه من اقتبس علما من النجوم اقتبس شعبة من السحر وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه رفعه من أتى كاهنا فصدقه فيما يقول أو أتى امرأته حائضا أو أتى امرأته فى دبرها فقد برئ مما نزل على محمد وأنشد المبرد هذه الأبيات يقول

لا يعلم المرء ليلا ما يصبحه * الا كواذب ما يجرى به الفال

والفال والزجر والكهان كلهم * مضللون ودون الغيب اقفال

(وقال لبيد) لعمرى ما تدرى الطوارق بالحصى * ولا زاجرات الطير ما الله صانع

(وقال آخر) تعلم انه لا طير الا * على متطير وهو الثبور

بلى شئ يوافق بعض شئ * أحايينا وباطله كثير

وكانت العرب تتطير بأشياء كثيرة منها العطاس وسبب تطيرهم منه ان دابة يقال لها العاطوس كانوا يكرهونها وكانوا اذا أراد واسفرا خرجوا من الغلس والطير فى أوكارها على الشجر فيطيرونها فان أخذت يمينا أخذوا يمينا وان أخذت شمالا أخذوا شمالا ومنه قول امرئ القيس

وقد اغتدى والطير فى وكناتها * بمنجرد قيد الأوابد هيكل

مكر مفر مقبل مدبر معا * كجلمود صخر حطه السيل من عل

والعرب أعظم ما تتطير منه الغراب فالقول فيه أكثر من أن يطلب عليه شاهد ويسمونه حاتما لأنه يحتم عندهم بالفراق ويسمونه الأعور على جهة التطير اذ كان أصح الطير بصرا وفيه يقول بعضهم

اذا ما غراب البين صاح فقل له * ترفق رماك الله يا طير بالبعد

لأنت على العشاق أقبح منظر * وأبشع فى الأبصار من رؤية اللحد

تصيح ببين ثم تعثر ماشيا * وتبرز فى ثوب من الحزن مسود

متى صحت صح البين وانقطع الرجا * كأنك من يوم الفراق على وعد

وأعرض بعضهم عن الغراب وتطير بالابل وسبب ذلك لكونهم تحمل اثقال من ارتحل وفى ذلك قال بعضهم مفردا وأجاد

زعموا بأن مطيهم سبب النوى * والمؤذنات بفرقة الأحباب

وقالوا من تطير من شئ وقع فيه (وحكى) عن ابراهيم بن المهدى قال أرسل الى محمد بن زبيدة فى ليلة من ليالى الصيف مقمرة يقول يا عم انى مشتاق اليك فاحضر الآن عندنا فجئته وقد بسط له على سطح زبيدة وعنده سليمان بن أبى جعفر وجاريته نعيم فقال لها غنينا شيأ فقد سررت بعمومتى فغنت وهى تقول هذه الأبيات

هم قتلوه كى يكونوا مكانه * كما فعلت يوما بكسرى مرازبه

بنى هاشم كيف التواصل بيننا * وعند أخيه سيفه ونجائبه

قال فغضب وتطير وقال لها ما قصتك ويحك انتبهى وغنى ما يسرنى فغنت تقول

كليب لعمرى كان أكثر ناصرا * وأكثر جرما منك ضرج بالدم

فقال لها ويحك ما هذا الغناء فى هذه الليلة غنى غير هذا فغنت تقول هذه الأبيات

ما زال يعدو عليهم ريب دهرهم * حتى تفانوا وريب الدهر عداء

تبكى فراقهم عينى فأرقها * ان التفرق للمشتاق بكاء

قال فانتهرها وقال لها قومى الى لعنة الله فقالت والله يا مولاى لم يجر على لسانى غير هذا وما ظننت الا أنك تحبه ثم انها قامت من بين يديه وكان بين يديه قدح بلور كان أبوه يحبه فأصابه طرف ردائها فانكسر قال ابراهيم بن المهدى فالتفت الى وقال يا عمى أرى ان هذا آخر أمرنا فقلت كلا بل يبقيك الله يا أمير المؤمنين ويسرك فسمعت هاتفا يقول قضى الامر الذى فيه تستفتيان فقال لى أسمعت ما سمعت يا عم فقلت ما سمعت شيأ وما هذا الا توهم فاذا الصوت قد علا فقال يا عم اذهب الى بيتك فمحال أن يكون بعد هذا اجتماع قال فانصرفت من عنده وكان هذا آخر عهدى به * وخرج أبو الشمقمق مع خالد بن يزيد بن مزيد وقد تقلد الموصل فلما أراد الدخول اليها اندق لواؤه فى أول درب منها فتطير لذلك فأنشده أبو الشمقمق يقول

وكسرنا منه الثنيه وأمست حلاق مراميها كالخواتم فى أصابع سهامنا المستويه وخربجرها طائعا فركبنا عليه سفن جسور على الزحف جاسرة وأقلعنا الى خشب سفنها المسندة فزقناها لوع سائرها وخربنا شاقر يتها العامرة هذا مع أن الملك خطبها لنفسه وأراد أن يعرج اليها فترفعت عليه ولم ترضه لنقص العرج أن يعلو عليها فرحل عنها ولم يحظ من ديوان وصلها بمسموح ولكن ساعة رؤيتها قالت بكارتها مرحبا بأبى النصر وأبى الفتوح وتعلق سكانها باذيال الامان فأمناهم ولكن كانوا فى صدرها غلا فنزعناهم وجاءت مفاتيح جندروس قبل التخلص منها براعه فأحسنا الختام بدرندة وألقينا اكسير المدافع على حجرها الذى كان غير مكرم وأحسنا التدبير فى الصناعة وسمعت كرتبرت بذلك فألقت من بهامن بئر معطلة وزهت فرحة بقصرها المشيد ووصلت مفاتيحها يوم هذا الفتح مهنئة بلسانها الحديد وفارت عروس بهنتان من ذلك لخطبتنا الجاه البارع وجهزت كابها يشهد لها بالخلو من الموانع وهى أيضا من خطبها الملك لنفسه فمنعت وأرادا لسمو الى أفقها العالى فاستسفلته وترفعت وعوت كلابه فلقمتهم ما ثقل وزنه من أحجارها الثقال خلافا لمن أصبح الصخر عنده منعا الاعتقال وعلم طغرق أن سهامنا فى كل عضو من أعضاء العصاة جارحة وأفواه مدافعنا فى أعراض الصخور من سائر القلاع قادحة فقبض يداه عن المنع وجنح الى الاخلاص فسابقه باب القلعة ورفع صوته فى الفاتحة وضحك ناموس ملكنا الشريف على من ادعى ملكنا وكركر ولكن أبكتهم سهامنا ماجرى من محاجر القلعتين ولم يتغير وقال حصن تكتان

ما كان مندق اللواء لريبة * تخشى ولا أمر يكون مبذلا
لكن هذا الرمح ضعف متنه * صغر الولاية فاستقل الموصلا

فسر خالد وأمر لابي الشمقمق بعشرة آلاف درهم * ودخل الحجاج الكوفة متوجها الى عبد الملك فصعد المنبر فانكسر تحت قدمه لوح فعلم أنهم قد تطيروا له بذلك فالتفت الى الناس قبل ان يحمد الله تعالى فقال شاهت الوجوه وتبت الأيدى وبؤتم بغضب من الله اذا انكسر عود جذع ضعيف تحت قدم أسد شديد تفاءلتم بالشؤم وانى على أعداء الله تعالى لانكد من الغراب الأبقع وأشأم من يوم نحس مستمر وانى لأعجب من لوط وقوله لوأن لى بكم قوة أو آوى الى ركن شديد فأى ركن أشد من الله تعالى أوما علمتم ما أنا عليه من التوجه الى أمير المؤمنين وقد وليت عليكم أخى محمد بن يوسف وأمرته بخلاف ما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذا فى أهل اليمن فانه أمره أن يحسن الى محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم وقد أمرته أن يسىء الى محسنكم وأن لا يتجاوز عن مسيئكم وأنا أعلم انكم تقولون بعدى لا أحسن الله له الصحابة وأنا معجل لكم الجواب لا أحسن الله عليكم الخلافة أقول قولى هذا وأستغفر الله العظيم لى ولكم * وخرج بعض ملوك الفرس الى الصيد فاوّل من استقبله أعور فضربه وأمر بحبسه ثم ذهب للصيد فاصطاد صيدا كثيرا فلما عاد استدعى بالأعور فأمر له بمال فقال لا حاجة لى به ولكن ائذن لى فى الكلام فقال تكلم فقال أيها الملك انك تلقيتنى فضربتنى وحبستنى وتلقيتك فصدت وسلمت فاينا أشأم صباحا على صاحبه فضحك منه وأمر له بصلة ﴿وحكى﴾ أيضا أن صاحب قرطبة أصابه وجع فأمر بعض جواريه أن تغنيه ليلهو عن وجعه فقالت مفردا

هذى الليالى علمنا أن ستطوينا * فشعشعيها بماء المزن واسقينا

قال فتطير من ذلك وأمرها بالانصراف ولم يقم بعد ذلك غير خمسة أيام ومات ﴿وحكى﴾ أن نور الدين محمودا وهمام الدين ركبا فى يوم عيد وخرجا للتفرج فتجاولا فى الكلام ثم قال محمود يا من درى هل نعيش الى مثل هذا اليوم فقال له همام الدين قل هل نعيش الى آخر هذا الشهر فان العام كثير قال فاجرى الله على منطقهما ما كان مقدرا فى الأزل فمات أحدهما قبل تمام الشهر ومات الآخر قبل تمام العام ﴿وأما الفراسة﴾ فقد قال الله تعالى ان فى ذلك لآيات للمتوسمين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله وقال على رضى الله تعالى عنه ما أضمر أحد شيأ الا ظهر فى فلتات لسانه وصفحات وجهه وقيل أشار ابن عباس رضى الله تعالى عنهما على على رضى الله تعالى عنه بشىء فلم يعمل به ثم ندم فقال يرحم الله ابن عباس كأنما ينظر الى الغيب من ستر رقيق ﴿وحكى﴾ أبو سعيد الخراز أنه كان فى الحرم فقير ليس عليه الا ما يستر عورته فانفت نفسى منه فتفرس ذلك منى فقرأ واعلموا أن الله يعلم ما فى أنفسكم فاحذروه فندمت واستغفرت الله فى قلبى فتفرس ذلك أيضا فقرأ وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ﴿وحكى﴾ عن الشافعى ومحمد بن الحسن انهما رأيا رجلا فقال أحدهما انه نجار وقال الآخر انه حداد فسألاه عن صنعته فقال كنت حدادا وأنا الآن نجار ﴿وحكى﴾ أن شخصا من أهل القرآن سأل بعض العلماء مسئلة فقال له اجلس فانى أشم من كلامك رائحة الكفر فاتفق بعد ذلك أنه سافر السائل فوصل الى القسطنطينية فدخل فى دين النصرانية قال من رآه ولقد رأيته متكئا على دكة وبيده مروحة يروح بها عليه فقلت السلام عليك يا فلان فسلم على وتعارفنا ثم قلت له بعد ذلك هل القرآن باق على حاله أم لا فقال له لا أذكر منه الا آية واحدة وهى قوله تعالى ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين قال فبكيت عليه وتركته وانصرفت وكان الحسن ابن السقاء من موالى بنى سليم ولم يكن فى الأرض أحزر منه كان ينظر الى السفينة فيحزر ما فيها فلا يخطىء وكان حزره للمكيول والموزون والمعدود سواء كان يقول فى هذه الرمانة كذا وكذا حبة وزنتها كذا وكذا ويأخذ العود الآس فيقول فيه كذا وكذا ورقة فلا يخطىء وقالوا اذا رأيت الرجل يخرج بالغداة ويقول لشىء وما عند الله خير وأبقى فاعلم ان فى جواره وليمة ولم يدع اليها واذا رأيت قوما يخرجون من عند قاض وهم يقولون ما شهدنا الا بما علمنا فاعلم أن شهادتهم لم تقبل واذا قيل للمتزوج صبيحة البناء على أهله كيف ما تقدمت عليه فقال الصلاح خير من كل شىء فاعلم أن امرأته قبيحة واذا رأيت انسانا يمشى ويلتفت فاعلم أنه يريد أن يحدث واذا رأيت فقيرا يعدو ويهرول فاعلم انه فى حاجة غنى واذا رأيت رجلا خارجا من عند الوالى وهو يقول يد الله فوق أيديهم فاعلم انه صفع

كانت قلعة نجم عقابا فى عقاب فالنسر الطائر يخفق تحت قادمتى باجنحته أو كان الهلال قلامة لاغلتها التى علاها من الأصيل خضاب فكف الخضيب يتيمم تربى ويمسح ببياض جبهته فأنا الهيكل الذى ذاب قلب الأصيل على تذهيبه وود دينار الشمس ان يكون من تعاويذه والشجرة التى لولا سموفرعها تفكهت به حبات الثريا وانتظمت فى سلك عناقيده وتشامخ هذا الحصن ورفع أنف جبله وتشامخ فارمدنا عيون مراميه بدم القوم وأميال سهامنا على تكحيلها تتزاحم ووصل النقب بتنقيبه عن مقاتلهم الى الصواب وأيقنوا ان بعده لم يضرب بيننا بسور له باب وكان منهل مائهم عذبا فاكثرنا على منبعه الزحام وتطفلوا على رضاع ثدى دلو فلم ترض أم المنع بغير الفطام وأمسى دلوهم كدلو أبى زيد السروجى لا يرجع ببله ولا يجاب نقع غله وحكم المدفع الكبير على سور القلعة فقال له السور دائم النفوذ والأحكام وانقلبوا صاغرين الى الطاعة وقد قابلنا أنف جبلهم بالارغام ورجعوا عن خليلهم الكردى لما قام لهم على جهله الدليل وقالوا طاعة السلطنة الشريفة ما يراعى فيها من العصاة خليل وسألونا الصفح عن حديث جهلهم القديم وسلموا القلعة لرضا خواطرنا الشريفة فجمعوا بذلك بين الرضا والتسليم وتنكرت أكراد كركر بسور القلعة فعرفناهم بلامات القسى وألفات السهام وعطست أنوف مراميهم باصوات مدافعنا كان بها زكام وتبرموا من خليلهم الكردى لما شاهد الخطب جليلا وقال كل منهم يا ليتنى لم أتخذ فلانا خليلا وأورت عاديات المدافع بالقلعة قدحا فأمست بالزلزلة مهدده

ويقال عين المرء عنوان قلبه وكانوا يقولون عظم الجبين يدل على البله وعرضه يدل على قلة العقل وصغره يدل على لطف الحركة واذا وقع الحاجب على العين دل على الحسد والعين المتوسطة في حجمها دليل الفطنة وحسن الخلق والمروءة والتي يطول تحديقها يدل على الحمق والتي يكسر طرفها تدل على خفة وطيش والشعر في الأذن يدل على جودة السمع والأذن الكبيرة المنتصبة تدل على حمق وهذيان وكانت الفرس تقول اذا فشا الموت في الوحوش دل على ضيقة واذا فشا في الفار دل على الخصب واذا نعق غراب فجاوبته دجاجة عمر الخراب واذا وقت دجاجة فجاوبها غراب خرب العمار والله أعلم بكل شيء عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين ﴿وأما النوم والسهر وما جاء فيهما﴾ فقد روى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أشراف أمتي حملة القرآن وأصحاب الليل وروى ان أم سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام قالت له يا بني لا تكثر النوم بالليل فان صاحب النوم يجيء يوم القيامة مفلسا وكان زمعة بن صالح يصلي ليلا طويلا فاذا أسحر نادى أهله

يا أيها الركب المعرسونا * أكل هذا الليل ترقدونا

فيتواثبون بين باك وداع ومتضرع فاذا أصبح نادى * عند الصباح يحمد القوم السرى * (وأنشدوا)

يا أيها الراقد كم ترقد * قم يا حبيبي قد دنا الموعد * وخذ من الليل وساعاته

حظا اذا ما هجع الرقد * من نام حتى ينقضي ليله * لم يبلغ المنزل أو يجهد

قل لذوي الألباب أهل التقى * قنطرة الحشر لكم موعد

وقيل ان نومة الضحى تورث الغم والخوف ونومة العصر تورث الجنون وأنشد بعضهم مفردا

ألا ان نومات الضحى تورث الفتى * غموما ونومات العصير جنون

وعن العباس بن عبد المطلب أنه مر يوما بابنه وهو نائم نومة الضحى فوكزه برجله وقال له قم لا أنام الله عينك أتنام في ساعة يقسم الله تعالى فيها الرزق بين العباد أوما سمعت ما قالت العرب انها مكسلة مهزلة منسية للحاجة * والنوم على ثلاثة أنواع نومة الخرق ونومة الخلق ونومة الحمق فنومة الخرق نومة الضحى ونومة الخلق هي التي أمر النبي صلى الله عليه وسلم بها أمته فقال قيلوا فان الشياطين لا تقيل ونومة الحمق النومة بعد العصر لا ينامها الا سكران أو مجنون وكان هشام بن عبد الملك يقول لولده لا تصطبح بالنوم فانه شؤم ونكد وقال الثوري لطبيب دلني على شيء اذا أردت النوم جاءني فقال ادهن رأسك وأكثر من ذلك واتق الله وكان طاوس يقول لان تختلف السياط على ظهري أحب الي من أن أنام يوم الجمعة والامام يخطب وكان شداد بن أوس يتلوى على فراشه كالحبة على المقلى ويقول اللهم ان النار منعتني النوم وأنشدوا في المعنى

غيرت موضع مرقدي * يوما ففارقني السكون * قل لي فأول ليلتي * في حفرتي أني أكون

(وأنشد أبو دلف) أما لكني ردي على رقاديا * ونومي فقد شردته عن وساديا

أما تتقين الله في قتل عاشق * أمت الكرى عنه فاحيا اللياليا

﴿وأنشد أبو غانم الثقفي مفردا﴾

رقدت رقاد الهيم حتى لوانني * يكون رقادي مغنما لغنيت

فقيل لمن هذا فقال لرقاد من رقاد العرب وقيل ان نوم عبود يضرب به المثل وكان عبود هذا عبدا أسود قيل انه نام أسبوعا وقيل انه تماوت على أهله وقال اندبوني لأعلم كيف تندبوني اذا أنا مت فسجي ونام وندب فاذا هو قد مات ﴿وأما الرؤيا﴾ فقد قيل فيها أقاويل وهو أنهم قالوا ان النوم هو اجتماع الدم وانحداره الى الكبد ومنهم من رأى أن ذلك هو سكون النفس وهدو الروح ومنهم من زعم ان ما يجده الانسان في نومه من الخواطر انما هو من الأطعمة والأغذية والطبائع وذهب جمهور الأطباء الى أن الأحلام من الأخلاط وان ذلك بقدر مزاج كل واحد منها وقوته فالذي يغلب عليه الصفراء يرى بحورا وعيونا ومياها كثيرة ويرى انه يسبح ويصيد سمكا ومن غلبت على مزاجه السوداء رأى في منامه أجداثا وأمواتا مكفنين بسواد وبكاء وأشياء مفزعة ومن غلب على مزاجه الدم رأى الخمر والرياحين وأنواع الملاهي والثياب المصبغة والذي يقع عليه

وفروا من سطواتنا الشريفة الى البروج فادركهم الموت في بروجهم المشيده وسألنا كرديهم في جزيل ماله ليغدو بنفسه الخبيثة ويروح فلم نرض منه على كفره الا بالمال والروح وسجناه في قلعته وقد أيقن بالموت وارتفع النزاع وجهز المفتاح لتخليص دينه فحصل على سجنه الاجماع وأمسى بها

* كريشة في ممر الريح ساقطة *

وتمام البيت معروف عند من له عليه اطلاع وجاءت مفاتيح كل من ديار بكر وقد أزهرت باسمنا الشريف أغصان منابرها وسألت قلعتها التشريف برسول يدوس بنعله محاجرها فاجبناها الى ذلك وأمست بنا بعد التنكير معرفه وصارت أبراجها بالنسبة المؤيدية مشرفه وجهز قرا عثمان مفاتيح الرها وآمد وسأل تشريفه بتشريفهما بتقليدين يرفعان لهما في الشرف محلا فخليناه بذلك وكان من العواطل فحلت المطابقة بالعاطل المحلي والتهب ابن الغادر بحرارة المعصية ففر الى برد الطاعة من غير فترة وهز بجذع مراحمنا الشريفة واعترف انه جهل الفرق بين التمرة والجمرة وأقر بذنوبه وقال التوبة تجب ما قبلها اودوحة المراحم الشريفة قد مد الله على الخافقين ظلها وعلم انه ما أحسن البيان عن درندة في تخليص ذلك المفتاح ونسأل أن يحظى من بيان عفونا الشريف باستجلاء عروس الأفراح فاذقناه حلاوة قربنا بعد ما ذاق مرارة بينه وألبسناه تشريفه بنيابة الابلستين فباس الارض وهو لا يصدق أنه يرى محاجر تلك العين بعينه وجهز نارلده داود بدروع من الامن ليأمن بها من يد داود ويتفيأ بظلال جبرنا ويصير بعد حر المعصية في ظل ممدود وقد تقدم سؤال قيسارية أن يقام بها

التحقيق ان الرؤيا الصالحة كما قد جاء جزء من ستين جزأ من النبوة وكان النبي صلى الله عليه وسلم أول ما بدئ به من الوحي الرؤيا الصالحة فكان لا يرى رؤيا الاجاءت مثل فلق الصبح * والرؤيا على ضربين فنهم من يرى رؤيا فتجي على حالها لا تزيد ولا تنقص ومنهم من يرى الرؤيا في صورة مثل ضرب له (فمن ذلك ما حكى) ان النبي صلى الله عليه وسلم رأى في الجنة غرفا فقال لمن هذه فقيل لابي جهل بن هشام فقال ما لابي جهل والجنة والله لا يدخلها أبدا قال فاتاه عكرمة ولده مسلما فتأولها به وكذلك تأول في قتل الحسين لما رأى ان كلبا أبقع يلغ في دمه وكان ذلك بعد رؤياه عليه الصلاة والسلام بخمسين عاما وكذلك حين قال لابي بكر رضي الله تعالى عنه اني رأيت كأني رقيت أنا وأنت درجا في الجنة فسبقتك بدرجتين ونصف فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه يا رسول الله اقبض بعدك بسنتين ونصف فكان كذلك ورأت عائشة رضي الله تعالى عنها سقوط ثلاثة أقمار في حجرتها فاولها أبوها بموته وموت النبي صلى الله عليه وسلم وموت عمر رضي الله تعالى عنهما ودفنهم في حجرتها فكان الأمر كذلك (وحكى) ان أم الشافعي رضي الله تعالى عنه لما حملت به رأت كان المشتري خرج من فرجها وانقض بمصر ثم تفرق في كل بلد قطعة فاول بعالم يكون بمصر وينتشر علمه با كثر البلاد فكان كذلك (وحكى أيضا) ان عاملا أتى عمر رضي الله تعالى عنه فقال رأيت الشمس والقمر اقتتلا فقال له عمر مع من كنت قال مع القمر فقال مع الآية الممحوة والله لا وليت لي عملا فعزله ثم اتفق ان عليا رضي الله تعالى عنه وقع بينه وبين معاوية ما وقع فكان ذلك الرجل مع معاوية (وأما) من مهر في تعبير الرؤيا فهو ابن سيرين جاءه رجل فقال له رأيت كأني أسقي شجرة زيتون زيتا فاستوى جالسا فقال ما التي تحتك قال علجة اشتريتها وفي رواية جارية وأنا أطؤها فقال أخاف أن تكون أمك فكشف عنها فوجدها أمه * وجاءه رجل فقال رأيت كأن في يدي خاتما أختم به فروج النساء وأفواه الرجال فقلت له أنت مؤذن تؤذن بالليل فتمنع الرجال والنساء من الأكل والوطء وجاءه رجل فقال رأيت جارتي قد ذبحت في بيت من دارها فقال هي امرأة تسلحت في ذلك البيت وكانت امرأة لصديق ذلك الرجل فاغتم لذلك ثم بلغه ان الرجل قدم في تلك الليلة وجامع زوجته في ذلك البيت وجاءه رجل ومعه جراب فقال له رأيت في النوم كأني أسد الزقاق سدا وثيقا شديدا فقال له أنت رأيت هذا قال نعم فقال لمن حضره ينبغي أن يكون هذا الرجل يخنق الصبيان وربما يكون في جرابه آلة الخنق فوثبوا عليه وفتشوا الجراب فوجدوا فيه أوتارا وحلقا فسلموه الى السلطان * وجاءته امرأة وهو يتغدى فقالت له رأيت في النوم كان القمر دخل في الثريا ونادى مناد من خلفي ان ائتي ابن سيرين فقصي عليه فتقلصت يده وقال ويلك كيف رأيتي هذا فاعادت عليه فقال لاخته هذه تزعم ان أموت لسبعة أيام وأمسك يده على فؤاده وقام يتوجع ومات بعد سبعة أيام * وجاءه رجل فقال رأيت كأني آخذ البيض وأقشره فآكل بياضه وألقي صفاره فقال ان صدق منامك فأنت نباش الموتى فكان كذلك (وحكى) ان ابن سيرين رأى الجوزاء قد تقدمت على الثريا فجعل يوصي وقال يموت الحسن وأموت بعده وهو أشرف مني فمات الحسن ومات بعده بمائة يوم (وحكى) ان رجلا رأى عيسى عليه السلام فقال له يا نبي الله صلبك حق قال نعم فعبره على بعضهم فقال تكذب رؤياك بقوله تعالى وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم ولكن هو عائد على الرائي فكان كذلك * وأتى ابنة مغيث آت في المنام فقال لها

لك البشرى بولد * أشبه شيء بالاسد * اذا الرجال في كبد
تغالبوا على بلد * كان له حظ الأسد

فولدت المختار بن أبي عبيد وذلك في عام الهجرة * وقال رجل لسعيد بن المسيب رأيت كأني بات خلف المقام أربع مرات قال كذبت لست صاحب هذه الرؤيا قال هو عبد الملك فقال يلي أربعة من صلبه الخلافة وقال الشافعي رضي الله تعالى عنه رأيت عليا رضي الله تعالى عنه في المنام فقال لي ناولني كتبك فناولته اياها فأخذها وبددها فاصبحت أنا كاتبه فاتيت الجعد فاخبرته فقال سيرفع الله شأنك وينشر علمك وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من رآني في منامه فقد رآني حقا فان الشيطان لا يتمثل بي وجاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال رأيت كأن رأسي قد قطع وأنا أنظر اليه فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال باي عين كنت تنظر الى رأسك فلم يلبث رسول الله صلى الله عليه وسلم أن توفي

سوق الامان فاجبناها وسعرت بها نار الخوف بعدما غلت فجهزنا اليها بضائع الامن وأرخصناها وأيقن أهلها انهم ان مشوا في حدائق عدلنا على غير هذه الطريقة صار على سوسنة كل سنان من دمائهم شقيقة فازلنا عنهم بايناس عدلنا الوحشة وأمست قيساريتهم في أيامنا الزاهرة تهشه وسجعت خطباء منابرها باسمنا الشريف والدهر يهتز فرحة ويترنم

ولم يخل من أسمائنا عود منبر
ولم يخل دينار ولم يخل درهم

وتقارب الاشتقاق بين سيواس وسيس فتجانسا للطاعة ومات العصيان بتلك البلاد فقالت ارزيكا ز الصلاة جامعة وصلت طائعة مع الجماعة فلا قلعة الا افتضضنا بكارتها بالفتح وابتذلنا من ستائرها الحجاب ولا كاس برج أترعته بالتحصين الا توجنا رأسه من مدافعنا بالحباب حتى فصلت في الروم لعساكرنا التي هي عدد النمل قصص وعدنا فكان العود أحمد اذ لم يبق بتلك البلاد ما نعده القدرة على الفتح من الفرص وجاءت رسل ملوك الشرق بالاذعان لطاعتنا التي اتخذوها الشرف هاقبلة وود كل منهم أن يحظى من جبهات أعتابنا بقبلة وتنوعوا من الهدايا باجناس صدقت من كل نوع مقبول وبالغوافي الرقة وأهدوا من الرقيق ما قام له عندنا سوق القبول وأسفر قرا يوسف من الجمال اليوسفي ونور الطاعة عن بهجتين واظهر كتاب الطهارة بتطهير الأرض عن ندبنا اليه من أعداء الدولتين ودنت الديار من الديار فكانت سيوفنا في القرب له خصنا وملاذا ولم يباشر في اخلاص الطاعة عما يقال له بسينه يوسف اعرض عن هذا وجاءت هداياه التي هبت نسماتها

وأولوا رأسه بنبيه ونظره اليه باتباع سنته وقال رجل لعلي بن الحسين رأيت كأني أبول في يدي فقال تحتك محرم فنظروا فاذا بينه وبين امرأته رضاع وقال أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه رأيت كأني نبشت قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فضممت عظامه الى صدري فهالني ذلك فسألت ابن سيرين فقال ما ينبغي لاحد من أهل هذا الزمان أن يرى هذه الرؤيا فقلت أنا رأيتها قال ان صدقت رؤياك لتحيين سنة نبيك صلى الله عليه وسلم * وقال النبي صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصالحة بشارة للمؤمن بماله عند الله من الكرامة في الدنيا والآخرة وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال تضرعت الى ربي سنة أن يريني أبي في النوم حتى رأيته وهو يمسح العرق عن جبينه فسألته فقال لولا رحمة الله لهلك أبوك انه سألني عن عقال بعير للصدقة فسمع بذلك عمر بن عبد العزيز فصاح وضرب بيده على رأسه وقال فعل هذا بالتقي الطاهر فكيف بالمقترف عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنهم أجمعين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب الحادي والستون في الحيل والخدائع المتوصل بها الى بلوغ المقاصد والتيقظ والتبصر﴾

الحيلة من فوائد الآراء المحكمة وهي حسنة مالم يستبح بها محظور وقد سئل بعض الفقهاء عن الحيل في الفقه فقال علمكم الله ذلك فانه قال وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث وكان صلى الله عليه وسلم اذا أراد غزوة ورى بغيرها وكان يقول الحرب خدعة ولما أراد عمر رضي الله تعالى عنه قتل الهرمزان استسقى ماء فأتوه بقدح فيه ماء فامسكه في يده واضطرب فقال له عمر لا بأس عليك حتى تشرب به فالقى القدح من يده فامر عمر بقتله فقال أولم تؤمني قال كيف أمنتك قال قلت لا بأس عليك حتى تشرب به وقولك لا بأس عليك أمان ولم أشرب به فقال عمر قاتلك الله أخذت مني أمانا ولم أشعر وقيل كان دهاة العرب أربعة كلهم ولدوا بالطائف معاوية وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة والسائب بن الاقرع وكان يقال الحاجة تفتح أبواب الحيل * وكان يقال ليس العاقل الذي يحتال للامور اذا وقع فيها بل العاقل الذي يحتال للامور أن لا يقع فيها وقال الضحاك بن مزاحم لنصراني لو أسلمت فقال مازلت محبا للاسلام الا أنه يمنعني منه حبي للخمر فقال اسلم واشربها فلما أسلم قال له قد أسلمت فان شربتها حددناك وان ارتددت قتلناك فاختر لنفسك فاختار الاسلام وحسن اسلامه فاخذه بالحيلة (وقيل) دليت من السماء سلسلة في أيام داود عليه الصلاة والسلام عند الصخرة التي في وسط بيت المقدس وكان الناس يتحاكمون عندها فمن مد يده اليها وهو صادق نالها ومن كان كاذبا لم ينلها الى أن ظهرت فيهم الخديعة فارتفعت وذلك ان رجلا أودع رجلا جوهرة فخبأها في عكازة ثم ان صاحبها طلبها من الذي أودعها عنده فانكرها فتحاكما عند السلسلة فقال المدعي اللهم ان كنت صادقا فلتدن مني السلسلة فدنت منه فمسها فدفع المدعى عليه العكازة للمدعي وقال اللهم ان كنت تعلم اني رددت الجوهرة اليه فلتدن مني السلسلة فدنت منه فمسها فقال الناس قد سوت السلسلة بين الظالم والمظلوم فارتفعت بشؤم الخديعة وأوحى الله تعالى الى داود عليه الصلاة والسلام أن احكم بين الناس بالبينة واليمين فبقي ذلك الى قيام الساعة وكان المختار بن أبي عبيد الثقفي من دهاة ثقيف وثقيف دهاة العرب قيل انه وجه ابراهيم بن الاشتر الى حرب عبيد الله بن زياد ثم دعا برجل من خواصه فدفع اليه حمامة بيضاء وقال له ان رأيت الامر عليكم فارسلها ثم قال للناس اني لاجد في محكم الكتاب وفي اليقين والصواب أن الله ممدكم بملائكة غضاب صعاب تاتي في صور الحمام تحت السحاب * فلما كادت الدائرة تكون على أصحابه عمد ذلك الرجل الى الحمامة فارسلها فتصايح الناس الملائكة الملائكة وحملوا فانتصروا وقتلوا ابن زياد * وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال خرجت امرأتان ومعهما صبيان فعدا الذئب على صبي احداهما فاكله فاختصمتا في الصبي الباقي الى داود عليه الصلاة والسلام فقال كيف أمركما فقصتا عليه القصة فحكم به للكبرى منهما فاختصمتا الى سليمان عليه الصلاة والسلام فقال ائتوني بسكين أشق الغلام نصفين لكل منهما نصف فقالت الصغرى أتشقه يا نبي الله قال نعم قالت لا تفعل ونصيبي فيه للكبرى فقال خذيه فهو ابنك وقضى به لها وجاء رجل الى سليمان بن داود عليه الصلاة والسلام وقال يا نبي الله ان لي جيرانا يسرقون أوزي فلا أعرف السارق فنادى الصلاة جامعة ثم خطبهم وقال في خطبته وان أحدكم

القبول على اقبالها وجنينا منها ثمار المحبة وجمل التفاصيل التي وسعها سناء الملك ببهجة ولم يترك لابنه في دار الطراز رتبه والنمودة التي يحجم ابن فهد عن وصفها اذا قابل منها السواد والبياض بالمقلتين فانها جمعت لنا من ليلها الحالك ونهارها الساطع بين الآيتين والجواد الذي تميز باوصاف ما صاحب مجرى السوابق من الفحول التي تجاريها فانه غرة في جباه الخيل التي قال قائد الغر المحجلين ان الخير معقود بنواصيها والسروج التي تمت عندنا على السروجي بمقاماتها العالية ورأيناها اهلة تغني عن الفجر فخضبنا كل سرج منها بالغاشية والجوارح التي تخشى النسر الطائر ان يصير منها واقعا وصدق فيما تفرس وخافت الشمس لما تسمت بالغزالة واف سرحان الأفق ذنبه على خيشومه ولم يتنفس والقوس الذي أصاب به أغراض المحبة ونال منها اوفر سهم ونصيب وجاء عبارة عن رأي مهديه وكل عندنا بحمد الله مصيب وهو من الأشياء التي وقعت في محلها ونحن نقيم دلائل ذلك وبرهانه فان القوس اذا اعانق سهامه بنصر علم أنه وصل الى الكنانه وبالغ المقر الجمالي في نظم بديع الهدايا ونسخ الجفاء بكثرة رقيقه وادار من أواني الصيني كؤوسا ترعها الود بسلاف رحيقه ودخلنا حلب المحروسة وأوصلناها ما استحق لها من ديون الفتح علينا ورددنا ما اغتصب منها فقالت هذه بضاعتنا ردت الينا وقد آثرنا الجناب بكرامة هذه البشارة التي استبشر بها وجه الزمان بعد قطوبه وتبسم فانه ركن هذا البيت الشريف ونسب مدحه المقدم فيأخذ منها حظه ويثلج صدر البرايا فيها الهم بردوسلام ويرعاهم بعين الرعاية ليضوع فيهم عرف

ليسرق أوز جاره ثم يدخل المسجد والريش على رأسه فمسح الرجل رأسه فقال سليمان خذوه فهو صاحبكم وخطب المغيرة بن شعبة وفتى من العرب امرأة وكان شابا جميلا فأرسلت اليهما أن يحضرا عندها فحضرا وجلست بحيث تراهما وتسمع كلامهما فلما رأى المغيرة ذلك الشاب وعاين جماله علم أنها تؤثره عليه فأقبل على الفتى وقال لقد أوتيت جمالا فهل عندك غير هذا قال نعم فعدد محاسنه ثم سكت فقال له المغيرة كيف حسابك مع أهلك قال ما يخفى على منه شىء وانى لاستدرك منه أدق من الخردل فقال المغيرة لكنى أضع البدرة فى بيتى فينفقها أهلى على ما يريدون فلا أعلم بنفادها حتى يسألونى غيرها فقالت المرأة والله لهذا الشيخ الذى لا يحاسبنى أحب الى من هذا الذى يحصى على مثقال الذرة فتزوجت المغيرة * وبلغ عضد الدولة ان قوما من الاكراد يقطعون الطريق ويقيمون فى جبال شامخة ولا يقدر عليهم فاستدعى بعض التجار ودفع اليه بغلا عليه صندوقان فيهما حلوى مسمومة كثيرة الطيب فى ظروف فاخرة ودنانير وافرة وأمره أن يسير مع القافلة ويظهر أن هذه هدية لأحد نساء الامراء ففعل التاجر ذلك وسار امام القافلة فنزل القوم فأخذوا الامتعة والأموال وانفرد أحدهم بالبغل وصعد به الجبل فوجد به الحلوى فقبح على نفسه أن ينفرد بها دون أصحابه فاستدعاهم فأكلوا على مجاعة فماتوا عن آخرهم وأخذ أرباب الأموال أموالهم * وأتى لبعض الولاة برجلين قد اتهما بسرقة فأقامهما بين يديه ثم دعا بشربة ماء فجىء له بكوز فرماه بين يديه فارتاع أحدهما وثبت الآخر فقال للذى ارتاع اذهب الى حال سبيلك وقال للآخر أنت أخذت المال وتلذذت به وتهدده فاقر فسئل عن ذلك فقال ان اللص قوى القلب والبرىء يجزع ولو تحرك عصفور لفزع منه * وقصد رجل الحج فاستودع انسانا مالا فلما عاد طلبه منه فجحد المستودع فأخبر بذلك القاضى اياسا فقال أعلم بانك جئتنى قال لا قال فعد الى بعد يومين ثم ان القاضى اياسا بعث الى ذلك الرجل فاحضره ثم قال له اعلم انه قد تحصلت عندى أموال كثيرة لايتام وغيرهم وودائع للناس وانى مسافر سفرا بعيدا وأريد أن أودعها عندك لما بلغنى من دينك وتحصين منزلك فقال حبا وكرامة قال فاذهب وهيىء موضعا للمال وقوما يحملونه فذهب الرجل وجاء صاحب الوديعة فقال له القاضى اياس امض الى صاحبك وقل له ادفع الى مالى والا شكوتك للقاضى اياس فلما جاءه وقال له ذلك دفع اليه ماله واعتذر اليه فأخذه وأتى الى القاضى اياس فأخبره ثم بعد ذلك أتى الرجل ومعه الحمالون لطلب الأموال التى ذكرها له القاضى فقال له القاضى بعد أن أخذ الرجل ماله منه بدا لى ترك السفر امض لشأنك لا أكثر الله فى الناس مثلك * ولما أراد شيرويه قتل أبيه أبرويز قال أبرويز للداخل عليه ليقتله انى لادلك على شىء فيه غناك لوجوب حقك على قال وما هو قال الصندوق الفلانى فلما قتله ذهب الى شيرويه وأخبره الخبر فاخرج الصندوق فاذا فيه حق فيه حب ورقعة مكتوب فيها من تناول منه حبة واحدة افتض عشرة أبكار وكان لشيرويه غرام فى الباه فتناول منه حبة فهلك من ساعته فكان ابرويز أول مقتول أخذ بثاره من قاتله * ولما بايع الرشيد لاولاده الثلاثة بولاية العهد تخلف رجل مذكور من الفقهاء فقال له الرشيد لم تخلفت فقال عاقنى عائق فقال اقرؤا عليه كتاب البيعة فقال يا أمير المؤمنين هذه البيعة فى عنقى الى قيام الساعة فلم يفهم الرشيد ما أراد وظن أنه الى قيام الساعة يوم الحشر وما أراد الرجل الا قيامه من المجلس * وقال المغيرة بن شعبة لم يخدعنى غير غلام من بنى الحرث بن كعب فانى ذكرت امرأة منهم لاتزوجها فقال أيها الامير لا خير لك فيها فقلت ولم قال رايت رجلا يقبلها فاعرض عنها فتزوجها الفتى فلمته وقلت الم تخبرنى أنك رأيت رجلا يقبلها قال نعم رايت أباها يقبلها وأتى رجل الى الاحنف فلطمه فقال ما حملك على هذا فقال جعل لى جعل على ان ألطم سيد بنى تميم فقال لست بسيدهم عليك بحارثة ابن قدامة فانه سيدهم فمضى اليه فلطمه فقطعت يده (وقال) الشعبى وجهنى عبد الملك الى ملك الروم فقال لى من أهل بيت الخلافة أنت قلت لا ولكنى رجل من العرب فكتب الى عبد الملك رقعة ودفعها الى فلما قرأها عبد الملك قال لى أتدرى ما فيها قلت لا قال فيها العجب لقوم فيهم مثل هذا كيف يولون أمرهم غيره قال أتدرى ما أراد بهذا قلت لا قال حسدنى عليك فأراد أن أقتلك فقلت انما كبرت عنده يا أمير المؤمنين لأنه لم يرك ولم يترك شيأ الا سألنى عنه وأنا أجيبه فبلغ ملك الروم ما قاله عبد الملك للشعبى فقال لله أبوه ما عدا ما فى نفسى * ولما ولى عبد الملك بن مروان أخاه بشرا الكوفة وكان شابا ظريفا غزلا بعث معه روح بن زنباع وكان شيخا مستورا فاستثقل على بشر مرافقته فذكر ذلك لندمائه فتوصل بعض ندمائه الى أن دخل

العدل ويصيره مسكا لهذا الختام والله تعالى يمتعه فى ليله ونهاره من أخبارنا السارة بالاعياد والمواسم ويجعل له من صياغة أعماله ان شاء الله حسن الخواتم (قلت) وذكرت بهذه الرحلة أيضا رحلتى من الديار المصرية الى دمشق المحروسة المحمية سنة احدى وتسعين وسبعمائة والملك الناصر قد خرج من الكرك ونزل عليها وتصدى لحصارها وقد اجتمعت عليه العساكر المصرية والشامية وحدث بدمشق المحروسة ما حدث من القتال والحصار والحريق فكتبت الى المقر المرحومى الفخرى القاضى ابن مكانس فى شرح ذلك رسالة لم ينسج على منوالها ولم تسمح على غلبة الظن قريحة بمثالها (وهى) يقبل المملوك أرضا من يممها أو تيمم بثراها حصل له الفخر والمجد فلا برح هيام الوفود الى أبوابها أكثر من هيام العرب الى ربا نجد ولا زالت فحول الشعراء تطلق أعنة لفظها فتركض فى ذلك المضمار وتهيم بواديها الذى يجب أن ترفع فيه على أعمدة المدائح بيوت الاشعار وينهى بعد أشواق أمست الدموع بها فى محاجر العين مغبرة ولو لم يغر انسانها عبرات الدمع لقلت قتل الانسان ما أكفره وصول المملوك الى دمشق المحروسة فيا ليته قبض قبل ما كتب عليه ذلك الوصول ودخوله اليها ولقد والله تمنى خروج الروح عند ذلك الدخول فنظر المملوك الى قبة يلبغا وقد طار بها طير الحمام وحفت حولها تلك الاسود الضارية فتطيرت فى ذلك الوقت من القبة والطير وتعوذت بالغاشية ودخلت بعد ذلك الى القبيبات التى صغر اسمها لاجل التحبب فوجدتها وقد خلا منها كل منزل كان آنسا بحبيبه فانشد به لسان الحال قفا نبك من ذكرى حبيب ونظرت بعد القباب الى المصلى وما فعلت به سكان تلك

بيت روح بن زنباع ليلا فى خفية فكتب على حائط قريب من مجلسه هذه الابيات

يا روح من لبنيات وأرملة * اذا نعاك لأهل المغرب الناعى

ان ابن مروان قد حانت منيته * فاحتل بنفسك يا روح بن زنباع

فتخوف من ذلك وخرج من الكوفة فلما وصل الى عبد الملك أخبره بذلك فاستلقى على قفاه من شدة الضحك وقال ثقلت على بشر وأصحابه فاحتالوا لك ﴿ومن الحيل الظريفة﴾ ماحكى أن النبى صلى الله عليه وسلم لما فتح خيبر وأعرس بصفية وفرح المسلمون جاءه الحجاج بن علاط السلمى وكان أول من أسلم فى تلك الأيام وشهد خيبر فقال يارسول الله ان لى بمكة مالا عند صاحبتى أم شيبة ولى مال متفرق عند تجار مكة فأذن لى يارسول الله فى العود الى مكة عسى أسبق خبر اسلامى اليهم فانى أخاف ان علموا باسلامى أن يذهب جميع مالى بمكة فأذن لى لعلى أخلصه فاذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله انى أحتاج أن أقول فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم قل وأنت فى حل قال الحجاج فخرجت فلما انتهيت الى الثنية ثنية البيضاء وجدت بها رجالا من قريش يتسمعون الاخبار وقد بلغهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سار الى خيبر فلما أبصرونى قالوا هذا العمر الله عنده الخبر أخبرنا ياحجاج فقد بلغنا أن القاطع يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم قد سار الى خيبر قال قلت انه قد سار الى خيبر وعندى من الخبر مايسركم قال فاحدقوا حول ناقتى يقولون ايه ياحجاج قال فقلت هزم هزيمة لم تسمعوا بمثلها قط وأسر محمد وقالوا لا نقتله حتى نبعث به الى مكة فيقتلونه بين أظهرهم بمن كان أصاب من رجالهم قال فصاحوا بمكة قد جاءكم الخبر وهذا محمد انما تنتظرون أن يقدم به عليكم فيقتل بين أظهركم قال فقلت أعينونى على جمع مالى من غرمائى فانى أريد أن أقدم خيبر فاغنم من ثقل محمد وأصحابه قبل ان يسبقنى التجار الى هناك فقاموا معى فجمعوا الى مالى كأحسن ما أحب فلما سمع العباس بن عبد المطلب الخبر اقبل على حتى وقف الى جانبى وانا فى خيمة من خيام التجار فقال ياحجاج ماهذا الخبر الذى جئت به قال فقلت وهل عندك حفظ لما أودعه عندك من السر فقال نعم والله قال قلت استأخر عنى حتى ألقاك على خلاء فانى فى جمع مالى كما ترى فانصرف عنى حتى اذا فرغت من جمع كل شئ كان لى بمكة وأجمعت على الخروج لقيت العباس فقلت له احفظ على حديثى يا أبا الفضل فانى أخشى أن يتبعونى فاكتم على ثلاثة أيام ثم قل ماشئت قال لك على ذلك قال قلت والله ماتركت ابن أخيك الا عروسا على ابنة ملكهم يعنى صفية وقد افتتح خيبر وغنم مافيها وصارت له ولأصحابه قال أحق ماتقول ياحجاج قال قلت أى والله ولقد أسلمت وماجئت الا مسلما لآخذ مالى خوفا من أن أغلب عليه فاذا مضت ثلاثة فاظهر أمرك فهو والله على ماتحب قال فلما كان فى اليوم الرابع لبس العباس حلة له وتخلق بالطيب وأخذ عصاه ثم خرج حتى أتى الكعبة فطاف بها فلما رأوه قالوا يا أبا الفضل هذا والله هو التجلد لحر المصيبة قال كلا والذى حلفتم به لقد افتتح محمد خيبر وترك عروسا على ابنة ملكهم وأحرز أموالهم ومافيها فاصبحت له ولاصحابه قالوا من جاءك بهذا الخبر قال الذى جاءكم بما جاءكم به ولقد دخل عليكم مسلما وأخذ ماله وانطلق ليلحق محمدا وأصحابه ليكون معهم قالوا انفلت عدو الله أما والله لو علمنا به لكان لنا وله شأن قال ولم يلبثوا أن جاءهم الخبر بذلك فتوصل الحجاج بفطنته واحتياله الى تخليصه وتحصيل ماله * ولما اجتمعت الاحزاب على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الخندق وقصدوا المدينة وتظاهروا وهم فى جمع كثير وجم غفير من قريش وغطفان وقبائل العرب وبنى النضير وبنى قريظة من اليهود ونازلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من المسلمين واشتد الامر واضطرب المسلمون وعظم الخوف على ماوصفه الله تعالى فى قوله تعالى اذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا فجاء نعيم ابن مسعود بن عامر الغطفانى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله انى قد أسلمت وان قومى لم يعلموا باسلامى فمرنى بما شئت فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خذل عنا ان استطعت فان الحرب خدعة فخرج نعيم بن مسعود حتى أتى بنى قريظة وكان نديما لهم فى الجاهلية فقال يابنى قريظة قد علمتم ودى اياكم وخاصة مابينى وبينكم قالوا صدقت لست عندنا بمتهم فقال لهم ان قريشا وغطفان ليسوا كانتم فان البلد بلدكم وبه أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم لا تقدرون على أن تتحولوا منه الى غيره وان قريشا

الخيام والتفت الى بديع بيوته التى حسن بناء تأسيسها وقد فسد منها النظام

فسال وقد وقعت عقيق دمعى
على أرض المصلى والقباب

ونظرت الى ذلك الوادى الفسيح وقد ضاق من الحريق بسكانه الفضا

فتوهمت أن وادى المصلى قد تبدل
بوادى الغضا

فسقى الغضا والساكنيه وان هم
شبوه بين جوانح وقلوب

واصطليت النار وقد أرادت سبى ذلك النادى فشبت عليه من فوارس لهيبها الغارة وركضت فى ميدان الحمى فوجدت أركانه كما قال تعالى وقودها الناس والحجارة ودخلت قصر الحجاج وقد مدت النار به من غير ضرورة فى موضع القصر وأصبح أهله فى خسر وكيف لا وقد صار واعبرة لاهل العصر وتأملت تلك الالسن الجمرية وقد انطلقت فى ثغور تلك الربوع تكلم السكان وتطاولت بالسنة الاسنة الاتراك فانذهل أهل دمشق وقد كلموا بكل لسان ووصل المملوك بعد الفجر الى البلد وقد تلا بعد زخرفه فى سورة الدخان فوجب أن أجرى الدموع على وجيب كل ربع وأنشد وقد دخل صبرى بعد ان كان فى خبر كان

* دمع جرى فقضى فى الربع ما وجبا *

ووقفت أندب عرصاتها التى قمحت بالبين فخابت من أهلها الظنون وكم داروا بقمحها خيفة من طاحون النار فلم يسلم فصدقت المثل بان القمح يدور ويجىء الى الطاحون وتطرقت بعد ذلك الى الحدادين وقد نادتهم النار بلسانها من مكان بعيد آتونى زبر الحديد ولقد كان يوم حريقها يوما عبوسا قمطريرا أصبح المسلمون فيه من الحيفة وقد رأوا سلاسل وأغلالا وسعيرا هذا وكلما أصليت نار الحريق وشبت نار الحرب ذكرت ما أشار به مولانا على المملوك

وغطفان قد جاؤا الحرب محمد وأصحابه وقد ظاهرتموهم عليه وأموالهم وأولادهم ونساؤهم بغير بلادكم وليسوا مثلكم لانهم ان رأوا فرصة اغتنموها وان كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل ببلادكم ولا طاقة لكم به ان خلا بكم فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهنا من أشرافهم يكونون بأيديكم ثقة لكم على أن تقاتلوا معهم محمدا قالوا أشرت بالرأى ثم أتى قريشا فقال لأبى سفيان بن حرب وكان اذ ذاك قائد المشركين من قريش ومن معه من كبراء قريش قد علمتم ودى لكم وفراقى محمدا وانه قد بلغنى أمر وأحببت أن أبلغكموه نصحا لكم فاكتموه على قالوا نعم قال اعلموا ان معشر يهود بنى قريظة قد ندموا على مافعلوا فيما بينهم وبين محمد وقد أرسلوا اليه يقولون انا قد ندمنا على نقض العهد الذى بيننا وبينك فهل يرضيك أن نأخذ لك من القبيلتين من قريش وغطفان رجالا أشرافهم فنسلمهم اليك فتضرب رقابهم ثم نكون معك على من بقى منهم فنستأصلهم فارسل يقول نعم فان بعث اليكم يهود يلتمسون منكم رهائن من رجالكم فلا تدفعوا اليهم منكم رجلا واحدا ثم خرج حتى أتى غطفان فقال لهم مثل ماقال لقريش وحذرهم فلما كانت ليلة السبت أرسل أبو سفيان رؤس بنى غطفان الى بنى قريظة يقولون لهم انا لسنا بدار مقام وقد هلك الخف والحافر فاعتدوا للقتال حتى نناجز محمدا ونفرغ فيما بيننا وبينه فارسلوا يقولون لهم ان اليوم يوم السبت وهو يوم لا نعمل فيه شيأ ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل محمدا حتى تعطونا رهنا من رجالكم يكونون بايدينا ثقة لنا حتى نناجز محمدا فانا نخشى ان دهمتكم الحرب واشتد عليكم القتال أن تشمروا الى بلادكم وتتركونا والرجل فى بلدنا ولا طاقة لنا به فلما رجعت اليهم الرسل بما قالت بنو قريظة قالت قريش وغطفان والله ان الذى حدثكم به نعيم بن مسعود لحق فارسلوا الى بنى قريظة يقولون انا لا ندفع اليكم رجلا واحدا من رجالنا فان كنتم تريدون القتال فاخرجوا وقاتلوا فقالت بنو قريظة حين انتهت اليهم الرسل ان الكلام الذى ذكره نعيم بن مسعود لحق ومايريد القوم الا أن تقاتلوا فان رأوا فرصة انتهزوها وان كان غير ذلك شمروا الى بلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل فى بلدكم فارسلوا الى قريش وغطفان انا لا نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا فابوا عليهم فخذل الله تعالى بينهم وأرسل عليهم الريح فتفرقوا وارتحلوا وكان هذا من لطف الله تعالى ان ألهم نعيم بن مسعود هذه الفتنة وهداه الى اليقظة التى عم نفعها وحسن وقعها

❁ وأما ماجاء فى التيقظ والتبصر فى الامور ❁ فقد قالت الحكماء من أيقظ نفسه وألبسها لباس التحفظ أيس عدوه من كيده له وقطع عنه أطماع الماكرين به وقالوا اليقظة حارس لا ينام وحافظ لا ينسام وحاكم لا يرتشى فمن تدرع بها أمن من الاختلال والغدر والجور والكيد والمكر وقيل ان كسرى أنوشروان كان أشد الناس تطلعا فى خفايا الأمور وأعظم خلق الله تعالى فى زمانه تفحصا وبحثا عن أسرار الصدور وكان يبث العيون على الرعايا والجواسيس فى البلاد ليقف على حقائق الأحوال ويطلع على غوامض القضايا فيعلم المفسد فيقابله بالتأديب والمصلح فيجازيه بالاحسان ويقول متى غفل الملك عن تعرف ذلك فليس له من الملك الا اسمه وسقطت من القلوب هيبته (وروى) عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه انه قال خرج أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فى ليلة من الليالى يطوف يتفقد أحوال المسلمين فرأى بيتا من الشعر مضروبا لم يكن قد رآه بالأمس فدنا منه فسمع فيه أنين امرأة ورأى رجلا قاعدا فدنا منه وقال له من الرجل فقال له رجل من البادية قدمت الى أمير المؤمنين لاصيب من فضله قال فما هذا الأنين قال امرأة تتمخض قد أخذها الطلق قال فهل عندها أحد قال لا قال فانطلق عمر والرجل لا يعرفه فجاء الى منزله فقال لامرأته أم كلثوم بنت على بن أبى طالب بنت فاطمة الزهراء رضى الله تعالى عنهما هل لك فى أجر قد ساقه الله تعالى لك قالت وما هو قال امرأة تتمخض ليس عندها أحد قالت ان شئت قال فخذى معك ما يصلح للمرأة من الخرق والدهن وائتينى بقدر وشحم وحبوب فجاءت به فحمل القدر ومشت خلفه حتى أتى البيت فقال ادخلى الى المرأة ثم قال للرجل أوقد لى نارا ففعل فجعل عمر ينفخ النار ويضرمها والدخان يخرج من خلال لحيته حتى أنضجها وولدت المرأة فقالت أم كلثوم رضى الله تعالى عنها بشر صاحبك يا أمير المؤمنين بغلام فلما سمعها الرجل تقول يا أمير المؤمنين ارتاع وخجل وقال واخجلتاه منك يا أمير المؤمنين أهكذا تفعل بنفسك قال يا أخا العرب من ولى شيأ من أمور المسلمين ينبغى له أن يتطلع على صغير أمورهم وكبيره فانه عنها مسؤل ومتى غفل عنها خسر الدنيا

من الاقامة بمصر فانشدت من شدة الكرب

آها لمصر وأين مصر وكيف لى
بديار مصر مراتعا وملاعبا

والدهر سلم كيفما حاولته
لا مثل دهرى فى دمشق محاربا

يامولانا لقد لبست دمشق فى هذا المأتم السواد وطبخت قلوب أهلها كما تقدم على نارين وسلقوا من الالسنة بالسنة حداد ولقد نشفت عيونهم من الحريق واستسقوا فلم ينشقوا رائحة الغادية وكم رؤى فى ذلك اليوم وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة تصلى نارا حامية وكم رجل تلا عند لهيب بيته تبت يدا أبى لهب وخرج هاربا وامرأته حمالة الحطب وشك الناس من شدة الوهج وهم فى الشتاء وصاروا من هذا الأمر يتعجبون فقال لهم لسان النار أتعجبون من الوهج والحريق وأنتم فى كانون ولعمرى لو عاش ابن نباتة ورأى هذه الحال وماتم على أهل دمشق فى كانون الترك رثاء ولده عبد الرحيم وقال

يالهف قلبى على وادى دمشق ويا
حزنى عليه ويا شجوى ويا داقى

فى شهر كانون وافاه الحريق لقد
أحرقت بالنار يا كانون احشائى

ونظرت بعد ذلك الى القلعة المحروسة وقد قامت قيامة حربها حتى قلنا أزفت الآزفة وستروا بروجها من الطارق بتلك الستائر وهم يتلون ليس لها من دون الله كاشفة واستجليت عروس الطارقة عند زفها وقد تجهزت للحرب ومالها غير الارواح مهر وعقدت على رأسها تلك العصائب وتوشحت بتلك الطوارق وأدارت على معصمها الابيض سوار النهر وغازلت بحواجب قسيها فرمت القلوب من عيون مراميها بالنبال وأهدت الى العيون من مكاحل نارها أكحالا كانت السهام لها أميال وطالما كل

والآخرة ثم قام عمر رضي الله تعالى عنه وأخذ القدر من على النار وحملها الى باب البيت وأخذتها أم كلثوم وأطعمت المرأة فلما استقرت وسكنت طلعت أم كلثوم فقال عمر رضي الله تعالى عنه للرجل قم الى بيتك وكل مابقي في البرمة وفي غد ائت الينا فلما أصبح جاء فجهز بما أغناه به وانصرف وكان رضي الله تعالى عنه من شدة حرصه على تعرف الأحوال واقامة قسطاس العدل وازاحة أسباب الفساد واصلاح الامة يعس بنفسه ويباشر أمور الرعية سرا في كثير من الليالي حتى انه في ليلة مظلمة خرج بنفسه فرأى في بعض البيوت ضوء سراج وسمع حديثا فوقف على الباب يتجسس فرأى عبدا أسود وقدامه اناء فيه مزر وهو يشرب ومعه جماعة فهم بالدخول من الباب فلم يقدر من تحصين البيت فتسور على السطح ونزل اليهم من الدرجة ومعه الدرة فلما رأوه قاموا وفتحوا الباب وانهزموا فمسك الأسود فقال له يا أمير المؤمنين قد أخطأت واني تائب فاقبل توبتي فقال أريد أن أضربك على خطيئتك فقال يا أمير المؤمنين ان كنت قد أخطأت في واحدة فأنت قد أخطأت في ثلاث فان الله تعالى قال ولا تجسسوا وأنت تجسست وقال تعالى وأتوا البيوت من أبوابها وأنت أتيت من السطح وقال تعالى لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها وأنت دخلت وما سلمت فهب هذه لهذه وأنا تائب الى الله تعالى على يدك أن لا أعود فاستتوبه واستحسن كلامه وله رضي الله تعالى عنه وقائع كثيرة مثل هذه وكان معاوية بن أبي سفيان رضي الله تعالى عنه قد سلك طريق أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه في ذلك وكان زياد بن أبيه يسلك مسلك معاوية في ذلك حتى نقل عنه أن رجلا كلمه في حاجة له وجعل يتعرف اليه ويظن أن زيادا لا يعرفه فقال أنا فلان بن فلان فتبسم زياد وقال له أتتعرف الي وأنا أعرف بك منك بنفسك والله اني لأعرفك وأعرف أباك وأعرف أمك وأعرف جدك وجدتك وأعرف هذه البردة التي عليك وهي لفلان وقد أعارك اياها فبهت الرجل وارتعد حتى كاد يغشى عليه ثم جاء بعدهم من اقتدى بهم وهو عبد الملك بن مروان والحجاج ولم يسلك بعدهما ذلك الطريق واقتفى آثار ذلك الفريق الا المنصور ثاني خلفاء بني العباس ولي الخلافة بعد أخيه السفاح وهي في غاية الاضطراب فنصب العيون وأقام المتطلعين وبث في البلاد والنواحي من يكشف له حقائق الامور والرعايا فاستقامت له الامور ودانت له الجهات ولو ابتلي في خلافته بأقوام نازعوه وأرادوا خلعه وتمردوا عليه وتكاثروا فلولا أن الله تعالى أعانه بتيقظه وتبصره ما ثبت له في الخلافة قدم ولا رفع له مع قصد أولئك القاصدين علم لكنه بث العيون فعرف من انطوى على خلافه فعالجه باتلافه واطلع على عزائم المعاندين فقطع رؤس عنادهم باسيافه وكان لكمال يقظته يتلقى المحذور بدفعه دون رفعه ويعاجل المخوف بتفريق شمله قبل جمعه فذلت له الرقاب ولانت الخلافة الصعاب وقرر قواعدها وأحكمها بأوثاق الاسباب فمن آثار يقظته وفطنته ما نقله عنه عقبة الازدي قال دخلت مع الجند على المنصور فرآني فلما خرج الجند أدناني وقال لي من أنت فقلت رجل من الازد وأنا من جند أمير المؤمنين قدمت الآن مع عمر بن حفص فقال اني لأرى لك هيبة وفيك نجابة واني أريدك لأمر وأنا به معني فان كفيتنيه رفعتك فقلت اني لأرجو أن أصدق ظن أمير المؤمنين في فقال أخف نفسك واحضر في يوم كذا قال فغبت عنه الى ذلك اليوم وحضرت فلم يترك عنده أحدا ثم قال لي اعلم ان بني عمنا هؤلاء قد أبوا الا كيدا لملكنا واغتيالا وله شيعة بخراسان بقرية كذا يكاتبونهم ويرسلون اليهم بصدقات أموالهم وألطاف بلادهم فخذ معك عينا من عندي وألطافا وكتبا واذهب حتى تأتي عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب فاقدم عليه متخشعا والكتب على ألسنة أهل تلك القرية والألطاف من عندهم اليه فاذا رآك فانه سيردك ويقول لا أعرف هؤلاء القوم فاصبر عليه وعاوده وقل له قد سيروني سرا وسيروا معي ألطافا وعينا وكاماجهك وأنكر اصبر عليه وعاوده واكشف باطن أمره قال عقبة فأخذت كتبه والعين والألطاف وتوجهت الى جهة الحجاز حتى قدمت على عبد الله بن الحسن فلقيته بالكتب فأنكرها ونهرني وقال ما أعرف هؤلاء القوم قال عقبة فلم أنصرف وعاودته القول وذكرت له اسم القرية وأسماء أولئك القوم وان معي ألطافا وعينا فانس بي وأخذ الكتب وما كان معي قال عقبة فتركته ذلك اليوم ثم سألته الجواب فقال أما كتاب فلا أكتب الى أحد ولكن أنت كتابي اليهم فاقرئهم السلام وأخبرهم أن ابني محمدا وابراهيم خارجان لهذا الأمر وقت كذا وكذا قال عقبة فخرجت من عنده وسرت حتى قدمت على المنصور فأخبرته بذلك فقال لي المنصور اني

من الحاضرين وقد غسلا دست
الحرب وسمع وهو على فرسه بنفسه
الغالية وراموا كشفها وهم في رقعة
الارض كأنهم لم يعلموا بان الطارقة
عالية وتالله لقد حرست بقوم لم
يتدرعوا بغير آية الحرس في
الاسحار وقد استيقظوا الجل قسيهم
ولم تنم أعينهم عن الاوتار فاعيذوا
سيها التي هي كالجبال الشامخة عن
أسس رواسي المحجوج وأحصنها
قلعة بالسماء ذات البروج وتطاولت
الى السور المشرف وقد فضل في علم
الحرب وحفظ أبوابه المقفلات
فما وقفنا على باب الا وجدناه لم يترك
خلفه لصاحب المفتاح تخلصا لما
أبداه من المشكلات وما أحقه بقول
القائل

فضائله سور على المجد حائط
و بالعلم هذا السور أضحى مشرفا
كم حملوا عليه وظنوا في طريق
حملتهم نصرا ونصبوا دست الحرب
ولم يعلموا بانه قد طبخ لهم على كل باب
قدرا فلا وأبيك لو نظرته يوم الحرب
قد تصاعدت فيه أنفاس الرجال
لقلت ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد
والى المحاصرين وقد جاؤا راجلا
وفارسا المشهد والقتال لقلت وجاءت
كل نفس معها سائق وشهيد والى
كواكب الأسنة وقد انتثرت والى
قبور الشهداء وهي من تحت أرجل
الخيل قد بعثرت والى كر الفوارس
وفرها القلت علمت نفس ما قدمت
وأخرت والى نار النفط وقد نفطت
من غيضها والى ذكور السيوف
وقد وضعت المنايا السعود وتعذرت
من شدة الدماء لكثرة حيضها
ومن العجائب أن بيض سيوفهم
تلد المنايا السود وهي ذكور
والى فارس الغبار وقد ركب صهوات
الجو ولحق بعنان السماء والى
أهداب السهام وقد بكت لما تخضبت
بالدماء والى كل هارب سلب عقله
وكيف لا وخصمه له تابع والى كل

أريداج فاذا صرت بمكان كذا وكذا وتلقاني بنو الحسن وفيهم عبد الله فاني أعظمه وأكرمه وأرفعه وأحضر الطعام فاذا فرغ من أكله ونظرت اليه فتمثل بين يدي وقف قدامه فانه سيصرف وجهه عنك فدر حتى تقف من ورائه واغمز ظهره بابهام رجلك حتى يملأ عينيه منك ثم انصرف عنه واياك أن يراك وهو يأكل ثم خرج المنصور بريداج حتى اذا قارب البلاد تلقاه بنو الحسن فاجلس عبد الله الى جانبه وحادثه فطلب الطعام للغداء فأكلوا معه فلما فرغوا أمر برفعه فرفع ثم أقبل على عبد الله بن الحسن وقال يا أبا محمد قد علمت أن مما أعطيتني من العهود والمواثيق انك لا تريدني بسوء ولا تكيد لي سلطانا قال فانا على ذلك يا أمير المؤمنين قال عقبة فلحظني المنصور بعينه فقمت حتى وقفت بين يدي عبد الله بن الحسن فاعرض عني فدرت من خلفه وغمزت ظهره بابهام رجلي فرفع رأسه وملأ عينيه مني ثم وثب حتى جثا بين يدي المنصور وقال أقلني يا أمير المؤمنين أقالك الله فقال له المنصور لا أقالني الله ان لم أقتلك وأمر بحبسه وجعل يتطلب ولديه محمدا وابراهيم ويستعمل أخبارهما * قال علي الهاشمي صاحب غداته دعاني المنصور يوما فاذا بين يديه جارية صفراء وقد دعا لها بانواع العذاب وهو يقول لها ويلك أصدقيني فوالله ما أريد الا الالفة ولئن صدقتيني لأصلن رحمه ولأتابعن البر اليه واذا هو يسألها عن محمد بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب وهي تقول لا أعرف له مكانا فامر بتعذيبها فلما بلغ العذاب منها أغمي عليها فقال كفوا عنها فلما رأى أن نفسها كادت تتلف قال ما دواء مثلها قالوا شم الطيب وصب الماء البارد على وجهها وأن تسقى السويق ففعلوا بها ذلك وعالج المنصور بعضه بيده فلما أفاقت سألها عنه فقالت لا أعلم فلما رأى اصرارها على الجحود قال لها أتعرفين فلانة الحجامة فلما سمعت منه ذلك تغير وجهها وقالت نعم يا أمير المؤمنين تلك في بني سليم قال صدقت هي والله أمتي ابتعتها بمالي ورزقي يجري عليها في كل شهر وكسوة شتائها وصيفها من عندي سيرتها وأمرتها أن تدخل منازلكم وتحجمكم وتتعرف أحوالكم وأخباركم ثم قال لها أتعرفين فلانا البقال قالت نعم يا أمير المؤمنين هو في بني فلان قال صدقت هو والله غلامي دفعت اليه مالا وأمرته أن يبتاع به ما يحتاج اليه من الأمتعة وأخبرني ان أمة لكم يوم كذا وكذا جاءت اليه بعد صلاة المغرب تسأله حناء وحوائج فقال لها ما تصنعين بهذا قالت كان محمد بن عبد الله بن الحسن في بعض الضياع بناحية البقيع وهو يدخل الليلة وأردنا هذا ليتخذ النساء ما يحتجن اليه عند دخول أزواجهن من المغيب فلما سمعت الجارية هذا الكلام من المنصور ارتعدت من شدة الخوف وأذعنت له بالحديث وحدثته بكل ما أراد والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب الثاني والستون في ذكر الدواب والوحوش والطير والهوام والحشرات وما أشبه ذلك مرتبا على حروف المعجم

حرف الهمزة

(الأسد) من السباع والأنثى أسدة وله أسماء كثيرة فمن أشهرها أسامة والحرث وقسور والغضنفر وحيدرة والليث والضرغام ومن كناه أبو الأبطال وأبو شبل وأبو العباس وهو أنواع * منها ما وجهه وجه انسان وشكل جسده كالبقر وله قرون سود نحو شبر ومنها ما هو أحمر كالعناب وغير ذلك وتلده أمه قطعة لحم وتستمر تحرسه ثلاثة أيام ثم يأتي أبوه فينفخ فيه فتتفرج أعضاؤه وتتشكل صورته ثم ترضعه وتستمر عيناه مغلقة سبعة أيام ثم تفتح ويقيم على تلك الحالة بين أبيه وأمه الى ستة أشهر ثم يتكلف الكسب بعد ذلك وله صبر على الجوع والعطش وعنده شرف نفس يقال انه لا يعاود فريسته ولا يأكل من فريسة غيره ولا يشرب من ماء ولغ فيه كلب وفي ذلك يقول بعضهم

سأترك حبكم من غير بغض * وذاك لكثرة الشركاء فيه
اذا وقع الذباب على طعام * رفعت يدي ونفسي تشتهيه
وتجتنب الأسود ورود ماء * اذا كان الكلاب يلغن فيه

واذا أكل نهش نهشا وريقه قليل جدا ولذلك يوصف بالبخر وعنده شجاعة وجبن وكرم فمن شجاعته الاقدام على الامور وعدم الاكتراث بالغير ومن جبنه أنه يفر من صوت الديك والسنور والطست ويتحير عند رؤية النار ومن كرمه أنه لا يقرب المرأة خصوصا اذا كانت حائضا وقيل أربع عيون تضيء بالليل عين

مدفع وماله عند حكم القضاء دافع والى قامات أقلام الخط وقد صار لها في طروس الأجسام مشق فاستصوبت عند ذلك رأي من قال عرج ركابك عن دمشق ونظرت بعد ذلك الى العشير وقد استحل في ذي الحجة المحرم وحمل كل قيسي عانيا وتقدم مخرج النساء وقد أنكرن منهم هذا الأمر العسير فقلت

وغير بدع للنسا * اذا تنكرن العشير

وتصفحت بعد ذلك فاتحة باب النصر فعوذته بالاخلاص وزدت لله شكرا وحمدا وتأملت أهل الباب وهم يتلون لاهل البلد في سورة الفتح وللمحاصرين وجعلنا من بين أيديهم سدا كم طلبوا فتحه فلم يجدوا لهم طاقة وضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ونظرت الى ما تحت القلعة من أسواق التجار فوجدت كلا قد محت النار آثاره وأهله يتلون قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة فمنهم من همه شأنه على صاحبته وبنيه وآخر قد استغنى بشأن نفسه فهم كما قال الله لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه فوقفت انشد في تلك الاسواق وقد سعرت

* ألا موت يباع فاشتريه *

ونظرت الى المؤمنين الركع السجود وهم يتلون على من ترك في بيوتهم أخدودا من وقود النار وقعد لحربهم في ذلك اليوم المشهود قتل أصحاب الاخدود النار ذات الوقود اذ هم عليها قعود وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود هذا وكم مؤمن قد خرج من دياره حذر الموت وهو يقول النجاة وطلب الفرار وكلما دعا قومه لمساعدتهم على الحريق نادى اهم وقد عدم الاصطبار ويا قوم ما لي أدعوكم

الأسد وعين النمر وعين السنور وعين الأفعى * وروى أنه لما تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم والنجم اذا هوى
قال عتبة بن أبي لهب كفرت برب النجم يعني نفسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم سلط عليه كلبا من
كلابك ينهشه فخرج من أصحابه في عير الى الشام حتى اذا كانوا بمكان يقال له الزرقاء زار الأسد فجعلت
فرائصه ترتعد فقالوا له من أي شئ ترتعد فرائصك فوالله ما نحن وأنت الا سواء فقال ان محمدا دعا علي ووالله
ما أظلت السماء من ذي لهجة أصدق من محمد ثم وضعوا العشاء فلم يدخل يده فيه ثم جاء النوم فحاطوا أنفسهم
بمتاعهم وجعلوه بينهم وناموا فجاء الأسد يتهمس وشمهم رجلا رجلا حتى انتهى اليه فضغطه ضغطة كانت
اياها فسمع وهو بآخر رمق يقول ألم أقل لكم ان محمدا أصدق الناس ولبعضهم في الأسد

عبوس شموس مصلخد مكابد * جرى على الأقران للقرن قاهر * براثنه شثن وعيناه في الدجى
كجمر الغضى في وجهه الشر ظاهر * يدل بأنياب حداد كأنها * اذا قلص الأشداق عنها خناجر

(فائدة) اذا أقبلت على واد مسبع فقل أعوذ بدانيال والجب من شر الأسد وسبب ذلك على ما قيل ان
بختنصر رأى في نومه أن هلاكه يكون على يد مولود فجعل يأمر بقتل الأطفال فخافت أم دانيال عليه فجاءت
الى بئر فألقته فيه فأرسل الله له أسدا يحرسه وقيل ان بختنصر توهم ذلك في دانيال فضرى له أسدين وجعلهما
في الجب وألقاه عليهما فلم يؤذياه وصارا يبصبصان حوله ويلحسانه فأقام ما شاء الله تعالى أن يقيم ثم اشتهى
الطعام والشراب فأوحى الله تعالى الى أرمياء بالشام أن اذهب الى أخيك دانيال بجب كذا بمكان كذا قال أرمياء
فسرت الى ذلك الموضع فلما وقفت على رأس ذلك الجب ناديته فعرفني فقال من أرسلك الي قلت أرسلني اليك
ربك بطعام وشراب فقال الحمد لله الذي لا ينسى من ذكره والحمد لله الذي لا يخيب من قصده والحمد لله الذي
من وثق به لا يكله الى غيره والحمد لله الذي يجزي بالاحسان احسانا وبالصبر نجاة وغفرانا والحمد لله الذي
يكشف ضرنا بعد كربنا والحمد لله الذي هو ثقتنا حين تسوء ظنوننا بأعمالنا والحمد لله الذي هو رجاؤنا حين تنقطع
الحيل عنا قال ثم صعد به أرمياء من الجب وأقام عنده مدة ثم فارقه ورجع (وحكى) أن يحيى بن زكريا عليهما
الصلاة والسلام مر بقبر دانيال عليه الصلاة والسلام فسمع منه صوتا يقول سبحان من تعزز بالقدرة وقهر
العباد بالموت قال بعض الصالحين من قال هذه الكلمات استغفر له كل شئ (وحكى) أن ابراهيم بن أدهم
كان في سفره ومعه رفقة فخرج عليهم الأسد فقال لهم قولوا اللهم احرسنا بعينك التي لا تنام واحفظنا بركنك الذي
لا يرام وارحمنا بقدرتك علينا فلا نهلك وأنت رجاؤنا يا الله يا الله يا الله قال فولى الأسد هاربا * وقيل لما حمل نوح
عليه الصلاة والسلام في سفينته من كل زوجين اثنين قال أصحابه كيف نطمئن ومعنا الأسد فسلط الله
عليه الحمى وهي أول حمى نزلت في الأرض ثم شكوا اليه العذرة فأمر الله تعالى الخنزير فعطس فخرج منه الفار
فلما كثر وزاد ضرره شكوا ذلك لنوح عليه الصلاة والسلام فأمر الله سبحانه وتعالى الأسد فعطس فخرج
منه الهر فحجب الفأر عنهم ويحرم أكل السبع لنهيه عليه الصلاة والسلام عن أكل كل ذي ناب من السباع
وكل ذي مخلب من الطير (خواصه) من خواصه ان صوته يقتل التماسيح وشحمه من طلى به يده لم يقربه سبع
ومرارة الذكر منه تحل المعقود ولحمه ينفع من الفالج واذا وضعت قطعة من جلده في صندوق لم يقربه سوس
ولا أرضة واذا وضع على جلد غيره من السباع تساقط شعره وهو من الحيوان الذي يعيش ألف سنة على ما ذكر
وعلامة ذلك كثرة سقوط أسنانه (الابل) قيل ما خلق الله شيئا من الدواب خيرا من الابل ان حملت أثقلت
وان سارت أبعدت وان حلبت أروت وان نحرت أشبعت وفي حديث الابل عز لأهلها والغنم بركة والخيل
معقود بنواصيها الخير الى يوم القيامة وهي من الحيوان العجيب وان كان عجبه قد سقط لكثرة مخالطته الناس
وقد أطاعها الله للآدمي وغيره حتى قيل ان قطارا كان ببعض حبله دهن فمرت فأرة فجذبته فسار معها القطار
بواسطة جذبها له وهي مراكب البر ولذلك قرنها الله تعالى بالسفن فقال تعالى وعليها وعلى الفلك تحملون
ولما كانت مراكب البر والبر فيه ما ماؤه قليل وما ماؤه كثير جعل الله تعالى لها صبرا على العطش حتى قيل
انه يرتفع ظمؤها الى عشر وفي الحديث لا تسبوا الابل فانها من نفس الله تعالى أي مما يوسع به على الناس
حكاه ابن سيده والذي يعرف لا تسبوا الريح فانها من نفس الرحمن قال أصحاب الكلام في طبائع الحيوان
ليس لشئ من الفحول مثل ما للجمل عند هيجانه فانه يسوء خلقه فيظهر زبده ويقل رغاؤه فلو حمل عليه ثلاثة

الى النجاة وتدعونني الى النار
ونظرت ضواحي البلد وقد اسودت
في وجوههم المذاهب وما لهم من
من الضيق مخرج وضاقت عليهم
الأرض بما رحبت لما غلق في
وجوههم باب الفرج فقلت اللهم
اجعل لهم من كل هم فرجا ومن كل
ضيق مخرجا ولعدم أموالهم من كل
عسر يسرا ولا تهالك مخدراتهم من
كل فاحشة سترا ولقطع الماء
عنهم الى كل خير سبيلا فانك
حسبنا ونعم الوكيل هذا وكم
نظرت الى سماء بمغرب
شمسه بعد الاشراق فاشتدت وقد
ازددت كربا من شدة الاحتراق

فديناك من ربع وان زدتنا كربا
فانك كنت الشرق للشمس والغربا

وانتهيت الى الطواقين وقد أسبل
عليهم الحريق شدته فكشفوا
الرؤس لعالم السرائر وكذات ستر
خرجت بفرق مكشوف ورمت
العصائب وبعلها بعينه دائر هذا وكم
ناهدات

أسبلن من فوق النهود ذوائبا
فتركن حبات القلوب ذوائبا

ووصلت الى ظاهر الفراديس وقد
قام كل الى فردوس بيته فاطلع
فرآه في سواء الجحيم واندهشت لتلك
الانفس التي ماتت من شدة الخوف
وهي تستغيث للذي أنشأها أول
مرة وهو بكل خلق عليم ونظرت
الى ظاهر باب السلامة وقد أخفت
النار أعلامه ولقد كان أهله من
صحة أجسامهم ومن أمنه كما يقال
بالصحة والسلامة والى السلامة
وقد لبست ثياب الحزن وذابت من
أهلها الكبود وقعدوا بعد تلك
الربوع على أديم الأرض ونضجت
منهم الجلود ولقد والله عدمت لذات
الحواس الخمس وضاقت علي الجهات
الست فلم ترقأ لي دمعة وأكلت
الأنامل من الأسف لما سمعت
بحريق أطراف السبعة

اضعاف

أضعاف عادته حمل ويقال أكله ويخرج له عند رغائه شقشقة لا تعرف من أى شئ هى من أجزائه وهو من الاحرار حتى قيل انه لا ينزو على أمه ولا على أخته حتى قيل ان بعض العرب ستر ناقة بثوب ثم أرسل عليها ولدها فلما عرف ذلك عمد الى احليله فأكله ثم حقد على صاحبه حتى قتله وليس له مرارة ولذلك كثر صبره وقيل يوجد على كبده شئ رقيق يشبه المرارة ينفع الغشاوة فى العين كحلا وفى معدته قوة حتى انها تهضم الشوك وتستطيبه ويحل أكله بالنص والاجماع وأما تحريم يعقوب عليه الصلاة والسلام أكلها فباجتهاد منه وذلك انه كان يسكن البوادى فاشتكى عرق النسا فلم يجد ما يلائمه الا ترك أكل لحومها فلذلك حرمها * وأما انتقاض الوضوء بأكل لحمها فاختلاف العلماء فى ذلك فذهب الاكثرون الى انه لا ينقض وعليه الخلفاء الاربعة وابن مسعود وأبى وابن عباس وأبو الدرداء وأبو طلحة وعامر بن ربيعة وأبو أمامة وجماهير التابعين وبه أخذ مالك والشافعى وأبو حنيفة وأصحابهم وخالف فى ذلك أحمد واسحق ويحيى بن يحيى ابن المنذر وابن خزيمة واختاره البيهقى وهو مذهب الشافعى القديم (خواصه) قال ابن زهر وغيره أكل لحمه يزيد فى الماء وفى الانعاظ بعد الجماع وبوله يفيق السكران ووبره اذا أحرق وذر على دم سائل قطعه وقراده اذا ربط على كم عاشق يزول عشقه (الأرضة) بفتح الهمزة والراء دويبة صغيرة كنصف العدسة تأكل الخشب والورق ولما كان فعلها فى الأرض أضيف اسمها اليها قال القزوينى اذا أتى على الأرضة سنة نبت لها جناحان طويلان تطير بهما ويقال انها الدابة التى دلت الجن على موت سليمان عليه الصلاة والسلام ومن شأنها انها تبنى لنفسها بيتا من عيدان تجمعها مثل بيت العنكبوت منخرطا من أسفله الى أعلاه وله فى احدى جهاته باب مربع ومنه تعلم الأوائل وضع النواويس لموتاهم والنمل عدوها وهو أصغر منها فيأتى من خلفها ويحتملها ويمشى بها الى جحره لانه اذا أتاها مستقبلا لا يغلبها (الأرنب) حيوان شبه العناق قصير اليدين طويل الرجلين يطأ الأرض على مؤخر قدميه وهو اسم يطلق على الذكر والأنثى وله شدة شبق وربما تسفد وهى حبلى و يكون عاما ذكرا وعاما أنثى * ومن عجائبها انها تنام وعيناها مفتوحتان فيأتى الصياد فيظنها مستيقظة قيل من رأى أرنبا عند خروجه من بيته أول ما يخرج أو رآه عند قيامه من نومه واصطبح به لم تقض له حاجة فى ذلك اليوم * ومن عجيب أمره أن تحمل الانثى منه باثنين وثلاثة وأربعة ولا تلد الا تحت الأرض خوفا على أولادها من الانسان وتحفر تحت الأرض الحفائر القوية حتى انها تخرب الجدران وعند ولادتها ينتحل شعرها وهى تحضن الأولاد الى عشرين يوما ومن طبعه انه أبله وفيه قوة وشدة وفى سفاده حالة تزوه يصرخ الذكر والأنثى كالسنانير فاذا وقع منه الانزال وقع على الأرض قليل الحركة وعند سفاده تدبر له وجهها فاذا ملكها بعد ذلك فانها تجرى به وهو راكب عليها يجرى معها * فائدة * ذكر ابن الأثير فى الكامل أن صديقا له اصطاد أرنبا وله أنثيان وذكر وفرج * وقيل التقطت الأرنب تمرة فاختلسها الثعلب فأكلها فانطلقا يختصمان الى الضب فقالت الأرنب يا أبا حسل فقال سميعا دعوت قالت أتيناك لنختصم قال عادلا حكيما قالت فاخرج الينا قال فى بيته يؤتى الحكم قالت انى وجدت تمرة حلوة قال فكليها قالت قد اختلسها الثعلب قال لنفسه بغى الخير قالت فلطمته قال بحقك أخذت قالت فلطمنى قال اقتص قالت فاقض بيننا قال قد قضيت فذهبت أقواله أمثالا (ومن ذلك) ما حكى ان عدى بن ارطاة أتى شريحا القاضى فى مجلس حكمه فقال له أين أنت قال بينك و بين الحائط قال فاسمع منى قال للاستماع جلست قال انى تزوجت امرأة قال بالرفاء والبنين قال فشرط أهلها أن لا أخرجها من بينهم قال أوف لهم بالشرط قال فأنا أريد الخروج قال الشرط أملك قال أريد أن أذهب قال فى حفظ الله قال فاقض بيننا قال قد فعلت قال فعلى من قضيت قال على ابن أمك قال بشهادة من قال بشهادة ابن أخت خالك (الخواص) قال الجاحظ من علق عليه كعب أرنب لم تضره عين ولا سحر وأكل دماغه يبرئ من الارتعاش العارض من البرد وان شربت المرأة الحامل أنفحة الذكر ولدت ذكرا وان شربت أنفحة الانثى ولدت أنثى وان علقت عليها زبلها لم تحمل والارنب البحرى من السموم فلا يحل أكله (سقنقور) دابة شكلها كالوزغة اذا أخذت وسلخت وملحت وشرب منها مثقال زاد فى الباه وهو من الاشياء النفيسة عند أهل الهند يقال انه يهدى اليهم فيذبحونه بسكين من الذهب ويحشونه من ملح مصر فاذا وضعوا منه مثقالا على لحم أو بيض نفع نفعا عظيما (الأفعى) الانثى من الحيات والذكر أفعوان وهو

فأعيذ ما بقى من السبعة بالسبع المثانى والقرآن العظيم فكم رأينا بها يعقوب حزن رأى سواد بيته فاصفر لونه وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم وتغربت الى ظاهر الباب الشرقى فتشرقت بالدمع من شدة الالتهاب فلقد كان أهله من دار عينه وكرومه الكريمة فى جنتين من نخيل وأعناب وتوسلت الى ظاهر باب كيسان فانفقت كيس الصبر لما افتقرت من دنانير تلك الأزهار والدراهم رباها وسمحت بعد ذلك بالعين واستخدمت فقلت بسم الله مجراها وكابرت الى أطراف الباب الصغير فوجدت فاضل النار لم يغادر منها صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها فيا لهفى على عروس دمشق التى لم تذكر محاسنها أسماء ولا الجيداء لقد كانت ست الشام فاستعبدها ملك النار حتى صارت جارية سوداء ولقد وقفت بين ربوعها وقد التهبت أحشاؤها بالاضطرام وفطم جنين نبتها عن رضاع ثدى الغمام فاستسقيت لها بقول ابن أسعد حيث قال

سقى دمشق وأياما مضت فيها
مواطر السحب ساريها وغاديها
ولا يزال جنين النبت ترضعه
حوامل المزن فى احشا أراضيها
فما نضا حبها قلبى لنيربها
ولا قضى نحبه ودى لواديها
ولا تسليت عن سلسال ربوتها
ولا نسيت مبيتى جار جاريها

هذا وكم خائف قبل اليوم آوينا به الى ربوة ذات قرار وكم كان بها مطرب طير ترجع بعدما كان يطرب على عود وطار وبطل الجنك لما انقطعت أوتار أنهارها فلم يبق له مغنى وكسر الدف لما خرج نهر المغنية عن المعنى واستسمع الناس من قال

يعيش ألف سنة على ما يقال ويعرف بالشجاع والأسود وهو أشر الحيات وأشرها حيات وأفاعي سجستان ومن أعجب ما يحكى عنها انها الدغت انسانا في رجله فانصدعت جبهته ﴿وحكي﴾ انها نهشت ناقة وفصيلها يرتضع فمات قبل أمه وقيل لما دخل شبيب بن شيبة على المنصور قال له يا شبيب أدخلت سجستان فقال له نعم قال صف لي أفاعيها قال يا أمير المؤمنين هي دقاق الاعناق صغار الأذناب مفلطحة الرؤس رقش برش كأنما كسين اعلام الحبرات كبارهن حتوف وصغارهن سيوف وقيل انها تندفن في التراب أربعة أشهر في البرد ثم تخرج وقد أظلمت عيناها فتمر بشجر الرازيانج وهو الشمر الاخضر فتحك عينيها به فيرجع اليها بصرها فسبحان من ألهمها ذلك وقال الزمخشري اذا عميت الافعى بعد ألف سنة ألهمها الله تعالى أن تأتي البساتين وتلقي نفسها على هذه الشجرة وتحك عينيها بها فتبصر وقيل اذا قطع ذنبها عاد كما كان واذا قلع نابها عاد بعد ثلاثة أيام وهي أعدى عدو للانسان وقال بعضهم رأيت حية قد ابتلعت كبشا عظيم القرنين فجعلت تضرب به الحجارة يمينا ويسارا حتى كسرت القرنين وابتلعته وقرنيه والله تعالى أعلم وقيل اذا قطع ذنب الحية تعيش ان سلمت من الذر وقيل ان بالحبشة حيات لها أجنحة تطير بها وقيل ان جلدها ينسلخ عنها في كل سنة مرة وقيل ان الجلد لا ينسلخ وانما الذي ينسلخ قشر فوق الجلد وغلاف يخلق لها كل عام وهي تبيض على عدد أضلاعها أي ثلاثين بيضة فيجتمع عليها النمل فيفسدها بقدرة الله تعالى الا نادرا ✱ومن عجيب أمرها أنها لا ترد الماء ولا تريده ولكنها اذا شمت رائحة الخمر فلا تكاد تصبر عنه مع انه سبب هلاكها لانها اذا شربت سكرت فتعرضت للقتل والذكر لا يقيم في الموضع وانما تقيم الأنثى لأجل فراخها حتى تكتسب قوة فاذا قويت أخذتهم وانسابت فأي جحر وجدته دخلت فيه وأخرجت صاحبه منه وعينها لا تدور واذا قلعت عادت ✱ ومن عجيب أمرها انها تهرب من الرجل العريان وتفرح بالنار وتقرب منها وتحب اللبن حبا شديدا واذا دخلت بصدرها في جحر لا يستطيع أقوى الناس اخراجها منه ولو قطعت قطعا وليس لها قوائم ولا أظفار وانما تقوى بظهرها الكثيرة أضلاعها (وحكى) عمر بن يحيى العلوي قال كنا في طريق مكة فأصاب رجلا منا استسقاء فاتفق أن العرب سرقوا منا قطار جمال على أحدها ذلك الرجل قال ثم بعد أيام جمعتنا المقادير فوجدته قد برئ فسألناه عن حاله فقال ان العرب لما أخذوني جعلوني في أواخر بيوتهم فكنت في حالة أتمنى فيها الموت وبينما أنا كذلك اذ أتوا بأفاعي اصطادوها وقطعوا رؤسها وأذنابها وشووها بعد ذلك فقلت في نفسي هؤلاء اعتادوها فلا تضرهم فلعلي ان أكلت منها مت فاسترحت فاستطعمتهم فاطعموني واحدة فلما استقرت في بطني أخذني النوم فنمت نوما ثقيلا ثم استيقظت وقد عرقت عرقا شديدا واندفعت طبيعتي نحو مائة مرة فلما أصبحت وجدت بطني قد ضمر وقد انقطع الألم فطلبت منهم مأكولا فأكلت وأقمت عندهم أياما فلما انشطت ووثقت من نفسي بالحركة أخذت في الطريق مع بعضهم وأتيت الكوفة ﴿فائدة﴾ قيل ان الريحان الفارسي لم يكن قبل كسرى وانما وجد في زمانه وسببه ان كسرى كان ذات يوم جالسا في بعض متفرجاته اذ جاءته حية فانسابت بين يديه وتمرغت وصارت تتقلق مثل الذي يشتكي فاراد بعض الجند قتلها فمنعهم الملك ثم قال لهم انظروا أمرها فلما سمعت ذلك انسابت بين يديه فامرهم أن يتبعوها الى المكان الذي تريده قال فجاءت الى بئر وصارت تنظر فيه قال فنظروا فاذا فيه حية عظيمة وعلى ظهرها عقرب أسود فنخسها بعضهم برمح فقتلها وتركوها ورجعوا فاخبروا الملك بذلك فلما كان الغد جاءت الحية للملك وفي فمها بزر فنثرته بين يدي الملك وذهبت فقال الملك انها أرادت مكافأتنا اجعلوه في الارض لننظر ما يكون من أمره قال ففعلوا ذلك فطلع من الريحان قال فلما انتهى أمره أتوا به الى الملك قال وكان به زكام فشمه فبرئ ﴿لطيفة﴾ من غريب ما اتفق لعماد الدولة انه لما ملك شيراز اجتمع عليه أصحابه وطلبوا منه مالا ولم يكن عنده ما يرضيهم به فاغتم لذلك ونام مستلقيا على قفاه مفكرا في ذلك واذا بحية عظيمة خرجت من سقف ذلك المجلس ودخلت في سقف آخر قال فطلب سلما وصعد لينظر المكان الذي خرجت منه فلما رآه وجد كوة فنظر في داخلها فاذا هي مطمورة فدخلها فوجد فيها صندوقا فيه خمسمائة ألف دينار فامر باخراجه وانفاقه على عسكره (ومن ألطف ما اتفق له أيضا) أنه كان بتلك البلاد خياط أطروش وكان الملك الذي قبله قد أودع عنده وديعة مال قال فطلبه عماد الدولة ليخيط له على عادته لانه هو الذي يخيط

للملوك

انهض الى الربوة مستمتعا
تجد من اللذات ما يكفي
فالطير قد غنى على عوده
في الروض بين الجنك والدف

وأصبحت أوقات الربوة بعد ذلك العيش الخضل والسمر عسيره ولقد كان أهلها في ظل ممدود وماء مسكوب وفاكهة كثيرة فعبس بعد ذلك ثغر روضها الباسم وضاع من غير توريه عطره الناسم ولم ينتظر لزهره المنثور على ذلك الوشي المرقوم رسالة من النسيم تحريه وكيف لا وقد محي سجع المطوق من طروس تلك الأوراق النباتية هذا وكم عروس روض سور معصمها النقش فلما انقطع نهرها معصم أنهارها كسرت السوار وكم دولاب نهر بطل غناؤه على تشبيب النسيم بالقصب وعطلت نوبته من تلك الأدوار فوقفت أندب ذلك العيش الذي كان بذلك التشبيب موصولا وأنشد ولم أجد بعد تلك النوبة المطربة الى مغني الربوة دخولا

لم لا أشبب بالعيش الذي انقرضت
أوقاته وهو باللذات موصول

ونقص يزيد فاحترق ولا ينكر ليزيد الحريق على صنعه وانقطع ظهر ثور فأهلك الحرث والنسل بقطعه وذاب بردى وحمي مزاجه لما شعر بالحريق ولم يبق في ثغره الاشنب برد حصبائه ما يبل الريق وانقطع وقد اعتل من غيضه بانياس ولم يظهر عند قطعه خلاف ولا بان آس وجرى الدم من شدة الطعن بالقنوات وكسرت قناة المرجة فذاقت مر العيش بعد حلاوة تلك القطوف الدانيات وكسر الخلخال لما قام الحرب على على ساقه وسقط رأس كل غصن على الجبهة فهاجت البلابل على أوراقه وخرنهر حمص خاضعا وتكدر بعدما كان يصفي لناقليه وافتقر أغنياء غصونه من حبات تلك الثمار فصاروا لا يملكون

للملوك قال فتوهم الاطروش أنه غمز عليه بسبب الوديعة فلما حضر بين يدي عماد الدولة قال له ان فلانا الملك لم يدع عندي سوى اثني عشر صندوقا لم أدر ما فيها فأمر باحضارها فأحضرها فأخذها عماد الدولة ووسع بها على جنده وتعجب من هاتين القضيتين فكانت هذه الاسباب من دلائل السعادة له * وأمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتل الحيات بعد أن تنذر ثلاث مرات وقيل ثلاثة أيام وأما سكان البيوت فالانذار لها متعين وفي الحديث من قتل حية فكأنما قتل مشركا ومن لبس خفا فلينفضه ومن آوى الى فراشه فلينفضه (الخواص) يقال ان دمها يجلو البصر وقلبها اذا علق على انسان لا يؤثر فيه السحر وضرسها اذا علق على من به وجع الضرس سكن الايمن للايمن والايسر للايسر ولحمها قال بقراط الحكيم من أكله أمن من الامراض الصعبة (الانيس) وتسميه الرماة الانيسة لانه من طيور الواجب عندهم وهو طير له لون حسن غذاؤه الفاكهة ومأواه الانهار والبساتين والغياض وله صوت حسن كالقمري (الاوز) طير يحب السباحة وفراخه تخرج من البيضة تسبح (الخواص) في جوفه حصاة تنفع المبطون ودهنه تنفع من ذات الجنب وداء الثعلب اذا طلي به ولسانه ينفع لقطار البول وغذاؤه جيد الا انه بطيء الهضم (الايل) بتشديد الياء المكسورة ذكر الوعل وله أسماء باختلاف اللغات وهو يشبه بقر الوحش واذا خاف من الصياد رمى بنفسه من رأس الجبل ولا يتضرر بذلك واذا لسعته حية ذهب الى البحر فأكل السرطان فيشفى (خواصه) أن السمك يحب رؤيته وهو يحب ذلك ولذلك أكثر ما يكون بقرب البحر والصيادون يعرفون ذلك فيلبسون جلده ليراهم السمك فيأتي لهم وهو مولع بأكل الحيات وربما لسعته فتسيل دموعه تحت محاجر عينيه حتى تصير نقرتين من كثرة ذلك ثم تجمد تلك الدموع فتصير كالشمع فتؤخذ وتجعل دواء للسم وهو الذي يسمى بالبنزهير الحيواني وأجوده الاصفر وأكثر ما يكون ببلاد الهند والسند وفارس واذا وضع على لسعة الحيات أبرأها وان وضعه الملسوع في فيه نفعه وهذا الحيوان لا تنبت قرناه الا بعد سنتين وينبتان في أول الامر مستقيمين ثم بعد ذلك يحصل فيهما التشعب ولا يزال يزيد الى ست سنين فحينئذ يصيران كنخلتين ثم بعد ذلك يلقيهما في كل سنة مرة ثم ينبتان قال ارسطو وهذا النوع يصاد بالصفير والاصوات المطربة فانه يحب الطرب والصيادون يشغلونه بذلك ويأتونه من ورائه فاذا رأوه قد استرخت أذناه وثبوا عليه وقرنه مصمت واحليله من عصب لا عظم فيه ولا لحم وهو من الحيوان الذي يزيد في السمن فاذا حصل له ذلك فر من مكانه خوفا من الصيادين وحكمه حل أكله (الخواص) اذا بخر بقرنه البيت طرد الهوام التي فيه واذا أحرق واستاك به الذي به صفرة الاسنان زال ذلك عنه ومن علق عليه شيء منه ذهب نومه ومن خواصه ان دمه يفتت الحصاة التي بالمثانة شربا والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿حرف الباء الموحدة﴾

(باز) كنيته أبو الاشعث وهو من أشد الحيوان تكبرا وأضيقها خلقا قال القزويني انها لا تكون الا أنثى وذكرها من غيرها اما من جنس الحدأة أو الشواهين ولاجل ذلك تختلف ألوانها وهو أصناف منها البازي والباشق والشاهين والبيدق والصقر والبازي أحرها مزاجا لانه لا يصبر على العطش فلذلك لا يفارق الماء والاشجار المتسعة والظل الظليل وهو خفيف الجناح سريع الطيران تكثر أمراضه من كثرة طيرانه لانه كلما طار انحط لحمه وهزل وأحسن أنواعه ما قل ريشه واحمرت عيناه مع حدة فيهما قال الشاعر

لو استضاء المرء في ادلاجه * بعينه كفته عن سراجه

ودونه الازرق الاحمر العينين والاصفر دونهما * ومن صفاته المحمودة أن يكون طويل العنق عريض الصدر بعيد ما بين المنكبين شديد الانحطاط من الجو غليظ الذراعين مع قصر فيهما ﴿لطيفة﴾ من عجيب أمره أن الرشيد خرج ذات يوم للصيد فارسل بازا فغاب قليلا ثم أتى وفي فمه سمكة فاحضر الرشيد العلماء وسألهم عن ذلك فقال مقاتل يا أمير المؤمنين روينا عن جدك ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال ان الجو معمور بأمم مختلفة الخلق وفيه دواب تبيض وتفرخ على هيئة السمك لها أجنحة ليست بذوات ريش فأجاز مقاتلا على ذلك وأكرمه (بالة) سمكة عظيمة قال القزويني يقال ان طولها يبلغ خمسمائة ذراع وقال غيره خمسون ويقال انها العنبر وهي تظهر في بعض الاحايين لاصحاب المراكب فاذا رأوها طبلوا بالطبول حتى انها تنفر لان لها جناحين كالقناطر اذا نشرتهما أغرقتهم فاذا بغت على حيوان البحر وزاد شرها أرسل الله عليها سمكة نحو

حيث طالما كان أهله فاكهين
ولكنهم اعترفوا بذنوبهم فقالوا وكنا
نخوض مع الخائضين وذبلت
عوارض تلك الجزيرة التي كانت
على وجنات شطوطه مستديره فقلنا
بعد عروس دمشق وحماتها
لا حاجة لنا بحمص والجزيره فيا لهفي
على منازل الشرف وذلك الوادي
الذي نعق به غراب البين ويا شوقي
الى رأس تلك المرجة التي كانت
تجلسنا قبل اليوم على الرأس والعين
هذا وقد اسودت الشقراء فامست
كابية لما حصل على ظهرها من
من الجولان وجانسها العكس
فاضحت باكية على فراق الابلق
واخضر ذلك الميدان يا مولانا لقد
بكى المملوك من الاسف بدمعة
حمراء على ما جرى من أهل الشهباء
هل في الميدان على الشقراء حتى كذب
الناس من قال

قل للذي قايس بين حلب
وجلق بمقتضى عيانها
ما تلحق الشهباء في حلبتها
تعثر الشقراء في ميدانها

فقال لسان الحال والله ما كذب
ولكنه قد يخبو الزناد وقد يكبو الجواد
وقد يصاب الفارس بالعين التي
تغمز قناته غمزا وأنشد

ومن ظن أن سيلاقي الحروب
وان لا يصاب فقد ظن عجزا

ودخلت بعد ذلك الى البلد فوجدت
على أهله من دروع الصبر سكينه
فقلت يا رب مكة والحرم انظر الى
أحوال أهل المدينة ولكن ما دخلت
بهم الى حمام الا وجدته قد ذاق
لقطع الماء عنه حماما وعلم القوام
والقاعدون بأرضه انها ساءت
مستقرا ومقاما وتلا على بيت ناره
قلنا يا نار كوني بردا وسلاما فحسن
ان أنشد قول ابن الجوزي (من كان
وكان)

الحار عندك بارد
والنهر أمسى منقطع

الذراع تلتصق باذنها ولا خلاص لها منها فتنزل الى قعر البحر وتضرب رأسها به حتى تموت ثم تطفو بعد ذلك فيقذفها الريح الى الساحل فيأخذها أهله و يشقون جوفها و يستخرجون منها العنبر (ببغاء) هى أصناف كثيرة منها الاخضر والرمادى والاصفر والابيض يتخذها الملوك والرؤساء لحسن لونها وصوتها وفصاحتها (حكى) انه أهدى لمعز الدولة درة بيضاء سوداء الرجلين والمنقار و يقال ان نوعا منها يقرأ القرآن (الخواص) من أكل لسانها افصح واذا جفف دمها وجعل بين الصديقين حصلت بينهما الخصومة وزبلها يخلط بماء الحصرم و يكتحل به ينفع من الرمد وظلمة البصر (بجع) طائر أبيض اللون يميل الى صفرة طويل المنقار كبير البطن أكثر أكله السمك (بح) طائر لطيف يأوى أطراف الماء وهو خلقة شريفة لم يوجد غالبا الا اثنين فقط (براق) هو الدابة التى ركبها النبي صلى الله عليه وسلم وهو دون البغل وفوق الحمار أبيض اللون (برذون) نوع من الخيل دون الفرس العربى وفى الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم ركبه وكذا عمر رضى الله تعالى عنه فلما ركبه عمر جعل يتخلخل به فنزل عنه وضرب وجهه وقال لا علم الله من علمك هذه الخيلاء ولم يركب برذونا قبله ولا بعده وكنيته أبو الاخطل لطول ذنبه وأنشد السراج الوراق فى ذم البراذين يقول

لصاحب الاحباس برذونة * بعيدة العهد عن القرط * اذا رأت خيلا على مربط
تقول سبحانك يا معطى * تمشى الى خلف اذا ما مشت * كأنما تكتب بالقبطى

(الخواص) اذا شربت امرأة دمه لم تحمل أبدا وزبله يخرج المشيمة والجنين الميت واذا جفف وذر منه على من به الرعاف انقطع رعافه وكذا الجرح (برغوث) تفتح منه الباء وتضم وكنيته أبو طامر وأبو عدى وأبو وثاب وهو يثب الى ورائه ﴿وحكى﴾ انه يعرض له الطيران كالنمل وهو يطيل السفاد و يبيض و يفرخ وأصله أولا من التراب لاسيما فى الاماكن المظلمة وسلطانه فى أواخر الشتاء وأول فصل الربيع و يقال انه على صورة الفيل وله أنياب وخرطوم وقال بعضهم دبيبها من تحتى أشد من عضها وليس ذلك بدبيب ولكن البرغوث خبيث يستلقى على ظهره و يرفع قوائمه فيزغزغ بها فيظن من لا علم له أنه يمشى تحت جنبيه وكان أبو هريرة رضى الله تعالى عنه يفلى ثوبه فيلتقط البراغيث و يدع القمل فقال له أنس فى ذلك فقال أبدأ بالفرسان وأكر على الرجالة وأنشد اعرابى

ليل البراغيث أعيانى وأنصبنى * لا بارك الله فى ليل البراغيث
كأنهن وجلدى اذ خلون به * قضاة سوء أغاروا فى المواريث

﴿وقال أبو الرماح الازدى﴾

تطاول بالفسطاط ليلى ولم يكن * بوادى الغضى ليلى على يطول * تؤرقنى حدب قصار أذلة
وان الذى يؤذينه لذليل * اذا جلت بعض الليالى منهن جولة * تعلقن فى رجلى حيث أجول
اذا ما قتلناهن أضعفن كثرة * علينا ولا ينعى لهن قتيل
ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة * وليس لبرغوث على سبيل

﴿وقال ابن أيبك الصفدى﴾

أشكو الى الرحمن ما نالنى * من البراغيث الخفاف الثقال
تعصبوا بالليل لما دروا * أنى تقنعت بطيف الخيال

ولا يسب البرغوث لما ورد أن النبي صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يسب برغوثا فقال لا تسبه فانه أيقظ نبيا الى صلاة الفجر ﴿فائدة﴾ سئل مالك عن البرغوث من يقبض روحه فقال أله نفس قيل نعم قال الله يتوفى الانفس حين موتها * ولقد شكا عامل افريقية الى عمر بن عبد العزيز شر الهوام فكتب اليه اذا أوى أحدكم الى فراشه فليقرأ وما لنا أن لا نتوكل على الله الآية وقال حنين بن اسحق الحيلة فى دفع البرغوث أن تأخذ شيأ من الكبريت فتدخن به فى البيت فانها تفر من ذلك وقيل يرش البيت بماء السذاب وقيل مشاق المراكب يحرق فى البيت مع قشور النارنج ﴿بعوض﴾ قيل انه على خلقة الفيل الا أنه أكثر أعضاء منه فان للفيل أربعة أرجل وللبعوض ستة و يزيد عليه بأربعة أجنحة وله خرطوم مجوف نافذ فاذا طعن به جسد انسان استقى الدم وقذف به الى جوفه فهو له كالبلعوم والحلقوم وعما ألهمه الله تعالى أنه اذا جلس على

عضو

والعين لا ماء فيها
ما حيلة القوام
وأتيت بعد ذلك الى الجامع الاموى فاذا هو لاشتات المحاسن جامع وأتيته طالبا البديع حسنه فظفرت بالاستضاءة والاقتباس من ذلك النور الساطع وتمسكت باذيال حسنه لما نشقت تلك النفحات السحريه وتشوقت الى النظم والنثر لما نظرت الى تلك الشذور الذهبيه وآنست من جانب طوره نارا فرجع الى ضياء حسى واندهشت لذلك الملك السليمانى وقدزها بالبساط والكرسى وقلت هذا ملك سعد من وقف فى خدمته خاشعا وشقى من لم يدس بساطه و يأته طائعا ولقد صدق من قال

أرى الحسن مجموعا بجامع جلق
وفى صدره معنى الملاحة مشروح
فان يتغالى بالجوامع معشر
فقل لهم باب الزيادة مفتوح

معبدله قصبات السبق ولكن كسرت عند قطع الماء قناته ورأيته فى القبلة من شدة الظما وقد قويت من ضجيج المسلمين اناته وخفض النسر جناح الذل وود بان يكون النسر الطائر وطمست مقل تلك المصابيح فاندهش لذلك الناظر هذا وكم نظرت الى بحر مكرم ليس له بعدا كسر الماء جابر واختفت نجوم تلك الاطباق التى كانت كالقلائد فى جيد الغسق ومرت حلاوة نارها بعد ما ركبت طبقا عن طبق وأصبح دوحه وهو بعد تلك النضارة والنعيم ذابل وكادت قناديله وقد سلبت لفقد الماء ان تقطع السلاسل ولم تشر الناس باصابعها الى فصوص تلك الخواتم المذهبه ولم يبق على ذلك الصحن طلاوة بعد الماء وحلاوة سكبه الطيبه وتذكر المنبر عند قطع الماء أوقاته بالروضه وتكدرت أفراحه لما ذكر أيامه بتلك الغيضه

عضو انسان يتتبع مسام العروق فانها أرق وأسرع له فى اخراج الدم وعنده شره فى مصه حتى قيل انه لا يمص شيأ فيتركه باختياره الى أن ينشق أو يطار * ومن عجيب أمره أنه ربما قتل البعير وغيره من ذوات الأربع فيتركه طريحا وقال الجاحظ من علم البعوض ان وراء جلد الجاموس دما وأن ذلك الدم غذاء لها وأنها اذا طعنت فى ذلك الجلد الغليظ نفذ فيه خرطومها مع ضعفه ولو أنك طعنت فيه بمسلات شديدة المتن رهيفة الحد لانكسرت فسبحان من رزقها على ضعفها بقوته وقدرته قال بعضهم

أقول لنازل البستان طوبى * لعيشك لم تشك فيه البعوض
*ملـه فليس له قرار * ويثخنه فليس له نهوض
حماه قرصه وطنينه أن * يبيت وعينه فيها الغموض
كأنك حين تهدى بالأغانى * تكرر فى مسامعك العروض

ومن الحكم التى أودعها الله تعالى اياها ان جعل الله فيها قوة الحافظة والفكر وحاسة اللمس والبصر والشم ومنفذ الغذاء وجوفا ومخاوعروقا وعظاما فسبحان من قدر فهدى ولم يترك شيأ سدى وقال الزمخشرى فى تفسير سورة البقرة فى ذلك

يامن يرى مد البعوض جناحها * فى ظلمة الليل البهيم الأليل
ويرى مناط عروقها فى نحرها * والمخ من تلك العظام النحل
ويرى خرير الدم فى أوداجها * متنقلا من مفصل فى مفصل
ويرى وصول غذا الجنين ببطنها * فى ظلمة الاحشا بغير تعقل
ويرى مكان الوطء من أقدامها * فى سيرها وحثيثها المستعجل
ويرى ويسمع حس ماهو دونها * فى قاع بحر مظلم متهول
امنن على بتوبة تمحو بها * ما كان منى فى الزمان الأول

﴿بغل﴾ معروف وكنيته أبو قوص وأبو حرون وله كنى غير ذلك كثيرة وهو مركب من الفرس والحمار ولذلك صار له صلابة الحمار وعظم الخيل وهو عقيم لا نسل له روى ابن عساكر فى تاريخ دمشق عن على كرم الله وجهه أنها كانت تتناسل فدعا عليها ابراهيم الخليل لانها كانت تسرع فى نقل الحطب لنار المنجنيق فقطع الله نسلها وهو أشر الطباع لانه تجاذبه الأعراق المتضادة والأخلاق المتباينة والعناصر المتباعدة ومن العجب ان كل عضو فرضته منه كان بين الفرس والحمار (الخواص) يقال ان حافر البغلة السوداء ينفع لطرد الفار اذا بخر به البيت واذا سحق حافره بعد حرقه وخلط بدهن الآس وجعل على رأس الأقرع نبت شعره وذبله اذا شمه المزكوم زال زكامه على ماذكر ﴿بقر﴾ حيوان شديد القوة خلقه الله تعالى لمنفعة الانسان وهو أنواع منها الجواميس وهى أكثر ألبانا وكل حيوان اناثه أرق أصواتا من ذكوره الا البقر وأنثاه يضربها الفحل فى السنة مرة واذا اشتد شبقها تركت المرعى وذهبت واذا طلع عليها الفحل التوت تحته اذا أخطأ المجرى لشدة صلابة ذكره قال المسعودى رأيت بالرى البقر تحمل كالبعير فتبرك على ركبتيها ثم تثور بالحمل (عجيبة) حكى فى الاحياء ان شخصا كان له بقرة وكان يشوب لبنها بالماء ويبيعه فجاء السيل فى بعض الأودية وهى واقفة ترعى فغرقها فجلس صاحبها يندبها فقال له بعض بنيه يا أبت لا تندبها فان المياه التى كنا نخلطها بلبنها اجتمعت فغرقتها ﴿فائدة﴾ ذكر ابن الفضل فى كتابه عن وهب بن منبه أنه قال لما خلق الله تعالى الأرض ماجت واضطربت كالسفينة فخلق الله تعالى ملكا فى نهاية العظم والقوة وأمره أن يدخل تحتها ويجعلها على منكبيه فدخل وأخرج يدا من المشرق ويدا من المغرب وقبض على أطراف الأرض وأمسكها ثم لم يكن لقدميه قرار فخلق الله تعالى صخرة من ياقوتة حمراء فى وسطها سبعة آلاف ثقب يخرج من كل ثقب بحر لا يعلم عظمه الا الله تعالى ثم أمر الصخرة أن تدخل تحت قدمى الملك ثم لم يكن للصخرة قرار فخلق الله تعالى ثورا عظيما يقال له كيوثاء له أربعة آلاف عين ومثلها أنوف وآذان وأفواه وألسنة وقوائم ما بين كل قائمتين منها مسيرة خمسمائة عام وأمر الله تعالى هذا الثور فدخل تحت الصخرة وحملها على ظهره وقرونه ثم لم يكن للثور قرار فخلق الله تعالى حوتا يقال له بهموت ثم أمره الله تعالى أن يدخل تحته ثم جعل الحوت على ماء ثم جعل الماء على الهواء ثم جعل الهواء على ماء أيضا ثم جعل الماء على الثرى ثم الثرى على الظلمة ثم انقطع علم الخلائق (الخواص) شحم البقر اذا خلط بزرنيخ أحمر طرد العقارب واذا طلى به اناء اجتمعت البراغيث اليه واذا شرب لبنها زاد فى الانعاظ وقرنها اذا سحق وجعل فى طعام صاحب الحمى فأكله زالت الحمى ومرارتها اذا خلطت بماء الكراث نفعت من

وأنشد لسان حاله
لو ان مشتاقا تكلف فوق ما
فى وسعه لسعى اليك المنبر
وودت العروس أن تكون مجاورة لخاتم القبل ريقها برحيق الأمن اذا نظرت الى عاصى المحمدية وقد دخل جناتها ونظرت الى فوار أبى نواس وقد انقطع قلبه بعدما كان يثب ويتجرأ وكاد أن ينشد من شعره لعدم الماء ألا فاسقنى خمرا ودخلت الى الكماسة وقد علاها غبار الحزن فتنهدت من الأسف على كل ناهد ورثيت للنساء وقد فقدن بعد تلك الأنعام المائده واستطردت الى باب البريد فوجدت خيول الماء الجارية قد انقطعت عن تلك المراكز ونظرت الى السراج الأكبر وقد انعقد لسانه لما شعر من عدوح الماء بعدم تلك الجوائز ونظرت الى أهل الصلاة وعليهم فى هذه الواقعة من الصبر دروع وقد استعدوا بسهام من الادعية أطلقوها عن قسى الركوع مريشة بالهدب من جفن ساهر متصلة أطرافها بدموع ونظرت الى الريان من العلم وقد اشتد لفقد الماء ظمأه وتبلد ذهنه حتى صار ما يعرف من أين الطريق الى باب المياه ومشيت بحكم القضاء الى الشهود فوجدت كلا منهم قد راجع سهاده وطلق وسنه وتأملت أهل الساعات وقد صار عليهم كل يوم بسنه ونزلت فى ذلك الوقت من الساعات الى الدرج فى دقيقه فانتهيت الى مجاز طريق الفوار فوجدته كأن لم يكن له حقيقه كم وردته وهو كأنه سنان يطعن فى صدر الظما أو شجرة كسد تاء تقول انها طوبى لما ظهرت وأصلها ثابت وفرعها فى السماء أو مغترفا بيده الماء وقد أفاض عليه عطاياه فيضا فرفع له لاجل ذلك فوق قناته راية بيضاء أو عمود وفاء أشارت

البواسير طلاء واذا طلى به على الاثر الاسود فى البدن أزاله وخصية الفحل اذا جففت وسحقت وجعلت فى عسل وأكلت فانها تزيد فى الباه وشعرها اذا أحرق واستيك به نفع من وجع الاسنان واذا خلط مع السكنجبين وشرب نفع من الطحال على ماذكر (بومة) وكنيتها أم الخراب وأم الصبيان ومن طبعها أن تدخل على كل طير فى وكره وتأكل افراخه ولمعاداة الطيور لها يجعلها الصيادون فى اشراكهم حتى يقع عليها الطير ونقل المسعودى عن الجاحظ أن البومة لاتخرج بالنهار خوفا من العين لانها تظن انها حسناء وهى أصناف وكلها تحب الخلو بنفسها (الخواص) من خواصها انها تنام باحدى عينيها والاخرى مفتوحة واذا أخذت المفتوحة وجعلت تحت فص خاتم فمن لبسه لم ينم مادام فى يده وعكسها المغموضة واذا أردت معرفة ذلك فالقهما فى الماء فالراسبة للنوم والطافية لليقظة واذا أخذ قلب البومة وجعل على اليد اليسرى من المرأة وهى نائمة تحدثت بجميع مافعلته فى نومها ﴿بوقير﴾ طير أبيض يأتى منه فى كل سنة طائفة الى جبل بالصعيد يقال له جبل الطير فيه كوة فتدخل من تلك الكوة فيمسك منها شئ فان أمسكت واحدة كان ذلك العام متوسط الخصب وان أمسكت ثنتين كان كثير الخصب وان لم تمسك شيأ كانت السنة مجدبة وأهل تلك الناحية تعرف ذلك وهذا الجبل بالقرب من بلدة مارية أم ابراهيم ولد النبى صلى الله عليه وسلم

﴿حرف التاء﴾

(تمساح) حيوان عجيب على صورة الضب له فم واسع وفيه ستون نابا وقيل ثمانون وبين كل نابين سن صغيرة وهى أنثى فى ذكر اذا أطبق فمه على شئ لايفلته حتى يخلعه من موضعه وله لسان طويل وظهر كالسلحفاة ولا يعمل الحديد فيه وله أربعة أرجل وذنب طويل وهو لايوجد الا بنيل مصر وقال المسافرون انه يوجد ببحر الهند وطوله فى الغالب ستة أذرع الى عشرة فى عرض ذراعين أو ذراع ويقيم فى البحر تحت الماء أربعة أشهر لايظهر وذلك فى زمن الشتاء ويتغوط من فيه فى الغالب ويحصل فى فيه الدود فيؤذيه فيلهمه الله تعالى فيخرج الى بعض الجزائر ويفتح فاه فيرسل الله تعالى له طيرا يقال له القطقاط فيدخل فى فيه فيأكل مافيه من الدود فيحصل له راحة فعند ذلك يطبق فمه على الطير ليأكله فيضربه بريشتين خلقهما الله تعالى فى جناحيه كريشة الفصاد فيؤلمه فيفتح فاه فيخرج ولذلك يضرب به المثل فيقال جازاه مجازاة التمساح وزعم بعض الباحثين عن أحوال التمساح ان له ستين نابا وستين عرقا ويسفد ستين مرة ويبيض ستين بيضة ويحضن ذلك ستين يوما ويعيش ستين سنة فاذا أفرخ فما صعد الجبل صار ورلا وما نزل البحر صار تمساحا وفكه الاسفل لايستطيع تحريكه لان فيه عظما متصلا بصدره واذا أراد السفاد أخذ انثاه وطلع بها الى البر وقلبها وجامعها فاذا اقضى حاجته قلبها ثانيا لانه لو تركها على تلك الحالة بقيت حتى تموت وما ذلك الا انها لاتستطيع الانقلاب ليبوسة ظهرها وصلابته وقد سلط الله تعالى عليه أضعف الحيوان وهو كلب الماء يقال انه يتلطط بالطين ويغافل التمساح ويقذف بنفسه فى فيه فيبتلعه لنعومته فاذا حصل فى جوفه ذاب ماعليه من مخونة بطنه فيعمد الى امعائه فيقطعها او يقطع مراق بطنه فيقتله ﴿الخواص﴾ عينه تشد على من به رمد اليمنى لليمنى واليسرى لليسرى وشحمه اذا قطر فى أذن من به صمم نفعه (تنين) ضرب من الحيات وهو طويل كالنخلة السحوق وجسده كالليل أحمر العينين لهما بريق واسع الفم والجوف يبتلع الحيوان وأول أمره يكون حية متمردة ثم تطغى وتتسلط على حيوان البر فيستغيث منها فيأمر الله تعالى ملكا فيحملها ويلقيها فى البحر فتقيم فيه مدة ثم تتسلط على حيوان أيضا فيستغيث منها الى ربه فيأمر الله تعالى بالقائها فى النار فيعذب بها الكافرين وقيل يأمر الله تعالى بالقائها على يأجوج ومأجوج وروى ابن أبى شيبة عن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يسلط الله على الكافر فى قبره تسعة وتسعين تنينا تنهشه وتلدغه حتى تقوم الساعة ولو أن تنينا منها نفخ على الارض ما نبتت فيها خضراء

﴿حرف الثاء﴾

(ثعلب) وهو معروف ذو مكر وخديعة وله حيل فى طلب الرزق * فمن ذلك انه يتماوت وينفخ بطنه ويرفع قوائمه حتى يظن انه مات فاذا قرب منه حيوان وثب عليه وصاده وحيلته هذه لاتتم على كلب الصيد * ومن حيلته انه اذا تعرض للقنفذ نفش القنفذ شوكه فيسلح هو عليه فيلم شوكه فيقبض على مراق بطنه ويأكله وسلحه أنتن

الناس اليه بالاصابع أو ملك طالب السماء بودائع حتى كان اكليل الجوزاء له من جملة الودائع أو أبيض طائر علا حتى قلنا انه يلتقط حبات النجوم الثواقب أو شجاع ذو همة عالية يحاول ثارا عند بعض الكواكب فخفض لفقد الماء مناره وخفى بعد ما كان به أشهر من علم وجدع أنفه وطالما ظهر وفى عرنينه شمم فقلت

لست أنسى الفوار وهو ينادى
غيض مائى وعطل الدهر حالى
فتمنيت من لهيبى بانى
أشترى غيضه بروحى ومالى

فلا والله ما كانت الا يسير مدة حتى رجع الماء الى مجاريه وابتسم ثغر دمشق عن شنب الرى بعد ما نشف ريقه فى فيه هذا وقد خمدت نار الحرب وقعدت بعد ما قامت على ساق وقدم وبطلت آلتها التى كانت لها على تحريك الاوتار وجس العيدان نغم واعتقل الرمح بسجن السلم وعلى رأسه لواء الحرب معقود وهجعت مقل السيوف فى أجفانها لما علمت أن الزيادة فى الحد نقص فى المحدود وفاضت غدران الرحمة على رياض الأمن فظهر لها من المسرة نبات حسن فالحمد لله الذى أذهب عنا الحزن * وبعد فالمعذرة من فهاهة هذه الرسالة التى هى فى رياض الأدب باقليه والصفح عن طولها وقصر بلاغتها بين يدى تلك المواقف السحبانية ولكون مح ولا على متن الحلم كلامها الموضوع فقد علم الله انها صدرت من قلب مكسور وفؤاد مصدوع وذهن ضعيف وليس لكسر ضعفه عاصم ولا نافع وراحلة فكر أمست وهى عند سيرها الى غايات المعانى ضالع

فسيروا على سيرى فانى ضعيفكم
وراحلتى بين الرواحل ضالع

(هذا) وكم تولد الملوك فى طريق

من سلح الحبارى (ومن) لطيف أمره انه اذا تسلطت عليه البراغيث حملها وجاء الى الماء وقطع قطعة من صوفه وجعلها فى فيه ونزل فى الماء والبراغيث تطير قليلا حتى تجتمع فى تلك الصوفة فيلقيها فى الماء ويخرج وفروه أدفأ الفراء وفيه الأبيض والرمادى وغير ذلك * وذكر فى عجائب المخلوقات انه أهدى الى أبى منصور السمانى ثعلب له جناحان من ريش اذا قرب الانسان منه نشرهما واذا بعد ألصقهما ﴿لطيفة﴾ ذكر ابن الجوزى فى آخر كتاب الأذكياء والحافظ أبو نعيم فى حلية الأولياء عن الشعبى انه قال مرض الأسد فعادته السباع والوحوش ماخلا الثعلب فنم عليه الذئب فقال الأسد اذا احضر فاعلمنى فلما حضر الثعلب أعلمه الذئب بذلك وكان قد أخبر بما قاله الذئب فقال الأسد أين كنت يا أبا الفوارس قال كنت أطلب لك الدواء قال وأى شئ أصبته قال قيل لى خرزة فى عرقوب أبى جعد قال فضرب الأسد بيده فى ساق الذئب فأدماه ولم يجد شيأ فخرج ودمه يسيل على رجله وانسل الثعلب فمر به الذئب فناداه ياصاحب الخف الأحمر اذا قعدت عند الملوك فانظر ما يخرج منك فان المجالس بالأمانات * وقيل خرج الأسد والثعلب والذئب يتصيدون فاصطادوا حمار وحش وضبا وغزالا ثم جلسوا يقتسمون فقال الأسد للذئب اقسم علينا فقال حمار الوحش لى والغزال لابى الحرث والضب للثعلب فضربه الأسد فى رأسه فرضخها فقال الثعلب أنا أقسم حمار الوحش لابى الحرث يتغدى به والغزال لابى الحرث يتعشى به والضب لأبى الحرث يتنفل به فيما بين ذلك فقال له الأسد لله درك من فرضى ما أعلمك بالفرائض من علمك هذا قال علمنى التاج الأحمر الذى ألبسته هذا وأشار الى الذئب ﴿وحكى﴾ أن الثعلب مر فى السحر بشجرة فرأى فوقها ديكا فقال له أما تنزل نصلى جماعة فقال ان الامام نائم خلف الشجرة فايقظه فنظر الثعلب فرأى الكلب فضرط وولى هاربا فناداه أما تأتى لنصلى فقال قد انتقض وضوئى فاصبر حتى أجدد لى وضوأ وأرجع * ومن العجيب فى قسمة الأرزاق ان الذئب يصيد الثعلب فيأكله والثعلب يصيد القنفذ فيأكله والقنفذ يصيد الافعى فيأكلها والأفعى تصيد العصفور والعصفور يصيد الجراد والجراد يصيد الزنابير والزنابير تصيد النحل والنحل تصيد الذباب والذباب يصيد البعوض والبعوض يصيد النمل والنمل يأكل كل ماتيسر من صغير وكبير فتبارك الله الذى أتقن ماصنع (الخواص) رأسه اذا ترك فى برج حمام هرب الحمام منه وانيابه يشد على الصبى يحسن خلقه ومرارته يجعل منها فى أنف المصروع يبرأ ولحمه ينفع من اللقوة والجذام وخصيته تشد على الصبى تنبت أسنانه وفروه أنفع شئ للمربوط ودمه اذا جعل على رأس أقرع نبت شعره اذا كان دون بلوغ وطحاله يشد على من به وجع الطحال يبرأ ﴿ثعبان﴾ هو الكبير من الحيات ذكرا كان أو أنثى وهو عجيب الشان فى هلاك بنى آدم يلتوى على ساق الانسان فيكسرها وليس له عدو الا النمس ولولا النموس لاكلت الثعابين أهل مصر ﴿لطيفة﴾ قيل ان عبد الله بن جدعان كان فى ابتداء أمره صعلوكا وكان شريرا يفتك ويقتل وكان أبوه يعقل عنه فضجر من ذلك وأراد قتله فخرج هاربا على وجهه فتوصل لجبل فوجد فيه شقا فدخل فيه فوجد فى صدره شيأ كهيئة الثعبان فدنا منه وقال لعله يثب على فيقتلنى وأستريح قال فدنا منه فوجده مصنوعا من ذهب وعيناه ياقوتتان ثم وجد من داخله بيتا فيه جثث طوال بالية على أسرة الذهب والفضة وعند رؤسهم لوح مكتوب فيه تاريخهم واذا بهم رجال من جرهم وفى وسط البيت كوم من الياقوت الاحمر والزمرذ والذهب والفضة واللؤلؤ فاخذ منه قدر مايحمل وعلم الشق وذهب الى قومه فاغناهم ورجع فلم يدر مكان الشق قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد كنت أستظل بجفنة عبد الله بن جدعان من الهجير قالت عائشة يارسول الله هل ينفعه ذلك شيأ قال لا انه لم يقل رب اغفر لى خطيئتى يوم الدين

﴿حرف الجيم﴾

﴿جراد﴾ حيوان معروف وليس له جهة مخصوصة وانما يكون هائما طائرا واذا أراد أن يبيض ذهب الى بعض الصخور فضربها بذنبه فتفرج له فيلقى بيضه فيها وله ستة أرجل وأطراف أرجله كالمنشار وهو ألوان عديدة وفيه خلقة عشرة من الجبابرة وجه فرس وعينا فيل وعنق ثور وقرنا أيل وصدر أسد وبطن عقرب وجناحا نسر وفخذا جمل ورجلا نعامة وذنب حية وهو من الحيوان الذى ينقاد الى رئيسه كالعسكر اذا ظعن أميره تتابع خلفه وفى الحديث ان جرادة وقعت بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا مكتوب على جناحها بالعبرانية نحن جند الله الأكبر ولنا تسعة وتسعون بيضة ولو تمت لنا المائة لاكلنا الدنيا بما فيها فقال عليه الصلاة

الرمل من عقله وكم ذاق من قطاع الطريق انكادا حتى ظن انه لعدم النصرة ليس له الى الاجتماع وسيله وكلما زعق عليه غراب تألم لسهام البين وفقد مصر التى هى نعم الكنانه وأنشد وقد تحير فى الرمل لفراق ذلك التخت الذى أعز الله سلطانه

من زعقة الغراب بعد المتقى
فارقت مصر وبها أحبابى
وفى طريق الرمل صرت حائرا
مروعا من زعقة الغراب

واستقبل المملوك بعد ذلك بلاد الشام فبئس الحال وبئس الاستقبال فوالرحمن ما وصل بها الى مكان الا وجده قد وقعت فيه الواقعة واشتد القتال وحصدوا سنبل الرشاد فدرست فلا أعيد لعيد حربهم دروس وأداروا رحى الحرب بقلوب كالاحجار فطحنت عند ذلك الرؤس وأنشد لسان الحال

من كل عاد كعاد فى تجبره
من فوق ذات عماد شادها ارم
لا يجمعون على غير الحرام اذا
تجمعوا كحباب الراح وانتظموا

وانتهت الغاية بالمملوك الى أنه شلح بقرب الكسوة فى الشتا وانتظرت ملك الموت وقد أمسيت لى مهجة فى النازعات وعبرة فى المرسلات وفكرة فى هل أتى (هذا) والليل قد انطفأت مصابيح أنواره وعسعس حتى أيقظت بعوث الصبح وقلت لو كان فى قيد الحياة تنفس فذهب المملوك وقد تزود عند قسم الغنيمة بسهم فخرج ولم يجد له تعديلا ولكنه صبر على الالم بعدما كاد يدمى من الوهم ولم يلق له مجيرا لما قوى ألمه وضعف منه الحيل الا أنه دخل تحت ذيل الليل فوصل الى البلد وقد ود يومه لو تبدل بالامس ولم يسلم له فى وقعة الحرب غير الفرس والنفس ولكنه أنشد

والسلام اللهم أهلك الجراد اللهم اقتل كبارها وأمت صغارها وأفسد بيضها وسد أفواهها عن مزارع المسلمين وعن معايشهم انك سميع الدعاء قال فجاءه جبريل فقال انه قد استجيب لك فى بعضها وفى الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى خلق ألف أمة ستمائة منها فى البحر وأربعمائة فى البر وان أول هلاك هذه الأمة الجراد فاذا هلك الجراد تتابعت الأمم مثل الدر اذا قطع سلكه قيل كان طعام يحيى بن زكريا عليهما الصلاة والسلام الجراد وقلوب الشجر وكان يقول من أنعم منك يا يحيى وقد أجمع المسلمون على أكل لحمه ومن خواصه ان الانسان اذا تبخر به نفعه من عسر البول (جرو) بكسر الجيم وفتحها وضمها وهو الصغير من أولاد الكلاب والسباع وقد كان صلى الله عليه وسلم أمر بقتل الكلاب وسببه أن جبريل عليه السلام وعده ليأتيه فتأخر قال فلقيه النبى صلى الله عليه وسلم بعد ذلك فقال ما أخرك عن وعدك فقال ما تأخرت ولكن لا ندخل بيتا فيه صورة ولا كلب فأمر بقتلها وروى مسلم والطبرانى عن خولة بزيادة ولفظها أن جروا دخل تحت سرير فى بيته صلى الله عليه وسلم فمات فمكث النبى صلى الله عليه وسلم أياما لا يأتيه الوحى قال لعله حدث فى البيت شئ فخرج للمسجد فنزل عليه الوحى قالت خولة فقممت البيت فوجدت الكلب تحت السرير (عجيبة) حكى أن رجلا لم يولد له ولد فكان يأخذ أولاد الناس فيقتلهم فنهته زوجته عن ذلك وقالت يؤاخذك الله بذلك فقال لو آخذ لفعل فى يوم كذا وصار يعدد أفعاله فقالت له ان صاعك لم يمتلئ ولو امتلأ آخذك قال فخرج ذات يوم واذا بغلامين يلعبان ومعهما جرو فأخذهما الرجل ودخل البيت فقتلهما وأراد الجرو قال فطلبهما أبوهما فلم يجدهما فانطلق الى نبى لهم فأخبره بذلك فقال ألهما لعبة كانا يلعبان بها قال جرو كلب قال ائتنى به فأتاه به فجعل خاتمه بين عينيه ثم قال له اذهب خلفه فأى بيت دخله ادخل معه فان أولادك فيه قال فجعل الجرو يجوز الدروب والحارات حتى دخل بيت القاتل فدخل الناس خلفه واذا بالغلامين متعفران بدمهما وهو قائم يحفر لهما مكانا يدفنهما فيه فأمسكوه وأتوا به لنبيهم فأمر بصلبه فلما رأته زوجته على الخشبة قالت ألم أحذرك هذا اليوم وتقول ما تقول الآن امتلأ صاعك وسيأتى الكلام على الكلب فى حرف الكاف ان شاء الله تعالى ﴿جعل﴾ دويبة معروفة تسمى أبا جعران والزعقوق يعض البهائم فى وجهها فتهرب منه وهو أكبر من الخنفساء شديد السواد فى بطنه لون حمرة للذكر قرنان يوجد كثيرا فى مراح البقر والجاموس قيل انه يتولد من أخثائهما ومن شأنه جمع الروث وادخاره ومن عجيب أمره انه اذا شم الورد مات ويعيش بعوده للروث وله جناحان لا يكادان يريان الا اذا طار وله ستة أرجل وسنام مرتفع جدا وهو يمشى القهقرى ومن طبعه أنه يحرس النيام فاذا قام أحدهم يتغوط تبعه ليأكل من رجيعه وذلك من شدة شهوته للغائط

﴿حرف الحاء﴾

(حجل) طير فوق الحمامة أغبر اللون أحمر المنقار والرجلين يسمى دجاج البر وهو صنفان نجدى وتهامى النجدى أغبر والتهامى أبيض وله شدة الطيران واذا تقاتل ذكران تبعت الانثى الغالب وله شدة شبق وأفراخه تخرج من البيض كاسية ويعمر فى الغالب عشرين سنة واذا قوى على غيره أخذ بيضه فحضنه ومن سر الله تعالى انه اذا أفرخ ذلك البيض تبع الفرخ أمه التى باضته ومن طبعه أنه يخدع غيره فى قرقرته ولذلك يتخذه الصيادون فى أشراكهم ﴿غريبة﴾ قيل ان أبا نصر بن مروان أكل مع بعض مقدمى الاكراد فأتى على سماطه بحجلتين مشويتين فلما رآهما ضحك فقال مم تضحك قال كنت أقطع الطريق فى عنفوان شبابى فرّبى تاجر فأخذته فلما أردت قتله تضرع الى فلم أقله فلما علم أنه لا بد لى من قتله التفت يمينا وشمالا فرأى حجلتين كانتا بقربنا فقال اشهدا الى انه قاتلى ظلما فقتلته فلما رأيت هاتين الحجلتين تذكرت حمقه فى استشهاده بهما فقال أبو نصر والله لقد شهدا عليك عند من أقادك بالرجل ثم أمر به فضربت عنقه (الخواص) لحمها جيد معتدل الهضم ومرارتها تنفع الغشاوة فى العين واذا استعط بها الانسان فى كل شهر مرة جاد ذهنه وقل نسيانه وقوى بصره (حدأة) بكسر الحاء وفتح الدال مع همزة أخس الطير وتبيض بيضتين وربما باضت ثلاثا وتحضن عشرين يوما ومن ألوانها الاسود والرمادى وهى لا تصيد الا خطفا وفى طبعها أنها تقف فى الطيران وهى أحسن الطير مجاورة لانها اذا جاعت لا تأكل أفراخ جارها ويقال انها طرشاء وفى طبعها أنها لا تخطف من الجهة اليمنى لانها عسراء وهى سنة ذكر وسنة أنثى كالارنب (عجيبة) روى

ما يفعل الجاهل فى نفسه فأعاذ الله مولانا وبلاده من هذه القيامة القائمة وبدأبه فى الدنيا ببراعة الامن وفى الآخرة بحسن الخاتمة ﴿قلت﴾ قد استوعبت هنا تراجم كتاب الانشاء ونبذة من فوائدهم ونبذة مما تخيرته من انشائهم وقد تعين ان أذكر بعد ذلك ما يحتاج اليه المنشئ الكامل الادوات من المحاسن اللائقة به وبالله المستعان ﴿قال أبو حيان التوحيدى﴾ يجب على المنشئ أن يكون حافظا لكتاب الله لينتزع من آياته الشريفة وان يعرف كثيرا من السنة والاخبار والتواريخ والسير ويحفظ كثيرا من الرسائل والكتب ويكون متناسب الالفاظ متشاكل المعانى عارفا بما يحتاج اليه ماهرا فى نظم بديع الشعر نظيف الثوب لطيف المركب ظريف الغلام ليق الدواة حاد السكين متوددا الى الناس مخالطهم غير متكبر عليهم دمث الأخلاق رقيق الحواشى ترف الأطراف عذب السجايا حسن المحاضرة مليح النادرة غير قنف ولا متجرف ولا متكلف الألفاظ الغريبة ولا متعسف اللغة العويصة ﴿آداب الكتابة﴾ روى الشعبى أنه قال كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة كتب أولها باسمك اللهم فنزلت سورة هود وفيها بسم الله مجراها ومرساها فكتب بسم الله ثم نزلت سورة بنى اسرائيل وفيها قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن فكتب بسم الله الرحمن ثم نزلت سورة النمل وفيها انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم فكتبها (وروى) ان فصل الخطاب الذى أعطيه داود عليه السلام أما بعد (وروى) أن أول من قالها كعب بن لؤى وهو أول من سمى يوم الجمعة (وعن) جابر بن

الحافظ النسفي في فضائل الاعمال أن عاصم بن أبي النجود شيخ القراء في زمانه قال أصابتني خصاصة فجئت الى بعض اخواني فاخبرته بأمري فرأيت في وجهه الكراهة فخرجت من منزله الى الجبانة فصليت ما شاء الله ثم وضعت رأسي على الأرض وقلت يا مسبب الاسباب يا فاتح الأبواب يا سامع الاصوات يا مجيب الدعوات يا قاضي الحاجات اكفني بحلالك عن حرامك واغنني بفضلك عمن سواك قال فوالله مارفعت رأسي حتى سمعت وقعة بقربي فاذا بحدأة قد طرحت كيسا أحمر فقمت فأخذته فاذا فيه ثمانون دينارا وجوهرة ملفوفة في قطن قال فاتجرت بذلك واشتريت لي عقارا وتزوجت (الخواص) مرارتها تجفف في الظل وتنقع في اناء زجاج فمن لسع قطر منها في ذلك الموضع واكتحل بخالفا لجهة اللسع ثلاثة أميال أبرأته ودمها اذا خلط بقليل من المسك وماء الورد وشرب على الريق نفع من ضيق النفس واذا وضع في بيت لم تدخله حية ولا عقرب (حرباء) دويبة صغيرة على هيئة السمك ورأسها تشبه رأس العجل اذا رأت الانسان انتفشت وكبرت ولها أربعة أرجل وسنام كهيئة الجمل ولها كنى كثيرة منها أم قرة ويقال لها جمل اليهود وهي أبدا تطلب الشمس فمن أجل ذلك يقال انها مجوسية وتستقبلها بوجهها وتدور معها كيفما دارت فاذا غابت الشمس أخذت في كسبها ومعاشها ويقال ان لسانها طويل نحو ذراع وهو مطوي في حلقها فلذلك تختطف به ما بعد عنها من الذباب وتبتلعه والانثى من هذا النوع تسمى أم حبين ويقال ان الصبيان ينادونها أم حبين انشري برديك ان الأمير ناظر اليك وضاربك بسوطه جنبيك فاذا ازادوا عليها انشرت جناحيها وانتصبت على رجليها فاذا ازادوا عليها أيضا نشرت أجنحة أحسن من تلك ملونة واذا مشت تطأطئ برأسها وتتلون ألوانا ولذا يقال يتلون كالحرباء

﴿حمار أهلي﴾ معروف ليس في الحيوان من ينزو على غير جنسه الا هو والفرس ونزوه بعد تمام ثلاثين شهرا وكنيته أبو محمود وأبو جحش وغير ذلك وهو أنواع فمنه ما هو لين الاعطاف سريع الحركة ومنه ما هو بضد ذلك ويوصف بالهداية الى سلوك الطريق (لطيفة) في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه لما فتح خيبر أصاب حمارا أسود فكلمه فقال ما اسمك فقال يزيد بن شهاب أخرج الله تعالى من نسل جدي ستين حمارا كلها لا يركبها الا نبي ولم يبق من الانبياء غيرك وكنت أتوقعك لتركبني وأنا عند يهودي يجيع بطني ويضرب ظهري وكنت أعثر به عمدا فسماه النبي صلى الله عليه وسلم يعفورا وقال له أتشتهي الاناث قال لا وكان صلى الله عليه وسلم يركبه في حوائجه واذا أراد حاجة عند انسان أرسله اليه فيدفع الباب برأسه فيخرج صاحب البيت فيعرفه ويقضي حاجته فلما مات النبي صلى الله عليه وسلم ذهب الى بئر كانت لابي الهيثم فتردى فيها جزعا على النبي صلى الله عليه وسلم فكانت قبره وقيل هذا الحديث منكر وقد ذكره السهيلي في التعريف والاعلام وللناس في ذمه ومدحه أقوال متباينة بحسب الاغراض * فمن مدحه أن أبا صفوان وجدرا كبا على حمار فقيل له في ذلك فقال عير من نسل الاكراد يحمل الرحل ويبلغ العقبة ويمنعني أن أكون جبارا في الأرض وقال آخر هو أقل الدواب مؤنة وأكثرها معونة وأخفضها مهوى وأقربها مرتعا وكان حمار أبي يسارة مثلا في الصحة والقوة وهو حمار أسود حمل الناس عليه من منى الى المزدلفة أربعين سنة وكان خالد ابن صفوان والفضل بن عيسى الرقاشي يختاران ركوب الحمار ويجعلان أبا يسارة قدوة لهما وحجة * ومن ذمه ما نقل عن عبد الحميد الكاتب انه قال لا تركب الحمار فان كان فارها أتعب يدك وان كان بليدا أتعب رجلك وقيل ما ينبغي لمركب الدجال أن يكون مركبا للرجال وقال اعرابي الحمار بئس المطية ان أوقفته أدلى وان تركته ولى كثير الروث قليل الغوث سريع الى الفرارة بطيء في الغارة لا توقى به الدماء ولا تمهر به النساء ولا يحلب في الأناء قال الزمخشري

ان الحمار ومن فوقه * حماران شرهما الراكب

ومن العرب من لا يركبه أبدا ولو بلغت به الحاجة والجهد (قيل) كان لرجل بالبادية حمار وكلب وديك فالديك يوقظه للصلاة والكلب يحرسه اذا نام والحمار يحمل أثاثه اذا رحل قال فجاء الثعلب فأكل الديك فقال عسى أن يكون خيرا ثم أصيب الكلب بعد ذلك فقال لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم عسى أن يكون خيرا ثم جاء الذئب فبقر بطن الحمار فقال عسى أن يكون خيرا قال ثم ان جيرانه من الحي أغير عليهم فأخذوا فأصبح ينظر الى منازلهم وقد خلت فقيل له انما أخذوا بأصوات دوابهم فقال انما كانت الخيرة في هلاك ما عندي فمن

عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا كتب أحدكم كتابا فليتربه فان التراب مبارك وهو أنجح (وروى) عنه عليه الصلاة والسلام انه كتب كتابين الى قريتين فاترب أحدهما ولم يترب الآخر فاسلمت القرية التي أترب كتابها (وقال الحسن بن وهب) كاتب رئيسك بما يستحق ومن دونك بما يستوجب وكاتب صديقك بما تكاتب به حبيبك فان غزل المودة أرق من غزل الصبابة (ورأيت) في تذكرة الوداعي ان القاضي تاج الدين ابن بنت الأعز كان اذا كتب كتابا بدأ في ترسله بالبسملة لتعم بركتها سائر الكتاب ورمله ويخزن ذلك الرمل ويحترز عليه (وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما) في قوله تعالى اني ألقي الي كتاب كريم قال مختوم وفض الكتاب اذا كسر ختمه (والعنوان) فيه خمس لغات أفصحها عنوان وجمعه عناوين وعلوان وعلاوين والعنوان الأثر وهو أثر الكتاب ممن والى من هو كما قيل

ضحوا باشمط عنوان السجود به

(والقلم) لا يقال له قلم الا اذا بري والا فهو أنبوبة (ومن بديع ما سمعته في وصف القلم من النظم) قول الفاضل شمس الدين بن الصاحب موفق الدين علي بن الآمدي منقول من خط الوداعي

تمشي البراعة والمداد وراءها
ظل على شمس الطروس ينوع
عوض الغواني لو تلوح لمسلم
هذي المعاني راح وهو صريع
لو لم تكن ألفاظه خطية
ما راح سرب اللفظ وهو منيع
ألفاظه رقت بوجنة طرسه
فكأنهن وقد جرين دموع
قلم مسيحي الخطاب لنطقه
في المهد من غناه وهو رضيع

عرف لطف الله رضي بفعله ﴿حمام﴾ هو أنواع كثيرة والكلام في الذي ألف البيوت وهو قسمان أحدهما بري وهو الذي يوجد في القرى والآخر أهلي وهو أنواع وأشكال فمنه الرواعب والمراعيش والشداد والغلاب والمنسوب ومن طبعه أنه يطلب وكره ولو كان في مسافة بعيدة ولأجل ذلك يحمل الأخبار ومنه من يقطع عشرة فراسخ في يوم واحد وربما صيد وغاب عن وطنه عشر سنين وهو على ثبات عقله وقوة حفظه حتى يجد فرصة فيطير ويعود الى وطنه وسباع الطير تطلبه أشد الطلب وخوفه من الشاهين أشد من غيره وهو أطير منه لكن اذا أبصره يعتريه ما يعتري الحمار اذا رأى الأسد والشاة اذا رأت الذئب والفأر اذا رأى الهر ومن طبعه أنه لا يريد الا ذكره الى أن يهلك أو يفقد أحدهما ويحب الملاعبة والتقبيل ويسفد لتمام أربعة أشهر ويحمل أربعة عشر يوما ويبيض بيضتين ويحضن عشرين يوما ويخرج من احدى البيضتين ذكر والأخرى أنثى واتخاذها في البيوت لا بأس به غير أنه لا يجوز تطييرها والاشتغال بها والارتقاء بها على الأسطحة وعليه حمل أهل العلم قوله عليه الصلاة والسلام شيطان يتبع شيطانة حين رأى شخصا يتبع حمامة فان لم يحصل شيء مما ذكر جاز اتخاذها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتخذوا الحمام في بيوتكم فانها تلهي الجن عن صبيانكم واللعب بها من عمل قوم لوط وقال النخعي من لعب بالحمام لم يمت حتى يذوق ألم الفقر ولم يوجد شيء أبله من الحمام فانه تؤخذ افراخه فتذبح في مكان ثم يعود في ذلك المكان ويبيض فيه ويفرخ وقال الجاحظ وللحمام من الفضيلة والفخر أن الحمامة قد تباع بخمسمائة دينار ولم يبلغ ذلك القدر شيء من الطير غيره وهو الهادر الذي جاوز الغاية قالوا ولو دخلت بغداد والبصرة وجدت ذلك بلا معاناة ولو حدثت أن برذونا أو فرسا بيع بخمسمائة دينار لكان ذلك سمرا وقد تباع البيضة الواحدة من بيض ذلك الحمام بخمسة دنانير والفرخ بعشرين فمن كان له زوج منه قام في الغلة مقام ضيعة وأصحابه يبنون من أثمانه الدور والحوانيت وهو مع ذلك ملهى عجيب ومنظر أنيق ﴿الخواص﴾ دمه ينفع الجراحات العارضة للعين والغشاوة ويقطع الرعاف ويبرئ حرق النار اذا خلط بالزيت منه وزبل الاحمر ينفع للسع العقرب اذا وضع عليه واذا شرب منه مقدار درهمين مع ثلاثة دراهم دارصيني نفع من الحصاة

﴿حرف الخاء﴾

(الخطاف) أنواع كثيرة فمنه نوع دون العصفور رمادي اللون يسكن ساحل البحر ومنه ما لونه أخضر وتسميه أهل مصر الخطار ونوع طويل الاجنحة رقيق يألف الجبال ونوع أصغر منه يألف المساجد يسميه الناس السنونو وزعم بعضهم أنه الطير الأبابيل ويقال ان آدم عليه الصلاة والسلام لما أهبط الى الأرض حصل له وحشة فخلق الله له هذا الطير يؤنسه فلاجل ذلك لا تجدها تفارق البيوت وهي تبني بيتها في أعلى مكان بالبيت وتحكم بنيانه وتطينه فان لم تجد الطين ذهبت الى البحر فتمرغت في التراب والماء وأتت فطينته وهي لا تزبل داخله بل على حافته أو خارجا عنه وعنده ورع كثير لانه وان ألف البيوت لا يشارك أهلها في أقواتهم ولا يلتمس منهم شيأ ولقد أحسن واصفه حيث يقول

كن زاهدا فيما حوته يد الورى * تبقى الى كل الأنام حبيبا
وانظر الى الخطاف حرم زادهم * أضحى مقيما في البيوت ربيبا

ومن شأنه انه لا يفرخ في عش عتيق بل يجدد له عشا وأصحاب اليرقان يلطخون أفراخه بالزعفران فيذهب فيأتي بحجر اليرقان ويلقيه في عشه لتوهمه أن اليرقان حصل لأولاده وهو حجر صغير فيه خطوط يعرفه غالب الناس فعند ذلك يأخذه من به اليرقان ويحكه ويستعمله ومن عجيب أمره انه يكاد يموت من صوت الرعد واذا عمي ذهب الى شجرة يقال لها عين شمس فيتمرغ فيها فيفيق من غشاوته ويفتح عينيه ﴿لطيفة﴾ قيل ان خطافا وقف على قبة سليمان وتكلم مع خطافة وراودها عن نفسها فامتنعت فقال لها تمتنعين مني ولو شئت قلبت هذه القبة قال فسمع سليمان فدعاه وقال ما حملك على ما قلت فقال يا نبي الله ان العشاق لا يؤاخذون بأقوالهم ﴿الخواص﴾ مرارته تسود الشعر وتجيد الشعر وتورث السهر وقلبه يهيج الباه اذا أكل جافا ودمه يسكن الصداع ﴿خفاش﴾ طير يوجد في الأماكن المظلمة وذلك بعد الغروب وقبل العشاء لانه لا يبصر نهارا ولا في ضوء القمر وقوته البعوض وهذا الوقت هو الذي يخرج فيه البعوض أيضا لطلب رزقه

وغدا كليميا وقد ضاهى العصا
فغدا يروق بفعله ويروع
بالنقط حاكته الشموع وبالضيا
حاكته في حلك المداد شموع
قد لازم القرطاس وهو منور
والطل يهوى الروض وهو مريع
نور ونور خطه وكلامه
هذا يضيء به وذاك يضوع
(وقال فيه وأجاد الى الغاية)
أيناه ذو طرف كحيل اذا بكى
تبسم ثغر الخط من دمعه عجبا
وقد راح مشقوق اللسان متى جرى
بثغر الدوى المعسول أبدى اللمى العذبا
(وقلت من قصيدة رائية)
له يراع سعيد في تقلبه
ان خط خطا أطاعته المقادير
محبر وبتحرير العلوم اذا
جرى يرى منه تحرير وتحبير
غصن عليه طيور العلم عاكفة
وجانس النور من أوراقه النور
وأشقر يده البيضاء غرته
له الى الرزق فوق الطرس تيسير
بل أسمر عينه السوداء تلحظنا
وهدب أجفانها تلك التشاعير
أو سهم علم بأطراف السطور غدا
مريشا وله في الضد تأثير
كذا محابر سود العيون فان
دانت أياديه فهي الأعين الحور
(ويعجبني قول الشيخ شمس الدين بن المزني في الدواة)
أنا دواة يضحك الجود من
بكا يراعي جل من قد براه
دلوا على مثلي من شفه
داء من الفقر فاني دواه
(وقلت فيما يكتب على دواة فولاذ)
كنانة الفضل دواتي ولها
سهم يراعي نصله نفاذ
وأسمر الخط لديها قاصر
لانها على العدى فولاذ
﴿قلت﴾ ويتعين بعد وصف أقلام المنشئين والدواة وصف السكين فانهم أنشأوا في وصف السيف

فيأكله الخفاش فيتسلط طالب رزق على طالب رزق وهو من الحيوان الشديد الطيران قيل انه يطير الفرسخين في ساعة وهو يعمر مثل النسر وتعاديه الطيور فتقتله لانه قيل ان عيسى عليه الصلاة والسلام لما سأله النصارى في طير لا عظم فيه صنع لهم ذلك باذن الله تعالى فهي تكرهه لانه مباين لخلقتها ومن طبعه الحنو على ولده حتى قيل انه يرضعه وهو طائر ﴿خنزير﴾ حيوان معروف وله كنى كثيرة منها أبو جهم وأبو زرعة وأبو دلف وهو مشترك بين البهيمة والسبع لانه ذو ناب ويأكل العشب والعلف وهو كثير الشبق حتى قيل انه يجامع الأنثى وهي سائرة فيرى في مشيهما ستة أرجل فيتوهم الرائي انه حيوان بستة أرجل وليس كذلك والذكر منها يطرد الذكر مثله فمن غلب استقل بالنزو على الانثى وتحرك أذنابها في زمن هيجانها وتطأطئ رأسها وتغير أصواتها وتحبل من نزوة واحدة وتحمل ستة أشهر وتضع عشرين ولدا وينزو الذكر اذا بلغ ستة أشهر وقيل أربعة باختلاف البلاد وقيل ثمانية واذا بلغت الأنثى خمس عشرة سنة لا تحمل وهذا الجنس أفسد الحيوان والذكر أقوى الفحول وليس لذوات الاربع ما للخنزير في نابه من القوة حتى قيل انه يضرب به السيف والرمح فينقطع ما لاقاه واذا التقى نابه من الطول مات لانهما حينئذ يمنعانه من الاكل ومن عجيب أمره انه يأكل الحيات ولا يؤثر فيه سمها واذا عض كلبا سقط شعره واذا مرض وأطعم السرطان يفيق ومن عجيب أمره انه اذا ربط على ظهره حمار وبال الحمار وهو على ظهره مات ولا يسلخ جلده الا بالقلع مع شيء من لحمه على ما ذكروا ﴿خنفساء﴾ دويبة تتولد من عفونات الأرض وبينها وبين العقرب مودة وكنيتها أم فسوات كل من وضع يده عليها يشم رائحة كريهة ﴿فائدة﴾ قيل ان رجلا رأى خنفساء فقال ما يصنع الله بهذه فابتلاه الله تعالى بقرحة عجز الاطباء فيها فبينما هو ذات يوم واذا بطرقي يقول من به وجع كذا الى أن قال من به قرحة فخرج اليه ذلك الرجل فلما رأى ما به قال ائتوني بخنفساء فضحك منه الحاضرون فقال ائتوه بالذي يطلب فأتوه بها فأخذها فأحرقها وأخذ رمادها وجعل منه على تلك القرحة فبرئت فعلم ذلك المقروح ان الله تعالى ما خلق شيأ سدى وأن في أخس المخلوقات أهم الأدوية فسبحان القادر على كل شيء ﴿الخواص﴾ اذا قطعت رؤس الخنافس وجعلت في برج الحمام كثر الحمام في ذلك البرج والاكتحال بما في جوفها من الرطوبة يحد البصر ويجلو الغشاوة والبياض واذا بخر المكان بورق الدلب هربت منه الخنافس على ما ذكر ﴿خيل﴾ جماعة الأفراس وسميت بذلك لانها تختال في مشيتها وهي من الحيوان المشرف ولقد مدحها الله تعالى ووصى بها النبي عليه الصلاة والسلام فقال الخير معقود بنواصي الخيل الى يوم القيامة وقال عليكم باناث الخيل فان ظهورها عز وبطونها كنز وروى عن ابن عباس أو علي رضي الله تعالى عنهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما أراد الله تعالى خلق الخيل أوحى الى الريح الجنوب وقال اني خالق منك خلقا فاجتمعي فاجتمعت فاتى جبريل فأخذ منها قبضة فخلق الله منها فرسا كميتا وقال خلقتك عربيا وفضلتك على سائر البهائم فالرزق بناصيتك والغنائم تقاد على ظهرك وبصهيلك أرهب المشركين وأعز المؤمنين ثم وسمه بغرة وتحجيل فلما خلق الله تعالى آدم قال له يا آدم اختر أي الدابتين الفرس أو البراق فقال الفرس يا رب فقال الله تعالى اخترت عزك وعز أولادك وفي الحديث ما من فرس الا ويقول في كل يوم اللهم من جعلتني له فاجعلني أحب أهله اليه وقيل الخيل ثلاثة فرس للرحمن وهي المغزو عليها وفرس لك وهي التي تسابق عليها وفرس للشيطان وهي التي جعلت للخيلاء وفي الحديث ان الملائكة لا تحضر شيأ من اللهو الا في مسابقة الخيل وملاعبة الرجل أهله ولقد سابق النبي صلى الله عليه وسلم على الخيل وقيل ان الذكر من الخيل أقوى من الأنثى ولا يرد علينا ركوب جبريل في قصة موسى وفرعون الأنثى لان ذلك من حكمة الله تعالى حتى تبعتها أحصنتهم فأغرقوا لان الحصان اذا رأى الحجرة تبعها وقيل ان الله تعالى أمر نبيه موسى عليه الصلاة والسلام أن يعبر البحر فعبره وهم خلفه فأعمى أعينهم عن الماء فكانوا يرون بلقعا والخيل تراه ماء فلولا دخول جبريل البحر بفرسه لما دخلت خيلهم وهي أصناف منها الصافنات وهي التي اذا ربطت في مكان وقفت على احدى رجليها وقلبت بعض الأخرى في الوقوف وقيل غير ذلك وكانت الصافنات ألف فرس لسليمان عليه الصلاة والسلام فعرضها يوما ففاتته الصلاة قيل صلاة العصر فأمر بعقرها فعوضه الله عنها الريح فكانت فرسه وقيل انما عقرها على وجه القربى كالهدى وقيل ان الفرس لا يحب الماء الصافي ولا يضرب فيه بيده كما يضرب بها في الماء الكدر فربما به فانه يرى شخصه

والقلم وما أتوا بها وهي أحق بذلك من غيرها لقربها من القلم وقد تقدم ان أبا طاهر كمال الدين اسمعيل بن عبد الرزاق الاصفهاني انفرد برسالة القوس والشيخ جمال الدين بن نباتة انفرد برسالة السيف والقلم وقد انفردت برسالة السكين (وهي) بقصل الارض التي قامت حدود مكارمها وقطعت عنا مكروه الفقر بسنون عزائمها وينهي وصول السكين التي قطع بها أوصال الجفا وأضافها الى الادوية فحصل بها البرء والشفا وتالله ما غابت الا بلغت الأقلام من تعثرها الى الحفا زرقاء وكم شاهدت منها البيض ألوان خرساء ومن العجائب أن لها لسانا لكل عنوان ما شاهدها موسى الا سجد في محراب النصاب وذل بعد ما خضعت له الرؤس والرقاب كم أيقظت طرف القلم بعد ما خط وعلى الحقيقة ما روي مثلها قط وكم وجد بها الصاحب في المضايق نفعا وحكم بصدق محبتها قطعا ماضية العزم قاطعة السن فيها حدة الشباب من وجهين لانها بالناب والنصاب معلمة من الطرفين أنملة صبح تقمصت بسواد الدجى ولسان برق امتد في لهوات الليل فتنكرت أشعة الأنجم حتى ما عرف منها سهيل هذا وتقطيعها موزون اذ لم يتجاوز في عروض ضربها الحد ومعلوم ان السيف والرمح لم يعرفا غير الجزر والمد من أجلنا تدخل في مضايق

ليس لسيف قط فيها مدخل
وكلما تفعله توجزه
والرمح في تعقيده يطول

ان هجمت بجفنها كانت أمضى من الطيف وكم لها من خاصة جازت بها الحد على السيف تنسي حلاوة العسال فلا يظهر لطوله طائل وتغني عن آلة الحرب بايقاع ضربها الداخل ان مرت بشكلها المحلى تركت المعادن عاطلة ولم يسمع للحديد

في الماء الصافي فيفزعه ولا يراه في الماء الكدر وقد قيل في الحث على حب الخيل

أحبوا الخيل واصطبروا عليها * فان العز فيها والجمالا * اذا ما الخيل ضيعها أناس
ربطناها فأشركت العيالا * تقاسمها المعيشة كل يوم * وتكسبنا الأباعر والجمالا

﴿حرف الدال﴾

﴿دابة﴾ اسم لكل ما دب على الأرض وأما التي ذكرها الله تعالى في سورة سبأ فقيل الأرضة وقيل السوسة وسبب ذلك أن سليمان عليه الصلاة والسلام كان قد أمر الجن ببناء صرح فبنوه ودخل فيه وأراد أن يصفو له يوم واحد من دهره فدخل عليه شاب فقال له كيف دخلت من غير استئذان فقال أذن لي رب البيت فعلم سليمان أن رب البيت هو الله تعالى وان الشاب ملك الموت أرسل ليقبض روحه فقال سبحان الله هذا اليوم طلبت فيه الصفاء فقال طلبت ما لم يخلق قال وكان قد بقي من بناء المسجد الأقصى بقية فقال له يا أخي يا عزرائيل امهلني حتى يفرغ قال ليس في أمر ربي مهلة قال فقبض روحه وكان من عادته الانقطاع في التعبد شهرين وثلاثة ثم يأتي فينظر ما صنعت الجن فلما قبض كان متوكئا على عصاه واستمر ذلك مدة والجن تتوهم أنه مشرف عليها فتعمل كل يوم بقدر عشرة أيام حتى أراد الله ما أراد فسلط على العصا الارضة فأكلتها فخر ميتا فتفرقت الجن عنه وقيل ان واحدا منهم مر عليه فسلم فلم يجبه فدنا منه فلم يجد له نفسا فحركه فسقطت العصا فاذا هو ميت قال وكان عمره ثلاثا وخمسين سنة والعصا التي اتكأ عليها من خرنوب قال الله تعالى فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين قال فشكرت الجن الارضة حتى قيل انهم كانوا يأتونها بالماء حيث كانت * وأما الدابة التي من أشراط الساعة فاختلف في أمرها فقيل تخرج من الصفا وهو الصحيح وقيل من الطائف وقيل من الحجر وطولها ستون ذراعا ذات قوائم وهي مختلفة الألوان وذلك في ليلة يكون الناس مجتمعين بمنى أو سائرين الى منى ومعها عصى موسى وخاتم سليمان لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب تلحق المؤمن فتضربه بالعصا فتكتب في وجهه مؤمن وتدرك الكافر فتسمه بالخاتم وتكتب في وجهه كافر وروي أنها تخرج اذا انقطع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقل الخير ﴿داجن﴾ هو ما يربيه الناس في البيوت من صغار الغنم والحمام والدجاج وغير ذلك وفي حديث الافك ما نعلم لها نقيصة غير انها جارية حديثة السن تعجن وتنام فتأتي الداجن فتأكل العجين ﴿دب﴾ من السباع وكنيته أبو جهينة وأبو جهل وغير ذلك ولا يخرج زمن الشتاء حتى يطيب الهواء واذا جاع عص يديه ورجليه فيندفع جوعه وهو كثير الشبق وينعزل بانثاه وتضع جروا واحدا وتصعد به الى أعلى شجرة خوفا عليه من النمل لانها تضعه قطعة لحم ثم لا تزال تلحسه وترفعه في الهواء أياما حتى تنفرج أعضاؤه وتخشن ويصير له جلد وفي ولادتها صعوبة وربما ماتت منها وقد تلده ناقص الخلق شوقا منها للسفاد وهي من الحيوان الذي يدعو الانسان للفعل به وقيل ان الدب يقيم أولاده تحت شجرة الجوز ثم يصعد فيرمي بالجوز اليها الى أن تشبع وربما قطع من الشجرة الغصن العتل الضخم الذي لا يقطع الا بالفاس والجهد ثم يشد به على الفارس فلا يضرب أحدا الا قتله ﴿دجاجة﴾ وكنيتها أم ناصر الدين وأم الوليد وغير ذلك واذا هرمت لم يبق لبيضها مح وتوصف بقلة النوم قيل ان نومها بقدر ما تتنفس وعندها خوف في الليل ولأجل ذلك تطلب وقت الغروب مكانا عاليا وتخشى الثعلب قيل انها اذا رأته ألقت نفسها اليه من شدة الخوف ولا تخشى من بقية السباع وقيل يعرف الذكر من الأنثى بامساك منقاره فان تحرك فذكر والا فانثى ومن الدجاج ما يبيض في اليوم مرتين وهو من أسباب موتها ويستكمل خلق البيضة في بطن الدجاجة في عشرة أيام وفي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر باتخاذ الغنم للاغنياء وباتخاذ الدجاج للفقراء ومن العجيب في صنعة الله تعالى أن خلق الفروج من البياض وجعل الصفار غذاء له كما خلق الطفل من المني وجعل دم الحيض غذاء له فتبارك الله أحسن الخالقين ﴿الخواص﴾ لحم الدجاج الفتي يزيد في العقل ويصفي اللون ويزيد في المني ويقيم الباه والمداومة عليه تورث النقرس والبواسير على ما ذكر ﴿دج﴾ طير كبير أغبر يكون بساحل البحر كثيرا وبالقرب من الاسكندرية والناس يصطادونه ويأكلونه ﴿دود﴾ اسم جنس ومنه دود القز ويقال لها الهندية ومن عجيب أمرها أنها تكون أولا مثل بزر التين ثم تصير دودا وذلك في أوائل فصل الربيع ويكون عند خروجه مثل الذر في قدره ولونه ويخرج في الاماكن الدافئة اذا كان مصرورا

في هذه الواقعة مجادلة شهد الرجح بعد التأمل انها أقرب للصواب وحكم بصحة ذلك قبل أن يتكامل لها النصاب ما طال في رأس القلم شعرة الا شرحتها باحسان ولا طالعت كتابا الا أزالت غلطه بالكشط من رأس اللسان تعقد عليها الخناصر لانها عدة وعده وتالله ما وقعت في قبضة الا أطالت لسانها وكامت بحده ان أدخلت الى القراب كانت قد سبقت على الدخول أو أبرزت من غيمه كان على طلعتها الهلالية قبول تطرف باشعتها الباهرة عين الشمس وباقامتها الحد حافظت الاقلام على مواظبة الخمس وكم لها من عجائب تركت جدول السيف وهو في بحر غمده غريق ولو سمع بها من قبل ضربه ما حصل التطريق فلو عاصرها الكمال لعرك من قوسه الاذنين وقال له بحدت رسالتك يا ذا القرنين فان جذبت الى مقاومتها كانت لك يد تعتد وصلت السكين منك العظم وصار عليك قطع وانتهى أمرك الى ذا الحد وهل تعاند السكين صورة ليس لها من تركيب النظم الا ما جلت ظهورها أو الحوايا أو ما اختلط بعظم ولو لمحها الفاضل تحقق قوله ان خاطر سكينه كل وأدركها ابن نباتة ما أقر رسالة السيف وفل وقال لقلم رسالته أطلق لسانك بشكر مواليك وأخلص الطاعة لباريك ولم يقصد الملوك الايجاز في رسالة السكين ونظمها الا لتكون مختصرة تجمعها الا زالت صدقات تهديها تحف بما يذبح نحرقه ري وتأتي في كل وقت بما يبرئ من داء الاحتياج ويبري (قلت وعلى ما وقع من الغريب في رسالة السكين) يتعين ان نورد ما وقع من غريب النظم في السيف فان الشيخ جمال الدين بن نباتة ذكر من نثره

فى حق ور بما تأخر خروجه فتجعله النساء تحت ثديهن بصرته فيخرج وغذاؤه ورق التوت الأبيض قال ولا يزال يكبر حتى يصير بقدر أصبع و ينتقل من السواد الى البياض وكل ذلك فى مدة ستين يوما قال ثم يأخذ فى النسج بما يخرجه من فيه الى أن ينفد ما فى جوفه ثم يخرج شيأ كهيئة الفراش له جناحان لا يسكنان من الاضطراب وعند خروجه يهيج الى السفاد و يلصق الذكر مؤخره الى مؤخر الأنثى و يلتحمان مدة ثم يفترقان قال و يكون قد فرش لهما خرقة بيضاء فينثران البزر عليها ثم يموتان هذا اذا أريد منهما البزر وان أريد الحرير ترك فى الشمس بعد فراغهما من النسج فيموت وهو سريع العطب حتى انه ليخشى عليه من صوت الرعد والعطاس ومس المرأة الحائض والرجل الجنب ورائحة الدخان والحر الشديد والبرد الشديد ونحو ذلك قال أبو الفتح البستى

ألم تر أن المرء طول حياته * معنى بأمر لا يزال يعالجه
كذلك دود القز ينسج دائما * و يهلك غما وسط ما هو ناسجه

(وقال آخر)

يفنى الحريص بجمع المال مدته * وللحوادث ما يبقى وما يدع
كدودة القز ما تبنيه يهلكها * وغيرها بالذى تبنيه ينتفع

﴿ديك﴾ وكنيته أبو حسان وأبو حماد وغير ذلك و يسمى الأنيس المؤانس من طبعه لا يألف زوجة واحدة وهو أبله الطبيعة لانه اذا سقط من بيت أصحابه لا يهتدى الى الرجوع اليه وفيه من الخصال الحميدة ما لا يحصر منها أنه يساوى بين أزواجه فى الطعمة و يذكر الله تعالى فى الليل حتى قيل انه ليوقته و يقسمه وربما لا يخرم فى توقيته وفى الصحيح اذا سمعتم صياح الديك فاذكروا الله تعالى فانه يصيح بصياح ديك العرش وروى الغزالى عن ميمون بن مهران أن لله ملكا تحت العرش على صورة الديك فاذا مضى ثلث الليل الأول ضرب بجناحيه وقال ليقم المسلمون فاذا مضى الثلث الثانى ضرب بجناحيه وقال ليقم الذاكرون فاذا كان السحر وطلع الفجر ضرب بجناحيه وقال ليقم الغافلون وعليهم أوزارهم وفى الحديث ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان لله ديكا أبيض له جناحان موشحان بالزبرجد والياقوت واللؤلؤ جناح بالمشرق وجناح بالمغرب ورأسه تحت العرش وقوائمه فى الهواء فاذا كان ثلث الليل الأول خفق بجناحيه وقال سبحان الملك القدوس فاذا كان الثلث الثانى خفق بجناحيه وقال قدوس قدوس فاذا كان الثالث خفق بجناحيه وقال ربنا الرحمن الرحيم لا اله الا هو وروى الثعلبى باسناده عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ثلاثة أصوات يحبها الله تعالى صوت الديك وصوت قارئ القرآن وصوت المستغفر بالأسحار وفى الحديث لا تسبوا الديك فانه يوقت للصلاة وزعم أهل التجربة أن الرجل اذا ذبح الديك الأبيض الأفرق لم يزل ينكب فى أهله وماله ﴿نادرة﴾ قيل كان لابراهيم بن مزيد ديك وكان كريما عليه فجاء العيد وليس عنده شئ يضحى عليه فأمر امرأته بذبحه واتخاذ طعام منه وخرج الى المصلى فأرادت المرأة تمسكه ففر فتبعته فصار يخترق من سطح الى سطح وهى تتبعه فسألها جيرانها وهم قوم هاشميون عن موجب ذبحه فذكرت لهم حال زوجها فقالوا ما نرضى أن يبلغ الاضطرار بأبى اسحق الى هذا القدر فأرسل اليه هذا شاة وهذا شاتين وهذا بقرة وهذا كبشا حتى امتلأت الدار فلما جاء ورأى ذلك قال ما هذا فقصت عليه زوجته القصة فقال ان هذا الديك لكريم على الله فان اسمعيل نبى الله فدى بكبش واحد وهذا فدى بما أرى

﴿حرف الذال﴾

﴿ذباب﴾ وكنيته أبو جعفر وهو أصناف كثيرة يتولد من العفونة ومن عجيب أمره أنه يلقى رجيعه على الأبيض يسود وعلى الأسود يبيض ولا يقعد على شجرة الدباء وفى الحديث اذا وقع الذباب فى اناء أحدكم فليغمسه فان فى احدى جناحيه دواء وفى الاخرى داء وان من طبعه أن يلقى نفسه بالجناح الذى فيه الداء ﴿وحكى﴾ أن المنصور كان جالسا فألح عليه الذباب حتى أضجره فقال انظروا من بالباب من العلماء فقالوا مقاتل بن سليمان فدعا به ثم قال له هل تعلم لاى حكمة خلق الله الذباب قال ليذل به الجبابرة قال صدقت ثم أجازه ومن خصائص النبى صلى الله عليه وسلم انه كان لا يقع عليه ذباب قط وقال المأمون قالوا ان الذباب اذا دلك به موضع لسعة الزنبور سكن ألمه فلسعنى زنبور فحككت على موضعه أكثر من عشرين ذبابة فما سكن له ألم فقالوا هذا كان حتفا قاضيا ولولا هذا العلاج لقتلك وقال الجاحظ من منافع الذباب أنها تحرق وتخلط

فى رسالة السيف بدائع ولكنها مشهورة لتنقيب الناس عنها والاقتباس منها ﴿قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه﴾ لعمرو بن معديكرب كيف تقول فى الرمح قال أخوك وربما خانك فانقصف قال فالترس قال هو المجن وعليه تدور الدوائر قال فالنبل قال منه ما يخطئ وما يصيب قال فما تقول فى الدرع قال مثقلة للراجل مشغلة للفارس وانها لحصن حصين قال فما تقول فى السيف قال هناك لا أم لك يا أمير المؤمنين فعلاه عمر بالدرة وقال لم تقول لا أم لك قال الحمى أضرعتنى يا أمير المؤمنين

﴿الشريف البياضى﴾ شعر

وانا اذا الارواح ذابت مخافة
فتحنا بأشطان الرماح ركابها
متى ما أردنا أن يذاق حديثنا
خلقنا بحد المشرفية أفواها

﴿وقال أبو العلاء المعرى﴾

غرار اه لسانا مشرفى
يقول غرائب الموت ارتجالا
ودبت فوقه حمر المنايا
ولكن بعد ما مسخت نمالا
يذيب الرعب منه كل عضب
فلولا الغمد يمسكه لسالا

﴿وقال النامى﴾

ذو مدمع من غير ما مستعبر
وتبسم من ثغره متوالى
يريك من لألائه متوقدا
حنق المنون به على الآجال

﴿وقال الغزوى﴾

كان على افرنده موج لجة
تقاطر فى حافاته وتجول
حسام غداة الروح حتى كأنه
من الله فى قبض النفوس رسول

﴿وقال وحيد الدين بن الذروى﴾

فتقت بأجساد الاسود لواحظا
رنت للمنايا عن عيون الثعالب
وأنطقت أفواها على قمم العدا
بالسنة البيض الرقاق المضارب

بالكحل فاذا اكتحلت به المرأة كانت عينها أحسن ما يكون وقيل ان المواشط تستعمله ويأمرن به العرائس وقيل ان الذباب اذا مات وألقي عليه برادة الحديد عاش واذا بخر البيت بورق القرع هرب منه الذباب (ذئب) حيوان معروف وكنيته أبو جعدة وأبو جاعد وأبو ثمامة لونه رمادي وهو من الحيوان الذي ينام باحدى عينيه ويحرس بالأخرى حتى تمل فيغمضها ويفتح الأخرى كما قال بعض واصفيه

ينام باحدى مقلتيه ويتقي * بأخرى المنايا فهو يقظان هاجع

واذا أراد السفاد اختفى ويطول في سفاده كالكلب واذا جاع عوى فتجتمع الذئاب حوله فمن هرب منها أكلوه واذا خاف منه الانسان طمع فيه وليس في الأرض أسد يعض على عظم الا ويسمع لتكسيره صوت بين لحييه الا الذئب فان لسانه يبري العظم بري السيف ولا يسمع له صوت وقيل اذا أدماه الانسان فشم الذئب رائحة الدم لا يكاد ينجو منه وان كان أشد الناس قلبا وأتمهم سلاحا كما ان الحية اذا خدشت طلبها الذر فلا تكاد تنجو منه وكالكلب اذا عض الانسان يطلبه الفأر فيبول عليه فيكون في ذلك هلاكه فيحتال له بكل حيلة قيل ولا يعرف الالتحام عند السفاد الا في الكلب والذئب واذا هجم الصياد على الذئب والذئبة وهما يتسافدان قتلهما كيف شاء والله أعلم

﴿حرف الراء﴾

﴿رخ﴾ طير عظيم الخلقة يوجد بجزائر الصين قال أبو حامد الاندلسي ذكر لي بعض المسافرين في البحر أنهم أرسوا بجزيرة فلما أصبحوا وجدوا في طرفها المعانا بريقا فتقدموا اليه واذا هم بشئ مثل القبة قال فجعلوا يضربون فيه بالفوس الى أن كسروه فوجدوه كهيئة البيضة وفيه فرخ عظيم قال فتعلقوا بريشه وجروه ونصبوا القدور وخرجوا يحتطبون من تلك الجزيرة حطبا يقال له حطب الشباب فلما أكلوا ذلك الطعام أسودت لحية ولمة كل ذي شيب قال فلما أصبحوا جاءهم الرخ فوجدهم قد صنعوا بفرخه ما صنعوا فذهب وأتى في رجليه بحجر عظيم وتبعهم بعد ما ساروا في البحر وألقاه على سفينتهم فسبقت السفينة وكانت مشرعة بتسع قلوع ووقع الحجر في البحر فنجاهم الله تعالى منه وكان ذلك من لطف الله تعالى بهم قال وقد كان بقي معهم أصل ريشة قيل انهم كانوا يجعلون فيها الماء فتسع مقدار قربة فسبحان الخالق الأكبر ﴿رخم﴾ طير أغبر أصفر المنقار معروف وهو من أشر الطيور ويقال انها صماء وسبب ذلك ما قيل في بعض الحكايات أن موسى عليه الصلاة والسلام لما مات تكلمت بموته وكانت تعرف مكانه فأصمها الله تعالى حتى لا ترشد أحدا الى موضعه

﴿حرف الزاي﴾

﴿زرافة﴾ حيوان غريب الخلقة ولما كان مأكولها ورق الشجر خلق الله تعالى يديها أطول من رجليها وهي ألوان عجيبة يقال انها متولدة من ثلاث حيوانات الناقة الوحشية والبقرة الوحشية والضبع فينزو الضبع على الناقة فتأتي بذكر فينزو ذلك الذكر على البقرة فتتولد منه الزرافة والصحيح انها خلقة بذاتها ذكر وأنثى كبقية الحيوانات لأن الله تعالى لم يخلق شيأ الا بحكمة ﴿زنبور﴾ حيوان فوق النحل له ألوان وقد أودعه الله حكمة في بنيانه بيته وذلك أنه يبنيه مربعا له أربعة أبواب كل باب مستقبل جهة من الرياح الاربع فاذا جاء الشتاء دخل تحت الارض ويبقى الى أيام الربيع فينفخ الله تعالى فيه الروح فيخرج ويطير وفي طبعه التهافت على الدم واللحم ومن خاصيته انه اذا وضع في الزيت مات وفي الخل عاش ولسعته تزال بعصارة الملوخية

﴿حرف السين﴾

﴿سعلاة﴾ نوع من المتشيطنة قال السهيلي هو حيوان يتراءى للناس بالنهار ويغول بالليل وأكثر ما يوجد بالغياض واذا انفردت السعلاة بانسان وأمسكته صارت ترقصه وتلعب به كما يلعب القط بالفأر قال وربما صادها الذئب وأكلها وهي حينئذ ترفع صوتها وتقول أدركوني فقد أخذني الذئب وربما قالت من ينقذني منه وله ألف دينار وأهل تلك الناحية يعرفون ذلك فلا يلتفتون الى كلامها ﴿سمندل﴾ حيوان يوجد بارض الصين ومن عجيب أمره انه يبيض في النار ويفرخ فيها ويؤخذ وبره فينسج ويجعل منه المناشف وهذه المناشف اذا اتسخت جعلت في النار فتأكل النار وسخها ولا تحرقها (حكي) أن شخصا بل واحدة من هذه المناشف بالزيت وجعلت في النار وأوقدت ساعة ولم تحترق ﴿سنجاب﴾ حيوان كهيئة الفأر يوجد في بلاد الترك على قدر اليربوع اذا أبصر الانسان هرب منه وشعره كشعر الفأر وهو ناعم فيؤخذ

ويسلخ

بحيث الوغى روض تغني ذبابه
وسال على نور الطلا كالمذانب
وقد رشفت ورد الكلوم صغاره
وما شربت الادماء الترائب

﴿وله﴾

سكران من شربه خمر الدماء فان
حياه نور الطلا غنى لها هزجا

(لسان الدين بن الخطيب)

وخليج هند راق حسن صفائه
حتى يكاد يعوم فيه الصيقل
غرقت بصفحته النمال فأوشكت
تبغي النجاة فأوثقتها الارجل
فالصرح منه ممرد والصفح منه
مورد والشط منه مهدل

﴿القاضي الفاضل﴾

غدا الى الاعداء منها معاصما
فترجع من ماء الكلى بأساور

(وله من أخرى)

ولربها اتفقد عتهم للوغى
جعلوا صليل المرهفات صداها
هي في بحار يديه أمواج ترى
ونفوس من قتلته من غرقاها

(وقال ابن قلاقس وأجاد)

أسهرتهم وشهرتها لجموعهم
مذ أحرمت في راحتيك حرام
وكلاهما جفن منعت قراره
لكن ذا عضب وذاك سنام

(وقال ابن سناء الملك)

له منصل لا ينقضي فرض حجه
فبالضرب لي حين بالنسك أحرما
تنسك بالاسلام لكن رأيته
يحل له في الشرع أن يشرب الدما
فكم سل لما سل من بطن غمده
لسان دم من ضربة خلقت فما

(مجير الدين بن تميم)

لما قنيت من الصوارم أعوجا
يجري القضاء بنهره المتموج
جبت القفار وما حملت أوانيا
للماء من ثقتي بنهر الاعوج

(وقال الغزي)

وقد سلب الطعن الاسنة لونها
فصفر في اللبات ما كان أزرقا

ويسلخ جلده ويجعل فروا يلبس وطبعه موافق لكل طبع وأحسنه الازرق ﴿سنور﴾ حيوان متواضع ألوف خلقه الله تعالى لدفع الفأر والحشرات كناه وأسماؤه كثيرة ﴿حكي﴾ ان اعرابيا صاد سنورا فرآه شخص فقال ماتصنع بهذا القط ولقيه آخر فقال ماتصنع بهذا الخيدع ولقيه آخر فقال ماتصنع بهذا الخيطل ولقيه آخر فقال ماتصنع بهذا الهر قال أبيعه قال له بكم قال بمائة درهم فقال انه يساوي نصف درهم قال فرمى به وقال لعنه الله ماأكثر أسماءه وأقل قيمته وهذا الحيوان يهيج في زمان الشتاء في شهرين منه وتراهن يترددن صارخات في طلب السفاد فكم من حرة بخلت وذي غيرة هاجت حميته وعزبة تحركت شهوته وطيب فم السنور كطيب فم الكلب في النكهة وقيل ان الهرة تحمل خمسين يوما وهو يجمع بين العض بالناب والخمش بالمخلاب وليس كل سبع كذلك وهو يناسب الانسان في بعض الاحوال فيعطس ويتمطى ويغسل وجهه بلعابه ويلطخ برولده بلعابه حتى يصير كان الدهن يسري في جلده وقيل اذا بال الهر شم بوله ودفنه قيل لاجل الفأر فاذا شمه علم أن هنالك هرا فلم يخرج وأما سنور الزباد فهو بارض الهند ويوجد الزباد تحت ابطيه وفخذيه ﴿سوس﴾ هو دود الحبوب والفاكهة * ومن الفوائد التي تكتب في الحبوب فلا تسوس أسماء الفقهاء السبعة الذين كانوا بالمدينة وقد نظمها بعضهم فقال

ألا كل من لا يقتدي بأئمة * فقسمته ضيزى عن الحق خارجه
فخذهم عبيد الله عروة قاسم * سعيد أبو بكر سليمان خارجه

﴿حرف الشين﴾

﴿شادهوار﴾ حيوان يوجد بأرض الترك يقال ان له قرنا عليه اثنتان وسبعون شعبة مجوفة فاذا هبت الريح سمع لها تصويت عجيب يكاد يدهش وربما قيل ان فيه شعبة يورث سماعها البكاء والحزن وأخرى تورث الفرح والضحك وانه أهدى الى بعض الملوك شيء من شعبها فرأى فيه ذلك ويقال ان من الحيوان شيأ يوجد بالغياض في قصبة أنفه اثنا عشر ثقبا اذا تنفس يسمع له صوت كصوت المزمار فتأتيه الحيوانات لتسمعه فتدهش فيغفل بعضها من الطرب فيثب عليه فيأخذه ويأكله وهي تعلم ذلك منه وتحترز فاذا لم يمسك منها شيأ ضاق خلقه وصاح بها صيحة فتهرب وتتركه ﴿شاهين﴾ طير يكون كهيئة الصقر الا أنه عظيم الهامة واسع العينين ومزاجه أيبس من مزاج الصقر وحركته من العلو الى أسفل أقوى ولذلك ينقض على الطير بشدة فربما يخطئه فيضرب نفسه بالأرض بشدة فيموت وقيل أول من صاد به قسطنطين وذلك انه قد جعل له الحكماء الشواهين تظله من الشمس اذا سار فاتفق في بعض الأيام أنه ركب فدارت الشواهين عليه وسار قال فطار واحد منها وانقض على صيد فأخذه فأعجب الملك ذلك وصار يتصيد به ﴿شحرور﴾ طير أسود فوق العصفور يصوت باصوات عجيبة مطربة

﴿حرف الصاد﴾

﴿صرد﴾ حيوان يسمى الصرصار على قدر الخنفساء له جناحان ويقال له الصوام لأنه أول طير صام يوم عاشوراء ﴿صعو﴾ طير من صغار العصافير أحمر الرأس

﴿حرف الضاد﴾

﴿ضأن﴾ نوع من الحيوانات ذوات الاربع وهو من الحيوانات المباركة تحمل الانثى منه بواحد واثنين وفيها البركة وغيرها تحمل بالسبعة والتسعة وليس فيها بركة واذا رعت زرعا نبت عوضه وذلك لبركتها بخلاف ذوات الشعر ومن عجيب أمرها انها اذا رأت الذئب تخور وتخاف منه ولا تخاف من سائر السباع قال بعض القصاص مما أكرم الله تعالى به الكبش أن خلقه مستور العورة من قبل ومن دبر ومما أهان به التيس أن خلقه مهتوك الستر مكشوف العورة من قبل ودبر ويقال الضأن من دواب الجنة وهي صفوة الله من البهائم ويقال في المدح هو كبش من الكباش وفي الذم هو تيس من التيوس وأهدى بعضهم الى صديقه شاة هزيلة فقال

تقول لي الاخوان حين طبختها * أتطبخ شطرنجا عظاما بلا لحم

ومن العجب انه يأتي غنم من الهند للكبش منها ألية في صدره وأليات في كتفه وألية على ذنبه وربما تكبر ألية الضأن حتى تمنعه من المشي ومن عجيب أمرها انها اذا تسافدت وقت المطر لا تحمل وعند هبوب

وأسيافنا في السابغات كأنها
جداول تجري بين زهر تفتقا
(ابن خفاجة)
موسد تحت ظل السيف تحسبه
مستلقيا فوق شاطي جدول غلا
(جمال الدين بن نباتة)
وصارم كعباب الموج ملتطم
يكاد يغرق رائيه ويحترق
لما غدا جدولا يسقي المنون به
أضحى يشف على حافاته العلق
﴿برهان الدين القيراطي﴾
قوم مناديلهم بيض فكم مسحت
رقاب أعدائهم تلك المناديل
(وقلت)
وسيف له في الحرب حسن تغزل
اذا مارآني قد هاوت على نهد
فكم خد خدا فوق صدر مدرع
فبان احمرار الورد في ذلك الخد
وكم مال قد في الوغى ميل معجب
فقابله ذاك المهند بالقد
وكم أعجموا ألفاظهم ساعة اللقا
فكلمهم ذاك المهند بالهندي
﴿قلت﴾
وقد وجب ان نذكر هنا ما وقع بعد السيف من غريب النظم في الرمح
﴿ذكر القاضي الرشيدي ابن الزبير﴾
في كتابه العجائب والطرف انه كان في خزانة السلاح أيام السفاح خمسون ألف درع وخمسون ألف سيف وثلاثون ألف جوشن ومائتا ألف رمح
﴿وقال الفضل بن الربيع﴾
لما ولي الأمين الخلافة سنة ثلاث وتسعين ومائة أمرني ان أحضر ما في خزانة السلاح فكان فيها من السيوف المحلات بالذهب عشرة آلاف وخمسون ألف سيف للشاكرية والغلمان ومائة وخمسون ألف رمح ومائة ألف قوس وألف درع محلاة وألف درع عامة وعشرون ألف بيضة وعشرون ألف جوشن ومائة ألف وخمسون

الريح ان كانت شمالية حملت ذكرا وجنوبية حملت أنثى والله أعلم ﴿ومن خواصها﴾ أن لحمها ينفع للسوداء ويزيد في المني والباه واذا تحملت المرأة بصوفها قطع حملها واذا غطى اناء العسل بصوف الضأن الابيض منع وصول النمل اليه واذا دفن قرن كبش تحت شجرة كثر حملها على ماذكر والله أعلم

﴿ضب﴾ حيوان يجعل جحره في الارض الصلبة وعنده بلم فربما لا يهتدي لجحره اذا خرج منه فلذلك لا يحفره الا بقرب كدية أو اشارة وهو من الحيوان الذي يعمر قيل انه يعيش سبعمائة سنة ومن طبعه أنه يصبر على الماء يقال انه لا يشرب فانه يبول في كل أربعين يوما قطرة والانثى تبيض سبعين بيضة وأكثر وتجعلها في الارض وتتعاهدها في كل يوم الى أربعين يوما فيخرج و بيضها قدر بيض الحمام وهذا الحيوان شديد الخوف من الآدمي ولذلك يجعل العقارب في جحره حتى يحتمي بها و يخرج من جحره كليل البصر فيستقبل الشمس فيحصل له بذلك حدة في بصره واذا عطش تنشق النسيم فيروى بينه و بين الافاعي مناسبة وذلك أنه لا يخرج زمن الشتاء ﴿فائدة﴾ قيل ان اعرابيا أتى النبي صلى الله عليه وسلم وفي كمه ضب قد صاده وقال لولا أن تسميني العرب عجولا لقتلتك وسررت الناس بقتلك فقال عمر دعني يارسول الله أقتله فقال عليه الصلاة والسلام مهلا يا عمر أما علمت أن الحليم كاد أن يكون نبيا قال ثم أقبل الاعرابي على النبي صلى الله عليه وسلم وقال والله لا آمنت بك الا أن يؤمن بك هذا الضب وأخرجه من كمه قال فعند ذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم يا ضب فأجابه بلسان فصيح لبيك وسعديك يارسول رب العالمين فقال من تعبد قال الذي في السماء عرشه وفي الارض سلطانه وفي البحر سبيله وفي الجنة رحمته وفي النار عذابه فقال من أنا يا ضب قال رسول رب العالمين قد أفلح من صدقك وقد خاب من كذبك قال فقال الاعرابي عند ذلك يا ويلاه ضب اصطدته بيدي من البرية يشهد لك بالرسالة أنا أولى منه بذلك هات يدك أشهد أن لا اله الا الله وانك رسول الله حقا ولقد أتيتك وما على وجه الارض أحد أكثر بغضا مني اليك ولقد صرت الآن أذهب من عندك وما على وجه الارض أحد أكثر محبة مني اليك ولانت الساعة أحب الي من أهلي وولدي وما تملك يدي فقد آمن بك شعري و بشري وداخلي وخارجي وسري وعلانيتي فقال النبي صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذي هداك لهذا الدين الذي يعلو ولا يعلى عليه ولكن لا يقبله الله الا بصلاة ولا يقبل الصلاة الا بقراءة قال فعلمني يا حبيبي قال فعلمه سورة الفاتحة وسورة الاخلاص وقال من قرأها ثلاث مرات فكأنما قرأ القرآن قال الهنا يقبل اليسير و يعفو عن الكثير ثم سأله ألك مال فقال يا حبيبي ليس في بني سليم أفقر مني فقال لاصحابه اعطوه فاعطوه حتى أثقلوه فقال عبد الرحمن بن عوف يارسول الله عندي ناقة عشارية أعطيها له فقال ان الله يعطيك ناقة في الجنة من درة قوائمها من الزبرجد الاخضر وعيناها من الياقوت الأحمر وعليها هودج من السندس تخطف بك من الصراط كالبرق قال فخرج الاعرابي من عنده فتلقاه ألف فارس من المشركين كلهم يريدون قتل النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرهم بقصته فأسلموا عن آخرهم وأمر النبي صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد عليهم وهذه القصة ذكرها الدارقطني بتمامها والبيهقي والحاكم وابن عدي ﴿الخواص﴾ قلبه يذهب الحزن والخفقان وشحمه يطلى به الذكر يزيد في الباه وكعبه يشد على وجع الضرس يبرأ واذا جعل على وجه فرس لا يسبقه شيء و بعره يذهب البرص والكلف طلاء ومن أكل لحمه لا يعطش زمانا طويلا ﴿ضبع﴾ حيوان معروف ومن كناه أم عامر ومن طبعه حب لحم الآدمي حتى قيل انه ينبش القبور واذا مر بانسان نائم حفر تحت رأسه ووثب عليه و بقر بطنه وشرب دمه (الخواص) من شرب دمه ذهب وسواسه ومن علق عليه عينه أحبه الناس واذا جعلها في خل سبعة أيام ثم جعلها تحت فص خاتم فكل من كان به سحر وجعل الخاتم في قليل ماء وشربه زال سحره ﴿ضفدع﴾ حيوان يتولد من المياه الضعيفة الجري ومن العفونات وعقيب الأمطار وأول ما يظهر مثل الحب الأسود ثم ينمو ثم تتشكل له الاعضاء واذا نعق جعل فكه الأسفل في الماء والاعلى من خارج وفي صوته حدة قال سفيان ليس من الحيوان أكثر ذكرا لله تعالى من الضفدع وفي الآثار أن داود عليه الصلاة والسلام قال لاسبحن الله تعالى بتسبيح ما سبحه أحد قبلي فنادته ضفدعة يا داود تمن على الله تعالى بتسبيحك وأنا لي تسعون سنة ما جف لساني عن ذكر الله تعالى قال فما تقولين في تسبيحك قالت أقول سبحان من هو مسبح بكل لسان سبحان من هو مذكور بكل مكان فقال داود وما عسى أن أقول

وقال

ألف ترس وأربعة آلاف سرج محلاة بالذهب وثلاثون ألف سرج عامة انتهى

﴿قلت و يعجبني قول القاضي الفاضل في بيت من قصيدة﴾

أمنصل الرمح الطويل بكوكب
من ذا يطاعن والسماك سنان

﴿ومثله في الحسن قول ابن سناء الملك﴾

ملوك يحوزون الغنائم عنوة
بسمر العوالي أو ببيض القواضب
رماح بأيديهم طوال كأنما
أرادوا بها تثقيب در الكواكب

﴿ابن قلاقس وأجاد﴾

وقد كحلت بأميال العوالي
أساة الحرب أحداق الدروع
وشب الباس نيران المواضي
وأسبل غيث أمواه النجيع
فللفرسان من محل و وحل
حديث عن مصيف أو ربيع

(و يعجبني أيضا قول القاضي الفاضل من قصيدة)

فيا عجبا للملك قر قراره
بمختلفات من قتال السواهر
طواعن أسرار القلوب نواظر
كأنك قد نصلتها بنواظر

﴿ذو الوزارتين لسان الدين بن الخطيب وأجاد﴾

و بكل أزرق ان شكت ألحاظه
مرة العيون فما العجاجة تكحل
متأود أعطافه في نشوة
مما يعل من الدماء و ينهل
عجبا له ان النجيع بطرفه
رمد ولا يخفى عليه مقتل

﴿السيد الفاضل شمس الدين بن الصاحب موفق الدين بن الآمدي﴾

غصون بها طير النفوس تنافرت
وعهدي ان الطير للغصن يألف
فلا ورق الا من التبر حولها
ولا زهر الا من النصر يقطف

﴿ابن نباتة السعدي﴾

وولوا عليها يقدمون رماحنا
وتقدمها أعناقهم والمناكب

وقال بعضهم انها كانت تأخذ الماء بفيها وتجعله على نار ابراهيم الخليل والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿حرف الطاء﴾

(طاوس) طير مليح ذو ألوان عجيبة وعنده الزهو فى نفسه والعجب ومن طبعه العفة وهو من الطير كالفرس من الحيوان والانثى تبيض حين يمضى لها من العمر ثلاث سنين وفى ذلك الاوان يكمل ريش الذكر ويتم لونه وتبيض الأنثى مرة واحدة فى كل شهر ففى السنة اثنتا عشرة بيضة أو أقل أو أكثر ويفسد الذكر فى أيام الربيع ويرمى ريشه فى أيام الخريف كالشجر فاذا ابتدا طلوع الورق طلع ريشه ومدة حضنه ثلاثون يوما ﴿فائدة﴾ قيل ان آدم لما غرس الكرمة جاء ابليس لعنه الله فذبح عليها طاوسا فشربت دمه فلما طلعت أوراقها ذبح عليها قردا فشربت دمه فلما طلعت ثمرتها ذبح عليها أسدا فشربت دمه فلما انتهت ثمرتها ذبح عليها خنزيرا فشربت دمه فمن أجل ذلك تجد شارب الخمر أول ما يشربها وتدب فيه يزهو بنفسه ويميس عجبا كالطاوس فاذا جاء مبادى السكر لعب وصفق بيديه كالقرد فاذا قوى سكره قام وعربد كهيئة الاسد فاذا انتهى سكره انقبض كما ينقبض الخنزير ثم يطلب النوم والناس تتشاءم باقامته بالدور وقيل لانه كان سببا لدخول ابليس الجنة وخروج آدم منها والله على كل شئ قدير

﴿حرف الظاء﴾

﴿ظبي﴾ واحد الغزلان وهو ثلاثة أصناف الأول الآرام وهو ظباء الرمل ولونها رمادى . وهى سمينة العنق والثانى العفر ولونها أحمر وهى قصيرة العنق والثالث الادم وهى طويلة العنق وتوصف بحدة البصر وقيل ان الظبي يقضم الحنظل قضما ويمضغه مضغا وماؤه يسيل من شدقيه ويرد الماء الملح فيشرب الماء الاجاج ويغمس خرطومه فيه كما تغمس الشاة لحييها فى الماء العذب فأى شئ أعجب من حيوان يستعذب ملوحة البحر ويستحلى مرارة الحنظل (الخواص) لسانه يجفف ويطعم للمرأة السليطة تزول سلاطتها وبعره وجلده يحرقان ويسحقان ويجعلان فى طعام الصبي يزيد ذكاؤه ويصير فصيحا ذا لقا حافظا (ظربان) دويبة فوق جرو الكلب منتنة الريح تزعم العرب ان من صادها وفست فى ثوبه لا تزول الرائحة منه حتى يبلى الثوب ويحكى من شؤمها أنها تأتى بيت الظبي فتفسو فيه ثلاث مرات فتقتل ما فيه وتأكله بعد ذلك

﴿حرف العين﴾

(عجل) حيوان معروف وهو ذكر البقر وسمى بذلك لاستعجال بنى اسرائيل بعبادته والسبب فى ذلك أن موسى عليه الصلاة والسلام وقت الله له ثلاثين ليلة ثم أتمها بعشر وكان فيهم شخص يسمى موسى بن ظفر السامرى فى قلبه من حب عبادة البقر شئ فابتلى الله به بنى اسرائيل فقال ائتونى بحلى قال فأتوه بجميع حليهم فصنع منه عجلا جسدا وألقى عليه قبضة من التراب الذى كان أخذه من أثر فرس جبريل عليه السلام فصار له خوار كما أخبر الله تعالى فعكفوا على عبادته من دون الله تعالى وكانوا يأتون اليه ويرقصون حوله ويتواجدون فيخرج منه تصويت كهيئة الكلام فيتعجبون من ذلك ويظنون أنه تكلم وانما فعل ذلك باغواء ابليس لعنه الله حتى يطغيهم ﴿فائدة﴾ نقل القرطبي عن سيدى أبى بكر الطرطوشى رحمهما الله أنه سئل عن قوم يجتمعون فى مكان فيقرؤن من القرآن ثم ينشد لهم الشعر فيرقصون ويطربون ثم يضرب لهم بعد ذلك بالدف والشبابة هل الحضور معهم حلال أم حرام فقال مذهب الصوفية ان هذه بطالة وجهالة وضلالة وما الاسلام الا كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وأما الرقص والتواجد فأول من أحدثه أصحاب السامرى لما اتخذوا العجل فهذه الحالة هى حالة عباد العجل وانما كان النبى صلى الله عليه وسلم مع أصحابه فى جلوسهم كأنما على رؤسهم الطير مع الوقار والسكينة فينبغى لولاة الأمر وفقهاء الاسلام أن يمنعوهم من الحضور فى المساجد وغيرها ولا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يحضر معهم ولا يعينهم على باطلهم هذا مذهب الشافعى وأبى حنيفة ومالك وأحمد بن حنبل رحمهم الله تعالى ﴿عقرب﴾ هو من الحشرات قال الجاحظ انها تلد من فيها مرتين وتحمل أولادها على ظهرها وهم كهيئة القمل كثير والعدد وقال غيره اذا حملت تسلط عليها أولادها فأكلوا بطنها وخرجوا كهيئة الذر ثم يكبرون ويطوفون بالأرض ولها ثمانية أرجل ومن عجيب أمرها أنها لا تضرب النائم الا اذا تحرك شئ منه والخنافس تأوى اليها وربما لسعت التنين العظيم فقتلته (غريبة) قال ذو النون المصرى بينما أنا فى بعض سياحتى اذ مررت بشاطئ البحر فرأيت عقربا أسود قد أقبل

خلقنا باطراف القنا لظهورهم
عيونا لها وقع السيوف حواجب

﴿قلت﴾ رسم كافل المملكة الشريفة الشامية وهو المقر المرحومى العلائى تغمده الله برحمته ورضوانه للفضلاء بدمشق المحروسة وغيرهم من الفضلاء بالبلاد الشامية أن ينظموا أبياتا تكتب على أسنة الرماح وتكون عدة الأبيات أربعة

﴿فنظم المقر المرحومى الفتحى ابن الشهيد قوله﴾

اذا الغبار علا فى الجو عثيره
فأظلم الجو ما للشمس أنوار
هذا سنانى نجم يستضاء به
كأنه علم فى رأسه نار
والسيف ان نام ملء الجفن فى غلق
فاننى بارز للحرب خطار
ان الرماح لأغصان وليس لها
سوى النجوم على العيدان أزهار

(ونظم الرئيس شمس الدين ابن المزين)

أنا أسمر والراية البيضاء لى
لا للسيوف وسل من الشجعان
لم يحل بى عيش العداة لأننى
نوديت يوم الجمع بالمران
واذا تفاهت الكماة بجحفل
كلمتهم فيه بكل لسان
فتخالهم غنما تساق الى الردى
قهر المعظم سطوة الجوبان

﴿ونظم المقر المرحومى وهو اذ ذاك كاتب السر بحمص المحروسة﴾

عروس سنانى حين تجلى على العدا
وتظهر تبدى ما لهم من بواطن
وقد صيغ من هم فبين صدورهم
مجال له رحب فسيح المواطن
سيلقون يوم الجمع غبنا الموتم
بطعنى ويوم الجمع يوم التغابن
وان شهدوا بالجور فى وعدلوا
فانى قد بينت فيهم مطاعنى

(ونظم قاضى القضاة صدر الدين بن الآمدى سامحه الله)

الى أن جاء الى شاطئ البحر فظننت أنه يشرب فقمت لانظرها فاذا بضفدع قد خرج من الماء وأتاه فحمله على ظهره وذهب به الى ذلك الجانب قال ذو النون فاتزرت بمئزرى وعمت خلفه حتى اذا صعد من ذلك الجانب صعدت وسرت وراءه فما زال حتى جاء الى شجرة فوجدت تحتها غلاما نائما من شدة السكر قد أقبل عليه تنين عظيم قال فلصقت العقرب برأس التنين ولسعته فقتلته ثم رجعت الى ظهر الضفدع فعبر بها الى الماء وسار بها الى المكان الذى جاءت منه قال ذو النون فتعجبت من ذلك وأنشدت

يا راقدا والجليل يحفظه * من كل سوء يكون فى الظلم
كيف تنام العيون عن ملك * يأتيك منه فوائد النعم

ثم أيقظت الغلام وأخبرته بذلك قال فلما سمع ذلك قال أشهدك على أنى قد تبت عن هذه الخصلة ثم جرينا ذلك التنين ورميناه فى البحر ولبس ذلك الغلام مسحا وساح الى أن مات رحمة الله تعالى عليه وما أحسن ما قال بعضهم

اذا لم يسالمك الزمان فحارب * وباعد اذا لم تنتفع بالاقارب
ولا تحتقر كيد الضعيف فربما * تموت الأفاعى من سموم العقارب
فقد هد قدما عرش بلقيس هدهد * وخرب فأر قبل ذا سد مارب
اذا كان رأس المال عمرك فاحترز * عليه من التضييع فى غير واجب
فبين اختلاف الليل والصبح معرك * يكر علينا جيشه بالعجائب

(فائدة) اذا لدغ أحد فاقرأ عليه هذه الكلمات وهى سلام على نوح فى العالمين وصلى الله على سيدنا محمد فى المرسلين من حاملات السم أجمعين لا دابة بين السماء والارض الا ربى آخذ بناصيتها كذلك يجزى عباده المحسنين ان ربى على صراط مستقيم نوح قال لكم من ذكرنى لا تلدغوه ان ربى بكل شئ عليم وصلى الله على سيدنا محمد الكريم *وقال بعض العلماء من قال عقدت زبان العقرب ولسان الحية ويد السارق بقول أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله أمن من العقرب والحية والسارق وفى البخارى أن رجلا جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله ماذا لقيت من عقرب لدغتنى البارحة فقال له النبى صلى الله عليه وسلم أما انك لو قلت اذا أمسيت أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم تضرك وروى الترمذى أن من قال حين يمسى أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق ثلاث مرات ثم قال سلام على نوح فى العالمين لم تضره الحية والعقرب والسر فى ذكر نوح دون غيره هو أنه لما ركب فى السفينة سألته الحية والعقرب أن يحملهما معه فشرط عليهما أنهما لا يضران من ذكر اسمه بعد ذلك فشرطا له ذلك *(الخواص)* من بخر البيت بزرنيخ أحمر وشحم بقر هربت منه العقارب ومن شرب مثقالين من حب الاترج أبرأه من سمها ومن علق عليه شئ من ورق الزيتون برئ أيضا وقته *(عقعق)* طير ذو لونين طويل الذنب قدر الحمامة على شكل الغراب وجناحاه أكبر من جناحى الحمامة وهو لا يأوى الا الاماكن العالية واذا باض جعل حول بيضه ورق الدلب خوفا عليه من الخفاش لا يفسده *(الخواص)* دمه اذا جعل على قطن وألصق على موضع النصل والشوكة الغائبة فى البدن أخرجه *(علق)* دود أحمر وأسود يكون بالماء يعلق بالخيل والآدمى فاذا علقت بك فرش عليها ماء وملحا واذا علقت بفرس فبخره بوبر الثعلب فانها تنفصل من رائحة دخانه * ومن خواصه ان البيت اذا بخر به هرب ما فيه من البق والبعوض واذا جفف وسحق وقلع الشعر وطلى به مكانه منع نباته *(عنقاء)* اختلف فيها فقال بعضهم هو طائر عظيم الخلقة له وجه انسان وفيه من كل حيوان لون وقال بعضهم هو طير غريب الشكل يبيض بيضا كالجبال ويبعد فى طيرانه وسميت بذلك لانه كان فى عنقها طوق أبيض قال القزوينى انها تخطف الفيلة لعظمها وكبر جثتها كما تخطف الحدأة الفار قال وكانت فى قديم الزمان بين الناس الى أن خطفت عروسا بحليها فذهب أهلها الى نبى ذلك الزمان فشكوها اليه فدعا عليها فذهب بها الى بعض الجزائر التى خلف خط الاستواء وهى جزيرة لا يصل اليها أحد وجعل لها فيها ما تقتات به من السباع كالفيل والكركند وغير ذلك وقال أصحاب التواريخ ان هذا الطير يعمر حتى قيل انه يعيش ألفى سنة ويتزوج اذا مضى عليه خمسمائة *(وحكى)* الزمخشرى فى ربيع الابرار ان الله تعالى خلق فى زمن موسى عليه الصلاة والسلام طيرا يقال له العنقاء له وجه كوجه الانسان وأربعة أجنحة من كل جانب وخلق له أنثى مثله ثم أوحى الله تعالى

النصر مقرون بضرب أسنة
لمعانها كوميض برق يشرق
سبكت لتسبك كل خصم مارد
وتطرقت لمعاند يتطرق
زرق تفوق البيض فى الهيجاء اذ
يحمر من دمه العدو الازرق
ينسخن يوم الحرب كل كتيبة
تحت الغبار فنسخهن محقق

(وقلت)

أنا رمح ورامح الأفق يخشى
من سطوتى اليه يوم الطعان
واذا أنكر واعدالة قدى
يوم حكم جرحتهم بلسانى
وسنانى كالبرق بل صار منه
قاب سيف البروق فى خفقان
رمحه للردين ينسب لكن
صاح لما علاه بالسنان

(مجير الدين بن تميم)

لو كنت تشهدنى وقد حمى الوغا
فى موقف ما الموت فيه بمعزل
لترى أنابيب القناة على يدى
تجرى دما من تحت ظل القسطل

(ابن شرف القيروانى)

وقد وخطت أرماحهم مفرق الدجى
فبان باطراف الاسنة شائبا

(ذكر) الثعالبى فى لطائف المعارف ان أول من عمل السنان من حديد ذويزن الحميرى واليه تنسب الرماح اليزنية وانما كانت أسنة العرب من صياصى البقر *(قلت)* لم يبق بعد السيف والرمح غير القوس ولو أن رسالة القوس مشتملة بكمالها على اصابة الغرض لا ثبتها هنا ولكن جمع فى نظم عقدها بين الجوهر والعرض وبراعة استهلالها غاية لا تدرك *(وهى)* ويسألونك عن ذى القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا انا مكنا له فى الأرض وآتيناه من كل شئ سببا فأتبع سببا *(ومن)* غاياتها بعد ذلك قوله منها صورة مركبة ليس لها من تركيب النظم الاما حات ظهورها أو الحوايا أو ما

الى موسى انى خلقت خلقا كهيئة الطير وجعلت رزقه الوحوش والطير التى حول بيت المقدس قال فتناسلا وكثر نسلهما فلما توفى موسى عليه الصلاة والسلام انتقلت الى نجد والعراق فلم تزل تأكل الوحوش وتخطف الصبيان الى أن تنبأ خالد بن سنان العبسى فشكوها اليه فدعا عليها فانقطعت وانقطع نسلها وانقرضت

(عنكبوت) دويبة لها ثمانية أرجل وستة عيون وهى من الحيوان الذى صيده الذباب وولده يخرج قويا على النسج من غير تعليم ولا تلقين ويخرج أولاده دودا صغيرا ثم يتغير ويصير عنكبوتا وتكمل صورته *(فائدة)* قيل ان امرأة ولدت جارية ثم قالت لخادم لها اقتبس لنا نارا فخرج فوجد بالباب سائلا فقال له ما ولدت سيدتك فقال بنتا فقال لا تموت حتى تبغى بألف رجل ويتزوجها خادمها ويكون موتها بالعنكبوت فقال الخادم وأنا أصبر لهذه حتى يحصل منها ما يحصل فصبر حتى قامت أمها لتقضى بعض شؤنها وعمد الى البنت فشق بطنها بسكين وهرب قال فجاءت أمها فوجدتها على تلك الحالة فدعت بمن يعالجها حتى شفيت فلما كبرت بغت قال ثم انها سافرت وأتت مدينة على ساحل من سواحل البحر فأقامت هنالك تبغى قال وأما الرجل فانه صار من التجار وقدم لتلك المدينة ومعه مال كثير فقال لامرأة عجوز هنالك اخطبى لى امرأة حسنة أتزوج بها قال فوصفتها له وقالت ليس هنا أحسن منها ولكنها تبغى فقال للعجوز ائتينى بها قال فذهبت وأخبرتها بالقصة فقالت لها حبا وكرامة فانى قد تبت عن البغى فتزوج الرجل بها وأحبها حبا شديدا وأقام معها أياما وكان يود أن يراها متجردة فلم يمكنه ذلك حتى اذا كان فى بعض الأيام خرج على عادته لقضاء أشغاله ودخلت هى الحمام وعرضت له حاجة فرجع الى الدار وصعد الى قصرها فلم يرها فسأل عنها فقيل له هى فى الحمام فدخل عليها فرآها متجردة ورأى فى بطنها أثرا كالخياطة فقال ما هذا قالت له لا أعلم الا أن أمى أخبرتنى أنه كان لنا خادم وأنه يوم ولادتى غافل أمى وشق بطنى بسكين وهرب وان امى حين رأتنى كذلك دعت بعض الاطباء فخاط بطنى وعالجنى حتى اندمل جرحى وشفيت وبقى هذا الاثر فقال لها أنا ذلك الخادم وحكى لها السبب وأن ذلك السائل أخبره أنها تموت بالعنكبوت ثم انه اهتم بامرها وجمع مهندسى البلدة التى هم فيها وسألهم أن يبنوا له بناء لا ينسج عليه العنكبوت فقالوا كل بناء ينسج عليه الا أن يكون البلور لنعومته لا ينسج عليه فامرهم أن يصنعوا لها قصرا من البلور وبذل لهم ما أرادوا ففعلوه وفرشه وأمرها أن تقيم فيه ولا تخرج منه خوفا عليها من العنكبوت قال فبينما هو ذات يوم اذ رأى عنكبوتا قد نسج فى ذلك القصر فقام اليه فرماه وقال لها هذا الذى يكون موتك منه قال فداسته بابهامها وقالت كالمستهزئة أهذا الذى يقتلنى فشدخته فتعلق بطرف ابهامها من مائه شئ فعمل بها حتى ورمت ساقها ثم وصل الورم الى قلبها فقتلها فما أفاده قصره ولا صرحه شيأ قال الله تعالى أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة *(فائدة)* نسج العنكبوت على ثلاثة مواضع على غار النبى صلى الله عليه وسلم وعلى غار عبد الله بن أنيس لما بعثه النبى صلى الله عليه وسلم لخالد الهذلى فقتله وحمل رأسه ودخل به فى غار خوفا من أهله ونسج على عورة زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم لما صلب عريانا وقيل انها نسجت مرتين على داود حين كان جالوت يطلبه *(الخواص)* نسجها ان وضع على الجراح الطرية يقطع دمها ويجلو الفضة اذا دلكت به والذى يوجد من نسجها فى بيت الخلاء ينفع المحموم اذا تبخر به

(ابن عرس) حيوان معروف وهو بارض مصر كثير ويسمى العرسة وهو عدو للفار وعنده الحيل قيل انه عدا خلف فار فصعد منه على شجرة فصعد خلفه وأمر انثاه أن تقف تحت الشجرة ثم قطع الغصن الذى كان عليه الفار فسقط فأخذته أنثاه ومما يحكى عنه أنه يحب الذهب فيسرقه ويلد عليه *(عجيبة)* قيل ان رجلا صاد فرخا من أولاده وحبسه تحت طاسة فجاء أبوه فوجده فذهب وأتى بدينار فوضعه فلم يفلته ثم ذهب وأتى بآخر ومازال كذلك حتى أتى بخمسة دنانير فلم يفلته ثم أتى بخرقة فلم يفلته فاراد ابن عرس أن يأخذ ما برطله به فلما علم الرجل ذلك فهم أنه لم يبق عنده شئ فأفلته له

(حرف الغين)

(غراب) وكنيته أبو حاتم وله كنى غير ذلك وهو أنواع كثيرة منها الاكحل وغراب الزرع والازرق وهذا النوع يحكى جميع ما سمعه والعرب تتفاءل بصياح الغراب فتقول اذا صاح مرتين فشر واذا صاح ثلاثة فخير وهو كالانسان عند الجماع وفى طبعه الاستتار عن الناس عند مجامعته والأنثى تبيض ثلاثا أو أربعا أو خمسا

اختلاط بعظم *(ومحسن أصاب الغرض بالغازه فى القوس)* الشهاب الاعزازى بقوله

ما عجوز كبيرة بلغت عمـ ـرا طويلا وتتقيها الرجال
قد علا جسمها اصفرار ولم تشـ ـك سقاما ولا عراها هزال
ولها فى البنين سهم وقسم وبنوها كبار قدر نبال

(صفى الدين الحلى ملغزا فيه)

وما اسم سراه فى البروج واغا يحل به المريخ دون الكواكب
اذا قدر البارى عليه مصيبة عدته وحلت فى صدور الكتائب

(الشيخ بدر الدين بن الصاحب)

لله عاولك اذا ما قام فى الشغل اعترض
لكنه فى ساعة يحصل لك الغرض

(ومن الغايات التى لا تدرك لغز قاضى القضاة صدر الدين بن الآدمى رحمه الله تعالى فى الكشتوان)

ما رفيق وصاحب لك تلقا ه معينا على بلوغ المرام
هو للعين واضح وجلى وتراه فى غاية الابهام

(قلت ومن نظمى فى القوس)

قوسى اذا جذبته يطربنى بحس عوده وتحريك الوتر
ونجم ذاك السهم ان فوقته يرى له فى طارة البدر أثر

(الشيخ جمال الدين بن نباتة)

فديتك أيها الرامى بقوس ولحظ يا ضنى قلبى عليه
لقوسك نحو حاجبك انجذاب وشبه الشئ منجذب اليه

(قلت) لم يبق بعد وصف آلة الحرب وصف غير الخيول المسومة التى لا بد لفحول كتاب الانشاء من الجولان فى ميدان وصفها ومجرى السوابق الذى جمعته فى هذا الباب قد تقدم فى الجزء الأول من بلوغ المراد ولكن اذا كنت منشئ دواوين

وتحضن ذلك والاب يسعى فى طعمتها الى أن تفرخ فاذا افرخت خرجت أفراخها قبيحة المنظر فتتفرق منها وتتركها وتغيب فيرسل الله لها البعوض فتتغذى به ثم لاتزال تتعاهدها حتى ينبت لها الريش فتأتيها ومنه قول الحريري يارازق النعاب فى عشه * وجابر العظم الكسير المهيض
ومن طبعه انه لا يتعاطى الصيد بل ان وجد رمة أكل منها ويقم من الارض ما وجد ويسمى بالفاسق لانه لما أرسله نوح عليه السلام ليكشف عن الماء وجد فى طريقه رمة فسقط عليها وترك ما أرسل اليه ويسمى بالبين لانه اذا رحل العرب من مكان نزل فيه وزعق فى أثرهم *ومن الغرائب ان بين الغراب و بين الذئب الفة وذلك انه اذا رأى الذئب يقربطن شاة سقط وأكل منها معه والذئب لا يضره *(الخواص)* اذا غمس الغراب فى الخل ثم جفف وسحق ريشه وطلى به الشعر سوده واذا علق منقاره على انسان زالت عنه العين وزبل الغراب الأبقع ينفع الخوانيق والخنازير طلاء وان صر فى خرقة على من به السعال زال *(غرغر)* دجاج بنى اسرائيل يقال ان فرقة من بنى اسرائيل كانت بتهامة فطغت وبغت وتجبرت وكفرت فعاقبهم الله تعالى بان جعل رجالهم القردة وكلابهم الأسود وعنبهم الأراك وجوزهم المقل ودجاجهم الغرغر وهو دجاج الحبشة فلا ينفع لحمه لرائحته الكريهة وهذا مشاهد فى زماننا هذا الآن على ما نقل والله سبحانه وتعالى أعلم

(حرف الفاء)

(فاختة) طير أغبر من ذوات الاطواق بقدر الحمام لها حسن الصوت يحكى أن الحيات تهرب من صوتها وفى طبعها الأنس فمن أجل ذلك تتخذ بيتها فى البيوت وهى من الحيوان الذى يعمر وقد ظهر منها ما عاش خمسا وعشرين سنة *(الخواص)* دمها ينفع من الآثار فى العين من ضربة أو قرحة اذا قطر فيها *(فارة)* وكنيتها أم خراب وغير ذلك وتسمى بالفويسقة وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم انتبه ليلة فوجدها قد جذبت الفتيلة وأحرقت طرف سجادته فقتلها وأمر بقتلها وهى التى قطعت حبل سفينة نوح وأذاها لا يكاد ينحصر ومنه أنها تأتى الى اناء الزيت فتشرب منه فاذا نقص صارت تشرب بذنبها فاذا لم تصل اليه ذهبت وأتت فى فيها بماء وأفرغته فيه حتى يعلو لها الزيت فتشربه وربما وضعت فيه جرافة كسرته ويقال انها من بقايا الممسوخين الذين كانوا يهودا ومن أراد أن يعلم ذلك فليضع لها لبن ناقة فى اناء فان لم تشربه فهى منهم *(الخواص)* عينه تشد على الماشى يسهل تعبه واذا بخر البيت بزبل الذئب أو الكلب ذهب منه الفار *(فرس البحر)* حيوان يوجد بالنيل أفطس الوجه ناصيته كالفرس ورجلاه كالبقر وذنبه قصير يشبه ذنب الخنزير وجلده غليظ ووجهه أوسع من وجه الفرس يصعد البر ويرعى الزرع وربما قتل الانسان وغيره *(فهد)* حيوان شرس الاخلاق قال ارسطو وهو متولد من الأسد والنمر وفى طبعه مشابهة بطبع الكلب ونومه ثقيل وفى طبعه الحنو على انثاه وقيل ان أول من صاد به كليب بن وائل وأول من حمله على الخيل يزيد بن معاوية وأكثر من اشتهر باللعب به أبو مسلم الخراسانى *(فيل)* حيوان يوجد بارض الهند وكنيته أبو الحجاج والانثى أم سبل وهو ينزو على أنثاه اذا بلغ من العمر خمس سنين وتحمل أنثاه سنتين ثم تضع ولا يقربها الذكر فى مدة حملها ولا بعد بثلاث سنين ولا يلقح الا ببلاده واذا أرادت الوضع دخلت النهر لان رجليها لا ينثنيان فتخاف عليه والذكر يحرسها خوفا على ولده من الحيات فانها تأكله وهو عند شدة غلمته كالجمل ويهيج فى زمن الربيع وزعم أهل الهند ان لسانه مقلوب ولولا ذلك لكان يتكلم لشدة ذكائه وقيل ان ثدييه فى صدره كالانسان وهو أضخم الحيوان وأعظمه جرما وما ظنك بخلق ربما كان نابه أكثر من ثلثمائة من وهو مع ذلك أملح وأظرف من كل نحيف الجسم رشيق وربما مر الفيل مع عظم بدنه خلف القاعد فلا يشعر برجله ولا يحس بمروره لخفة همسه واحتمال بعض جسده لبعض وأهل الهند يزعمون أن أنياب الفيل قرناه يخرجان مستبطنين حتى يخرقان وخرطوم الفيل أنفه ويده وبه يتناول الطعام الى جوفه وبه يقاتل وبه يصيح وصياحه ليس فى مقدار جرمه وقيل ان الفيل جيد السباحة واذا سبح رفع خرطومه كما يغيب الجاموس جميع بدنه الا منخريه ويقوم خرطومه مقام عنقه والخرق الذى فى خرطومه لا ينفذ وانما هو وعاء اذا ملاه من طعام أو ماء أولجه فى فيه لانه قصير العنق لا ينال ماء ولا مرعى وأهل الهند تجعله فى القتال وهو أيضا يقاتل مع جنسه فمن غلب دخلوا تحت أمره وقيل جعل الله فى طبع الفيل الهرب من السنور *(حكى)* عن هرون مولى الأزد أنه خبأ معه هرا ومضى بسيف الى الفيل فلما دنا منه رمى بالهرفى

الانشاء الشريف بالممالك الاسلامية المحروسة يتعين على أن أورد هنا لكتاب الانشاء من فقه هذا الفن ما يحتاجون الى معرفته (قلت) السجع مأخوذ من سجع الحمام واختلف فيه هل يقال فى فواصل القرآن أسجاع أم لا فمنهم من منعه ومنهم من أجازه والذى منع تمسك بقوله تعالى كتاب فصلت آياته فقال قد سماه فواصل فليس لنا أن نتجاوز ذلك والسجع ينقسم الى أربعة أقسام المرصع والمطرف والمتوازى والمشطر (فالمرصع) عبارة عن مقابلة كل لفظة من صدر البيت أو فقرة النثر بلفظة على وزنها ورويها وهو مأخوذ من مقابلة العقد فى ترصيعه *ومن أمثلته الشريفة فى الكتاب العزيز ان الأبرار لفى نعيم وان الفجار لفى جحيم *ومثله قوله تعالى ان الينا ايابهم ثم ان علينا حسابهم ومنه قول الحريرى فى المقامات يطبع الاسجاع بجواهر لفظه ويقرع الاسماع بزواجر وعظه (والمطرف) هو أن يأتى المتكلم فى آخر كلامه أو فى بعضه باسجاع غير متزنة بزنة عروضية ولا محصورة فى عدد معين بشرط أن يكون روى الاسجاع روى القافية كقوله تعالى ما لكم لا ترجون لله وقارا وقد خلقكم أطوارا (وكقولهم)
جنابه محط الرجال ومخيم الآمال
(ومن أمثلته الشعرية قول أبى تمام)
تجلى به رشدى وأثرت به يدى
وفاض به ثمدى وأورى به زندى
(الثالث المتوازى) وهو ان تتفق اللفظة الاخيرة من القرينة مع نظيرتها فى الوزن والروى كقوله تعالى فيها سرر مرفوعة وأكواب موضوعة (ومنه) قول النبى صلى الله عليه وسلم اللهم أعط منفقا خلفا وأعط ممسكا تلفا (ومنه) قول الحريرى فى المقامات وأودى بى

وجهه فادبر هاربا وكبر المسلمون وظنوا أنه هرب منه قال أبو الشمقمق

ياقوم انى رأيت الفيل بعدكم * تبارك الله لى فى رؤية الفيل
رأيت بيتا له شئ يحركه * فكدت أفعل شيأ فى السراويل

وقيل اذا اغتم الفيل لم يكن لسواسه هم الا الهرب بأنفسهم و يتركونه * ومن عجيب أمره ان سوطه الذى به يحث و يضرب محجن حديد أحد طرفيه فى جبهته والآخر فى يد راكبه فاذا أراد شيأ غمزه به فى لحمه وأول شئ يؤدبون به الفيل يعلمونه السجود للملك ﴿قيل﴾ خرج كسرى أبرويز لبعض الاعياد وقد صفوا له ألف فيل وأحدق به ثلاثون ألف فارس فلما رأته الفيلة سجدت له فما رفعت رؤسها حتى جذبت بالمحاجن وراضتها الفيالون وتزعم أهل الهند أن جبهة الفيل تعرق كل عام عرقا غليظا سائلا أطيب من رائحة المسك ولا يعرض ذلك العرق الا فى بلادها خاصة وان عظام الفيل كلها عاج الا أن جوهر نابه أكرم وأثمن ولولا شرف العاج وقدره لما فخر الاحنف بن قيس على أهل الكوفة فى قوله نحن أكثر منكم عاجا وساجا وديباجا وخراجا وقيل ان الفيلة لا تتسافد فى غير بلادها ﴿فائدة﴾ من قرأ سورة الفيل ألف مرة فى كل يوم عشرة أيام متوالية ثم جلس على ماء جار وقال اللهم أنت الحاضر المحيط بمكنونات الضمائر اللهم عز الظالم وقل الناصر وأنت المطلع العالم اللهم ان فلانا ظلمنى وأساءنى ولا يشهد بذلك غيرك أنت مالكه فأهلكه اللهم سربله سربال الهوان وقمصه قميص الردى اللهم اقصفه ست مرات اللهم اخفضه مرتين فأخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق فان الله يستجيب له مالم يكن ظالما ﴿الخواص﴾ جلده اذا بخر به بيت هرب بقه واذا سقى انسان من وسخ أذنه نام نومة طويلة واذا علق من نابه شئ على شجرة لم تثمر واذا عمل من جلده ترس يكون أصلب من كل ترس

﴿حرف القاف﴾

﴿قاقم﴾ دويبة تشبه السنجاب الا أنه أبرد منه مزاجا وهو أبيض يقق وجلده أعز قيمة من السنجاب ﴿قاوند﴾ طير يكون بساحل البحر يبيض فى الرمل ويحضن بيضه سبعة أيام ثم تخرج أفراخه بعد ذلك فيرقها بعد سبعة أيام ويقال مايمسك الله البحر فى هيجانه عن أن يفيض على الساحل الا اكراما له لأنه يقال انه يبر والديه ﴿خواصه﴾ انه يقيم المقعد ويحلل البلاغم المزمنة وينفع الامراض الباردة وأوجاع الأعصاب ﴿قرد﴾ حيوان معروف وكنيته أبو خالد وغير ذلك وهو قبيح المنظر مليح الذكاء سريع الفهم يتعلم الصنائع قيل انه أهدى للمتوكل قرد خياط وآخر صائغ وأهل اليمن يعلمون القردة البيع والجلوس فى الدكاكين حتى قيل انه يخرز النعل ويصر القرطاس وهو ذو غيرة وعنده لواط حتى قيل انه يعد وخلف المليح من شدة المحبة والتفت ابن الرومى يوما الى أبى الحسن الاخفش وهو يحاكى مشية القرد فقال

هنيئا يا أبا الحسن المفدى * بلغت من الفضائل كل غايه
شركت القرد فى قبح وسخف * وماقصرت عنه فى الحكايه

﴿قنفذ﴾ بالذال المعجمة وكنيته أبو سفيان ومن عجيب أمره أنه يصعد الكرم فيرمى العنقود ثم ينزل فيأكل منه ما أطاق فان كان له أفراخ تمرغ فى الباقى فيتعلق بشوكه فيذهب به الى أولاده وهو مولع بأكل الأفاعى فاذا لدغته لا يؤثر فيه سمها لدفع ذلك بشوكه واذا تأذى منها ذهب فأكل السعتر البرى فيزول أذاها وهو من الحيوان الذى يسفد مباطنة كالرجل وله خمسة أرجل

﴿حرف الكاف﴾

﴿كركند﴾ حيوان يوجد ببلاد الهند والنوبة وهو دون الجاموس وله قرن واحد عظيم لا يستطيع رفع رأسه منه لثقله وهو مصمت قوى يقاتل به الفيل فيغلبه ولا تعمل نابا شيأ معه وعرض قرنه شبران وليس بطويل جدا وهو محدود الرأس شديد الملاسة واذا نشر قرنه ظهرت فى معاطفه صور عجيبة كالطواويس والغزلان وأنواع الطير والشجر وبنى آدم ولذلك يتخذ منه صفائح الأسرة والمناطق للملوك ويتغالون فى ثمنها بحيث تبلغ المنطقة أربعة آلاف أو أكثر والانثى تحمل ثلاث سنين ويخرج ولدها نابت الاسنان والقرون قوى الحافر ويقال انها اذا قاربت الوضع أخرج الولد رأسه من بطنها وصار يرعى أطراف الشجر فاذا شبع أدخل رأسه فى بطن أمه ويزعم أهل الهند أنه اذا كان ببلاد لم يدع فيها من الحيوان شيأ حتى يكون بينها وبينه مائة فرسخ من جميع الجهات هيبة له وهربا منه ويسمى الحمار الهندى وهو شديد العداوة للانسان

الناطق والصامت ورثى لى الحاسد والشامت انتهى (القسم الرابع) السجع المشطر وهو أن يكون لكل نصف من البيت قافيتان مغايرتان لقافيتى النصف الآخر ولكن هذا القسم مختص بالنظم كقول أبى تمام يمدح أمير المؤمنين المعتصم رحمهما الله تعالى

تدبير معتصم بالله منتقم * لله مرتغب فى الله مرتغب

انتهى باب السجع قلت وقالت علماء هذا الفن ان قصر الفقرات فى الانشاء يدل على قوة المنشى وأقل ماتكون من كلمتين كقوله تعالى يا أيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر وثيابك فطهر وأمثال ذلك كثيرة فى الكتاب العزيز لكن الزائد على ذلك هو الاكثر (وكان) بديع الزمان يكثر من ذلك كقوله كميت نهد كان راكبه فى مهد يلطم الارض بزبر وينزل من السماء بخبر لكن قالوا التذاذ السامع بما زاد على ذلك أكثر لتشوقه الى ما يرد منه متزايدا على سمعه انتهى (وأما الفقر المختلفة) فالاحسن أن تكون الثانية أزيد من الاولى بقدر غير كثير لئلا يبعد على السامع وجود القافية فتذهب اللذة فان زادت القرائن على اثنتين فلا يضر تساوى القرينتين الاوليين وزيادة الثالثة عليهما وان زادت الثانية على الاولى يسيرا والثالثة على الثانية فلا بأس ولكن لا يكون أكثر من المثل مثاله فى القرينتين قوله تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيأ ادا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا فالثانية أطول من الاولى (ومثاله) فى الثالثة قوله تعالى وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا واذا ألقوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا

تتبعه اذا سمع صوته فيقتله ولا يأكل منه شيأ ﴿كروان﴾ طير معروف لا ينام غالب الليل خصوصا فى القمر وعنده ذكاء قيل انه يتكلم بجميع ما يبصره ولا يحتمل المغابنة ﴿كركى﴾ طير محبوب للملوك وله مشتى ومصيف فمشتاه بأرض مصر ومصيفه بأرض العراق وهو من الحيوان الرئيس قيل انه اذا نزل بمكان اجتمع حلقة ونام وقام عليه واحد يحرسه وهو يصوت تصويتا لطيفا حتى يفهم انه يقظان فاذا تمت نوبته أيقظ غيره لنوبته قال القزوينى واذا مشى وطئ الأرض باحدى رجليه و بالأخرى قليلا خوفا من أن يحس به واذا طار سار سطرا يقدمه واحد كهيئة الدليل ثم تتبعه البقية ﴿كلب﴾ معروف وهو نوعان أهلى وسلوقى وهذان النوعان سواء الا أن أنثى السلوقى أسرع فى التعلم من ذكره وهذا الحيوان حليم وعنده رياضة وفى طبعها كرام الاجلاء من الناس ﴿حكى﴾ أن رجلا عزم جماعة فتخلف شخص منهم فى منزله ودخل على زوجة صاحب المنزل فضاجعها فوثب الكلب عليهما فقتلهما فرجع صاحب المنزل فوجدهما قتيلين فانشد يقول

وما زال يرعى ذمتى و يحوطنى * و يحفظ عهدى والخليل يخون
فواعجبا للخل يهتك حرمتى * وواعجبا للكلب كيف يصون

﴿وحكى﴾ أبو عبيدة قال خرج رجل الى الجبانة ومعه أخوه وجاره لينظر والى الناس فتبعه كلب له فضربه ورماه بحجر فلم ينثه ولم يرجع فلما قعد ربض الكلب بين يديه فجاء عدوّله فى طلبه فلما رآه خاف على نفسه فاذا بئر هنالك قريبة القعر فنزل فيها وأمر أخاه وجاره أن يهيلا عليه التراب ثم ذهب أخوه وجاره الى سبيلهما وصار الكلب ينبح حوله فلما انصرف العدوّ أتاه الكلب فما زال يبحث فى التراب الى أن كشفه عن رأسه فتنفس الرجل ومر به أناس فتناولوه وردوه الى أهله فلما مات ذلك الكلب عمل له قبرا ودفنه فيه وجعل عليه قبة وسمى ذلك قبر الكلب وفى ذلك قيل

تفرق عنه جاره وشقيقه * وما حاد عنه كلبه وهو ضاربه

﴿ومن ذلك﴾ ما حكى أن رجلا قتل ودفن وكان معه كلب فصار يأتى كل يوم الى الموضع الذى دفن فيه وينبح وينبش ويتعلق برجل هنالك فقال الناس ان لهذا الكلب شأنا فكشفوا عن ذلك وحفروا ذلك الموضع فوجدوا قتيلا فقبضوا على ذلك الرجل الذى ينبح عليه الكلب وضربوه فأقر بقتله فقتل وهو من الحيوان الذى يعرف الحسنة وقيل ان الأنثى تحيض فى كل شهر سبعة أيام وأكثر ما تضع اثنا عشر جروا وذلك فى النادر والغالب خمسة أو ستة وربما ولدت واحدا ويعيش الكلب فى الغالب عشر سنين وربما بلغ عشرين سنة ووصف للمتوكل كلب بارمينية يفترس الأسد فارسل من جاء به اليه فجوع أسدا وأطلقه عليها فتهارشا وتواثبا حتى وقعا ميتين وقيل كلب الصياد يشبه به الفقير المجاور للغنى لانه يرى من نعمته وبؤس نفسه ما يفتت كبده وقيل لرجل ما بال الكلب يرفع رجله اذا بال قال يخاف أن يلوث ذراعيه وقيل أو للكلب ذراعان قال هو يتوهم ذلك ﴿فائدة﴾ حكى ان الامام أحمد بن حنبل رضى الله عنه سمع أن شخصا من وراء النهر يروى أحاديث مثلثة فسار اليه ودخل عليه فوجده يطعم كلبا وهو مشتغل به قال الامام أحمد فأخذت فى نفسى وأضمرت أن أرجع اذ لم يلتفت الرجل الى ثم قال حدثنى أبو الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قطع رجاء من ارتجاه قطع الله رجاءه يوم القيامة فلم يلج الجنة وان أرضنا هذه ليست بأرض كلاب وقد قصدنى هذا الكلب فخشيت ان أقطع رجاءه قال فقال الامام أحمد رحمه الله هذا الحديث يكفينى ثم رجع قافلا الى أهله ﴿فائدة أخرى﴾ قال الترمذى لما أهبط الله تعالى آدم الى الأرض سلط عليه ابليس السباع وكان أشدها الكلب قال فنزل عليه جبريل عليه السلام وأمره أن يضع يده عليه ففعل واطمأن اليه وألفه وصار يحرسه وبقيت الالفة فيه لأولاده الى يوم القيامة وقيل ان أول من اتخذ الكلب بعد آدم نوح عليهما الصلاة والسلام وذلك لان قومه كانوا يعمدون بالليل فيفسدون ما صنعه فى السفينة بالنهار فأمره الله أن يتخذ كلبا حارسا ففعل قال فكان الكلب اذا أتاه مفسد قام عليه فيتيقظ نوح عليه الصلاة والسلام فيدفعه ﴿فائدة أخرى﴾ قيل كان كلب أهل الكهف أسمر واسمه قطمير وقيل أصفر وقيل خلنجى اللون وليس فى الحيوان ما يدخل الجنة الا هو وكبش اسمعيل وناقة صالح وحمار العزير وبراق النبى صلى الله عليه وسلم

(ومن فوائد الانشاء) أن تكون كل فاصلة مخالفة لنظيرتها فى المعنى لان اللفظ اذا كان من القرينة بمعنى نظيره من الاخرى لم يحسن كقول الصاحب ابن عباد فى وصف منهزمين طاروا واقين بظهورهم صدورهم وباصلابهم نحورهم فالظهور بمعنى الاصلاب والصدور بمعنى النحور (ومنه) قول الصابى يسافر رأيه وهو دان لا يبرح ويسير وهو باق لا ينزح فلا يبرح ولا ينزح بمعنى واحد ويسافر ويسير كذلك (ومن فوائد الانشاء) التى يتسع فيها المجال على المنشئ ان السجع مبنى على الوقف وكلمات الاسجاع موضوعة على أن تكون ساكنة الاعجاز موقوفا عليها لان الغرض أن يجانس المنشئ بين القرائن ويزاوج ولا يتم له ذلك الا بالوقف اذ لو ظهر الاعراب لفات ذلك الغرض وضاق المجال على قاصده فان قافية السجعة اذا كانت فى محل نصب وأختها فى محل رفع ساوى بينهما السكون وصار الاعراب مستترا اذ لو اثبت الاعراب فى قول من قال ما أبعد ما فات وما أقرب ما هو آت للزم أن تكون التاء الاولى مفتوحة والثانية مكسورة منونة فيفوت غرض المنشئ (ومن ذلك) ان السجع مبنى على التغيير فيجوز أن يغير لفظ القافية الفاصلة لتوافق أختها فيجوز فيها حالة الازدواج ما لا يجوز فيها حالة الانفراد (فمن ذلك) الامالة فقد يكون فى الفواصل ما هو من ذوات الياء وما هو من ذوات الواو فتمال التى هى من ذوات الواو وتكتب بالياء حملا على ما هو من ذوات الياء لاجل الموافقة (كقوله تعالى) والضحى فالضحى أميلت وكتبت بالياء حملا على ما فى السورة الشريفة من ذوات الياء لاجل الموافقة (وكذلك) سورة والشمس

﴿فائدة﴾

(فائدة أخرى) اذا نبح عليك كلب وخفت منه فاقرأ يا معشر الجن والانس ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان وقل بعد ذلك لا اله الا الله فانك تكفاه

(حرف اللام)

(لغلغ) طير معروف قيل انه من طيور الفواخت ويأتي الى أرض مصر في أيام الشتاء فيأكل ما قسم الله له من الرزق ويأكل منه من له فيه رزق ثم يرحل الى بلاده

(حرف الميم)

(مالك الحزين) طير يوجد بالضحضاح غذاؤه السمك وسمي بذلك لانه قيل انه لا يشرب حتى يروى خوفا من أن ينقص الماء واذا نشف الضحضاح حزن لانه لا يستطيع العوم ونظيره دويبة بأرض فارس معروفة عندهم يقال ان غذاءها التراب فاذا أكلت لا تشبع خوفا من أن يفرغ

(حرف النون)

(نمل) قال عليه الصلاة والسلام ألا تنظرون الى صغر ما خلق الله كيف أحكم خلقه وأتقن تركيبه وفلق له السمع والبصر وسوى له العظم والبشر انظر والى النملة في صغر جثتها ولطافة هيئتها لا تكاد تنال بلحظ البصر ولا بمستدرك الفكر كيف دبت على الأرض وسعت في مناكبها وطلبت رزقها تنقل الحبة الى جحرها تجمع في حرها لبردها وفي وردها لصدرها لا يغفل عنها المنان ولا يحرمها الديان ولو فكرت في مجاري أكلها في علوها وسفلها وما في الجوف من شراسيف بطنها وما في الرأس من عينها وأذنها لقضيت من خلقها عجبا ولقيت من وصفها تعبا فتعالى الذي أقامها على قوائمها وبناها على دعائمها لم يشركه في فطرتها فاطر ولم يعنه على خلقها قادر لا اله الا هو ولا معبود سواه وقيل اذا خافت على حبها أن يعفن أخرجته الى ظهر الأرض ليجف وقيل انها تفلق الحبة نصفين خوفا من أن تنبت فتفسد الا الكزبرة فانها تفلقها أربعا لأنها من دون الحب ينبت نصفها وليس كل أرباب الفلاحة يعرف هذا فسبحان من ألهمها ذلك وقيل انها تشم رائحة الشيء من بعيد ولو وضعته على أنفك لم تجد له رائحة واذا عجزت عن حمل شيء استعانت برفقتها فيحملونه جميعا الى باب جحرها وقيل اذا انفتح باب قرية النمل فجعلت فيه زرنيخا أو كبريتا هجرتها والله أعلم

(نحل) حيوان ليس له نظر في العواقب وله معرفة بفصول السنة وأوقاتها وأوقات المطر وفي طبعه الطاعة لأميره والانقياد له ومن شأنه في تدبير معاشه انه يبني له بيتا من الشمع شكلا مسدسا لا يوجد فيه اختلاف كالقطعة الواحدة واذا طار ارتفع في الهواء وحط على الأماكن النظيفة وأكل نوار الزهر والأشياء الحلوة وشرب من الماء الصافي وأتى فأخرج ذلك فأول ما يخرج الشمع ليكون كالوعاء ثم العسل وقيل انه يقسم الأعمال فبعضه يعمل البيوت وبعضه يعمل الشمع وبعضه يعمل العسل وفي طبعه النظافة فيجعل رجيعه خارج الخلية وما مات منه أخرجه ورماه وعنده الطرب فيحب الأصوات اللذيذة وله آفات تقطعه كالظلمة والغيم والريح والمطر والدخان والنار وكذلك المؤمن له آفات تقطعه منها ظلمة الغفلة وغيم الشك وريح الفتنة ودخان الحرام ونار الهوى (فائدة) قيل مرض شخص فقال ائتوني بماء وعسل فأتوه بذلك فخلط الجميع وشربه فشفي * وروى أن شخصا شكا للنبي صلى الله عليه وسلم بطن أخيه فأمره بشرب العسل فشربه ثم جاء ثانيا فأمره بشربه ثم جاء في الثالثة فقال يا رسول الله ان بطنه لم يزل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق الله وكذب بطن أخيك اسقه عسلا فسقاه الثالثة فشفي (نادرة) قيل ان بعضهم حضر مجلس المنصور فقال بعض الحاضرين ان المراد من قوله تعالى يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس أهل البيت فانهم النحل والشراب القرآن فقال له بعض من حضر من الظرفاء جعل الله طعامك وشرابك مما يخرج من بطون بني هاشم فضحك الحاضرون عليه وأبهته (الخواص) اذا خلط العسل الخالص بمسك خالص واكتحل به نفع من نزول الماء في العين والتلطخ به يقتل القمل ولعقه علاج لعضة الكلب والمطبوخ منه نافع للمسموم (نسر) هو سيد الطيور ويعمر طويلا قيل انه يعيش ألف سنة وله قوة على الطيران حتى قيل انه يقطع من المشرق الى المغرب في يوم وجثته عظيمة حتى قيل انه يحمل أولاد الفيلة وله قوة حاسة الشم حتى قيل انه يشم رائحة الجيفة من مسيرة أربعمائة

وضحاها أميلت فيها ذوات الواو وكتبت بالياء حملا على ما فيها من ذوات الياء (ومن) ذلك حذف المفعول نحو قوله تعالى ما ودعك ربك وما قلى الاصل وما قلاك ولكن حذفت الكاف لتوافق الفواصل (ومن ذلك) صرف ما لا ينصرف كقوله تعالى قواريرا صرفه بعض القراء السبعة ليوافق فواصل السورة الشريفة ولو تتبع المتأمل ذلك في الكتاب العزيز لوجده كثيرا (ومما) جاء من ذلك في الحديث قوله صلى الله عليه وسلم أعيذه من الهامة والسامة ومن كل عين لامة الأصل عين ملمة (ومنه) قوله صلى الله عليه وسلم مأزورات غير مأجورات الأصل موزورات بالواو لانه من الوزر ولكن همز ليوافق مأجورات (ومنه) قوله صلى الله عليه وسلم دعوا الحبشة ما ودعوكم واتركوا الترك ما تركوكم الأصل ما وادعوكم ولكن حذفت الألف لتحصل الموافقة (قلت) وهذا نوع من المشاكلة لان المشاكلة في اللغة هي المماثلة وهي في المصطلح ذكر الشيء بغير لفظه لموافقة القرائن ومشاكلتها كقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها فالجزاء عن السيئة في الحقيقة غير سيئة والأصل وجزاء سيئة عقوبة (ومنه قوله تعالى) تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك والأصل تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما عندك لان الحق تعالى وتقدس لا تستعمل لفظة النفس في حقه الا أنها استعملت هنا للمماثلة والمشاكلة كما تقدم (ومنه قوله تعالى) ومكروا ومكر الله والاصل وأخذهم الله (وفي الحديث) قوله صلى الله عليه وسلم فان الله لا يمل حتى تملوا الاصل فان الله لا يقطع عنكم فضله حتى تملوا من مسئلته فوضع لا يمل موضع لا يقطع لاجل

فرخ واذا سقط على جيفة تباعدت عنها الطيور هيبة له حتى يفرغ من الاكل وعنده شره قيل انه يأكل حتى يضعف عن الحركة بحيث ان اضعف الناس لو أراد امساكه فى تلك الحالة أمسكه واذا باض ذهب وأتى بورق الدلب فجعله فى عشه خوفا من الخفاش أن يفسد بيضه وهو لا يحضن البيض وانما يبيض فى الاماكن العالية ويبقيه فى الشمس فتكون حرارتها له بمنزلة الحضن ومن طبعه انه لو شم الطيب مات وعنده الحزن على فراق الفه حتى قيل انه ليموت كمدا و يقال للانثى منه أم قشعم وفى الحديث أتانى جبريل عليه الصلاة والسلام فقال يا محمد لكل شئ سيد فسيد البشر آدم وسيد ولد آدم أنت وسيد الروم صهيب وسيد فارس سلمان وسيد الحبش بلال وسيد الطيور النسر وسيد الشهور رمضان وسيد الايام الجمعة وسيد الكلام العربى وسيد العربى القرآن وسيد القرآن سورة البقرة ﴿الخواص﴾ اذا أخذ قلب النسر وجعل فى جلد ذئب وعلق على شخص كان مهيبا عند الناس مقضى الحاجة واذا عسر على المرأة الوضع جعل تحتها من ريشه يسهل وضعها ﴿نعام﴾ يذكر ويؤنث وتسمى الانثى بام البيض والذكر بالظليم ومن عجيب أمرها انها تبيض بيضا طوالا متساوية القدر وتجعلها أثلاثا ثلثا للحضن وثلثا تأكلها فى حضنها وثلثا تكسره وتفتحه فيتعفن و يدود فيكون منه غذاء أولادها وعندها الحمق يقال انها تخرج من حضنها فتجد بيض غيرها فتحضنه وتترك بيض نفسها ﴿فائدة﴾ روى كعب الاحبار رضى الله تعالى عنه ان الله تعالى لما خلق القمح وأنزله على آدم كان على قدر بيض النعام وقال له هذا رزقك ورزق أولادك قم فاحرث وازرع قال ولم يزل الحب على ذلك مدة ثم نزل الى بيض الدجاجة ثم الحمامة ثم النبق وكان فى زمن العزيز على قدر الحمص وقيل كل حيوان اذا كسرت رجله مشى بالاخرى الا النعام فانه يبرك الى ان يموت وخلق الله تعالى له قوة الشم البليغ حتى قيل انه يشم رائحة القناص من مسيرة نصف ميل وهى لا تشرب الماء كالضب و يقال ان القناص اذا أدركها أدخلت رأسها فى شئ اما شعب أو حجر تظن أنها قد استترت منه ولها معدة قوية تقطع الحديد والصوان والجمر وفى طبعها الأذى يقال انها تخطف الحلق من أذن الصغير وقيل ان الذئب لا يتعرض لبيض النعام وأفراخه مادام الابوان حاضرين لانهما اذا رأياه ركضه الذكر الى ان يسلمه الى الانثى فتركضه الى ان تسلمه الى الذكر ولا يزالان به حتى يقتلاه أو يعجزهما هاربا وقيل أشد ما يكون عدوها اذا استقبلت الريح وتقول العرب صنفان من الحيوان أصمان لا يسمعان النعام والافاعى وسأل أبو عمرو الشيبانى بعض العرب عن الظليم هل يسمع فقال يعرف بعينيه وأنفه ولا يحتاج معهما الى سمع (نمر) حيوان أغبر وكنيته أبو الصعب وهو صنفان صنف عظيم الجثة صغير الذنب والآخر بالعكس قال الجاحظ وهو يحب الشراب وعنده شراسة فى خلقه و يقال ان أنثاه لا تدع ولدها الا مطوقا بحية ولا يضره نهشها وذلك لاجل الصياد حتى لا يظفر به واذا مرض أكل الفار فيبرأ وفى طبعه عداوة الاسد وعنده شرف فى نفسه يقال انه لا يأكل جيفة ولا يأكل من صيد غيره ولا يملك نفسه عند الغضب وأدنى وثبته عشرون ذراعا وأكثرها أربعون ﴿الخواص﴾ من حمل من جلده شيأ صار مهيبا عند الناس ومن كان به بواسير فجلس على جلده زالت بواسيره

﴿حرف الهاء﴾

﴿هدهد﴾ طير معروف وهو من رسل سليمان عليه الصلاة والسلام وعنده حدة البصر حتى قيل انه يرى الماء تحت الارض وسبب غيابه عن خدمة سليمان عليه الصلاة والسلام حين سأل عنه ولم يجده هو أن هدهدا من سبأ أخبره أن عرش بلقيس صفته كذا وكذا فذهب لينظره فدخلت الشمس من مكانه فرآها سليمان عليه الصلاة والسلام فتفقده وطلبه فلما حضر قال يا نبى الله انى رأيت كيت وكيت وقص عليه القصة و يقال انه قال لسليمان عليه الصلاة والسلام لما أراد تعذيبه يا نبى الله اذكر وقوفك بين يدى الله تعالى فارتعد سليمان من هذا الكلام وأطلقه ﴿الخواص﴾ اذا بخر البيت بريشه طرد الهوام عنه وعينه اذا علقت على صاحب النسيان ذكر ما نسيه وريشه اذا حمله انسان وخاصم غلب خصمه وقضيت حاجته وظفر بما يريد ولحمه اذا أكل مطبوخا نفع من القولنج وان بخر بمخه برج حمام لم يقربه شئ يؤذيه ومن علق عليه لحيه الاسفل أحبه الناس والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿حرف الواو﴾

﴿ورشان﴾ طير يتولد بين الحمام والفاختة وهو حسن شديد الحنو يقال انه يكاد يقتل نفسه اذا أمسك القناص أولاده من شدة حنوه قال بعضهم انه يقول فى صياحه * لدوا للموت وابنوا للخراب * والهدهد يقول

المشاكلة وهو ما وقع فيه لفظ المشاكلة أولا (ومنه قول الشاعر)

قالوا اقترح شيأ نجد لك طبخه
قلت اطبخوا الى جبة وقميصا

أراد خيطوا الى جبة وقميصا وذكره بلفظ اطبخوا لوقوعه فى صحبة طبخه انتهى (قلت) ومن غايات الانشاء البلاغة فى المقاصد والبلاغة هى أن يبلغ المتكلم بعبارته كنه مراده مع ايجاز بلا اخلال واطالة من غير املال (والفصاحة) خلوص الكلام من التعقيد وقيل البلاغة فى المعانى والفصاحة فى الالفاظ يقال معنى بليغ ولفظ فصيح والفصاحة خاصة تقع فى المفرد يقال كلمة فصيحة ولا يقال كلمة بليغة فقصاحة المفرد خلوصه من التعقيد وتنافر الحروف والفصاحة أعم من البلاغة لان الفصاحة تكون صفة الكلمة والكلام يقال كلمة فصيحة وكلام فصيح والبلاغة لا يوصف بها الا الكلام فيقال كلام بليغ ولا يقال كلمة بليغة واشتركا فى وصف المتكلم بهما فيقال متكلم فصيح بليغ (فمن الانشاء البليغ الفصيح) قول عبد الحميد عند ظهور الخراسانية بشعار السواد فاثبتوا ريثما تنجلى هذه الغمرة وتصحون من هذه السكرة فسينضب السيل وتمحى آية الليل (ومثله) قول أبى نصر العتبى دب الفشل فى تضاعيف أحشائهم وسرى الوهن فى تفاريق أعضائهم فجيوب الاقطار عنهم مزروره وذيول الخذلان عليهم مجروره (ومثله) قول الصابى نزغ به شيطانه وامتدت فى الغى أشطانه (ومثله) قول بديع الزمان كتابى الى البحر وان لم أره فقد سمعت خبره والليث وان لم ألقه فقد تصورت خلقه ومن رأى من السيف أثره فقد رأى أكثره (ومثله) قول القاضى

اذا نزل القضاء عمى البصر والفاختة تقول ليت هذا الخلق ما خلقوا وليتهم اذ خلقوا علموا لماذا خلقوا وليتهم عملوا بما علموا والخطاف يقول قدموا خيرا تجدوه عند ربكم والحمامة تقول سبحان ربى الأعلى والبازى يقول سبحان ربى وبحمده والسرطان يقول سبحان المذكور بكل لسان والدراج يقول الرحمن على العرش استوى والعقاب يقول البعد عن الناس رحمة ومن الطيور من يقرأ الفاتحة كالدرة ويمد صوته فى الضالين كالقارئ

﴿حرف الياء﴾

﴿يأجوج ومأجوج﴾ سموا بذلك لكثرتهم وقيل بل هو اسم أعجمى غير مشتق قال مقاتل هم ولد يافث ابن نوح عليه الصلاة والسلام وقول من قال ان آدم نام فاحتلم فالتصق منيه بالتراب فتولد منه هذا الحيوان مردود بعدم احتلام الانبياء عليهم الصلاة والسلام وفى الحديث يأجوج ومأجوج أمة عظيمة لا يموت أحدهم حتى يرى من صلبه ألف نسمة انتهى وهم أصناف منهم ما طوله عشرون ذراعا وما طوله ذراع وأقل وأكثر وعن على بن أبى طالب كرم الله وجهه أن لهم مخالب الطير وأنياب السباع وتداعى الحمام وتسافد البهائم ولهم شعور تقيهم الحر والبرد واذا مشوا فى الارض كان أولهم بالشام وآخرهم بخراسان يشربون مياه المشرق الى بحيرة طبرية ويمنعهم الله تعالى من دخول مكة والمدينة وبيت المقدس ويأكلون كل شئ يمرون به ومن مات منهم أكلوه ويقال ان صنفا منهم له أذنان احداهما صلدة والأخرى وبرة فهو يلتحف باحداهما ويفترش الأخرى وفى الحديث انه عليه الصلاة والسلام سئل هل بلغتهم الدعوة فقال عليه الصلاة والسلام دعوتهم ليلة أسرى بى فلم يجيبوا فهم خلق النار وفى الحديث أيضا ان الله عز وجل اذا كان يوم القيامة قال يا آدم أرسل بعث النار فيقول يا رب وما بعث النار فيقول الله تعالى من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون للنار وواحد للجنة قال فاشتد الأمر على المسلمين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبشروا فان من يأجوج ومأجوج ألفا ومنكم واحدا وفى الحديث ان رجلا جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فاخبره بالردم فقال صفه فقال يا رسول الله انطلقت الى أرض ليس لأهلها الا الحديد يعملونه فدخلت فى بيت فلما كان وقت الغروب سمعت ضجة عظيمة أفزعتنى فارتعدت منها قال فقال صاحب البيت لا بأس عليك ان هذه الضجة أصوات قوم يذهبون هذه الساعة من خلف هذا الردم أتريد أن تنظر اليه فاذا لبنه مثل الصخر ومسامير مثل جذوع النخل كله من حديد كأنه البرد المحبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره أن ينظر الى من رأى الردم فلينظر هذا الرجل قال المفسرون وهذا هو السد الذى بناه ذو القرنين وهذه الأمة خلفه تطلب المجئ الى هذه الجهة تنقبه كل يوم فيعيده الله كما كان الى أن يقضى الله أمره ثم يسلط الله عليهم بعد ذلك دودا يطلع فى حلاقيمهم فيهلكهم الله به والاخبار فى ذلك كثيرة ﴿يحمور﴾ دابة وحشية لها قرنان طويلان كأنهما منشاران تنشر بهما الشجر وقيل هو كالايل يلقى قرنيه فى كل سنة وهما صامتان وقال الجوهرى هو الحمار الوحشى ﴿نادرة﴾ قيل ترافق رجلان فى طريق فلما قربا من مدينة من المدن قال أحدهما للآخر قد صار لى عليك حق وانى رجل من الجان ولى اليك حاجة قال وما هى قال اذا وصلت الى المكان الفلانى من هذه المدينة فهناك عجوز عندها ديك فاشتره منها واذبحه فقال له الآخر وأنا أيضا لى اليك حاجة قال وما هى قال اذا ركب الجنى انسانا ما يعمل له قال تشد ابهاميه بسير من جلد اليحمور وتقطر فى أذنيه من ماء السذاب فى اليمنى أربعا وفى اليسرى ثلاثا فان الراكب له يموت ثم تفرقا ودخل الانسى ففعل ما أمره به الجنى من شراء الديك وذبحه فلم يشعر بعد أيام الا وقد أحاط به أهل صبية من تلك البلدة وقالوا له أنت ساحر ومن حين ذبحت الديك سلبت من صبية عندنا عقلها فلا نفلتك الا الى صاحب المدينة قال فقلت لهم ائتونى بسير من جلد اليحمور وقليل من ماء السذاب ودخلت على الصبية فربطت ابهاميها وقطرت ماء السذاب فى أذنيها فسمعت صوتا يقول آه علمتك على نفسى ثم مات من ساعته وشفى الله تلك الشابة

﴿فصل فى خواص الطير والحيوان على الاجمال﴾

الضب والخنزير لا يلقيان شيأ من أسنانهما أبدا وكل حيوان يعوم بالطبع الا الانسان والقرد وكل ذى عين فان أهداب عينه فى الجهة العليا فقط الا الانسان فانه من الجهتين والفرس لا طحال له والبعير لا مرارة له

الفاضل ووافينا قلامة نجم وهى نجم فى سحاب وعقاب فى عقاب وهامة لها الغمام عمامه وأنملة اذا خضبها الاصيل كان الهلال لها قلامه (قلت) ويعجبنى فى هذا الباب من انشاء الشهاب محمود قوله فى وصف مقدم سرية كشف الازرار فى مقاصده أخف من وطأة ضيف وفى مطالبه أخفى من زورة طيف وفى تنقله أسرع من سحابة صيف وأروع للعدا من سلة سيف (ومثله فى الحسن قوله) فى صدر مثال شريف سلطانى أصدرناها والسيوف قد أنفت من الغمود ونفرت من قربها والأسنة قد ظمئت الى موارد القلوب وتشوقت الى الارتواء من قلبها والحماة ما منهم الا من استظهر بامكان قوته وقوة امكانه والابطال ليس فيهم من يسأل عن عدد عدوه بل عن مكانه (ومثله فى الحسن) ما كتب به جوابا عن مولانا السلطان الملك المؤيد سقى الله ثراه الى قرا يوسف ملك العراق يتضمن خطاب الايناس نظير ما خاطب فى مكاتبته (فمن) الجواب قولى وهذه ألفة خولتنا فى نعم الله وزمام الاخوة منقاد الينا وقد تعين على القران يقول أنا يوسف وهذا أخى قد من الله علينا وقد سرتنا الاشارة الكريمة بالتمكن من أرض العدا ومطابقة الطول بالعرض وهذا الاسم قد شملته العناية قديما بقوله تعالى وكذلك مكنا ليوسف فى الأرض وأما قرا عثمان فقل سيوفنا ما غمضت عنه فى أجفانها وأنامل أسنتنا ما ذكرت تويته الا شرعت فى جس عيدانها وجوارح سهامنا ما برحت تنفض ريش أجنحتها للطيران اليه وان كان معتى ساقلا فلا بد لأجل القران نخيم عليه وينزل سلطان قهرنا بارضه ويغرس فيها عيدان

والظليم لامخ لعظمه والحيات لا ألسنة لها والسمكة لارئة لها لأنها تتنفس من كبدها وكل حيوان لا حافر له فله قرن ومالا قرن له فله حافر والحيوان المتهم باللواط القرد والخنزير والحمار والسنور والعيون التي تضيء بالليل عين الاسد والنمر والافعى والسنور والذي يدخر القوت من الحيوان الانسان والفأر والغراب والنحل والنمل والذي يحيض من الحيوان الانسان والفرس والكلاب والأرنب والضبع والخفاش ويقال أيضا الرعاد من السمك فتبارك الله أحسن الخالقين وهذا آخر ماقصدت ايراده في هذا الباب والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب

الباب الثالث والستون في ذكر نبذة من عجائب المخلوقات وصفاتهم

ذكر المسعودي في كتابه عن بعض العلماء أن الله سبحانه وتعالى خلق في الأرض قبل آدم ثمانيا وعشرين أمة على خلق مختلفة وهي أنواع منها ذوات أجنحة وكلامهم قرقعة ومنها ماله أبدان كالاسود ورؤس كالطير ولهم شعور وأذناب وكلامهم دوي ومنها ماله وجهان واحد من قبله والآخر من خلفه وأرجل كثيرة ومنها مايشبه نصف الانسان بيد ورجل وكلامهم مثل صياح الغرانيق ومنها ماوجهه كالآدمي وظهره كالسلحفاة وفي رأسه قرن وكلامهم مثل عوي الكلاب ومنها ماله شعر أبيض وذنب كالبقر ومنها ماله أنياب بارزة كالخناجر وآذان طوال ويقال ان هذه الامم تناكحت وتناسلت حتى صارت مائة وعشرين أمة ولم يخلق الله تعالى أفضل ولا أحسن ولا أجمل من الانسان وقال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه خلق الله تعالى ألف أمة وعشرين أمة منها ستمائة في البحر وأربعمائة وعشرون في البر وفي الانسان من كل خلق فلذلك سخر الله له جميع الخلق واستجمعت له جميع اللذات وعمل بيده جميع الآلات وله النطق والضحك والبكاء والفكرة والفطنة واختراعات الاشياء واستنباط جميع العلوم واستخراج المعادن وعليه وقع الامر والنهي والوعد والوعيد والنعيم والعذاب واياه خاطب وله قرب وخلق الله تعالى اسرافيل عليه السلام على صورة الانسان وهو أقرب الملائكة اليه وفي الحديث لاتضربوا الوجوه فانها على صورة اسرافيل وآيات الله تعالى في البشر أكثر من أن تحصر فتبارك الله أحسن الخالقين وقال الشيخ عبد الله صاحب كتاب تحفة الالباب دخلت الى باشقرد فرأيت قبور عاد فوجدت سن أحدهم طوله أربعة أشبار وعرضه شبران وكان عندي في باشقرد نصف ثنية أخرجت لي من فك أحدهم الأسفل فكان نصف الثنية شبرين ووزنها ألف ومائتا مثقال وكان دور فك ذلك العادي سبعة عشر ذراعا وطول عظم عضد أحدهم ثمانية أذرع وعرض كل ضلع من أضلاعهم ثلاثة أشبار كلوح الرخام قال ولقد رأيت في بلغار سنة ثلاثين وخمسمائة من نسل عاد رجلا طويلا طوله أكثر من سبعة وعشرين ذراعا كان يسمى دنقي أودنقي كان يأخذ الفرس تحت ابطه كما يأخذ الانسان الولد الصغير وكان من قوته يكسر بيده ساق الفرس ويقطع جلده وأعضاءه كما يقطع باقة البقل وكان صاحب بلغار قد اتخذ له درعا تحمل على عجلة وبيضة عادية لرأسه كأنها قطعة من جبل وكان يأخذ في يده شجرة من البلوط كالعصا ولو ضرب بها الفيل لقتله وكان خيرا متواضعا كان اذا لقيني يسلم علي ويرحب بي ويكرمني وكان رأسي لا يصل الى ركبته رحمة الله تعالى عليه ولم يكن في بلغار حمام يمكنه دخولها الاحمام واحدة وكانت له أخت على طوله ورأيتها مرات في بلغار وقال لي قاضي بلغار يعقوب بن النعمان ان هذه المرأة العادية قتلت زوجها وكان اسمه آدم وكان أقوى أهل بلغار قيل انها ضمته اليها فكسرت أضلاعه فمات من ساعته (وروى) عن وهب بن منبه في عوج بن عنق أنه كان من أحسن الناس وأجملهم الا أنه كان لا يوصف طوله قيل انه كان يخوض في الطوفان فلم يبلغ ركبتيه ويقال ان الطوفان علا على رؤس الجبال أربعين ذراعا وكان يجتاز بالمدينة فيتخطاها كما يتخطى أحدكم الجدول الصغير وعمره الله دهرا طويلا حتى أدرك موسى عليه السلام وكان جبارا في أفعاله يسير في الارض برا وبحرا ويفسد ماشاء ويقال انه لما حضر بنو اسرائيل في التيه ذهب فأتى بقطعة من جبل على قدرهم واحتملها على رأسه ليلقيها عليهم فبعث الله له طيرا في منقاره حجر مدور فوضعه على الحجر الذي على رأسه فانثقب من وسطه وانخرق في عنقه وأخبر الله عز وجل نبيه موسى عليه الصلاة والسلام بذلك فخرج اليه وضربه بعصاه فقتله ويقال ان موسى عليه الصلاة والسلام كان طوله عشرة أذرع وعصاه عشرة

اذرع

المراد وان كانت من الاسماء التي ما أنزل الله بها من سلطان ولم يهمل الا الاشتغال الدولتين بالدخول في تطهير الأرض من الخوارج وايقاع الضرب الداخل من جس العيدان في كل خارج ويدهمه من ابن أبي النصر أبناء حرب شرف في انساب الوقائع جدهم وردا الجموع الصحيحة الى التكسير فردهم واذا كثرت الحدود وتوردت بالدماء عذرت بورق الحديد الأخضر من دهم واذا امتدوا الى أمد تلا لهم حصنها في سورة الفتح قبل القتال فانهم مريدون ولهم شيخ منحه الله بكثرة الفتوح والاقبال واذا صرفوا الهمم المؤيدية لم تمكن حصونهم عند ذلك الصرف مانعه ولم يسمع لسكانها مجادلة اذا صدموا بالحديد وتلت حصونهم في الواقعة وما خفي عن كريم علمها ما جمعه الناصر من الجموع التي فرقها الله أيدي سبأ وكم سائل وقد رآهم في النازلات عن ذلك العصر بالنبأ وقد أشار منشي دولتنا الشريفة الى ذلك في قصيد كامل بحره مديد والقصد هنا من أبيات ذلك القصيد قوله

ياحامي الحرمين والاقصى ومن
لولاه لم يسمر بمكة سامر
والله ان الله حولك ناظر
هذا وما في العالمين مناظر
زحف على المخبون نظم عسكرا
وأطاعه في النظم بحر وافر
فأتيت منه زحافه في وقعة
يامن بأحوال الوقائع شاعر
وجميع هاتيك البغاة بأسرهم
دارت عليهم من سطاك دوائر
وعلى ظهور الخيل ما تواخيفه
فكان هاتيك السروج مقابر

(وما) خفي عن علمه الكريم أمر الذين نقضوا بيعتنا واشتروا الضلالة بالهدى فدعوا سيوفهم

أذرع ووقفز في الهواء عشرة أذرع وضربه فلم يصل الى عرقوبه فتبارك الله أحسن الخالقين ومن ذلك ماقيل عن أمه عنق بنت آدم عليه الصلاة والسلام وكانت مفردة بغير أخ وكانت مشوهة الخلقة لها رأسان وفي كل يد عشرة أصابع ولكل أصبع ظفران كالمنجلين وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه هي أول من بغى في الأرض وعمل الفجور وجاهر بالمعاصي واستخدم الشياطين وصرفهم في وجوه السحر وكان قد أنزل الله تعالى على آدم عليه الصلاة والسلام أسماء عظيمة تطيعه الشياطين بها وأمره أن يدفعها الى حواء لتحترز بها فغافلتها عنق وسرقتها واستخدمت بها الشياطين وتكلمت بشيء من الكهانة فدعا عليها آدم وأمنت على ذلك حواء فأرسل الله عليها أسدا أعظم من الفيل فهجم عليها وقتلها وذلك بعد ولادتها عوجا بسنتين (ومن ذلك) ماحكي عن بعض فقهاء الموصل أنه شاهد ببلاد الاكراد المحمدية في جبل من جبال الموصل انسانا طوله تسعة أذرع وهو صبي لم يبلغ الحلم وكان يأخذ بيده الرجل القوي ويرميه خلف ظهره فأراد صاحب الموصل استخدامه فقيل له في عقله خبل فتركه (وروى) عن الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه أنه قال دخلت بلدة من بلاد اليمن فرأيت بها انسانا من وسطه الى أسفله بدن واحد ومن وسطه الى أعلاه بدنان مفترقان برأسين ووجهين وأربع أيد وهما يأكلان ويشربان ويتقاتلان ويتلاطمان ويصطلحان قال ثم غبت عنهما قليلا ورجعت فقيل لي أحسن الله عزاءك في أحد الشقين فقلت وكيف صنع به فقيل ربط في أسفله حبل وثيق وترك حتى ذبل ثم قطع ورأيت الجسد الآخر بالسوق ذاهبا وراجعا (ومنه) ماأرسله بطارقة الارمن الى ناصر الدولة وهو رجلان في جسد واحد فاحضر الاطباء وسألهم عن انفصال أحدهما عن الآخر فسألوهما هل تجوعان معا وتعطشان معا قالا نعم فقالوا له لا يمكن فصلهما ويقال انه أحضر أباهما فسأله عن حالهما فاخبر أنهما يختصمان في بعض الاحيان وأنه يصلح بينهما (ومن ذلك) ماذكر أنه أهدى الى أبي منصور الساماني فرس له قرنان وثعلب له جناحان اذا قرب منه انسان نشرهما واذا بعد ألصقهما وذكر القاضي عياض رحمة الله تعالى عليه أنه ولد له مولود على أحد جنبيه مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله وهذا لا يبعد فانه يوجد كثيرا في السنور الدبركي وذكر أنه ولد بالقاهرة غلام له أربعة أرجل ومثلها أيد وذكر أنه كان لبعض ولاة مصر مملوك يدعى طفطو فولاه قوص من أعمال الصعيد فتزوج بها وولد له ولد ثم انقلب امرأة فتزوج بها وولدت ولدين وأما كبش بأربعة قرون ودجاجة بأربعة أرجل وحيوان برأسين والمخرج واحد فكثير وعجائب الله تعالى في مصنوعاته غير متناهية فلله الحمد على ماأنعم به علينا لانحصي ثناء عليه (ومن ذلك) انسان الماء وهو حيوان يشبه الآدمي وفي بعض الاوقات يطلع ببحر الشام شيخ بلحية بيضاء ويستبشر الناس برؤيته في تلك السنة بالخصب (ومن ذلك) بنات الماء وهم أمة ببحر الروم يشبهن النساء ذوات شعور وثدي وفروج وهن حسان ولهن كلام لا يفهم وضحك ولعب ولهن رجال من جنسهن ويقال ان الصيادين يصطادونهن ويجامعونهن فيجدون لذة عظيمة لا توجد في غيرهن من النساء ثم يعيدونهن في البحر ثانيا ويقال ان هذا الصنف يوجد بالبرلس ورشيد على ماذكر (وحكى) عن الشيخ أبي العباس الحجازي قال حدثني بعض التجار أنه في سنة من السنين خرجت اليه سمكة عظيمة فثقبوا أذنها وجعلوا فيها الحبال وأخرجوها ففتحت أذنها فخرجت جارية حسناء جميلة بيضاء سوداء الشعر حمراء الخدين كحلاء العينين من أحسن مايكون من النساء ومن سرتها الى نصف ساقيها شيء كالثوب يستر قبلها ودبرها ودائر عليها كالازار فأخذها الرجال الى البر فصارت تلطم وجهها وتنتف شعرها وتعض يدها وتضج كما تصيح النساء حتى ماتت في أيديهم فألقوها في البحر فتبارك الله أحسن الخالقين (وحكى) القزويني عن بعض البحريين أن الريح ألقتهم على جزيرة ذات أشجار وأنهار فأقاموا بها مدة وكانوا اذا جاء الليل يسمعون بها همهمة وأصواتا وضحكا ولعبا فخرج من المركب جماعة وكمنوا في جانب البحر فلما جاء الليل خرج بنات الماء على عادتهن فوثبوا عليهن فاخذوا منهن ثنتين فتزوج بهما شخصان فاما أحدهما فوثق بصاحبته فأطلقها فوثبت في البحر وأما الآخر فبقي مع صاحبته زمانا وهو يحرسها حتى ولدت له ولدا كأنه القمر فلما طاب الهواء وركبوا البحر وثق بها فأطلقها فاغفلته وألقت نفسها في البحر فتأسف عليها تأسفا عظيما فلما كان بعد أيام ظهرت من البحر ودنت من المركب وألقت لصاحبها صدفا فيه در وجوهر فباعه وصار

الصقيلة لما حاق بهم المكر السيئ فأجابهم الصدى ولم يكن في حرارة عزمنا الشريف عند عصيانهم البارد فترة حتى أظهرنا بألوان الشام من دمائهم على تدبيج الدروع ألوان البصرة وأخذوا سريعا بشيمان حرب ماشابت عوارضهم الا بغبار الوقائع وحكم برشدهم ولم يخرجوا من تحت حجر المعامع وقد أسبغ الله ظلال الملك وخيم به على الدولتين ولم يظهر لمحراب بهجة الا بهاتين القبلتين ولو صلت السيوف لغيرهما ماقبلت أو صرفت العوامل الى غير نحوهما ما عملت فقد فهمنا كريم الالتفات الى أن تدار كؤس الانشاء بيننا بزوجة بصافي المودة وعلمنا أنها أحكام صحيحة في شرع الاخوة ولهذه الأحكام عندنا عمدة وقد سابق القصد اليوسفي بسهام مراده الى الغرض وقضى حاجة في نفس يعقوب المحبة ليس عنها عوض ولم يبق الا اتصال شمل الاوصال بكل رسالة نسطورها في رقاع الاخوة محققه وتصديق مايقصه في كريم جوابه فان القصة اليوسفية مابرحت مصدقه والله تعالى يمتع الابصار والاسماع بمشاهدة أمثلته وطيب أخباره ويمكننا من بين أوراقها بشهي ثماره ان شاء الله تعالى انتهى مادنت قطوفه من ثمرات الأوراق وحلا في الاذواق السليمة وراق

﴿وهذا ذيل ثمرات الاوراق﴾

للامام تقي الدين بن حجة رحمه الله تعالى وهي محاضرات لا يستغنى عنها وعليها يعول فلذلك ألحقت بالاصل في الطبع وجعلت تتمة للاول

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(حكى) ان هرون الرشيد حج ماشيا وان سبب ذلك ان أخاه موسى الهادي كانت له جارية تسمى غادر وكانت أحظى الناس عنده وكانت

من التجار (ونظير هذه الحكاية) ما ذكره ابن زولاق فى تاريخه أن رجلا من الأندلس من الجزيرة الخضراء صاد جارية مثهن حسناء الوجه سوداء الشعر حمراء الخدين نجلاء العينين كأنها البدر ليلة التمام كاملة الاوصاف فأقامت عنده سنين وأحبها حبا شديدا وأولدها ولدا ذكرا وبلغ من العمر أربع سنين ثم انه أراد السفر فاستصحبها معه ووثق بها فلما توسطت البحر أخذت ولدها وألقت نفسها فى البحر فكاد أن يلقى نفسه خلفها حسرة عليها فلم يمكنه أهل المركب من ذلك فلما كان بعد ثلاثة أيام ظهرت له وألقت له صدفا كثيرا فيه درثم سلمت عليه وتركته فكان ذلك آخر العهد بها فتبارك الله ما أكثر عجائب خلقه وما لم نشاهده ونسمع به أكثر فسبحان القادر على كل شئ لا اله الا هو ولا معبود سواه فالعاقل يعرف الجائز والمستحيل ويعلم أن كل مقدور بالاضافة الى قدرة الله تعالى قليل واذا سمع عجيبا جائزا استحسنه ولم يكذب قائله والجاهل اذا سمع ما لم يشاهده قطع بتكذيب قائله وتزييف ناقله وذلك لقلة عقله وقد وصف الله تعالى الجاهل بعدم العقل بقوله تعالى أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون وقد أودع الله تعالى من عجائب المصنوعات فى الآفاق والسموات ما يدل عليه قوله تعالى وكأين من آية فى السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون فلا تكن منكر العجائب ففى كل الاشياء من آياته

فيا عجبا كيف يعصى الالـه ... أم كيف يجحده الجاحد

وفى كل شئ له آية ... تدل على أنه الواحد

ومن شاهد حجر المغناطيس وجذبه للحديد وكذلك حجر الماس الذى يعجز عن كسره الحديد ويكسره الرصاص ويثقب الياقوت والفولاذ ولا يقدر على ثقب الرصاص يعلم أن الذى أودع هذا السر قادر على كل شئ فلا تكن مكذبا بما لا تعلم وجه حكمته فان الله تعالى قال بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله قال صاحب تحفة الالباب ان فى بلاد السودان أمة لا رؤس لهم وقد ذكرهم الشعبى فى كتاب سير الملوك وذكر أن فى بلاد المغرب أمة من ولد آدم كلهم نساء ولا يعيش فى أرضهم ذكر وأن هؤلاء النساء يدخلن فى ماء عندهن فيحبلن من ذلك الماء وتلد كل امرأة منهن بنتا ولا يلدن ذكرا أبدا وقيل ان ولد تبع اليمانى وصل اليهم لما أراد أن يصل الى الظلمات التى دخلها ذو القرنين وأن ولد تبع هذا كان اسمه افريقش وهو الذى بنى افريقية وسماها باسمه وانه وصل الى وادى السبت وهو واد يجرى فيه الرمل كما يجرى السيل لا يمكن أن يدخل فيه حيوان الا هلك فلما رآه استعجل الرجوع وذو القرنين لما وصل اليه أقام الى يوم السبت فسكن جريانه فعبره الى أن وصل الى الظلمات فيما يقال والله سبحانه وتعالى أعلم وتلك الامة التى لا رؤس لهم أعينهم فى مناكبهم وأفواههم فى صدورهم وهم كثيرون كالبهائم يتناسلون ولا مضرة على أحد منهم * وأما الملك العظيم والعدل الكثير والنعم الجزيلة والسياسة الحسنة والرخاء والامن الذى لا خوف معه ففى بلاد الهند وبلاد الصين وأهل الهند أعلم الناس بعلم الطب وعلم النجوم والهندسة والصناعات العجيبة التى لا يقدر أحد سواهم على أمثالها وفى بلادهم وجزائرهم ينبت العود وشجر الكافور وجميع أنواع الطيب كالقرنفل والسنبل والدارصينى والكبابة والبسباسة وأنواع العقاقير والأدوية وعندهم حيوان المسك وهو حيوان كالغزال يجتمع المسك فى سرته وعندهم حيوان الزباد وهو حيوان كالسنور يخرج منه عرق كالقطران أسود ثخين يسيل من جسده وتزيد رائحته بالتعرب بحيث تكون أذكى من المسك الاذفر ويخرج من بلادهم أنواع اليواقيت وأكثرها فى جزيرة سرنديب وعلى جبلها نزل آدم عليه الصلاة والسلام من الجنة فيما يقال (وحكى) انه كان ببابل سبع مدائن كل مدينة فيها أعجوبة كان فى احداها تمثال الأرض فاذا التوى على الملك بعض أهل مملكته وامتنعوا عن القيام بالخراج خرق أنهارها عليهم فى التمثال فلا يطيق أهل تلك الناحية سد الماء حتى يعتذروا وما لم يسد فى التمثال لا يسد فى ذلك البلد وفى الثانية حوض اذا أراد الملك أن يجمعهم لطعامه أتى كل واحد بما أحب من الشراب فصبه فى ذلك الحوض فاختلطت الاشربة فكل من سقى من ذلك الحوض كان شرابه الذى جاء به وفى الثالثة طبل اذا أرادوا أن يعلموا حال الغائب عن أهله قرعوه فان كان حيا سمع له صوت وان كان ميتا لم يسمع له صوت وفى الرابعة مرآة اذا أرادوا أن يعلموا حال الغائب نظروا فيها فأبصروه على أى حالة هو عليها كأنهم يشاهدونه وفى الخامسة أوزة من نحاس فاذا دخل فيها الغريب صوتت

من أحسن النساء وجها وغناء فغنت يوما وهو مع جلسائه على الشراب اذ عرض له سهو وفكر وتغير لونه وقطع الشراب فقال الجلساء ما شأنك يا أمير المؤمنين قال قد وقع فى قلبى ان جاريتى غادر يتزوجها أخى هرون بعدى فقالوا يطيل الله بقاء أمير المؤمنين وكلنا فداؤه فقال ما يزيل هذا ما فى نفسى وأمر باحضار هرون وعرفه ما خطر بباله فاستعطفه وتكلم بما ينبغى أن يتكلم به فى تطييب نفسه فلم يقنع بذلك وقال لابد أن تحلف لى قال أفعل وحلف له بكل يمين يحلف بها الناس من طلاق وعتاق وحج وصدقة وأشياء مؤكدة فسكن ثم قام فدخل على الجارية فأحلفها بمثل ذلك ولم يلبث الاشهرا ثم مات فلما أفضت الخلافة الى هرون أرسل الى الجارية يخطبها فقالت يا سيدى كيف بايمانك وأيمانى فقال احلف بكل شئ حلفت به من الصدقة والعتق وغيرهما الا تزوجتك فتزوجها وحج ماشيا ليمينه وشغف بها أكثر من أخيه حتى كانت تنام فيهجع رأسها فى حجره ولا يتحرك حتى تنتبه فبينما هى ذات ليلة نائمة اذ انتبهت فزعة فقال لها مالك قالت رأيت أخاك فى المنام الساعة وهو يقول

اخلفت وعدك بعدما ... جاورت سكان المقابر

ونسيتنى وحنثت فى ... أيمانك الكذب الفواجر

فظللت فى أهل البلا ... د وغدوت فى الحور الغرائر

ونكحت غادرة أخى ... صدق الذى سماك غادر

لا يهنك الالف الجديـ ... ـد ولا تدر عنك الدوائر

ولحقت بى قبل الصبا ... ح وصرت حيث غدوت صائر

والله يا أمير المؤمنين فكأنها

الاوزة صوتا يسمعه أهل المدينة وفى السادسة قاضيان جالسان على الماء فيأتى الخصمان فيمشى المحق على الماء حتى يجلس مع القاضيين ويقع المبطل فى الماء وفى السابعة شجرة ضخمة لا تظل الا ساقها فان جلس تحتها أحد أظلته الى ألف شخص فاذا زادوا على الالف واحدا جلسوا فى الشمس كلهم ولو بسطت المقال فى ذلك لاتسع المجال وقد اقتصرت فى ذلك على ما ذكرت والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب وصلى الله على سيدنا محمد النبى الامى وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب الرابع والستون فى خلق الجان وصفاتهم﴾

روى عن الشيخ عبد الله صاحب تحفة الالباب أنه قال قرأت فى بعض الكتب المتقدمة المأثورة عن العلماء رحمهم الله تعالى ان الله تعالى لما أراد أن يخلق الجان خلق نار السموم وخلق من مارجها خلقا سماه جانا كما قال الله تعالى والجان خلقناه من قبل من نار السموم وقال الله تعالى فى موضع آخر وخلق الجان من مارج من نار وقيل ان الله تعالى خلق الملائكة من نور النار والجان من لهبها والشياطين من دخانها وقد جاء فى بعض الاخبار ان نوعا من الجن فى قديم الزمان قبل خلق آدم عليه الصلاة والسلام كانوا سكانا فى الارض قد طبقوها برا وبحرا سهلا وجبلا وكان فيهم الملك والنبوة والدين والشريعة وكانوا يطيرون الى السماء ويسلمون على الملائكة ويستعلمون منهم خبر ما فى السماء وكثرت نعم الله عليهم الى ان بغوا وطغوا وتركوا وصايا أنبيائهم فارسل الله تعالى عليهم جندا من الملائكة فحصل بينهم مقتلة عظيمة وغلبوا الجن وطردوهم الى أطراف البحار وأسروا منهم أمما كثيرة وذكر المسعودى أن الفرس واليونان قالوا كان الجن بالارض قبائل منهم من يسترق السمع ومنهم من ينط مع لهب النار ومنهم من يطير ولكل قبيلة ملك وكان من جملتهم ابليس لعنه الله ثم بعد خمسة آلاف سنة افترقوا وملكوا عليهم ملوكا وأقاموا على ذلك مدة طويلة ثم تحاسدوا على الملك وأغار بعضهم على بعض وجرت بينهم وقائع وحروب وكان ابليس لعنه الله يصعد الى السماء ويختلط بالملائكة فبعثه الله تعالى بجيوش من الملائكة فهزم الجن وقتلهم وملك الارض مدة طويلة الى أن خلق آدم عليه الصلاة والسلام واتفق له معه ما اتفق وأهبط آدم الى الارض وعظم شأنه فعند ذلك انتقل ابليس الى البحر المحيط وسكن هناك ثم ألقى عليه قوة شهوة السفاد فهو لا يلد لكنه يلقح كالطير ويبيض ويفرخ قيل انه يخرج من كل بيضة ستون ألف شيطان فيسلطهم على الخلق وأقربهم اليه وأدناهم منه ومن مجلسه أكثرهم ايذاء للخلق وفى الحديث ان ابليس لعنه الله قال يارب أنزلتنى الى الارض وطردتنى وجعلتنى رجيما فاجعل لى مسكنا قال مسكنك الاسواق قال فاجعل لى طعاما قال مالم يذكر اسمى عليه قال فاجعل لى شرابا قال كل مسكر قال فاجعل لى مؤذنا قال المزامير قال فاجعل لى صيدا أو قال مصايد قال النساء

﴿فصل فى مكايده لعنه الله﴾ (منها) أنه كان فى بنى اسرائيل عابد يدعى برصيصا وله جار له بنت فحصل لها مرض فقال له جيرانه لو حملتها الى جارك برصيصا ليدعو لها قال فجاء ابليس الى العابد وقال ان لجارك عليك حق الجوار وان له بنتا مريضة فما ضرك لو جعلتها عندك فى جانب البيت ودعوت الله لها عقب عبادتك فعسى أن تشفى من مرضها قال فلما أتاه جاره بالبنت قال له العابد دعها وانصرف قال فتركها عنده مدة حتى شفيت فجاء له ابليس ووسوس له حتى وطئها فحملت منه فلما حملت جاء له ابليس لعنه الله فقال له اقتلها لئلا تفتضح قال فقتلها ودفنها قال فعند ذلك ذهب الشيطان الى أهلها وأعلمهم بذلك فجاؤا الى العابد وكشفوا عن قضيته ثم أخذوه ومضوا ليقتلوه فعارضه ابليس اللعين فى الطريق فقال له ان سجدت لى خلصتك منهم فسجد له فعند ذلك تبرأ منه ومات الرجل كافرا اللهم اعصمنا من مكايد الشيطان برحمتك يا أرحم الراحمين (ومن ذلك) ما اتفق أن بنى اسرائيل اتخذوا شجرة وكانوا يعبدونها فجاء بعض عبادهم بفاس ليقطعها فعارضه ابليس لعنه الله وقال له تركت عبادتك وجئت لشىء لا يعود عليك نفعه ولم يزل به حتى تقاتل معه فصرعه العابد وجلس على صدره ثم رجع ولم يزل يعمل معه ذلك فى كل يوم الى ثلاثة أيام فلما رآه لا يرجع قال له اترك قطعها وأنا أجعل لك فى كل يوم دينارين تستعين بهما على نفقتك وعبادتك وعاهده على ذلك فرجع قال فجعل له تحت وسادته دينارين ثم دينارين ثم دينارين ثم قطع ذلك عنه فاخذ العابد الفاس وذهب الى قطع الشجرة فعارضه ابليس فى الطريق وتحاور معه وتجاذبا فصرعه ابليس وجلس على صدره وقال له ان لم ترجع عن قطعها والا

مكتوبة فى قلبى ما نسيت منها كلمة فقال الرشيد هذه أضغاث أحلام فقالت كلا والله ما أملك نفسى وما زالت ترتعد حتى ماتت بعد ساعة (وحكى) ابن أبى حجلة فى كتابه سلوك السنن الى وصف السكن أخبرنى شمس الدين محمد بن فراج الحسينى أخبرنا شيخنا أثير الدين أبو حيان أنبأنا فتح الدين بن الدمياطية قال رأيت فى المنام شيخا حسن الصورة والمشية وعليه مضروجة وكانا نمشى فى طريق وأنا راكب دابة فقلت له رافقنى فقال ليس الماشى برفيق الراكب فقلت اركب أنت وأمشى أنا فقال المسئلة بحالها ثم أفضنا فى الحديث فسألنى ما صنعتك فقلت كاتب فقال كاتب احسان أو كاتب انشاء فقلت شىء من هذا وشىء من هذا فقال ما يدعى دعواك عبد الرحيم ولا عبد الحميد ثم قال هل تنظم الشعر قلت نعم قال أنشدنى وكنت قد عملت قصيدا حجازيا وكنت أستجيده فأنشدته الى أن بلغت قولى

تركوا ماء النيل ماء سلسلا
وترشفوا ماء الثماد مكدرا

فقال لى لا شىء فقلت لم قلت ذلك وما عيب هذا البيت فقال لو قلت صافيا لكان حسنا وكان طباقا لان الكدر يقابله الصافى قلت له هذا حسن فمن أنت يرحمك الله قال أبو مرة قلت لا خير ولا مير قال بك ثم بعد ذلك بشهر رأيته فى المنام على الهيئة المتقدمة فسلم على سلام من يعرفنى ثم قال هل تعرف من الشعر المشوم شيئا قلت نعم قال فانشدنى وكنت قد عملت قطعة شعر حال ضعفى بالنزلة فانشدته اياها

لله ما أشكوه من نزلة
قد ضرنى بها ضيق أنفاسى
ومن صداع ضقت ذرعا به
يأتيك ديمته على راسى

ذبحتك فقال له العابد خل عنى وأخبرنى كيف غلبتنى فقال له لما غضبت لله غلبتنى ولما غضبت لنفسك غلبتك *ومنها أشياء كثيرة ليس هذا محل استيفائها قال الله تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أولياء من دونى وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا

فصل فى المتشيطنة وهم أنواع كثيرة

*منها الولهان يوجد فى جزائر البحار على صورة الانسان (حكى) بعض المسافرين أنه عرض لمركب وهو راكب على نعامة يريد أخذ المركب وصاح بهم صيحة عظيمة خروا منها على وجوههم وأخذ بعض من فى المركب ومنها السعلاة يحكى أن صنفا منها يتزيا بزى النساء ويتراءى للرجال (وحكى) أن بعضهم تزوج امرأة منهن وهو لا يعلم فأقامت معه مدة وولدت منه أولادا ذكورا وأناثا فلما كانت ذات ليلة صعدت معه السطح فنظرت فرأت نارا من بعد عند الجبانة فاضطربت وقالت ألم تر نيران السعالى وتغير لونها وقالت بنوك وبناتك أوصيك بهم خيرا ثم طارت ولم تعد اليه *ومنها نوع يقال له المذهب يخدم العباد ومقصوده بذلك أن يعجبوا بأنفسهم (حكى) أن بعض العباد نزل صومعة يتعبد فيها فأتاه شخص بسراج وطعام فتعجب العابد من ذلك فقال له شخص بالصومعة انه المذهب يريد أن يخيل لك أن ذلك من كرامتى والله انى لاعلم انه شيطان وقال بعض الصوفية المذهب أصناف منهم من يحمل الفانوس بين يدى الشيخ ومنهم من يأتيه بالطعام والشراب وغير ذلك ومنهم من ينشد الشعر *وقال بعض المسافرين أبق لى غلام فخرجت فى أثره فاذا أنا بأربعة يتناشدون شعر الفرزدق وجرير قال فدنوت منهم وسلمت عليهم فقالوا ألك حاجة قلت لا فقال بعضهم تريد غلامك قلت وما أعلمك بغلامى قال كعلمى بجهلك قلت أوجاهل أنا قال نعم وأحمق قال ثم غاب وأتانى بالغلام مقيدا فلما رأيته غشى على فلما أفقت قال انفخ فى يده ففعلت فانفرج القيد عنه وصرت لا أنفخ فى شئ من ذلك ولا فى وجع من الاوجاع الا برئ وخلص صاحبه * ومنها نوع يقال له العفريت يختطف النساء يقال ان رجلا اختطفت ابنته فى زمن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه (وقال) بعض المسافرين بينما نحن سائرون ذات ليلة اذ عرض لى قضاء الحاجة فانفردت عن رفقتى وضللت عنهم فبينما أنا سائر فى أثرهم اذ رأيت نارا عظيمة وخيمة فجئت الى جانبها واذا أنا بجارية جميلة جالسة فيها فسألتها عن حالها فقالت أنا من فزارة اختطفنى عفريت يقال له ظليم وجعلنى ههنا فهو يغيب عنى بالليل ويأتينى بالنهار فقلت لها امضى معى فقالت أهلك أنا وأنت فانه يتبعنا ويأتينا فيأخذنى ويقتلك فقلت لا يستطيع أخذك ولا قتلى ومازلت أرددها الحديث حتى رضيت فأنخت لها ناقتى فركبتها وسرت بها حتى طلع الفجر فالتفت فاذا أنا بشخص عظيم مهول قد أقبل ورجلاه تخطان فى الارض فقالت هاهو قد أتانا فأنخت ناقتى وخططت حولها خطا وقرأت آيات من القرآن وتعوذت بالله العظيم فتقدم وأنشأ يقول

ياذا الذى للحين يدعوه القدر * خل عن الحسناء رسلا ثم سر * وان تكن ذا خبرة فينا اصطبر

قال فاجبته

ياذا الذى للحين يدعوه الحمق * خل عن الحسناء رسلا وانطلق * ما أنت فى الجن بأول من عشق

قال فتبدى لى فى صورة أسد وجاذبنى وجاذبته ساعة فلم يظفر أحد منا بصاحبه فلما أيس منى قال هل لك فى جز ناصيتى أو احدى ثلاث خصال قلت وما هن قال مائتان من الابل أو أخدمك أيام حياتى أو ألف دينار الساعة وخل بينى وبين الجارية فقلت لا أبيع دينى بدنياى ولا حاجة لى بخدمتك فاذهب من حيث أتيت قال فانطلق وهو يتكلم بكلام لا أفهمه وسرت بالجارية الى أهلها وتزوجت بها وجاءنى منها أولاد * وقيل لما سخر الله تعالى الجن لسليمان عليه الصلاة والسلام نادى جبريل عليه السلام أيها الجن والشياطين أجيبوا نبى الله سليمان ابن داود باذن الله تعالى قال فخرجت الجن والشياطين من الجبال والكهوف والغيران والاودية والفلوات والآجام وهم يقولون لبيك لبيك والملائكة تسوقهم سوق الراعى للغنم حتى حشرت بين يدى سليمان عليه الصلاة والسلام طائعة ذليلة وكانوا اذ ذاك أربعا وعشرين فرقة فنظر الى ألوانها فاذا هى سود وشقر ورقط وبيض وصفر وخضر وعلى صور جميع الحيوانات ومنهم من رأسه رأس الاسد وبدنه بدن الفيل ومنهم من له خرطوم وذنب ومنهم من له قرون وحوافر وغير ذلك من الانواع قال فعند ذلك تعجب نبى الله سليمان عليه

فقال هذا والله الشعر ثم قال أضف اليهما

فاعجب الى داءين قد عززا * بثالث من داء افلاس

(وحكى) فى مرآة الزمان وغيرها فى ترجمة شمس الدين توران شاه ابن أيوب أخى السلطان صلاح الدين قال محمد بن على الحكيم الأديب رأيت شمس الدولة بعد موته قد حته بأبيات فلف كفنه ورمى به الى وقال

لا تستقلن معروفا سمحت به * ميتا فأمسيت منه عارى البدن

ولا تظنن جودا شأنه بخل * من بعد بذلى ملك الشام واليمن

انى خرجت من الدنيا وليس معى * من كل ما ملكت كفى سوى الكفن

(حكى) انه كان ببغداد شخص يعرف بأبى القاسم الطنبورى صاحب نوادر وحكايات وله مداس له مدة سنين كلما انقطع منه موضع جعل عليه رقعة الى أن صار فى غاية الثقل وصار يضرب به المثل فيقال أثقل من مداس أبى القاسم الطنبورى فاتفق أنه دخل سوق الزجاج فقال له سمسار يا أبا القاسم قد وصل تاجر من حلب ومعه حمل زجاج مذهب قد كسد فابتعه منه وأنا أبيعه لك بعد مدة بكسب المثل مثلين فابتاعه بستين دينارا ثم دخل سوق العطارين فقال سمسار آخر قد ورد تاجر من نصيبين بماورد فى غاية الحسن والرخص ابتعه منه وأنا أبيعه لك بفائدة كثيرة فابتاعه بستين دينارا أخرى ثم جعله فى الزجاج المذهب ووضعه على رف فى صدر البيت ثم دخل الحمام يغلس فقال له بعض أصدقائه يا أبا القاسم أشتهى أن تغير مداسك فانه فى غاية الوحاشة وأنت ذو مال فقال السمع والطاعة ولما خرج من الحمام ولبس ثيابه وجد الى جانب مداسه

الصلاة والسلام من هذه الاشكال وسجد شكرا لله تعالى وقال الهى ألبسنى هيبة من عندك وجعل يسألهم عن طباعهم وعن طعامهم وشرابهم وهم يجيبونه ثم فرقهم فى الصنائع من قطع الصخور والأحجار والأشجار والغوص فى البحار وأبنية الحصون وفى استخراج المعادن والجواهر قال الله تعالى هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب ونكتفى من ذلك بهذا القدر اليسير والله المسؤل فى تيسير كل عسير وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب الخامس والستون فى ذكر البحار وما فيها من العجائب وذكر الانهار والآبار وفيه فصول﴾

﴿الفصل الاول فى ذكر البحار﴾ روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه قال لما أراد الله تعالى أن يخلق الماء خلق ياقوتة خضراء لا يعلم طولها وعرضها الا الله سبحانه وتعالى ثم نظر اليها بعين الهيبة فذابت وصارت ماء فاضطرب الماء فخلق الريح ووضع عليها الماء ثم خلق العرش ووضعه على متن الماء وعليه قوله تعالى وكان عرشه على الماء ﴿واعلم﴾ أن بحر الظلمات لا يدخله شمس ولا قروان بحر الهند خليج منه وبحر اللاذقية خليج منه وبحر الصين خليج منه وبحر الروم خليج منه وبحر فارس خليج منه وكل هذه البحار التى ذكرتها أصلها من البحر الاسود الذى يقال له البحر المحيط وأما بحر الخزر وبحر خوارزم وبحر أرمينية والبحر الذى عند مدينة النحاس وغير ذلك من البحار الصغار فهى منقطعة عن البحر الاسود ولذلك ليس فيها جزر ولا مد وقيل سئل النبى صلى الله عليه وسلم عن الجزر والمد فقال هو ملك عال قائم بين البحرين ان وضع رجله فى البحر حصل له المد واذا رفعها حصل له الجزر وقيل انما سمى البحر الاسود لان ماءه فى رأى العين كالحبر الاسود فان أخذ منه الانسان فى يده شيأ رآه أبيض صافيا الا أنه أمر من الصبر مالح شديد الملوحة فاذا صار ذلك الماء فى بحر الروم تراه أخضر كالزنجار والله تعالى يعلم لاى شئ ذلك وكذلك يرى فى بحر الهند خليج أحمر كالدم او بحر أصفر كالذهب وخليج أبيض كاللبن تتغير هذه الالوان فى هذه المواضع والماء فى نفسه أبيض صاف وقيل ان تغير الماء بلون الارض (وأما) ما يخرج من البحر من السمك وغيره فقد روى عن جابر ابن عبد الله رضى الله تعالى عنهما قال بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ساحل البحر وأمر علينا أبا عبيدة رضى الله تعالى عنه نتلقى عير قريش وزودنا جرابا من تمر لم يجد لنا غيره فكان أبو عبيدة يعطينا تمرة تمرة نمصها ثم نشرب عليها الماء فتكفينا يومنا الى الليل فاشرفنا على ساحل البحر فرأينا شيأ كهيئة الكثيب الضخم فاتيناه فاذا هو دابة من دواب البحر تدعى العنبر فاقمنا شهرا نأكل منها ونحن ثلثمائة حتى سمنا ولقد رأيتنا نغترف من الدهن الذى فى وقب عينيها بالقلال ونقطع منه القطعة كالثور ولقد أخذ منها أبو عبيدة ثلاثة عشر رجلا فاقعدهم فى وقب عينها وأخذ ضلعا من أضلاعها فاقامها ثم رحل أعظم بعير معنا فمر من تحتها وتزودنا من لحمها فلما قدمنا المدينة ذكرنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك فقال هو رزق أخرجه الله لكم فهل معكم شئ من لحمها فتطعمونا فارسلنا اليه منه فاكله وقيل يخرج من البحر سمكة عظيمة فتتبعها سمكة أخرى أعظم منها لتأكلها فتهرب منها الى مجمع البحرين فتتبعها فيضيق عليها مجمع البحرين لعظمها وكبرها فترجع الى البحر الاسود وعرض مجمع البحرين مائة فرسخ فتبارك الله رب العالمين (وقال) صاحب تحفة الالباب ركبت فى سفينة مع جماعة فدخلنا الى مجمع البحرين فخرجت سمكة عظيمة مثل الجبل العظيم فصاحت صيحة عظيمة لم أسمع قط أهول منها ولا أقوى فكاد قلبى ينخلع وسقطت على وجهى أنا وغيرى ثم ألقت السمكة نفسها فى البحر فاضطرب البحر اضطرابا شديدا وعظمت أمواجه وخفنا الغرق فنجانا الله تعالى بفضله وسمعت الملاحين يقولون هذه سمكة تعرف بالبغل قال ورأيت فى البحر سمكة كالجبل العظيم ومن رأسها الى ذنبها عظام سود كاسنان المنشار كل عظم أطول من ذراعين وكان بيننا وبينها فى البحر أكثر من فرسخ فسمعت الملاحين يقولون هذه السمكة تعرف بالمنشار اذا صادفت أسفل السفينة قصمتها نصفين ولقد سمعت أنا من يقول ان جماعة ركبوا سفينة فى البحر فارسوا على جزيرة فخرجوا الى تلك الجزيرة فغسلوا ثيابهم واستراحوا ثم أوقدوا نارا ليطبخوا فتحركت الجزيرة وطلبت البحر واذا بها سمكة فسبحان القادر على كل شئ لا اله الا هو ولا معبود سواه وقيل ان فى البحر سمكة تعرف بالمنارة لطولها يقال انها تخرج من البحر الى جانب السفينة فتلقى نفسها عليها فتحطمها وتهلك من فيها فاذا أحس بها أهل السفينة صاحوا وكبروا

مداسا جديدا فلبسه ومضى الى بيته وكان القاضى دخل الحمام يغتسل ففقد مداسه فقال الذى لبس مداسى ما ترك عوضه شيأ فوجدوا مداس أبى القاسم فانه معروف فكبسوا بيته فوجدوا مداس القاضى عنده فاخذ منه وضرب أبو القاسم وحبس وغرم جملة مال حتى خرج من الحبس فاخذ المداس والقاه فى الدجلة فغاص فى الماء فرمى بعض الصيادين شبكته فطلع فيها المداس فقال هذا مداس أبى القاسم والظاهر أنه سقط منه فحمله الى بيت أبى القاسم فلم يجده فرماه من الطاق الى بيته فسقط على الرف الذى عليه الزجاج فتبدد ماء الورد وانكسر الزجاج فلما رأى أبو القاسم ذلك لطم على وجهه وصاح وافقراه أفقرنى هذا المداس ثم قام يحفر له فى الليل حفرة فسمع الجيران حس الحفرة فظنوا أنه نقب فشكوه الى الوالى فارسل اليه من اعتقله وقال له تنقب على الناس حائطهم امحبوه ففعلوا فلم يخرج من السجن الى أن غرم جملة مال فاخذ المداس ورماه فى مستراح الخان فسد قصبة المستراح وفاض فكشف الصناع ذلك حتى وقفوا على موضع السد فوجدوا مداس أبى القاسم فحملوه الى الوالى وحكوا له ما وقع فقال غرموه المصروف جملة فقال ما بقيت أفارق هذا المداس وغسله وجعله على السطح حتى يجف فرآه كلب ظنه رمة فحمله وعبر به الى سطح آخر فسقط على امرأة حامل فارتجفت وأسقطت ولدا ذكرا فنظروا ما السبب فاذا مداس أبى القاسم فرفع الى الحاكم فقال يجب عليه غرة فابتاع لهم غلاما وخرج وقد افتقر ولم يبق معه شئ فأخذ المداس وجاء به الى القاضى وحكى له جميع ما اتفق له فيه وقال أشتهى أن يكتب مولانا القاضى بينى وبين

وضجوا وضربوا الطبول ونقروا الطسوت والسطول والاخشاب لانها اذا سمعت تلك الاصوات ربما صرفها الله تعالى عنهم بفضله ورحمته (وقال) الشيخ عبد الله صاحب تحفة الالباب كنت يوما فى البحر على صخرة فاذا انا بذنب حية صفراء منقطة بسواد طولها مقدار باع فطلبت أن تقبض على رجلى فتباعدت عنها فاخرجت رأسها كانه رأس أرنب من تحت تلك الصخرة فسللت خنجرا كبيرا كان معى فطعنت به رأسها فغار فيه فلم أقدر على خلاصه منها فامسكت نصابه بيدى جميعا وجعلت أجره حتى ألصقتها بباب الجحر فتركت الجحر وخرجت من تحت الصخرة فاذا هى خمس حيات فى رأس واحد فتعجبت من ذلك وسألت من كان هناك عن اسم هذه الحية فقال هذه تعرف بام الحيات وذكروا أنها تقبض على الآدمى فى الماء فتمسكه حتى يموت وتأكله وأنها تعظم حتى تكون كل حية أكثر من عشرين ذراعا وانها تقلب الزوارق وتأكل من قدرت عليه من أصحابها وأن جلدها أرق من جلد البصل ولا يؤثر فيها الحديد شيأ قال ورأيت مرة فى البحر صخرة عليها شئ كثير من النارنج الأحمر الطرى الذى كأنه قطع من شجره فقلت فى نفسى هذا قد وقع من بعض السفن فذهبت اليه فقبضت منه نارنجة فاذا هى ملتصقة بالحجر فجذبتها فاذا هى حيوان يتحرك و يضرب فى يدى فلففت يدى بكم ثوبى وقبضت عليه وعصرته فخرج من فيه مياه كثيرة وضمر فلم أقدر أن أقلعه من مكانه فتركته عجزا عنه وهو من عجائب خلق الله تعالى وليس له عين ولا جارحة الا الفم والله سبحانه وتعالى أعلم لأى شئ يصلح ذلك * قال ولقد رأيت يوما على جانب البحر عنقود عنب أسود كبير الحب أخضر العرجون كأنما قطف من كرمه فاخذته وكان ذلك فى أيام الشتاء وليس فى تلك الأرض التى كنت فيها عنب فرمت أن آكل منه فقبضت على حبة منه وجذبتها فلم أقدر أن أقلعها من العنقود حتى كأنها من الحديد قوة وصلابة فجذبتها جذبة أقوى من الأولى فانقشرت قشرة من تلك الحبة كقشر العنب وفى داخلها عجم كعجم العنب فسألت عن ذلك فقيل لى هذا من عنب البحر ورائحته كرائحة السمك وفى البحر أيضا حيوان رأسه يشبه رأس العجل وله أنياب كانياب السباع وجلده له شعر كشعر العجل وله عنق وصدر و بطن وله رجلان كرجلى الضفدع وليس له يدان يعرف بالسمك اليهودى وذلك أنه اذا غابت الشمس ليلة السبت يخرج من البحر ويلقى نفسه فى البر ولا يتحرك ولا يأكل ولو قتل ولا يدخل البحر حتى تغيب الشمس ليلة الأحد فحينئذ يدخل البحر ولا تلحقه السفن لخفته وقوته وجلده يتخذ منه نعل لصاحب النقرس فلا يجد له ألما مادام ذلك الجلد عليه وهو من العجائب وقيل ان فى بحر الروم سمكا طويلا طول السمكة مائة ذراع وأكثر وله أنياب كأنياب الفيل تؤخذ وتباع فى بلاد الروم وتحمل الى سائر البلاد وهى أحسن وأقوى من أنياب الفيل واذا شق الناب منها يظهر فيه نقوش عجيبة و يسمونه الجوهر ويتخذون منه نصبا للسكاكين وهو مع قوته وحسن لونه ثقيل الوزن كالرصاص وفى البحر أيضا سمك يسمى الرعاد اذا دخل فى شبكة فكل من جر تلك الشبكة أو وضع يده عليها أو على حبل من حبالها تأخذه الرعدة حتى لا يملك من نفسه شيأ كما يرعد صاحب الحمى فاذا رفع يده زالت عنه الرعدة فان أعادها عادت اليه الرعدة وهذا أيضا من العجائب فسبحان الله جلت قدرته وقال صاحب تحفة الألباب حدثنى الشيخ أبو العباس الحجازى قال حدثنى رجل يعرف بالهمارونى من ولد هرون الرشيد أنه ركب سفينة فى بحر الهند فرأى طاوسا قد خرج من البحر أحسن من طاوس البر وأجمل ألوانا قال فكبرنا لحسنه فجعل يسبح و ينظر لنفسه و ينشر أجنحته و ينظر الى ذنبه ساعة ثم غاص فى البحر وفى البحر دابة يقال لها الدرفين تنجى الغريق لانها تدنو منه حتى يضع يده على ظهرها فيستعين بالاتكاء عليها و يتعلق بها فتسبح به حتى ينجيه الله بقدرته فسبحان من دبر هذا التدبير اللطيف وأحكم هذه الحكمة البالغة وزعموا ان السمك يحب نحو الغناء والصوت الحسن و يصبو لسماعه وربما قيل ان بعض الصيادين يحفرون فى البحر حفائر ثم يجلسون فيضربون بالمعازف وآلات الطرب فيجتمع السمك ويقع فى تلك الحفائر وقيل ان الدرفين وأنواع السمك اذا سمعت صوت الرعد هربت الى قعر البحر وقيل ان خيل البحر توجد بنيل مصر وهى صفة خيل البر وقيل انها تأكل التماسيح وربما خرجت فرعت الزرع واذا رأى أهل مصر أثر حوافرها حكموا ان ماء النيل ينتهى فى طلوعه الى ذلك المكان وقيل ان فى البحر المحيط شيأ يتراءى كالحصون فيرتفع على وجه الماء ويظهر منه صور كثيرة ويغيب ومن عجيب ما حكى ان فيه جزيرة فيها ثلاث مدن عامرة وهى كثيرة الامطار وأهلها يحصدون زرعها قبل جفافه لقلة طلوع الشمس عندهم

ويجعلونه

هذا المداس مبارأة بأنه ليس منى ولست منه وانى برىء منه ومهما فعله يؤاخذ به و يلزمه فقد أقرنى فضحك القاضى ووصله بشئ ومضى انتهى

* هذه قصيدة ليزيد بن معاوية وهى عزيزة الوجود *

وسرب كعين الديك ميل الى الصبا
روائع بالحادى سود المدامع

سمعن غناء بعد ما عن نومة
من الليل عللهن فوق المضاجع

أيا دهر هل شرخ الشبيبة راجع
مع الخفرات البيض أو غير راجع

قنعت بزور من خيال بعثته
وكنت بوصل منهم غير قانع

اذا رمت من ليلى على البعد نظرة
لتطفى جوى بين الحشا والاضالع

تقول رجال الحى تطمع ان ترى
لليلى وصالا من بدء المطامع

وكيف ترى ليلى بعين ترى بها
سواها وما طهرتها بالمدامع

أجلك يا ليلى عن العين انما
أراك بقلب خاضع لك خاشع

وما سر ليلى ما حييت بذائع
وما عهد ليلى ان تناءت بضائع

* ومن غريب * ما يحكى أن عاتكة بنت يزيد بن معاوية ابن أبى سفيان والدة يزيد بن عبد الملك بن مروان حرمت على اثنى عشر من الخلفاء من بنى أمية معاوية جدها ويزيد أبوها ومروان أبو زوجها والوليد وسليمان وهشام بنو عبد الملك أولاد زوجها والوليد بن يزيد ابن ابنها ويزيد بن الوليد ابن زوجها وابراهيم بن مروان بن الوليد ابن زوجها أيضا ويزيد بن عبد الملك ابنها ومعاوية بن يزيد بن معاوية أخوها وزوجها عبد الملك بن مروان ولم يتفق ذلك لامرأة غيرها انتهى * وجد بخط قاضى القضاة شهاب الدين أحمد بن حجر حافظ العصر * قال وجد بخط

ويجعلونه فى بيت ويوقدون حوله النيران حتى يجف وعجائبه لا تحصى ولا يمكن حصرها ويقال ان الاسكندر لما سار الى بحر الظلمات مر بجزيرة بها أمة رؤسهم مثل رؤس الكلاب يخرج من أفواههم مثل لهب النار وخرجوا الى مراكبه وحاربوه ثم تخلص منهم وسار فرأى صورا متلونة بألوان شتى ومنها ما طوله مائة ذراع وأكثر وأقل فسبحان الله تعالى ما أكثر عجائب خلقه ويقال انه مر فى بعض الجزائر على قصر مصنوع من البلور على قلعة محكمة البناء وحولها قناديل لا تطفأ ومن جزائر البحر جزيرة القمر يقال ان بها شجرا طول الشجرة مائتا ذراع ودور ساقها مائة وعشرون ذراعا وبها طوائف من السودان عرايا الأبدان يلتحفون بورق الشجر وهو ورق يشبه ورق الموز لكنه أسمك وأعرض وأنعم ويقال ان هذه الجزيرة بالقرب من نيل مصر وان هذه الأمة التى بها يتمذهبون بمذهب الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه وهم فى غاية اللطافة من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وبالقرب منهم معدن الذهب والياقوت وبها الفيلة البيض وحيوانات مختلفة الاشكال من الوحوش وغيرها وبها العود القمارى والآبنوس والطواويس وبها مدن كثيرة ومنها جزيرة الواق خلف جبل يقال له اصطفيون داخل البحر الجنوبى ويقال ان هذه الجزيرة كانت ملكتها امرأة وان بعض المسافرين وصل اليها ودخلها ورأى هذه الملكة وهى جالسة على سرير وعلى رأسها تاج من ذهب وحولها أربعمائة وصيفة كلهن أبكار وفى هذه الجزيرة من العجائب شجر يشبه شجر الجوز وخيار الشنبر ويحمل حملا كهيئة الانسان فاذا انتهى سمع له تصويت يفهم منه واق واق ثم يسقط وهذه الجزيرة كثيرة الذهب حتى قيل ان سلاسل خيلهم ومقاود كلابهم وأطواقها من الذهب ومنها جزيرة الصين يقال ان بها ثلثمائة مدينة ونيفا سوى القرى والاطراف وأبوابها اثنا عشر بابا وهى جبال فى البحر بين كل جبلين فرجة وهذه الجبال تمر بها المراكب مسيرة سبعة أيام واذا جاوزت السفينة الأبواب سارت فى ماء عذب حتى تصل الى الموضع الذى تريده وفيها من الأودية والأشجار والأنهار ما لا يمكن وصفه فتبارك الله رب العالمين وقيل ان الاسكندر لما فرغ من بناء سده حمد الله وأثنى عليه ثم نام واذا بحيوان عظيم صعد من البحر الى أن علا وسد الأفق فظن من حول الملك انه يريد ابتلاعهم ففزعوا فانتبه فقال ما لكم فقالوا له انظر ما حل بنا فقال ما كان الله ليأخذ نفسا قبل انقضاء أجلها وقد منعنى من العدو ولا يسلط على حيوانا من البحر قال فاذا بالحيوان قد دنا من الملك وقال أيها الملك أنا حيوان من هذا البحر وقد رأيت هذا السد بنى وخرب سبع مرات ولم يزد على ذلك ثم غاب فى البحر فتبارك من له هذا الملك العظيم لا اله الا هو العزيز الحكيم وقيل ان بجزيرة النسناس باليمن مدينة بين جبلين وليس لها ماء يدخل فيها الا من المطر وطولها نحو ستة فراسخ وهى حصينة ذات كروم ونخيل وأشجار وغير ذلك واذا أراد انسان الدخول فيها حثى فى وجهه التراب فان أبى الا الدخول خنق أو صرع وقيل انها معمورة بالجان وقيل بخلق من النسناس ويقال انهم من بقايا عاد الذين أهلكهم الله بالريح العقيم وكل واحد منهم شق انسان ونقل عن بعض المسافرين أنه قال بينما نحن سائرون اذ أقبل علينا الليل فبتنا بواد فلما أصبح الصباح سمعنا قائلا يقول من الشجرة يا أبا بحير الصبح قد أسفر والليل قد أدبر والقناص قد حضر فالحذر الحذر قال فلما ارتفع النهار أرسلنا كلبين كانا معنا نحو الشجرة فسمعت صوتا يقول ناشدتك قال فقلت لرفيقى دعهما قال فلما وتقاما نزلا هاربين فتبعهما الكلبان ووجدا فى الجرى فامسكا شخصا منهما قال فادركناه وهو يقول

الويل لى مما به دهانى * دهرى من الهموم والاحزان

قفا قليلا أيها الكلبان * الى متى الى متى تجريان

قال فأخذناه ورجعنا فذبحه رفيقى وسواه فعفته ولم آكل منه شيأ فتبارك الله ما أكثر عجائب خلقه لا اله الا هو ولا معبود سواه

(الفصل الثانى فى ذكر الانهار والآبار والعيون) قال الله تعالى ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع فى الأرض قال المفسرون هو المطر ومعنى سلكه أدخله فى الأرض وجعله عيونا ومسايل ومجارى كالعروق فى الجسد فمن الأنهار ما هو من الأمطار المجتمعة ولهذا ينقطع عند فراغ مادته ومنها ما ينبع من الأرض وأطول ما يكون من الأنهار ألف فرسخ وأقصره عشرة فراسخ الى اثنين وثلاثة وبين ذلك وكلها

الشيخ شهاب الدين أحمد بن يحيى بن أبى حجلة التلمسانى قال أنشدنى القاضى فخر الدين عبد الوهاب المصرى لنفسه فى الاهرام سنة خمس وخمسين وسبعمائة وأجاد * أمبانى الاهرام كم من واعظ
صدع القلوب ولم يفه بلسانه
أذكرتنى قولا تقادم عهده
أين الذى الهرمان من بنيانه
هن الجبال الشامخات تكاد أن
تمتد فوق الافق عن كيوانه
لو أن كسرى جالس فى سفحها
لأجل مجلسه على ايوانه
ثبتت على حر الزمان وبرده
مددا ولم تأسف على حدثانه
والشمس فى احراقها والريح عند
هبوبها والسيل فى جريانه
هل عابد قد خصها بعبادة
فبانى الاهرام من أوثانه
أو قائل يقضى برجعة نفسه
من بعد فرقته الى جثمانه
فاختارها للكنوز ولجسمه
قبرا ليأمن من أذى طوفانه
أو أنها للسائرات مراصد
يختار راصدها أعز مكانه
أو أنها وضعت بيوت كواكب
أحكام فرس الدهر أو يونانه
أو أنهم نقشوا على حيطانها
علما يحار الفكر فى تبيانه
فى قلب رائيها العلم نقشها
فكر يعض عليه طرف بنانه
(يحكى) أن القاضى أبا الحسن على ابن عبد العزيز الجرجانى كان يمر على الناس ولا يسلم عليهم فلامه بعض أصحابه فى ذلك فقال
يقولون لى فيك انقباض وانما
رأوا رجلا عن موقف الذل أحجما
أرى الناس من داناهم هان عندهم
ومن أكرمته عزة النفس أكرما
وانى اذا ما فاتنى الأمر لم أكن
أقلب كفى اثره متندما
ولم أقض حق العلم ان كان كلما
بدا مطمع صيرته لى سلما

تبتدئ من الجبال وتنتهي الى البحار والبطائح وفي ممرها تسقى المدن والقرى وما فضل منها ينصب في البحر الملح ويختلط به ولا يمكن استيفاء عددها لكنا نشير الى بعضها فنقول ﴿النيل المبارك﴾ ليس في الأنهار أطول منه لانه مسيرة شهرين في بلاد الاسلام وشهرين في بلاد النوبة وأربعة في الخراب وقيل ان مسافته من منبعه الى أن ينصب في البحر الرومي ألف وسبعمائة فرسخ وثمانية وأربعون فرسخا قال ذلك صاحب مباهج الفكر ومناهج العبر * واختلف في زيادته فقيل ان الأنهار والعيون تمده في الوقت الذي يريده الله تعالى وفي الحديث انه من أنهار الجنة وقال أهل الاثر ان الانهار التي من الجنة تخرج من أصل واحد من قبة في أرض الذهب ثم تمر بالبحر المحيط وتشق فيه قالوا ولولا ذلك لكانت أحلى من العسل وأطيب رائحة من الكافور ﴿نهر الفرات﴾ يوجد بأرض أرمينية فضائله كثيرة والنيل أصدق حلاوة منه وبه من السمك الأبيض ما تكون الواحدة قنطارا بالدمشقي وطول هذا النهر من حين يخرج من عند ملطية الى أن يأتي الى بغداد ستمائة وثلاثون فرسخا وفي وسطه مدن وجزائر تعد من أعمال الفرات ﴿جيحون﴾ نهر عظيم تتصل به أنهار كثيرة ويمر على مدن كثيرة حتى يصل الى خوارزم ولا ينتفع به شيء من البلاد سوى خوارزم لأنها متسفلة عنه ثم ينصب في بحيرة بينها وبين خوارزم ستة أيام وهو يجمد في الشتاء خمسة أشهر والماء يجري من تحت الجمد فيحفر أهل خوارزم منه لهم أماكن ليستقوا منها واذا اشتد جموده مروا عليه بالقوافل والجمال المحملة ولا يبقى بينه وبين الأرض فرق ويعلوه التراب ويبقى على ذلك شهرين ﴿سيحون﴾ نهر عظيم قيل ان مبدأه من حدود الترك ويجري حتى يتصل ببلاد الفرغانة وربما يجتمع مع جيحون في بعض الأماكن ﴿الدجلة﴾ نهر بغداد وله أسماء غير ذلك وماؤه أعذب المياه بعد النيل وأكثرها نفعا قيل مقداره ثلثمائة فرسخ وفي بعض الأوقات يفيض حتى قيل انه يخشى على بغداد الغرق منه وهو نهر مبارك كثيرا ما يخوغريقه ﴿حكى﴾ انه وجد به غريق فيه الروح فلما أفاق سألوه عن حاله فاخبرهم أنه لما غلب على نفسه رأى كأن أحدا يحمله ويصعد به وروى في الأثر أن الله تعالى أمر دانيال عليه الصلاة والسلام أن يحفر لعباده ما يستقون منه وينتفعون به فكان كلما مر بأرض ناشده أهلها أن يحفر ذلك عندهم الى أن حفر دجلة والفرات * وأما الانهار الصغار فكثيرة ولكنا نذكر منها طرفا فنقول ﴿نهر حصن المهدى﴾ قال صاحب تحفة الالباب انه بين البصرة والاهواز وأنه يرتفع منه في بعض الاوقات شيء يشبه صورة الفيل ولا يعرف أحد شأنه ﴿نهر أذربيجان﴾ قيل ان بالقرب منه نهرا يجري فيه الماء سنة ثم ينقطع ثمان سنين ثم يعود في التاسعة وقيل انه ينعقد حجرا ويستعمل منه اللبن ويبنى به وقيل ان في تلك الأرض بحيرة تجف فلا يوجد فيها ماء ولا سمك ولا طين سبع سنين ثم يعود الماء والسمك والطين فتبارك الله الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير ﴿نهر صقلاب﴾ يجري فيه الماء يوما واحدا في كل أسبوع ثم ينقطع ستة أيام ﴿نهر العاصي﴾ بأرض حماة وقيل بحمص وهو نهر معروف وفيه يقول بعضهم

مدينة حمص كعبة القصف أصبحت * يطوف بها الداني ويسعى لها القاصي
بها روضة من حسنها سندسية * تعلق في أكناف أذيالها العاصي

﴿نهر العمود﴾ بأرض الهند عليه شجرة نابتة من حديد وقيل من نحاس وتحتها عمود من نحاس وقيل من حديد طوله من فوق الماء نحو عشرة أذرع وعرضه ذراع وعلى رأسه ثلاث شعب مسنونة محدودة وعنده رجل يقرأ كتاب الله تعالى ويقول يا عظيم البركة طوبى لمن صعد هذه الشجرة وألقى بنفسه على هذا العمود فيدخل الجنة وقال أهل تلك الناحية من يريد ذلك فيصعد على تلك الشجرة ويلقي نفسه فيتقطع (نهر باليمن) قال صاحب تحفة الالباب انه عند طلوع الشمس يجري من المشرق الى المغرب وعند غروبها يجري من المغرب الى المشرق (نهر ببلاد الحبشة والسودان) يجري الى المشرق يشبه النيل في زيادته ونقصانه وأرضه بها الخصب والبركة وبها شجر كالاراك يحمل ثمرا كالبطيخ داخله شيء يشبه القند في الحلاوة ولكن فيه بعض حموضة وهذا النهر يجري في بلادهم ثمانية أشهر ثم ينصب في البحر المحيط فسبحان من دبر هذا التدبير وأحكم هذه الصنعة لا اله الا هو الحكيم الخبير

﴿الفصل الثاني في ذكر الآبار﴾ قال مجاهد كنت أحب أن أرى كل شيء غريب فسمعت أن ببابل بئر هاروت

وما كل برق لاح لي يستفزني
ولا كل من في الارض أرضاه منعما
اذا قيل هذا منهل قلت قد أرى
ولكن نفس الحر تحتمل الظما
انهنهها عن بعض ما لا يشينها
مخافة أقوال العدا فيم أولما
ولم ابتذل في خدمة العلم مهجتي
لاخدم من لاقيت لكن لاخدما
أأشقى به غرسا وأجنيه ذلة
اذا فاتباع الجهل قد كان أحزما
ولو أن أهل العلم صانوه صانهم
ولو عظموه في النفوس لعظما
ولكن أهانوه فهان ودنسوا
محياه بالاطماع حتى تجهما

قال شيخ الاسلام تاج الدين عبد الوهاب ابن شيخ الاسلام تقي الدين السبكي الشافعي سقى الله عهده لقد صدق هذا القائل لو عظموا العلم عظمهم قال وأنا أقرأ قوله لعظم بفتح العين فان العلم اذا عظم تعظم وهو في نفسه عظيم ولكن أهانوه فهانوا ولكن الرواية فهان وعظم بضم العين والأحسن ما أشرت اليه انتهى (قال) الشيخ الامام العالم العلامة تاج الدين عبد الوهاب ابن السبكي في أجوبته عن الاعتراضات التي على جمع الجوامع ومن ظريف ما يستفاد قول أبي نواس

أباح العراقي النبيذ وشربه
وقال حرامان المدامة والسكر
وقال الحجازي الشرابان واحد
فحلت لنا من بين قوليهما الخمر
سآخذ من قوليهما طرفيهما
وأشربها لا فارق الوازر الوزر

وقد سألني الأديب صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي رحمه الله عن معنى هذه الأبيات ومعناها أن العراقي وهو أبو حنيفة رحمه الله أباح النبيذ وحرم المدامة وهي الخمر أسكرت أم لم تسكر وحرم أيضا المسكر من كل شيء وأن الحجازي وهو الشافعي رحمه الله قال الشرابان

وماروت

وماروت فسرت اليها فلما وصلت الى ذلك المكان وجدت عنده بيوتا فدخلت فى بعضها فوجدت شخصا فسلمت عليه فرحب بى وسألنى عن حاجتى فذكرت له غرضى فامر يهوديا يذهب معى فيوقفنى على البئر ويطلعنى على الملكين قال فسرنا الى البئر ففتح سردابا ونزلنا فامرنى أن لا أذكر اسم الله تعالى قال فلما رأيت الملكين رأيت شيأ كالجبلين العظيمين منكسين على رؤسهما وعليهما الحديد من أعناقهما الى ركبهما قال مجاهد فلما رأيت ذلك ذكرت الله تعالى قال فاضطربا اضطرابا شديدا حتى كادا يقطعان السلاسل قال ففر اليهودى فتعلقت به فقال أما أمرتك أن لا تذكر اسم الله تعالى كدنا والله نهلك ﴿بئر برهوت﴾ بقرب حضرموت وهى التى قال النبى صلى الله عليه وسلم انها تجمع أرواح الكفار قال على كرم الله وجهه أبغض البقاع الى الله تعالى بئر برهوت ماؤها أسود منتن تأوى اليها أرواح الكفار والموكل بها ملك يسمى دومة ﴿بئر عسفان﴾ ماؤها يستشفى به قيل ان النبى صلى الله عليه وسلم تفل فيها قالت أسماء بنت أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنهما كنا نغسل المريض منها فيعافى وقيل ان النبى صلى الله عليه وسلم توضأ منها ﴿بئر معروفة بارض حلب﴾ خاصيتها أنها اذا شرب منها المكلوب زال كلبه مالم يجاوز الاربعين وبنيسابور آبار كثيرة وهى معادن الفيروزج وانما يمنع الناس عنها كثرة عقاربها * وبارض فارس بئر ينبع منها ماء فى وقت من السنة فيرتفع على وجه الأرض لحة واحدة ويجرى فينتفع به فى سقى الزرع ثم يعود الى ما كان وعجائب الله كثيرة لا تكاد تحصر لا اله الا هو ولا معبود سواه

﴿الباب السادس والستون فى ذكر عجائب الأرض ومافيها من الجبال والبلدان وغرائب البنيان وفيه فصول﴾

﴿الفصل الأول فى ذكر الأرض ومافيها من العمران والخراب﴾ روى وهب بن منبه رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ان لله تعالى ثمانية عشر ألف عالم الدنيا منها عالم واحد وما العمران فى الخراب الا كخردلة فى كف أحدكم وقال رواة الأثر ان لله عزوجل دابة فى مرج من مروجه فى غامض علمه رزقها فى كل يوم بقدر رزق العالم بأسره وجميع مدائن الدنيا أربعة آلاف مدينة وخمسمائة وست وخمسون مدينة وقيل غير ذلك * وأقاليم الأرض سبعة الاقليم الأول الهند الثانى الحجاز الثالث اقليم مصر الرابع اقليم بابل الخامس اقليم الروم والشام السادس اقليم الترك السابع اقليم الصين وأوسط الأقاليم اقليم بابل وهو أعمرها وفيه جزيرة العرب وفيه العراق الذى هو سرة الدنيا وبغداد فى وسط هذا الأقليم فلاعتداله اعتدلت ألوان أهله فسلموا من شقرة الروم وسواد الحبشة وغلظ الترك وجفاء أهل الجبال ودمامة أهل الصين * والممالك المشهورة التى ضبطت عدتها فى زمن المأمون ثلثمائة وثلاث وأربعون مملكة أوسعها ثلاثة أشهر وأضيقها ثلاثة أيام وقال أهل الهيئة انه يكون عند خط الاستواء ربيعان وصيفان وخريفان وشتاآن فى سنة واحدة وانه يكون فى بعض البلاد ستة أشهر ليل وستة أشهر نهار وبعضها حر وبعضها برد فسبحان من خلق كل شئ فأتقنه لا اله الا هو ولا معبود سواه

﴿الفصل الثانى فى ذكر الجبال﴾ قيل ان الله تعالى لما خلق الارض ماجت واضطربت فخلق الجبال وأرساها بها فاستقرت ومجموع ما عرف بالاقاليم السبعة من الجبال مائة وثمانية وتسعون جبلا فمنها ما طوله عشرون فرسخا ومنها ما طوله مائة فرسخ الى ألف فرسخ ولنذكر منها ما هو مشهور معروف بين الناس (فمن أعجبها جبل سرنديب) وطوله مائتان ونيف وستون ميلا وفيه أثر قدم آدم عليه الصلاة والسلام حين أهبط وحوله الياقوت وفى أوديته الماس الذى يقطع به الصخور ويثقب به اللؤلؤ وفيه العود والفلفل ودابة المسك ودابة الزباد (جبل الروم) الذى فيه السد طوله سبعمائة فرسخ وينتهى الى بحر الظلمات (جبل أبى قبيس) سمى بذلك لأن آدم عليه الصلاة والسلام كان به بذلك حين اقتبس منه النار التى بين أيدى الناس وقيل غير ذلك (جبل القدس) جبل شريف مبارك فيه غار يضئ بالليل من غير سراج ويزوره الناس (جبل أروند بهمدان) برأسه عين تخرج من صخرة أياما معدودة فى السنة تقصد من كل وجه يستشفى بها (جبل بالشأم) لونه أسود كالفحم وترابه أبيض تبيض به الثياب (جبل الأندلس) فيه غار اذا دهنت فتيلة وأدخلتها فيه أوقدت وبها جبل به عينان احداهما باردة والأخرى حارة والمسافة التى بينهما مقدار شبر وجبل

واحد فأخذ أبو نواس بالموجب فكأنه قال انهما واحد ولكن فى الحل لا فى الحرمة واليه الاشارة بقوله فحل لنا من بين قوليهما الخمر ثم هذا انما ذكره أبو نواس على عادة الشعراء فى الكيس والظرافة ولا يقصد حقيقته فانه لا يقول به أحد ولعله أشار بقوله سآخذ من قوليهما طرفيهما الى آخره انه لا يعتقده بل هو شاعر يقول ولا يفعل كذلك لا يعتقد فهو على مازعم يشربها وان لم يعتقد الحل اذ كيف يعتقد مالم يقله مسلم وكيف يمكن أن يقال انه يعتقد الحل وقد قال لا فارق الوازر الوزر فهذا ان شاء الله معنى هذه الابيات وهى على كل حال من كلمات الشعراء التى لا يحتج بها فى دين الله تعالى (اعتل) ذو الرياستين الفضل بن سهل بخراسان مدة طويلة ثم أبل واستقبل وجلس للناس فدخلوا اليه وهنؤه بالعافية فانصت لهم حتى انقضى كلامهم ثم اندفع فقال ان فى العلل لنعما لا ينبغى للعقلاء أن يجهلوها منها تمحيص الذنوب وثواب الصبر وايقاظ من الغفلة واذكار بالنعمة فى حال الصحة واستدعاء للتوبة وحض على الصدقة ورضاء بقضاء الله وقدره فانصرف الناس بكلامه ونسوا ما قاله غيره اﻫ (حكى) عن ابن المبارك أنه قال حججت الى بيت الله الحرام فبينما أنا فى الطواف اذ عييت فجلست أستريح ووضعت رأسى على ركبتى فغلبنى النوم فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم وهو يقول يا ابن المبارك اذا أنت قضيت حجك وحللت عقدك ورجعت الى أرض العراق ودخلت دار السلام فاقصد المحلة التى بها بهرام المجوسى فاذا لقيته فاخبره أن النبى العربى محمدا صلى الله عليه وسلم

به معدن الكبريت والزئبق والزنجفر (جبل سمرقند) يقطر منه ماء فى الصيف يصير جلمدا وفى الشتاء يحرق من حرارته (جبل الصور) بكرمان يكسر حجره فيخرج منه كصور الآدميين قائمين وقاعدين ومضطجعين واذا سحق وطرح فى الماء يرى كذلك (جبل الارجان) بطبرستان يقطر منه ماء كل قطرة تصير حجرا مسدسا أو مثمنا (جبل هرمز) ينزل منه ماء الى وهدة فان صاح انسان صيحة وقف فان ثنى جرى (جبل الطير) باقليم الصعيد يجتمع عنده الطير فى كل سنة مرة ويدخل فى كوة هناك فتمسك الكوة على واحدة وتطير البقية ويكون ذلك علامة الخصب فى تلك السنة ولنقتصر على ذلك ومن أراد الوقوف على جميعها فعليه بتاريخ مرآة الزمان

❊ الفصل الثالث فى ذكر المبانى العظيمة وغرائبها وعجائبها ❊ قال أهل التواريخ ونقلة الأخبار ان أول بناء بنى على وجه الأرض الصرح الذى بناه نمرود الأكبر بن كوش بن حام بن نوح عليه الصلاة والسلام وبقعته بكوثى من أرض بابل وبه الى عصرنا أثر ذلك البناء كأنه جبال شاهقات قالوا وكان طوله خمسة آلاف ذراع بناه بالحجارة والرصاص والشمع واللبان ليمتنع هو وقومه من طوفان ثان فاخرب الله تعالى ذلك الصرح فى ليلة واحدة بصيحة فتبلبلت بها ألسنة الناس فسميت أرض بابل (ارم ذات العماد) التى لم يخلق مثلها فى البلاد (حكى) الشعبى فى كتاب سير الملوك أن شداد بن عاد ملك جميع الدنيا وكان قومه قوم عاد الأولى زادهم الله بسطة فى الأجسام وقوة حتى قالوا من أشد منا قوة قال الله تعالى أولم يروا أن الله الذى خلقهم هو أشد منهم قوة وأن الله تعالى بعث اليهم هودا نبيا عليه الصلاة والسلام فدعاهم الى الله تعالى فقال له شداد ان آمنت بالهك فماذا لى عنده قال يعطيك فى الآخرة جنة مبنية من ذهب ويواقيت ولؤلؤ وجميع أنواع الجواهر قال شداد أنا أبنى مثل هذه الجنة ولا أحتاج الى ما تعدنى به قال فأمر شداد ألف أمير من جبابرة قوم عاد أن يخرجوا ويطلبوا أرضا واسعة كثيرة الماء طيبة الهواء بعيدة من الجبال ليبنى فيها مدينة من ذهب قال فخرج أولئك الأمراء ومع كل أمير ألف رجل من خدمه وحشمه فساروا فى الأرض حتى وصلوا الى جبل عدن فرأوا هناك أرضا واسعة طيبة الهواء فأعجبتهم تلك الأرض فأمروا المهندسين والبنائين فخطوا مدينة مربعة الجانب دورها أربعون فرسخا من كل جهة عشرة فحفروا الأساس الى الماء وبنوا الجدران بحجارة الجزع اليمانى حتى ظهر على وجه الأرض ثم أحاطوا به سورا ارتفاعه خمسمائة ذراع وغشوه بصفائح الفضة المموهة بالذهب فلا يكاد يدركه البصر اذا أشرقت الشمس وكان شداد قد بعث الى جميع معادن الدنيا فاستخرج منها الذهب واتخذه لبنا ولم يترك فى يد أحد من الناس فى جميع الدنيا شيأ من الذهب الا غصبه واستخرج الكنوز المدفونة ثم بنى داخل المدينة مائة ألف قصر بعدد رؤساء مملكته كل قصر على عمد من أنواع الزبرجد واليواقيت معقودة بالذهب طول كل عمود مائة ذراع وأجرى فى وسطها أنهارا وعمل منها جداول لتلك القصور والمنازل وجعل حصاها من الذهب والجواهر واليواقيت وحلى قصورها بصفائح الذهب والفضة وجعل على حافات الأنهار أنواع الأشجار جذوعها من الذهب وأوراقها وثمرها من أنواع الزبرجد واليواقيت واللآلى وطلى حيطانها بالمسك والعنبر وجعل فيها جنة مزخرفة له وجعل أشجارها الزمرذ واليواقيت وسائر أنواع المعادن ونصب عليها أنواع الطيور المسموعة الصادح والمغرد وغير ذلك ثم بنى حول المدينة مائة ألف منارة برسم الحراس الذين يحرسون المدينة فلما كمل بناؤها أمر فى مشارق الأرض ومغاربها أن يتخذوا فى البلاد بسطا وستورا وفرشا من أنواع الحرير لتلك القصور والغرف وأمر باتخاذ أوانى الذهب والفضة فاتخذوا جميع ما أمر به فلما فرغوا من ذلك جميعه خرج شداد من حضرموت فى أهل مملكته وقصد مدينة ارم ذات العماد فلما أشرف عليها ورآها قال قد وصلت الى ما كان هود يعدنى به بعد الموت وقد حصلت عليه فى الدنيا فلما أراد دخولها أمر الله تعالى ملكا فصاح بهم صيحة الغضب وقبض ملك الموت أرواحهم فى طرفة عين فخروا على وجوههم صرعى قال الله تعالى وانه أهلك عادا الأولى وذلك قبل هلاك عاد بالريح العقيم وأخفى الله تعالى تلك المدينة عن أعين الناس فكانوا يرون بالليل فى تلك البرية التى بنيت فيها معادن الذهب والفضة واليواقيت تضئ كالمصابيح فاذا وصلوا اليها لم يجدوا هناك شيأ ❊ وقد نقل أن رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال له عبد الله بن قلابة الانصارى دخل اليها وذلك أنه ضلت له ابل فخرج فى طلبها فوصل اليها فلما

تسلم عليك وهو يقول لك أبشر فان قصرك فى الجنة غدا من أقرب القصور الى قصرى قال عبد الله فانتبهت لذلك فزعا مرعوبا وتفكرت ساعة فغلبنى النوم ثانيا فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم أيضا يقول يا ابن المبارك لا تشك فى منامك فهو حق والشيطان لا يتمثل بصورتى قط فاذا قضيت حجك وحللت عقدك وانصرفت الى العراق فاطلب هذا المجوسى بهرام وبشره بما قلت لك فانتبهت أيضا فزعا مرعوبا واستعذت بالله واستغفرته وتفكرت ساعة فغلبنى النوم فنمت فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم ثالث مرة وهو يقول يا ابن المبارك أنا محمد رسول الله فلا ترتبك فى ذلك وامتثل أمرى فهو حق فقلت يا رسول الله أريد لذلك علامة ألقاه بها فاخذ رسول الله كفى بيمينه ثم قال يا ابن المبارك هذا المجوسى شيخ زمن قد أتى عليه مائة وأربعون سنة وقد ضعف بصره وثقل سمعه وابيض شعره ودق عظمه ويبس عصبه وجلده فاذا أتيته وسلمت عليه وبشرته بما قلت لك وطلب منك علامة فامسح بيدك هذه التى أخذتها بيمينى على رأسه ومر بها على وجهه وسائر جسده وبدنه فانه يعود شابا ويرجع اليه بصره وسمعه ويسود شعره ويطرى جسده ويقوى عصبه وتعود اليه قوته فانتبهت وأنا كالولهان فلما أن قضيت حجى وحللت عقدى وانصرفت الى العراق ودخلت بغداد سألت عن دار المجوسى فقلت يا غلام استأذن لى على مولاك فقال الغلام أغريب أنت قلت أجل قال ادخل ليس هنا من يحجبك قال فدخلت الى دار لم أر مثلها واذا بمكتبة ومجوس وصبيان فى قعود وهم يقتضون

رآها دهش وبهت ورأى ما أذهله وحيره وقال فى نفسه هذه تشبه الجنة التى وعد الله بها عباده المتقين فى الآخرة فقصد بابا من أبوابها فلما وصل اليه أناخ راحلته ودخل المدينة فرأى تلك القصور والأنهار والأشجار ولم ير فى المدينة أحدا فقال أرجع الى معاوية وأخبره بهذه المدينة وما فيها ثم حمل معه شيأ من تلك الجواهر واليواقيت فى وعاء وجعله على راحلته وعلم على المدينة علامة وقال قربها من جبل عدن كذا ومن الجهة الفلانية كذا ثم انصرف عنها بعد ما ظفر بابله ثم دخل على معاوية رضى الله تعالى عنه بدمشق وأخبره بجميع ما رآه فقال له معاوية فى اليقظة رأيتها أم فى المنام قال بل فى اليقظة وقد حملت معى من حصبائها وأخرج له شيأ مما حمله من الجواهر واليواقيت فتعجب معاوية من ذلك ثم أرسل الى كعب الأحبار رضى الله تعالى عنه فلما دخل عليه قال له معاوية يا أبا اسحق هل بلغك ان فى الدنيا مدينة من ذهب قال نعم يا أمير المؤمنين وقد ذكرها الله عز وجل فى القرآن لنبيه صلى الله عليه وسلم بقوله عز من قائل ألم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد التى لم يخلق مثلها فى البلاد وقد أخفاها الله تعالى عن أعين الناس وسيدخلها رجل من هذه الأمة يقال له عبد الله بن قلابة الانصارى ثم التفت فرأى عبد الله بن قلابة فقال ها هو يا أمير المؤمنين وصفته واسمه فى التوراة ولا يدخلها أحد بعده الى يوم القيامة وقيل ان ذلك كان فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وان الرجل الذى دخلها حكى ذلك لعمر بن الخطاب فلم ينكره ولا من كان حاضرا بل قال ان النبى صلى الله عليه وسلم قال يدخلها بعض أمتى والله سبحانه وتعالى أعلم ❊(ومن المبانى العجيبة الخورنق❊) الذى بناه النعمان بن امرئ القيس وهو النعمان الأكبر بناه فى عشرين سنة فلما انتهى أعجبه فخشى أن يبنى لغيره مثله فأمر أن يلقى بانيه من أعلاه فالقوه فتقطع واسم بانيه سنمار فصارت العرب تضرب به المثل يقولون جزاه جزاء سنمار قال الشاعر

جزى بنوه أبا الغيلان عن كبر ❊ وحسن فعل كما يجزى سنمار

❊(ومن المبانى العجيبة حائط العجوز❊) واسمها دلوك القبطية وسبب بنائها لذلك أنها ولدت ولدا فأخذت له الرصد فقيل لها يخشى عليه من التمساح فلما شب الغلام خافت عليه فبنت الحائط وجعلته من العريش الى أسوان شاملا الكورة مصر من الجانب الشرقى وقيل بنته خوفا على مصر وأهلها بعد غرق فرعون أن يطمع الملوك فيها وقد قيل انها أرادت أن تخوف ولدها من التمساح حتى لا ينزل البحر فصورت له صورة التمساح فرآه شكلا مهولا فأذهله وأخذه الفزع والهم فضعف واتصل الى أن مات لا مفر من قضاء الله تعالى ❊(ومن المبانى العجيبة الاهرام❊) وهى بالجانب الغربى من مصر مشاهدة فى زماننا هذا قيل ان دور الهرم الأكبر من الثلاثة ألفا ذراع من كل جهة خمسمائة ذراع وعلوه خمسمائة ذراع وقد ذهب المأمون الى مصر حتى شاهدها على ماذكر وفتح منها هرما وتعجب من بنيانها وصفتها قيل ان كل حجر من حجارتها ثلاثون ذراعا فى عرض عشرة أذرع وقد أحكم الصاقه ونحته وتسويته ولا يقدر النجار الصانع أن يتخذ من خشب صندوقا صغيرا على احكامه وهى من عجائب الدنيا قال بعضهم

أين الذى الهرمان من بنيانه ❊ ماقومه مايومه ما المصرع
تتخلف الآثار عن سكانها ❊ حينا ويدركها الفناء فتصرع

وزعم قوم أن الاهرام الموجودة بمصر قبور لملوك عظام أرادوا أن يتميزوا بها عن الناس بعد مماتهم كما تميزوا عنهم فى حياتهم ورجوا أن يبقى ذكرهم بسببها على تطاول الدهور وتراخى العصور ❊ ولما وصل المأمون الى مصر أمر بنقبها فنقب أحدها بعد جهد شديد وعناء طويل فوجد داخله مزاليق ومهاوى يهول أمرها ويعسر السلوك فيها ووجد فى أعلاه بيت وفى وسطه حوض من رخام مطبق فلما كشف غطاؤه لم يوجد فيه الا رمة بالية فعند ذلك أمر المأمون بالكف عما سواه ويقال ان الذى بناها اسمه سوريد بن سهراق بن سرياق لرؤيا رآها وهى آفة تنزل من السماء وهى الطوفان فقالوا انه بناها فى ستة أشهر وقال قل لمن يأتى بعدنا يهدمها فى ستمائة سنة والهدم أيسر من البنيان وكسوناها الديباج الملون فليكسها حصرا والحصر أهون من الديباج والأمر فيها عجيب جدا والله سبحانه وتعالى أعلم (ومن المبانى العجيبة منارة الاسكندرية) التى بناها ذو القرنين قيل انها كانت مبنية بحجارة مهندسة مغموسة فى الرصاص فيها نحو

الرهون ويعطون الدنانير والدراهم فقلت يا قوم أفيكم بهرام فقيل ادخل الدار الثانية فدخلتها فاذا ليس بينها وبين الدار الاولى نسبة بل تفاوت واذا بشيخ قاعد على دست ومرتبة على الصفة التى وصفها رسول الله صلى الله عليه وسلم وحوله جماعة من الكتاب والحساب وبين أيديهم الدنانير والدراهم كالبيادر الصغار وهم فى الحساب فسلمت كما أمرنى النبى صلى الله عليه وسلم فرد على السلام وكان قد شد حاجبه بعصابة فرفعها عن عينيه ثم قال من الرجل قلت عبد الله بن المبارك فقال مرحبا بك لقد شممت بك رائحة زال بها الهم عن قلبى ادن منى فجلست الى جانبه فقال هل لك من حاجة قلت نعم قال وماهى قلت أرى أن أخلو بك ساعة فقال نعم وأمر من هناك بالخروج فتهيؤا ثم خرجوا فبقيت أنا وهو وثلاثة شبان قلت هؤلاء اصرفهم يا بهرام كم تعد من السنين قال أعد مائة وأربعين سنة قلت فهل تعرف أنك عملت شيأ استوجبت به من الله الجنة قال لا أدرى الا أنى رزقت ثلاثة بنين وثلاث بنات فزوجت بعضهم من بعض وأعطيت مهورهن من عندى وأفردت لكل واحد منهم مالا ودارا وعقارا قلت لا تستوجب الجنة بل تستوجب النار فهل عملت شيأ اخالا آخر تلك قال قسمت ليلى ثلاثة أجزاء أما الجزء الأول فانى أقعد للمسامرة وتقرأ على سير الأول فانفرج بذلك والجزء الثانى أعبد فيه النار وأسجد لها من دون الله الواحد القهار والجزء الثالث أتفكر فيه فى أمر معاشى ومعادى وأمنع نفسى عن النوم فى ذلك الجزء فان النوم فيه جهل وخمول ودماء الا للضرورة فقلت هل لك فعل غير هذا قال

من ثلثمائة بيت تصعد الدابة بحملها الى كل بيت وللبيوت طاقات تطل على البحر ويقال ان طولها كان ألف ذراع وفى أعلاها تماثيل من نحاس منها تمثال رجل قد أشار بيده الى البحر فاذا صار العدو على نحو ليلة منه سمع له تصويت يعلم به أهل المدينة مجىء العدو فيستعدون له ومنها تمثال كلما مضى من الليل ساعة صوت صوتا مطربا ويقال انه كان بأعلاها مرآة من الحديد الصينى عرضها سبعة أذرع كانوا يرون فيها المراكب بجزيرة قبرس وقيل كانوا يرون فيها من يخرج من البحر من جميع بلاد الروم فان كانوا أعداء تركوهم حتى يقربوا من المدينة فاذا مالت الشمس للغروب أداروا المرآة مقابلة الشمس واستقبلوا بها السفن فيقع شعاعها بضوء الشمس على السفن فتحرق فى البحر ويهلك كل من فيها وكانت الروم تؤدى الخراج ليأمنوا بذلك من احراق السفن ولم تزل كذلك الى زمن الوليد بن عبد الملك * قال المسعودى قيل ان ملكا من الروم تحيل على الوليد وأظهر أنه يريد الاسلام وأرسل اليه تحفا وهدايا وأظهر له بواسطة حكماء كانوا عنده أن ببلاده دفائن وأرسل له بذلك قسيسين من خواصه وأرسل معهم أموالا قيل انهم حفروا بقرب المنارة ودفنوا تلك الاموال وقالوا للوليد ان تحت المنارة كنوزا لا تنفد وبازائها خبيئة بها كذا وكذا ألف دينار فأمرهم باستخراج ما بالقرب من المنارة فان كان ذلك حقا استخرجوا ما تحت المنارة بعد هدمها فحفروا واستخرجوا ما دفنوه بايديهم فعند ذلك أمر الوليد بهدم المنارة واستخراج ما تحتها فهدموها فلم يجدوا تحتها شيأ وهرب أولئك القسيسون فعلم الوليد أنها مكيدة عليه فندم على ذلك غاية الندم ثم أمر ببنائها بالآجر ولم يقدروا أن يرفعوا اليها تلك الحجارة فلما أتموها نصبوا عليها المرآة كما كانت فصدئت ولم يروا فيها شيأ مثل ما كانوا يرون أولا وبطل احراقها فندموا على ما فعلوا وفاتهم من جهلهم وطمعهم نفع عظيم ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم * وقد عملت الجن لسليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام فى الاسكندرية مجلسا على أعمدة من الجزع اليمانى المصقول كالمرآة اذا نظر الانسان اليها يرى من يمشى خلفه لصفائها وفى وسط ذلك المجلس عمود من الرخام طوله مائة واحد عشر ذراعا وفى تلك الأعمدة عمود واحد يتحرك شرقا وغربا بطلوع الشمس وغروبها يشاهد الناس ذلك ولا يعلمون ما سببه * وفى مدينة حمص مدينة أخرى تحت المدينة المسكونة العليا فيها من عجائب البنيان والبيوت والغرف والماء الجارى فى كل طريق من طرقها ما لا يعلمه الا الله تعالى * وعند حوران مدينة عظيمة يقال لها اللجاة فيها من البنيان ما يعجز عن وصفه ألسنة العقلاء كل دار منها مبنية من الصخر المنحوت ليس فى الدار خشبة واحدة بل أبوابها وغرفها وسقوفها وبيوتها من الصخر المنحوت الذى لا يستطيع أحد أن يعمله من الخشب وفى كل دار بئر وطاحون وكل دار منفردة لا يلاصقها دار أخرى وكل دار كالقلعة الحصينة اذا خاف أهل تلك النواحى من العدو دخلوا الى تلك المدينة فينزل كل انسان فى دار بجميع عياله وخيله وغنمه وبقره ويغلق بابه ويجعل خلف الباب حصاة فلا يقدر أحد على فتح ذلك الباب لاحكامه وفى هذه المدينة أكثر من مائتى ألف دار فيما يقال ولا يعلم أحد من بناها وسمتها العرب اللجاة لانهم يلجؤن اليها عند الخوف (ومن المبانى العجيبة ايوان كسرى أنوشروان) بناه سابور ذو الاكتاف فى نيف وعشرين سنة وطوله مائة ذراع فى عرض خمسين بناه بالآجر والجص وجعل طول كل شرافة من شراريفه خمسة عشر ذراعا ولما ملك المسلمون المدائن أحرقوا هذا الايوان فأخرجوا منه ألف ألف دينار ذهبا (وحكى) أن المنصور لما أراد بناء بغداد عزم على هدمه وأن يجعل آلته فى بنائها فقيل له ان نقضه يتكلف بقدر العمارة فلم يسمع وهدم شرافة وحسب ما أنفق عليها فوجد الامر كذلك وقيل ان بعض رؤساء مملكته قال له لما أراد هدمه هو آية الاسلام فلا تهدمه (وحكى) أنه كان بمدينة قيسارية كنيسة بها مرآة اذا اتهم الرجل امرأته بزنا نظر فى تلك المرآة فيرى صورة الزانى فاتفق أن بعض الناس قتل غريمه فعمد أهله اليها فكسروها والله سبحانه وتعالى أعلم وقد اقتصرت من ذلك على هذا القدر اليسير وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب السابع والستون فى ذكر المعادن والاحجار وخواصها)

المعادن لا تكاد تحصى لكن منها ما يعرفونه الناس ومنها ما لا يعرفونه وهى مقسومة الى ما يذوب والى ما لا يذوب والذى اشتهر بين الناس من المعادن سبعة وهى الذهب والفضة والنحاس والحديد والقصدير والاسرب والخارصينى * ولنبدأ أولا بذكر الذهب فقيل طبعه حار لطيف ولشدة اختلاط أجزائه المائية بالترابية قيل ان

لا قلت يفعل الله ما يشاء ويحكم ما يريد فبم استحققت يا بهرام الجنة قال ويحك يا ابن المبارك أتقطع لى بالجنة وأنت عالم المسلمين من أخبرك بذلك قلت أخبرنى الصادق الأمين الذى لا ينطق عن الهوى صلى الله عليه وسلم قال فالقصة فحدثته بالمنام الذى رأيته وعاقانه النبى صلى الله عليه وسلم مرارا فقال يا ابن المبارك وهل لذلك علامة ظاهرة قلت نعم ادن منى فدنا فمسحت بيدى رأسه ووجهه وصدره وبدنه وأولاده ينظرون فصار شابا حسنا طريا سميعا بصيرا واسود شعره وابيضت بشرته فلما عاين ذلك قال امدد يدك يا شيخ أنا أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ثم قال يا شيخ أخبرك السبب الذى أوجب الله لى به هذه المنزلة قلت نعم قال كنت من مدة قد أولمت وليمة عامة المسلمين والنصارى واليهود والمجوس على خاصة فأكلوا وانصرفوا وانقضت الوليمة فلما كان فى بعض الليل طرق طارق الباب وقد هدأ الناس ونام الخدام لما أصابهم من التعب بسبب الوليمة وأنا جالس منتبه فقلت من بالباب فقالت يا بهرام أنا امرأة من جيرانك فأوقد لى هذا السراج قال بهرام والمجوس لا ترى اخراج النار من بيوتهم ليلا فتحيرت فى أمرى وقت ولم أنبه أحدا فاسرجت لها السراج فانصرفت وأطفأت السراج وعادت وقالت يا بهرام قد انطفأ فاسرجه لى فلما أسرجته قالت يا بهرام والله ما جئتك لأجل سراج ولكن جئتك من أجل ثلاث بنات شممن روائح طعامك فهن ملقيات على وجوههن يتضاوون كالمرأة الثكلى أو كالحبة فى المقلى فان كان قد بقى فى دارك فضل طعام فاعطنى فانك ان شاء الله تملك بذلك الجنة فقلت حبا وكرامة

النار لا تقدر على تفريق أجزائه فلا يحترق ولا يبلى ولا يصدأ وهو لين براق حلو الطعم أصفر اللون فالصفرة من ناريته والليونة من دهنيته والبراقة من صفاء مائه * خواصه يقوى القلب ويدفع الصرع تعليقا ويمنع الفزع والخفقان ويقوى العين كحلا ويجلوها اذا كان ميلا ويحسن نظرها واذا ثقبت به الأذن لم تلتحم واذا كوى به لم ينفط ويبرأ سريعا وامساكه فى الفم يزيل البخر ﴿الفضة﴾ قريبة منه وتصدأ وتحترق وتبلى بالتراب واذا أصابتها رائحة الرصاص والزئبق تكسرت أو رائحة الكبريت اسودت ومن خواصها أنها تزيل البخر من الفم اذا وضعت فيه واذا أذيبت مع الزئبق وطلى بها البدن نفع ذلك من الحكة والجرب وعسر البول ﴿النحاس﴾ قريب منها لكنه أيبس وأغلظ فى الطبع ومن خواصه اذا صدئ وطلى بالحامض زال صدؤه والأكل فى آنيته يولد أمراضا لا دواء لها ﴿الحديد﴾ كثير الفائدة اذ ما من صنعة الا وله فيها مدخل (ومن خواصه) أنه يمنع غطيط النائم اذا علق عليه وحمله يقوى القلب ويزيل الخوف والافكار والاحلام الرديئة وييسر النفس وصدؤه ينفع أمراض العين كحلا والبواسير تحملا (القصدير) صنف من الفضة دخل عليه آفات من الارض (ومن خواصه) أنه اذا ألقى فى قدر لم ينضج ما فيها (الاسرب) هو الرصاص (ومن خواصه) أنه يكسر الماس ومن خواص الماس الدخول فى كل شئ واذا شد من الرصاص قطعة على الخنازير والغدد أبرأتها ﴿الخارصينى﴾ حجر لونه أسود يعطى حمرة ومن خواصه اذا عمل منه مرآة ونظر فيها فى الظلمة نفعت للقوة واذا نتف الشعر بملقاط منه لم ينبت

﴿الاحجار الجوهرية﴾ أصل الجوهر وهو الدر على ما قيل ان حيوانا يصعد من البحر على ساحله وقت المطر ويفتح أذنه يلتقط بها المطر ويضمها ويرجع الى البحر فينزل الى قراره ولا يزال طابقا أذنه على ما فيها خوفا أن يختلط باجزاء البحر حتى ينضج ما فيها ويصير درا فان كانت القطرة صغيرة كانت الدرة صغيرة وان كانت كبيرة فكبيرة فان كان فى بطن هذا الحيوان شئ من المياه المر كانت الدرة كدرة وان لم يكن كانت صافية وقيل غير ذلك الدر نوعان كبير وصغير قيل انه تصل الواحدة الى مثقال (خواصه) أنه يفرح القلب ويبسط النفس ويحسن الوجه ويصفى دم القلب واذا خلط مع الكحل شد عصب العين ﴿الياقوت﴾ سيد الاحجار وأصول ألوانه أربعة الأحمر والاصفر والازرق والاسمانجونى ويتولد منها ألوان كثيرة وأعدلها الاحمر الخالص الرمانى الشبيه بحب الرمان الاحمر ودونه الاحمر المشرب ببياض ثم الوردى ثم الخمرى ثم العصفرى وأردؤه الازرق الذى لونه يشبه زهر السوسن وأقله قيمة الابيض خواصه أنه لا يعمل فيه الفولاذ ولا حجر الماس ولا تدنسه النار ويورث لابسه مهابة ووقارا ويسهل قضاء الحوائج ويدر الريق فى الفم ويقطع العطش ويدفع السم ويقوى القلب وجميعه ينفع للمصروع تعليقا والابيض منه يبسط النفس ويوجد من الاصفر ما وزنه ثلاثون مثقالا على ما قيل (البلخش) هو مقارب للياقوت فى القيمة ودونه فى الشرف (ومن خواصه) أنه يورث قبض النفس وسوء الخلق والحزن وهو ألوان أحمر وأخضر وأصفر (البنفش) أصناف أحمر مفتوح اللون صاف وأحمر قوى الحمرة وأسود يعلوه حمرة مطوسة بزرقة خفيفة ثم أصفر مفتوح اللون (عين الهر) حجر يتكون من معدن الياقوت والغالب عليه البياض الناصع باشراق مفرط ومائيته رقيقة شفافة وفى مائيته سر اذا حركته يمينا تحركت يسارا وبالعكس (ومن خواصه) اذا علق على العين أمن عليها من الجدرى على ما قيل (الماس) يوجد بواد بالهند يقال انه مشحون بالحيات فيأتى من يريد استخراجه من ذلك الوادى فيضع فى الوادى مرآة كبيرة فتأتى الحيات فتنظر الى خيالها فى المرآة فتفر من ذلك الجانب فينزل فيأخذ ما له فيه رزق وقيل انهم ينحرون الجزر ويلقون لحمها فى ذلك الوادى فيلتصق الماس وغيره باللحم فتأتى الطير فتختطف اللحم وتصعد به الى الجبال فتأكل اللحم وتترك الحجر فيأخذه صاحب اللحم وقيل ان الحيات لها مشتى ستة أشهر فى مكان ومصيف ستة أشهر فى مكان آخر فاذا ذهبت الى مشتاها ومصيفها أخذ الحجر فى غيبتها والله أعلم بصحة ذلك * ومن عجيب أمره أنه اذا أريد كسره جعل فى أنبوبة قصب وضرب فانه يتفتت وكذا اذا جعل فى شمع أو قار واذا جعل عليه دم تيس وقرب من النار ذاب (ومن خواصه) أن الملوك يتخذونه عندهم لشرفه وهو من السموم القاتلة القطعة الصغيرة منه اذا حصلت فى الجوف ولو بقدر السمسمة خرقت الامعاء (ومن خواصه الجليلة) أنه يعرق عند وجود السم أو الطعام المسموم (الزمرذ) ويسمى الزبرجد وهو ألوان أخضر وزنجارى وصابونى ويكون الحجر منه خمسة مثاقيل وأقل (ومن

فأخذت منديلا كبيرا فجعلت فيه من كل شئ كان فى البيت من الحلو والحامض وأخرجت كيسا فيه ألف دينار وكيسا فيه ستة آلاف درهم وستة أثواب من ديباج وستة أثواب مروزية وشددت الجميع وقلت احملى هذا الى عيالك واقسمى عليهم فمدت يدها فلم تطق حمله لضعفها فقالت يا بهرام أعنى اعانك الله على الوقوف بين يديه وخفف عليك الحساب فى ذلك اليوم الشديد فقلت ياهذه كيف أفعل وأنا شيخ كبير وقد مضى على مائة ونيف وثلاثون سنة ثم تفكرت لحظة وطاب لذلك قلبى فقلت لها شيلى على رأسى فشالته واستقل على رأسى فسال لذلك عرقى حتى صرت فى منزلها فحططت الطعام ووضعت الرزمة وجعلت ألقم البنات الى أن شبعن ونشطن ثم قسمت عليهن الثياب والدراهم والدنانير ففرحن وتبسمن فلما أردت القيام قلن باجمعهن يا بهرام أصلح الله لك أمورك وأدام سرورك كما أصلحت أمورنا وأدمت سرورنا وفرحك يوم القيامة كما فرحتنا وختم لك بخير وأنزلك أقرب قصر من قصر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فى دار الجنان وأنا أقول آمين ومازلت أرجو استجابة دعائهن قلت يا بهرام ابشر فان الله حقق لك ذلك ولهذا قال النبى صلى الله عليه وسلم لا تحقر من المعروف شيأ ولو أنك تفرغ من دلوك فى اناء أخيك ماء قال عبد الله ابن المبارك فتصدق بهرام فى ذلك اليوم بمائة ألف درهم وبمائة ألف دينار وبمائة ألف ثوب مرويات وبالفى ثوب ديباج وفرق سائر أمواله على أولاده وبناته وأسلموا جميعا وتفرق الاخوة عن الاخوات وزوج أولاده بالمسلمات وبناته بالمسلمين وأسلم فى ذلك اليوم خلق كثير من المجوس ثم انفرد عن

خواصه) أنه يدفع العين و يفرح القلب و يقوى البصر و يصفى الذهن و ينشط النفس (الفيروزج) نوعان اسحاقى وخلنجى وأجوده الاسحاقى الأزرق الصافى (خواصه) النظر فيه يجلو البصر و يقويه و ينشط النفس ولا يصيب المتختم به آفة من قتل أو غرق وقال جعفر الصادق رضى الله تعالى عنه ما افتقرت يد تختمت بفيروزج واذا مضى له بعد خروجه من معدنه عشرون سنة نقص لونه ولا يزال كذلك حتى ينطفئ (العقيق) معدن بارض صنعاء باليمن وهو ألوان ويوجد عليه غشاوة ويحمى عليه ببعر الابل ثم يبرد و يكسر وقيل يوجد بالهند ولكن اليمنى أجود (خواصه) التختم به وحمله يورث الحلم والاناة وتصويب الرأى و يسر النفس و يكسب حامله وقارا وحسن خلق و يسكن الحدة عند الخصومة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تختم بالعقيق لم يزل فى بركة (الجزع) هو حجر أيضا يؤتى به من اليمن والصين وألوانه كثيرة والناس يكرهونه لانه يورث الهم والاحلام الرديئة وسوء الخلق وتعسر قضاء الحوائج و يكثر بكاء الصبى وسيلان لعابه و يثقل اللسان اذا سحق وشرب ماؤه واذا وضع بين قوم لا علم لهم به حصلت بينهم العداوة ولكنه يسهل الولادة تعليقا (البلور) هو صنف من الزجاج يحكى أن ببلاد كيسان جبلين أحدهما بلور واذا أريد قطع البلور فى ذلك الموضع قطع فى الليل لانه فى النهار يكون له شعاع عظيم (خواصه) النظر فيه يشرح القلب و يبسط النفس و يسكن وجع الضرس (المرجان) هو واسطة بين النبات والمعدن لانه يتشجر ويشبه النبات و يتحجر ويشبه المعدن ولا يزال لينا فى معدنه فاذا فارقه تحجر و يبس (خواصه) النظر فيه يشرح الصدر و يبسط النفس و يفرح القلب ويذهب بالداء المحتبس فى العين و يسكن الرمد وسحاقته المخلوطة بالخل تجلو قلح الاسنان واذا وضع على الجرح منعه من الانتفاخ وأنواعه كثيرة أحمر وأزرق وأبيض وأصله من البحر قيل انه شجر ينبت وقيل انه من حيوانه (حجر الماطليس) هو حجر هندى لا يعمل فيه الحديد والبيت الذى يكون فيه لا يدخله السحر ولا الجن ولاجل ذلك كان الاسكندر يجعله فى عسكره (الحجر الماهانى) من تختم به أمن من الروع والهم والحزن والغم ولونه أبيض وأصفر ويوجد بارض خراسان (حجر مراد) يوجد بناحية الجنوب (وخاصيته) أن الجن تتبع حامله وتعمل له ما أراد (الدهنج) خاصيته انه اذا سقى انسان من حكه يفعل فعل السم واذا سقى شارب السم منه نفعه واذا مسح به موضع اللدغ سكن و ينفع من خفقان القلب واذا طلى بحكاكته بياض البرص أزاله وان علق على انسان غلب عليه الباه (الاسبج) خواصه أنه يقوى النظر الضعيف من الكبر أو نزول الماء ولبسه ينفع عسر البول وادمان النظر فيه يحد البصر وسحاقته تجلو البصر واذا علق على من به صداع زال عنه (المغناطيس) يوجد فى بحر الهند وهنالك لا يتخذ فى السفن حديد ويوجد ببلاد الاندلس أيضا وأجود أنواعه ما كان أسود يضرب الى حمرة (خواصه) الاكتحال بسحاقته يورث ألفة بين المكتحل و بين من يحبه و يسهل الولادة تعليقا ومن تختم به كانت حاجته مقضية وتعليقه فى العنق يزيد فى الذهن واذا سحق وشرب من سحاقته من به سم بطل سمه واذا أصابته رائحة الثوم بطلت خاصيته واذا غسل بالخل عاد الى حالته وأجوده ما جذب نصف مثقال من حديد (حجر الخطاف) الخطاف يوجد فى عشه حجران أحدهما أحمر والآخر أبيض فالأحمر اذا علق على من يفزع فى نومه زال فزعه والأبيض اذا علق على من به صرع زال عنه (حجر الزاج) اذا دخن البيت بسحاقته هرب منه الفار والذباب (حجر الزنجفر) أصله من الزئبق واستحال (وخاصيته) أنه يدمل الجراحات وينبت اللحم (حجر الملح) هو أنواع وأجوده ما يوجد بارض سدوم بالقرب من بحر لوط وقد جعله الله قواما للدنيا (ومن خاصيته) أنه يحسن الذهب و يزيد فى صفرته وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال يا على ابدأ بالملح واختم به فان فيه شفاء من سبعين داء (حجر النطرون) قال ارسطو ينفع الارحام التى غلبت عليها الرطوبة ينشفها و يقويها واذا ألقى فى العجين طيبه و بيضه ونشفه وهو نوعان أبيض وأحمر (حجر اللازورد) مشهور قال ارسطو من تختم به عظم فى أعين الناس و ينفع من السهر والله أعلم ❊ ومن أراد التعمق فى ذلك فعليه بالكتب الموضوعة له ولكن قد ذكرنا ما هو معروف والحمد لله على كل حال وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

❊ الباب الثامن والستون فى الاصوات والألحان وذكر الغناء واختلاف الناس فيه ومن كرهه ومن استحسنه ❊

أهله ولزم المحراب يعبد الله فلم يلبث الا قليلا حتى توفى رحمة الله عليه ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم (روى عن سعد ابن سعيد) أنه قال كان فى جوار معروف الكرخى رجل مجوسى من أبناء الأغنياء وجد الخليفة عليه فصادره وأخذ منه ألف ألف دينار فافتقر بعد الغنى وذل بعد العز وكان له أعداء وحساد فقالوا للخليفة انه قد بقى له مال جسيم فلا تظن انه عديم فامر بمصادرته ثانيا فلما علم المجوسى ذلك دخل بيت النار وقصد ما كان يعبده من دون الجبار وقال ان لم تخلصنى آمنت برب معروف فلم يجبه أحد ولم ينتفع بسجوده للنار ولا للنور فلما جن عليه الليل اغتسل وأتى مسجد معروف الكرخى فلم يجده فى المسجد فرفع رأسه وقال يا اله ابراهيم وعيسى ومحمد واله معروف و يا من لا اله الا هو تحققت أن ما عبدته من دونك باطل لا يضر ولا ينفع وانى جئتك تائبا ماقلت متبرئا مما عبدت منفصلا عما اعتقدت موقنا بك شاهدا بان لا اله الا أنت اله الأولين والآخرين وأنت المعبود الحق تفعل ما تشاء ولا يكون الا ما تريد انك على كل شئ قدير فاغفر لى ما تقدم من ذنبى وجهلى واسرافى ولا تنظر الى سوء عملى ومعصيتى واصرف شر الخليفة وأعوانه عنى فقد وجهت وجهى اليك ثم قال أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله يا محمد تشفعت بك الى الله فاقبلنى ثم سجد وأطال سجوده وهو يناجى ربه و يبكى فاتى معروف المحراب فرآه كذلك فبقى متفكرا فى أمره لا يتحقق من هو واذا هو بغلام من خواص الخليفة قد دخل المسجد يسأل عن المجوسى باسمه ونسبه فقال معروف بيته فى موضع كذا

وماذكرت ذلك الالانى كرهت أن يكون كتابى هذا بعد اشتماله على فنون الادب والتحف والنوادر والامثال عاطلا من هذه الصناعة التى هى مراد السمع ومرتع النفس وربيع القلب ومجال الهوى ومسلاة الكئيب وأنس الوحيد وزاد الراكب لعظم موقع الصوت الحسن من القلب وأخذه بمجامع النفس

﴿فصل فى الصوت الحسن﴾ قال بعض أهل التفسير فى قوله تعالى يزيد فى الخلق مايشاء هو الصوت الحسن وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أتدرون متى كان الحداء قالوا الا بينا أنت وأمنا يارسول الله قال ان أبا كم مضر خرج فى طلب مال له فوجد غلاماله قد تفرقت ابله فضربه على يده بالعصا فعدا الغلام فى الوادى وهو يصيح وايداه فسمعت الابل صوته فعطفت عليه فقال مضر لو اشتق من الكلام مثل هذا لكان كلاما تجتمع عليه فاشتق الحداء وقال النبى صلى الله عليه وسلم لابى موسى الاشعرى رضى الله تعالى عنه لما أعجبه حسن صوته لقد أوتيت مزمارا من مزامير آل داود وقيل ان داود عليه الصلاة والسلام كان يخرج الى صحراء بيت المقدس يوما فى الاسبوع وتجتمع عليه الخلق فيقرأ الزبور بتلك القراءة الرخيمة وكان له جاريتان موصوفتان بالقوة والشدة فكانتا يضبطان جسده ضبطا شديدا خيفة أن تنخلع أوصاله مما كان ينتحب وكانت الوحوش والطير تجتمع لاستماع قراءته قال مالك بن دينار رحمه الله تعالى بلغنا أن الله تعالى يقيم داود عليه الصلاة والسلام يوم القيامة عند ساق العرش فيقول ياداود مجدنى اليوم بذلك الصوت الحسن الرخيم وقال سلام الحادى للمنصور وكان يضرب المثل بحداثه مر يا أمير المؤمنين بان يظمؤا الابل ثم يوردوها الماء فانى آخذ فى الحداء فترفع رؤسها وتترك الشرب وزعم أهل الطب ان الصوت الحسن يجرى فى الجسم مجرى الدم فى العروق فيصفوله الدم وتنموله النفس ويرتاح له القلب وتهتزله الجوارح وتخف له الحركات ولهذا كرهوا للطفل أن ينام على أثر البكاء حتى يرقص ويطرب وزعمت الفلاسفة ان النغم فضل بقى من النطق لم يقدر اللسان على استخراجه فاستخرجته الطبيعة بالألحان على الترجيع لا على التقطيع فلما ظهر عشقته النفس وحنت اليه الروح ألا ترى الى أهل الصناعات كلها اذا خافوا الملالة والفتور على أبدانهم ترنموا بالالحان واستراحت اليها أنفسهم وليس من أحد كائنا من كان الا وهو يطرب من صوت نفسه ويعجبه طنين رأسه ولو لم يكن من فضل الصوت الحسن الا أنه ليس فى الارض لذة تكتسب من مأكل ولا مشرب ولا ملبس ولا نكاح ولا صيد الا وفيها معاناة على البدن وتعب على الجوارح ماخلا السماع فانه لا معاناة فيه على البدن ولا تعب على الجوارح وقد يتوصل بالالحان الحسان الى خيرى الدنيا والآخرة فمن ذلك انها تبعث على مكارم الاخلاق من اصطناع المعروف وصلة الارحام والذب عن الاعراض والتجاوز عن الذنوب وقد يبكى الرجل بها على خطيئته ويتذكر نعيم الملكوت ويمثله فى ضميره ولأهل الرهبانية نغمات وألحان شجية يمجدون الله تعالى بها ويبكون على خطاياهم ويتذكرون نعيم الآخرة وكان أبو يوسف القاضى يحضر مجلس الرشيد وفيه الغناء فيجعل مكان السرور به بكاء كانه يتذكر نعيم الآخرة وقد تحن القلوب الى حسن الصوت حتى الطير والبهائم وكان صاحب الفلاحات يقول ان النحل أطرب الحيوان كله على الغناء قال الشاعر

والطير قد يسوقه للموت * اصغاؤه الى حنين الصوت

وزعموا ان فى البحر دواب ربما زمرت أصواتا مطربة ولحونا مستلذة يأخذ السامعين الغشى من حلاوتها فاعتنى بها واضعة الألحان بان شبهوا بها أغانيهم فلم يبلغوا وربما يغشى على سامع الصوت الحسن للطافة وصوله الى الدماغ وممازجته للقلب ألا ترى الى الام كيف تناغى ولدها فيقبل بسمعه على مناغاتها ويتلهى عن البكاء والابل تزداد فى نشاطها وقوتها بالحداء فترفع آذانها وتلتفت يمنة ويسرة وتتبختر فى مشيتها وزعموا أن السماكين بنواحى العراق يبنون فى جوف الماء حفائر ثم يضربون عندها باصوات شجية فيجتمع السمك فى الحفائر فيصيدونه وقد نبهت على ذلك فى باب ذكر البحار ومافيها من العجائب والراعى اذا رفع صوته ونفخ فى يراعته تلقته الغنم بآذانها وجدت فى رعيها والدابة تعاف الماء فاذا سمعت الصفير بالغت فى الشرب وليس شئ مما يستلذ به أخف مؤنة من السماع قال أفلاطون من حزن فليسمع الأصوات الحسنة فان النفس اذا حزنت خمدت نارها فاذا سمعت مايطربها ويسرها اشتعل منها ما خمد ومازالت ملوك فارس تلهى المحزون بالسماع وتعلل به المريض وتشغله عن التفكر ومنهم أخذت العرب حتى قال ابن ثعيلة الشيبانى

وكذا فقال من هناك جئت وقيل لى انه فى مسجد معروف فوالله لا باس عليه فان الخليفة قد بعثنى اليه برسالة لطيفة تسر قلبه وهو منتظره على ان يؤمنه و يرد عليه ما اخذه منه وكفى بالله شهيدا فقال معروف لست ارى فى المسجد احدا يشبه من تذكره الا هذا الساجد لله المناجى لربه فاصبر له حتى يرفع رأسه فوقف صاحب الخليفة على رأسه ساعة ثم قال يا هذا ارفع رأسك ولا تمسك أمير المؤمنين قد قضى حاجتك وبعثنى برسالة لطيفة لتصير اليه حتى يرد عليك ما أخذه منك فرفع رأسه واذا معروف واقف فقال يا معروف ما أكرم هذا الباب وما أحلم صاحبه وما أقربه الى من دعاه ثم قال يا معروف امدد يدك انى أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله وانى رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا و بمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا وان القرآن كلام الله جاء به محمد بن عبد الله وأنا مؤمن بذلك كله ثم تبع الرسول وذهب معروف الكرخى معه فلما وصلوا الى دار الخليفة واذا به واقف على الباب فاستقبلهما وسلم عليهما وصافح كلا منهما ومشى معهما الى مجلسه وأقعدهما الى جانبه وأقبل يعتذر اليهما مما وقع منه وأمر بالأموال التى أخذت من المجوسى فاحضرت بين يديه عن آخرها ثم قال له تأمل هذه الأموال أليست هى التى أخذت منك قال نعم قال فخذها بارك الله لك فيها واجعلنى فى حل مما وقع منى واستغفر الله لى فقال يغفر الله لك ثم قال يا أمير المؤمنين أما الاموال فهى لك حلال بعد أن هدانى الله الى دين الاسلام ولكن أعلمنى ما الذى دعاك الى طلبى فى هذا الوقت ورد هذا المال على قال نعم كنت نائما

وسماع مسمعة يعللنا * حتى تنام تناوم العجم

(وحكى) أن البعلبكى مؤذن المنصور رجع فى أذانه ليلة وجارية تصب الماء على يد المنصور فارتعدت حتى وقع الابريق من يدها فقال له المنصور خذ هذه الجارية فهى لك ولا تعد ترجع هذا الترجيع وقال عبد الرحمن ابن عبد الله بن أبى عمارة فى قينة

ألم ترها لا أبعد الله دارها * اذا رجعت فى صوتها كيف تصنع

تدير نظام القول ثم ترده * الى صلصل من صوتها يترجع

(وبعد) فهل خلق الله شيأ أوقع بالقلوب وأشد اختلاسا للعقول من الصوت الحسن لاسيما اذا كان من وجه حسن كما قال الشاعر

رب سماع حسن * سمعته من حسن * مقرب من فرح

مبعد من حزن * لا فارقانى أبدا * فى صحة من بدن

وهل على الأرض من جبان مستطار الفؤاد يغنى بقول جرير

قل للجبان اذا تأخر سرجه * هل أنت من شرك المنية ناجى

الا شاش وشجعت نفسه وقوى قلبه أم هل على الارض من بخيل قد انقبضت أطرافه يوما يغنى بقول حاتم الطائى

يرى البخيل سبيل المال واحدة * ان الجواد يرى فى ماله سبلا

الا انبسطت أنامله ورشحت أطرافه * واختلف الناس فى الغناء فأجازه عامة أهل الحجاز وكرهه عامة أهل العراق فمن حجة من أجازه ماروى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لحسان شن الغطاريف على بنى عبد مناف فوالله لشعرك عليهم أشد من وقع السهام فى غلس الظلام واحتجوا فى اباحة الغناء واستحسانه بقول النبى صلى الله عليه وسلم لعائشة رضى الله تعالى عنها أهديتم الفتاة الى بعلها قالت نعم قال فبعثتم معها من يغنى قالت لم نفعل قال أو ما علمت أن الأنصار قوم يعجبهم الغول ألا بعثتم معها من يقول

أتيناكم أتيناكم * فحيونا نحييكم * ولولا الحبة السمرا * لم نحلل بواديكم

ولا بأس بالغناء اذا لم يكن فيه أمر محرم ولا يكره السماع عند العرس والوليمة والعقيقة وغيرها فان فيه تحريكا لزيادة سرور مباح أو مندوب ويدل عليه ماروى من انشاد النساء بالدف والألحان عند قدوم النبى صلى الله عليه وسلم حيث قلن

طلع البدر علينا * من ثنيات الوداع * وجب الشكر علينا

مادعا لله داع * أيها المبعوث فينا * جئت بالأمر المطاع

ويدل عليه ماروى عن عائشة رضى الله تعالى عنها أنها قالت رأيت النبى صلى الله عليه وسلم يسترنى بردائه وأنا أنظر الى الحبشة يلعبون فى المسجد الحرام حتى أكون أنا التى أسأمه ويدل عليه أيضا ماروى فى الصحيحين من حديث عقيل عن الزهرى عن عروة عن عائشة رضى الله تعالى عنها أن أبا بكر دخل عليها وعندها جاريتان فى أيام منى يدففان ويضربان والنبى صلى الله عليه وسلم متغش بثوبه فانتهرهما أبو بكر فكشف النبى صلى الله عليه وسلم عن وجهه وقال دعهما يا أبا بكر فانها أيام عيد وعن قرة بن خالد بن عبد الله بن يحيى قال قال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه للنابغة الجعدى أسمعنى بعض ما عفا الله لك عنه من هناتك فأسمعه كلمة فقال له وانك لقائلها قال نعم قال طالما غنيت بها خلف جمال الخطاب وعن عبد الله بن عوف قال أتيت باب عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فسمعته يغنى بالركابية يقول

فكيف ثوائى بالمدينة بعدما * قضى وطرا منها جميل بن معمر

وكان جميل بن معمر من أخصاء عمر قال فلما استأذنت عليه قال لى أسمعت ماقلت قلت نعم قال انا اذا خلونا قلنا مايقول الناس فى بيوتهم وقد أجازوا تحسين الصوت فى القراءة والأذان فان كانت الألحان مكروهة فالقراءة والاذان أحق بالتنزيه عنها وان كانت غير مكروهة فالشعر أحوج اليها لاقامة الوزن وما جعلت العرب الشعر موزونا الا لمد الصوت والدندنة ولولا ذلك لكان الشعر المنظوم كالخبر المنثور ومن حجة من كره الغناء أنه قال انه ينفر القلوب ويستفز العقول ويبعث على اللهو ويحض على الطرب وهذا باطل فى أصله وتأولوا فى ذلك قوله تعالى ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا وأخطأ من أول هذا التأويل انما نزلت هذه الآية فى قوم كانوا يشترون الكتب من أخبار السير والاحاديث القديمة

واذا أنا برسول الله صلى الله عليه وسلم قد دخل على ومعه صف من الملائكة وصف من الصحابة فسلم على وقال ان الله تبارك وتعالى يقرئك السلام ويقول لك ان عبدنا فلانا المجوسى كنا قد دعوناه فى الذر فأجابنا وكان فى المجوسية مستترا ولنا معه عناية وقد جاء الآن الى تائبا وعما كان منه تائبا وهو فى مسجد معروف الكرخى مستجيرا بجنابنا منك فابعث فى طلبه ورد عليه ما أخذ منه ولا تقطع المعاملة بيننا فانتبهت مرعوبا فأرسلت فى طلبك وها هو مالك قد رددناه عليك ودفعناه اليك فخر الرجل ساجدا لله تعالى ثم رفع رأسه وبكى وقال واندماه واأسفاه والهفاه كيف تركت عبادة الرحمن الرحيم واشتغلت بعبادة النيران وضيعت العمر والزمان ثم قال يا أمير المؤمنين لا حاجة لى فى هذا المال خذه فهو حلال لك فقال أمير المؤمنين لا أرجع بشئ أمرنى ربى باخراجه فقال يا أمير المؤمنين لا حاجة لى فى المال أشهدك انى قد جعلته صدقة فى فقراء المسلمين لاحظ لى فيه ولا لاحد من أهلى فقال الخليفة يا معروف بقى الامر اليك فاحمل المال وتصدق به على الفقراء والمساكين وأبناء السبيل والايتام والارامل فدعا له معروف وأخذ بيد الرجل وحمل المال على البغال وصافحهما أمير المؤمنين وسأل الرجل أن يحالله عما وقع منه ولازم الرجل معروفا الكرخى الى أن مات تغمده الله برحمته *وحكى عن معن بن زائدة الشيبانى* ان شاعرا قصده فأقام مدة يريد الدخول اليه فلم يتهيأ له ذلك فلما أعياه ذلك قال لبعض خدمه اذا دخل الامير البستان فعرفنى فلما دخل معن البستان عرفه الخادم عنه فكتب الشاعر بيتا من الشعر على خشبة وألقاها فى الماء الداخل الى البستان

و يضاهون بها القرآن و يقولون انها أفضل منه وليس من سمع الغناء يتخذ آيات الله هزؤا وقال رجل للحسن البصري ما تقول في الغناء يا أبا سعيد فقال نعم العون على طاعة الله تعالى يصل الرجل به رحمه ويواسي به صديقه قال ليس عن هذا أسألك قال وعم سألتني قال أن يغني الرجل قال وكيف يغني فجعل الرجل يلوي شدقيه ويفتح منخريه فقال الحسن والله يا ابن أخي ما ظننت أن عاقلا يفعل بنفسه هذا أبدا فلم ينكر الحسن عليه الا تشويه وجهه وتعويجه فمه وسمع ابن المبارك سكران يغني هذا البيت

أذلني الهوى فأنا الذليل * وليس الى الذي أهوى سبيل

قال فأخرج دواة وقرطاسا وكتب البيت فقيل له أتكتب بيت شعر سمعته من رجل سكران فقال أما سمعتم المثل رب جوهرة في مزبلة * وكان لأبي حنيفة جار من الكيالين مغرم بالشراب وكان يغني على شرابه بقول العرجي

أضاعوني وأي فتى أضاعوا * ليوم كريهة وسداد ثغر

قال فأخذه العسس ليلة وحبسه ففقد أبو حنيفة صوته واستوحش له فقال لأهله ما فعل جارنا الكيال قالوا أخذه العسس وهو في الحبس فلما أصبح أبو حنيفة توجه الى عيسى بن موسى فاستأذن عليه فأسرع اذنه وكان أبو حنيفة قليلا ما يأتي أبواب الملوك فأقبل عليه عيسى بن موسى وسأله عما جاء بسببه فقال أصلح الله الامير ان لي جارا من الكيالين أخذه عسس الامير ليلة كذا فوقع في حبسه فأمر عيسى بن موسى باطلاق كل من في الحبس اكراما لأبي حنيفة فأقبل الكيال على أبي حنيفة يتشكر له فلما رآه أبو حنيفة قال له هل أضعناك يا فتى يعرض له بشعره الذي ينشده قال لا والله ولكنك بررت وحفظت * وكان عروة بن أذينة ثقة في الحديث روى عنه مالك بن أنس وكان شاعرا مجيدا لبقا غزلا وكان يصوغ ألحان الغناء على شعره وينحلها للمغنين قيل انه وقفت عليه امرأة يوما وحوله التلامذة فقالت له أنت الذي يقال فيك الرجل الصالح وأنت تقول

اذا وجدت أوار الحب في كبدي * عمدت نحو سقاء القوم أبترد

هبني بردت ببرد الماء ظاهره * فمن لنار على الاحشاء تتقد

وكان عبد الملك ابن الملقب بالقس عند أهل مكة بمنزلة عطاء بن أبي رباح في العبادة قيل انه مر يوما بسلامة وهي تغني فقام يسمع غناءها فرآه مولاها فقال له هل لك أن تدخل وتسمع فأبى فلم يزل به حتى دخل فغنته فأعجبته ولم يزل يسمعها ويلاحظها النظر حتى شغف بها فلما شعرت بلحظه اياها غنته

رب رسولين لنا بلغا * رسالة من قبل أن نبرحا

الطرف للطرف بعثناهما * فقضيا حاجا وما صرحا

قال فأغمي عليه وكاد يهلك فقالت له اني والله أحبك قال وأنا والله أحبك قالت وأحب أن أضع فمي على فمك قال وأنا والله كذلك قالت فما يمنعك من ذلك قال أخشى أن تكون صداقة ما بيني وبينك عداوة يوم القيامة أما سمعت قوله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين ثم نهض وعاد الى طريقته التي كان عليها وأنشأ يقول

قد كنت أعذل في السفاهة أهلها * فاعجب لما تأتي به الأيام

فاليوم أعذرهم وأعلم انما * سبل الضلالة والهدى أقسام

(وقدم) عبد الله بن جعفر على معاوية بالشأم فأنزله في دار عياله وأظهر من اكرامه ما يستحقه فغاظ ذلك فاختة بنت قرظة زوج معاوية فسمعت ذات ليلة غناء عند عبد الله بن جعفر فجاءت الى معاوية فقالت هلم فاسمع ما في منزل الذي جعلته من لحمك ودمك وأنزلته بين حرمك فجاء معاوية فسمع شيأ حركه وأطربه فقال والله اني لأسمع شيأ تكاد الجبال أن تخر له ثم انصرف فلما كان في آخر الليل سمع معاوية قراءة عبد الله بن جعفر وهو قائم يصلي فنبه فاختة وقال لها اسمعي مكان ما أسمعتني هؤلاء قومي ملوك بالنهار ورهبان بالليل ثم ان معاوية أرق ذات ليلة فقال لخادمه اذهب فانظر من عند عبد الله بن جعفر وأخبره اني قادم عليه فذهب وأخبره فأقام عبد الله كل من كان عنده فلما جاء معاوية لم ير في المجلس غير عبد الله فقال مجلس من هذا قال عبد الله هذا مجلس فلان يا أمير المؤمنين فقال معاوية مره فليرجع الى مجلسه حتى لم يبق الا مجلس رجل واحد قال مجلس من هذا قال مجلس رجل يداوي الآذان يا أمير المؤمنين قال ان أذني عليلة فمره أن يرجع الى مجلسه وكان مجلس بديح المغني فأمره عبد الله بن جعفر فرجع الى موضعه فقال له معاوية داو أذني من علتها فتناول العود وغنى

فاتفق ان معنا كان جالسا في ذلك الوقت على رأس الماء فمرت به فأخذها فاذا فيها كتابة فقرأها وهي

أيا جود معن ناج معنا بحاجتي * فمالي الى معن سواك شفيع

فقال من صاحب هذه فدعي بالرجل فقال له كيف قلت فأنشد البيت فأمر له بمائة ألف درهم فأخذها وأخذ الامير الخشبة فوضعها تحت بساطه فلما كان اليوم الثاني قرأها ودعا بالرجل فدفع له مائة ألف درهم على العادة ثم دعاه ثالث مرة فقرأ البيت ودفع له مائة ألف درهم فلما أخذ الجائزة الثالثة خشي الشاعر أن يندم فيأخذ منه ما دفع اليه فسافر فلما كان في اليوم الرابع طلبه معن فلم يجده فقال معن حق علي لو مكث لأعطينه حتى لا يبقى في بيتي درهم ولا دينار (وحكي عنه أيضا) أنه أتي بجملة من الاسرى فعرضهم على السيف فقال له بعضهم أصلح الله الامير نحن أسراك وبنا جوع وعطش فلا تجمع علينا الجوع والعطش والقتل فأمر لهم بطعام وشراب فأكلوا وشربوا ومعن ينظر اليهم فلما فرغوا قال الرجل أصلح الله الامير كنا أسراك ونحن الآن أضيافك فانظر ما تصنع بأضيافك قال قد عفوت عنكم فقال الرجل أيها الامير ما ندري أي يوم أشرف يوم ظفرك بنا أو يوم عفوك عنا فأمر لهم بمال وكسوة (وحكي) ان المنصور أهدر دم رجل كان يسعى في فساد دولته مع الخوارج من أهل الكوفة وجعل لمن دل عليه وجاء به مائة ألف درهم ثم انه ظهر ببغداد فبينما هو يمشي مختفيا في بعض نواحيها اذ بصر به رجل من أهل الكوفة فعرفه فأخذ بمجامع ثيابه وقال هذا بغية أمير المؤمنين فبينما الرجل على تلك الحالة اذ سمع وقع حوافر الخيل

وقال ودّع سعاد فان الركب مرتحل * وهل تطيق وداعا أيها الرجل

قال فحرك عبد الله بن جعفر رأسه فقال له معاوية لم حركت رأسك يا ابن جعفر قال أريحية أجدها يا أمير المؤمنين لو لقيت لابليت ولو سئلت لاعطيت وكان معاوية قد خضب قال فقال ابن جعفر لبديح هات غير هذا وكان عند معاوية جارية أعز جواريه عليه وكانت تتولى خضابه فغنى بديح وقال

ألبس عندك شكر للتي جعلت * ما ابيض من قادمات الرأس كالحمم

وجددت منك ما قد كان أخلقه * صرف الزمان وطول الدهر والقدم

فطرب معاوية طربا شديدا وجعل يحرك رجله فقال له ابن جعفر يا أمير المؤمنين انك سألتني عن تحريك رأسي فأجبتك وأخبرتك وأنا أسألك عن تحريك رجلك فقال كل كريم طروب ثم قام وقال لا يبرح أحد منكم حتى يأتي له اذني ثم ذهب فبعث الى ابن جعفر بعشرة آلاف دينار ومائة ثوب من خاصة كسوته والى كل رجل منهم بألف دينار وعشرة أثواب * وحدث ابن الكلبي والهيثم بن عدي قالا بينما عبد الله بن جعفر في بعض أزقة المدينة اذ سمع غناء فاصغى اليه فاذا صوت رقيق لقينة تغني وتقول

قل للكرام ببابنا يلجوا * ما في التصابي على الفتى حرج

فنزل عبد الله عن دابته ودخل على القوم بلا اذن فلما رأوه قاموا اجلالا له ورفعوا مجلسه فاقبل عليه صاحب المجلس وقال يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم أتدخل مجلسنا بلا اذن وليس هذا من شأنك فقال عبد الله لم أدخل الا باذن قال ومن أذن لك قال قينتك هذه سمعتها تقول * قل للكرام ببابنا يلجوا * فولجنا فان كنا كراما فقد أذن لنا وان كنا لئاما خرجنا مذمومين فقبل صاحب المنزل يده وقال جعلت فداك والله ما أنت الا من أكرم الناس فبعث عبد الله الى جارية من جواريه فحضرت ودعا بثياب وطيب فكسا القوم وطيبهم ووهب الجارية لصاحب المنزل وقال هذه أحذق بالغناء من جاريتك * وسمع سليمان بن عبد الملك مغنيا في عسكره فقال اطلبوه فجاؤا به فقال أعد علي ما غنيت به فغنى واحتفل وكان سليمان أغير الناس فقال لأصحابه كأنها والله جرجرة الفحل في الشول وما أظن أنثى تسمع هذا الا صبت اليه ثم أمر به فخصي

(أصل الغناء ومعدنه) قال أبو المنذر هشام الغناء على ثلاثة أوجه النصب والسناد والهزج فأما النصب فغناء الفتيان والركبان وأما السناد فالثقيل الترجيع الكثير النغمات وأما الهزج فالخفيف كله وهو الذي يستفز القلوب ويهيج الحليم وقيل كان أصل الغناء ومعدنه في أمهات القرى فاشيا ظاهرا وهي المدينة والطائف وخيبر وفدك ووادي القرى ودومة الجندل واليمامة وهذه القرى مجامع أسواق العرب ويقال ان أول من صنع العود لامك بن قابن بن آدم وبكى به على ولده ويقال ان صانعه بطليموس صاحب الموسيقى وهو كتاب اللحون الثمانية والله سبحانه وتعالى أعلم بحقيقة ذلك وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب التاسع والستون في ذكر المغنين والمطربين وأخبارهم ونوادر الجلساء في مجالس الرؤساء)

(قيل) ان أول من غنى في العرب قينتان للنعمان يقال لهما الجرادتان ومن غنائهما

ألا يا قيل ويحك قم فهينم * لعل الله يسقينا غماما

وانما غنتا هذا حين حبس الله عنهم المطر وقيل أول من غنى في الاسلام الغناء الرقيق طويس وهو الذي علم ابن سريج والدلال نوبة الضحى وكان يكنى أبا عبد النعيم ومن غنائه وهو أول صوت غني به في الاسلام هذا البيت

قد براني الشوق حتى * كدت من وجدي أذوب

ثم نجم بعد طويس ابن طنبور وأصله من اليمن وكان أهزج الناس وأخفهم غناء ومن غنائه

وفتيان على شرب جميعا * دلفت لهم بباطية هدور

فلا تشرب بلا طرب فاني * رأيت الخيل تشرب بالصفير

ومنهم حكم الوادي ومن غنائه

أمدح الكاس ومن أعملها * واهج قوما قتلونا بالعطش

انما الراح ربيع باكر * فاذا ما وافت المرء انتعش

وكان

فالتفت فاذا معن بن زائدة فقال يا أبا الوليد أجرني أجارك الله فوقف وقال للرجل المتعلق به ما شأنك قال بغية أمير المؤمنين الذي أهدر دمه وجعل لمن دل عليه وأتى به مائة ألف درهم فقال دعه يا غلام انزل عن دابتك واحمل الرجل عليها فصاح الرجل بالناس وقال أيحال بيني وبين من طلبه أمير المؤمنين فقال له معن اذهب اليه وأخبره انه عندي فانطلق الى باب المنصور فاخبره فامر المنصور باحضار معن فلما أتى الرسول الى معن دعا أهل بيته ومواليه وقال أعزم عليكم لا يصل الى هذا الرجل مكروه وفيكم عين تطرف ثم سار الى المنصور فدخل عليه وسلم عليه فلم يرد عليه السلام وقال يا معن أتتجرأ علي قال نعم يا أمير المؤمنين قال ونعم أيضا واشتد غضبه فقال يا أمير المؤمنين مضت أيام كثيرة قد عرفتم فيها حسن بلائي في خدمتكم فما رأيتموني أهلا ان يوهب الي رجل واحد استجار بي بين الناس وتوسم أني عند أمير المؤمنين من بعض عبيده وكذلك أنا فر بما شئت ها أنا بين يديك فأطرق المنصور ساعة ثم رفع رأسه وقد سكن ما به من الغضب وقال قد أجرنا من أجرت يا معن قال فان رأى أمير المؤمنين أن يجمع بين الأجرين فيأمر له بصدقة فيكون قد أحياه وأغناه قال قد أمرنا له بخمسين ألف درهم قال يا أمير المؤمنين ان صلات الخلفاء على قدر جنايات الرعية وان ذنب الرجل عظيم فاجزل له الصلة قال قد أمرنا له بمائة ألف درهم قال فعجلها يا أمير المؤمنين فان خير البر عاجله فانصرف معن بالمال للرجل وقال له خذ صلتك والحق باهلك واياك ومخالفة خلفاء الله في أمورهم (حكى الجاحظ) قال أخبرني فتى من أصحاب الحديث

وكان هرون الرشيد جماعة من المغنين منهم ابراهيم الموصلي وابن جامع السهمي وغيرهما وكان له زمرا يقال له برصوما وكان ابراهيم أشدهم تصرفا في الغناء وابن جامع أحلاهم نغمة فقال الرشيد يوما لبرصوما ما تقول في ابن جامع قال يا أمير المؤمنين وما أقول في العسل الذي من حيثما ذقته فهو طيب قال فابراهيم الموصلي قال بستان فيه جميع الأزهار والرياحين وكان ابن محرز يغني كل انسان بما يشتهيه كأنه خلق من قلب كل انسان

*وغنى رجل بحضرة الرشيد بهذه الأبيات

وأذكر أيام الحمى ثم أنثني * على كبدي من خشية ان تصدعا * فليست عشيات الحمى برواجع

عليه ولكن خل عينيك تدمعا * بكت عيني اليسرى فلما نهيتها * عن الجهل بعد الحلم أسبلتا معا

قال فاستخف الرشيد الطرب فأمر له بمائة ألف درهم *وحدث ابن الكلبي عن أبيه قال كان ابن عائشة من أحسن الناس غناء وأنبههم فيه وكان من أضيق الناس خلقا اذا قيل له غن قال ألمثلي يقال غن علي عتق رقبة ان غنيت يومي هذا فلما كان في بعض الأيام سال وادي العقيق فلم يبق في المدينة مخبأة ولا مخدرة ولا شاب ولا كهل الا خرج يبصره وكان فيمن خرج ابن عائشة المغني وهو معتجر بفضل ردائه فنظر اليه الحسن بن الحسن ابن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهم وكان الحسن فيمن خرج الى العقيق وبين يديه عبدان أسودان كأنهما ساريتان عشيان أمام دابته فقال لهما أقسم بالله ان لم تفعلا ما آمركما به لأنكلن بكما فقالا يا مولانا قل ما تأمرنا به فلو أمرتنا أن نقتحم النار فعلنا قال اذهبا الى ذلك الرجل المعتجر بفضل ردائه فامسكاه فان لم يفعل ما آمره به والا فاقذفا به في العقيق قال فمضيا والحسن يقفوهما فلم يشعر ابن عائشة الا وهما آخذان بمنكبيه فقال من هذا فقال له الحسن أنا هذا يا ابن عائشة فقال لبيك وسعديك بأبي أنت وأمي قال اسمع مني ما أقول لك واعلم انك مأسور في أيديهما وقد أقسمت ان لم تغن مائة صوت ليطرحانك في العقيق قال فصاح ابن عائشة واويلاه واعظم مصيبتاه فقال له الحسن دعنا من صياحك وخذ فيما ينفعنا قال اقترح واقم من يحصي ثم أقبل يغني فترك الناس العقيق وأقبلوا عليه فلما تمت أصواته مائة كبر الناس بلسان واحد تكبيرة ارتجت لها أقطار الأرض وقالوا للحسن صلى الله على جدك حيا وميتا فما اجتمع لأحد من أهل المدينة سرور قط الا بكم أهل البيت فقال له الحسن ما فعلت هذا بك يا ابن عائشة الا لأخلاقك الشرسة فقال ابن عائشة والله ما مرت بي شدة أعظم من هذه لقد بلغت أطراف أعضائي فكان ابن عائشة بعد ذلك اذا قيل له ما أشد يوم مر عليك يقول يوم العقيق *وحدث أبو جعفر البغدادي قال حدثني عبد الله بن محمد كاتب بغداد عن أبي عكرمة قال خرجت يوما الى المسجد الجامع فمررت بباب أبي عيسى ابن المتوكل فاذا على بابه المشدود وهو أحذق خلق الله تعالى بالغناء فقال أين تريد يا أبا عكرمة قلت المسجد الجامع لعلي أستفيد حكمة أكتبها فقال ادخل بنا الى أبي عيسى قلت أمثل أبي عيسى في قدره وجلالته يدخل عليه بلا اذن فقال للحاجب أعلم أمير المؤمنين بمكان أبي عكرمة فالبث الا ساعة واحدة حتى خرج الغلمان الي فحملوني حملا فدخلت الى دار ما رأيت أحسن منها بناء ولا أظرف منها هيئة فلما نظرت الى أبي عيسى قال لي ما يعيش من يحتشم اجلس فجلست فأتينا بطعام كثير فلما انقضى أتينا بشراب وقامت جارية تسقينا شرابا كالشعاع في زجاجة كأنها كوكب دري فقلت أصلح الله الأمير وأتم عليه نعمه ولا سلبه ما وهبه قال فدعا أبو عيسى بالمغنين وهم المشدود ودبيس ورقيق ولم يكن في ذلك الزمان أحذق من هؤلاء الثلاثة بالغناء فابتدأ المشدود وغنى يقول

لما استقل بأرداف تجاذبه * واخضر فوق بياض الدر شاربه * وأشرق الورد من نسرين وجنته

واهتز أعلاه وارتجت حقائبه * كلمته بجفون غير ناطقة * فكان من رده ما قال حاجبه

ثم سكت وغنى دبيس

الحب حلو أمرته عواقبه * وصاحب الحب صب القلب ذائبه * استودع الله من بالطرف ودعني

يوم الفراق ودمع العين ساكبه * ثم انصرفت وداعي الشوق يهتف بي * ارفق بقلبك قد عزت مطالبه

ثم سكت وغنى رقيق

بدر من الانس حفته كواكبه * قد لاح عارضه واخضر شاربه * ان يوعد الوعد يوما فهو مخلفه

أو ينطق القول يوما فهو كاذبه * عاطيته كدم الأوداج صافية * فقام يشدو وقد مالت جوانبه

قال دخلت ديرا في بعض المنازل لما ذكر لي ان به راهبا حسن المعرفة بأخبار الناس وأيامهم فسرت له لأسمع كلامه فوجدته في حجرة معتزلة بالدير وهو على أحسن هيئة في زي المسلمين فكلمته فوجدت عنده من المعرفة أكثر مما وصفوا فسألت عن سبب اسلامه فحدثني ان جارية من بنات الروم كانت في هذا الدير نصرانية كثيرة المال بارعة الجمال بديعة الشكل والمثال فأحبت غلاما مسلما خياطا وكانت تبذل له مالها ونفسها والغلام يعرض عن ذلك ولا يلتفت اليها وامتنع عن المرور بالدير فلما أعيتها الحيلة فيه طلبت رجلا ماهرا في التصوير وأعطته مائة دينار على أن يصور لها صورة الغلام في دائرة على شكله وهيئته ففعل المصور فلم تخطئ الصورة شيأ منه غير النطق وأتى بها الى الجارية فلما أبصرتها أغمي عليها فلما أفاقت أعطت المصور مائة دينار أخرى وأخرج الراهب لي الصورة فرأيتها فكادان يزل عقلي فلما خلت الجارية بالصورة رفعتها الى حائط حجرتها وما زالت كل يوم تأتي الصورة وتقبلها وتلثم ما تحب منها ثم تجلس بين يديها وتبكي فاذا أمست قبلتها وانصرفت فما زالت على تلك الحال شهرا فمرض الغلام ومات فعملت الجارية مأتما وعزاء سار ذكره في الآفاق وصارت مثلا بين الناس ثم رجعت الى الصورة وصارت تلثمها وتقبلها الى ان أمست فباتت الى جانبها فلما أصبحنا دخلنا عليها لنأخذ من خاطرها فوجدناها ميتة ويدها ممدودة الى الحائط نحو الصورة وقد كتب عليه هذه الأبيات

يا موت حسبك نفسي بعد سيدها
خذها اليك فقد أودت عوافيها
أسلمت وجهي الى الرحمن مسلمة
ومت موت حبيب كان يعصيها

ثم سكت وابتدأ المشدود يقول

يا دير حنة من ذات الاكيراح * من يصح عنك فاني لست بالصاحي

ثم سكت وغنى دبيس دع البساتين من آس وتفاح * واعدل هديت الى شيخ الاكيراح

واعدل الى فتية ذابت لحومهم * من العبادة الا انضو واشباح

وخمرة عتقت في دنها حقبا * كأنها دمعة في جفن سباح

ثم سكت وغنى رقيق لا تعذلن بقول الدائم اللاحي * واشرب على الورد من مشمولة الراح

كأسا اذا انحدرت في حلق شاربها * أغنته لألاؤها عن كل مصباح

ما زلت أسقي نديمي ثم ألثمه * والليل ملتحف في ثوب أمساح

فقام يشدو وقد مالت سوالفه * يا دير حنة من ذات الاكيراح

ثم أقبل أبو عيسى على المشدود وقال له غن لي شعري فغناه

يا لجة الدمع هل للغمض مرجوع * أم الكرى من جفون العين ممنوع

ما حيلتي وفؤادي هائم دنف * بعقرب الصدغ من مولاي ملسوع

لا والذي تلفت نفسي بفرقته * فالقلب من فرق الاحزان مصدوع

ما أرق العين الا حب مبتدع * ثوب الجمال على خديه مخلوع

قال أبو عكرمة فوالله لقد حضرت من المجالس ما لا يحصي عدده الا الله تعالى فما حضرت مثل ذلك المجلس ولولا أن أبا عيسى قطعهم ما انقطعوا (وحكي) عن الرشيد انه قال يوما للفضل بن الربيع من بالباب من الندماء قال جماعة فيهم هاشم بن سليمان مولى بني أمية وأمير المؤمنين يشتهي سماعه قال فاذن له وحده فدخل فقال هات يا هاشم فغناه من شعر جميل حيث يقول

اذا ما تراجعنا الذي كان بيننا * جرى الدمع من عيني بثينة بالكحل

فيا ويح نفسي حسب نفسي الذي بها * ويا ويح عقلي ما أصبت به أهلي

خليلي فيما عشتما هل رأيتما * قتيلا بكى من حب قاتله قبلي

قال فطرب الرشيد طربا شديدا وقال أحسنت الله أبوك ثم قلده عقدا نفيسا فلما رآه هاشم ترقرقت عيناه بالدموع فقال له الرشيد ما يبكيك يا هاشم فقال يا أمير المؤمنين ان لهذا العقد حديثا عجيبا ان أذن لي أمير المؤمنين حدثته به قال قد أذنت لك قال يا أمير المؤمنين قدمت يوما على الوليد وهو على بحيرة طبرية ومعه قينتان لم ير مثلهما جمالا وحسنا فلما وقعت عينه علي قال هذا اعرابي قد ظهر من البوادي ادعوا به فسخر به فدعاني فصرت اليه ولم يعرفني فغنت احدى الجاريتين بصوت هولي فأخطأت الجارية فقلت لها أخطأت يا جارية فضحكت ثم قالت يا أمير المؤمنين ألم تسمع ما يقول هذا الاعرابي يعيب علينا غناءنا فانظر الى كالمنكر فقلت يا أمير المؤمنين أنا أبين لك الخطأ فلتصلح وتركذا وتركذا فغعلت وغنت شيأ ما سمع منها الا في هذا اليوم فقامت الجارية مكبة علي وقالت أستاذي هاشم ورب الكعبة فقال الوليد أهاشم بن سليمان أنت قلت نعم يا أمير المؤمنين وكشفت عن وجهي وأقمت معه بقية يومنا فأمر لي بثلاثين ألف درهم فقالت الجارية يا أمير المؤمنين أتأذن لي في بر أستاذي فقال الوليد ذلك اليك قالت يا أمير المؤمنين هذا العقد من عنقها ووضعته في عنقي وقالت هو لك ثم قربوا اليه السفينة ليرجع الى موضعه فركب في السفينة وطلعت معه احدى الجاريتين وأتبعتها صاحبتي فأرادت ان ترفع رجلها وتطلع السفينة فسقطت في الماء فغرقت لوقتها وطلبت فلم يقدر عليها فاشتد جزع الوليد عليها وبكى بكاء شديدا وبكيت أنا عليها أيضا بكاء شديدا فقال لي يا هاشم ما ترجع عليك عاره وهناؤه لك ولكن تحب أن يكون هذا العقد عندنا لنذكرها به فبعني اياه فعوضني عنه ثلاثين ألف درهم فلما رأيت هذا العقد يا أمير المؤمنين تذكرت قضيته وهذا سبب بكائي فقال الرشيد لا تعجب فان الله كما ورثنا مكانهم ورثنا أموالهم * وقال علي بن سليمان النوفلي غنى دحمان الاشقر عند الرشيد يوما فأنشده

اذا نحن أدلجنا وأنت أمامنا * كفى لمطايانا برؤياك هاديا

ذكرتك بالديرين يوما فأشرفت * بنات الهوى حتى بلغن التراقيا

لعلها في جنان الخلد يجمعها بمن تحب غدا في البعث باريها

مات الحبيب وماتت بعده كمدا محبة لم تزل تشقى محبيها

قال الراهب فشاع الخبر وحملها المسلمون ودفنت الى جانب قبر الغلام فلما أصبحنا دخلنا حجرتها فرأينا تحت شعرها مكتوبا

أصبحت في راحة مما جنته يدي * وصرت جارة رب واحد صمد

محا الاله ذنوبي كلها وغدا * قلبي خليا من الاحزان والكمد

لما قدمت الى الرحمن مسلمة * وقلت انك لم تولد ولم تلد

أثابني رحمة منه ومغفرة * وأنعما باقيات آخر الأبد

(قيل) اجتمع الصوفية الى أبي القاسم الجنيد وقالوا يا أستاذ أنخرج ونسعى في طلب الرزق قال لهم ان علمتم أين هو فاطلبوه قالوا فنسأل الله أن يرزقنا قال ان علمتم انه ينساكم فذكروه قالوا فنجلس اذا ونتوكل قال التجربة شك قالوا فما الحيلة قال ترك الحيلة (قيل) اجتمع أربعة من الأئمة الشافعي وأحمد بن حنبل وأبو ثور ومحمد بن الحكم رضي الله تعالى عنهم عند أحمد بن حنبل يتذاكرون فصلوا صلاة المغرب وقدموا الشافعي ثم ما زالوا يصلون في المسجد الى أن صلوا العتمة ثم دخلوا بيت أحمد بن حنبل ودخل أحمد على امرأته ثم خرج على أصحابه وهو يضحك فقال الشافعي مم تضحك يا أبا عبد الله قال خرجت الى الصلاة ولم يكن في البيت لقمة من طعام والآن فقد وسع الله علينا قال الشافعي فما سببه قال أحمد قالت لي أم عبد الله انكم لما خرجتم الى الصلاة جاء رجل عليه ثياب بيض حسن الوجه عظيم الهيئة ذكي الرائحة فقال يا أحمد بن حنبل فقلنا لبيك فقال ها كم خذوا هذا فسلم اليناز نبيلا

اذا ما طواك الدهر يا أم مالك * فشأن المنايا القاضيات وشانيا

قال فطرب الرشيد طربا شديدا واستعاده منه مرات ثم قال له تمن علي قال أتمنى الهنيء والمريء وهما ضيعتان غلتهما أربعون ألف دينار في كل سنة فأمر له بهما فقيل له يا أمير المؤمنين ان هاتين الضيعتين من جلالتهما يجب أن لا يسمح بمثلهما فقال الرشيد لا سبيل الى استرداد ما أعطيت ولكن احتالوا في شرائهما منه فساوموه فيهما حتى وقفوا معه على مائة ألف دينار فرضي بذلك فقال الرشيد ادفعوها له فقالوا يا أمير المؤمنين في اخراج مائة ألف دينار من بيت المال طعن ولكن نقطعها له فكان يوصل بخمسة آلاف وثلاثة آلاف حتى استوفاها (ومن ذلك) ما حكى اسحق الموصلي قال كان الواثق بن المعتصم أعلم الناس بالغناء وكان يضع الالحان العجيبة ويغني بها شعره وشعر غيره فقال له يوما يا أبا محمد لقد فقت أهل العصر في كل شيء فغنني شعرا أرتاح اليه وأطرب عليه يومي هذا قال اسحق فغنيته هذه الابيات

ما كنت أعلم ما في البين من حرق * حتى تنادوا بان قد جيء بالسفن
قامت تودعني والدمع يغلبها * فهمهمت بعض ما قالت ولم تبن
مالت الي وضمتني لترشفني * كما يميل نسيم الريح بالغصن
وأعرضت ثم قالت وهي باكية * ياليت معرفتي اياك لم تكن

قال فخلع علي خلعة كانت عليه وأمر لي بمائة ألف درهم قال وغنيته يوما

قفي ودعينا يا سعاد بنظرة * فقد حان منا يا سعاد رحيل
فيا جنة الدنيا ويا غاية المنى * ويا سؤل نفسي هل اليك سبيل
وكنت اذا ما جئت جئت لعلة * فأفنيت علاتي فكيف أقول
فما كل يوم لي بأرضك حاجة * ولا كل يوم لي اليك وصول

فقال والله لا سمعت يومي غيره وألقى علي خلعة من ثيابه وأمر لي بصلة ما أمر لي قبلها بمثلها (ومن حكايات الخلفاء ومكارم أخلاقهم) ما حكى عن ابراهيم بن المهدي قال قال جعفر بن يحيى يوما لبعض ندمائه اني قد استأذنت أمير المؤمنين في الخلوة غدا فهل من مساعد فقلت جعلت فداءك أنا أسعد بمساعدتك وأسر بمشاهدتك فقال بكر بكور الغراب قال فأتيته عند الفجر فوجدت الشموع قد أوقدت بين يديه وهو ينتظرني في الميعاد فما زلنا في أطيب عيش الى وقت الضحى فقدمت الينا موائد الاطعمة عليها من أفخر الطعام وأطيبه فأكلنا وغسلنا أيدينا ثم خلعت علينا ثياب المنادمة وضمخنا بالخلوق وانتقلنا الى مجلس الطرب ومدت الستائر وغنت القينات فظللنا بأنعم يوم ثم انه داخله الطرب فدعا بالحاجب وقال له اذا أتى أحد يطلبنا فأذن له ولو كان عبد الملك ابن صالح بنفسه فاتفق بالامر المقدر ان عم الرشيد عبد الملك بن صالح قدم علينا في ذلك الوقت وكان صاحب جلالة وهيبة ورفعة وعنده من الورع والزهد والعبادة ما لا مزيد عليه وكان الرشيد اذا جلس مجالس اللهو لا يطلعه على ذلك لشدة ورعه فلما قدم دخل به الحاجب علينا فلما رأيناه رمينا ما في أيدينا وقمنا اجلالا له نقبل يده وقد ارتعنا الذلك وخجلنا وزاد بنا الحياء فقال لا بأس عليكم كونوا على ما أنتم عليه ثم صاح بغلام فدفع له ثيابه ثم أقبل علينا وقال اصنعوا بنا ما صنعتم بأنفسكم قال فما كان بأسرع من أن طرحت عليه ثياب خز معلم وقدمت اليه موائد الطعام والشراب فطعم وشرب الشراب لساعته ثم قال خففوا عني فانه شيء والله ما فعلته قط قال فتهلل وجه جعفر ثم التفت الى عبد الملك فقال له جعلت فداءك قد علوت علينا وتفضلت فهل من حاجة تبلغها مقدرتي وتحيط بها نعمتي فأقضيها لك مكافأة لك على ما صنعت قال بلى ان في قلب أمير المؤمنين بعض تغير علي فتسأله الرضا عني فقال جعفر قد رضي عنك أمير المؤمنين قال وعلي عشرة آلاف دينار فقال جعفر هي حاضرة لك من مالي ولك من مال أمير المؤمنين مثلها قال وأريد أن أشد ظهر ابني ابراهيم بمصاهرة من أمير المؤمنين قال قد زوجه أمير المؤمنين بابنته الغالية قال وأحب أن تخفق الالوية على رأسه قال وقد ولاه أمير المؤمنين مصر فانصرف عبد الملك ابن صالح وبقيت متعجبا من اقدام جعفر على ذلك من غير استئذان وقلت عسى أن يجيبه أمير المؤمنين الى ما سأله من الولاية والمال والرضا عنه الا المصاهرة قال فلما كان من الغد بكرت الى باب الرشيد لانظر ما يكون من أمرهم فدخل جعفر فلم يلبث ان دعي بأبي يوسف القاضي ثم بابراهيم بن عبد الملك بن صالح فخرج ابراهيم وقد عقد نكاحه بالغالية بنت الرشيد وعقد له على مصر والرايات والالوية تخفق على رأسه وخرج

أبيض وعليه منديل طيب الرائحة وطبق مغطى بمنديل آخر وقال كلوا من رزق ربكم واشكروا له فقال الشافعي يا أبا عبد الله فما في الزنبيل والطبق فقال عشرون رغيفا قد عجنت باللبن واللوز المقشور أبيض من الثلج وأذكى من المسك ما رأى الراؤن مثله وخروف مشوي مزعفر حار وملح في سكرجة وخل في قارورة على الطبق وبقل وحلواء متخذة من سكر طبرزد ثم أخرج الكل ووضعه بين أيديهم فتعجبوا من شأنه وأكلوا ما شاء الله قال فلم تذهب حلاوة ذلك الطعام والحلواء مدة طويلة وكل من أكل من ذلك الطعام ما احتاج الى طعام غيره مدة شهر فلما أن فرغوا من الاكل حمل أحمد ما بقي منه وأدخله الى أهله فأكلوا وشبعوا وبقي منه شيء فأجمع رأيهم على أن الطعام كان من غيب الله وان الرسول كان ملكا من الملائكة قال صالح بن أحمد بن حنبل ما أصابتنا مجاعة قط ما دام ذلك الزنبيل في بيتنا وكان يأتينا الرزق من حيث لا نحتسب رضي الله تعالى عنهم وأعاد علينا من بركاتهم (قيل) ان عبد الله بن معمر القيسي كان أميرا من أمراء العرب وكان بطلا شجاعا جوادا ذا مروءة وافرة قال حججت سنة من السنين الى بيت الله الحرام وصحبت مالا كثيرا ومتجرا عزيزا فلما قضيت حجي عدت لزيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم فبينما أنا ذات ليلة بين القبر والمنبر في الروضة اذ سمعت أنينا عاليا وحسا باديا فأنصت اليه فاذا هو يقول

أشجاك نوح حمائم الدر
فأهجن منك بلابل الصدر
أم زاد نومك ذكر غانية
أهدت اليك وساوس الفكر
في ليلة نام الخلي بها
وخلوت بالاحزان والذكر

كل من فى القصر معه الى بيت عبد الملك بن صالح قال ثم بعد ذلك خرج الينا جعفر وقال أظن ان قلوبكم تعلقت بحديث عبد الملك بن صالح وأحببتم سماع ذلك قلنا هو كما ظننت قال لما دخلت على أمير المؤمنين ومثلت بين يديه قال كيف كان يومك يا جعفر بالأمس فقصصت عليه القصة حتى بلغت الى دخول عبد الملك بن صالح وكان متكئا فاستوى جالسا وقال لله أبوك ما سألك قلت سألنى رضاك عنه يا أمير المؤمنين قال بم أجبته قلت قد رضى عنك أمير المؤمنين قال قد رضيت عنه ثم ماذا قلت وذكر ان عليه عشرة آلاف دينار قال فبم أجبته قلت قد قضاها عنك أمير المؤمنين قال وقد قضيتها عنه ثم ماذا قلت ورغب أن يشد أمير المؤمنين ظهر ولده ابراهيم بمصاهرة منه قال فبم أجبته قلت قد زوجه أمير المؤمنين بابنته العالية قال قد أجبته الى ذلك ثم ماذا قلت قال وأحب أن تخفق الألوية على رأسه قال فبم أجبته قلت قد ولاه أمير المؤمنين مصر قال قد وليته اياها ثم نجزه جميع ذلك من ساعته قال ابراهيم المهدى فوالله ما أدرى أى الثلاثة أكرم وأعجب فعلا ما ابتدأ عبد الملك بن صالح من المنادمة ولم يكن فعل ذلك قط أم اقدام جعفر على الرشيد أم امضاء الرشيد جميع ما حكم به جعفر فهكذا تكون مكارم الاخلاق * وحكى أبو العباس عن عمر الرازى قال أقبلت من مكة أريد المدينة فجعلت أسير فى جدد من الأرض فسمعت غناء لم أسمع مثله فقلت والله لا توصلن اليه فاذا هو عبد أسود فقلت له أعد على ما سمعت فقال والله لو كان عندى قرى أقريكه لفعلت ولكنى أجعله قراك فانى والله ربما غنيت بهذا الصوت وأنا جائع فأشبع وربما غنيته وأنا كسلان فأنشط أو عطشان فأروى ثم اندفع يغنى ويقول

وكنت اذا ما جئت سعدى أزورها * أرى الأرض تطوى لى ويدنو بعيدها

من الخفرات البيض ود جليسها * اذا ما انقضت أحدوثة لو تعيدها

قال عمر فحفظته منه ثم تغنيت به على الحالات التى وصفها الى فاذا هى كما ذكر والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

* الباب السبعون فى ذكر القينات والأغانى *

(حكى) على بن الجهم قال لما أفضت الخلافة الى أمير المؤمنين المتوكل أهدى اليه عبد الله بن طاهر من خراسان جارية يقال لها محبوبة كانت قد نشأت بالطائف فبرعت فى الجمال والأدب وأجادت قول الشعر وحذاقة الغناء فشغف بها أمير المؤمنين المتوكل حتى كانت لا تفارق مجلسه ساعة واحدة ثم انه حصل منه عليها بعد ذلك جفاء فهجرها قال على بن الجهم فبينما أنا نائم عنده ذات ليلة اذ أيقظنى فقال يا على قلت لبيك يا أمير المؤمنين قال قد رأيت الليلة فى منامى كأنى رضيت على محبوبة وصالحتها فقلت خيرا رأيت يا أمير المؤمنين أقر الله عينك انما هى جاريتك والرضا والجفاء بيدك فوالله انا لفى حديثها اذ جاءت وصيفة فقالت يا أمير المؤمنين سمعت صوت عود من حجرة محبوبة فقال قم بنا يا على ننظر ما تصنع فنهضنا حتى أتينا حجرتها فاذا هى تضرب بالعود وتقول

أدور فى القصر لا أرى أحدا * أشكو اليه ولا يكلمنى * كأننى قد أتيت معصية

ليس لها توبة تخلصنى * فهل شفيع لنا الى ملك * قد زارنى فى الكرى وصالحنى

حتى اذا ما الصباح لاح لنا * عاد الى هجره وصارمنى

قال فصاح أمير المؤمنين فلما سمعته تلقته وأكبت على رجليه تقبلهما فقال ما هذا قالت يا مولاى رأيت فى منامى هذه الليلة كأنك قد رضيت عنى فأنشدت ما سمعت قال وأنا والله رأيت مثل ذلك ثم قال يا على هل رأيت أعجب من هذا الاتفاق ثم أخذ بيدها ومضى الى حجرتها وكان من أمرهما ما كان *قيل وكان أمير المؤمنين الواثق اذا شرب رقد فى موضعه الذى شرب فيه ومن كان معه من ندمائه وشرب رقد ولم يخرج فشرب يوما وخرج من كان عنده الا مغنيا واحدا أظهر التراقد فتركه وكانت مغنية من حظايا الخليفة نائمة فلما اخلا المجلس كتب المغنى رقعة ورمى بها اليها فاذا فيها

انى رأيتك فى المنام ضجيعتى * مسترشفا من ريق فيك البارد * وكأن كفك فى يدى وكأننا

بتنا جميعا فى لحاف واحد * ثم انتبهت ومنكباك كلاهما * فى راحتى وتحت خدك ساعدى

فقطعت يومى كله متراقدا * لأراك فى نومى ولست براقد

فكتبت اليه على ظهرها تقول

خيرا

يا ليلة طالت على دنف
يشكو الغرام وقلة الصبر
أسلمت من يهوى لحر جوى
متوقد كتوقد الجمر
فالبدر يشهد اننى كلف
بجمال شبه مشبه البدر

قال ثم انقطع الصوت ولم أر من أين جاء فبهت حائرا واذا به قد أعاد البكاء والنحيب وهو يقول

أشجاك من ريا خيال زائر
والليل مسود الذوائب عاكر
واعتاد مهجتك الهوى فأبادها
واهتاج مقلتك المنام الباتر
ناديت ليلى والظلام كأنه
يم تلاطم فيه موج زاخر
والبدر يسرى فى السماء كأنه
ملك تبدى والنجوم عساكر
واذا تعرضت الثريا خلتها
كاسا بها حث السلافة دائر
وترى يدا الجوزاء ترقص فى الدجا
رقص الحبيب علاه سكر ظاهر
يا ليل طلت على حبيب ماله
الا الصباح مؤازر ومسامر
فأجابنى مت حتف أنفك واعلمن
ان الهوى لهو الهوان الحاضر

قال عبد الله فنهضت عند ابتدائه بالأبيات أؤم الصوت فما انتهى الى آخرها الا وأنا عنده فرأيت غلاما جميلا قد نزل عذاره لكن قد علا محاسنه الاصفرار والدموع تجرى على خده كالأمطار فقال نعمت ظلاما من الرجل قلت عبد الله بن معمر القيسى فقال ألك حاجة يا فتى قلت انى كنت جالسا فى الروضة فما راعنى فى هذه الليلة الا صوتك فبنفسى أقيك وبروحى أفديك وبمالى أواسيك ما الذى تجد قال ان كان ولابد فاجلس فجلست فقال أنا عتبة بن الحباب بن المنذر بن الجموح الأنصارى غدوت الى مسجد الأحزاب ولم أزل فيه راكعا ساجدا ثم اعتزلت غير بعيد فاذا نسوة يتهادين كأنهن القطا وفى وسطهن

خيرا رأيت وكل ما أملته * ستناله مني برغم الحاسد * وتبيت بين خلاخلي ودمالجي
وتحل بين مراشفي ونواهدي * ونكون أنعم عاشقين تعاطيا * ملح الحديث بلا مخافة راصد

فلما مدت يدها لترمي اليه بالرقعة رفع الواثق رأسه فأخذها من يدها وقال ما هذا فحلفا له انه لم يجر بينهما قبل ذلك كلام ولا كتاب ولا رسول الا ان العشق قد خامرهما قال فاعتقهما من وقتها وزوجها به وقال خذها ولا تقربنا بعد اليوم * وكان لاسماء بنت المهدي جارية يقال لها كاعب وكانت بكرا ناهدا بنت ثلاث عشرة سنة قال فتلاعب عليها أبو نواس فتمنعت فوقع في قلبه منها ما وقع وأحبته هي أيضا فجعل أبو نواس كلما أمسكها تمنعت فظفر بها ليلة من الليالي في ناحية من القصر فأمسكها فمكنت وقالت له يا سيدي الموت دون ذلك فقال أبو نواس هذا جزع الابكار فاتفق انه خرج يوما من القصر وقد ترقرق الدجا فوجدها نائمة في سدلة وهي سكرى لا تفيق فتقرب منها وحل سراويلها ووقع عليها فاذا هي خالية من البكارة فارتاع وظن أن يكون أتاها آدم فلم يجد فقام عنها وندم على ما كان منه وأنشد يقول

وناهدة الثديين من خدم القصر * مرقرقة الخدين ايلية الشعر
كلفت بها دهرا على حسن وجهها * طويلا وما حب الكواعب من أمري
فما زلت بالأشعار حتى خدعتها * وروضتها والشعر من خدع السحر
أطالبها شيأ فقالت بعبر * أموت ولا هذا ودمعتها تجري
فلما تعارضنا وتوسطت لجة * غرقت بها يا قوم في لجج البحر
فصحت أغثني يا غلام فجاءني * وقد زلقت رجلي وصرت الى الصدر
ولولا صياحي بالغلام وانه * تداركني بالحبل صرت الى القعر
فاقسمت عمري لا ركبت سفينة * ولا سرت طول الدهر الا على ظهر

ومن ذلك ما حدث الشيباني قال كان عند رجل بالعراق قينة وكان أبو نواس يختلف اليها وكانت تظهر له أنها لا تحب غيره وكان كلما دخل اليها وجد عندها شابا يجالسها ويحادثها فقال فيها هذه الأبيات

ومظهرة لخلق الله ودا * وتلقى بالتحية والسلام * أتيت لبابها أشكو اليها
فلم أخلص اليه من الزحام * فيا من ليس يكفيها خليل * ولا ألفا خليل كل عام
أراك بقية من قوم موسى * فهم لا يصبرون على طعام

(وقال) أبو سويد حدثني أبو زيد الأسدي قال دخلت على سليمان بن عبد الملك وهو جالس في ايوان مبلط بالرخام الأحمر مفروش بالديباج الاخضر في وسط بستان ملتف قد أثمر وأينع وعلى رأسه وصائف كل واحدة منهن أحسن من صاحبتها وقد غابت الشمس وغنت الأطيار فتجاوبت وصفقت الرياح على الأشجار فتمايلت فقلت السلام عليك أيها الامير ورحمة الله وبركاته وكان مطرقا فرفع رأسه وقال أبا زيد في مثل هذا الحين تصاحبنا فقلت أصلح الله الأمير أو قامت القيامة قال نعم على أهل المحبة ثم أطرق مليا ورفع رأسه وقال أبا زيد ما يطيب في يومنا هذا قلت أصلح الله الأمير قهوة حمراء في زجاجة بيضاء تناولها غادة هيفاء مضمومة لفاء أشربها من كفها وأمسح فمي بخدها فأطرق سليمان مليا لا يرد جوابا تتحدر من عينيه عبرات بلا شهيق فلما رأت الوصائف ذلك تنحين عنه ثم رفع رأسه فقال أبا زيد حضرت في يوم فيه انقضاء أجلك ومنتهى مدتك وتصرم عمرك والله لأضربن عنقك أو لتخبرني ما أثار هذه الصفة من قلبك قلت نعم أصلح الله الأمير كنت جالسا عند دار أخيك سعيد بن عبد الملك فاذا أنا بجارية قد خرجت من باب القصر كأنها غزال انفلت من شبكة صياد عليها قميص سكب اسكندراني يبين منه بياض بدنها وتدوير سرتها ونقش تكتها وفي رجليها نعلان صراران قد أشرق بياض قدميها على حمرة نعليها بذؤابتين تضربان الى حقويها لها صدغان كأنهما نونان وحاجبان قد قوسا على محاجر عينيها وعينان مملوأتان سحرا وأنف كأنه قصبة بلور وفم كأنه جرح يقطر دما وهي تقول عباد الله من لي بدواء ما لا يشتكى وعلاج ما لا يسمى طال الحجاب وأبطأ الجواب والقلب طائر والعقل عازب والنفس والهة والفؤاد مختلس والنوم محتبس رحمة الله على قوم عاشوا تجلدا وماتوا كمدا ولو كان الى الصبر حيلة أو الى ترك الغرام سبيل لكان

جارية بديعة الجمال في نشرها بارعة الكمال في عصرها نورها ساطع يتشعشع وطيبها عاطر يتضوع فوقفت علي وقالت يا عتبة ما تقول في وصل من طلب وصالك ثم تركتني وذهبت فلم أسمع لها خبرا ولا أقفو لها أثرا فانا حيران أنتقل من مكان الى مكان ثم صرخ صرخة عظيمة وأكب على الأرض مغشيا عليه ثم أفاق بعد ساعة وكأنما صبغت ديباجة خده بورس وأنشد يقول

أراك بقلبي من بلاد بعيدة
ترا كم تروني بالقلوب على بعد
فؤادي وطرفي يأسفان عليكم
وعندكم روحي وذكركم عندي
ولست ألذ العيش حتى أراكم
ولو كنت في الفردوس أو جنة الخلد

قال فقلت يا أخي تب الى ربك واستقل من ذنبك واتق هول المطلع وسوء المضجع فقال هيهات هيهات ما أنا مبال حتى يكون ما يكون ولم أزل به الى طلوع الصباح فقلت له قم بنا الى مسجد الأحزاب فلعل الله أن يكشف عنك ما بك قال أرجو ذلك ببركة طلعتك ان شاء الله فنزلنا الى أن وردنا مسجد الأحزاب فسمعته يقول

يا للرجال ليوم الأربعاء أما
ينفك يحدث لي بعد النهى طربا
ما ان يزال غزال فيه يظلمني
يهوى الى مسجد الأحزاب منتقبا
يخبر الناس أن الأجر همته
وما أتى طالبا للأجر محتسبا
لو كان يبغي ثوابا ما أتى ظهرا
مضمخا بفتيت المسك مختضبا

فجلسنا ثم حتى صلينا به الظهر فاذا النسوة أقبلن وما الجارية بينهن فلما بصرن به قلن يا عتبة وما ظنك بطالبة وصالك وكاسفة بالك قال وما لها قلن قد أخذها أبوها وارتحل بها الى السماوة فسألتهن عن الجارية فقلن هي ريا ابنة الغطريف السلمي فرفع الشاب رأسه

أم اجميلا ثم أطرقت طويلا ورفعت رأسها فقلت لها أيتها الجارية انسية أنت أم جنية سماوية أنت أم أرضية فقد أعجبني ذكاء عقلك وأذهلني حسن منطقك فسترت وجهها بكمها كأنها لم ترني ثم قالت أعذر أيها المتكلم فما أوحش الساعد بلا مساعد والمقاساة لصب معاند ثم انصرفت فوالله ما أكلت طعاما طيبا الا غصصت به لذكرها ولا رأيت حسنا الا سمج في عيني لحسنها فقال سليمان أبازيد كاد الجهل يستفزني والصبا يعاودني والحلم يعزب عني لشجو ما سمعت اعلم أبازيد أن تلك التي رأيتها هي الذلفاء التي قيل فيها

انما الذلفاء ياقوتة * أخرجت من كيس دهقان

شراؤها على أخي ألف ألف درهم وهي عاشقة لمن باعها والله ان مات ما يموت الا بحبها ولا يدخل القبر الا بغصتها وفي الصبر سلوة وفي توقع الموت نهبة قم أبازيد في دعة الله تعالى ثم قال يا غلام نفله ببدرة فأخذتها وانصرفت قال فلما أفضت الخلافة اليه صارت الذلفاء اليه فأمر بفسطاط فأخرج على دهناء الغوطة وضرب في روضة خضراء مونقة زهراء ذات حدائق بهجة تحتها أنواع الزهر ما بين أصفر فاقع وأحمر قاني وأبيض ناصع وكان لسليمان مغن يقال له سنان به يأنس واليه يسكن فأمره أن يضرب فسطاطه بالقرب منه وكانت الذلفاء قد خرجت مع سليمان الى ذلك المنتزه فلم يزل سنان يومه ذلك عند سليمان في أكمل سرور وأتم حبور الى أن انصرف من الليل الى فسطاطه فنزل به جماعة من اخوانه فقالوا له نريد قراء أصلحك الله قال وما قراكم قالوا أكل وشرب وسماع قال أما الأكل والشرب فمباحان لكم وأما السماع فقد عرفتم شدة غيرة أمير المؤمنين ونهيه عنه الا ما كان في مجلسه قالوا الا حاجة لنا بطعامك وشرابك ان لم تسمعنا قال فاختاروا صوتا واحدا أغنيكموه قالوا اغننا صوت كذا فرفع صوته يغني بهذه الأبيات

محجوبة سمعت صوتي فأرقها * من آخر الليل لما نبه السحر

في ليلة البدر ما يدري مضاجعها * أوجهها عنده أبهى أم القمر

لم يحجب الصوت احراس ولا غلق * فدمعها لطروق الصوت منحدر

لو مكنت لمشت نحوي على قدم * تكاد من لينها في المشي تنفطر

قال فسمعت الذلفاء صوت سنان فخرجت الى صحن الفسطاط تسمع فجعلت لا تسمع شيأ من حسن خلق وطافة قد الا رأت ذلك كله في نفسها وهيئتها فحرك ذلك ساكنا من قلبها فهملت عيناها وعلا نحيبها فانتبه سليمان فلم يجدها معه فخرج الى صحن الفسطاط فرآها على تلك الحالة فقال ما هذا يا ذلفاء فقالت

ألا رب صوت رائع من مشوه * قبيح المحيا واضع الأب والجد

يروعك منه صوته ولعله * الى أمة يعزى معا والى عبد

قال سليمان دعيني من هذا فوالله لقد خامر قلبك منه ما خامر ثم قال يا غلام علي بسنان فدعت الذلفاء خادما لها فقالت له ان سبقت رسول أمير المؤمنين الى سنان فحذرته فلك عشرة آلاف درهم وأنت حر لوجه الله تعالى فخرج الرسولان فسبق رسول أمير المؤمنين سليمان فلما أتى به قال يا سنان ألم أنهك عن مثل هذا قال يا أمير المؤمنين حملني على ذلك حلمك وأنا عبد أمير المؤمنين وغرس نعمته فان رأى أمير المؤمنين أن يعفو عن عبده فليفعل قال قد عفوت عنك ولكن أما علمت ان الفرس اذا صهل ودقت له الحجرة وأن الفحل إذا هدر ضبعت له الناقة وان الرجل إذا تغنى أصغت له المرأة اياك اياك والعود الى ما كان منك فيطول غمك (وحكى) أن الرشيد فصد يوما فارسلت اليه بعض حظاياه قدحا فيه شراب مع وصيفة لها حسنة الوجه جميلة الطلعة بديعة المحيا وغطته بمنديل مكتوب عليه هذه الابيات

فصدت عرقا تبتغي صحة * ألبسك الله به العافيه

فاشرب بهذا الكاس يا سيدي * واهنأ به من كف ذي الجاريه

واجعل لمن أنفذه خلوة * تحظى بها في الليلة الآتيه

قال فنظر الرشيد الى الوصيفة التي جاءت بالقدح فاستحسنها فافتضها ثم أرسلها فعلمت مولاتها بذلك فكتبت اليه رقعة تقول فيها هذه الابيات

بعثت الرسول فابطا قليلا * على الرغم مني فصبرا جميلا

وكنت الخليل وكان الرسولا * فصرت الرسول وصار الخليلا

كذا من يوجه في حاجة * الى من يحب رسولا جميلا

قال

اليهن وأنشد يقول

خليلي ريا قد أجد بكورها * وسار الى أرض السماوة عيرها

خليلي ما تقضي به أم مالك * على فما يعدو على أميرها

خليلي اني قد خشيت من البكا * فهل عند غيري مقلة أستعيرها

فقلت يا عتبة طب قلبا وقر عينا فقد وردت الحجاز بمال جزيل وطرف وتحف وقماش ومتاع أريد به أهل السفر ووالله لابذلنه أمامك وبين يديك وفيك وعليك حتى أوصلك الى المنى وأعطيك الرضا وفوق الرضا فقم بنا الى مجلس الأنصار فقمنا حتى أشرفنا على ناديهم فسلمت فاحسنوا الرد ثم قلت أيها الملأ الكرام ما تقولون في عتبة وأبيه قالوا خيران من سادات العرب قلت فانه قد رمي بفؤاده الجوى وما أريد منكم الا المعونة فركبنا وركب القوم حتى أشرفنا على منازل بني سليم من السماوة فقلنا أين منزل الغطريف فخرج بنفسه مبادرا فاستقبلنا استقبال الكرام وقال حييتم بالاكرام والرحب والانعام قلنا وأنت حييت ثم حييت أتيناك أضيافا قال نزلتم أفضل معقل ثم نادى يا معشر العبيد أنزلوا القوم وسارعوا الى الاكرام ففرشت في الحال الانطاع والنمارق والزرابي فنزلنا وأرحنا ثم ذبحت الذبائح ونحرت النحائر وقدمت الموائد فقلنا يا سيد القوم لسنا بذائقين لك طعاما حتى تقضى حاجتنا وتردنا بمسرتنا قال وما حاجتكم أيها السادة قلنا نخطب عقيلتك الكريمة لعتبة بن الحباب بن المنذر الطيب العنصر العالي المفتخر فأطرق وقال يا اخوتاه ان التي تخطبونها أمرها الى نفسها وها أنا داخل اليها أخبرها ثم نهض مغضبا فدخل على ريا وكانت كاسمها فقالت يا أبتاه اني أرى الغضب

قال فاستحسن الرشيد ذلك منها وأرسل اليها أنا عندك الليلة * وأهدى داود بن روح المهلبي الى المهدى جارية فحظيت عنده فواعدته المبيت عنده ليلة فمنعها الحيض فكتب اليها يقول

لأهجرن حبيبا خان موعده * وكان منه لصفو العيش تكدير

فارسلت اليه تجيبه

لا تهجرن حبيبا خان موعده * ولا تذمن وعدا فيه تأخير
ما كان حبسي الا من حدوث أذى * لا يستطاع له بالقول تفسير

وقال محمد بن مروان يصف جارية له

أمست تباع ولو تباع بوزنها * دار بكى أسفا عليها البائع

وكان للمأمون جورية من أحسن الناس وأسبقهم الى كل نادرة فحظيت عنده فحسدها الجوارى وقلن لا حسب لها فنقشت على خاتمها حسبي حسنى فازداد بها المأمون عجبا فسمتها الجوارى فماتت فجزع عليها المأمون جزعا شديدا وقال

اختلست ريحانتي من يدى * أبكى عليها آخر الأبد
كانت هي الأنس اذا استوحشت * نفسى من الأقرب والأبعد
وروضة كان بها مرتعى * ومنهلا كان بها موردى
كانت يدى كان بها قوتى * فاختلس الدهر يدى من يدى

(وللمتوكل في قينة)

أمازحها فتغضب ثم ترضى * فكل فعالها حسن جميل
فان غضبت فاحسن ذى دلال * وان رضيت فليس لها عديل

وحدث أبو عبد الله بن عبد البر قال حدثني اسحق بن ابراهيم عن الهيثم بن عدى قال كان في المدينة رجل من بنى هاشم وكان له قينتان يقال لاحداهما رشا وللاخرى جوزر وكان بالمدينة رجل مضحك لا يكاد يغيب عن مجالس المستظرفين فارسل الهاشمي اليه ذات يوم ليسخر به فلما أتاه قال له أصلحك الله انك لى لذاك ولا اذاك لى قال وما الذاك قال تحضر لى نبيذا فانه لا يطيب لى عيش الا به فأمر الهاشمي باحضار نبيذ وأمر أن يطرح فيه سكر العشر فلما شربه المضحك تحرك عليه بطنه فتناوم الهاشمي وغمز جاريتيه عليه فلما ضاق عليه الأمر واضطر الى التبرز قال في نفسه ما أظن هاتين المغنيتين الا يمانيتين وأهل اليمن يسمون الكنف بالمراحيض فقال لهما يا حبيبتى أين المرحاض فقالت احداهما لصاحبتها ما يقول سيدنا قالت يقول غنيانى

رحضت فؤادى فخليتنى * أهيم من الحب في كل واد

فاندفعتا تغنيانه فقال في نفسه والله أظنهما ما فهمتا عنى وما أظنهما الا مكيتين وأهل مكة يسمونها المخارج فقال يا حبيبتى أين المخرج فقالت احداهما لصاحبتها ما يقول سيدنا قالت يقول غنيانى

خرجت لها من بطن مكة بعدما * أقام المنادى بالعشى فاعتما

فاندفعتا يغنيانه فقال في نفسه لم يفهما عنى وما أظنهما الا شاميتين وأهل الشام يسمونها المذاهب فقال يا حبيبتى أين المذهب فقالت احداهما لصاحبتها ما يقول حبيبنا قالت يقول غنيانى

ذهبت من الهجران في كل مذهب * ولم يك حقا كل هذا التجنب

فغنتاه الصوت فقال لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم لم يفهما عنى وما أظن القحبتين الا مدنيتين وأهل المدينة يسمونها بيت الخلاء فقال يا حبيبتى أين بيت الخلاء فقالت احداهما لصاحبتها ما يقول سيدنا قالت يقول غنيانى

خلا على بقاع الأرض اذ ظعنوا * من بطن مكة واستر عانى الحزن

قال فغنتاه فقال انا لله وانا اليه راجعون ما أظن الفاسقتين الا بصريتين وأهل البصرة يسمونها الحشوش فقال يا حبيبتى أين الحشوش فقالت احداهما لصاحبتها ما يقول سيدنا قالت يقول غنيانى

أوحشونى وعز صبرى فيهم * ما احتيالى وما يكون فعالى

قال فاندفعتا تغنيانه فقال ما أراهما الا كوفيتين وأهل الكوفة يسمونها الكنف فقال لهما يا حبيبتى أين الكنيف فقالت احداهما لصاحبتها بعيش سيدنا ما رأيت أكثر اقتراحا من هذا الرجل قالت ما يقول قالت يسأل أن نغنى له

تكنفنى الهوى طفلا * فشيبنى ولا اكتهلا

فقال واويلاه واعظم مصيبتاه هذا والهاشمي يتقطع ضحكا فقال لهما يا زانيتان ان لم تعلمانى به أنا أعلمكما ثم رفع ثيابه وسلح عليهما وعلى الفراش فانتبه الهاشمي وقد غشى عليه من شدة الضحك وقال ويلك ما هذا

بنا عليك فما الخبر قال لها وردت الأنصار يخطبونك منى قالت سادات كرام وأبطال عظام استغفر لهم النبي صلى الله عليه وسلم فلمن الخطبة منهم قال لفتى يعرف بعتبة ابن الحباب قالت بالله لقد سمعت عن عتبة هذا انه يفى بما وعد ويدرك اذا قصد ويأكل ما وجد ولا يأسف على ما فقد قال الغطريف أقسم بالله لا أزوجك به أبدا فقد نما الى بعض حديثك معه فقالت ما كان ذلك ولكن اذا أقسمت فان الأنصار لا يردون مردا قبيحا فأحسن لهم الرد وادفع بالتى هي أحسن قال يا ريا فأى شيء أقول قالت اغلظ لهم المهر ما استطعت فانهم يرجعون ولا يجيبون وقد أبررت قسمك وبلغت مأربك وراعيت أضيافك قال ما أحسن ما قلت ثم خرج مبادرا فقال يا اخوتاه ان فتاة الحى قد أجابت ولكن أريد لها مهر مثلها فمن القائم به قال عبد الله فقلت أنا القائم بما تريد فقال أريد ألف مثقال من الذهب الأحمر قلت لك ذلك قال وخمسة آلاف درهم من ضرب هجر قلت لك ذلك قال ومائة ثوب من الابراد والحبر قلت لك ذلك قال وعشرين ثوبا من الوشى المطرز قلت لك ذلك قال وأريد خمسة أكرشة من العنبر قلت لك ذلك قال وأريد مائة نافجة من المسك الأذفر قلت لك ذلك قال فهل أجبت قلت أجل ثم أجل قال عبد الله فانفذت نفرا من الأنصار أتوا بجميع ما ضمنته وذبحت النعم والغنم واجتمع الناس لأكل الطعام فأقمنا هنالك نحوا أربعين يوما على هذا الحال ثم قال الغطريف يا قوم خذوا فتاتكم وانصرفوا مصاحبين السلامة ثم حملها في هودج وجهز معها ثلاثين راحلة عليها التحف والطرف ثم ودعنا ورجع فسرنا

تسلح على وطائى فقال الرجل حياة نفسى أعز على من وطائك وقيل انه لما قيل له ويلك ما هذا قال الضحك هذه الأبيات

تسكنه فى الملاح واضجرونى * على ما بى بنيات الزوانى
فلما قل عن ذاك اصطبارى * قذفت به على وجه الغوانى

قال فانبسط الهاشمى ودفع اليه مالا ومضى الى سبيله (وقال) على ابن الجهم قلت لقينة

هل تعلمين وراء الحب منزلة * تدنى اليك فان الحب أقصانى

﴿قالت تأتى من باب الذهب وأنشدت﴾

اجعل شفيعك منقوشا تقدمه * فلم يزل مدنيا من ليس بالدانى

وكان أشعث يختلف الى قينة بالمدينة فجلس عندها يوما يطارحها الغناء فلما أراد الخروج قال لها ناولينى خاتمك أذكرك به قالت انه ذهب وأخاف أن تذهب ولكن خذ هذا العود فلعلك أن تعودنا ولته عودا من الأرض وكان بعض القينات من الجمال والحسن بجانب ثم أصابتها علة فتغير حالها فكانت تنشد

ولى كبد مقروحة من يبيعنى * بها كبدا ليست بذات قروح
أباها على الناس لا يشترونها * ومن يشترى ذا علة بصحيح

وكان المعتصم يحب قينة من حظاياه فاتفق انه خرج الى مصر وتركها فذكرها فى بعض الطريق فاشتاق اليها فغلبه الوجد فدعا مغنياله وقال ويحك قد ذكرت جاريتى فلانة فأقلقنى الشوق اليها فعسى ان تغنينى شيأ فى معنى ما ذكرته لك فأطرق مليا ثم غناه شعرا

وددت من الشوق المبرح اننى * أعار جناحى طائر فأطير
فما لنعيم ليس فيه بشاشة * وما لسرور ليس فيه سرور
وان امرأ فى بلدة نصف قلبه * ونصف بأخرى غيرها لصبور

والحكايات فى معنى ذلك كثيرة ولو أردت بسطها لاحتجت الى مجلدات ولكن ما قل وجل خير من كثير عل وفيما ذكرته كفاية والله المسؤل أن يمدنى منه باللطف والعناية ونسأله التوفيق والهداية وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب الحادى والسبعون فى ذكر العشق ومن بلى به والافتخار بالعفاف وأخبار من مات بالعشق وما فى معنى ذلك وفيه فصول﴾

﴿الفصل الأول فى وصف العشق﴾ قال الجاحظ العشق اسم لما فضل عن المحبة كما أن السرف اسم لما جاوز الجود وقال اعرابى العشق خفى أن يرى وجلى أن يخفى فهو كامن ككمون النار فى الحجر ان قدحته أورى وان تركته توارى وقيل أول العشق النظر وأول الحريق الشرر وكان العشاق فيما مضى يشق الرجل برقع حبيبته والمرأة تشق رداء حبيبها ويقولون انهما اذا لم يفعلا ذلك عرض البغض بينهما وقال عبد بنى الحسحاس

وكم قد شققنا من رداء محبر * ومن برقع عن طفلة غير عانس
اذا شق برد شق بالبرد برقع * من الحب حتى كلنا غير لابس

وقيل لاعرابى ما بلغ من حبك لفلانة قال انى لاذكرها وبينى وبينها عقبة الطائف فاجد من ذكرها رائحة المسك وقيل رأى شبيب أخو بثينة جميلا عندها فوثب عليه وآذاه ثم ان شبيبا أتى مكة وجميل فيها فقيل لجميل دونك شبيبا فخذ بثارك منه فقال

وقالوا يا جميل أتى أخوها * فقلت أتى الحبيب أخو الحبيب

﴿وأنشد الأخفش الحداد يقول﴾

مطارق الشوق منها فى الحشى أثر * يطرقن سندان قلب حشوه الفكر
ونار كور الهوى فى الجسم موقدة * ومبرد الحب لا يبقى ولا يذر

وفى الجليس الأنيس لأبى العالية الشامى قال سأل أمير المؤمنين المأمون يحيى بن أكثم عن العشق ما هو فقال هو سوانح تسنح للمرء فيهيم بها قلبه وتؤثرها نفسه وقال ثمامة العشق جليس ممتنع وأليف مؤنس وصاحب ملك مسالكه ضيقة ومذاهبه غامضة وأحكامه جائرة ملك الأبدان وأرواحها والقلوب وخواطرها والعيون ونواظرها والعقول وآراءها وأعطى عنان طاعتها وقوة تصريفها توارى عن الأبصار مدخله

وخفى

حتى اذا بقى بيننا وبين المدينة مرحلة واحدة خرجت علينا خيل تريد الغارة وأحسب أنها من بنى سليم فحمل عليها عتبة من الحباب فقتل منها عدة من رجالها وردها وانحرف راجعا وبه طعنة تفور دما حتى سقط الى الأرض فلم يلبث عتبة أن قضى نحبه فقلنا يا عتباه فسمعت الجارية فألقت نفسها عليه وجعلت تقبله وتصيح بحرقة وتقول

تصبرت لا أنى صبرت وانما
أعلل نفسى انها بك لاحقه
ولو أنصفت نفسى لكانت الى الردى
أمامك من دون البرية سابقه
فما أحد بعدى وبعدك منصف
خليلا ولا نفس لنفس مصادقه

ثم شهقت شهقة واحدة قضت فيها نحبها فاحتفرنا لهما مكانا وجدثا وواريناهما فيه ورجعت الى ديار قومى وأقمت سبع سنين بعدها ثم عدت الى الحجاز ووردت الى زيارة قبر النبى صلى الله عليه وسلم فقلت والله لاعودن الى قبر عتبة فأزوره فأتيت الى القبر فاذا عليه شجرة نابتة عليها أوراق حمر وصفر وخضر وبيض فقلت لأرباب الجهة ما يقال لهذه الشجرة فقالوا شجرة العروسين فاقمت عند القبر يوما وليلة وانصرفت (حكى) ان شخصا جاء الى الشيخ عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام الشافعى رحمه الله تعالى سلطان العلماء فقال رأيتك فى المنام تنشد

وكنت كذى رجلين رجل صحيحة
ورجل رمى فيها الزمان فشلت

قال فسكت ثم قال أعيش ثلاثا وثمانين سنة فان هذا الشعر لكثير عزة وقد نظرت فلم أجد بينى وبينه نسبة فانى سنى وهو شيعى وطويل وهو قصير وشاعر ولست بشاعر وأنا سلمى وهو خزاعى وشامى وهو حجازى فلم يبق الا السن

وخفى فى القلوب مسلكه وكان شيخ بخراسان له أدب وحسن معرفة بالأمور قال لسليمان ابن عمرو ومن معه أنتم أدباء وقد سمعتم الحكمة ولكم حداء ونغم فهل فيكم عاشق قالوا لا قال اعشقوا فان العشق يطلق اللسان و يفتح جبلة البليد والبخيل و يبعث على التلطف وتحسين اللباس وتطييب المطعم و يدعو الى الحركة والذكاء وتشريف الهمة وقال المجنون

قالت جننت على ذكرى فقلت لها * الحب أعظم مما بالمجانين

الحب ليس يفيق الدهر صاحبه * وانما يصرع المجنون فى الحين

قال ذوالرياستين ان بهرام جور كان له ابن وكان قد رشحه للأمر من بعده فنشأ الفتى ناقص الهمة ساقط المروأة خامل النفس سيء الأدب فغمه ذلك فوكل به من المؤدبين والمنجمين والحكماء من يلازمه ويعلمه وكان يسألهم عنه فيحكون له ما يغمه من سوء فهمه وقلة أدبه الى أن سأل بعض مؤدبيه يوما فقال له المؤدب قد كنا نخاف سوء أدبه فحدث من أمره ما صيرنا الى الرجاء فى فلاحه قال وما ذاك الذى حدث قال رأى ابنة فلان المرزبان فعشقها فغلبت عليه فهو لا يهدأ الا بها ولا يتشاغل الا بها فقال بهرام الآن رجوت فلاحه ثم دعا بأبى الجارية فقال له انى مسر اليك سرا فلا يعدوك فضمن له ستره فاعلمه أن ابنه قد عشق ابنته وانه يريد أن ينكحها اياه وأمره أن يأمرها باطماعه فى نفسها ومراسلته من غير أن يراها وتقع عينه عليها فاذا استحكم طمعه فيها تجتنبه وتهجره فان استعلمها أعلمته انها لا تصلح الا للملك ثم لتعلمنى خبرها وخبره ولا تطلعها على ما أسره اليك فقبل أبوها ذلك منه وقال للمؤدب الموكل بأدبه حضه وشجعه على مراسلته المرأة ففعل ذلك وفعلت المرأة كما أمرها أبوها فلما انتهت الى التجنى عليه وعلم الفتى السبب الذى كرهته لأجله أخذ فى الأدب وطلب الحكمة والعلم والفروسية والرماية وضرب الصولجان حتى مهر فى ذلك ثم رفع الى أبيه انه محتاج الى الدواب والآلات والمطاعم والملابس والندماء وما أشبه ذلك فسر الملك بذلك وأمر له بما طلب ثم دعا مؤدبه فقال له ان الموضع الذى وضع به ابنى نفسه من خبر هذه المرأة لا يدرى به فتقدم اليه ومره أن يرفع أمرها الى ويسألنى أن أزوجه اياها ففعل المؤدب ذلك فرفع الفتى ذلك لأبيه فدعا بأبيها وزوجه اياها وأمر بتعجيلها اليه وقال له اذا اجتمعت أنت وهى فلا تحدث شيأ حتى أصير اليك فلما اجتمعا صار اليه فقال يابنى لا يضعن قدرها عندك مراسلتها اياك وليست فى خبائك فانى أمرتها بذلك وهى أعظم الناس منة عليك بما دعتك اليه من طلب الحكمة والتخلق بأخلاق الملوك حتى بلغت الحد الذى تصلح معه للملك من بعدى فزدها من التشريف والاكرام بقدر ما تستحق منك ففعل الفتى وعاش مسرورا بالجارية وعاش أبوه مسرورا به وأحسن ثواب أبيها ورفع منزلته بصيانة سره وأحسن جائزة المؤدب لامتثال ما أمر به ﴿وكان﴾ عبد الله بن عبيدة الريحانى يهوى جارية فزارته يوما فأقام يحدثها ويشكوا اليها ألم الفراق فحان وقت الظهر فناداه انسان الصلاة يا أبا الحسن فقال رويدك حتى تزول الشمس أى حتى تقوم الجارية * وقالت ليلى العامرية فى قيسها

لم يكن المجنون فى حالة * الا وقد كنت كما كانا

لكنه باح بسر الهوى * واننى قد ذبت كتمانا

وقال أحمد بن عثمان الكاتب

وانى ليرضينى الممر ببابها * واقنع منها بالتحية والزجر

وقال الفتح بن خاقان صاحب المتوكل

أيها العاشق المعذب صبرا * فخطايا أخى الهوى مغفوره

زفرة فى الهوى أحط لذنب * من غزاة وحجة مبروره

وقال عمر بن أبى ربيعة كنت بين امرأتين هذه تسارنى وهذه تعضنى فما شعرت بعضة هذه من لذة هذه وأنشد شيبان العذرى يقول

لو حز بالسيف رأسى فى محبتها * لطار يهوى سريعا نحوها رأسى

وقال يحيى بن معاذ الرازى لو أمرنى الله أن أقسم العذاب بين الخلق ما قسمت للعاشقين عذابا

﴿الفصل الثانى من هذا الباب فيمن عشق وعف والافتخار بالعفاف﴾ روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عشق فعف فمات فهو شهيد وقال صلى الله عليه وسلم عفوا تعف نساؤكم * وقال بعضهم رأيت امرأة مستقبلة البيت فى غاية الضعف والنحافة رافعة يديها تدعو فقلت لها هل من حاجة فقالت حاجتى أن تنادى فى الموقف بقولى

فأعيش مثله فكان كذلك انتهى (ومن ظرف ما يحكى) ان الجاحظ قال عبرت يوما على معلم كتاب فوجدته فى هيئة حسنة وقماش مليح فقام الى وأجلسنى معه ففاتحته فى القرآن فاذا هو ماهر ففاتحته فى شئ من النحو فوجدته ماهرا ثم أشعار العرب واللغة فاذا به كامل فى جميع ما يراد منه فقلت قد وجب على تقطيع دفتر المعلمين فكنت كل قليل أتفقده وأزوره قال فأتيت بعض الأيام الى زيارته فوجدت الكتاب مغلقا فسألت جيرانه فقالوا مات عنده ميت فقلت أروح أعزيه فجئت الى بابه فطرقته فخرجت الى جارية وقالت ما تريد قلت مولاك فقالت مولاى جالس وحده فى العزاء ما يعطى لأحد الطريق قلت قولى له صديقك فلان يطلب يعزيك فدخلت وخرجت وقالت بسم الله فعبرت اليه فاذا هو جالس وحده فقلت أعظم الله أجرك لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة وهذا سبيل لا بد منه فعليك بالصبر ثم قلت أهذا الذى توفى ولدك قال لا قلت فوالدك قال لا قلت فأخوك قال لا قلت فمن قال حبيبتى فقلت فى نفسى هذا أول المناحس وقلت له سبحان الله تجد غيرها وتقع عينك على أحسن منها فقال وكأنى بك وقد ظننت انى رأيتها فقلت فى نفسى هذه منحسة ثانية ثم قلت وكيف عشقت من لا رأيته فقال اعلم انى كنت جالسا واذا رجل عابر يغنى وهو يقول

يا أم عمرو جزاك الله مكرمة

ردى على فؤادى أينما كانا

فقلت فى نفسى لولا ان أم عمرو هذه ما فى الدنيا مثلها ما كان الشعراء يتغزلون فيها فلما كان بعد يومين عبر على ذلك الرجل وهو يغنى ويقول

تزوّد كل الناس زادا يقيهم * ومالى زاد والسلام على نفسى

فناديت كما أمرتنى واذا بفتى نحيل الجسم قد أقبل الى فقال أنا الزاد فمضيت به اليها فما زاد على النظر والبكاء ثم قالت له انصرف بسلام فقلت ما علمت ان لقاءكما يقتصر على هذا فقالت أمسك ياهذا أما علمت أن ركوب العار ودخول النار شديد قال ابراهيم بن محمد المهلبى

كم قد ظفرت بمن أهوى فيمنعنى * منه الحياء وخوف الله والحذر
وكم خلوت بمن أهوى فيقنعنى * منه الفكاهة والتأنيس والنظر
أهوى الملاح وأهوى أن أجالسهم * وليس لى فى حرام منهم وطر
كذلك الحب لا اتيان معصية * لا خير فى لذة من بعدها سقر

وقال بعض بنى كلاب

ان أك طامح الالحاظ فانى * والذى يملك الفؤاد عفيف

ونحو ذلك قول القائل

فقالت بحق الله الا أتيتنا * اذا كان لون الليل شبه الطيالس
فجئت وما فى القوم يقظان غيرها * وقد نام عنها كل واش وحارس
فبتنا بليل طيب نستلذه * جميعا ولم أقلب لها كف لامس

ونزل رجل على صديق له مستترا خائفا من عدوّ له فأنزله فى منزله وتركه فيه وسافر لبعض حوائجه وقال لامرأته أوصيك بضيفى هذا خيرا فلما عاد بعد شهر قال لها كيف ضيفنا قالت ما أشغله بالعمى عن كل شئ وكان الضيف قد أطبق عينيه فلم ينظر الى امرأة صاحبه ولا الى منزله الى أن عاد من سفره وكان عمر بن أبى ربيعة عفيفا يصف ويعف ويحوم ولا يرد * ودخلت بثينة على عبد الملك بن مروان فقال لها يا بثينة ما أرى فيك شيأ مما كان يقوله جميل فقالت يا أمير المؤمنين انه كان يرنو الى بعينين ليستا فى رأسك قال فكيف رأيتيه فى عشقه قالت كان كما قال الشاعر

لا والذى تسجد الجباه له * مالى بما تحت ذيلها خبر
ولا بفيها ولا هممت بها * ما كان الا الحديث والنظر

وقد قدمت هذين البيتين فى الجزء الأول فيما جاء فى الحكاية على سبيل الرمز * وعن أبى سهل الساعدى قال دخلت على جميل وبوجهه آثار الموت فقال لى يا أبا سهل ان رجلا يلقى الله ولم يسفك دما ولم يشرب خمرا ولم يأت فاحشة أفترجو له الجنة قلت أى والله فمن هو قال انى لأرجو أن أكون ذلك فذكرت له بثينة فقال انى لفى آخر يوم من الدنيا وأول يوم من الآخرة لا نالتنى شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم ان كنت حدثت نفسى بريبة قط * وعن عبد الله بن عبد المطلب أبى النبى صلى الله عليه وسلم أنه دعته بغى الى نفسها وبذلت له مالا وكانت تتكهن وتسمع باتيان رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت جميلة فارادت أن تخدع عبد الله رجاء أن يكون النبى صلى الله عليه وسلم منها للنور الذى رأته بين عينيه فأبى وقال

أما الحرام فالحمام دونه * والحل لا نأبى ونستدينه
فكيف بالأمر الذى تبغينه * يحمى الكريم عرضه ودينه

(وقال آخر)

وأحور مخضوب البنان محجب * دعانى فلم أعرف الى ما دعا وجها
بخلت بنفسى عن مقام يشينها * ولست مريدا ذاك طوعا ولا كرها

وراود شاب ليلى الأخيلية عن نفسها فاشمأزت وقالت

وذى حاجة قلنا له لا تبح بها * فليس اليها ما حييت سبيل
لنا صاحب لا ينبغى أن نخونه * وأنت لأخرى صاحب وخليل

وقال ابن ميادة

موانع لا يعطين حبة خردل * وهن دوان فى الحديث أوانس
ويكرهن أن يسمعن فى اللهو ريبة * كما كرهت صوت اللجام الشوامس

(وقال آخر)

حور حرائر ماهممن بريبة * كظباء مكة صيدهن حرام
يحسبن من لين الكلام فواسقا * ويصدهن عن الخنى الاسلام

وكان الأصمعى يستحسن بيتى العباس بن الأحنف

أتأذنون لصب فى زيارتكم * فعندكم شهوات السمع والبصر

لا يظهر

اذا ذهب الحمار بأم عمرو
فلا رجعت ولا رجع الحمار
فعلمت أنها ماتت فحزنت عليها وقعدت فى العزاء منذ ثلاثة أيام فقال الجاحظ فعادت عزيتى وقويت على كتابة الدفتر لحكاية أم عمرو (ومن غريب ما يحكى) ما حكاه القاضى أبو على المحسن بن على التنوخى فى كتاب الفرج بعد الشدة ان منارة صاحب الخلفاء قال رفع الى هرون الرشيد أن رجلا بدمشق من بقايا بنى أمية عظيم المال كثير الجاه مطاع له فى البلدان جماعة وأولاد ومماليك وموال يركبون الخيول ويحملون السلاح ويغزون الروم وانه سمح جواد كثير البذل والضيافة وانه لا يؤمن من فتق يبعد رتقه فعظم ذلك على الرشيد قال منارة وكان وقوف الرشيد على هذا وهو بالكوفة فى بعض حججه فى سنة ١٨٦ وقد عاد من الموسم وبايع للأمين والمأمون والمؤتمن أولاده فدعانى وهو خال وقال انى دعوتك لأمر يهمنى وقد منعنى النوم فانظر كيف تعمل ثم قص على خبر الأموى وقال اخرج الساعة فقد أعددت لك الجائزة والنفقة والآلة ويضم اليك مائة غلام واسلك البرية وهذا كتابى الى أمير دمشق وهذه قيود فادخل فابدأ بالرجل فان سمع وأطاع فقيده وجئنى به وان عصى فتوكل به أنت ومن معك وأنفذ هذا الكتاب الى نائب الشام ليركب فى جيشه ويقبضوا عليه وجئنى به وقد أجلتك لذهابك ستا ولمجيئك ستا وهذا محمل تجعله فى شقة اذا قيدته وتقعد أنت فى الشق الآخر ولا تكل حفظه الى غيرك حتى تأتينى به فى اليوم الثالث عشر من خروجك فاذا دخلت داره فتفقدها وجميع ما فيها وأهله وولده وحشمه وغلمانه وقدر

لا يظهر الشوق ان طال الجلوس به * عف الضمير ولكن فاسق النظر

واختفى ابراهيم بن المهدى فى هربه من المأمون عند عمته زينب بنت أبى جعفر فوكلت بخدمته جارية لها اسمها ملك وكانت واحدة زمانها فى الحسن والأدب طلبت منها بخمسمائة ألف درهم فهويها ابراهيم وكره أن يراودها عن نفسها فغنى يوما وهى قائمة على رأسه

يا غزالا لى اليه * شافع من مقلتيه * أنا ضيف وجزاء الضيف احسان اليه

ففهمت الجارية ما أراد فحكت ذلك لمولاتها فقالت اذهبى اليه فأعلميه أنى قد وهبتك له فعادت اليه فلما رآها أعاد البيتين فأكبت عليه فقال لها كفى فلست بخائن فقالت قد وهبتنى لك مولاتى وأنا الرسول فقال أما الآن فنعم

وأنشد المبرد

ما ان دعانى الهوى لفاحشة * الا نهانى الحياء والكرم

فلا الى فاحش مددت يدى * ولا مشت بى لزلة قدم

(وقال آخر)

يقولون لا تنظر فذاك بلية * بلى كل ذى عينين لابد ناظر

وهل باكتحال العين بالعين ريبة * اذا عف فيما بينهن السرائر

وكان بعض الخلفاء قد نذر على نفسه أن لا ينشد شعرا ومتى أنشد بيت شعر فعليه عتق رقبة قال فبينما هو فى الطواف يوما اذ نظر الى شاب يتحدث مع شابة جميلة الوجه فقال له ياهذا اتق الله أفى مثل هذا المكان فقال يا أمير المؤمنين والله ماذاك الخنى ولكنها ابنة عمى وأعز الناس على وان أباها منعنى من تزوجها الفقرى وفاقتى وطلب منى مائة ناقة ومائة أوقية من الذهب ولم أقدر على ذلك قال فطلب الخليفة أباها ودفع اليه ما اشترطه على ابن أخيه ولم يقم من مقامه حتى عقد له عليها ثم دخل الخليفة الى بيته وهو يترنم ببيت من الشعر فقالت له جارية من حظاياه أراك اليوم يامولاى تنشد الشعر أفنسيت ما نذرت أم ترى ذلك قد هويت فانشد هذه الابيات يقول

تقول وليدتى لما رأتنى * طربت وكنت قد أسليت حينا

أراك اليوم قد أحدثت عهدا * وأورثك الهوى داء دفينا

بحقك هل سمعت لها حديثا * فشاقك أو رأيت لها جبينا

فقلت شكا الى أخ محب * كمثل زماننا اذ تعلمينا

وذو الشجو القديم وان تعزى * محب حين يلقى العاشقينا

ثم عد الأبيات فاذا هى خمسة أبيات فأعتق خمس رقاب ثم قال لله درك من خمسة أعتقت خمسة وجمعت بين رأسين فى الحلال * وروى عن عثمان الضحاك قال خرجت أريد الحج فنزلت بخيمة بالأبواء فاذا بجارية جالسة على باب الخيمة فأعجبنى حسنها فتمثلت بقول نصيب

بزينب ألمم قبل أن يرحل الركب * وقل لاتملينا فما ملك القلب

فقالت ياهذا أتعرف قائل هذا البيت قلت بلى هو نصيب فقالت أتعرف زينبه قلت لا قالت أنا زينبه قلت حياك الله وحياك قالت أما والله ان اليوم موعده وعدنى العام الأول بالاجتماع فى هذا اليوم فهلك أن لا تبرح حتى تراه قال فبينما هى تكلمنى اذا أنا براكب قالت ترى ذلك الراكب قلت نعم قالت انى لأحسبه اياه فأقبل فاذا هو نصيب فنزل قريبا من الخيمة ثم أقبل فسلم ثم جلس قريبا منها فسألته أن ينشدها فأنشدها فقلت فى نفسى محبان قد طال التنائى بينهما فلابد أن يكون لأحدهما الى صاحبه حاجة فقمت الى بعيرى لأشد عليه فقال على رسلك انى معك فجلست حتى نهض معى فسرنا وتسامرنا فقال لى أقلت فى نفسك محبان التقيا بعد طول تناء فلابد أن يكون لأحدهما الى صاحبه حاجة قلت نعم قد كان ذلك قال ورب هذا البيت منذ أحببتها ما جلست منها مجلسا هو أقرب من مجلسى هذا فتعجبت لذلك وقلت والله هذه هى العفة فى المحبة *وعن محمد بن يحيى المدنى قال سمعت بعض المدنيين يقول كان الرجل اذا أحب الفتاة يطوف حول دارها حولا يفرح أن يرى من يراها فان ظفر منها بمجلس تشاكيا وتناشدا الاشعار واليوم هو يشير اليها وتشير اليه ويعدها وتعده فاذا التقيا لم يتشاكيا حبا ولم يتناشدا شعرا بل يقوم اليها ويجلس بين شعبتيها كأنه أشهد على نكاحها أبا هريرة وقال الاصمعى قلت لاعرابية ما تعدون العشق فيكم قالت الضمة والغمزة والقبلة ثم أنشأت تقول

ما الحب الا قبلة * وغمز كف وعضد * ما الحب الا هكذا * ان نكح الحب فسد

النعمة والحال والمحل واحفظ ما يقوله الرجل حرفا بحرف من ألفاظه من حين وقوع طرفك عليه الى ان تأتينى به واياك ان يشذ عنك شئ من أمره انطلق قال منارة فودعته وخرجت وركبت الابل وسرت أطوى المنازل أسير الليل والنهار ولا أنزل الا للجمع بين الصلاتين والبول وتنفس الناس قليلا الى أن وصلت دمشق فى أول الليلة السابعة وأبواب البلد مغلقة فكرهت الدخول ليلا فنمت بظاهر البلد الى أن فتح الباب فدخلت على هيئتى حتى أتيت دار الرجل وعليها صف عظيم وحاشية كثيرة فلم أستأذن ودخلت بغير اذن فلما رأى القوم ذلك سألوا بعض غلمانى فقالوا هذا منارة رسول أمير المؤمنين الى صاحبكم فلما صرت فى صحن الدار أنزلت ودخلت مجلسا رأيت فيه قوما جلوسا فظننت أن الرجل فيهم فقاموا ورحبوا بى فقلت أفيكم فلان قالوا لا نحن أولاده وهو فى الحمام فقلت استعجلوه فمضى بعضهم يستعجله وأنا أتفقد الدار والاحوال والحاشية فوجدتها قد ماجت بأهلها موجا شديدا فلم أزل كذلك حتى خرج الرجل بعد ان طال واسترببت به واشتد قلقى وخوفى من أن يتوارى الى ان رأيت شيخا بزى الحمام يمشى فى الصحن وحواليه جماعة كهول وأحداث وصبيان وهم أولاده وغلمانه فعلمت انه الرجل فجاء حتى جلس فسلم على سلاما خفيفا وسألنى عن أمير المؤمنين واستقامة أمر حضرته فأخبرته كما وجب وما قضى كلامه حتى جاؤا بأطباق فاكهة فقال تقدم يامنارة فكل معنا فقلت مالى الى ذلك من حاجة فلم يعاودنى وأقبل يأكل هو ومن عنده ثم غسل يديه ودعا بالطعام فجاؤا

ثم قالت كيف تعدون أنتم العشق قلت غمك بقرنيها وتفرق بين رجليها قالت لست بعاشق أنت طالب ولد ثم أنشأت تقول

قد فسد العشق وهان الهوى * وصار من يعشق مستعجلا
يريدان ينكح أحبابه * من قبل أن يشهد أو ينحلا

وقيل لرجل وقد زفت عشيقته على ابن عم لها أيسرك أن تظفر بها الليلة قال نعم والذي أمتعني بحبها وأشقاني بطلبها قيل فما كنت صانعا بها قال كنت أطيع الحب في لثمها وأعصي الشيطان في اثمها ولا أفسد عشق عشرين سنة بما يبقى ذميم عاره وينشر قبيح أخباره اني اذن للئيم لم يلدني كريم * ومر سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه ليلة في بعض سكك المدينة فسمع امرأة تقول

ألا طال هذا الليل وازور جانبه * وليس الى جنبي خليل ألاعبه
فوالله لولا الله تخشى عواقبه * لحرك من هذا السرير جوانبه
مخافة ربي والحياء يعفني * وأكرم بعلي أن تنال مراتبه

قال فسأل عمر رضي الله تعالى عنه عنها فقيل له انها امرأة فلان وله في الغزاة ثمانية أشهر فأمر عمر رضي الله تعالى عنه أن لا يغيب الرجل عن امرأته أكثر من أربعة أشهر (ومن ذلك) ما ذكره ابن الجوزي في كتاب تلقيح فهوم الأثر عن محمد بن عثمان بن أبي خيثمة السلمي عن أبيه عن جده قال بينما عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه يطوف ذات ليلة في سكك المدينة اذ سمع امرأة تقول

هل من سبيل الى خمر فأشربها * أم من سبيل الى نصر بن حجاج
الى فتى ماجد الأعراق مقتبل * سهل المحيا كريم غير ملجاج
تنميه اعراق صدق حين تنسبه * أخي وفاء عن المكروب فراج

فقال عمر رضي الله تعالى عنه لا أرى معي بالمدينة رجلا تهتف به العواتق في خدورهن علي بنصر بن حجاج فلما أصبح أتي بنصر بن حجاج فاذا هو من أحسن الناس وجها وأحسنهم شعرا فقال عمر عزيمة من أمير المؤمنين لتأخذن من شعرك فأخذ من شعره فخرج من عنده وله وجنتان كأنهما شقتا قمر فقال له اعتم فاعتم فافتتن الناس بعمته فقال له عمر والله لا تساكنني في بلدة أنا فيها فقال يا أمير المؤمنين ما ذنبي قال هو ما أقول لك ثم سيره الى البصرة وخشيت المرأة التي سمع منها عمر ما سمع أن يبدر من عمر اليها شيء فدست اليه المرأة أبياتا وهي

قل للامام الذي تخشى بوادره * مالي وللخمر أو نصر بن حجاج
لا تجعل الظن حقا أن تبينه * ان السبيل سبيل الخائف الراجي
ان الهوى زم بالتقوى فتحبسه * حتى يقر بالجام واسراج

قال فبكى عمر رضي الله تعالى عنه وقال الحمد لله الذي زم الهوى بالتقوى قال وطال مكث نصر بن حجاج بالبصرة فخرجت أمه يوما بين الأذان والاقامة متعرضة لعمر فاذا هو قد خرج في ازار ورداء وبيده الدرة فقالت له يا أمير المؤمنين والله لأقفن أنا وأنت بين يدي الله تعالى وليحاسبنك الله أيبيتن عبد الله وعاصم الى جنبيك وبيني وبين ابني الفيافي والأودية فقال لها ان ابني لم تهتف بهما العواتق في خدورهن ثم أرسل عمر الى البصرة بريدا الى عتبة بن غزوان فأقام أياما ثم نادى عتبة من أراد أن يكتب الى أمير المؤمنين فليكتب فان البريد خارج فكتب نصر بن حجاج بسم الله الرحمن الرحيم سلام عليك يا أمير المؤمنين أما بعد فاسمع مني هذه الابيات

لعمري لئن سيرتني أو حرمتني * وما نلت من عرضي عليك حرام
فأصبحت منفيا على غير ريبة * وقد كان لي بالمكتين مقام
لئن غنت الذلفاء يوما بمنية * وبعض أماني النساء غرام
ظننت بي الظن الذي ليس بعده * بقاء ومالي جرمة فألام
فيمنعني مما تقول تكرمي * وآباء صدق سالفون كرام
ويمنعها مما تقول صلاتها * وحال لها في قومها وصيام
فهاتان حالان فهل أنت راجعي * فقد جب مني كاهل وسنام

قال فلما قرأ عمر رضي الله تعالى عنه هذه الابيات قال أما ولي السلطان فلا وأقطعه دارا بالبصرة في سوقها فلما مات عمر ركب راحلته وتوجه نحو المدينة والله سبحانه وتعالى أعلم

(الفصل الثالث من هذا الباب في ذكر من مات بالحب والعشق) حدث أبو القاسم بن اسمعيل بن عبد الله المأمون قال حدثني أبي قال كانت بالمدينة قينة من أحسن الناس وجها وأكملهم عقلا وأكثرهم

أدبا

بمائدة عظيمة لم أر مثلها الا للخليفة فقال تقدم يا منارة فساعدنا على الأكل لا يزيدني على أن يدعوني باسمي كما يدعوني الخليفة فامتنعت عليه فما عاودني وأكل هو ومن عنده وكانوا تسعة من أولاده فتأملت أكله في نفسه فوجدته أكل الملوك ووجدت جاشه رابضا وذلك الاضطراب الذي في داره قد سكن ووجدتهم لا يرفعون من بين يديه شيئا قد وضع على المائدة الا نهبا وقد كان غلمانه أخذوا المال لما نزلت الدار رحالي وجميع غلماني بالمنع من الدخول فما أطاقوا اعانتهم وبقيت وحدي ليس بين يدي الا خمسة أو ستة غلمان وقوف على رأسي فقلت في نفسي هذا جبار عنيد وان امتنع علي من الشخوص لم أطق اشخاصه بنفسي ولا بمن معي ولا أطيق حفظه الى أن يلحقني أمير البلد فجزعت جزعا شديدا ورابني منه استخفافه بي في الأكل ولا يسألني عما جئت به ويأكل مطمئنا وأنا مفكر في ذلك فلما فرغ من أكله وغسل يديه دعا ببخور فتبخر وقام الى الصلاة فصلى الظهر وأكثر من الدعاء والابتهال فرأيت صلاته حسنة فلما انفتل من المحراب أقبل علي وقال ما أقدمك يا منارة فقلت أمر لك من أمير المؤمنين وأخرجت الكتاب ودفعته اليه فقرأه فلما استتم قراءته دعا أولاده وحاشيته فاجتمع منهم خلق كثير فلم أشك انه يريدان يوقع بي فلما تكاملوا ابتدأ فحلف أيمانا غليظة فيها الطلاق والعتاق والحج وأمرهم أن ينصرفوا ويدخلوا منازلهم ولا يجتمع منهم اثنان في مكان واحد ولا يظهروا الى أن يظهر لهم أمر يعملون عليه وقال هذا كتاب أمير المؤمنين يأمرني بالتوجه اليه ولست أقيم بعد نظري فيه لحظة واحدة فاستوصوا بمن ورائي من الحرم خيرا وما بي حاجة

أدبا قد قرأت القرآن وروت الاشعار وتعلمت العربية فوقعت عند يزيد بن عبد الملك فاخذت بمجامع قلبه فقال لها ذات يوم ويحك أما لك قرابة أو أحد تحبين أن أضيفه وأسدي اليه معروفا قالت يا أمير المؤمنين أما قرابة فلا ولكن بالمدينة ثلاثة نفر كانوا أصدقاء لمولاي وأحب أن ينالهم خير مما صرت اليه فكتب الى عامله بالمدينة في احضارهم اليه وأن يدفع الى كل واحد منهم عشرة آلاف درهم فلما وصلوا الى باب يزيد استؤذن لهم في الدخول عليه فاذن لهم وأكرمهم غاية الاكرام وسألهم عن حوائجهم فاما اثنان منهم فذكرا حوائجهما فقضاها وأما الثالث فسأله عن حاجته فقال يا أمير المؤمنين مالي حاجة قال ويحك أولست أقدر على حوائجك قال بلى يا أمير المؤمنين ولكن حاجتي ما أظنك تقضيها فقال ويحك فاسألني فانك لا تسألني حاجة أقدر عليها الا قضيتها قال فلي الامان يا أمير المؤمنين قال نعم قال ان رأيت يا أمير المؤمنين أن تأمر جاريتك فلانة التي أكرمتنا بسببها أن تغني ثلاثة أصوات أشرب عليها ثلاثة أرطال فافعل قال فتغير وجه يزيد ثم قام من مجلسه فدخل على الجارية فأعلمها فقالت وما عليك يا أمير المؤمنين فامر بالفتى فاحضر وأمر بثلاثة كراسي من ذهب فنصبت فقعد يزيد على أحدها والجارية على الآخر والفتى على الثالث ثم دعا بصنوف الرياحين والطيب فوضعت ثم أمر بثلاثة أرطال فلئت ثم قال للفتى سل حاجتك فقال تأمرها يا أمير المؤمنين أن تغني بهذا الشعر

لا أستطيع سلوا عن مودتها * أو يصنع الحب بي فوق الذي صنعا
ادعو الى هجرها قلبي فيسعدني * حتى اذا قلت هذا صادق نزعا

فأمرها فغنت وشرب يزيد وشرب الفتى وشربت الجارية ثم أمر بالارطال فلئت وقال للفتى سل حاجتك فقال مرها يا أمير المؤمنين أن تغني بهذا الشعر

تخيرت من نعمان عود اراكة * لهند ولكن من يبلغه هندا
الا عرجابي بارك الله فيكما * وان لم تكن هند لارضكما قصدا

فامرها فغنت وشرب يزيد وشرب الفتى وشربت الجارية ثم أمر بالارطال فلئت ثم قال للفتى سل حاجتك قال تأمرها يا أمير المؤمنين أن تغني بهذا الشعر

مني الوصال ومنكم الهجر * حتى يفرق بيننا الدهر والله لا أسلوكم أبدا * ما لاح بدر أو بدا فجر

فأمرها فغنت قال فلم تتم الابيات حتى خر الفتى مغشيا عليه فقال يزيد للجارية قومي انظري ما حاله فقامت اليه فحركته فاذا هو ميت فقال لها يزيد ابكيه فقالت لا أبكيه يا أمير المؤمنين وأنت حي فقال لها ابكيه فوالله لو عاش ما انصرف الا بك فبكت الجارية وبكى أمير المؤمنين وأمر بالفتى فجهز ودفن وأما الجارية فلم تمكث بعده الا أياما قلائل وماتت ﴿وحكي﴾ عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه أنه قدم على عبد الملك بن مروان فجلس ذات ليلة يسامره فتذاكرا الغناء والجواري المغنيات والعشق فقال عبد الملك لعبد الله حدثني بأمر ما مر لك في هذه الاغاني وما رأيت من الجواري قال نعم يا أمير المؤمنين اشتريت جارية مولدة بعشرة آلاف درهم وكانت حاذقة مطبوعة فوصفت ليزيد بن معاوية فكتب الي في شأنها فكتبت اليه والله لا تخرج مني ببيع ولا هبة فامسك عني فكانت عندي على تلك الحالة لا أزداد فيها الا حبا فبينما أنا ذات ليلة اذ أتتني عجوز من عجائزنا فذكرت لي أن بعض أعراب المدينة يحبها وتحبه ويراها وتراه وأنه يجيء كل ليلة متنكرا فيقف بالباب فيسمع غناءها ويبكي شغفا وحبا فراعيت ذلك الوقت الذي قالت عليه العجوز فاذا به قد أقبل متنعا رأسه وقعد مستخفيا فلم أدع بها في تلك الليلة وجعلت أتأمل موضعها وموضعه فاذا بها تكلمه ويكلمها ولم أر بينهما الا عتبا ولم يزالا كذلك حتى ابيض الصبح فدعوت بها وقلت لقيمة الجواري أصلحي فلانة بما يمكنك فاصلحتها وزينتها فلما جاءت بها قبضت على يديها وفتحت الباب وخرجت فجئت الى الفتى فحركته فانتبه مذعورا فقلت لا بأس عليك ولا خوف هي هبة مني اليك فدهش الفتى ولم يجبني فدنوت الى أذنه وقلت قد أظفرك الله تعالى ببغيتك فقم وانصرف بها الى منزلك فلم يرد جوابا فحركته فاذا هو ميت فلم أر شيأ قط كان أعجب من أمره قال عبد الملك لقد حدثتني بعجب فما صنعت الجارية قلت ماتت والله بعده بايام بعد تحول عظيم وتعليل وماتت كمدا ووجدا على الغلام * وقيل ان عبد الله بن عجلان الهندي رأى أثر كف عشيقته في ثوب زوجها فمات (وذكر) محمد بن واسع الهيتي أن عبد الملك بن مروان بعث كتابا الى الحجاج بن يوسف الثقفي يقول فيه بسم الله

من أن يعجبني غلام هات قيودك يا منارة فدعوت بها وكانت في سفط فأحضر حدادا فدسائيه فقيدته وأمرت غلماني بحمله في المحمل وركبت في الشق الآخر وسرت من وقتي ولم ألق أمير البلد ولا غيره فسرت بالرجل ليس معه أحد الى ان صرنا بظاهر دمشق فابتدأ يحدثني بانبساط حتى انتهينا الى بستان حسن في الغوطة فقال لي ترى هذا قلت نعم قال انه لي وقال ان فيه من غرائب الأشجار كيت وكيت ثم انتهى الى آخر فقال مثل ذلك ثم انتهى الى مزارع حسان وقرى سنية وقال هذه لي فاشتد غيظي منه فقلت له اعلم أني شديد التعجب منك قال ولم تعجب قلت أليس تعلم أن أمير المؤمنين قد أهمه أمرك حتى أرسل اليك من انتزعك من بين أهلك ومالك وولدك وأخرجك عن جميع مالك فريدا وحيدا مقيدا ما تدري الى ما يصير اليه أمرك ولا كيف يكون وأنت فارغ القلب من هذا تصف ضياعك وبساتينك هذا وقد رأيتك وقد جئت وأنت لا تعلم فيم جئت وأنت ساكن القلب قليل الفكر لقد كنت عندي شيخا فاضلا فقال لي مجيبا انا لله وانا اليه راجعون أخطأت فراستي فيك ظننتك رجلا كامل العقل وانك ما حللت من الخلفاء هذا المحل الا بعد أن عرفوك بذلك فانا والله رأيت عقلك وكلامك يشبه كلام العوام وعقلهم والله المستعان أما قولك في أمير المؤمنين وازعاجه واخراجه اياي الى بابه على صورتي هذه فاني على ثقة من الله عز وجل الذي بيده ناصيتي ولا يملك أمير المؤمنين لنفسه ولا لغيره نفعا ولا ضرا الا باذن الله ومشيئته ولا ذنب لي عند أمير المؤمنين أخافه وبعد فاذا عرف أمري وعلم سلامتي وصلاحي

الرحمن الرحيم من عبد الملك بن مروان الى الحجاج بن يوسف أما بعد اذا ورد عليك كتابي هذا وقرأته فسير لي ثلاث جوار مولدات أبكار يكون اليهن المنتهى في الجمال واكتب لي بصفة كل جارية منهن ومبلغ ثمنها من المال فلما ورد الكتاب على الحجاج دعا بالنخاسين وأمرهم بما أمره به أمير المؤمنين وأمرهم أن يسيروا الى أقصى البلاد حتى يقعوا بالغرض وأعطاهم المال وكتب لهم كتبا الى كل الجهات فساروا يطلبون ما أراد أمير المؤمنين فلم يزالوا من بلد الى بلد ومن اقليم الى اقليم حتى وقعوا بالغرض ورجعوا الى الحجاج بثلاث جوار مولدات ليس لهن مثيل قال وكان الحجاج فصيحا فجعل ينظر الى كل واحدة منهن ومبلغ ثمنها فوجدهن لا يقام لهن بقيمة وأن ثمنهن ثمن واحدة منهن ثم كتب كتابا الى عبد الملك بن مروان يقول فيه بعد الثناء الجميل وصلني كتاب أمير المؤمنين أمتعني الله تعالى ببقائه يذكر فيه أني أشتري له ثلاث جوار مولدات أبكارا وأن أكتب له صفة كل واحدة منهن وثمنها فأما الجارية الاولى أطال الله تعالى بقاء أمير المؤمنين فانها جارية عيطاء السوالف عظيمة الروادف كحلاء العينين حمراء الوجنتين قد أنهدت نهداها والتفت فخذاها كأنها ذهب شيب بفضة وهي كما قيل

بيضاء فيها اذا استقبلتها دعج * كأنها فضة قد شابها ذهب

وثمنها يا أمير المؤمنين ثلاثون ألف درهم وأما الثانية فانها جارية فائقة في الجمال معتدلة القد والكمال تشفي السقيم بكلامها الرخيم وثمنها يا أمير المؤمنين ستون ألف درهم وأما الثالثة فانها جارية فاترة الطرف لطيفة الكف عميمة الردف شاكرة للقليل مساعدة للخليل بديعة الجمال كأنها خشف الغزال وثمنها يا أمير المؤمنين ثمانون ألف درهم ثم أطنب في الشكر والثناء على أمير المؤمنين وطوى الكتاب وختمه ودعا النخاسين فقال لهم تجهزوا للسفر بهؤلاء الجواري الى أمير المؤمنين فقال أحد النخاسين أيد الله الامير اني رجل كبير ضعيف عن السفر ولي ولد ينوب عني افتأذن لي في ذلك قال نعم فتجهزوا وخرجوا ففي بعض مسيرهم نزلوا يوما ليستريحوا في بعض الاماكن فنامت الجواري فهبت الريح فانكشفت بطن احداهن وهي الكوفية فبان نور ساطع وكان اسمها مكتوم فنظر اليها ابن النخاس وكان شابا جميلا ففتن بها ساعته فأتاها على غفلة من أصحابه وجعل يقول

أمكتوم عيني لا تمل من البكا * وقلبي بأسهام الاسى يترشق

أمكتوم كم من عاشق قتل الهوى * وقلبي رهين كيف لا أتعشق

(فاجابته تقول)

لو كان حقا ما تقول لزرتنا * ليلا اذا هجعت عيون الحسد

قال فلما جن الليل انتضى الفتى ابن النخاس سيفه وأتى نحو الجارية فوجدها قائمة تنتظر قدومه فاخذها وأراد أن يهرب ففطن به أصحابه فأخذوه وكتفوه وأوثقوه بالحديد ولم يزل مأسورا معهم الى أن قدموا على عبد الملك ابن مروان فلما مثلوا بالجواري بين يديه أخذ الكتاب ففتحه وقرأه فوجد الصفة وافقت اثنتين من الجواري ولم توافق الثالثة ورأى في وجهها صفرة وهي الجارية الكوفية فقال للنخاسين ما بال هذه الجارية لم توافق حليتها التي ذكرها الحجاج في كتابه وما هذا الاصفرار الذي بها والانتحال فقالوا يا أمير المؤمنين نقول ولنا الامان قال ان صدقتم أمنتم وان كذبتم هلكتم فخرج أحد النخاسين وأتى بالفتى وهو مصفد بالحديد فلما قدموه بين يدي أمير المؤمنين بكى بكاء شديدا وأيقن بالعذاب ثم أنشأ يقول

أمير المؤمنين أتيت رغما * وقد شدت الى عنقي يديا * مقرا بالقبيح وسوء فعلي

ولست بما رميت به بريا * فان تقتل فقوق القتل ذنبي * وان تعفو فمن جود عليا

فقال عبد الملك يا فتى ما حملك على ما صنعت استخفاف بنا أم هوى الجارية قال وحق رأسك يا أمير المؤمنين وعظم قدرك ما هو الا هوى الجارية فقال هي لك بما أعددته لها فأخذها الغلام بكل ما أعده لها أمير المؤمنين من الحلي والحلل وسار بها فرحا مسرورا الى نحو أهله حتى اذا كانا ببعض الطريق نزلا بمرحلة ليلا فتعانقا وناما فلما اصبح الصباح وأراد الناس السير نبهوهما فوجدوهما ميتين فبكوا عليهما ودفنوهما بالطريق ووصل خبرهما الى عبد الملك فبكى عليهما وتعجب من ذلك (ومن ذلك) ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه أخرج خالد بن الوليد المخزومي رضي الله تعالى عنه الى مشركي خزاعة قال خالد فاخرجني اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في عشرة آلاف فارس من أهل النجدة والبأس قال فجد بنا المسير اليهم فسبق اليهم الخبر فخرجوا الينا فقاتلناهم قتالا شديدا حتى تعالى النهار وطار الشرار وهاجت الفرسان وتلاحمت الاقران فلولا أن الله

وبعد ذا خيفتي وان الحسدة والأعداء رموني عنده بما ليس في وتقولوا على الأباطيل الكاذبة لم يستحل دمي وتحلل من أذاي وازعاجي وردني مكرما وأقامني ببابه معظما وان كان سبق في علم الله عز وجل أنه يبدر الي منه بادرة سوء وقد حضر أجلي وكان سفك دمي على يده فلو اجتمعت الانس والجن والملائكة وأهل الأرض وأهل السماء على صرف ذلك عني ما استطاعوه فلم أتعجل الغم وأتسلف الفكر فيما قد فرغ الله منه واني حسن الظن بالله عز وجل الذي خلق ورزق وأحيا وأمات وأحسن وأجمل وان الصبر والرضا والتفويض والتسليم الى من يملك الدنيا والآخرة أولى وقد كنت أحسب أنك تعرف هذا فاذ قد عرفت مبلغ فهمك فاني لا أكلمك بكلمة واحدة حتى تفرق حضرة أمير المؤمنين بيننا ان شاء الله تعالى قال ثم أعرض عني فما سمعت منه لفظة غير القرآن والتسبيح أو حاجة أو ما يجري مجراها حتى شارفنا الكوفة في اليوم الثالث عشر بعد الظهر والنجب قد استقبلتني على فراسخ من الكوفة يتجسسون خبري فحين رأوني رجعوا عني بالخبر الى أمير المؤمنين فانتهينا الى الباب في آخر النهار فحططت ودخلت على الرشيد فقبلت الأرض بين يديه ووقفت فقال هات ما عندك يا منارة واياك أن تغفل منه لفظة واحدة فسقت الحديث من أوله الى آخره حتى انتهيت الى ذكر الفاكهة والطعام والغسل والبخور والصلاة وما حدثت به نفسي من امتناعه والغضب يظهر في وجه الرشيد ويتزايد حتى انتهيت الى فراغ الأموي من الصلاة والتفاته ومسئلته عن سبب قدومي ودفعي الكتاب اليه

تعالى أيدنا بنصره لكادت الدائرة أن تكون علينا ولكن تداركنا الله برحمة منه فهزمناهم وقتلناهم قتلا ذريعا ولم ندع لهم فارسا الا قتلناه ثم طلبنا البيوت فنهبنا وسبينا فلما هدأ القتال والنهب أمرت أصحابي بجمع السبايا لنقدم بهن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما خرجنا وأحصيناهم خرج منهم غلام لم يراهق الحلم ولم يجر عليه القلم وهو ماسك بشابة جميلة فقلنا له يا غلام اعزل عن النساء فصاح صيحة مزعجة وهجم علينا فوالله لقد قتل منا في بقية نهارنا مائة رجل قال خالد فرأيت أصحابي قد كرهوا قتاله وتأخروا عنه فلاث منهم جوادا وعلا على ظهره ونادى البراز يا خالد قال فبرزت اليه بنفسي بعد أن أنشدت شعرا فوالله لم يمهلني حتى أتم شعري بل حمل على فتطاعنا حتى تكسرت القنا وتضاربنا بالسيوف حتى تفللت فوالله لقد اقتحمت الأهوال ومارست الابطال فما رأيت أشد من حملاته ولا أمرح من هجماته فبينما نحن نعترك اذ كبا به فرسه فصار بين قوائمه فوثبت عليه وعلوت على صدره وقلت له افد نفسك بقول أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وأنا أردك من حيث جئت قال يا خالد ما أنصفتني اتركني حتى أجد من نفسي القوة قال خالد فتركته وقلت لعله أن يسلم ثم شددته وثاقا وصفدته بالحديد وأنا أبكي اشفاقا على حسن شبابه ثم أوثقته على بعير لي فلما علم أن لا خلاص له قال يا خالد سألتك بحق الملك الا ما شددت ابنة عمي على ناقة أخرى الى جانبي قال خالد فأخذتها وشددتها على ناقة أخرى الى جانبه ووكلت بهما جماعة من أشد القوم بالقواضب والرماح وسرنا فلما استقامت مطايا هما جعل الغلام والجارية يتناشدان الاشعار ويبكيان الى آخر الليل فسمعته يذكر قصيدة يسب فيها الاسلام ويذكر أن لا يسلم أبدا فأخذت السيف وضربته فرميت رأسه فصاحت الجارية وأكبت صارخة فحركتها فوجدتها ميتة فابركنا الأباعر وحفرنا ودفناهما فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبلنا نحدثه بعجيب ما رأينا من أمر الغلام فقال لا تحدثوني شيأ أنا أحدثكم به فقلنا من أعلمك به يا رسول الله قال أخبرني جبريل عليه السلام وتعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم من موافقتهما وموافقة أجلهما (ومن ذلك) ما حكاه الثوري قال حدثني جبلة بن الأسود وما رأيت شيخا أصبح ولا أوضح منه قال خرجت في طلب ابل لي ضلت فما زلت في طلبها الى أن أظلم الظلام وخفيت الطريق فصرت أطوف وأطلب الجادة فلا أجدها فبينما أنا كذلك اذ سمعت صوتا حسنا بعيدا وبكاء شديدا فشجاني حتى كدت أسقط عن فرسي فقلت لاطلبن الصوت ولو تلفت نفسي فما زلت أقرب اليه الى أن هبطت واديا فاذا راع قد ضم غنمه الى شجرة وهو ينشد ويترنم

وكنت اذا ما جئت سعدى أزورها ❊ أرى الأرض تطوى لي ويدنو بعيدها
من الخفرات البيض ودّ جليسها ❊ اذا ما انقضت أحدوثة لو تعيدها

قال فدنوت منه وسلمت عليه فرد على السلام وقال من الرجل فقلت منقطع به المسالك أتاك يستجير بك ويستعينك قال مرحبا وأهلا انزل على الرحب والسعة فعندي وطاء وطيء وطعام غير بطيء فنزلت فنزع شملته وبسطها تحتي ثم أتاني بتمور وزبد ولبن وخبز ثم قال اعذرني في هذا الوقت فقلت والله ان هذا لخير كثير قال الى فرسي فربطه وسقاه وعلفه فلما أكلت توضأت وصليت واتكأت واني لبين النائم واليقظان اذ سمعت حس شيء واذا بجارية قد أقبلت من كبد الوادي فضحت الشمس حسنا فوثب قائما اليها وما زال يقبل الأرض حتى وصل اليها وجعلا يتحادثان فقلت هذا رجل عربي ولعلها حرمة له فتناومت ومابي نوم فما زالا في أحسن حديث ولذة مع شكوى وزفرات الا أنهما لم يهم أحدهما لصاحبه بقبيح فلما طلع الفجر عانقها وتنفسا الصعداء وبكى وبكت ثم قال لها يا ابنة العم سألتك بالله لا تبطئي عني كما أبطأت الليلة قالت يا ابن العم أما علمت أني أنتظر الواشين والرقباء حتى يناموا ثم ودعته وسارت وكل واحد منهما يلتفت نحو الآخر ويبكي فبكيت رحمة لهما وقلت في نفسي والله لا أنصرف حتى أستضيفه الليلة وأنظر ما يكون من أمرهما فلما أصبحنا قلت له جعلني الله فداك الاعمال بخواتيمها وقد نالني أمس تعب شديد فأحب الراحة عندك اليوم فقال على الرحب والسعة لو أقمت عندي بقية عمرك ما وجدتني الا كما تحب ثم عمد الى شاة فذبحها وقام الى نار فأججها وشواها وقدمها الى فأكلت وأكل معي الا أنه أكل أكل من لا يريد الا كل فلم أزل معه نهاري ذلك ولم أر أشفق منه على غنمه ولا ألين جانبا ولا أحلى كلاما الا أنه كالولهان ولم أعلمه بشيء مما رأيت فلما أقبل الليل وطأت وطائي فصليت وأعلمته اني أريد الهجوع لما مربي من التعب بالامس فقال لي

ومبادرته الى احضار ولده وأهله وحلفه عليهم أن لا يتبعه أحد منهم وصرفه اياهم ومد رجليه حتى قيدته فما زال وجه الرشيد يسفر حتى انتهيت الى ما خاطبني به عند توبيخه اياي لما ركبنا المحمل قال صدق والله ما هذا الا رجل محسود على النعمة مكذوب عليه ولعمري لقد أزعجناه وآذيناه وروعنا أهله فبادر بنزع قيوده عنه وائتني به قال فخرجت فنزعت قيوده وأدخلته الى الرشيد فما هو الا أن رآه حتى رأيت ماء الحياء يجول في وجه الرشيد فسأله عن حاله ثم قال بلغنا عنك فضل هيئة وأمور أحببنا معها أن نراك ونسمع كلامك ونحسن اليك فاذكر حاجتك فأجاب الاموي جوابا جميلا وشكر ودعا فقال مالي الا حاجة واحدة قال مقضية ماهي قال يا أمير المؤمنين تردني الى بلدي وأهلي وولدي قال نحن نفعل ذلك ان شاء الله تعالى ولكن سل ما تحتاج اليه في مصالح جاهك ومعاشك فان مثلك لا يخلو أن يحتاج الى شيء من هذا فقال عمال أمير المؤمنين منصفون وقد استغنيت بعدله عن مسئلته فاموري منتظمة وأحوالي مستقيمة وكذلك أمور أهل بلدي بالعدل الشامل في ظل أمير المؤمنين فقال الرشيد انصرف محفوظا الى بلدك واكتب الينا بأمر ان عرض لك فودعه فلما ولى خارجا قال الرشيد يا منارة احمله من وقتك وسر به راجعا الى أهله كما جئت به حتى اذا أوصلته الى مجلسه الذي أخذته منه فدعه فيه وانصرف ففعلت والله أعلم (وحكى) في الكتاب المذكور قال حدثني أبو الربيع سليمان بن داود قال كان في جوار القاضي قديما رجل انتشرت عنه حكاية وظهر في يده مال جليل بعد فقر طويل وكنت أسمع أن أبا عمر

ثم هنيأ فأظهرت النوم ولم أنم فاقام ينتظرها الى هنيهة من الليل فأبطأت عليه فلما حان وقت مجيئها قلق قلقا شديدا وزاد عليه الامر فبكى ثم جاء نحوى فحركنى فاوهمته انى كنت نائما فقال يا أخى هل رأيت الجارية التى كانت تتعهدنى وجاءتنى البارحة قلت قد رأيتها قال فتلك ابنة عمى وأعز الناس على وانى لها محب ولها عاشق وهى أيضا محبة لى أكثر من محبتى لها وقد منعنى أبوها من تزويجها الى لفقرى وفاقتى وتكبر على فصرت راعيا بسببها فكانت تزورنى فى كل ليلة وقد حان وقتها الذى تأتى فيه واشتغل قلبى عليها وتحدثنى نفسى أن الاسد قد افترسها ثم أنشأ يقول

ما بال مية لا تأتى كعادتها * أعاقها طرب أم صدها شغل

نفسى فداؤك قد أحللت بى سقما * تكاد من حره الاعضاء تنفصل

قال ثم انطلق فغاب عنى ساعة وأتى بشئ فطرحه بين يدى فاذا هى الجارية قد قتلها الاسد وأكل أعضاءها وشوه خلقتها ثم أخذ السيف وانطلق فابطأ هنيهة وأتى ومعه رأس الاسد فطرحه ثم أنشأ يقول

ألا أيها الليث المدل بنفسه * هلكت لقد جريت حقا لك الشرا

وخلفتنى فردا وقد كنت آنسا * وقد صادت الايام من بعدها غبرا

ثم قال بالله يا أخى الا ما قبلت ما أقول لك فانى أعلم أن المنية قد حضرت لا محالة فاذا أنا مت فخذ عباءتى هذه فكفنى فيها وضم هذا الجسد الذى بقى منها معى وادفنا فى قبر واحد وخذ شويهاتى هذه وجعل يشير اليها فسوف تأتيك امرأة عجوز هى والدتى فاعطها عصاى هذه وثيابى وشويهاتى وقل لها مات ولدك كمدا بالحب فانها تموت عند ذلك فادفنها الى جانب قبرنا وعلى الدنيا منى السلام قال فوالله ما كان الا قليل حتى صاح صيحة ووضع يده على صدره ومات لساعته فقلت والله لاصنعن له ما أوصانى به فغسلته وكفنته فى عباءته وصليت عليه ودفنته ودفنت باقى جسدها الى جانبه وبت تلك الليلة باكيا حزينا فلما كان الصباح أقبلت امرأة عجوز وهى كالولهانة فقالت لى هل رأيت شابا يرعى غنما فقلت لها نعم وجعلت أتلطف بها ثم حدثتها بحديثه وما كان من خبره فاخذت تصيح وتبكى وأنا ألاطفها الى أن أقبل الليل ومازالت تبكى بحرقة الى أن مضى من الليل برهة فقصدت نحوها فاذا هى مكبة على وجهها وليس لها نفس يصعد ولا جارحة تتحرك فحركتها فاذا هى ميتة فغسلتها وصليت عليها ودفنتها الى جانب قبر ولدها وبت الليلة الرابعة فلما كان الفجر قمت فشددت فرسى وجمعت الغنم وسقتها فاذا أنا بصوت هاتف يقول

كنا على ظهرها والدهر يجمعنا * والشمل مجتمع والدار والوطن

ففرق الدهر بالتفريق ألفتنا * وصار يجمعنا فى بطنها الكفن

قال فأخذت الغنم ومضيت الى الحى لبنى عمهم فاعطيتهم الغنم وذكرت لهم القصة فبكى عليهم أهل الحى بكاء شديدا ثم مضيت الى أهلى وأنا متعجب مما رأيت فى طريقى (ومن ذلك) ما حكى أن زوج عزة أراد أن يحج بها فسمع كثير الخبر فقال والله لاحجن لعلى أفوز من عزة بنظرة قال فبينما الناس فى الطواف اذ نظر كثير لعزة وقد مضت الى جملها خفية ومسحت بين عينيه وقالت له حييت يا جمل فبادر ليلحقها ففاتته فوقف على الجمل وقال

حيتك عزة بعد الحج وانصرفت * فحى ويحك من حياك يا جمل

لو كنت حييتها ما كنت ذا سرف * عندى ولا مسك الادلاج والعمل

قال فسمعه الفرزدق فتبسم وقال له من تكون يرحمك الله قال أنا كثير عزة فمن أنت يرحمك الله قال أنا الفرزدق ابن غالب التميمى قال أنت القائل

رحلت جمالهم بكل أسيلة * تركت فؤادى هائما مخبولا * لو كنت أملكهم اذا لم يرحلوا

حتى أودع قلبى المتبولا * ساروا بقلبى فى الحدوج وغادروا * جسمى يعالج زفرة وعويلا

فقال الفرزدق نعم فقال كثير والله لولا أنى بالبيت الحرام لاصيحن صيحة أفزع هشام بن عبد الملك وهو على سرير ملكه فقال الفرزدق والله لاعرفن بذلك هشاما ثم تواد عا وافترقا فلما وصل الفرزدق الى دمشق دخل الى هشام ابن عبد الملك فعرفه بما اتفق له مع كثير فقال له اكتب اليه بالحضور عندنا لنطلق عزة من زوجها ونزوجه اياها فكتب اليه بذلك فخرج كثير يريد دمشق فلما خرج من حيه وسار قليلا رأى غرابا على بانة وهو يفلى نفسه وريشه

فجاء من السلطان فسألته عن الحكاية فاطرق طويلا ثم حدثنى قال ورثت مالا جزيلا فاسرعت فى اتلافه وأتلفته حتى أفضيت الى بيع أبواب دارى وسقوفها ولم يبق لى حيلة وبقيت مدة لا قوت لى الا من بيع والدتى لما تغزله وتطعمنى وتأكل منه فتمنيت الموت فرأيت ليلة فى منامى كأن قائلا يقول لى غناك بمصر فاخرج اليها فبكرت الى دار أبى عمر القاضى وتوسلت اليه بالجوار وبالخدمة وكان أبى قد خدمه أياما وسألته أن يزود نى كتابا الى مصر لا تصرف فيها ففعل وخرجت فلما حصلت بمصر أوصلت الكتب وسئلت التصرف فسد الله على باب الرزق حتى لم أظفر بتصرف ولا لاح لى شغل ونفدت نفقتى فبقيت متفكرا فى أن أسال الناس فلم أستبح المسئلة ولم يحملنى الجوع عليها وأنا ممتنع الى أن مضى من الليل صدر صالح فلقينى الطائف فقبض على ووجدنى غريبا فانكر حالى فسألنى فقلت رجل ضعيف فلم يصدقنى وبطحنى وضربنى مقارع فصحت وقلت أنا أصدقك فقال هات فقصصت عليه قصتى من أولها الى آخرها وحديث المنام فقال ما رأيت أحمق منك والله لقد رأيت منذ كذا وكذا سنة فى النوم كأن رجلا يقول لى ببغداد فى الشارع الفلانى فى المحلة الفلانية قال فذكر شارعى ومحلتى وأصغيت فتمم الشرطى الحديث فقال دار يقال لها دار فلان فذكر دارى واسمى وفيها بستان وفيه سدرة تحتها مدفون ثلاثون ألف دينار فامض وخذها فما فكرت فى هذا الحديث ولا التفت اليه وأنت يا أحمق فارقت وطنك وجئت الى مصر بسبب منام قال فقوى قلبى وأطلقنى الطائف فبت فى مسجد وخرجت من الغد من مصر وقدمت بغداد

يتساقط فاصفر لونه وارتاع من ذلك وجد في السير ثم انه مال ليسقي راحلته من حي بني فهد وهم زجرة الطير فبصر به شيخ من الحي فقال يا ابن أخي أرأيت في طريقك شيأ أفزعك قال نعم يا عم رأيت غرابا على بانة يتفلى وينتف ريشه فقال له الشيخ أما الغراب فانه اغتراب والبانة بين والتفلي فرقة فازداد كثير حزنا على حزنه لما سمع من الشيخ هذا الكلام وجد في السير الى ان وصل الى دمشق ودخل من أحد أبوابها فرأى الناس يصلون على جنازة فنزل وصلى معهم فلما قضيت الصلاة صاح صائح لا اله الا الله ما أغفلك يا كثير عن هذا اليوم فقال ما هذا اليوم يا سيدي فقال ان هذه عزة قد ماتت وهذه جنازتها فخر مغشيا عليه فلما أفاق أنشأ يقول

فما أعرف الفهدي لا در دره * وأزجره للطير لا عز ناصره
رأيت غرابا قد علا فوق بانة * ينتف أعلى ريشه ويطايره
فقال غراب اغتراب من النوى * وبانة بين من حبيب تعاشره

ثم شهق شهقة فارقت روحه الدنيا ومات من ساعته ودفن مع عزة في يوم واحد (وحكى الاصمعي) قال بينما أنا أسير في البادية اذ مررت بحجر مكتوب عليه هذا البيت

أيا معشر العشاق بالله خبروا * اذا حل عشق بالفتى كيف يصنع

فكتبت تحته

يداري هواه ثم يكتم سره * ويخشع في كل الامور ويخضع

ثم عدت في اليوم الثاني فوجدت مكتوبا تحته

فكيف يداري والهوى قاتل الفتى * وفي كل يوم قلبه يتقطع

فكتبت تحته

اذا لم يجد صبرا لكتمان سره * فليس له شيء سوى الموت أنفع

ثم عدت في اليوم الثالث فوجدت شابا ملقى تحت ذلك الحجر ميتا فقلت لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وقد كتب قبل موته

سمعنا أطعنا ثم متنا فبلغوا * سلامي على من كان للوصل يمنع

(وحكى) أيضا عن الاصمعي رحمه الله تعالى أنه قال بينما أنا نائم في بعض مقابر البصرة اذ رأيت جارية على قبر تندب وتقول

بروحي فتى أوفى البرية كلها * وأقواهم في الحب صبرا على الحب

قال فقلت لها يا جارية بم كان أوفى البرية وبم كان أقواها فقالت يا هذا انه ابن عمي هويني فهويته فكان ان باح عنفوه وان كتم لاموه فانشد بيتي شعر وما زال يكررهما الى أن مات والله لا ندبنه حتى أصير مثله في قبر الى جانبه فقلت لها يا جارية فما البيتان قالت

يقولون لي ان بحت قد غرك الهوى * وان لم أبح بالحب قالوا تصبرا
فما لامرئ يهوى ويكتم أمره * من الحب الا أن يموت فيعذرا

ثم انها شهقت شهقة فارقت روحها الدنيا رحمة الله تعالى عليها والحكايات في ذلك كثيرة وفي الكتب مشهورة ولولا الاطالة والخوف من الملالة لجمعنا في هذا المعنى أشياء كثيرة ولكن اقتصرنا على هذه النبذة اليسيرة والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الثاني والسبعون في ذكر رقائق الشعر والمواليا والدوبيت وكان وكان والموشحات والزجل والحماق والقوما والالغاز ومدح الاسماء والصفات وما أشبه ذلك وفيه فصول)

(الفصل الاول في الشعر) قد قسم الناس الشعر خمسة أقسام مرقص كقول أبي جعفر طلحة وزير سلطان الاندلس

والشمس لا تشرب خمر الندى * في الروض الا من كؤس الشقيق

ومطرب كقول زهير

تراه اذا ما جئته متهللا * كأنك تعطيه الذي أنت سائله

ومقبول كقول طرفة بن العبد

ستبدي لك الايام ما كنت جاهلا * ويأتيك بالاخبار من لم تزود

ومسموع مما يقام به الوزن دون أن يمجه الطبع كقول ابن المعتز

سقى المطيرة ذات الظل والشجر * ودير عبدون هطال من المطر

ومتروك وهو ما كان كلا على السمع والطبع كقول الشاعر

تقلقلت بالهم الذي قلقل الحشى * قلاقل هم كلهن قلاقل

وقد قسم الناس فنون الشعر الى عشرة أبواب حسب ما بوب أبو تمام في الحماسة وقال عبد العزيز بن أبي

فقلعت السدرة وأثرت مكانها فوجدت جرابا فيه ثلاثون ألف دينار فأخذتها وأمسكت يدي ودبرت أمري وأنا أعيش من تلك الدنانير ومن فضل ما ابتعته منها من ضيع وعقار الى الآن (وحكى القاضي أبو علي المحسن بن علي التنوخي في كتابه أخبار المذاكرة ونشوان المحاضرة) قال حدثني أبو محمد يحيى بن محمد بن فهمة قال حدثني بعض الكتاب قال سافرت أنا وجماعة من أصدقائي نريد مصر للتصرف فلما حصلنا بدمشق وكان معنا عدة بغال عليها ثقل غلمان لنا ونحن على دوابنا أقبلنا نخترق الطرق لا ندري أين ننزل فاجتزنا برجل شاب حسن الوجه جالس على باب دار شاهقة وبناء فسيح وغلمان بين يديه فقام الينا وقال أظنكم سفرا وردتم الآن فقلنا نحن كذلك قال فتنزلون علينا وألح علينا فاستحيينا من محله وحسن ظاهره وهيئته فحططنا على بابه ودخلنا وأقبل أولئك الغلمان يحملون ثقلنا ويدخلونه الدار ولا يدخلون أحدا من غلماننا يخدمنا حتى حملوه بأسره في أسرع وقت وجاؤنا بالطسوت والأباريق فغسلنا وجوهنا وأجلسونا في مجلس حسن مفروش بأنواع الفرش التي لم نر مثلها واذا الدار في نهاية الحسن والفخر والكبر وفيها دور وبستان عظيم وصاحب الدار يخدمنا بنفسه وعرض علينا الحمام فقلنا نحن اليه محتاجون فادخلنا الى الحمام في الدار في غاية السرور ودخل الينا غلامان أمردان وصبيان في نهاية الحسن يخدمونا بدلا من القيم وأخرجنا من الحمام الى غير ذلك المجلس فقدم الينا مائدة حسنة جليلة عليها من الحيوان وفاخر الطعام والألوان ونادر الحسن وغريب النوادر من كل شيء واذا

الاصبع الذى وقع لى أن فنون الشعر ثمانية عشر فنا وهى غزل ووصف ونخر ومدح وهجاء وعتاب واعتذار وأدب وزهد وخمريات ومراث وبشارة وتهانى ووعيد وتحذير وتحريض وملح وباب مفرد للسؤال والجواب * ولنذكران شاء الله تعالى من ذلك ما تيسر على سبيل الاختصار ولنبدأ من ذلك بذكر الغزل المذكر (ابن نباتة)

أأغصان بان ما أرى أم شمائل * وأقمار تم ماتضم الغلائل * وبيض رقاق من جفون فواتر

وسمر دقاق أم قدود قواتل * وتلك نبال أم لحاظ رواشق * لها هدف منى الحشى والمقاتل

بروحى أفدى شادنا قد ألفته * غدوت وبى شغل من الوجد شاغل * أمير جمال والملاح جنوده

يجور علينا قده وهو عادل * له حاجب عن مقلتى حجب الكرى * وناظره الفتان فى القلب عامل

رفعت اليه قصة الدمع شاكيا * فوقع يجرى فهو فى الخد سائل * شكوت فما ألوى وقلت فما صغى

وجد بقلبى حبه وهو هازل * طويل التوانى دله متواتر * مديد التجنى وافر الحسن كامل

أطارحه بالنحو يوما تعللا * فيبدو وللاعراب فيه دلائل * ويرفع وصلى وهو مفعول بالهوى

وينصب هجرى عامدا وهو فاعل * تفقهت فى عشقى له مثل ما غدا * خبيرا باحكام الخلاف يجادل

فيا مالكى ماضر لو كنت شافعى * بوصلك فافعل بى كما أنت فاعل

فانى حنيفى الهوى متحنبل * بعشقك لا أصغى وان قال قائل

(كمال الدين بن النبيه)

الله أكبر كل الحسن فى العرب * كم تحت لمة ذا التركى من عجب * صبح الجبين بليل الشعر منعقد

والخد يجمع بين الماء واللهب * تنفست عن عبير الراح ريقته * وافتر مبسمه الشهدى عن حبب

لا فى العذيب ولا فى بارق غزلى * بل فى جنى فمه أو ريقه الشنب * كأنه حين يرمى عن جنيته

بدر رمى عن هلال الافق بالشهب * ياجاذب القوس تقريبا لوجنته * والهائم الصب منها غير مقترب

أليس من نكد الايام يحرمها * فمى ويلثمها سهم من الخشب * من لى بأغيد قاسى القلب مبتسم

لا عن رضا معرض عنى بلا غضب * فكم له فى وجود الذنب من سبب * وليس لى فى قيام العذر من سبب

تميل أعطافه تيها بطرته * كما تميل رماح الخط بالعذب * أشار نحوى وجنح الليل معتكر

بمعصم بشعاع الكاس مختضب * بكر جلاها أبوها قبل ما جليت * فى حجرة الدن أو فى قشرة العنب

(البها زهير) يعاهدنى لاخاننى ثم ينكث * وأحلف لا كلمته ثم أحنث

وذلك دأبى لا يزال ودأبه * فيا معشر العشاق عنا تحدثوا * أقول له صلنى يقول نعم غدا

ويكسر جفنا هازئا بى ويعبث * وماضر بعض الناس لو كان زارنى * وكنا خلونا ساعة نتحدث

أمولاى انى فى هواك معذب * وحتام أبقى فى الغرام وأمكث * فخذ مرة روحى ترحنى ولا أرى

أموت مرارا فى النهار وأبعث * فانى لهذا الضيم منك لحامل * ومنتظر لطفا من الله يحدث

أعيذك من هذا الجفاء الذى بدا * خلائقك الحسنى أرق وأدمث * تردد ظن الناس فينا فاكثروا

أحاديث فيها ما يطيب ويخبث * وقد كرمت فى الحب منى شمائل * ويسأل عنى من أراد ويبحث

(النابلسى) ما كنت أعلم والضمائر تصدق * ان المسامع كالنواظر تعشق

حتى سمعت بذكركم فهو يتكم * وكذاك أسباب المحبة تعلق * ولقد قنعت من اللقاء بساعة

ان لم يكن لى للدوام تطرق * قد ينعش العطشان بلة ريقه * ويغص بالماء الكثير ويشرق

فعسى عيونى أن ترى لك سيدى * وجها يكاد الحسن فيه ينطق

(أبو الحسن الجزار)

فى خده من بقايا اللثم تخميش * وبى لتشويش ذاك الصدغ تشويش * ظبى من الترك أغنته لواحظه

عما حوته من النبل التراكيش * اذا انثنى قلت الغصن منكسر * وان تبدى فطرف البدر مدهوش

ياعاذلى ان تكن عن حسن صورته * أعمى فانى عما قلت أطروش * كم ليلة بات يسقينى المدام على

روض له بثياب الغيم ترقيش * والغيث كالجيش يرتج الوجود له * والبرق رايته والرعد جاويش

بغلامين أمردين فى نهاية الحسن والزى قد دخلوا الينا فغمزوا أرجلنا فلحقنا من ذلك مع الغربة وطول العهد بالجماع عنت فأمرناهم بالانصراف وفينا من لم يستحل التعرض لهم وتعففنا عن ذلك لنزولنا على صاحبهم ثم انتهينا الى مجلس فى بستان حسن وأخرج الينا من آلات النبيذ كل ظريف وأحضر من الأنبذة كل شئ طيب حسن وشربنا أقداحا يسيرة ثم ضرب بيده على ستارة ممدودة واذا جوار خلفها فقال غنين فغنت الجوارى اللواتى كن خلفها أحسن غناء وأطيبه فلما توسطنا الشرب قال ما هذا الاحتشام لاضيافنا أعزهم الله أخرجن وهتك الستارة قال فخرج علينا جوار لم ير قط أحسن ولا أملح ولا أظرف منهن ما بين عوادة وطنبورية وزامرة وصناجة ورقاصة مزدانة بفاخر الثياب والحلى فغنيننا واختلطن بنا فى المجلس فاشتدت محبتنا ولكن ضبطنا أنفسنا فلما كدنا أن نسكر ومضى قطعة من الليل أقبل صاحب الدار علينا وقال ياسادة ان تمام الضيافة وحقها الوفاء بشرطها وان يقوم المضيف بحق الضيف فى جميع ما يحتاج اليه من طعام وشراب وجماع وقد أنفذت اليكم نصف النهار الغلمان فأخبرونى بعفافكم عنهم فقلت هم أصحاب نساء فأخرجت هؤلاء فرأيت من انقباضكم عن ممازحتهن ما لو خلوتم بهن كانت الصورة واحدة فما هذا فقلنا ياسيدى أجللناك عن تبذل ما فى دارك وفينا من لم يستحل الحرام فقال هؤلاء مماليكى وهن أحرار لوجه الله تعالى ان كان بد من أن يأخذ كل واحد منكم بيد واحدة يتمتع بها ليلة فمن شاء زوجته بها ومن شاء غير ذلك فهو أبصر لأكون قد قضيت حق الضيافة

في مجلس ضحكت ارجاؤه طربا * لانه ببديع الزهر مفروش

(سيدي أبو الفضل بن أبي الوفاء)

ترى مني من فتور اللحظ ينتشط * من قلبه بحبال الشعر مرتبط * قد رق لي خصره المضني فناسبني
فقلت خير الامور الانسب الوسط * وقد خفي الردف عني من تثاقله * فقلت هذا على ضعفي هو الشطط
وصدره الرحب قد عانقته سحرا * والقلب منبعث الآمال منبسط * وفيه تلك النهود المشتهاة ترى
رمانها فيه قلبي أمره فرط * ان الصواب انتهاز السرور فقم * قبل الفوات فاوقات الهنى غلط

(القاضي مجد الدين بن مكانس)

أهدى تحيته وجاد بوعده * أفديه من قمر بدا في سعده * بدر جرى ماء الحياة بثغره
وترددت فضلاته في خده * أسكنته قلبي فأوعدت خده * نيران أحشائي عليه ووجده
من لي به حلو الشمائل أهيف * روت العوالي عن مثقف قده * ياعاذلي في حبه لو أبصرت
عيناك فوق الردف مسبل جعده * لعذرت كل متيم في حبه * وعلمت أن ضلاله في رشده
فوحق أموتي في هواه صبابة * وحياة مبسمه الشهي وبرده * ماجاد غيث الدمع الا من هوى
خلع القلوب ببرقه وبرعده * قم يارسول وأبلغ العشاق ما * ألقاه من جور الحبيب وبعده
واذا سألتك أن تؤدي في الهوى * خبري فصف فعل الغرام وأبده

(عز الدين الموصلي) (والصحيح أن هذه الأبيات لابن نباتة لانها في ديوانه)

نفس عن الحب ما أغفت وما غفلت * باي ذنب وقاك الله قد قتلت * دعها ومدمعها الجاري لقد لقيت
ماقدمت من أسى قلبي وما عملت * أفديك من ناشط الاجفان في تلفي * والسحر يوهم طرفي أنها كسلت
وأوضح الحسن لو شاءت ذوائبه * في الافق وصل دجا الظلماء لاتصلت * معسول بنعاس في لواحظه
أماتراها الى كل القلوب حلت * من لي بالحاظ ظبي يدعي كسلا * وكم قياب ضني حاكت وكم غزلت
وحمرة فوق خديه ومرشفه * هذى محاسنها زهو وذي ذبلت * أما كفاني تكحيل الجفون أسى
حتى المراشف منه باللمى كحلت * أستودع الله أعطافا شوت كبدي * وكلما رمت تجديد الوصال قلت
ومهجة لي كم ألفت بمسمعها * الى الملام ولا والله ماقبلت

(غيره للفاضل) شرخ الشباب بحبكم أفنيته * والعمر في كلف بكم قضيته
وأنا الذي الوم بي من نحوكم * داع وكنت بجفرتي لبيته * كيف التعرض للسلو وحبكم
حب بأيام الشباب شربته * لله داء في الفؤاد أجنه * يزداد نكسا كلما داويته
قالوا حبيبك في التجني مسرف * قاس على العشاق قلت فديته * أأروم من كافي عليه تخلصا
لا والذي بطحاء مكة بيته * ولو استطعت بكل اسم في الورى * من لذة الذكرى به سميته

(للشيخ بدر الدين الدماميني)

سل سيفا من الجفون صقيلا * مذ تصدى جلاه رحت قتيلا * صح عن جفنه حديث فتور
وهو ما زال من قديم عليلا * مر أبدى لنا من الخصر ردفا * فأرانا مع الخفيف ثقيلا
ذو قوام كأنه الغصن لكن * بالهوى نحو وصلنا لن يميلا * كامل الحسن وافر ظل وجدي
فيه ياعاذلي مديدا طويلا * فاتك الجفن ذو جمال كثير * أتلف العاشقين الا قليلا
قلت اذ لاح طرفه ولماه * فاتر اللحظ بكرة وأصيلا
كيف حالي وهل أصب اليه * من سبيل فقال لي سل سبيلا

(وقال آخر) لو أن قلبك لي يرق ويرحم * مابت من ألم الجوى أتألم
ومن العجائب أنني لا سهم لي * من ناظريك وفي فؤادي أسهم
ياجامع الضدين في وجناته * ماء يرق عليه نار تضرم
عجبي لطرفك وهو ماض لم يزل * فعلام يكسر عندما تتكلم
ومن المروأة ان تواصل مدنفا * والدهر سمح والحوادث نوم

فلما سمعنا بهذا وقد انتشينا طربا أخذ كل واحد منا بيد واحدة فاجلسها الى جانبه وأقبل يقبلها ويقرصها ويمازحها فتزوجت أنا بواحدة منهن وغيري ممن رغب في ذلك وبعضنا لم يفعل وجلس معنا بعد ذلك ساعة ثم نهض فاذا بخدم قد جاؤا فادخلوا كل واحد وصاحبته الى بيت في نهاية الحسن والطيب مفروش بفاخر الفرش اوطيئة فبخرونا عليها وغنا والجواري الى جنوبنا وتركوا معنا شمعة في البيت ومانحتاج اليه من آلة البيت وأغلقوا علينا وانصرفوا فبتنا في أرغد عيش ليلتنا فلما كان السحر بادر الخدم فقالوا امار أيكم في الحمام فقد أصلح فقمنا ودخلنا ودخل المردان معنا فنا من أطلق نفسه معهم فيما كان امتنع منه بالامس وخرجنا فبخرنا بالند الفتيق وأعطينا الماورد والمسك والكافور وقدمت الينا المرآة المجلات وأخبرنا غلماننا أن صورتهم في ليلتهم كصورتنا وأنهم أتوا بجواري الخدمة الروميات فوطؤهن فاقبل بعضنا على بعض يعجب من قضيتنا وبعضنا يقول هذا في النوم نراه ونحن في الحديث اذ أقبل صاحب الدار فقمنا اليه وعظمناه فاكبر بذلك وأخذ يسألنا عن ليلتنا فوصفناها له وسألنا عن خدمة الجواري لنا فاجبناه بحسنها فقال أيما أحب اليكم الركوب الى بعض البساتين للتفرج الى أن يدرك الطعام أو اللعب بالشطرنج والنرد أو النظر في الدفاتر فقلنا أما الركوب فلا نؤثره ولكن الشطرنج والنرد والدفاتر فاحضر لنا ذلك وتشاغل كل منا بما اختاره ولم يكن الا ساعتان أو ثلاثة من النهار حتى أحضر لنا مائدة كالمائدة الامسية فلما أكلنا وقمنا الى الفرش وجاء المنزدان فغمزونا

(وقال آخر) تصدق بوعد ان دمعي سائل * وزود فؤادي نظرة فهو راحل
لخدك موجود به التبر دائما * وحسنك معدوم لديه المماثل * أيا قمراً من شمس طلعة وجهه
وظل عذاريه الدجا والأصائل * تنقلت من طرف لقلب مع الهوى * وهاتيك للبدر المنير منازل
جعلتك للتمييز نصب الخاطري * فهلا رفعت الهجر والهجر فاعل

(وقال ابن صابر) قبلت وجنته فألفت جيده * خجلاً ومال بعطفه المياس
فانهل من خديه فوق عذاره * عرق يحاكي الطل فوق الآس
فكأنني استقطرت ورد خدوده * بتصاعد الزافرات من أنفاسي

(وقال آخر) وغزال كل من شبهه * بهلال أو ببدر ظلمه
قال اذ قبلت وهما فمه * قد تعديت وأسرفت فمه

(وقال آخر) بابي غلام لست غير غلامه * متجادلي بسلامه وكلامه
ذو حاجب ما ان رأيت كنونه * أبداً وصدغ ما رأيت كلامه

(وقال جمال الدين بن مطروح)

ذكر الحمى فصبا وكان قد ارعوى * صب على عرش الغرام قد استوى * تجري مدامعه ويخفق قلبه
مهما جرى ذكر العقيق مع اللوى * واذا تألق بارق من بارق * فهناك ينشر من هواه ما انطوى
لخذوا أحاديث الهوى عن صادق * ماضل في شرع الغرام وما غوى * وبمهجتي رشأ أطالت عذلي
فيه الملام وقد حوى ما قد حوى * قالوا أفيه سوى رشاقة قده * وفتور عينيه وهل موتي سوى
ما أبصرته الشمس الا واكتست * خجلاً ولا غصن النقا الا التوى
يروي الاراك محاسناً عن ثغره * يا طيب ما نقل الاراك وما روى

(وقال آخر) عبث النسيم بقده فتأودا * وسرى الحياء بخده فتوردا
رشأ تفرد فيه قلبي بالهوى * لما غدا بجماله متفردا * قاسوه بالغصن الرطيب جهالة
تالله قد ظلم المشبه واعتدى * حسن الغصون اذا اكتست أوراقها * وتراه أحسن ما يكون مجردا

(وقال غيره)

يا حسنا ما لك لم تحسن * الى قلوب في الهوى متعبه * رقت بالورد و بالسوسن
صفحة خد بالسنا مذهبه * وقد أبى خدك أن أجتني * منه وقد السعني عقربه
يا حسنه اذ قال ما أحسني * ويا لذاك اللفظ ما أعذبه * قلت له كلك عندي سنا
وكل ألفاظك مستعذبه * ففوق السهم ولم يخطني * ومذ رآني ميتاً أعجبه
وقال كم من عاشق حبني * وحبه اياي قد أتعبه يرحمه الله على أنني * قتلي له لم أدر ما أوجبه

(وقال آخر) مليح يغار الغصن عند اهتزازه * ويخجل بدر التم عند شروقه
فما فيه معنى ناقص غير خصره * وما فيه شيء بارد غير ريقه

(وقال يحيى بن أكثم)

دناها جرى نحوي بمقلته الكحلا * فلما رأى ذلي ثنى عطفه دلا * فتيمني شوقاً وأنحلني أسى
وأفقدني صبراً وأعدمني عقلا * شكوت فما ألوى وولى وما لوى * وأعرض مزوراً فسل الحشى سلا
اذا ما دعاه فرط سقمي لزورة * يناديه فرط العجب من عطفه كلا

(وقال أيضاً) بابي غزالاً غازلته مقلتي * بين العذيب وبين شطي بارق
وسألت منه زورة تشفي الجوى * فأجابني عنها بوعد صادق * بتنا ونحن من الدجا في خيمه
ومن النجوم الزهر تحت سرادق * عاطيته والليل يسحب ذيله * صهباء كالمسك الذكي لناشق
وضممته ضم الكمي لسيفه * وذؤابتاه حمائل في عاتقي * حتى اذا مالت به سنة الكرى
زحزحته عني وكان معانقي * أبعدته عن أضلع تشتاقه * كي لا ينام على فراش خافق
لما رأيت الليل آخر عمره * قد شاب في لمم له ومفارق

وغمزهم منا من كان يدخل في ذلك
وزالت المراقبة فلما انتبهنا حملنا الى
الحمام وخرجنا فتبخرنا وجلسنا في
مجالسنا بالأمس وجاء أولئك
الجواري ومعهن غيرهن ممن هو
أحسن منهن وقصدت كل واحدة
صاحبها بالأمس بغير احتشام
وشربنا الى نصف الليل وحملوا معنا
الى الفراش وكانت هذه حالنا مدة
الأسبوع فقلت لأصحابي وتحكم
أرى الأمر متصلاً ومن المحال أن
يقول لنا الرجل ارتحلوا عني وقد
استطبتم أنتم مواضعكم وانقطعتم
عن سفركم في هذا فقالوا ما ترى
فقلت أرى أن نستأنس الرجل
فننظر أي شيء هو فان كان ممن يقبل
هدية أو برا عملنا على تكرمته
وارتحلنا عنه وان كان بخلاف ذلك
كنا معتقدين له المكافأة في وقت ثان
وسألناه أن يحضر لنا من نكري
منه ورحلنا فتقرر رأينا على ذلك
فلما جلسنا تلك الليلة على الشرب
قلنا له قد طال مقامنا عندك وما
أضاف أحد أحداً أحسن مما ضفتنا
ونريد الرحيل الى مصر لما أردناه
من طلب التصرف وأنا فلان بن
فلان فعرفته نفسي والجماعة وقد
حملتنا من أياديك ومننك ما لا يسعنا
معه أن نجهلك ونحب أن تعرفنا
بنفسك لنأتي بشكرك ونقضي
حقك ونعمل على الرحيل فقال أنا
فلان بن فلان أحد أهل دمشق فلم
نعرفه فقلنا ان رأيت تزيدنا في الشرح
فقال جعلت فداكم ان لقيادتي خبراً
أظرف مما شاهدتموه فقلت ان رأيت
أن تخبرنا فقال نعم أنا رجل كان أبي
تاجراً عظيم النعمة والاموال وانتهت
النعمة اليه وكان ممسكاً مكثراً ونشأت
له فكنت متخرقاً مبذراً محباً للفساد
والنساء والمغنيات والشراب فأتلفت
مالاً عظيماً من مال أبي الا أنه لم يؤثر
في ماله لعظمه ثم اعتل وأيس من
نفسه فدعاني فقال يا بني اني قد

ودعت من أهوى وقلت تأسفا * صعب على بان أراك مفارق

(وقال ابن نباتة) بداورنت لواحظه دلالا * فما أبهى الغزالة والغزالا

وأسفر عن سنا قمر منير * ولكن قد وجدت به الضلالا * صقيل الخد أبصر من رآه

سواد العين فيه تخال خالا * وممنوع الوصال اذا تبدى * وجدت له من الألفاظ لالا

عجبت لثغره البسام أبدى * لنا درا وقد سكن الزلالا * شهدت بشهد ريقته لأنى

رأيت على سوالفه غلالا * فيا عجبا الحسن قد حواه * وقد أهدى الى قلبي الوبالا

سأشكو الحسن ما بقيت حياتى * وأشكر من صنائعه الجمالا

(القاضى فخر الدين بن مكانس)

ياغصنا فى الرياض مالا * حملتنى فى هواك مالا

يارائحا بعد أن سبانى * حسبك رب السما تعالى

(وله أيضا) أجارك الله قد رثت لى * مما ألاقى عدا وحسد

وعاذلى مذ رأى ضلوعى * تعد سقما بكى وعدد

ابن رفاعة يقولون هل من الحبيب بزورة * ومناكم المطلوب قلنا الهم منا

فقالوا النا غوصوا على قده وما * يحاكى اذا ما اهتز قلنا الهم غصنا

(الشيخ برهان الدين القيراطى)

وورد خد نرجسى لواحظ * مشايخ علم السحر عن لحظه رووا * ووارا صدغيه حكين عقاربا

من المسك فوق الجلنار قد التووا * ووجنته الحمرا تلوح كجمرة * عليها قلوب العاشقين قد اكتووا

وودى له باق واست بسامع * لقول حسود والعواذل اذ عووا

ووالله ما أسلو ولو صرت رمة * فكيف واحشائى على حبه انطووا

(وللشيخ برهان الدين القيراطى أيضا)

شبه السيف والسنان بعينى * من لقتلى بين الانام استحلا

فأبى السيف والسنان وقالا * حد نادون ذاك حاشى وكلا

(وقال أيضا) بابى أهيف المعاطف لدن * حسد الاسمر المثقف قده

ذو جفون مذ رمت منها كلاما * كلمتنى سيوفهن بحده

(وقال آخر) تملك رقى شادن قد هو يته * من الهند معسول اللمى أهيف القد

أقول لصحبي حين يرنو بطرفه * خذوا حذركم قد سل صارمه الهندى

(ومما قيل فى الغزل المؤنث للشيخ شمس الدين ابن البديرى)

خيال سلمى عن الاجفان لم يغب * وطيفها عن عيانى غير محتجب

وذكرها أنس روحى وهى نائية * والقلب مازال عنها غير منقلب

لم أصغ فيها اللاح راح يعذلنى * ولا لواش خلى بات يلعب بى

عذابها فى الهوى عذب ألذبه * ومر هجرانها أحلى من الضرب

فان نأت أودنت وجدى كما علمت * تشيب فيه الليالى وهو لم يشب

دعها فأمر هوى المحبوب متبع * وغير طاعته فى الحب لم يجب

(وقال عفا الله عنه)

سقى طلل الاحلته سلمى معاهد * وحياه من دمعى مذاب وجامد * فربع به سلمى مصيف ومربع

وأرض نأت عنها اقفار جلامد * وحيث ثوت أرضا فاعذب مورد * ولو كدرت منها على الموارد

رعى الله دهرا سالمتنى صروفه * وظلت ليالية بسلمى تساعد * وقد غفل الواشون عنى ولم أزل

ويقظان طرف البين عنى راقد * وأيامنا بالقرب بيض أزاهر * وأوقاتنا بالوصل خضر أمالد

وأرواحنا مزوجة وقالوا بنا * ونحن كأنا فى الحقيقة واحد * وكم قدم جنا فى مروج صبابة

خلفت لك النعمة وقيمتها مائة ألف دينار بعد أن أتلفت على خمسين ألف دينار وأن الانفاق لا آخر له اذا لم يكن بازائه داخل ولو أردت أن أتلف هذا المال عليك فى حياتى أو الآن حتى لا تصل الى شئ منه لفعلت ولكن هو ذا أتركه عليك فاقض حقى بحاجة تقضيها الى لا ضرر عليك فيها فقلت افعل فقال أنا أعلم أنك ستتلف المال فى مدة يسيرة فعرفنى اذا افتقرت ولم يبق معك شئ أتقتل نفسك ولا تعيش فى الدنيا فقلت لا قال فعرفنى من أين تعيش قال ففكرت ساعة فلم يقع لى الا أن قلت أصير قوادا قال فبكى ساعة ثم مسح عينيه وقال لست بصارف عنك هذه الصناعة فانها ما جرت على لسانك الا وقد دارت فى فكرك ولا دارت فى فكرك الا وأنت لا تنصرف عنها أبدا بعدى ولكن أخبرنى كيف يتم لك المعاش منها فقلت قد تدبرت بكثرة دعواتى القحبات والمغنيات ومعاشرتى لشراب النبيذ فأجمعهم على الرسم فيقيمون فى بيتى ويعملون ما يريدون وآخذ أنا منهم الدراهم وأعيش بها فقال اذا يبلغ السلطان خبرك فى جمعة فيحلقون رأسك ولحيتك وينادى عليك ويفرق جمعك ويبطل معاشك ويقول أهل بلدك انظروا الى فلان كيف ينادى عليه وقد صار بعد موت أبيه قوادا ولكن اذا أردت هذه الصناعة فانا أعلمك وان كنت لا أحسنها فلا تستغنى فيها ولا تفتقر ولا يتطرق عليك السلطان بشئ فقلت افعل قال اذا أنا مت فاعمل على أنك قد أنفقت جميع مالك وافتقرت وتكون قوادا ولك ضياع وعقار وأثاث ودور وجوار وآلة وقماش وخدم وجاه وتجارات واعمل على ما كان فى نفسك أن تعمله اذا افتقرت فاعمله وأنت مستظهر على زمانك

ولم يطرد فينا من البين طارد * تجرد بول اللهو فى قص الهوى * تلوح علينا للغرام شواهد
ولم يخطر التفريق منا بخاطر * ولم تحسب الأيام فينا تعاند * فهل أنت يا سلمى وقد حكم الهوى
كما كنت لى أم حاد بالقلب حائد * وهل ودنا باق والا تغيرت * على عادة الأيام منك العوائد
وهل محيت آثار رسم حديثنا * وأنساك حفظ الود هذا التباعد * وهل تذكرين العهد اذ نحن باللوى
وقوالك لا عاش الخؤن المعاهد * وهل أنت غيرت الذى أنا حافظ * وهل أنت أحللت الذى أنا عاقد
وهل بدلت منك المودة بالجفا * وفيك يقيني بالوفا منك شاهد * وانى ما بدلت عهدك فى الهوى
ولا اختلفت فيما علمت العوائد * ولا بت مسرورا وعيشك ليلة * وكيف سلوى والحبيب مباعد
فان كنت حبل الود صرمت طرفه * فودى طريف فى هواك وتالد * وان قلت ان الحب غيره النوى
لعمرى وجدى بالحشاشة وافد * وان أوردوا يوما صبابة عاشق * فبى يضرب الامثال من هو وارد
فاشمت كونى اننى بك مدنف * صبور على البلوى شكور وحامد * ومنك تساوى عندى الوصل والجفا
وفيك لقد هانت على الشدائد * ولو رمت ألوى عن هواك أعنتى * لقادزمامى نحو حبك قائد

نصبت شراك الحب صدت حشاشتى * فكيف خلاصى والهوى منك صائد
بعدت وقلت البين يسلى أخا الهوى * وهل يسلى ذا الاشجان هذا التباعد
وما غيرا التفريق ما تعهدينه * وسوق سلوى فى المحبين كاسد
وجل مناى القرب منك وانما * اذا عظم المطلوب قل المساعد

(وقال عفا الله عنه)

تهددنى بتبريح وبين * وتوعدنى بتفريق وصد * وتحلف لى لتلبسنى سقاما
تهى جلدى به وتذيب جلدى * وترمينى بنبل من جفون * فتضننى وتصمينى وتردى
وتحرقنى بنار الصد حتى * تذيب حشاشتى كمدا وكبدى * فقلت لها ودمعى فى انسكاب
يفيض دما على صفحات خدى * ومن لى أن يقال قتيل وجد * واذكر فى هواك ولو بصدى

(وقال عفا الله عنه)

سلوى عنك شئ ليس يروى * وحبى فيك سار مع الركاب
ولم يعبر سوالك على ضميرى * ووجدى فيك أيسره عذابى * ومالك عن سواد العين يوما
وما السواد قلبى من حجاب * وما اخضرت دواعى الشوق الا * هززت اليك أجنحة التصابى

(وقال عفا الله عنه)

قفا نبك دارا شط عنا مزارها * وأنحلنا بعد البعاد اذكارها * وعوجا باطلال محتها يد النوى
فاظلم بالنأى المشت نهارها * فقدنا بها رعيا من الانس ان رنت * بمقلتها يصمى القلوب احورارها
تصيد قلوب العاشقين أنيسة * ويحسن منها صدها ونفارها * ويهزأ بالاغصان لين قوامها
اذا مال فوق الغصن منها خمارها * وليس لبدر التم قامة قدها * وما هو الا حجلها وسوارها
منازلها منى الفؤاد وان نأى * عن العين مثواها ففى القلب دارها * يمثلها بالوهم فكرى لناظرى
وأكثر ما يضنى النفوس افتكارها * وهيج دمعى حر نار صبابتى * وما خمدت بالدمع منى نارها
وساعدت بالايك الملاحمائم * تهاتف شجو الايقر قرارها
بكين ولم تسفح لهن مدامع * وعينى فاضت بالدموع بحارها

(ولمؤلفه رحمه الله تعالى) وهو قول ضعيف على قدر حاله لكنه يسأل الواقف عليه من افضاله ستر ما يراه من عيوبه وان يدعو له بمغفرة ذنوبه

نسيم الصبا بلغ سليمى رسائلى * بلطف وقل عن حال صبك سائلى * فقد صار بالاسقام صبا معذبا
قريح جفون من دموع هوامل * صبورا على حر الغرام وبرده * حليف الضنى لم يصغ يوما لعاذل
يبيت على جمر الغضى متقلبا * يئن غراما فارحميه وواصلى * الا يا سليمى قد أضربى الهوى
وهاجت بتبريح الغرام بلابلى * رميت بسهم من لحاظك قاتل * فلم يخط قلبى والحشى ومقاتلى

عن أمعائك وهبة عند اخوانك واهل
أنك قد أنفقته واجعل معيشتك
ما تريد أن تجعله اذا افتقرت فانك
تستفيد بذلك أمورا منها أنك تبتدئ
أمرك بهذا فلا ينكر عليك فى آخره
ومنها أنك تفعل ذلك بجاه وعقار
وضياع وأحوال قوية فلا يطمع
فيك سلطان وان طمع فيك سلطان
بذلت وأعطيت من نوالك فتخلصت
فقلت كيف أفعل قال تجلس
اذا أنا مت ثلاثة أيام للعزاء الى ان
تنقضى المصيبة فاذا انقضت نفذت
وصيتى وتحملت بذلك عند الناس
وقضيت حقى ثم تظهر أنك قد تركت
اللعب وأنك تريد حفظ مالك مع
ضرب من اللذة ثم تبتدئ فتشترى
من الجوارى المغنيات والسرارى
كل لون ومن الغلمان المردان
والخدم السود والبيض ما تحتاج
اليه وتشتهيه ودارك كما تحب فى
السرور وتنوف على شر ومن تريد
أن تعاشره ولا تدخل الا الامير
والعاقل وادعهما مرة فى شهر أو
شهرين وهادهما أيام الاعياد
بالالطاف الحسنة والقهما فى كل
أسبوع مرة واجتهد أن تعاشرهما
على النبيذ فى دورهما والقهما
بالسلام وقضاء الحاجة واتخذ فى
كل يوم مائدة حسنة وادع القوم ومن
يتفق معهم وليكن ذلك بعقل
وترتيب فان ذلك أولا لا يظهر مدة
فاذا ظهر صدق به أعداؤك وكذب
به اخوانك وقالوا هذه على سبيل
المجون والشهوة على طريق التخالع
أو مسامحة الاخوان والا فأى لذة له
فى ذلك وليس هو بمجنون ولا بمخنث ولا
فقير لولا احتاجا الى هذا فيبقى
الخلاف فيك مدة أخرى وقد اتصلت
مع سلطانك ولعل العشرة بينكما قد
وقعت فيستدعى مغنياتك
ويسمعهن فى منزله فيصير لك
عنده منة ورسم وجاهك باق علا قاتك
لهم فهم يحتاجون اليك وسيحافظ

كتمت غـرامى فى هواك ولم أبح * بسر فباحت أدمـعى برسائلى
سليمى سلى ماقد جرى لى من النوى * فقـد عادلى حال له رق عاذلى
لعل تجودى للكئيب وتسمحى * بوعد وبعد الوعد ان شئت ماطلى
عسى تنطفى بالوعد نارى وأشتفى * فبالسقم أعضائى وهت ومفاصلى
خفيت عن العـواد لولا تأوهى * وعظـم أنينى لابرانى مسائلى
فرقى فقـد رقت عداى لذلتى * وفاضت على حالى عيون عواذلى
قطعـت زمانى فى عسى ولعلها * ومافزت فى الايام منك بطائل
فما آن أن ترضى عـلى وترحمى * ضنى جسدى فالوجد لاشك قاتلى
توسلت بالمختار فى جمع شملنا * نبى له فضل على كل فاضـل

(وله رحمه الله تعالى)

يا ربة الحسن من بالصد أوصاكى * حتى قتلت بفرط الهجر مضناكى
ويا فتاة بفتان القـوام سبت * من فى الورى ياترى بالقتل أفتاكى
لقـد جننت غراما مذ رأى نظرى * فى النوم طيف خيال من محياكى
ومـذ رآه جفا طيب المنام وقـد * أضحى عليـلا حزينا لم يزل باكى
عـذبتنى بالتجنى وهو يعذب لى * فهـل ترى تسمحى يوما برؤياكى
ان كنت لم تذكرينا بعـد فرقتنا * فالله يعـلم أنا ما نسيناكى
ما آن أن تعطفى جودا عـلى فقـد * أضحى فؤادى أسيرا لحظ عيناكى
ما كنت أحسب أن العشق فيه ضنى * ولا عذاب نفوس قبـل أهواكى
حـتى تولع قلبى بالغرام فما * أمسى أسيرا سوى فى حسن معناكى
رقى لعبـدك جودا واعطفى وذرى * ولا تطيـلى بحق الله جفواكى
يا هنـد رفقا بقلب ذاب فيـك أسى * ومهجة تلفت يا هنـد ما أقساكى
رق العـذول لحالى فى الهـوى ورثى * وأنت يا هنـد لا ترثى لمضناكى
والله لو مت ما أسـلاك يا أمـلى * ولو فنيت غـراما لست أنساكى

(وقال آخر) كأن فؤادى يوم سرت دليل * يسير أمام العيس وهو ذليل
فصرت عقيب الظاعنين لكى أرى * فؤادى سرى فى الركب وهو عجول
وقائلة لى كيف حالك بعدنا * لتعـلم ماهـذا اليـه يؤول
فقلت لها قدمت قبـل ترحلى * فمن باب أولى أن يجد رحيل
وقلت فليلى طال همـا فأنشدت * ومازال ليل العاشقين طويل
فقلت وجسمى لم يزل مترجفا * فقالت وجسم العاشقين نحيل
فقلت لها لو كنت أدرى فراقنا * بيوم وداع ما اليـه سبيـل
قلعت لعينى فى هواك بأصبعى * لـكى لا أرى يوما على ثقيل

(وقال الوأواء الدمشقى عفا الله عنه)

يا من نفت عنى لذيذ رقادى * مالى ومالك قد أطلت سـهادى
فبأى ذنب أم بأية حالة * أبعدتنى ولقد سكنت فؤادى
وصددت عنى حين قد ملك الهوى * روحى وقلبى والحشا وقيادى
ملكت لحاظك مهجتى حتى غدا * قلـبى أسـيرا ماله مـن فادى
لا غرو أن قتلت عيونك مغرما * فلكم صرعت بها من الآساد
يا من حوت كل المحاسن فى الورى * والحسن منها عاكف فى بادى
رفقا بمن أسرت عيونك قلبه * ودعى السيوف تقر فى الاغمـادى
وتعطـفى جودا على بقبـلة * فبيم مبسمك شفاء الصادى
ماتت أطال الله عمـرك سـلوتى * ولقد فنى صبرى وعاش سهادى
ومن المنى لو دام لى فيك الضنى * ياحبـذا لا رالك من عوادى
وأجيل منك نواظرى فى ناضر * من خـدك المترقرق الوقاد
وأقول ماشئت اصنعى يا منيتى * مالى سواك ولو حرمت مرادى
الا مديح المصطفى هو عمدتى * وبه سألقى الله يوم معادى

(وقال البهاء زهير)

اذا جن ليلى هام قلبى بذكركم * أنوح كما ناح الحمام المطوق
وفوقى سحاب يمطر الهم والاسى * وتحتى بحار بالجوى تتدفق
سلوا أم عمرو كيف بات أسيرها * تفك الأسارى دونه وهو موثق

عليك الامير فتصير فى مراتب ندمائه وفى جملته وتصير قيادتك نفعا عليك بغـير ضرر وتخرج عن حـد القواد المحض الذين يؤذون وتكبس منازلهم قال فاعتقدت فى الحال أن الصواب ماقاله ومات فى علته فجلست ثلاثة أيام ثم أنفـذت وصيته وفرقتها كما أمرنى ثم بيضت الدور وهـى هـذه وزدت فيها ما اشتهيت واسـتزدت فى الآلات والفرش والابنية كما أردت وابتعت هذه الجوارى والغلمان والخدم من بغـداد ودبرت أمرى عـلى ما قاله لى من غير مخالفة لشئ منه وأنا أفعل هذا منذ سـنين كثيرة ما لحقنى منه ضرر ولا خسران ولا فيـه أكثر من اسـقاط المروءة وقـلة الاكتراث بالعيب وأنا أعيش أطيب عيش وأهنأه وأمر معاشى عليهم ودخلى بهم أكثر من خرجى ونعمتى الموروثة باقية بأسرها ما بعت منها شيئا بحبة قط فما فوقها وقد اشـتريت من هـذه الصناعة عقارا جليلا أضـفته الى ما خلف على وأمرى عشى كما ترون فقلنا يا هذا فرجت والله عنا وأريتنا طريقا الى قضاء حقـك وأخـذنا غمازحـه ونقول فضـلك فى هـذه الصناعة غير مدفوع لانك قواد ابن قواد وما كان الشيخ ليدبر لك هـذا الامر الا وهو بالقيادة أحذق منك فضحك وضحكنا وكان الفتى أديبا خفيف الروح وبتنا ليلتنا على تلك الحالة فلما كان من الغـد جمعنا له من بيننا ثلثمائة دينار وحملناها اليه ورحلنا عنه (وحكى أحمد بن يحيى بن فضل العمرى) فى كتابه المسمى مسالك الابصار فى ممالك الامصار فى ترجمة صفى الدين عبد المؤمن بن يوسف بن فاخر الموسيقى قال ذكر النجم حسن الاربلى فى تاريخه قال جلست مع صفى الدين عبد المؤمن بالمدرسة المستنصرية وجرى ذكر واقعة بغداد فأخبرنى

فلا أنا مقتول ففي القتل راحة * ولا أنا ممنون عليه فيعتق

﴿مجنون ليلى﴾

وقد خبروني أن تيماء منزل * لليلى اذا ما الليل ألقى المراسيا * فهذى شهور الصيف عنا ستنقضي
فما للنوى يرمى بليلى المراميا * أعد الليالي ليلة بعد ليلة * وقد عشت دهرا لا أعد اللياليا
وأخرج من بين البيوت لعلني * أحدث عنك النفس بالليل خاليا * ألا أيها الركب اليمانون عرجوا
علينا فقد أمسى هوانا يمانيا * يمينا اذا كانت يمينا فان تكن * شمالا ينازعني الهوى عن شماليا
أصلي فما أدرى اذا ما ذكرتها * اثنتين صليت الضحى أم ثمانيا * خليلى لا والله لا أملك الهوى
ذا علم من أرض ليلى بداليا * خليلى لا والله لا أملك الذي * قضى الله فى ليلى ولا ما قضى ليا
قضاها لغيرى وابتلانى بحبها * فهلا بشئ غير ليلى ابتلانيا * ولو أن واش باليمامة داره
ودارى بأعلى حضرموت اهتدى ليا * وددت على حبي الحياة لو أنه * يزاد لها فى عمرها من حياتيا
على أنني راض بان أحمل الهوى * وأخلص منه لا على ولا ليا * اذا ما شكوت الحب قالت كذبتني
فمالي أرى الأعضاء منك كواسيا * فلا حب حتى يلصق الجلد بالحشى * وتخرس حتى لا تجيب المناديا

(وقال آخر) قالت لطيف خيال زارني ومضى * بالله صفه ولا تنقص ولا تزد
فقال خلفته لو مات من ظمأ * وقلت قف عن ورود الماء لم يرد
قالت عهدت الوفا والصدق سيمته * يا برد ذاك الذي قالت على كبدى

﴿كمال الدين بن النبيه﴾

أماويا بياض مبسمك النقى * وسمرة مسكة اللعس الشهى * ورمان من الكافور تعلو
عليه طوالع الند الندى * وقدك كالقضيب اذا انثنى * خشيت عليه من ثقل الحلى
لقد أسقمت بالهجران جسمى * وأعطشنى وصالك بعد ريى * الى كم أكتم البلوى ودمعى
يبوح بمضمر السر الخفى * وكم أشكو للاهية غرامى * فويل للشجى من الخلى

﴿صفى الدين الحلى﴾

أبت الوصال مخافة الرقباء * وأتتك تحت مدارع الظلماء * أصفتك من بعد الصدود مودة
وكذا الدواء يكون بعد الداء * أحيت بزورتها النفوس وطالما * ضنت بها فقضت على الاحياء
أمست بليل والنجوم كأنها * در بباطن خيمة زرقاء * أمست تعاطيني المدام وبيننا
عتب غنيت به عن الصهباء * آبت الى جسدى لتنظر ما انتهت * من بعدها فيه يد البرحاء
ألفت به وقع الصفاح فراعها * جزعا وما نظرت جراح حشائى * أمصيبة منا بنبل لحاظها
ما أخطأته أسنة الأعداء * أعجبت مما قد رأيت وفى الحشا * أضعاف ما عاينت فى الأعضاء
أمسى ولست بسالم من طعنة * نجلاء أو من مقلة نجلاء

﴿وله رحمه الله تعالى﴾

قفى ودعينا قبل وشك التفرق * فما أنا من يحيا الى حين نلتقى * قضيت وما أودى الحمام بمهجتى
وشبت وما حل البياض بمفرقى * قنعت أنا بالذل فى مذهب الهوى * ولم تفرقى بين المنعم والشقى
قرنت الرضا بالسخط والقرب بالنوى * ومزقت شمل الوصل كل ممزق * قبلت وصايا الهجر من غير ناصح
وأحببت قول الهجر من غير مشفق * قطعت زمانى بالصدود وزرتنى * عشية زمت للترحل أينقى
قضى الدهر بالتفريق فاصطبرى له * ولا تذمى أفعاله وترفقى

﴿وقال عفا الله عنه﴾

جاءت لتنظر ما أبقت من المهج * فعطرت سائر الارجاء بالارج * جلت علينا محياً الوجلته لنا
فى ظلمة الليل أغنتنا عن السرج * جورية الخد تحمى ورد وجنتها * بحارس من نبال الغنج والدعج
جزت اساءة أفعالى بمغفرة * فكان غفرانها يغنى عن الحجج * جادت لعرفانها أنى المريض بها
فما على اذا أذنبت من حرج * جست يدى اترى مابى فقلت لها * كفى فذاك جوى لولاك لم يهج

أنّ هلاكو طلب رؤساء البلد وعرفاءها وطلب منهم أن يقسموا دروب بغداد ومحالها وبيوت ذوى يسارها على أمراء دولته فقسموها وجعلوا كل محلة أو محلتين أو سوقين باسم أمير كبير فوقع الدرب الذى كنت أسكنه فى حصة أمير مقدم على عشرة آلاف فارس اسمه نانونوين وكان هلاكو قد رسم لبعض الامراء أن يقتل ويأسر وينهب مدة ثلاثة أيام ولبعضهم يومين ولبعضهم يوما واحدا على حسب طبقاتهم فلما دخل الامراء الى بغداد كان أول درب جاء اليه الامير الدرب الذى أنا ساكنه وقد اجتمع فيه خلق كثير من ذوى اليسار واجتمع عندى نحو خمسين جارية من أرباب المغانى وذوات الحسن والجمال فوقف نانونوين على باب الدرب وهو متترس بالاخشاب والتراب وطرقوا الباب وقالوا افتحوا لنا وادخلوا فى الطاعة ولكم الامان والا أحرقنا الباب وقتلنا كم ومعه النجارون وخلافهم وأصحابه بالسلاح قال صفى الدين عبد المؤمن فقلت السمع والطاعة أنا أخرج اليه ففتحت الباب وخرجت اليه وحدى وعلى أثواب وسخة وأنا أنتظر الموت فقبلت الارض بين يديه فقال للترجمان قل له أنت كبير هذا الدرب فقلت نعم فقال ان أردتم السلامة من الموت فاحملوا لنا كذا وكذا وطلب شيأ كثيرا فقبلت الارض مرة ثانية وقلت كل ما طلبه الامير يحضر وصار كل ما فى هذا الدرب بحكمك ومن تريد من خواصك فانزل لاجمع لك كل ما طلبت فشاور أصحابه ونزل فى نحو ثلاثين رجلا من خواصه فأتيت به دارى وفرشت له الفرش الخليفية الفاخرة والسرر المطرزة بالزركش وأحضرت له فى الحال أطعمة فاخرة وشواء وحلواء وجعلتها بين يديه فلما فرغ

جفوتني فرأيت الصبر أجمل بي * والصمت في الحب أولى بي من اللهج
جارت لحاظك فينا غير راحمة * ولذة الحب جور الناظر الغنج

(وقال ابن نباتة) رقت لنا حين هم السفر بالسفر * وأقبلت في الدجى تسعى على حذر
راض الهوى قلبها القاسي فجادلنا * وكان أبخل من عوز بالمطر * رأت غداة النوى نار الكليم وقد
شبت فلم تبق من قلبي ولم تذر * رشيقة لو تراها عندما سفرت * والبدر ساه اليها وهو معتذر
رأيت بدرين من وجه ومن قمر * في ظل جنحين من ليل ومن شعر * رشفت در الحيا من مقبلها
اذ نبهتني اليها نسمة السحر * رنت نجوم الدجى نحوي فما نظرت * من يرشف الراح قبلي من فم القمر
راق العتاب وأبدت لي سرائرها * في ليلة الوصل بل في غرة القمر

(وقال ابن الساعاتي) قبلتها ورشفت خمرة ريقها * فوجدت نار صبابة في كوثر
ودخلت جنة وجهها اذ اباحني * رضوانها المرجو شرب المسكر

(وقال آخر) بكت للفراق وقد راعها * بكاء المحب لبعد الديار
كأن الدموع على خدها * بقية طل على جلنار

(الوأواء الدمشقي تضمين)

قالت متى الظعن يا هذا فقلت لها * اما غدا زعموا أولا فبعد غد
فأمطرت لؤلؤا من نرجس وسقت * وردا وعضت على العناب بالبرد

(لابن نباتة) عذولي لست أسمع منه قولا * على غيداء مثل البدر تما
له طرف ضرير عن سناها * ولي أذن عن الفحشاء صما

(وقال آخر) ورب ليال في هواها سهرتها * أراعي نجوم الليل فيها الى الفجر
حديثي عال في السهاد لأنني * رويت أحاديث السهاد عن الزهر

(السراج الوراق)

يا لائمي في هواها * أسرفت في اللوم جهلا ما يعلم الشوق الا * ولا الصبابة الا

(وقال آخر) وعدت أن تزور ليلا فالوت * وأتت في النهار تسحب ذيلا
قلت هلا صدقت في الوعد قالت * كيف صدقت أن ترى الشمس ليلا

(لعز الدين الموصلي) قد سلونا عن الغزال بخود * ذات وجه بها الجمال تفتن
ورجعنا عن التهتك فيه * ودفعناه بالتي هي احسن

(وقال آخر) قالت وناولتها سواكا * سادبفيها على الأراك
سواي ماذاق طعم ريق * قلت لها ذاقه سواكي

(وقال آخر) سألتها ان تعيد لفظا * قالت تحب دعوه يعذر
حديثها سكر شهي * واحسن السكر المكرر

(ابن نباتة) وملولة في الحب لما أن رأت * أثر السقام بجسمي المنهاض
قالت تغيرنا فقلت لها نعم * انا بالسقام وانت بالاعراض

(وقال ابو الطيب المتنبي)

بابي الشموس الجانحات غواربا * اللابسات من الحرير جلاببا * الناهبات عيوننا وقلوبنا
وجناتهن الناهبات الناهبا * الناعمات القاتلات المحييا * ت المبديات من الدلال غرائبا
حاولن تفديتي وخفن مراقبا * فوضعن أيديهن فوق ترائبا * وبسمن عن برد خشيت اذيبه
من حر انفاسي فكنت الذائبا * يا حبذا المتحملون وحبذا * وادلثمت به الغزالة كاعبا
كيف الرجاء من الخطوب تخلصا * من بعد ان انشبن في مخالبا

(وله ايضا من جملة قصيدة)

ولما التقينا والنوى ورقيبنا * غفولان عنا ظلت ابكي وتبسم

من الاكل عملت له مجلسا ملوكيا وأحضرت الاواني المذهبة من الزجاج الحلبي وأواني فضة فيها شراب مروق فلما دارت الاقداح وسكر قليلا أحضرت عشر مغنيات كل واحدة تغني على ملهاة غير ملهاة الاخرى فغنين كلهن فارتج المجلس وطرب وانبسطت نفسه فضم واحدة من المغنيات أعجبته فواقعها في المجلس ونحن نشاهده وأتم يومه في غاية الطيبة فلما كان وقت العصر وحضر أصحابه بالنهب والسبايا قدمت له ولاصحابه الذين كانوا معه تحفا جليلة من أواني الذهب والفضة ومن النقد ومن الاقمشة الفاخرة شيأ كثيرا سوى العليق ووهبت له الغواني التي كن بين يديه واعتذرت من التقصير وقلت جاء الامير على غفلة لكن غدا ان شاء الله تعالى أعمل للامير دعوة أحسن من هذه فركب وقبلت ركابه ورجعت فجمعت أهل الدرب من ذوي النعمة واليسار وقلت لهم انظروا لانفسكم هذا الرجل غدا عندي وكذا بعد غد وكل يوم أزيد أضعاف اليوم المتقدم فجمعوا الي من بينهم ما يساوي خمسين ألف دينار من أنواع الذهب والاقمشة الفاخرة والسلاح فما طلعت الشمس الا وقد وافاني فرأى ما أذهله وجاء في هذا اليوم ومعه نساؤه فقدمت له ولنسائه من الذخائر والذهب النقد ما قيمته عشرون ألف دينار وقدمت له في اليوم الثالث لآلئ نفيسة وجواهر ثمينة وبغلة جليلة بآلات خليفية وقلت هذه من مراكب الخليفة وقدمت لجميع من معه وقلت هذا الدرب صار بحكمك وان تصدقت على أهله بأرواحهم فيكون لك وجه أبيض عند الله وعند الناس فما بقي عندهم سوى أرواحهم فقال قد عرفتك انك من

فلم أر بدراضاحكاقبل وجهها * ولم ترقبلى ميتا يتكلم

(الشريف الرضى)

وتميس بين مزعفروممصفر * ومعنبر وممسك ومصندل * هيفاء ان قال الشباب لها انهضى
قالت روادفها اقعدى وتمهلى * واذا سألت الوصل قال جمالها * جودى وقال دلالها الاتفعلى

(ابن اسرائيل)

وعدت بوصل والزمان مسوّف * حوراء ناظرها حسام مرهف * نشوانة خصباء منهل ثغرها
درور يقتها سلاف قرقف * وتخال بين البدر منها والنقا * غصنا يميس به النسيم مهفهف
لاتحسبن الخلف شيمة مثلها * وعدت ولكن الزمان يسوف * يابانة قد أطلعت أغصانها
ورداجنيا باللواحظ يقطف * وغزالة يحكى الغزالة وجهها * ويعيرنا ظاهرها الحسام الاوطف
ماتأمرين لمغرم تسطو به * أجفانك المرضى ولاتستعطف * قسما بوجهك وهو صبح مشرق
وسواد شعرك وهو ليل مسدف * ويهز غصن البان منك على النقا * مالى الى أحد سواك تشوف
(ولنذكر) ان شاء الله تعالى فى هذا الباب نبذة من ملح النظم ورقائق الشعر من غير تبويب ولا ترتيب

(للشيخ شمس الدين بن البديرى)

ولما نأت سلمى وشط بها النوى * وأيقنت أنى بالغرام أذوب * علقت بأخرى غيرها متلاهيا
ليطفى ضرام فى الحشا ولهيب * وكان هيامى والهوى وصبابتى * لمن هو فى الاولى الى حبيب

(وله فى المعنى)
تلاهيت عنها فى الغرام بغيرها * وقلت لقلبى هذه هى زينب
وقبلت فاها مبردا لصبابتى * فاضرمت نارا فى الحشا تتلهب
فكنت كمن أضحى غريقا بلجة * تمسك بالموج الذى يتقلب

(وقال أيضا)
سألت القلب هل ميل لليلى * وهل عند الفؤاد لها التفات
فقال الآن لا لكن تأنى * فقلت الحب فيه تقلبات * فان الحب يهجم بعد يأس
ويعتاد المحب تغيرات * فلا تظهر لها يوما سلوا * فتفضحك التصابى الواردات
وترمى بالصدود وبالتجنى * وتخلك الوعود الكاذبات
فكن جلدا ولا تك ذا لجاج * فما يغنيك ان فات الفوات

(وقال البيطار)
يقولون هذى أم عمرو قريبة * دنت بك أرض نحوها وسماء
ألا انما قرب الحبيب وبعده * اذا هو لم يوصل اليه سواء

(وقال غيره)
وقالوا ابع حبيبك وابغ عنه * حبيبا آخر تحيا سعيدا
اذا كان القديم هو المصافى * وخان فكيف أأتمن الجديدا

(وقال آخر)
لم أنس ان قلت من وجدى لها غلطا * ووجهها مشرق فى حندس الظلم
سلوت عنك فقالت وهى ضاحكة * لتقرعن على السن من ندم

(وقال آخر)
أمن المروأة أن أبيت مسهدا * قلقا أبل ملابسى بدموعى
وتبيت ريان الجفون من الكرى * وأبيت منك بليلة الملسوع

(وقال آخر)
الى الله أشكو جور أهيف شادن * وقعت فمالى من يديه خلاص
جرحت بعينى خده وهو جارح * بعينيه قلبى والجروح قصاص

(وقال آخر)
قد كنت أسمع بالهوى فاكذب * وأرى المحب وما يقول فاعجب
حتى رميت بحلوه وبمره * من كان يتهم الهوى فيجرب

(وقال آخر)
سألتها التقبيل من خدها * عشرا وما زاد يكون احتساب
فمذ تلاقينا وقبلتها * غلطت فى العد وضاع الحساب

(وقال آخر)
يامن سقامى من سقام جفونه * وسواد حظى من سواد عيونه
قد كنت لا أرضى الوصال وفوقه * واليوم أقنع بالخيال ودونه

أول يوم وهبتهم أرواحهم وما حدثتنى نفسى بقتلهم ولا سلبهم لكن أنت تجهزنى الى حضرة الامير فقد ذكرتك وقدمت له شيأ من المستظرفات التى قدمتها الى فأعجبته ورسم بحضورك فخفت على نفسى وعلى أهل الدرب وقلت هذا يخرجنى الى خارج بغداد ويقتلنى وينهب الدرب فظهر على الخوف وقلت ياخوند هلاكو ملك كبير وأنا رجل حقير مغن أخشى منه ومن هيبته فقال لاتخف مايصيبك الا الخير فانه رجل يحب أهل الفضائل فقلت فى ضمانك أنه يصيبنى مكروه قال نعم فقلت لاهل الدرب ما عندكم من النفائس فائتونى بكل ماتقدرون عليه فاخذت معى من المغنيات الجليلة ومن النقد الكثير من الذهب والفضة وهيأت مأكل كثيرة طيبة وشرابا كثيرا عتيقا فائقا وأوانى فاخرة كلها من الفضة المنقوشة بالذهب وأخذت معى ثلاث جوار مغنيات من أجل من كان عندى وأنفسهن للضرب ولبست بدلة من القماش الخليفى وركبت بغلة جليلة كنت أركبها اذا رحت الى الخليفة فلما رآنى نانونوين بهذه الحالة قال لى أنت وزير قلت لا أنا مغنى الخليفة ونديمه لكن لما خفت منك لبست القماش الوسخ ولما صرت من رعيتك أظهرت نعمتى وأمنت وهذا الملك هلاكو ملك عظيم وهو أعظم من الخليفة فما ينبغى أن أدخل عليه الا بالحشمة والوقار فاعجبه منى هذا وخرجت معه الى مخيم هلاكو فدخل عليه وأدخلنى معه وقال لهلاكو هذا الرجل الذى ذكرته لك وأشار الى فلما وقعت عين هلاكو على قبلت الأرض وجلست على ركبتى كما هو من عادة التتار فقال نانونوين هذا كان مغنى الخليفة وقد فعل معى كذا

(وقال آخر) صبحته عند المساء فقال لى * تهزى بقدرى أو تريد مزاحا
فاجبته اشراق وجهك غرنى * حتى توهمت المساء صباحا

(أبو عبد الله الغواص)

من عذيرى من عذول فى رشا * قام القلب هواه فقمر
قمر لم يبق منى حسنه * وهواه غير مقلوب قمر

(وقال آخر) جاذبتها والريح تجذب برقعا * من فوق خد مثل قلب العقرب
وطفقت ألثم ثغرها فتحجبت * وتسترت عنى بقلب العقرب

(وقال آخر) لومت من كثرة الاشواق وانبدلت * مدامعى بدم من كثرة السهر
ما اخترت عنك سلوا الا ولا نظرت * عينى لغير محيا وجهك القمر

(ابراهيم بن العباس)

عمر الصبا صفحا بساكن ذى الغضى * ويسرع قلبى اذ يهب هبوبها
قريبة عهد بالحبيب وانما * هوى كل نفس أين حل حبيبها

(وقال النوفلى) اذا اختلجت عينى رأت من تحبه * فدام لعينى ما حييت اختلاجها
وما ذقت كأسا لذ علقت بحبها * فاشربه الا ودمعى مزاجها

(وقال آخر رحمه الله تعالى)

ياذا الذى زار وما زارا * كأنه مقتبس نارا قام بباب الدار من تيهه * ما ضره لو دخل الدارا

(وقال آخر) ولقد جعلتك فى الفؤاد محدثى * وأبحت منى ظاهرى لجليسى
فالكل منى للجليس مؤانس * وحبيب قلبى فى الفؤاد أنيسى

(ابن نباتة) أناشده الرحمن فى جمع شملنا * فيقسم هذا لا يكون الى الحشر
اذا ما غدا مثل الحديد فؤاده * فوالعصران العاشقين لفى خسر

(أمين الدين بن أبى الوفاء)

يا نازلا منى فؤادا راحلا * ومن العجائب نازلا فى راحل
أضرمت قلب متيم أهلكته * وسكنته والنار مثوى القاتل

(وقال آخر) يا عاذلى فى هواه * اذا بدا كيف أسلو يمر بى كل وقت * وكلما مر يحلو

(الحاجبى) ملأت فؤادى من محبة فاتن * أميل اليه وهو كالظبى رائغ
وقلت لقلبى قم لتعشق شادنا * سواه فقال القلب ما أنا فارغ

(وقال ديك الجن) ولى كبد حرى ونفس كأنها * بكف عدو ما يريد سراحها
كأن على قلبى قطاة تذكرت * على ظمأ وردا فهزت جناحها

(وقال عبد الله بن طاهر)

أقام ببلدة ورحلت عنه * كلانا بعد صاحبه غريب
أقل الناس فى الدنيا سرورا * محب قد نأى عنه الحبيب

(وقال آخر) ما اخترت تركى وداعكم يوم النوى * والله لا مللا ولا لتجنب
لكن خشيت بان أموت صبابة * فيقال أنت قتلته فتعاقبى

(وقال ابن المعتز)

هب لعينى رقادها * وانف عنها سهادها * وارحم المقلة التى
كنت فيها سوادها * كن صلاحا لها كما * كنت دهرا فسادها

(وقال آخر) وقالوا دع مراقبة الثريا * ونم فالليل مسود الجناح
فقلت وهل أفاق القلب حتى * أفرق بين ليلى والصباح

(وقال آخر) ولى فؤاد اذا طال النزاع به * طار اشتياقا الى لقيا معذبه

وكذا وقد أتاك بهدية فقال قد قبلتها فقبلت الأرض مرة ثانية ودعوت له وقدمت له ولخواصه الهدايا التى كانت معى فكلما قدمت شيأ منها يفرقه ثم فعل بالمأكول كذلك ثم قال لى أنت مغنى الخليفة فقلت نعم فقال أى شئ أجود ما تعرف قلت أحسن أن أغنى غناء اذا سمعه الانسان ينام فقال غن لى الساعة حتى أنام فندمت وقلت ان غنيت له ولم ينم قال هذا كذاب وربما قتلنى ولا بد من الخلاص منها بحيلة فقلت يا خوند الطرب بأوتار العود لا يطيب الا بشرب الخمر ولا بأس بأن يشرب الامير قدحين أو ثلاثة حتى يقع الطرب فى موقعه فقال أنا ما لى فى الخمر رغبة لانه يشغلنى عن مصالح ملكى ولقد أعجبنى من نبيكم تحريمه ثم شرب ثلاثة أقداح كبار فلما احمر وجهه أخذت عودا وغنيته وكان معى مغنية اسمها ضياء لم يكن فى بغداد أحسن منها صورة ولا أطيب منها صوتا فأصلحت انغام العود وضربت ضربا جالبة للنوم مع زمر رخيم الصوت وغنيت فلم أتم النوبة حتى رأيته قد نعس فقطعت الغناء بغتة وقويت ضرب الاوتار فانتبه فقبلت الارض وقلت نام الملك فقال صدقت غنت غن على فقلت أتمنى على الملك أن يطلق لى على السمكية قال وأى شئ هى السمكية قلت بستان للخليفة فتبسم وقال لاصحابه هذا مسكين مغن قصير الهمة وقال للترجمان قل له لم لا تمنيت قلعة أو مدينة أى شئ هذا البستان فقبلت الارض وقلت يا ملك العالم هذا البستان يكفينى وأنا ما يجىء منى صاحب قلعة ولا صاحب مدينة فرسم لى بالبستان وبجميع ما كان لى من الراتب فى أيام الخليفة وزادنى علوفة تشتمل على خبز ولحم وعليق دواب تساوى دينارين وكتب بذلك فرمانا

يفديك بالنفس صب لو يكون له * أعز من نفسه شئ فداك به

(وقال آخر) وما هجرتك النفس يا مى انها * قلتك ولا أن قل منك نصيبها
ولكنهم يا أحسن الناس أولعوا * بقول اذا ما جئت هذا حبيبها

(وقال المحاربى) اذا أنت لم توقن بما صنع الهوى * بأهل الهوى فاقعد حبيبا وجرب
ترى حرقات يلدغ القلب حرها * بأنضج من كى الغضى المتلهب

(وقال الاقرع بن معاذ)

أقول لمفت ذات يوم لقيتها * بمكة والانضاء ملقى رحالها * بحقك أخبرنى أما تأثم التى
أضر بجسمى منذ هم خيالها * فقالت بلى والله أو سيصيبها * من الله بلوى فى الزمان تنالها
فقلت ولم أملك سوابق عبرة * سريع على جيب القميص انهمالها
عفا الله عنها كل ذنب ولقيت * مناها وان كانت قليلا نوالها

(وقال آخر) بالله ربك ان عوجا على سكنى * وعاتباه لعل العتب يعطفه
وعرضابى وقولا فى حديثكما * ما ضر لو بوصال منك تسعفه * فان تبسم قولا عن ملاطفة
ما بال عبدك بالهجران تتلفه * وان بدالكما من سيدى غضب * فغالطاه وقولا ليس نعرفه

(وقال عبد الله بن أبى الشيص)

ومعرضة تظن الهجر فرضا * تخال لحاظها الضعف مرضى
كانى قد قتلت لها قتيلا * فما ترضى بغير الهجر ترضى

(وقال الحسين بن الضحاك)

بعضى بنار الهجر مات حريقا * والبعض أضحى بالدموع غريقا
لم يشك عشقا عاشق فسمعته * الا ظننت لذاك المعشوقا

(وقال آخر) وأجيل فكرى فى هوا * ك بلا لسان ناطق * أدعو عليك بحرقة * من غير قلب صادق

(وقال آخر) يا ويح من خبل الاحبة قلبه * حتى اذا ظفروا به قتلوه
عزوا ومال به الهوى فاذله * ان العزيز على الذليل يتيه
أنظر الى جسد أضر به الهوى * لولا تقلب طرفه دفنوه
من كان خلوا من تباريح الهوى * فانا الهوى وحليفه وأخوه

(وقال أحمد بن طاهر) تقول العاذلات تسل عنها * وداو غليل صدرك بالسلو
فكيف ونظرة منها اختلاسا * ألذ من الشماتة بالعدو

(وقال اسحق مولى المهلب)

هبينى يا معذبتى أسأت * وبالهجران قبلكم بدأت * فاين الفضل منك فدتك نفسى * على اذا أسأت كما أسأت

(وقال أبو العتاهية) يقول أناس لو نعت لنا الهوى * ووالله ما أدرى لهم كيف أنعت
سقام على جسمى كثير موسع * ونوم على عينى قليل مفوت
اذا اشتد ما بى كان أفضل حيلتى * له وضع كفى فوق خدى وأسكت

(وقال بشار) يا قرة العين انى لا أسميك * أكنى بأخرى أسميها وأعنيك
أخشى عليك من الجارات حاسدة * أو سهم غيران يرمينى ويرميك
لولا الرقيبان اذ ودعت غادية * قبلت فاك وقلت النفس تفديك
يا أطيب الناس ريقا غير مختبر * الا شهادة أطراف المساويك
قد زرتنا مرة فى الدهر واحدة * بالله لا تجعليها بيضة الديك

(وقال آخر) ألم تعلمى يا أحسن الناس اننى * أحبك حبا مستكنا وباديا
أحبك ما لو كان بين قبائل * من الناس أعداء لجروا التصافيا

(وقال آخر) أقول لشادن فى الحسن أضحى * يصيد بطرفه قلب الكمى

تكمل العلائم وخرجت من بين يديه وأخذلى نانو نوين أميرا بخمسين فارسا ومعهم علم أسود وهو كان علم هلا كو الخاص به برسم حماية دارى فجلس الامير على باب الدرب ونصب العلم الاسود على أعلى باب الدرب فبقى الامر كذلك الى أن رحل هلا كو عن بغداد وقال الاربلى فقلت له كم نابك من المغارم فى الشانية قال أكثر من ستين ألف دينار وذهب أكثرها من كان انزوى الى دربى من ذوى اليسار والباقى من نعم موفرة كانت عندى من صدقات الخليفة فسألته عن المرتب والبستان فقال البستان أخذ منى أولاد الخليفة وقالوا هذا ارث من أبينا والعلوفة قطعها عنى الصاحب شمس الدين الجوينى وعوضنى عنها وعن البستان فى السنة مائة ألف درهم (وقال) كان بمدينة السلام مغن يعرف بالغيور وكان عنده من الجوارى عدد كثير ذوات حسن وكان خبره فاشيا يقصده المتصون وغيره فبلغ رجلا من الكتاب المشهورين خبره فتشوقت نفسه الى قصده ثم تجنبته لما شهر به فحمل نفسه على ان جعل بينه وبين الرجل حالا بان دعاه وبره ووصله وكان قصد الناس منزله آثر عندهم من دعاه من يدعونه من جواريه لما يجتمع لهم فيه قال الكاتب فكان يسألنى المصير اليه وأقشعر لشناعة لقبه الى ان لقينى بالقرب من منزله فحلف على أن لا أفارقه فكان ذلك صادف منى موافقة فمضيت معه فرأيت أحسن منزل وآلة فلما استقر بنا الجلوس قال لغلمانى اذا كان فى غد بكروا بالجيئة بالدواب فاستوحشت وقلت بلى يقيم بعضهم عندى ويعود الباقون ليلا لانصرافى الى منزلى فأبى وحلف فاتبعت ما أراد فأحضر أحسن

ملكت الحسن أجمع فى نصاب * فأدّ زكاة منظرك البهى * وذلك بأن تجود لمستهام
برشف من مقبلك الشهى * فقال أبو حنيفة لى امام * يرى أن لا زكاة على الصبى

(وقال آخر) سقى الله ربعا كنت أخلو بوجهكم * وثغر الهنا فى روضة الحسن ضاحك
أقمنا زمانا والعيون قريرة * وأصبحت يوما والجفون سوافك

(وقال آخر) ألم تعلمى يا عذبة الماء أننى * أظل اذا لم اسق ماءك صاديا
وما زلت بى يا بين حتى لواننى * من الوجد استبكى الحمام بكى ليا

(أبو العباس الشهير بالنفيس)

يا راحلا وجميل الصبر يتبعه * هل من سبيل الى لقياك يتفق
ما أنصفتك جفونى وهى دامية * ولا وفى لك قلبى وهو يحترق

(الوزير ظهير الدين الملقب بأبى شجاع)

لأعذبن العين غير مفكر * فيها بكت بالدمع أو فاضت دما * ولأهجرن من الرقاد لذيذه
حتى يعود على الجفون محرما * هى أوقعتنى فى حبائل فتنة * لولم تكن نظرت لكنت مسلما
سفكت دمى فلأسفحن دموعها * وهى التى بدأت فكانت أظلما

(وقال العتبى) أضحت بخدى للدموع رسوم * أسفا عليك وفى الفؤاد كلوم
والصبر يحمد فى المواطن كلها * الا عليك فانه مذموم

(الرفا الأندلسى) ومهفهف كالغصن الا أنه * تتحير الألباب عند لقائه
أضحى ينام وقد تكلل خده * عرقا فقلت الورد رش بمائه

(وقال آخر) اخضر واصفر لاعتلال * فصار كالنرجس المضعف * كأن نسرين وجنتيه
بشعر أصداغه مغلف * يرشح منه الجبين ماء * كأنه لؤلؤ منصف

(وقال آخر) مازال ينهل من صرف الطلا قرى * حتى غدت وجنتاه البيض كالشفق
وقام يخطر والارداف تقعده * طورا وحاول أن يسعى فلم يطق * فعائل فعلت فعل الشمول به
فعل النسيم بغصن البانة الورق * جاذبته لعناقى فانثنى خجلا * وكللت وجنتاه الجمر بالعرق
وقال لى بفتور من لواحظه * ان العناق حرام قلت فى عنقى

(وقال آخر) ياركان هذا البيت انى لطائف * وفى الكون أسرار وفيه لطائف

رعى الله أياما وناسا عهدتهم * جيادا ولكن الليالى صيارف * وبى ذهبى اللون صيغ لمحنتى
يريد امتحاناتى وما أنا زائف * يذيب فؤادا وهو لا غش عنده * فيا ذهبى اللون انك حائف

(وقال آخر) أسنى ليالى الدهر عندى ليلة * لم أخل فيها الكأس من إعمالى
فرقت فيها بين جفنى والكرى * وجمعت بين القرط والخلخال

(ومما قيل فى الرقباء) لو أن لى فى الحب أمرا نافذا * وملكت بسط الامر فى التعذيب
لقطعت ألسنة العواذل كلها * ولكنت أقلع عين كل رقيب

(وقال اعرابى) * بسهم الحب كلم فى فؤادى * ولا كالكلم من عين الرقيب
تمكن ناظراه به وأضحى * مكان الكاتبين من الذنوب * ومن حذر الرقيب اذا التقينا
نسلم كالغريب على الغريب * ولولاه تشاكينا جميعا * كما يشكو المحب الى الحبيب

(وقال آخر) من عاش فى الدنيا بغير حبيب * فحياته فيها حياة غريب
عين الرقيب غرقت فى بحر العمى * لا أنت لا بل عين كل رقيب

(وقال أحمد بن أبى سلمة) يعذلنى فيه جميع الورى * كأننى جئت بأمر عجيب
أظن نفسى لو تعشقتها * بليت فيها بملام الرقيب
وأنا الغريب فلا ألام على البكا * ان البكا حسن بكل غريب

(وقال آخر) وما فارقت سعدى عن قلاها * ولكن شقوة بلغت مداها

طعام وألطفه وأكلنا وأتى بأنواع الاشربة والفواكه وال ياحسن وأخذنا فى أمرنا وخرجت وجوه كالشموس وكنت عند دخولى الى الدار قد رأيت على بعض الابواب طبلا معلقا فظننته لبعض الجوارى فلم أسأل عنه فلما صرنا على حالنا وأخذ النبيذ منا أحضر عودا فجعله بين يديه فاوحشنى جدا وقلت رجل غيور كما لقب وجوار حسان ونبيذ شديد ولست آمن أن أعبث بهن فيضربنى بالعمود قال أخبرك يا أخى انى رجل غيور كما قد بلغك ويحضر منزلى قوم معهم سوء أدب فاهوى الا أن تغنى الجارية حتى أرى الواحد منهم قد لاحظها وضحك فى وجهها وضحكت فى وجهه فأقول أقوم بهذا العمود فأعطيه ضربة له وضربة لها فاقتلهما وأستريح الا انى على ماترى رجل معى تأن شديد فأقول شرب الرجل فسر وضحك ولعله بعد يعرفها وتعرفه فضحكت اليه وضحك اليها قال فلما ذكر هذا الحديث طابت نفسى وأصغيت الى حديثه فقلت ثم ماذا قال ثم ان الامر يزيد حتى أراه قد دنا فسارها وسارته فتقوم على القيامة وأقول ضحك اليها وضحكت اليه للمعرفة فما وضع السر ثم أهم بالعمود والتأنى الذى فى يقول لعله طالبها بصوت تغنيه فأمسك فلا يطول الامر بينهما حتى أراه قد أدخل يده فى ثوبها فقرصها وعبث بثديها فتداخلنى الغيرة وأقول ما بعد هذا شئ وأهم بضربهما بالعمود لكن على ماترى عندى تأن فأقول بعد لم يبلغ الامر بهما الى القتل وهى أوائل وسيكون لها أواخر فان أتى بما يوجب القتل قتلتهما فاسترحت فامسك فيطول الامر حتى أرى الواحدة قد قامت وقام الرجل فى أثرها فيدخلان ذلك البيت وبابه وثيق جدا فاسعى

بكيت نعم بكيت وكل الف * اذا بانت حبيبته بكاها

(وقال آخر) وقائلة ما بال دمعك أبيض * فقلت لها يا عاذلي هذا الذي بقى
ألم تعلمي أن البكا طال عمره * فشابت دموعي عند ماشاب مفرق
وعما قليل لادموع ولادما * ولم يبق الا لوعتي وتحرق

(وقال آخر) ولم أر مثلي غار من طول ليله * عليه لان الليل يعشقه معي
ومازلت أبكي في دجا الليل صبوة * من الوجد حتى ابيض من فيض أدمعي

(وقال آخر) رجوت طيف خيال * وكيف لي بهجوع
والذاريات جفوني * والمرسلات دموعي

(وقال آخر) يانازح الطيف من نومي يعاودني * فقد بكيت لفرط النازحين دما
أوجبت غسلا على عيني بأدمعها * فكيف وهي التي لم تبلغ الحلما

(وقال آخر) ارحم رحمت للوعتي * وابعث خيالك في الكرى
ودموع عيني لاتسل * عن حالها ياما جرى

(وقال آخر) أملت أن تتعطفوا بوصالكم * فرأيت من هجرانكم مالا أرى
وعلمت أن فراقكم لابد أن * يجري به دمعي دما وكذا جرى

(وقال آخر) ان عيني مذ غاب شخصك عنها * يأمر السهد في كراها وينهي
بدموع كأنهن الغوادي * لاتسل ماجرى على الخد منها

(وقال آخر) يقولون لي والدمع قرح مقلتي * بنار أسى من حبة القلب تقدح
أدمعك جمر قلت لاتعجبوا * فكل وعاء بالذي فيه ينضح

(وقال البدر الذهبي) قالوا تباكى بالدموع ومابكى * بدم على عيش تصرم وانقضى
فأجبتهم هو من دمي لكنه * لما تصاعد صار يقطر أبيضا

(قال ابن مطروح في الغيرة)

ولو أمسى على تلفي مصرا * لقلت معذبي بالله زدني
ولاتسمح بوصالك لي فاني * أغار عليك منك فكيف مني

(وقال آخر) أغار عليك من نظري ومني * ومنك ومن مكانك والزمان
ولواني خبأتك في جفوني * الى يوم القيامة ما كفاني

(المظفر بن عمر الآمدي)

قل للذين جفوني اذ لهجت بهم * دون الانام وخير القول أصدقه
أحببتكم وهلاكي في محبتكم * كعابد النار يهواها وتحرقه

(وقال غيره) لم أنس أيام الصبا والهوى * لله أيام النجا والنجاح
ذاك زمان مر حلو الجنى * ظفرت فيه بحبيب وراح

(الشريف الرضي) علالي بذكرهم واسقياني * وامزجا لي دمعي بكاس دهاق
وخذا النوم من جفوني فاني * قد خلعت الكرى على العشاق

(وقال آخر) قالوا أترقد مذ غبنا فقلت لهم * نعم وأشفق من دمعي على بصري
ماحق طرف هداني نحو حسنكم * أني أعذبه بالدمع والسهر

(عز الدين الموصلي) فسدت لطول بعادكم أحلامنا * وعقولنا وجفا الجفون منام
والطيف قد وعد الجفون بزورة * ياحبذا ان صحت الاحلام

(ومما قيل في السهر وطول الليل ونحو ذلك) قال الشاعر

ورب ليل سهرناه وقد طلعت * بقية البدر في أولى تباشيره
كأنما أدهم الظلماء حين نجا * من أشهب الصبح ألقى نعل حافره

(وقال

يخلقهما بهذا العمود لاقتلهما البتة فيسبقاني فيغلقان الباب وأبقى أنا خارجه وأنا غيور كما قد علمت فأقول متى علمت حركتهما مت أو قتلت نفسي فلا يكون والله ياأخي لي اعتصام الا بذلك الطبل المعلق فأتناوله وأضعه في عنقي فلا أزال أضرب أبدا حتى يخرجا قال فما قمت والله وأنا أرى أوفى منه قولا وفعلا (قال صلاح الدين الصفدي في الجزء الخامس والثلاثين من التذكرة ومن خطه نقلت) حجت جميلة الموصلية بنت ناصر الدولة أبي محمد ابن حمدان أخت أبي تغلب سنة ست وثمانين وثلثمائة فسقت أهل الموسم كلهم السويق بالطبرزد والثلج واستصحبت البقول المزروعة في المراكب وعلى الجمال وأعدت خمسمائة راحلة للمنقطعين ونثرت على الكعبة عشرة آلاف دينار ولم تستصبح عندها وفيها الا بشموع العنبر وأعتقت ثلثمائة عبد ومائتي جارية وأغنت الفقراء والمجاورين * وحج عبد الله ابن جعفر ومعه ثلاثون راحلة وهو يمشي على رجليه حتى وقف بعرفات فأعتق ثلاثين مملوكا وحملهم على ثلاثين راحلة وأمر لهم بثلاثين ألفا وقال أعتقهم لله تعالى لعل الله أن يعتقني من النار (وكان) حكيم بن حزام رضي الله عنه يقيم عشية عرفة مائة بدنة ومائة رقبة فيعتق الرقاب عشية عرفة وينحر البدن يوم النحر وكان يطوف بالبيت ويقول لا اله الا الله وحده لاشريك له نعم الرب ونعم الاله أحبه وأخشاه (عمر بن زر الهمداني) لما قضى مناسكه أسند ظهره الى الكعبة الشريفة ثم قال مودعا للبيت مازلنا نحل لك عروة ونشد أخرى ونصعد أكمة ونهبط واديا وتخفضنا أرض وترفعنا أخرى حتى أتيناك غير محجوبين فليت شعري بم يكون منصرفنا أبذنب

(وقال آخر) ليل المحبين مطوى جوانبه * مشمر الذيل منسوب الى القصر
ماذاك الالأن الصبح نم بنا * فاطلع الشمس من غيظ على القمر

(وقال غيره) فلم أر مثل ليل ذوى التصابى * وكل يشتكيه بكل حال
فيشكو طوله أهل التجافى * ويشكو قصره أهل الوصال

(وقال آخر) ليلى وليلى سواء فى اختلافهما * قد صيرانى جميعا فى الهوى مثلا
يجود بالطول ليلى كلما بخلت * بالطول ليلى وان جادت به بخلا

(وقال آخر) ان الليالى للأنام مناهل * تطوى وتنشر بينها الاعمار
فقصارهن مع الهموم طويلة * وطوالهن مع السرور قصار

(وقال غيره) رب ليل لم أذق فيه الكرا * حظ عينى فيه دمع وسهر
كلما هيج ليلى حرقى * صحت ياليلى أما فيك سحر

(وقال آخر) ياليل طل أولا تطل * لابد لى أن أسهرك * لو بات عندى قمرى * ما بت أرعى قمرك

(وقال بشار بن برد) خليلى ما بال الدجى لا يزحزح * وما بال ضوء الصبح لا يتوضح
أضل الصباح المستنير طريقه * أم الدهر ليل كله ليس يبرح

(وقال آخر) كأن الثريا راحة تشبر الدجى * لتعلم طال الليل أم قد تعرضا
فليل تراه بين شرق ومغرب * يقاس بشبر كيف يرجى له انقضا

(وقال ابن منقذ) لما رأيت النجم ساه طرفه * والقطب قد ألقى عليه سباتا
وبنات نعش فى الحداد سوافر * أيقنت أن صباحهم قد ماتا

(وقال آخر فى ليلة مطرة) أقول والليل فى امتداد * وأدمع الغيث فى انسفاح
أظن ليلى بغير شك * قد بات يبكى على الصباح

(ومما جاء فى الاشعار الخمرية قول صفى الدين الحلى)

بدت لنا الراح فى تاج من الحبب * فخرقت حلة الظلماء باللهب * بكر اذا زوجت بالماء أولدها
أطفال در على مهد من الذهب * بقية من بقايا قوم نوح اذا * لاحت جلت ظلم الاحزان والكرب
بعيدة العهد بالعصار لو نطقت * لحدثتنا عن سالف الحقب * يا كرّتها برفاق قد ذهبت بهم
قبل السلاف سلاف العلم والادب * بكل متشح بالفضل مؤتزر * كان فى لفظه ضربا من الضرب
بل رب ليل غدا فى الاهاب غدت * تنقض فيه كؤس الراح كالشهب * بذلت عقلى صداقا حين بت به
أزوّج ابن سحاب بابنة العنب * بتنا بكاسات اصرعى ومطربنا * يعيد أرواحنا من شدة الطرب
بعث ألم فلم نعلم لفرحتنا * من نفخة الصور أم من نفخة القصب
بروضة ظل فيها الطل أدمعه * والزهر مبتسم عن ثغره الشنب

(وقال أيضا) تاب الزمان من الذنوب فوات * واغنم لذيذ العيش قبل فوات
تم السرور فقم بنا ياصاحبى * نستدرك الماضى بنهب الآتى * توج بكاسات الطلا هام الربا
فى روضة مطلولة الزهرات * تغدو سلاف القطر دائرة بها * والكاس دائرة بكف سقاة
تلف النضار على العقار غنيمتى * وفراغ راحاتى على الراحات * تركى لا كياس النضار جهالة
من ذا أحق بها من الكاسات * تبت يدا من تاب عن رشف الطلا * والكاس متقد كخد فتاة
تابع الى أوقاتها داعى الصبا * وأعجب لما فيها من الآيات
تم بها نقص السرور فانها * عند الكرام تتمة اللذات

(وقال أيضا) حى الرفاق وطف بكاس الراح * واطرز بكاسك حلة الافراح
حث الكؤس على جسوم أصبحت * فيها المدام شريكة الارواح * حاش الانام وعاطنى مشمولة
ضمنت فسادى وهى عين صلاحى * حمراء لو ترك السقاة مزاجها * أغنى تلألؤها عن المصباح
حبب تظل به الكؤس كأنها * خصر الفتاة ممنطق بوشاح * حجب الحباب شعاعها فكأنه

مغفور فأعظم بها من نعمة أو بعمل مردود فأعظم بها من مصيبة فيا من اليه خرجنا واليه قصدنا وبحرمه أنخنا ارحم املاق الوفد لغناك فقد أتيناك بعيس ضامرة وجلودها ذابلة أسنمتها نقبة أخفافها وان أعظم الرزية أن نرجع وقد اكتنفتنا الغيبة اللهم وان للزائرين حقا فاجعل حقنا غفران ذنوبنا فانك جواد ماجد لا ينقصك نائل ولا يحفيك سائل (ونقلت) من خط الشيخ صلاح الدين الصفدى من الجزء الثامن والثلاثين من تذكرته ماصورته نقلت من خط شيخنا الشيخ الامام الحافظ علم الدين البرزالى رحمه الله تعالى ماصورته قرأت فى بعض الكتب الواردة من القاهرة المحروسة أنه لما كان بتاريخ يوم الخميس رابع جمادى الآخرة فى سنة اثنين وسبعمائة ظهرت دابة عجيبة من بحر النيل الى أرض المنوفية صفة لونها لون الجاموس بلا شعر وآذانها كآذان الجمال وعيناها وفرجها مثل الناقة يغطى فرجها ذنب طوله شبر ونصف طرفه كذنب السمكة ورقبتها مثل غلظ التيس المحشو تبنا وفمها وشفاهها مثل الكربال ولها أربعة أنياب اثنان من فوق واثنان من أسفل طولهن دون الشبر وعرض أصبعين وفى فمها ثمانية وأربعون ضرسا وسنا مثل بيادق الشطرنج وطول يدها من باطنها الى الأرض شبران ونصف ومن ركبتها الى حافرها مثل بطن الثعبان أصفر مجعد ودور حافرها مثل السكرجة بأربعة أظافير مثل أظافير الجمل وعرض ظاهرها مقدار ذراعين ونصف وطولها من فمها الى ذنبها خمسة عشر قدما وفى بطنها ثلاث كروش ولحمها أحمر وزفرته مثل السمك وطعمه كطعم الجمل وغلظ جلدها أربعة أصابع ما تعمل فيه

شفق تلهب تحت ذيل صباح * حكم الزمان وغض عنا طرفه * ياصاح لاتقنع بانك صاح

(وقال آخر) قرقفات اذ أضحى يعبس كلما * دارت عليه بالمدام الاكؤس
بالله ماأنصفتها ياسيدى * تأتيك باسمة وأنت تعبس

(عزالدين الموصلى) لئن شبه الساقى المدام بعسجد * فقد مال بالتشبيه عن صيغة الادب
ولكن رآها جوهرا سميت طلا * فيزما قد حلت الكاس بالذهب

(يزيد بن معاوية) وشمسة كرم برجها قعر دنها * وطلعتها الساقى ومغربها فى
مدام كتبر فى اناء كفضة * وساق كبدر مع ندامى كانجم

(وقال آخر) كان الندامى والسقاة ودننا * وكاساتنا فى الروض نملى وتشرب
شموس وأقمار وفلك وأنجم * ونور ونوار وشرق ومغرب

(وقال آخر) فكأنها وكأن حامل كاسها * اذا قام يجلوها على الندماء
شمس الضحى رقصت فنقط وجهها * بدر الدجى بكواكب الجوزاء

(وقال كشاجم) صدح الديك فى الدجى فاسقنيها * خمرة تترك الحليم سفيها
لست أدرى من رقة وصفاء * هى فى الكاس أم هو الكاس فيها

(كمال الدين بن النبيه)

قم ياغلام ودع مقالة من نصح * فالديك قد صدح الدجى لما صدح * خفيت تباشير الصباح فاسقنى
ماضل فى الظلماء من قدح القدح * صهباء ماامعت بكف مديرها * لمقطب الا تهلل وانشرح
تالله ما مزج المدام بمائها * لكنه مزج المسرة بالفرح * هى صفوة الكرم الكريم فاسرت
سراؤها فى باخل الاسمح * من كف فتان اللحاظ بوجهه * عذران خلع العذار أو افتضح

(وقال غيره) وليلة أوسعتنى * حسنا ولهوا وأنسا * مازلت ألثم بدرا * بها وأشهد شمسا

(عبد الله بن محمد العطار وقيل يزيد بن معاوية)

وكاس يرينا آية الصبح فى الدجى * فاولها شمس وآخرها بدر
مقطبة مالم يزرها مزاجها * فان جاءها جاء التبسم والبشر
فياعجبا للدهر لم يخل مهجة * من العشق حتى الماء يعشقه الخمر

(وقال ابن تميم) وليلة بت أسقى من غياهبها * راحا تسل شبابى من يد الهرم
مازلت أشربها حتى نظرت الى * غزالة الصبح ترعى نرجس الظلم

(ابن مكانس) نزل الطل بكرة * وسرورى تجددا * والندامى تجمعوا * فاجل كاسى على الندى

(الشيخ شهاب الدين الحجازى)

كاسنا ياصاح صرفا * جليت بين الندامى * لم نجد ماء مازج * فقنعنا بالندامى

(صفى الدين الحلى) كيف لاتخضع العقول لديها * وهى سلطان سائر المسكرات
ألفوا فى الكؤس اذ مزجوها * بين ماء الحياة وماء الممات

غيره صبها فى الكاس صرفا * غابت ضوء السراج * ظنها فى الكاس نارا * فطفاها بالمزاج

(مجد الدين بن تميم)

نديمى لاتسقنى * سوى الصرف فهو الهنى * ودع كاسها أطلسا * ولا تسقنى مع دنى

(تقى الدين بن حجة) حبابها صار هافى كاسها * مشرقة باسمة كالثغر
وقال هذى تحفة فى عصرنا * قلت اسقنيها يا امام العصر

(أبو الطيب المتنبى) ياصاحبى امزجا كاس المدام لنا * كيما يضئ لنا من أفقها الغسق
خمرا اذا ماندبمى هم يشربها * أخشى عليه من اللألاء يحترق
لو راح يحلف أن الشمس ماغربت * فى فيه كذبه فى وجهه الشفق

(وقال آخر) بنت كرم يتموها أمها * وأهانوها بدوس بالقدم

السيوف وحمل جلدها على خمسة جمال فى مقدار ساعة من ثقله على جمل بعد جمل وأحضروه الى القاعة المعمورة بحضرة السلطان وحشوه تبنا وأقاموه بين يديه (ونقلت منه أيضا) كتب الى زين الدين الرحبى انه وجد بالقاهرة بالقرب من المشهد كلبة ميتة ولها جروان يرضعان مقدار عشرين يوما بعد موتها و يلعبان حولها واللبن يخرج من أبزازها من الجانب الأعلى وأما الجانب الأسفل فانه يبس وكان الناس يمرون بها ويتعجبون فسبحان من لايعجز شئ وهو على كل شئ قدير (وذكر الشيخ فى حوادث سنة ٧٢٦) قال قال شيخنا علم الدين رحمه الله تعالى نقلت من خط الصدر بدر الدين الفرازى قال فى السابع من ذى الحجة سنة (٧٢١) أخبرنى شخص أن كلبة ولدت بالقاهرة ثلاثة جراء وأنهم أحضرت بين يدى السلطان فلما رآها أعجب من أمرها وسأل المنجمين عن ذلك فاعترفوا أنهم ليس لهم علم بذلك (يحكى) أن المهدى خرج يتصيد فلقيه الحسين بن مطير الاسدى فانشده

أضحت يمينك من جود مصورة
لابل يمينك منها صورة الجود
من حسن وجهك تضحى الارض مشرقة
ومن بنانك يجرى الماء فى العود

فقال المهدى كذبت يافاسق وهل تركت فى شعرك موضعا لاحد مع قولك فى معن بن زائدة أما معن ثم قولا لقبره

سقتك الغوادى مربعا ثم مربعا
فيا قبر معن كنت أول حفرة
من الارض خطت للمكارم مضجعا
و ياقبر معن كيف واريت جوده
وقد كان منه البر والبحر مترعا

ثم داروا احكموها فيهم * ويلهم من جور مظلوم حكم

(وقال آخر) عناقيد على قضب تدلت * حكى منظومها عقد اللآلى
اذا عصرت بدا فى الكأس منها * دوالى قد تربت فى دوالى

(برهان الدين بن المعمار) يا كرلكرم العنب المجتنى * واستجنه من عند عنابه
واعصره واستخرج لنا ماءه * لكى تزيل الهم عنا به

(جولان العاذلى) اذا ما الخمر فى الكاسات صبت * رأيت لها شموسا فى بروج
وان جليت على الندمان يوما * ترى احت الهموم على الخروج

(وقال فى الشراب المطبوخ)
يا من يعذب ماء الكرم يحرقه * بالنار فى أى شئ تظلم العنبا
ان التى طبختها الشمس أنفع لى * ولست أخمر لا قدرا ولا حطبا

(وقال أيضا) وعتيقة رقت وراق مزاجها * لطفا وأنحلها الزمان الغابر
لم يبق منها غير نور ساطع * لا يستطيع يجول فيه الناظر
ترنو اليك من الحباب باعين * خلقت ولم تخلق لهن محاجر

(وقال غيره) لا تعصرن زبيبا واعتصر عنبا * فبين هذين فرقنا بتصريح
هذا من الحى للاحياء معتصر * وذاك يعصر من جسم بلا روح

(وقال غيره) عابوا على مداما * أخرتم الصبوحى واستنكروها وقالوا * تحللت قات روحى

(وقال آخر فى الشراب على الرعد والبرق)
أما ترى الرعد بكى فاشتكى * والبرق قد أومض فاستضحكا * فاشرب على غيم كصبغ الدجى
أضحك وجه الروض لما بكى * وانظر لماء النيل فى مده * كأنه صندل أو مصطكا

(وقال آخر) يا ليلة جمعت لنا الاحبابا * لو شئت دام لنا النعيم وطابا
بتنا بها نسقى سلافا قرقفا * يذر الصحيح بعقله مرتابا
من كف غانية كأن بنانها * من فضة قد قمعت عنابا

(وقال آخر) أما ترى الغيث كالباكى بادمعه * والارض تضحك والازهار فى فرح
قم فديتك نشكو ما نكابده * من الزمان وما نلقى الى القدح

(ابن نباتة) أما ترى الليل قد ولت غياهبه * وعارض الفجر بالاشراق قد طلعا
فاشرب على وردة وردية قدمت * كأنها خد ريم ريم فامتنعا

(ومن شعر عضد الدولة) طربت الى الصبوح مع الصباح * وشرب الراح والغرر الملاح
وكان الثلج كالكافور نثرا * وناري بين نارنجى وراحى * فشموى ومشروبى ونارى
وتلجى والصباح مع الصباح * لهيب فى لهيب فى لهيب * صباح فى صباح فى صباح

(ابن وكيع) وصفراء من ماء الكروم كأنها * فراق عدو أو لقاء صديق
كأن الحباب المستدير بطوقها * كواكب در فى سماء عقيق
صببت عليها الماء حتى تعوضت * قميص بهار من قميص شقيق

(وقال آخر) وحمراء قبل المزج صفراء بعده * أتت بين ثوبى نرجس وشقائق
حكت وجنة المعشوق صرفا فسلطوا * عليها مزاجا فاكتست لون عاشق

(وقال آخر) اذا الكروان صاح على الرمال * وحل البدر فى برج الكمال
وجعد وجه بركتنا هبوب * تمر به الجنوب مع الشمال * وحركت الغصون فشابهتها
قدود سقاتنا فى كل حال * فهات الكاس مترعة ودعنى * أبادر لذتى قبل ارتحالى
فكل جماعة لا شك يوما * يفرق بينهم صرف الليالى

(وقال آخر فى الشراب على الغيم)

ولكن حويت الجود والجود ميت
ولو كان حيا ضقت حتى تصدعا
وما كان الا الجود صورة وجهه
فعاش ربيعا ثم ولى فودعا
فلما مضى معن مضى الجود والندى
وأصبح عرنين المكارم أجدعا
فأطرق الحسين وقال يا أمير المؤمنين وهل معن الا حسنة من حسناتك فرضى عنه وأمر له بألفى دينار (قال سعيد بن مسلم) لما ولى المنصور معن بن زائدة أذربيجان قصده قوم من أهل الكوفة فلما صاروا ببابه استأذنوا عليه فدخل الآذن فقال أصلح الله الأمير وفد من أهل العراق قال من أى أهل العراق قال من الكوفة قال ائذن لهم فدخلوا عليه فنظر اليهم معن فى هيئة زرية فوثب على أريكته وأنشد يقول
اذا نوبة نابت صديقك فاغتنم
ترقيها فالدهر بالناس قلب
فأحسن ثوبيك الذى هو لابس
وأفره مهريك الذى هو راكب
وبادر بمعروف اذا كنت قادرا
زوال اقتدار فهو وعنك يعقب
قال فوثب اليه رجل من القوم فقال أصلح الله الأمير ألا أنشدك أحسن من هذا قال لمن قال لابن عمك هرمة قال هات فانشد يقول
وللنفس تارات تحل بها العرى
وتسخو عن المال النفوس الشحائح
اذا المرء لم ينفعك حيا فنفعه
أقل اذا ضمت عليك الصفائح
لأية حال يمنع المرء ماله
غدا فغدا والموت غاد ورائح
فقال معن أحسنت والله وان كان الشعر لغيرك يا غلام اعطهم أربعة آلاف يستعينون بها على أمورهم الى أن يتهيأ لنا فيهم ما نريد فقال الغلام أجعلها دنانير أم دراهم فقال معن والله لا تكون همتك أرفع من همتى (مدح) مطيع ابن اياس معن بن زائدة فقال له معن ان

أرى غيما تؤلفه جنوب * ويوشك أن يوافقنا بهطل
فوجه الرأى أن تدعو برطل * فتشربه وتدعو لى برطل

(وقال آخر) فيا بكر باكر بكرة بكر كرمة * تفز ببكور باكرتك بها بكر
وداو خمار الخمر بالخمر انما * دواء خمار الخمر من دائها الخمر

(الصنوبرى) لا تبكين على الأطلال والدمن * ولا على منزل أقوى من السكن
وقم بنا نصطبح صهباء صافية * تنفى الهموم ولا تبقى على الحزن * بكرا معتقة عذراء واضحة
تبدو فتخبرنا عن سالف الزمن * حمراء رقة صفراء فاقعة * كأنما مزجت من طرفك الوسنى
يسعى بها غنج فى خده ضرج * فى ثغره فلج ينمى الى اليمن * فى ريقه عسل قلبى به خبل
فى مشيه ميل أربى على الغصن * كأنه قمر ما مثله بشر * فى طرفه حور يرنو فيجرحنى
سبحان خالقه ياويح عاشقه * يهدى لرامقه صنفا من الشجن * فى روضة زهرت بالنبت قد حسنت
كأنها فرشت من وجهه الحسن * يا طيب مجلسنا والطير يطربنا * والعود يسعدنا مع منشد لسن

(كمال الدين بن النبيه)

طاب الصبوح لنا فهاك وهات * واشرب هنيأ يا أخا اللذات * كم ذا التوانى والزمان مساعد
والدهر سمح والحبيب مواتى * قم واغتبق من شمس كاسك واصطبح * بكواكب طلعت من الكاسات
حمراء صافية توقد نورها * فعجبت للنيران فى الجنات * ينسل فى قار الظروف حبابها
والدر يجتلب من الظلمات * عذراء واقعها المزاج أما ترى * منديل عذرتها بكف سقاة
يسعى بها عبل الروادف أهيف * خنث الشمائل شاطر الحركات * يهوى فتسبقه ذوائب شعره
ملتفة كأساود الحيات * لو قسمت أرزاقنا بيمينه * عدل الزمان على ذوى الحاجات

(وقال أيضا) باكر صبوحك أهنى العيش باكره * فقد ترنم فوق الأيك طائره
والليل تجرى الدرارى فى مجرته * كالروض تطفو على نهر أزاهره
وكوكب الصبح نجاب على يده * مخلق تملأ الدنيا بشائره * فانهض الى ذوب ياقوت لها حبب * تنوب عن ثغر من تهوى جواهره
حمراء من وجنة الساقى لها شبه * فهل جناها من العنقود عاصره * ساق تكون من صبح ومن غسق
فابيض خداه واسودت غدائره * بيض سوالفه لعس مراشفه * نعس نواظره خرس أساوره
مفلج الثغر معسول اللمى غنج * مؤنث الجفن فحل اللحظ شاطره * مهفهف القد يبدى جسمه ترفا
مخصر الخصر عبل الردف وافره * تعلمت بانة الوادى شمائله * وزودت سحر عينيه جآذره
كأنه بسواد اللحظ مكتحل * وركبت فوق صدغيه محاجره * فلو رأت مقلتا هاروت آيته الـ
ـكبرى لآمن بعد الكفر ساحره * خذ من زمانك ما أعطاك مغتنما * وأنت ناه لهذا الدهر آمره
فالعمر كالكاس تستحلى أوائله * لكنه ربما مرت أواخره
واجسر على فرص اللذات محتقرا * عظيم ذنبك ان الله غافره

(وقال آخر) شربنا بالبواطى ثم رحنا * نعلل بالكؤس وبالقنانى
ولولا ضيقة الاحرام قلنا * لساقيها أدرها بالدنان

(برهان الدين القيراطى) أرى جرار الخمر تغلو وقد * عزت وبالافلاس حالى عجيب
جئنا الخمار وقلنا له * احمل البناجرة كى نطيب * قال زبيبا تريدون أم
خمرا فان السكل منى قريب * قلنا له خمرا فنادى زنوا * فى جرة عشرين قلنا الزبيب

(وقال أيضا) صرف الزبيب اصرف همى * نص على نفعه طبيبى
آها على سكرة لعلى * أن أخلط الهم بالزبيب

(وقال) قالوا اترك الخمر واجتنبها * لا تتعد الحرام حدا
قلت أراها للروح قوتا * وطالب القوت ما تعدى

﴿وما قيل فى شرب الفقهاء﴾

شئت مدحتك وان شئت أثبتك فاستحى من اختيار الثواب وكره اختيار المدح فقال

تنساه من أمر غير كسب * لصاحب مغنم وأخى ثراء
ولكن الزمان برى عظامى * وما مثل الدراهم من دواء

فأمر له بألف دينار (ولما) قدم معن بن زائدة أتاه الناس فأتاه ابن أبى جفنة فاذا المجلس غاص بأهله فدق بعصاه الباب ثم قال

وما أحجم الاعداء عنك تقية * عليك ولكن لم يروا فيك مطمعا
له راحتان الجود والحتف فيهما * أبى الله الا أن يضر وينفعا

فقال معن تحكم يا أبا السمط فقال عشرة آلاف فقال معن ونزيدك ألفا (أتى) اعرابى الى معن بن زائدة ومعه نطع فيه صبى حسين ولد فاستأذن عليه فلما دخل جعل الصبى بين يديه وقال

سميت معنا بمعن ثم قلت له * هذا سمى فتى فى الناس محمود
أنت الجواد ومنك الجود نعرفه * ومثل جودك فينا غير معهود
أمست يمينك من جود مصورة * لا بل يمينك منها صورة الجود

قال كم الابيات قال ثلاثة قال أعطوه ثلثمائة دينار ولو كنت زدتنا لزدناك قال حسبك ما سمعت وحسبى ما أخذت (أخبرنا) الشيخ الجليل العدل الاصيل شهاب الدين أبو العباس أحمد بن ابراهيم ابن غانم بن وافد المهدى قال أخبرنا المشايخ الثلاثة الامام فخر الدين أبو الحسن على بن أحمد بن عبد الواحد البخارى وأبو العباس أحمد بن شيبان بن تغلب الشيبانى وأم حميد زينب بنت مكى بن على بن كامل الحرانى قال أخبرنا أبو حفص عمر بن عمر بن محمد بن أبى نصر الحميدى قال أنشدنى أبو غالب محمد ابن سهل النحوى الواسطى

يحمون بالفقه عرض الدين من سفه * علما بتصريف أحوال وتحقيق
و بعضهم يكرع الصهباء مغتنما * تحت الظلام بأفواه الاباريق

(فيمن يطيل الحديث والكاس فى يده)

وشادن نطقه جار اذا شفعت * فى مجلس الشرب كاسات بطاسات
يظل يحكى وكاس الراح فى يده * حكاية عرضها عرض السموات

(ومما قيل فى كريم السكر لئيم الصحو)

اذا هز اللئيم السكر يوما * بدا فى بذل مال فيه ضنا
يجود بماله فى الشرب سكرا * ويأكل كفه فى الصحو حزنا

(وقيل فى شجاع السكر) اذا شرب الجبان الخمر يوما * أعارته الشجاعة باللسان
وعند الصحو تلقاه جزوعا * اذا اشتد اللقا يوم الطعان

(وفيه أيضا) يقول جبان القوم فى حال سكره * وقد شرب الصهباء هل من مبارز
وأين الخيول الأعوجيات فى الوغى * أناقل فيها كل ليث مناهز * ومن لى بحرب ليس تخمد نارها
لعمرى انى لست فيها بعاجز * ففى السكر قيس وابن معدى وعامر * وفى الصحو تلقاه كبعض العجائز

(وقال فى شرب الثلاثة) ثلاثة فى مجلس طيب * وعيشهم ما فيه تكدير
هذا يغنى ذا وهذا الذى * يسقى وذا بالشرب مسرور

(وقيل فى شرب الاربعة) ألا انما خير المجالس مجلس * به وله صفو الزمان مساعد
فتاة وساق والمغنى وصاحب * وخامسهم هم على الكل زائد

(وقيل فى شرب الستة)

خير المجالس خمسة أوستة * أوسبعة وعلى الكثير ثمانيه * فاذا تعدى صار شغلا شاغلا
وتكسرت بين الرجال الآنيه * فاهرب اذا ما كنت تاسع مجلس * ولئن أتيت به فامك زانيه

(ومما قيل فى الشرب مع التجار)

شربت مع التجار وكان يوما * جعلت حضورنا فيه وداعا * فذاك يقول كم أطلقت بيعا
ووفيت الذى بعت الذراعا * وهذا قال عندى كل شئ * ولكن لا أبيع ولا أباعا
فلا تجعلهموا أبدا ندامى * فتكسب من مجالسهم صداعا

(فيمن أكل على الشراب) وندمان اذا ما الكاس دارت * بغير الا كل ارتعدت يداه
نديم دأبه فى الشرب أكل * فلا يبقى على شئ يراه

(وقيل فى قدح) غرامى ووجدى بالذى كان فى الثرى * مهانا فاضحى فى المجالس حاكما
قضى ما عليه من ورود جهنم * فصار لجنات النعيم ملازما

محمد بن جعفر الانصارى يستدعى بعض أصدقائه الى الشراب

بساط الارض مسك أو عبير * وزهر الروض وشى أو حرير * وقد صفى الدنان الدهر حتى
لقد عادت لدينا وهى نور * ومن يرد السرور يعش هنيأ * اذ العيش الهنى هو السرور
وعندى اليوم فتيان كرام * وجوههم شموس أو بدور * وقطب الامر أنت وهل لامر
بغير القطب فيه رحى تدور * فرأيك فى الحضور فحق يومى * عليك وقد دعاك له الحضور

(وقال آخر) باكر صبوحك واشرب هامشعشعة * واهنأ بعيش حميد غير مذموم
حمراء من بعد ما احمرت موردة * طافت علينا فسرت كل مهموم * كأن فى كاسها والماء يقرعها
أكارع النمل أونقش الخواتيم * لاصاحبتنى يد لم تفن ألف يد * ولم ترد القنا حمر الخياشيم
بادر بجودك بادرقبل عائقه * فان خلف الفتى عندى من اللوم

(سيف الدولة بن حمدان فى ساق)

وساق صبيح للصبوح دعوته * فقام وفى أجفانه سنة الغمض * يطوف بكاسات العقار كأنجم

المعروف بابن شيران بواسط قال أنشدنى الامير أبو الهيجاء محمد بن عمران بن شاهين قال أنشدنى على ابن زريق الكاتب البغدادى لنفسه هذه القصيدة الى آخرها وقد أنشدنيها جماعة بالمغرب وقال لى أبو محمد على بن أحمد بن سعيد وغيره يقال من تختم بالعقيق وقرأ لابى عمرو وحفظ قصيدة ابن زريق فقد استكمل الظرف وهى

لا تعذليه فان العذل يوجعه
قد قلت حقا ولكن ليس يسمعه
جاوزت فى لومه حدا أضربه
من حيث قدرت أن اللوم ينفعه
فاستعملى الرفق فى تأنيبه بدلا
من عنفه فهو مضنى القلب موجعه
قد كان مضطلعا بالبين يحمله
نضلعت بخطوب البين أضلعه
يكفيه من لوعة التفنيد ان له
من النوى كل يوم ما يروعه
ما آب من سفر الا وأزعجه
رأى الى سفر بالرغم يتبعه
كأنما هو فى حل ومرتحل
موكل بفضاء الأرض يذرعه
اذا الزماع أراه بالرحيل غنى
ولو الى السد أضحى وهو يزمعه
تأبى المطامع الا أن تجشمه
للرزق كدا وكم ممن يودعه
وما مجاهدة الانسان واصلة
رزقا ولادعة الانسان تقطعه
والله قسم بين الناس رزقهم
لم يخلق الله مخلوقا يضيعه
لكنهم ملؤا حرصا فلست ترى
مسترزقا وسوى الغايات تقنعه
والحرص فى المرء والأرزاق قد قسمت
بغى ألا ان بغى المرء يصرعه
والدهر يعطى الفتى ما ليس يطلبه
حقا ويطمعه من حيث يمنعه
أستودع الله فى بغداد لى قمرا
بالكرخ من فلك الأزرار مطلعه
ودعته وبودى لو يودعنى
طيب الحياة وأنى لا أودعه

فما بين منقض علينا ومنفض * وقد نشرت أيدى النجوم مطارفا * على الجو كا والحواشى على الارض

يطرزها قوس السماء بأصفر * على أحمر فى أخضر تحت مبيض

كأذيال خود أقبلت فى غلائل * مصبغة والبعض أقصر من بعض

(ابن نباتة) سقى وواعدنى وصلا ألذبه * عنـد المنام ولا والله ما وصـلا

قبـيله الله من ساق مواعده * كانت مواعيد عرقوب لها مثلا

(وقال آخر فى ساق) وساق كالهلال سعى بكاس * لربه نرجس فسقى وحيا

فقلت تأمـلوا بدرا منـيرا * سقى شمسا وحيا بالثريا

(وفيه لابن النبيه) ساق صحيفة خده ما سوّدت * عبثا بلام عذاره و بنونه

جمـد الذى بيمينه فى خـده * وجرى الذى فى خده بيمينه

(فى جارية ساقية) نديمتى جارية ساقيه * ونزهتى ساقية جاريه

جارية أعينها جنة * وجنة أعينها جاريه

(فيمن حبس الكاس فى يده) قالوا الذى تهواه يحبس كاسه * فى كفه من غير ذنب موجب

فأجبتهم كفوا الملام فانه * قمر ينزه طرفـه فى كوكب

وقال آخر فى مجلس أنس

ومجلس راق من واش يكدره * ومن رقيب له باللوم ايـلام

ما فيه ساع سوى الساقى وليس له * على الندامى سوى الريحان نمام

(صفى الدين الحلى فى عود) وعود به عاد السرور لأنه * حوى اللهو قدما وهو ريان ناعم

يغرب فى تغريده فكأنه * يعيـد لنا ما لقنتـه الحمائم

(وقال آخر فى زامرة) وناطقة بالنفخ عن روح ربها * تعبر عما دوننا وتترجـم

سكتنا وقالت للقلوب فاطربت * فنحن سكوت والهوى يتـكلم

(ومما قيل فى فانوس لابن تميم) انظر الى الفانوس تلق متيما * ذرفت على فقد الحبيب دموعه

يبدو تلهب جسمه لنحوله * وتعد من تحت القميص ضلوعه

(وفيه لابن قزل) وكأنما الفانوس فى غسق الدجى * دنف براه شوقه وسهاده

أضلاعـه خفيت ورق أديمـه * وجرت مدامعه وذاب فؤاده

(ولبعضهم فى شمعة) حكتنى وقد أودى بى السقم شمعة * وان كنت صبا دونها متوجعا

ضنى وسهادا واصفرارا ورقة * وصبرا وصمتا واحتراقا وأدمعا

ومما قيل فى الربيع والرياض والبساتين والمياه والنواعير ونحو ذلك قال الشاعر

هذا الربيع وهذه أزهاره * تتجاوب فى أيكه أطياره * وبدا البنفسج والشقائق مونق

والورد يضحك بينها وبهاره * فاشرب على وجه الحبيب وغنّ لى * هـذا هـواه وهـذه آثاره

(وقال غيره) غدونا على الروض الذى طله الندى * سحيرا وأوداج الأباريق تسفك

فلم نر شيأ كان أحسن منظرا * من النور يجرى دمعه وهو يضحك

(وقال آخر) أما ترى الأرض قد أعطتك زهرتها * بخضرة واكتسى بالنور عاريها

فللسماء بكاء فى جوانبها * وللربيع ابتسام فى نواحيها

(غيره) ان السماء اذا لم تبك مقلتها * لم تضحك الأرض عن شئ من الزهر

والأرض لا تنجلى أنوارها أبدا * الا اذا رمدت من شدة المطر

(وقال ابن قرناص) أيا حسنها من رياض غدا * جنونى فنونا بأفنانها

مشى الماء فيها على رأسه * لتقبيل أقدام أغصانها

(وقال آخر) انظر الى الأغصان كيف تعانقت * وتفارقت بعد التعانق رجعا

كالصب حاول قبلة من الفه * فرأى المراقب فانثنى متوجعا

كم قد تشفع بى أن لا أفارقه
وللضرورات حال لا تشفعه
وكم تشبث بى يوم الرحيل ضحى
وأدمعى مستهلات وأدمعه
لا أكذب الله ثوب العذر منخرق
عنى برقته لكن أرقعه
انى أوسع عذرى فى جنايته
بالبين عنه وقلبى لا يوسعه
أعطيت ملكا فلم أحسن سياسته
كذاك من لا يسوس الملك يخلعه
ومن غدا لابسا ثوب النعيم بلا
شكر عليه فان الله ينزعه
اعتضت من وجه خلى بعد فرقته
كاسا تجرع منها ما أجرعه
كم قائل لى ذنب البين قلت له
الذنب والله ذنبى لست أدفعه
الا أقمت مكان الرشد أجمعه
لو أننى يوم بان الرشد أتبعه
أن لا أقطع أياما وأنفذها
بحسرة منه فى قلبى تقطعه
بمن اذا هجع النوام بت به
بلوعة منه ليلى لست أهجعه
لا يطمئن بجنبى مضجع وكذا
لا يطمئن له مذ بنت مضجعه
ما كنت أحسب ريب الدهر يفجعنى
به ولا أظن بى الأيام تفجعه
حتى جرى البين فيما بيننا بيد
عسراء تمنعنى حظى وتمنعه
وكنت من ريب دهرى جازعا فرقا
فلم أوق الذى قد كنت أجزعه
بالله يا منزل الانس الذى درست
آثاره وعفت مذ بنت أربعه
هل الزمان معيد فيك لذتنا
أم الليالى التى أمضته ترجعه
فى ذمة الله من أصبحت منزله
وجاد غيث على مغناك يمرعه
من عنده لى عهد لا يضيع كما
عندى له عهد ودّ لا أضيعه
ومن يصدع قلبى ذكره واذا
جرى على قلبه ذكرى يصدعه
لأصبرن لدهر لا يمتعنى
به ولا بى فى حال يمتعه

(وقال ابن تميم) وحديقة ينساب فيها جدول * طرفي برونق حسنها مدهوش
يبدو خيال غصونها في مائه * فكأنما هو معصم منقوش

(وقال أيضا عفا الله عنه) لم لا أهيم الى الرياض وحسنها * وأظل منها تحت ظل ضافي
والزهر حياني بثغر باسم * والماء وافاني بقلب صافي

(وقال آخر) قد سعينا نبغي زيارة دوح * قد حبانا باللطف والاكرام
ناولتنا أيدي الغصون ثمارا * أخرجتها الناس من الاكمام

(ومما قيل في الأزهار والثمار) قال بعضهم في الورد

يا راقدا ونسيم الصبح منتبه * في روضة القصف والأطيار تنتحب * الورد ضيف فلا تجهل كرامته
فهاتها قهوة في الكاس تلتهب * سقيا له زائر تحيا النفوس به * يجود بالوصل شهرا ثم يحتجب

(وقال آخر فيه) طاب الزمان وجاء الورد فاصطبحا * ما دام للورد أنوار وأزهار
واستقبلا عيشنا بالكاس مترعة * لا طولت للئام الناس أعمار

(وقال آخر) اشرب على الورد من حمراء صافية * شهرا وعشرا وخمسا بعدها عددا
واستوف بالكاس من لهو ومن طرب * فلست تأمن صرف الحادثات غدا

(وقال آخر) اشرب على ورد الخدود فانها * أيام ورد والصبوح يطيب
ما الورد أحسن منظرا من وجنة * حمراء جاد بها عليك حبيب

(وقال بعضهم) ولقد رأيت الورد يلطم خده * ويقول وهو على البنفسج يحنق
لا تقربوه وان تضوع نشره * من بينكم فهو العدو الأزرق

(ومما قيل في البنفسج) وقال ابن المعتز

ولازوردية وافت بزورتها * بين الرياض على زرق اليواقيت
كأنها فوق طاقات ضعفن بها * أوائل النار في أطراف كبريت

(وقال آخر) اشرب على زهر البنفسج قهوة * تهدي السرور لكل صب مكمد
فكأنه قرص بخد مهفهف * أو أعين زرق كحلن باثمد

(ولبعضهم في الورد) للورد فضل على زهر الربيع سوى * ان البنفسج أزكى منه في المهج
كأنه وعيون الناس ترمقه * آثار قرص بدا في خد ذي غنج

(وقال آخر) يا مهديا لي بنفسجا أرجا * يرتاح صدري له وينشرح
بشرني عاجلا مصحفه * بان ضيق الأمور ينفسح

(وقال غيره في النرجس) وقضب زمرذ تعلو عليها * عيون لم تذق طعم الغماض
توهمت الغمام لها رقيبا * فنكست الرؤس الى الرياض

(وقال آخر فيه) أنت يا نرجس روض * لزهور الأرض ست
ودليل القول فيك * ان أوراقك ست

(وقال آخر) أقول وطرف النرجس الغض شاخص * الي وللنمام حولي الممام
أيا رب حتى في الحدائق أعين * علينا وحتى في الرياحين نمام

(وقال أيضا فيه) لما تمادى الورد في زهره * وراح من اعجابه برأس
تلون المنثور مما به * واصفر من غيظ به النرجس

(ومما قيل في اللينوفر لابن المعتز المصري)

وبركة تزهو بلينوفر * نسيمه يشبه نشر الحبيب * مفتح الأجفان في نومه
حتى اذا الشمس دنت للمغيب * أطبق جفنيه على خده * وغاص في البركة خوف الرقيب

(وقال تميم بن المعز المصري)

رأيت في البركة لينوفرا * فقلت ما شأنك وسط البرك * فقال لي غرقت في أدمعي

علما بان اصطباري معقب فرجا
فأضيق الأمر ان فكرت أوسعه
عسى الليالي التي أضنت بفرقتنا
جسمي ستجمعني يوما وتجمعه
وان تنل أحدا منا منيته
فما الذي بقضاء الله نصنعه

(يحكى) أنه وقع في ليلة الجمعة خامس عشر المحرم سنة (٨٣١) أن حضرت صلاة العشاء بالجامع النوري بحماة فتقدم امامه للصلاة بعد الاقامة وكبر تكبيرة الافتتاح وقرأ دعاء الافتتاح والفاتحة ثم قرأ الم السجدة ولما أتى على آية السجدة سجد ثم تمها الى آخرها وركع وسجد السجدتين ثم قام الى الركعة الثانية وقرأ الفاتحة ثم قرأ سورة النحل وبني اسرائيل والكهف ومريم وجانبا من طه فارتج عليه فركع ثم اعتدل واقفا ثم سجد السجدتين وتشهد وسلم على رأس الركعتين (حكى) الدينوري في المجالسة في ترجمة أبي عبد الله سعيد بن يزيد البناجي قال سمعت أبي يقول قال خالي أحمد بن محمد بن يوسف سمعت محمد بن يوسف يقول كان أبو عبد الله البناجي مجاب الدعوة وله آيات وكرامات بينما هو في بعض أسفاره اما حاجا واما غازيا على ناقة وكان في الطريق رجل عائن قلما ينظر الى شيء الا أتلفه وأسقطه وكانت ناقة أبي عبد الله ناقة فارهة فقيل له احفظها من العائن فقال أبو عبد الله ليس له الى ناقتي سبيل فأخبر العائن بقوله فتحين غيبة أبي عبد الله فجاء الى رحله وعان ناقته فاضطربت وسقطت تضطرب فأتى أبو عبد الله فقيل قد عان ناقتك وهي كما تراها تضطرب قال دلوني على العائن فدل عليه فقال بسم الله حبس حابس وحجر يابس وشهاب قابس رددت عين العائن عليه وعلى أحب الناس اليه في

وصادفني ظبي الفلا بالشرك * فقلت ما بال اصفرار بدا * فيك وما هذا الذي غيرك
فقال لي ألوان أهل الهوى * صفر ولو ذقت الهوى صفرك

(ومما قيل في البان) قد أقبل الصيف وولى الشتا * وعن قليل تسأم الحرا
أما ترى البان بأغصانه * قد قلب الفرو إلى برا

(وقال آخر فيه) أما ترى البان الذي يزهو على * كل الغصون بقده المياس
وافى يبشر بالربيع وقربه * يختال في السنجاب والبرطاس

(وقال في الشقيق) حييته بشائق في مجلس * ورأى الرقيب فشق ذاك عليه
فاحمر من خجل فأنبت خده * أضعاف ما حملت يداي إليه

(وقال آخر) لولم أعانق من أحب بروضة * أحداق نرجسها إلينا تنظر
ما انشق جيب شقيقها حسدا ولا * بات النسيم بذيله يتعثر

وقيل ان ابن الرومي الشاعر زار قبر أخيه يوما فوجد الشقائق قد نبتت على قبره فانشد يقول
قالت شقائق قبره * ولرب أخرس ناطق فارقته ولزمته * فانا الشقيق الصادق

(ومما قيل في المنثور) تخال منثورها في الدوح منتثرا * كأنما صيغ من در وعقيان
والطير ينشد في أغصانه سحرا * هذا هو العيش الا انه فاني

(وقال آخر) قد أقبل المنثور يا سيدي * كالدر والياقوت في نظمه
ثناك لا زال كأنفاسه * ومخ من يشناك مثل اسمه

(ولبعضهم فيه) ولقد خلوت مع الأحبة مرة * في روضة للزهر فيها معرك
ما بين منثور أقام ونرجس * مع اقحوان وصفه لا يدرك
هذا يشير بأصبع وعيون ذا * ترنو إليه وثغر هذا يضحك

(ومما قيل في الياسمين) والأرض تبسم عن ثغور رياضها * والافق يسفر تارة ويقطب
وكأن خضر الرياض ملاءة * والياسمين لها طراز مذهب

(وقال آخر) رأيت الفأل بشرى بخير * وقد أهدى إلي الياسمين
فلا تحزن فان الحزن شين * ولا تيأس فان اليأس مين

﴿ومما قيل في السوسن للاخطل الاهوازي﴾
سقيا لأرض اذا ما نمت نبهني * بعد الهدو بها قرع النواقيس
كأن سوسنها في كل شارقة * على الميادين أذناب الطواويس

﴿ومما قيل في الاقحوان لعبد القادر بن مهنا المغربي﴾
أفدي الذي زارني سرا فاتحفني * باقحوان يحاكي ثغر مبتسم
فبت من فرحي أفنى مقبله * لثما وأرشف من ريق له شبم

(ولبعضهم فيه) ان فاه ثغر الاقاحي في تشبهه * بثغر حبك واستولى به الطرب
فقل له عند ما يحكيه مبتسما * لقد حكيت ولكن فاتك الشنب

﴿ومما قيل في الجلنار﴾ وجلنار مشرق * على أعالي شجره * كأنه في غصنه
أحمره وأصفره * قراضة من ذهب * في خرقة معصفره

﴿ومما قيل في الآس﴾ أهديت مشبه قدك المياس * غصنا نضيرا ناعما من آس
فكأنما يحكيك في حركاته * وكأنما تحكيه في الأنفاس

(ومما قيل في الريحان) وغصن من الريحان أخضر ناضر * غدا بين غصني نرجس وشقائق
يريك اذا كف الصبا عبثت به * شمائل معشوق وذلة عاشق

(وفيه أيضا) وريحان يميس بحسن قد * يلذ بشمه شرب الكؤس
كسودان لبسن ثياب خز * وقد قاموا مكاشيف الرؤس

(وقال)

كأنه رشيق وفي ماله يليق
فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير
نخرجت حدقة العائن وقامت الناقة لا بأس بها (وله في أسماء الولائم)
ولية أعراس وخرس ولادة
عقيقة مولود نقيعة قادم
وضيمة حزن والبناء وكيرة
عذيرة ختن مأدبات المكارم
(وله أيضا في أسماء أيام العجوز على الترتيب)
بصن وصنبر ووبر معلل
بمطفئ جمر آمر نعم مؤتمر
تولت عجوز ثم أعقب بعدها
شباب ربيع زهره يانع نضر
﴿ولغيره في أسماء خيل الحلبة﴾
سبق المجلي والمصلي والمسلي بعد تاليه ترى المرتاحا
وبعاطف وبفسكل وحظيه
حلب اللطيم على الكميت صباحا
﴿لابي العلاء المعري﴾
سألن فقلت مقصدنا سعيد
فكان اسم الأمير لهن فالا
اذا ما الغيم لم يمطر بلادا
فان له على يديك اتكالا
ولو أن الرياح تهب غربا
وقلت لها هلا هبت شمالا
وأقسم لو غضبت على ثبير
لأزمع عن محلته ارتحالا
(نبذة لغوية يفتقر كل متأدب اليها) (البلج) هو أن ينقطع الحاجبان فلا يكون بينهما تضام الشعر وكانت العرب تمدح البلج ويقال رجل أبلج وامرأة بلجاء (ثم العين) فجملة العين المقلة وهي الشحمة التي تجمع البياض والحدقة والناظر وهو موضع البصر وفيه الانسان والانسان ليس بخلق له حجم والجم ما وجدت مسه والعين كالمرآة اذا استقبلتها بشيء رأيت شخصه فيها وفيها الناظران وهما

(وقال آخر) قضيب من الريحان شاكل لونه * اذا ما بدا للعين لون الزبرجد
فشبهته لما بدا متجعدا * عذارا تبدى فى سوالف أغيد

(ومما قيل فى الفواكه والثمار على اختلافهما فى الاترج) قال ابن الرومى
كل الخلال التى فيكم محاسنكم * تشابهت منكم الاخلاق والخلق
كأنكم شجر الاترج طاب معا * حملا ونشرا وطاب العود والورق

(ولبعضهم فيه) حبالك من تهوى باترجة * ناعمة مقدودة غضه
فجلدها من ذهب أصفر * وجسمها الناعم من فضه

(وقال آخر) ياحبذا أترجة * تحدث للنفس الطرب كأنها كافورة * لها غشاء من ذهب

(فى الليمون قول أبى الحسن رئيس الرؤساء)
ياحسن ليمونة حيابها القمر * حلو المقبل ألمى بارد الشنب
كأنها أكرة من فضة خرطت * واستودعوها غلافا صيغ من ذهب

(وفيه أيضا) وصاحب ناديته * والطير لم يغرد * انهض الى الراح ولا
ترضى بعيش نكد * واشرب سلافا فاقرقفا * من كف ساق أغيد
قد اكتست تلهبا * من خده المورد * ولا تدع مجتهدا * لذة يوم لغد
أما ترى الليمون فى * غصن من الزبرجد * كأكرة من فضة * مملوءة من عسجد

(فى النارنج لعبد الله بن المعتز)
نظرت الى نارنجة فى يمينه * كجمرة نار وهى باردة اللمس
فقربها من خده فتألفت * فشبهتها المريخ فى دارة الشمس

(وقال آخر) ونارنجة بين الرياض نظرتها * على غصن رطب كقامة أغيد
اذا ميلتها الريح مالت كأكرة * بدت ذهبا فى صولجان زبرجد

(وقال آخر) ونارنج يلوح على غصون * ومنه ما ترى كالصولجان
أشبهها ثديا ناهدات * غلائلها اصبغن بزعفران

(وقال آخر) وأشجار نارنج كأن ثمارها * حقاق عقيق قد ملئن من الدر
فطالعها بين الغصون كأنها * قدود عذارى فى ملاحفها الخضر
أتت كل مشتاق بريا حبيبه * فهاجت له الاشجان من حيث لا يدرى

(فى التفاح لبعضهم) ولما بدا التفاح أحمر مشرقا * دعوت بكاسى وهى ملأى من الشفق
وقلت لساقيها أدرها فعندنا * خدود الاغانى قد جمعن على طبق

(وقال آخر فى تفاحة) وتفاحة من سندس صيغ نصفها * ومن جلنار نصفها وشقائق
كأن الهوى قد ضم من بعد فرقة * بها خد معشوق الى خد عاشق

(ولبعضهم فيه) تفاحة كسبت لونين خلتهما * خدى محب ومحبوب قد التصقا
تعانقا فبدا واش فراعهما * فاحمر ذا خجلا واصفر ذا فرقا

(وقال آخر) وتفاحة وردية ذهبية * تجلى عن المهموم ليل همومه
كأن سلاف الخمر روى أديمها * بخمر خلت باحمرار أديمه
تذكرنى شكل الحبيب وحسنه * وتوريد خديه وطيب نسيمه

(وقال آخر) حمرة التفاح فى خضرته * أشبه الالوان من قوس قزح
فعلى التفاح فاشرب قهوة * واسقنيها بنشاط وفرح

(وفيه أيضا) أهدى لنا التفاح من كفه * من لم يزل يجنيه من خده
وخط بالمسك على بعضها * قد عطف المولى على عبده

(وقيل فى السفرجل) حاز السفرجل لذات الورى فغدا * على الفواكه بالتفضيل مشهورا

عرقان على حرف الألف يسيلان من الموقين الى الوجه وفيها الأجفان وهى غطاء المقلة من أعلى وأسفل وفيها الأشفار وهى حروف الأجفان التى تلتقى عند الغمض الواحد شفر والشفر الذى ينبت فيه الهدب الواحد هدب فاذا طالت الأهداب قيل رجل أهدب وامرأة هدباء ورجل أوطف وامرأة وطفاء وكذلك أذن هدباء اذا كانت كثيرة الشعر ووطفاء والسكل دليل على الطول والمحجر ما خرج من النقاب من الرجل والمرأة من الجفن الأسفل وفى العين الجماليق والواحد جملاق والجماليق النواحى وفيها اللحاظ وهى مؤخرها الذى يلى الصدغ والموق طرفها الذى يلى الأنف وهو مخرج الدمع وفى العين الحوص وهو ضيق فى مؤخرها يقال رجل أحوص وامرأة حوصاء وفيها النجل وهو سعة العين وعظم المقلة وكثرة البياض وفيها الخفش وهو ضعف فى النظر وفيها الكحل وهو سواد العين بين الحمرة والسواد والدعج السواد فى العين بين الحمرة والسواد والشهل أن يشوب سوادها زرقة يقال رجل أشهل وامرأة شهلاء ويقال نظر الى شزرا وذلك اذا نظر عن يمينه أو عن شماله ولم يستقبله بنظره وفى النظر الاغضاء وهو أن يطبق جفنه على حدقته فيقال رأيته مغضيا (ثم الفم) وفى الفم الثنايا والرباعيات والضواحك والارحاء والنواجذ فالضواحك أربعة أضراس تلى الانياب الى جنب كل ناب من أسفل الفم وأعلاه ضاحك وأما الارحاء فهى ثمانية أضراس من أسفل الفم وأعلاه وفى الاسنان الظلم ساكن وهو ماء الاسنان وفى الاسنان الشنب وهو برد وعذوبة فى المذاق والفلج تباعد ما بين الاسنان (ثم اللثة) وهو اللحم

كالراح طعما وشم المسك رائحة * والتبر لونا وشكل البدر تدويرا

(وقال آخر) سفرجلة صفراء تحكى بلونها * محيا شجاه للحبيب فراق
اذا شمها المشتاق شم ريحها * بريح حبيب لذ منه عناق
وطيبة عند المذاق كطعمها * كريق حبيب طاب منه مذاق

(وقال آخر) سفرجلة جمعت أربعا * فكان لها كل معنى عجيب
صفار النضار وطعم العقار * ولون المحب وريح الحبيب

﴿وقيل فى الكمثرى﴾ وكمثرى لذيذ الطعم حلو * شهى جاء من دوح الجنان
مناقير الطيور اذا اقتنلنا * مغبرة بلون الزعفران

(ابن برغش متغزلا) وكمثرى سباني منه طعم * كطعم الشهد شيب بماء ورد
لذيذ لاقه لما أتانا * نهود السمر فى معنى وقد

(ومما قيل فى المشمش) بدا مشمش الأشجار يذكو شهابه * على غصن أغصان من الروض ميد
حكى وحكت أشجاره فى اخضراره * جلاجل تبر فى قباب زبرجد

(ماقيل فى الاجاص) انظر الى شجر الاجاص قد حملت * أغصانه ثمرا ناهيك من ثمر
تراه فى أخضر الأوراق مستترا * كما اختبى الزنج فى خضر من الأزر

﴿ماقيل فى الخوخ﴾ أهدى الى الصديق خوخا * منظره منظر أنيق
من كل مخصوصة بحسن * معناه فى مثلها دقيق
حمراء صفراء مستعير * بحسنها التبر والعقيق
كوجنة مسها خلوق * فزال عن بعضها الخلوق

(ماقيل فى الفستق) تفكرت فى معنى الثمار فلم أجد * لها ثمرا يبدو بحسن مجرد
سوى الفستق الرطب الجنى فانه * زهاء عان زينت بتجرد
غلالة مرجان على جسم فضة * وأحشاء ياقوت وقلب زبرجد

﴿ماقيل فى البندق﴾ ولقد شربت مع الحبيب مدامة * حمراء صافية بغير مزاج
فتفضل الظبى البهى ببندق * شبهته ببنادق من ساج
فكسرته فوجدت ثوبا أحمرا * قد لف فيه بنادق من عاج

(ومما قيل فى النبق) وسدرة كل يوم * من حسنها فى فنون
كأنما النبق فيها * وقد حلا فى العيون
جلاجل من نضار * قد علقت فى الغصون

﴿ومما قيل فى اللوز﴾ ومهد الينا لوزة قد تضمنت * لمبصرها قلبين فيها تلاصقا
كأنهما حبان فازا بخلوة * على رقبة فى مجلس فتعانقا

﴿فى العنب لبعضهم﴾ هدية شرفتنا من أخ ثقة * نعم الهدية اذ وافت لنا من يده
نوعان من عنب جاآ على طبق * كان طيبهما من طيب محتده
فأبيض العين يحكى لون أبيضه * وأسود العين يحكى لون أسوده

(فى قصب السكر) ورماح لغير طعن وضرب * بل لأكل ومص لب ورشف
كملت فى استوائها واستقامت * باعتدال وحسن قد ولطف

﴿ومما قيل فى البطيخ الاصفر﴾

أتانا غلام فاق حسنا على الورى * ببطيخة صفراء فى لون عاشق
فشبهته بدرا يقد أهلة * من الشمس ما بين النجوم ببارق

(وقال آخر) وبطيخة وافى بها فوق كفه * الينا غلام فاق كل غلام
تخيل لى شمس الأصيل أهلة * يقطعها بالبرق بدر تمام

﴿ومما قيل فى البطيخ الأخضر﴾

وظبي أتى فى الكف منه بمدية * وقد لاح فى خديه شبه شقيق * فمال الى بطيخة ثم شقها

وفرقها

تنبت فيه الاسنان وفى اللثة اللمى وهو سمرة تضرب الى سواد وكذلك الحوة واللهاة اللحمة الحمراء المعلقة على الحنك (نقلت من الجزء الثالث والعشرين من التذكرة للصفدى) ان شهاب الدين أحمد الحموى النقاش ورد الى القاهرة سنة ٧٣٢ وكتب الختمة الشريفة على خوصة من أولها الى آخرها مفصلة الاجزاء والسور أخبرنى بذلك الموالى السادة الموقعون بالباب الشريف وقدمها لمولانا السلطان الملك الصالح وسألته عن مولده فقال فى سنة ٦٩٩ وله نظم رائق عن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه عشر تورث النسيان كثرة الهم والحجامة فى النقرة والبول فى الماء الراكد وأكل التفاح الحامض وأكل الكسفرة وأكل سؤر الفارة وقراءة ألواح القبور والنظر الى المصلوب والمشى بين القطارين والقاء القملة حية والله أعلم هذا آخر التذييل

﴿وهذا تذييل آخر﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

أما بعد حمد الله على نعمائه والصلاة والسلام على خير أنبيائه * فيقول العبد الفقير الى عفو مولاه الكريم ابراهيم بن الحاج على الاحدب قد رأيت أن أذيل الثمرات بما جنيته من الثمار الدانية والفوائد العالية وبالله التوفيق (فمن ذلك ما يحكى) ان الصاحب بدر الدين وزير اليمن كان له أخ بديع الجمال وكان شديد الحرص عليه فأتى له بشيخ ذى دين وعفة وهيبة وعقل ليعلمه فأسكنه فى منزل قريب منه فأقام على ذلك مدة ثم ان الشيخ امتحن بمحبة ذلك الشاب وقوى غرامه فيه فشكا يوما له حاله فقال له ما حيلتى وأنا لا أستطيع مفارقة أخى لا ليلا ولا نهارا أما الليل فان سريرى بجانب سريره وأما النهار فكما ترى

وفرقها مابين كل صديق * فشبهتها لما بدت فى أكفهم * وقد عملت فيهم كؤس رحيق
صفائح بلور بدت فى زبرجد * مرصعة فيها فصوص عقيق

(وقال آخر) وبطيخة خضراء فى كف أغيد * أتانا بها فارتاح ذو الهم وابتهج
وأقبل يفريها بمديته وقد * فرى طرفه الساجى القلوب مع المهج

(ومما قيل فى القثاء) انظر اليها أنابيبا منضدة * من الزمرذ خضرا ما لها ورق
اذا قلبت اسمها بانت ملاحتها * وصار فى عكسه انى بكم أثق

(ومما قيل فى الباذنجان) وكأنما الابذنج سود حمائم * أوكاره خمل الربيع المبكر
نقرت مناقره الزمرذ سمسما * فاستودعته حواصلا من عنبر

(ومما قيل فى الأنهار والبرك والنواعير)

أماترى البركة الغراء قد كسيت * نورا من الشمس فى حافاتها اطلعا * والنهر من فوق يلهيك منظره
شهب سماوية فارتج والتمعا * كأنه السيف مصقولا يقلبه * كف الكمى الى ضرب الكماة سعى

(وقال آخر فى بركة) يامن يرى البركة الحسناء رؤيتها * والآنسات اذا لاحت معانيها
فلو تمر بها بلقيس عن عرض * قالت هى الصرح تمثيلا وتشبيها * كأنما الفضة البيضاء سائلة
من السبائك تجرى فى مجاريها * اذا علتها الصبا أبدت لها حبكا * مثل الجواشن مصقولا حواشيها
فحاجب الشمس أحيانا يضاحكها * ورونق الغيث أحيانا يباكيها
اذا النجوم تراءت فى جوانبها * ليلا حسبت سماء ركبت فيها

(وقال آخر) وبركة للعيون تبدو * فى غاية الحسن والصفاء
كأنها اذا صفت وراقت * فى الأرض جزء من السماء

(وقال محمد بن سارة المغربى)

النهر قد رقت غلالة صبغه * وعليه من صبغ الأصيل طراز
تترقرق الأمواج فيه كأنها * عكن الخصور تهزها الاعجاز

(وقال آخر) يوم لقيا بالنيل مختصر * ولكل وقت مسرة قصر
فكأنما أمواجه عكن * وكأنما داراته سرر

(وقال آخر فى نهر يسبح فيه الغلمان)

خليج كالحسام له صقال * ولكن فيه للرائى مسره
رأيت به الملاح تجيد عوما * كأنهم نجوم فى المجره

(وقال آخر فى النيل)

النيل قال وقوله * اذ قال مل مسامعى * فى غيظ من طلب العلا
عم البلاد منافعى * وعيونهم بعد الوفا * قلعتها باصابعى

(وقال آخر) كأن النيل ذو فهم ولب * لما يبدو لعين الناس منه
فيأتى عند حاجتهم اليه * ويمضى حين يستغنون عنه

(وقال آخر) وفت أصابع نيلنا * وطغت وطافت فى البلاد
وأتت بكل مسرة * ماذى أصابع ذى أيادى

(وقال آخر) سد الخليج بكسره جبر الورى * طرا فكل قد غدا مسرورا
والماء سلطان فكيف تواترت * عنه البشائر اذ غدا مكسورا

(وقال آخر) ونهر خالف الأهواء حتى * غدت طوعا له فى كل أمر
اذا عصفت على الأغصان ألقت * اليه بها فيأخذها ويجرى

(وقال آخر فى ناعورة) وكريمة سقت الرياض بدرها * فغدت تنوب عن الغمام الهامع
بلسان محزون ومدمع عاشق * ومسير مشتاق وانة جازع

تلازمنا فقال الشيخ ان منزلى ملاصق لداركم فيمكن اذا غمضت عين أخيك أن تقوم لتستعمل ماء فتأتى الى الحائط وأنا أتناولك من وراء الجدار فتجلس عندى لحظة لطيفة من غير أن يشعر أخوك بشئ فقال السمع والطاعة وتواعدا على ليلة فهيأ له الشيخ من التحف والظرف ما يليق بمقامه فلما نام الصاحب واستغرق فى النوم وأمن انتباهه قام الشاب وتمشى خطوات وفتح بابا يتوصل منه الى الحائط فوجد شيخه واقفا ينتظره فتناوله وصار عنده فى المنزل وكانت ليلة البدر وتنادما ودارت بينهما كؤس الشراب ممزوجة ببرد الرضاب وانتشى الشيخ وأخذ فى الغناء وقد رمى القمر جرمه عليهما وانتبه الصاحب فلم يجد أخاه فقام فزعا مرعوبا ووجد الباب الذى استطرق منه أخوه مفتوحا فقال من ههنا جاء الشر فدخل منه وصعد الحائط فوجد نورا ساطعا من البيت ونظر فرآهما على هذه الحالة والكاس بيد الشيخ وهو ينشد بأحسن صوت

سقانى خمرة من ريق فيه
وحيا بالعذار وما يليه
وبات معانقا خدا بخد
غزال فى الانام بلا شبيه
وبات البدر مطلعا علينا
سلوه لا ينم على أخيه

فكان من لطافة الصاحب أن قال والله لا أنم عليكما وتركهما وانصرف انتهى (ومن بديع ذلك ما حكاه ابن خلكان فى تاريخه) فى ترجمة شرف الدين المعروف بابن المستوفى قال قد وصل الى أربل بعض الشعراء وهو الشريف عبد الرحمن بن أبى الحسين بن عيسى بن على بن يعرب فى سنة ثمان وعشرين وستمائة وشرف الدين يومئذ وزير فسير له مثلوما على يد شخص كان فى خدمته يقال له الكمال بن الشعار الموصلى

(وقال آخر) وناعورة قالت وقد حال لونها * وأضلعها كادت تهد من السقم
أدور على قلبي لأني فقدته * وأما دموعي فهي تجرى على جسمي

(وفيها أيضا) وحنانة من غير شوق ولا وجد * يفيض لها دمع كمنتثر العقد
أحن اذا حنت وأبكي اذا بكت * فليس لنا من ذلك الفعل من بد * ولكنها تبكي بغير صبابة
وأبكي بافراط الصبابة والوجد * وأدمعها من جدول مستعارة * ودمعي من عيني يفيض على خدي

(وفيها أيضا قال الخطيري)

رب ناعورة كأن حبيبا * فارقته فقد غدت لي تحكي أبدا هكذا تئن بشجو * وعلى إلفها تدور وتبكي

(ابن تميم) تأمل الى الدولاب والنهر اذ جرى * ودمعهما بين الرياض غدير
كأن نسيم الجو قد ضاع منهما * فأصبح ذا يجرى وذاك يدور

﴿فصل في ذكر أرباب الصنائع والحرف والأسماء وما أشبه ذلك﴾

(لابن عفيف في قاض مليح) ورب قاض لنا مليح * يعرب عن منطق لذيذ
اذا رنا لي بسهم لحظ * قلنا له دائم النفوذ

(وقال في فقيه مليح) ويعجبني ظبي غدا متفقها * وهو المهذب في الرشاقة والحور
أمسى بسيط الشعر منه مطولا * لكن وجيز الخصر منه المختصر

(وقال في محدث مليح) علقته محدثا * شرد عن جفني الوسن
حديثه ووجهه * كلاهما عندي حسن

(وقال في امام) جاء يسعى الى الصلاة بوجه * يخجل البدر في ليالي السعود
فتمنيت أن وجهي أرض * حين يومي بوجهه للسجود

(ابن الرومي في عروضي وأجاد) بي عروضي مليح * موتتي فيه حياة
عاذلاتي في هواه * فاعلات فاعلات

(في مؤذن مليح) ومؤذن أضحى كريما وجهه * لكنه بالوصل أي شحيح
أبدا أموت بهجره لكنني * من بعد ذلك أعيش بالتسبيح

(لابن عربي) وبنفسي مؤذن قد سباني * لم يفدني شكوى الغرام اليه
كيف يصغي لما يقول حبيب * واضع اصبعيه في أذنيه

(وقال آخر في مريد)

مراد قلبي مريد * مخبأ في الزوايا * وليس ذا بعجيب * ففي الزوايا خبايا

(وفي فقير مليح) بي فقير يتغنى * بسنا وجه منير * لا تلمني في افتضاحي * فغرامي بالفقير

(في أمير شكار لابن دانيال) بي من أمير شكار * وجد يذيب الجوارح
لما حكى الظبي حسنا * حنت اليه الجوارح

(في مليح مغن) أضحى يجلو جهه قمر الدجا * وغدا يلين لحسنه الجلمود
فاذا بدا فكأنما هو يوسف * واذا شدا فكأنه داود

(في مليح عواد) غنى على العود ظبي سهم ناظره * أمسى به قلبي المضنى على خطر
دنا الي وجست كفه وترا * فراحت الروح بين السهم والوتر

(في مليح كاتب) بروحي كاتبا كالبدر حسنا * بديعا ما رأينا منه أجمل
على ريحان عارضه المفدى * بوجنته غدا دمعي مسلسل

(غيره) وراق اذا المفدى * فيه تزايد عشقي * فلو يجود بوصل * لكان مال الشرقي

(وفيه أيضا) يا حسن وراق أرى خده * قد راق في التقبيل عندي ورق
تميل في الدكان أعطافه * ما أحسن الأغصان بين الورق

(للسيد الشريف صلاح الدين الاسيوطي فيه أيضا)

صاحب التاريخ والمثلوم عبارة عن دينار يقطع منه قطعة صغيرة وقد جرت عادتهم في العراق وتلك البلاد أن يفعلوا مثل هذا لانهم يتعاملون بالقطع الصغار ويسمونها القراضة ويتعاملون أيضا بالمثلوم وهذا كثير الوجود بايديهم فجاء الكمال الى ذلك الشاعر وقال له الصاحب يقول لك انفق الساعة هذا حتى يجهز لك شيأ فتوهم الشاعر ان الكمال يكون قد قرض القطعة من الدينار وان شرف الدين ما سيره الا كاملا وقصد استعلام الحال من جهة شرف الدين فكتب اليه

يا أيها المولى الوزير ومن به
في الجود حقا تضرب الأمثال
أرسلت بدر التم عند كماله
حسنا فوافى العبد وهو هلال
ما غاله النقصان الا أنه
بلغ الكمال كذلك الآجال

فأعجب شرف الدين بهذا المعنى وحسن الاتفاق وأجاز الشاعر وأحسن اليه انتهى (ومنه ما حكى) ان ابراهيم بن سهل الاشبيلي كان يهوديا فأسلم وحسن اسلامه حتى انه مدح النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يسلم وكان يقرأ مع المسلمين ويخالطهم وكان يحب يهوديا اسمه موسى وأكثر شعره فيه فلما أسلم أحب شابا اسمه محمد وترك هوى اليهودي فقيل له في ذلك فأنشد

تركت هوى موسى بحب محمد
هديت ولولا الله ما كنت أهتدي
وما عن قلى تركي هواه وانما
شريعة موسى عطلت بمحمد

وكان ابراهيم هذا شاعرا مجيدا اتفق له في صباه ان الهيثم نظم قصيدة مدح بها المتوكل على الله ابن يوسف بن هود ملك الأندلس وقد كانت أعلامه سودا لانه كان بايع الخليفة ببغداد فأرسل اليه بالتولية والألوية والنيابة ولا يعلم أحد من ملوك الأندلس قبله

فديتك أيها الوراق قلبي * لطلك بالوصال يكاد يبلى
وقد طلب الوفا وغير بدع * محب يسأل الوراق وصلا

(في مليح صيرفي) يا سائلا عن حالتي ما حال من * أمسى بعيد الدار فاقد الفه
بي صيرفي لا يرق لحالتي * قدمت من جور الزمان وصرفه

(في مليح بخانقي) تسلطني في الملاح بخانقي * ولا يرضى بي بدر التم نائب
وقد صفت له الاتراك جندا * وأصبح زاكما تحت العصائب

(في مليح فرا) فقلت لفرا في أدعي * وزاد صدا وطال هجرا
قد فر نومي وفر صبري * فقال لما عشقت فرا

(سيدي أبو الفضل بن أبي الوفاء في مزين)

حبي المزين وافى * بعد المعاد بنشطه * ومص دمل قلبي * بكاس راح وبطه

(في مليح قصاص) أشكوا الى الله قصاصا بجرعني * بالهجر والصد أنواعا من الغصص
ان تحسن القص عناه فقلت له * أيضا تقص علينا أحسن القصص

(في مليح صياد) ومولع بفخاخ * يمدها وشراك * قالت له العين ماذا * تصيد قال كرا كي

(في مليح رامي بندق) وأهيف القد ذي دلال * طائر قلبي عليه واجب
كالشمس في كفه هلال * يرمي الى البدر بالكواكب

(وقال آخر في راع) أفديه من راع كبدر الدجى * قوامه فاق الغصون الرشاق
ضيعني بالجدي ناديته * ما القصد يا مولاي الا العناق

(القيراطي في مليح طحان)

حسن طحان سباني * بلحاظ وبقامه خاف من واش فاضحى * يجعل الغمز علامه

(القاضي بدر الدين البلقيني في تراب)

رب تراب مليح * أورث القلب عذابا قلت لما أن بدا لي * ليتني ترابا

(وقال آخر في مليح عوام) يا حسن عوام كغصن النقا * يبخل بالوصل لمن هاما
وتقنع العشاق منه بان * يريهم الارداف ان عاما

(ابن نباتة في مليح حبشي) بروحي مشير وطاعلي الخد أسمرا * دنا وو في بعد التجنب والسخط
وقال على اللثم اشترطنا فلا تزد * فقبلته ألفا على ذلك الشرط

(وله أيضا) ومن عجب تدعى للطفك سنبلا * ونشرك كافور وذ كرك عنبر
وسعدك اقبال وحسنك مرشد * وخلقك ريحان ولفظك جوهر

(وقال آخر فيمن به صفرة) قالوا به صفرة شانت محاسنه * فقلت ما ذاك من عيب به نزلا
عيناه مطلوبة في ثأر من قتلت * فلست تلقاه الا خائفا وجلا

(للشيخ شهاب الدين بن حجر في مليح اسمه زائد)

وزائر قال قلبي * للطرف يا طرف شاهد * مدحته فتجنى * تيها على بزائد

(وقال آخر في مليح أرمد) شكا رمدا فقلت الآن كانت * لواحظه من الفتكات فينا
وقالوا سيف مقلته تصدى * فقلت نعم لقتل العاشقينا

(لمجد الدين بن مكانس فيه) توزمت مقلة المحبوب من رمد * وبات يشكو لهيب القلب والالما
وبات يرمي محبيه بأسهمه * فيا له من حبيب قد شكا ورما

(لابن أبي حجلة في أعور) ما شان من أهواه عين أصبحت * مقلوعة بمحاسن متزايده
لولا استخف العالمين بأمرهم * ما ظل ينظرهم بعين واحده

(وقال آخر في مليح راهب) رأيته يضرب الناقوس قلت له * من علم البدر ضربا بالنواقيس
وقلت للنفس أي الضرب يؤلمكي * ضرب النواقيس أم ضرب النوى قيسي

ولا بعده بايع بني العباس قط فوقف ابراهيم بن سهل والهيثم ينشد قصيدته لبعض أصحابه فقال ابراهيم للهيثم زد بين البيت الفلاني والبيت الفلاني

أعلامه السود اعلام بسودده

كأنهن بخد الملك خيلان

فقال الهيثم أهذا البيت شيء ترويه أم نظمته فقال بل نظمته الساعة فقال الهيثم ان عاش هذا الغلام فسيكون أشعر أهل الاندلس (ومما اتفق) سنة ثمان وستمائة ان الملك المعظم عيسى سار الى أخيه الملك الأشرف فاستعطفه على أخيه الكامل محمد وكان في نفسه موجدة عليه فأزالها وسارا جميعا نحو الديار المصرية لمعاونة الكامل على الافرنج الذين قد أخذوا دمياط واستحكم أمرهم هنالك من سنة أربع عشرة بعد حروب كثيرة يطول شرحها حتى عرض عليهم في بعضها أن يرد عليهم بيت المقدس وجميع ما كان صلاح الدين فتحه في الساحل ويتركوا دمياط فامتنعوا من ذلك فقدر الله سبحانه وتعالى ان قدمت عليهم مراكب فيها ميرة لهم فأخذتها مراكب المسلمين وأرسلت من أراضي دمياط المياه من كل ناحية فلم يمكن الافرنج أن ينصرفوا بأنفسهم وحصرهم المسلمون من الجهة الأخرى حتى اضطروهم الى أضيق الأماكن فعند ذلك أنابوا الى المصالحة من غير مفاوضة فجاء مقدمهم الى الملك الكامل وعنده أخواه المذكوران وكانا قائمين بين يديه وكان يوما مشهودا وأمرا محمودا فوقع الصلح على ما أراد الكامل محمد وملوك الافرنج والعساكر كلها واقفة بحضرته وموقفه عظيما اجتمع عليه المؤمن والكافر والبر والفاجر وقام الحلي الشاعر وأنشد

(القيراطي في مليح اسمه بدر)

سموه بدرا وذا لما * أن فاق في حسنه وتما
وأجمع الناس اذ رأوه * بانه اسم على مسمى

(آخر في مليح اسمه حمزة)
متى يبدو لحمزة ما بقلبي * ويرثي لي وينظر في بلائي
وأشفي بالمبرد من لماه * وأجمع بين حمزة والكسائي

(وقال آخر)
كلفت به ولم أبلغ مرادي * غزال قد تحكم في قيادي
فتصحيف اسمه في وجنتيه * وفي معسول فيه وفي فؤادي

(في مليح سروجي)
فتنت به سروجيا بديعا * به قد ذبت وجدا من ضجيجي
اذا جذب الغرام له عناني * يلذ لي الركوب على السروج

(وقال آخر في مليح محموم)
قالوا حبيبك محموم فقلت لهم * أنا الذي كنت في حماته السببا
عانقته ولهيب النار في كبدي * فاثرت فيه تلك النار فالتهبا

(لابي نواس في مليح ألثغ)
ومهفهف دنف الصبا ذي لثغة * تصبوا اليه ذوو العقول الرجح
قبلت فاه فقال لي متخوفا * من كاشح متسدللا بالثا اتحي

(وقال في مليح خباز)
ان خبازنا المليح المفدى * في حشا الصب من جفاه كلوم
خلت دكانه البديع سماء * وهو بدر والخبز فيه نجوم

(وقال في مليح حائك)
وحائك يا صاح أبصرته * كالبدر في كفيه ماسوره
فلم أرح الا وروحي لما * عاينت في كفيه ماسوره

(وقال في مليح لاعب شطرنج)

لعبت بالشطرنج مع أهيف * رشاقة الاغصان من قده
أحل عقد البند من خصره * وألثم الشامات من خده

(وفيه أيضا قال)
تلاعبت بالشطرنج مع من أحبه * فنادمني حتى سكرت من الوجد
وأنشدني مالي أراك مفكرا * تدور على الشامات وهي على الخد

(في مليح خياط)
خياطنا الفاتن المفدى * بديع حسن فريد شكل
فصل للجسم ثوب سقم * لما جفاني وكف وصلي

(وقال غيره)
فتنت بخياط بديع ملاحة * له طلعة أبهى ضياء من الشمس
تراه على الكرسي للثوب خائطا * فتقسم حقا أنه آية الكرسي

(الصفي الحلي في مليح قلع ضرسه)
لحا الله الطبيب لقد تعدى * وجاء لقلع ضرسك بالمحال
أعاق الظبي في كلتا يديه * وسلط كلبتين على غزال

(وقال في مليح سلم عليه)

تنبأ فيك قلبي فاسترابت * به قوم وعمهم الضلال
وصدهم الهوى أن يؤمنوا بي * وقالوا ان معجزه محال
ومذ سلمت سلمت البرايا * الي وقيل كلمه الغزال

(وقال في مليح يرمي بالسهام)
وظبي بشعر فوق طرف مفوق * بقوس رمى في النقع وحشا بأسهم
كبدر بأفق فوق برق بكفه * هلال رمى في الليل جنا بأنجم

(وقال في مليح يضرب بالعود)
فتن الانام بعوده وبشدوه * شاد تجمعت المحاسن فيه
حتى كأن لسانه بيمينه * وكأن ما بيمينه في فيه

(وقال أيضا فيه)
وأغن قد أبدى لنا من عوده * نغما أصح به القلوب وأمرضا
بيدا اذا سخطت على أوتاره * نال الرفاق بسخطها عين الرضا

(وقال في مليح مشبب)
يا نافخ الصور بل يا باعث الصور * من رقدة السكر لا من رقدة الحفر
قرنت حسنك بالاحسان فيه لنا * فكان فيك مراد السمع والبصر
ضمنت للصحب اقبال السرور كما * ضمنت نايك نأي الهم والفكر

هنيئا فان السعد راح مخلدا
وقد أنجز الرحمن بالنصر موعدا
حبانا اله الخلق فتحا به المنى
مبينا وانعاما وعزا مؤبدا
تهلل وجه الارض بعد قطوبه
وأصبح وجه الشرك بالظلم أسودا
ولما طغا البحر الخضم باهله الطغاة وأضحى بالمراكب مزبدا
أقام بهذا الدين من سل عزمه
صقيلا كما سل الحسام مجردا
فلم ينج الا كل شلو مجدل
ثوى منهم أو من تراه مقيدا
ونادى لسان الكون في الارض رافعا
عقيرته في الخافقين مشيدا
أعباد عيسى ان عيسى وقومه
وموسى جميعا يخدمون محمدا

قال الشيخ شهاب الدين أبو شامة بلغني انه وقت الانشاد أشار عند قوله عيسى الى المعظم وعند قوله موسى الى الاشرف وعند قوله محمد الى الكامل وهذا من أحسن الاتفاق انتهى (ومنه ما حكى عن جمال الدين) كاتب سر الملك المعظم عيسى انه كان بينه وبين السلطان مداعبة ومنادمة فاتفق أنه حضر في بعض الليالي عنده فلما رجع الى منزله قالت له زوجته أين انعام السلطان فقال ما أنعم علي الليلة بشيء فقالت أنا أعوض عنه وقامت اليه هي وجواريها في الحال وتناولته بالخفاف الثقال الى أن ألانت أعطافه وأدارت في حانة الصفع سلافه فكتب للمعظم رقعة في ذلك منها
وتخالفت بيض الاكف كانها التصفيق عند مجالس الاعراس
وتتابعت سود الخفاف كأنها
وقع المطارق من يدي نحاس
وقال أجب عنها فاجابه عما في آخره
فاصبر على أخفافهن ولا تكن
متخلقا الا بخلق الناس

صوت بسيط به أرواحنا انبسطت * اذ جمعت فى اللفظ والمعنى على قدر

﴿وقال فى مليح ساق﴾ وساق من بنى الأتراك طفل * أتيه به على جمع الرفاق
أملكه قيادى وهو رقى * وأفديه بعينى وهو ساقى

﴿وقال أيضا فى رسول مليح أتاه من عند من يحبه﴾

من كنت أنت رسوله * كان الجواب قبوله * ياطلعة الشمس الذى
جاء الصباح دليله * لم يبد وجهك قبله * الا ارتقبت وصوله
فلذاك اذ واجهتنى * بل الفؤاد غليله

(فى مليح قارئ) نفسى الفداء لشادن شاهدته * يوم الى بارئه قارئا فى المصحف
فتن الانام ببهجة وبلهجة * تسبى وتضنى كل صب مدنف
فتلا مليا جل سورة يوسف * وجلا محيا مثل صورة يوسف

﴿وقال آخر فى مليح مكتمل العذار﴾ وكامل العارض قبلته * فصدنى وازور من قبلتى
وقال كم أنهاك عن مثل ذا * وأنت ما تفكر فى لحيتى

﴿وقال آخر فى مليح حجام﴾ كلفت بحجام تحكم طرفه * فقدا على سفك الدماء يواطى
أضحى كثير الاشتطاط ولم تكن * منه الحاظ كليلة المشراط

﴿فصل فى الالغاز﴾

(فى غزال) اسم من قد هويته * ظاهر فى حروفه * فاذا زال ربعه * زال باقى حروفه

(فى كوز فقاع) وحبوس بلا ذنب جناه * له فى السجن ثوب من رصاص
اذا أطلقته وثب ارتفاعا * يقبل فاك من فرح الخلاص

(فى زرموزة) مطية فارسها راجل * تحمله وهو لها حامل
واقفة بالباب مزبولة * لا تشرب الدهر ولا تأكل

﴿وقال فى طاحون﴾ ومسرعة فى سيرها طول دهرها * تراها مدى الأيام تمشى ولا تتعب
وفى سيرها ما تقطع الأ كل ساعة * وتأكل مع طول المدى وهى لا تشرب
وما قطعت فى السير خمسة أذرع * ولا ثلث من ذراع ولا أقرب

(فى دواة) ومرضعة أولادها بعد ذبحهم * لها لبن ما لذ قط لشارب
وفى بطنها السكين والثدى رأسها * وأولادها مذخورة للنوائب

(فى دواة أيضا) وما أم يجامعها بنوها * وليس عليهم تجب الحدود
كأنهم اذا ولجوا حشاها * أفاع فى أماكنها رقود

(فى قلم) وأهيف مذبوح على صدر غيره * يترجم عن ذى منطق وهو أبكم
تراه قصيرا كلما طال عمره * ويضحى بليغا وهو لا يتكلم

(وفيه أيضا) بصير بما يوحى اليه وماله * لسان ولا قلب ولا هو سامع
كأن ضمير القلب باح بسره * اليه اذا ما حركته الاصابع

(وفيه أيضا) وأصفر عار نحل السقم جسمه * يشق شمل الخطب وهو جموع
حمى الجيش مقطوما كما كان تحتمى * به الاسد فى الغابات وهو رضيع

(وفيه أيضا) وذى نحول راكع ساجد * أعمى بصير دمعه جارى
ملازم الخمس لأوقاتها * مجتهد فى طاعة البارى

(فى مرملة) معشوقة لذوات العز قد صنعت * حزينة ما تراها قط تبتسم
كأنها من صروف الدهر خائفة * تبكى دما على ما سطر القلم

(فى كتاب) وذى أوجه لكنه غير بائح * بسر وذو الوجهين للسر يظهر
تناجيك بالاسرار أسرار وجهه * فتسمعها بالعين ما دمت تبصر

واعلم ان اختلفت عليك بانه
ما فى وقوفك ساعة من باس
(وضمنه أبو جعفر الاندلسى فقال)
وموردا لوجنات دب عذاره
فكأنه خط على قرطاس
لما رأيت عذاره مستعجلا
قد رام يخفى الورد منه بآس
ناديته قف كى أودع ورده
ما فى وقوفك ساعة من باس
(ومن البديع ما يحكى) ان الشيخ ابن كثير صاحب التاريخ كان له صفة على باب داره يجلس ويطالع فيها استئناسا بالمارة لسآمة الوحدة وكان الى جواره جار له رث الثياب وكان اذا رأى الشيخ جالسا على الصفة يجيء ويركب أكافه فتفوح له رائحة فيتأذى منها ويستحى أن يصرفه فاشتد غيظه يوما فقال له ياشيخ أما تستحى كلما ترانى جالسا تجيء تركب أكتافى وأنت لست تعرف ما أطالعه ولا لك شعور به فلما أخجله بهذا التعنيف قال له ياسيدى الشيخ ما هذا الذى تطالع فيه من العلوم فقال شئ فى الاقتباس فقال له أنشدنى منه شيأ فافكر ابن كثير ساعة واقتبس فى مطالعة الحال وقال
كيد حسودى وهنا
ولى سرور وهنا
الحمد لله الذى * أذهب عنا الحزنا
فلما فرغ من انشاده قال له هذا الذى أفكرت فيه وتتكثر به أسمع ما أقول فانشد ارتجالا من غير وقفة
قلبى الى الرشد يسير
وعنده النظم يسير
الحمد لله الذى * فضلنا على كثير
فقام الشيخ له اجلالا وأجلسه واعتذر له وقال له اياك أن تزدرى باحد فان مواهب الله تعالى فى الصدور لا فى الثياب اه (ومن اللطائف ما حكى) أن بعض الملوك حاصر ملكا وأطال فى حصاره فلما

﴿في سلطان حسن لابن أبي حجلة﴾

ما اسم محبب للقلوب لأنه * حسن الحروف يجود بالاحسان * تصحيفه أمسى حبيبا كلما
صحفت أحرفه بحسن بيان * لو جادلي يوما برؤية وجهه * نلت المراد وعشت بالسلطان

(في شبابة) وما صفراء شاجية ولكن * تزينها النضارة والشباب
مكتمة وليس لها بنان * منقبة وليس لها نقاب * تصيح لها اذا اقبلت فاها
أحاديث تلذ وتستطاب * ويحلو المدح والتشبيب فيها * وليست لاسعاد ولا الرباب

(وفيها أيضا) ومقروحة الاجفان مثلى شجية * تناءت عن الاهلين أسقمها البعد
تزوجها عشرو ذاك محرم * ولا حرج كلا ولا وجب الحد
اذا ما وطيها القوم تصرخ صرخة * يلين اليها القلب لو أنه صلد

(وفيها أيضا) منقبة مهما خلت مع محبها * يزودها الشماو ينظرها شزورا
وتصحيفها في كف حاملها فقل * اذا شئت في اليمنى وان شئت في اليسرى

(في دملج) الى النساء يلتجى * وعندهن يوجد * الجسم منه فضة * والقلب منه جلد

(في خلخال) أيا عجبا من صابر صامت ولم * يفه بكلام قط في ساعة الضرب
أقام ولم يبرح مكانا ثوى به * على أنه أضحى يدور على الكعب

(في شعر اللحية) وذى عدد كالرمل سام محله * جميل على كل الملاح له حق
يحاذر من موسى ويرهب باسمه * وفي قلب هرون له الهلك والمحق

(في التين) أى شئ لذ طعما * ناعم اللمس ولين * كيف لا يبدو وضوحا * وهو في التصحيف بين

(في الموز) ما اسم لشئ حسن شكله * تلقاه عند الناس موزونا
تراه معدودا فان زدته * واوا ونونا صار موزونا

(في حمزة) من لى بمعتدل القوام مهفهف * أزرى بغصن البان لينة قده
في فيه تصحيف اسمه وبخده * وبقلب عاشقه لشدة صده

(وفيه أيضا) اسم الذى أنا أهواه وأعشقه * وطول دهرى أخشى من تجنيه
تصحيفه في فؤادى دائما أبدا * يبدو وفي خده أيضا وفي فيه

(في ساقية) وجارية لولا الحوافر ماجرت * أشاهدها تجرى وليس لها رجل
وترضع أطفالا ولا هى أمهم * وليس لها ثدى وليس لها بعل

(وفيها أيضا) وجارية تبكى اذا الليل جنها * بلا ألم فيها ولا ضرب ضارب
عليها رجال شنقوا بعد حرقهم * وما كان شنق القوم الا بواجب

(في زر وعروة) وما أخت يجامعها أخوها * وليس عليهما فيه جناح
ترى بجوازه الحكام طرا * وفي أعناقهم ذاك النكاح

(في راوية) وسوداء تشرب من رأسها * وان شئت تسقيك من فرديد
ولون لها مثل لون اختها * وثنتاهما واحد في العدد
وتحبل في الوقت هى واختها * وفي ساعة يضعان الولد

(في شطرنج) ياذا النهى ما اسم له حالة * يحار فيها الذهن والفكر
له حروف خمسة اغا * ثلاثة منها له شطر

(في فيل) أى ما اسم تركيبه من ثلاث * وهو ذو أربع تعالى الاله
حيوان والقلب منه نبات * لم يكن عند جوعه يرعاه
فيك تصحيفه ولكن اذا ما * رمت عكسا يكون لى ثلثاه

(في بجع) ما طائر في قلبه * يلوح للناس عجب منقاره في بطنه * والعين منه في الذنب

(في نار) وما اسم ثلاثى به النفع والضرر * له طلعة تغنى عن الشمس والقمر

اشتدت به المحاصرة استدعى بوزرائه فقال ماترون وقد تأخرت بنا هذه الحال هل نسلمه أم نخرج عليه ليلا ويفعل الله بنا مايشاء فقال بعض وزرائه قد بدالى رأى أرى انهم ينصرفون به عنا من غير قتال فقال ماهو قال يجمع مولاى مافي خزائنه من الذهب ويحضره فلما أحضره استدعى بالصياغ وأمرهم ان يصوغوه جميعه سهاما زنة كل سهم قدر معلوم فعملت على الأمر المذكور فكتب الوزير على كل نصل سطرين ثم أمر أن تركب السهام فلما ركبت أمر بحاشية الاثبات يأخذ كل واحد سهما وأمرهم أن يرموها عن قوس واحد على العسكر المحتاط بهم فتلألأ لمعان نصالها حتى أدهش العيون فأمر الملك أن تجمع فلما جمعت بين يديه أمر أن يقرأ ما عليها فاذا هو مكتوب

ومن جوده يرمى العفاة بأسهم
من الذهب الابريز صيغت نصولها
لينفقها المجروح في دوائه
ويشترى الاكفان منها قتيلها

فلما سمع ذلك أمر بالرحيل من ساعته وقال مثل هذا لا يحاصر ولا يقاتل (ومن ذلك ما يحكى) ان الشيخ شمس الدين المعروف بالدجوى رحمه الله تعالى كان يتعشق مليحا فرآه بعد مدة وهو يتوجع من دمل طلعت في دبره فسأله فقال دمل في ذلك المحل فضحك الشيخ ضحكا شديدا وقال مارأيت أعجب من هذا الدمل فقال له الشاب ولم قال الدمامل تطلع في أضيق المواضع وهذا على غير القياس جاء في أوسع المواضع فتبسم الشاب خجلا ومضى انتهى (لطيفة) يحكى أن نقيب الاشراف ببغداد كان يهوى غلاما اسمه صدقة فاخذه ابن المنير الطرابلسي يوما وأضافه وجلس في طبقة له

وليس له وجـه وليس له قفا * وليس له سمع وليس له بصر * عدلسانا يختشى الرمح بأسه
ويهزأ يوم الضرب بالصارم الذكر * يموت اذا ماقت تسقيه عامدا * ويأكل ما يلقى من النبت والشجر
فيا قارئ الأبيات دونك شرحها * والا فنم عنها ونبه الشاعر

(وفيها أيضا) وآكلة بغير فم وبطن * لها الأشجار والحيوان قوت
اذا أطعمتها انتعشت وعاشت * وان أسقيتها ماء تموت

(في يد الهاون) قل لي فما شيء يرى ناعما * منتصب القامة طول الزمان
أطول من شبر له حزة * مفيشل الرأس قوي الجنان
يسمع في القعر له رنة * ويظهر الصفق بأعلى مكان

(وفيه أيضا) خبروني أي شيء * أوسع ما فيه فمه * وابنه في بطنه
يرفسه ويلكمه * وقد علا صياحه * ولم يجد من يرحمه

(في خشخاش) وما قبة مبنية فوق شاهق * لها علم يحكي الملاحة بالظرف
وأولادها في بطنها في جماعة * يكونون ألفا أو يزيدون عن ألف
ويأخذها الطفل الصغير بجهله * ويقلبها عسفا على راحة الكف

(في كوز زير) وذي أذن بلا سمع * له قلب بلا لب
اذا استولى على صب * فقل ما شئت في الصب

(في اسم علي) اسم الذي أعشقه * أوله في ناظره ان فاتني أوله * فان لي في آخره

(في موسى للصفدي) وماشئ له حد وخد * يسكام من يلامسه بحلقه
وكل حلقه من تحت رأس * وهذا الرأس صارت تحت حلقه

(في حلب لابن الفارض رحمه الله تعالى)

مابلدة بالشام قلب اسمها * تصحيفه أخرى بأرض العجم
وثلثه ان زال من قلبه * وجدته طيرا شجي النغم

(وقال في سمرقند) وما اسم سداسي اذا ما محنته * ترى فيه أجزاء تذم وتشكر
له ثلث يأتي به الموت فجاءة * وثلث مع الكتاب يطوى وينشر * وثلث رعاك الله ياصاحبي له
على مدد الأيام نشر معطر * وفي نصفه لما تحرك بعضه * حديث شهي في الليالي يذكر
وفي نصفه الثاني اذا ما أعدته * الى النار للتحليل والعقد سكر
ففسر لنا ذا اللغز ان كنت ذاحجى * فليس على ذي العقل لغز معسر

(وقال في كمون) يا أيها العطار أعرب لنا * عن اسم شيء قل في سومك
تراه بالعينين في يقظة * كما ترى بالقلب في نومك

(وقال في قالب الطوب)

وما آكل في قعدة ألف لقمة * ولقمته أضعاف أضعاف وزنه
اذا نزل المأكول جنبيه لم يقم * سوى لحظة أو لحظتين ببطنه

(في العين) وباسطة بلا عصب جناحا * وتسبق ما يطير ولا تطير
اذا ألقمتها الحجر اطمأنت * وتجزع أن يباشرها الحرير

ويكفي من ذلك ما أشرت اليه وما نبهت من هذا الفن عليه وقد مضى القول من الفنون السبعة على فن الشعر القريض وما فيه من الفنون المتقدم ذكرها (ولنذكر) ان شاء الله تعالى بقية الفنون السبعة على وجه الاختصار والفنون السبعة المذكورة عند الناس هي الشعر القريض والموشح والدوبيت والزجل والمواليات والكان وكان والقوما ومنهم من جعل الحماق من السبعة وفي ذلك اختلاف وعند جميع المحققين أن هذه الفنون السبعة منها ثلاثة معربة أبدا لا يغتفر اللحن فيها وهي الشعر القريض والموشح والدوبيت ومنها ثلاثة ملحونة أبدا وهي الزجل والكان وكان والقوما ومنها واحد وهو البرزخ بينهما يحتمل الاعراب واللحن وهو المواليا

فذهب اليهم على خفية وقال
يامن هم في الطبقه
هل عندكم من شفقه
لسائل متيم * يطلب منكم صدقه
فأجابه ابن المنير ارتجالا في الحال بقوله
يامن أتانا سرقه * بمهجة محترقه
جدك يا ذالعجز * أخذك منا صدقه
فخجل الشريف وذهب انتهى
(ومن المستعذب ما يحكى عن الفضل) قال دخلت على الرشيد وبين يديه طبق ورد وعنده جارية مارية وكانت تحسن الشعر والادب مع الحسن والجمال فقال يافضل قل في هذا الورد فأنشدته بديها
كأنه فم محبوب يقبله
فم الحبيب وقد أبدى به خجلا
فقال الرشيد ماتقولين يامارية فأنشدته
كأنه لون خدي حين تدفعني
كف الرشيد لأمر يوجب الغسلا
فقال الرشيد قم يافضل فقد هيجتني هذه الماجنة فقمت وقد أرخيت الستور اه (ومن الغايات التي لاتدرك) ما حكاه الشريف المقري في شرح بديعته ان صائغا نصرانيا اسمه نجم صاغ خاتما لبعض أولاد وزراء بيت المقدس وكان اسمه يحيى فنقش عليه نجم عشق يحيى ودفعه له فلما قرأه طاش عقله وامتلأ غيظا وذهب الى أبيه وقال له اقرأ ما على هذا الخاتم فلما قرأه حصل في نفسه تأثير فأرسل خلفه وعقد مجلسا لدى القاضي وأراد قتله فلما حضر أعلم بذلك فقال ماذنبي وأنتم تروون عن نبيكم من قتل ذميا كنت خصمه يوم القيامة فقيل له أوتتكلم وخطك يشهد عليك كيف تكتب نجم عشق يحيى فقال والله ما كتبت الا ماتتبركون به في كتابكم فكتبت نجم عسق يحيى فطرب المجلس لذلك واستحسنوا ذكاءه وأشاروا عليه بالاسلام فهذا من الاتفاق العجيب اه

وقيل لا يكون البيت منه بعض ألفاظه معربة وبعضها ملحونة فان هذا من أقبح العيوب التي لا تجوز وانما يكون المعرب منه نوعا منفردا ويكون الملحون فيه ملحونا لا يدخله الاعراب وقد أوضح قاعدة الجميع وأمثلتها صفي الدين أبو المحاسن الحلي في ديوانه وسماه بالعاطل الحالي والمرخص الغالي ولو بسطت المقال لاتسع المجال وكثر القال ولكن الاختصار يذهب الأوجال والحمد لله رب العالمين على كل حال

﴿فصل في بيان الفن الثاني وهو الموشح﴾

(لابن المبارك) قد أنحل الجسم أسمر أكحل * وأوحل القلب فيه مدخل

(دور) أميل له فلا يميل * يحول عنه لا أحول * أقول اذا زاد بي النحول
أما حل عقد الصدود يحل * ويرحل عن نجم المرحل

(دور) كم أبعد وكم أبيت مكمد * ويعمد بهجره لا فقد * وأجهد لا رتصاد من قد
تحمل والحاسدون رحل * تحمل والوعد منه ماحل

(دور) متوج بالحسن هذا الأبلج * مدبج عذاره البنفسج * مفلج وطرفه ذا الأدعج
مكحل وثغره محلل * مخلل بعنبر معجل

(دور) يرغمي من يستحل ظلمي * ويرمي بهجره لسلمي * وجسمي من التزام سقمي
منحل وقد غدا مرحل * فمن حل سفك دمي وماحل

(دور) قلاني واشتط ذا الفلاني * غزاني بطرفه اليماني * تراني أنشد لمن يراني
قد أنحل الجسم أسمر أكحل * وأوحل القلب فيه مدخل

(لابن سناء الملك) كللي يا سحب تيجان الربا بالحلى * واجعلي سوارك منعطف الجدول

(دور) يا سمائي في الأرض نجوم وما * كلما أخفيت نجما أظهرت أنجما
وهي ما تهطل الا بالطلى والدما
فاهطلي على قطوف الكرم كي تمتلي * وانقلي للدن طعم الشهد والقرنفل

(دور) تنقد كالكوكب الدري للرتصد * يعتقد فيها المجوسي عما يعتقد
فاتئد يا ساقي الراح بها واعتمد
واملي حتى ترى أني عنك في معزل * قل فالراح كالعشق ان يزد يقتل

(دور) لا أليم في شرب صهباء وفي عشق ريم * فالنعيم عيش جديد ومدام قديم
لا أهيم الا بهذين فقم يا نديم
واجل لي منا كؤس صيرت من فوفل * ألذ لي من نكهة العنبر والمندل

(دور) خذ هني واعطني كاسي مثل كاسك هني * واسقني على رضاب الفطن الملسن
والهني ببعض ماصيغ من الألسن
لو تلي مدح سناه مغرشا أكحل * لذلي على سنا الصهباء والسلسل

(دور) أزهرت ليلتنا بالوصل مذ أسفرت * أ مدرت بزورة المحبوب اذ بشرت
أخرت فقلت للظلماء مذ قصرت
طولي يا ليلة الوصل ولا تنجلي * واسبلي سترك فالمحبوب في منزلي

(دور) من ظلم في دولة الحسن اذا ما حكم * فالالم يجول في باطنه والندم
والقلم يكتب فيه عن لسان الامم
من لي في دولة الحسن ولم يعدل * يعزى لألحاظ الرشا الأكحل

(وله أيضا) ترى هل يشتفي منك الغليل * ويشفي من صبابته العليل

(دور) لقد أسرفت في هجري وصدي * بلا سبب سوى كلفي ووجدي * وماذا في سلوعنك بجدي
خضاب الوجد ليس له نصول * وأسياف الهوى فينا تصول

(دور) لئن شحيت عني بالسلام * وطيفك قد جفا جفا المنام * فقد جادت بأربعة سجام

جفوني

(ومثل ذلك) قول أبي نواس يهجو خالصة جارية الرشيد

لقد ضاع شعري على بابكم * كما ضاع در على خالصه

فلما بلغ الرشيد أنكر عليه وهدده فقال لم أقل الا ضاء فاستحسن مواربته وقال بعض من حضر هذا البيت قلعت عينه فابصر اه

(حكي) عن أبي العيناء أنه قال رأيت جارية مع النخاس وهي تحلف أن لا ترجع لمولاها فسألتها عن ذلك فقالت يا سيدي انه يواقعني من قيام ويصلي من قعود ويشتمني باعراب ويلحن في القرآن ويصوم الخميس والاثنين ويفطر رمضان ويصلي الضحى ويترك الفرض فقلت لا أكثر الله مثله في المسلمين اه

(وقيل) زنى رجل بجارية فأحبلها فقيل له يا عدو الله هلا اذا ابتليت بفاحشة عزلت قال قد بلغني أن العزل مكروه فقالوا انما بلغك أن الزنا حرام (وقيل) لاعرابي كان يتعشق قينة ما يضرك لو اشتريتها ببعض ما تنفق عليها قال فمن لي اذا ذاك بلذة الجلسة ولقاء المسارقة وانتظار الموعد (وحكي) أن علية بنت المهدي كانت تهوى غلاما خادما اسمه طل فحلف الرشيد أن لا تكلمه ولا تذكره في شعرها فاطلع الرشيد يوما عليها وهي تقرأ في سورة البقرة فان لم يصبها وابل فالذي نهى عنه أمير المؤمنين (قيل) دخلت امرأة على هرون الرشيد وعنده جماعة من وجوه أصحابه فقالت يا أمير المؤمنين أقر الله عينك وفرحك بما آتاك وأتم سعدك لقد حكمت فقسطت فقال لها من تكونين أيتها المرأة فقالت من آل برمك ممن قتلت رجالهم وأخذت أموالهم وسلبت نوالهم فقال أما الرجال فقد مضى فيهم أمر الله ونفذ فيهم قدره وأما المال فمردود اليك ثم التفت الى الحاضرين من أصحابه فقال أتدرون ما قالت

جفون بالبكا كادت تحول * على خد أشف به النحول

(دور) لقد أرسلت فى طى النسيم * حديث هوى عن الوجد القديم * فعادت وهى عاطرة الشميم

تخبر أن ظعنهم نزول * بدار لا يلم بها نزيل

(دور) تلقته الموالى والموالى * بألحاظ وزرق من نصال * وأعطاف وسمر من عوالى

فكم بطل هنالك وكم قبيل * بسيف من لواحظه قتيل

(وله أيضا) شمس المحيا أم القمر * أم بارق الثغر بابتسم أم البها حفه الخفر * بطرز خديك مستطر

(سلسلة) قم تباها عما تباها ولا تلاها

(قفلة) فكل أحبابنا حضر * والعود يشجيك والوتر

(الدور) أفديك بالسمع والبصر * يا اهيف وصله وطرى

بدر بدا فى دجى الشعر * قد لذ فى حبه سهرى

(سلسلة) اذا تجلى وقد تحلى عليك يجلى

(قفلة) تحير فى وصفه الفكر * والعقل والسمع والنظر

(الدور) فهاك حدث عن الطرب * وعن سلاف ابنة العنب

اذا سقاها مع الضرب * بدر بأفق الجمال ربى

(سلسلة) فى ظل بان على المثانى من غير ثانى

(قفلة) الا الندامى اذا سكروا * والروض والماء والشجر

(وقال رحمه الله تعالى)

وانسيم السحر هل لك خبر * عن عريب هم بالمنحنى * فارقونى ولم أقض الوطر

من لقاهم ولا نلت المنى * قلت يا قلب صبرا ما صبر * والنبى ما الهوى الا عنا

ما كتمت الهوى الا ظهر * من شهود المدامع والضنى

(دور) ليش تمنع وصالك يا حبيب * عن محبك ولا يعشق سواك

راقب الله وارجع من قريب * قبل يبلى جسمه فى هواك * لست ألقى لدائى من طبيب

غير رشفى حبيبى من لماك * لو رأى حالى العاذل عذر * حينما ينظر جمالك والسنا

(دور) يا قمر فوق غصن من نقا * أمحنتنا مطالك والصدود * يا راعى الله لو يلات اللقا

ليتها يا أجل يومالى تعود * ليلة السعد ما فيها اشقا * كيف تشقى وطالعها سعود

صفوها الا عازجه كدر * بالمسرات وأوقات الهنا

(غيره) حملت مذ سارت الحمول * وجدا مضى العمر وهو باقى

(دور) ساروا وسار الفؤاد لسكن * جسمى مقيم على المساكن * وعنى الحب صار ظاعن

مالى الى وصله وصول * لو سرت بالبرق والبراق

(دور) وغادة كالقضيب قدا * والورد والياسمين خدا * كأنها البدر اذ تبدى

وشعرها أسود طويل * كأنه ليلة الفراق

(دور) هونا أتتنا تميل ميلا * سحابة كالسحاب ذيلا * فقلت شمس تزور ليلا

ومادرى كاشح عذول * فذاك من أعجب اتفاق

(دور) وسدتها ساعدى لسعدى * وبت أرعى رياض ورد * وخمر ريق كذوب شهد

لو ذاقها مدنف عليل * لعاش والروح فى التراقى

(دور) لما رأتنى أذوب سقما * ومن ورود الرضاب أظما * قالت كلمت الخدود لثما

مايشتفى منك ذا الغليل * بغير لومى وشيل ساقى

(فصل فى الفن الثالث وهو الدوبيت)

(لسيدى شرف الدين بن الفارض رحمه الله تعالى)

المرأة فقالوا ما نراها قالت الاخرى قال ما أظنكم فهمتم ذلك أما قولها أقر الله عينك أى أسكنها عن الحركة واذا أسكنت العين عن الحركة عميت وأما قولها وفرحك بما آتاك فأخذته من قوله تعالى حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة وأما قولها وأتم الله سعدك فأخذته من قول الشاعر

اذا تم أمر بدا نقصه
ترقب زوالا اذا قيل تم

وأما قولها لقد حكمت فقسطت فأخذته من قوله تعالى وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا فتعجبوا من ذلك (وحكى) أن المأمون ولى عاملا على بلاد وكان يعرف منه الجور فى حكمه فارسل اليه رجلا من أرباب دولته ليمتحنه فلما قدم عليه أظهر له أنه قدم فى تجارة فى نفسه ولم يعلمه أن أمير المؤمنين عنده علم منه فأكرم نزله وأحسن اليه وسأله أن يكتب كتابا الى أمير المؤمنين المأمون يشكر سيرته عنده ليزداد فيه أمير المؤمنين رغبة فكتب كتابا فيه بعد الثناء على أمير المؤمنين أما بعد فقد قدمنا على فلان فوجدناه آخذا بالعزم عاملا بالحزم قد عدل بين رعيته وساوى فى أقضيته أغنى القاصد وأرضى الوارد وأنزلهم منه منازل الاولاد وأذهب ما بينهم من الضغائن والاحقاد وعمر منهم المساجد الداثرة وأفرغهم من عمل الدنيا وشغلهم بعمل الآخرة يعنى أن الكل صاروا فقراء لا يملكون شيأ من الدنيا يريدون النظر الى وجه أمير المؤمنين أى ليشكو حالهم وما نزل بهم فلما جاء الكتاب الى المأمون عزله عنهم لوقته وولى عليهم غيره (وحكى) أن بعض الملوك طلع يوما الى أعلى قصره يتفرج فلاحت منه التفاتة فرأى امرأة على سطح دار الى جانب قصره لم ير الراؤن أحسن منها فالتفت الى

أهوى قراله المعانى رق * من صبح جبينه أضاء الشرق
تدرى بالله مايقول البرق * ما بين ثناياه و بينى فرق

(وقال أيضا) أهوى رشا كل الاسى لى بعثا * مذ عاينته تصبرى ما لبثا
ناديت وقد فكرت فى خلقته * سبحانك ما خلقت هذا عبثا

(وقال أيضا) عرج بطويلع فلى ثم هوى * واذكر خبر الغرام واسنده الى
واقصص قصصى عليهم وابك على * قل مات ولم يحظ من الوصل بشى

(وقال أيضا) روحى لك يازائر الليل فدا * يامؤنس وحدتى اذا الليل هدا
ان كان فراقنا مع الصبح بدا * لا أسفر بعد ذاك صبح أبدا

(وقال آخر) ياشمس ضحى جبينه وضاح * ساعات وصالك كلها أفراح
عشاقك لو فعلت ماشئت بهم * ماتوا كمدا و بالهوى ما باحوا

(وقال آخر) أهواه مهفهفا ثقيل الردف * كالبدر يجل حسنه عن وصف
ما أحسن واو صدغه حين بدت * يارب عسى تكون واو العطف

(وقال التلعفرى) قلبى ذهبت لبعدكم راحته * ما الصبر على بعادكم عادته
بنتم فرثى لما به شامته * لا كان فراقكم ولا ساعته

(وقال المنشد) احسانك طول الدهر لا أنساه * لا أذكر بعد خالقى الاهو
ان أبعدك الزمان عنى حسدا * مولاى خليفتى عليك الله

(وقال آخر) ان جئت ربا الحمى ولاحت نجد * فاذكروا لهى وما جناه البعد
قد كنت أقاسى الصد حتى رحلوا * ياليتهم عادوا وعاد الصد

﴿فصل فى الفن الرابع وهو الزجل﴾

(حمل للغبارى) قل لغزلان وادى مصر والشام يقصروا ذا النفار
لم اجعل حشاشتى مرعى وفؤادى قفار

(دور) مصر والشام فيها ملاح أقمار بالمحاسن تسود
ذا أبيض وذا أحمر وذا مليح أسمر لو عيون نجل سود وذا غزال صار يفوق على الغزلان ويصيد الاسود
وذا غصن بان أهيف قوام قدو قد الاغصان جهار وذا بدر الكمال قد ظهر فى الليل وذا شمس النهار

(دور) تدر بالله ايش قالت ملاح الشام بعد ذاك الصدود
قد سمينا بصحة الابدان واعتدال القدود وتخضب تفاحنا الاحمر فوق بياض الخدود
وأنتم ياعشاق لكم قلنا والحسود راح بنار أنتم التفاح وما نقصد منكم الا الخيار

(دور) وملاح مصر قالت احنا أصحاب الوجوه الملاح
والحلاوه وطيبة الاخلاق فى الخلائق مباح احنا أقمار واحنا بدور الليل وشموس الصباح
وفى الالفاظ والظرف والمعنى ليس لنا حد صار وورثنا الحسن من يوسف واكتسبنا الفخار

(دور) حسن حبى الفرار بى فرخه بدر فى السعد لاح
فرخ ناجب خرج من القشره فاق ملاح الملاح كلما أعمل على رضاه يفسد بجفاه الصلاح
ومن البيضة قد خرج نافر ردجفنى بنار وجفانى وخد بياض جسمى خلطوا بالصفار

(دور) وقع الطل خط بالابيض فى اخضرار الطروس
قم ياساقى على بساط زهرى تحت ظل الغروس هاتها شمس راح شمول قرقف بكر عذرا عروس
عروس لها صفو النسيم ولطف الما وابتهاج الثمار قد جلوها فى كاس زجاج أبيض فاكتسى باحمرار

(دور) خمر فيه سر لو جعل أشياف ردالاعمى بصير
اقطع القطف أسود يحاكى الليل شفق أحمر يصير ياترى ذا السر فى كرمه أو يكون فى العصير

بعض جواريه فقال لها من هذه فقالت يامولاى هذه زوجة غلامك فيروز قال فنزل الملك وقد خامره حبها وشغف بها فاستدعى بفيروز وقال له خذ هذا الكتاب وامض به الى البلد الفلانية وائتنى بالجواب فأخذ فيروز الكتاب وتوجه الى منزله فوضع الكتاب تحت رأسه فلما أصبح ودع أهله وسار طالبا لحاجة الملك ولم يعلم بما قد دبره الملك فانه لما توجه فيروز قام مسرعا وتوجه مختفيا الى دار فيروز فقرع الباب قرعا خفيفا فقالت امرأة فيروز من بالباب قال أنا الملك سيد زوجك ففتحت له فدخل وجلس فقالت له أرى مولانا اليوم عندنا فقال جئت زائرا فقالت أعوذ بالله من هذه الزيارة وما أظن فيها خيرا فقال لها ويحك اننى أنا الملك سيد زوجك وما أظنك عرفتنى فقالت يامولاى لقد علمت أنك الملك ولكن سبقتك الاوائل فى قولهم

سأترك ماءكم من غير ورد
وذاك لكثرة الوراد فيه
اذا سقط الذباب على طعام
رفعت يدى ونفسى تشتهيه
وتجتنب الاسود ورود ماء
اذا كان الكلاب ولغن فيه
ويرتجع الكريم خميص بطن
ولا يرضى مساهمة السفيه

وما أحسن يامولاى قول الشاعر

قل للذى شفه الغرام بنا
وصاحب الغدر غير مصحوب
والله لا قال قائل أبدا
قد أكل الليث فضلة الذيب

ثم قالت أيها الملك تأتى الى موضع شرب كلبك تشرب منه فاستحى الملك من كلامها وخرج وتركها فنسى نعله فى الدار هذا ما كان من الملك وأما فيروز فانه لما خرج وسار تفقد الكتاب فلم يجده معه فى رأسه فتذكر أنه نسيه تحت فراشه فرجع الى داره فوافق وصوله عقب

وترى النور داعليه يلمع ذالك من ايش استتار وكذا الكاس يحاكى ياسمير من كساه جلنار

(دور) فهو عطار عندو شراب هندى وبرانى جفاه

كل من مص من لسانو ريقو يلتقى فيه شفاه ورد خدو وحبتو سواد شبه خال فى صفاه

حبل آس عارضو أسر قلبى والكبار والصغار فى المحبا غار واعلى حسنو. وكل من حب غار

(دور) دوّروني الملاح على كعبى ونصوا نصوص

بلادعوى التف لف اليسر فى هواهم خصوص وعليا صار نقشهم قاعد مثل نقش الفصوص

والبساط انطوى وحين مار أوا خاف له همو لو اسطبار قمرونى فى عشق هذا القمر والمحبه قمار

(دور) لحبيبى ثغر من جوهر والشفيفات عقيق

وعوارض ماضرهم عارض غير نبات الشقيق وخدود وورد من غير غش ووصفنا عن حقيق

يحرس الورد خال عنبر تحت أهداب غزار فى صفاوجهو أنزه طرفى عند خلع العذار

(دور) فى رياض صفوف من الازهار قابلتها صفوف

كيف لاترقص والنسيم بها موصول وورقها دفوف واعجب من النهر اذا صفق لومن الموج كفوف

والنيوم نقطت وحين جا النسيم طار أعلى مطار باختلاف الالحان بحرفى الروض صاح على عود وطار

(دور) أشرف الخلق بين الاسلام والهدى والضلال

والشرايع والحق والباطل والحرام والحلال نبى من بين أصابعه تحقيق نبع الماء الزلال

ولو أن النبات جميعه أقلام والمداد البحار والخلائق تكتب مديحو تاه كل كاتب وحار

(دور) خلف استاذ فى الفن ماينطاق ذاق عداه المنون

مايعيبو فى الفن غير ناقص عقل زايد جنون شيخ مصدر لبيب قيم فى جميع الفنون

باتضاع مع الصغار مرفوع فوق رؤس الكبار وأهل الفنون تجرى وماتلحق للغبارى غبار

(غيره لناصر الغيطى)

كنز روضى طالبو يسعد ياخليع قم فى دجى الاسحار تلتقى در الندى يرهج فوق فصوص غرائب النوار

(دور) كنز روضى نزهة الطالب جوهرو بين الندى يرهج

ولجين الماء بيتكسر ياخليع هيا تعا اتفرج بين عنابر تلتقى الخلع كل أحد مع الفويدرج

وامش فى عرض الرياض وارتع بين أغصان وماوا طيار فوق بساط زمرد وقضبان كل ورده حكت لنا دينار

(دور) وترى الياسمين بحال فضه ضربت لاهل النزه صلبان

والشحارير لابسين أسود وقلانس كنهم رهبان وكذا الكتان وهو اصفر بعمائم زرق للناس بان

وانجلت بين القسوس فى الحان وعلينا دارها الخمار والقطيع الراهى يحكى لشماس لابس الزنار

(دور) الفراق نار والوصال جنه والخلائق بعضهم يعشق

داحبيب قلبو عليه راضى ودا محبوبو عليه يشفق ولهيب الهجر يتوقد والوصال من الملاح يشتق

والمليح عندى وأنا مطمن وسط روضا زهرها معطار فى نعيم مع حور ومع ولدان والعذول مسكين صبح فى نار

(دور) وعمل فى الروض سماع باكر بين الاغصان والزهور أنغام

والنسيم شبب والغدير صفق والخليع من كثر وجدو هام والنخيل باكمامها ترقص واقبل الريحان بحال أعجام

والعصافير شيخهم زيق لوطر يق بين الازاهر طار والبلبل بالغنا يشجى فكانو ناى أومزمار

(دور ناصر الغيطى) ياأخلايا صحبت انسان أنكر الصحبه وعادانى

وبغضنى حين بقيت مسمى والاله بالفضل أسمانى فى بلاد قبلى وأرض الشام يشكر ونى سائر أقرانى

والشجيع الشاطر المذكور فى جميع الارض لو تذكار والبلط يوقع لو تعلق مايحصل شئ مع الشطار

(للغبارى) جار حبيبى فقلت ذا الحجاج جايجور أويزيد

لوعدل عشت بو مسرور ويكون الرشيد

(دور) اقلع القلب فى هوى العشاق والدموع فى انحدار

خروج الملك من داره فوجد ذعل الملك فى الدار فطاش عقله وعلم أن الملك لم يرسله فى هذه السفرة الا لأمر يفعله فسكت ولم يبد كلاما وأخذ الكتاب وسار الى حاجة الملك فقضاها ثم عاد اليه فأنعم عليه بمائة دينار فمضى فيروز الى زوجته فسلم عليها وقال لها قومى الى زيارة بيت أبيك قالت وماذاك قال ان الملك أنعم علينا وأريد أن تظهرى لاهلك ذلك قالت حبا وكرامة ثم قامت من ساعتها الى بيت أبيها ففرحوا بها وبماجاءت به معها فأقامت عند أهلها مدة أشهر فلم يذكرها زوجها ولا ألم بها فأتى اليه أخوها وقال له يافيروز اما أن تخبرنا بسبب غضبك واما أن تحاكمنا الى الملك فقال ان شئتم الحكم فافعلوا فما تركت لها على حقا فطلبوه الى الحكم فاتى معهم وكان القاضى اذذاك عند الملك جالسا الى جانبه فقال أخو الصبية أيد الله مولانا قاضى القضاة انى أجرت هذا الغلام بستانا سالم الحيطان ببئر ماء معين عامرة وأشجار مثمرة فأكل ثمره وهدم حيطانه وأخرب بئره فالتفت القاضى الى فيروز وقال له ماتقول ياغلام فقال فيروز أيها القاضى قد استلمت هذا البستان وسلمته اليه أحسن ما كان فقال القاضى هل سلم اليك البستان كما كان قال نعم ولكن أريد منه السبب لرده قال القاضى ماقولك قال والله يامولاى مارددت البستان كراهية فيه وانما جئت يوما من الأيام فوجدت فيه أثر الأسد فخفت أن يغتالنى فحرمت دخول البستان اكراما للاسد قال وكان الملك متكئا فاستوى جالسا وقال يافيروز ارجع الى بستانك آمنا مطمئنا فوالله ان الأسد دخل البستان ولم يؤثر فيه أثرا ولا التمس

وبحو رالهوى اذاهاجت ليس لها من قرار — كنت أحسب قلبي معو ريس غـرتودى البحار
صحت لما وحلت يامحبوب بحرعشـقك يزيد — خفت فيه الغرق فقال افرح من غرق مات شهيد
(دور) أنانوم فى الغبوق باتفرج — على شط الغدير
اذرأيت عالشط واحدواقف شب صياد صغير — نظرت مقلتى الى منظـــر ماالحسـنونظـير
قلت ياعين ان غرلك الصـــياد بالجمال المصيد — يوقعك فى فخاخ شباك عشقو وكرا كى يصيد
(دور) من نحبو جديد حبيب قلبي — يوم صدفتو صدف
قلت لـين ياقاسى لمن دمعو سال وحالو وقف — دار وقال لى ماالاسم بانحيـل قلت اسمى خلف
قال علينا يكتب ومن يسمع ذا الكلام يستفيد — فى الحقيقـة من لايكون داود مايلين لوالحـديد
(دور) لك عوارض فى الخدمرقومه — ليس لها من مثال
وجفالك صارحماق وباب وصلك كان وكان ياغزال — وأنت دو بيت موشح القاما ياعزيز الدلال
ولك ألفاظ صارت مـــواليا بالزجل والنشيد — و بشعرك متوج القاما وانت بيت القصيد
(دور) عن محرم شرابنا صمنا — ونفطـــر بالثمار
حين وجدناسفرجل البستان يذهب الاصفرار — وغنا الطـير به الجاديطـــرب وكذا الجلنار
فى ربيع حين رأى الثمرقاعد فيه تعاليق عقيد — حسب الروض النص من شعبان صار يقيد فيه وقيد
(دور) من لهيب مدمـعى جرى الطوفان — للهيب ماطفى
وانا هوالغبارى فى العشاق ماجرى لى كـفى — حين عليابالصـدوالهجران والبعادوالجفا
جارحبيبي فقلت ذا الحجاج جايجو راويزيد — لوعـدل عشت بومسرور ويكون الرشـيد
(غيره) حين سكنت القلب ياعيسى — أمسى من بعدك الحزين فرحان
وتقدس بك ولكنو — ماجرت فيه ياابن عين سـلوان
(دور) عارضو االعشق خدو — غرت من وجـدى بقيت حاير
جيت الى طرفو وناديت لوأحرسـو وكون عليه ناظر — بعد حين نظرت فى خدو النقى العارض وهوداير
وعليه قددب بالسرقة جيت اطرفو قلت ياكسلان — هكذافى عادة الحراس قال لى اعذرنى أنانعسان
(دور) بدرشـعبان منيتى لما — فى بروج السعدلاح نجمو
قلت لوقضى بفيض دمعى اطلقو واجراءعلى رسمو — قلت لودام الله اطلاقك فالحزين قلبوالمشوم قسمو
ايش قـدأذنب حـــين قطرتو — داءغلط قسول بالبهــتان
قال لى صوم عن الوصال ناديت — ايش أصوم يابدرفى شعبان
(دور) حين تدبج أحمرار خــــدو — باخضرار العارض أسبانى
ضحك فابيض وابتسم واسودادشعر وأبكانى وحين أضحيت باصفرارالونى أشعث أغبر فى هواءعانى
قال لى لونك قدصبح حايل وقدأبصرمدمعى طوفان ذقت تبريح الغرام ناديت فى هواك ذقت الهوان ألوان
(دور) قلت لوحين عنى تخاف — لله كن لى يارشيد مهدى
قدتلون دمعى من بعدك ويجرى اليوم على خدى — دارانسان مقلتى قال لو أنت ماعندك نظر بعدى
ماترى ماقدجرى منك على الخدود قال لو أيافتان — جرى الماءتحت من بعدك راقب الله فينا ياانسان
(دور) ذاالغزال النافرالانسى — للغزالة قدأعارالنور
كسرقلبي كسير جفنو فاعجبوا الكاسرالمكسور — وبخـــمرالدن قدعربد وادّعى انى أناالمخمور
وايتسم لى عن نقاثغرو وخطروالبشر فيابان — صحت ياقلبي صفاوردك أنت مابين النقاوالبان
(للصفى الحلى) أنت ياقبلة الكرام — زينة المال والبنين
الله يعطيك فوق ذا المقام — و يعيدك على السنين
(دور) أنت شامابين الأنام — الله يحرس شمايلك
ويزيدك بالدوام كى نعيش فى فواضلك — ماينطوى ذكرالكرام لماتنشرفضايلك

نفسه ورقاولاثمرا ولاشيأولم يلبث فيه غيرلحظة يسيرة وخرج من غير بأس ووالله ما رأيت مثل بستانك ولاأشداحترازا من حيطانه على شجره قال فرجع فيروزالى داره وردّزوجته ولم يعلم القاضى ولاغيره بشئ من ذلك اه (وحكى) ان الحجاج سأل يوما الغضبان بن القبعثرى عن مسائل يمتحنه فيها من جملتها أن قال له من أكرم الناس قال أفقههم فى الدين وأصدقهم لليمين وأبذلهم للمسلمين وأكرمهم للمهانين وأطعمهم للمساكين قال فمن ألأم الناس قال المعطى على الهوان المقتر على الاخوان الكثير الألوان قال فمن شرالناس قال أطولهم جفوة وأدومهم صبوة وأكثرهم خلوة وأشدهم قسوة قال فمن أشجع الناس قال أضربهم بالسيف وأقراهم للضيف وأتركهم للحيف قال فمن أجبن الناس قال المتأخرعن الصفوف المنقبض عن الزحوف المرتعش عند الوقوف المحب ظلال السقوف الكاره لضرب السيوف قال فمن أثقل الناس قال المتفنن فى الملام الضنين بالسلام المهذارفى الكلام المقبقب على الطعام قال فمن خيرالناس قال أكثرهم احسانا وأقومهم ميزانا وأدومهم غفرانا وأوسعهم ميدانا قال لله أبوك فكيف يعرف الرجل الغريب أحسيب هوأم غيرحسيب قال أصلح الله الأمير ان الرجل الحسيب يدلك أدبه وعقله وشمائله وعزة نفسه وكثرة احتماله وبشاشته وحسن مداراته على أصله فالعاقل البصير بالاحساب يعرف شمائله والنذل الجاهل يجهله فمثله كمثل الدرة اذا وقعت عند من لايعرفها ازدراها واذا نظر اليها العقلاء عرفوها وأكرموها فهى عندهم لمعرفتهم

ونهنيك لكل عام والخلائق تقول آمين قد بقينا بك فى أمان الله يحييك طول السنين

(دور) ما رأينا تحت ذا الفلك من ندى كفك أعم

كل من جا يسألك ليس تقول له سوى نعم أملك أنت أو ملك ضاعف الله لك النعم

أنت فى الجود كالغمام وسماك فوق ماردين درغيثك فى انسجام عم كل السائلين

(دور) لاعدمنا كل صوم ذا السحور فيك والهنا

كل ليلة وكل يوم ينشر الذكر والثنا الله يحييك من خير قوم بالغ القصد والمنى

(دور) حتى تقضى ذا الصيام و يليه باقى السنين وتعيش ياذا الهمام بين ولدان وعين

(غيره) خال عبد الرحيم نقطة حبر من غير قاف ولام وميم ثغر معشوقى الفتان نون وعين وميم

شال السعد فوق راسو عين ولام وميم داللى قد هواه قلبى صاد وبا ويا

مليح ما رأيت مثله ظا وبا ويا ما أحلاه عند ما يلبس قاف وبا ويا

ذقت من صدود حبى غين وصاد وصاد لما رأيت صبرى نون وقاف وصاد

النوم من جفون عينى خا ولام وصاد وأصبحت وجود فكرى عين ودال وميم

قلت يوم لمن كان لى سين ونون ودال اعدل فى الذى صبرو نون وفا ودال

ولا تهجر العشاق باو عين ودال ما أفلح قط ياناس من ظا ولام وميم

(حمل فى الألغاز)

(المطلع فى العين)

وما طير أكلوا الجر يا كرام * وجوهر حبله يفيد اهل الصلاح

ولابس الحرير يؤذيه وريش النعام * يدول بين جناحين سود كبيض الصفاح

(دور فى السراج) وما بحر ماهو ما وفى الليل يزيد * وينقص ولا هو خوض ولا هو غريق

وفيه شئ صفات حيه بلا وكر استفيد * لها جوهره فى فها يا رفيق

بلا شك ينظره القريب والبعيد * ويخفى ويظهر كل يوم عن حقيق

يغيب فى النهار لكن اذا جا الظلام * تشوفو يضى بين الوجوه الصباح

ويسهر بحال عاشق حليف الغرام * قتيل الهوى بين الربا والبطاح

(دور فى جوزة الكنافة)

وماهى التى تركب على ستين ألف * وما مثل ذاك فسر لنا ياخبير * مليحه قصيفه وتلبس ترف

وتحمل وتوضع كل يوم فى السعير * لها عشرة أعوان حالهم مختلف * يشيلوا أودها الكبير والصغير

لها الخل يخدمها عليه السلام * يحادى سراها فى المجى والرواح

وأكثر تعبها فى ليالى الصيام * وذا اللغز قلتو ومن غير مزاح

(دور فى الغربال)

وماهو الذى ياسعد كله عيون * ولا يعتلم ضوء الظلام والضيا

وهو بين خشب مصلوب لتلك الفتون * وميت وهو يحيى أصول الحيا

اذا غاب عن أهله فرد يوم مايهون * ولا احد يعوض موضعه لو عيا

وكم من رقيص فى صنعته باهتمام * مكابد عجاجه فى المسا والصباح

و يحتاج له الناس كل يوم فى الدوام * على شان فنونه دول فنون ملاح

(الفن الخامس فى المواليا وله وزن واحد وأربع قوافى) فن تلك الأربعة واحدة (لصفى الدين الحلى)

ياطاعن الخيل والابطال قد غارت * والخصب الربع والامواه قد غارت

هواطل السحب من كفيك قد غارت * والشهب مذ شاهدت أضواك قد غارت

(وقال أيضا) سل مقلتيك الكحايل عمن سلا سلها * وجر شفيك من رشف منها سلاسلها

وعارضيك التى مدت سلاسلها * كم من أسود ضوارى فى سلاسلها

به احسنة عظيمة فقال الحجاج لله أبوك فمن العاقل والجاهل قال أصلح الله الأمير العاقل الذى لا يتكلم هذرا ولا ينظر شزرا ولا يضمر غدرا ولا يطلب عذرا والجاهل هو المهذار فى كلامه المنان بطعامه الضنين بسلامه المتطاول على امامه الفاحش على غلامه قال لله أبوك فمن الحازم الكيس قال المقبل على شأنه التارك لما لا يعنيه قال فمن العاجز قال المعجب بآرائه الملتفت الى ورائه قال هل عندك من النساء خبر قال أصلح الله الأمير انى بشأنهن خبير ان شاء الله ان النساء من أمهات الأولاد بمنزلة الاضلاع ان عدلتها انكسرت ولهن جوهر لا يصلح الا على المداراة فمن داراهن انتفع بهن وقرت عينه ومن شاورهن كدرن عيشته وتكدرت عليه حياته وتنغصت لذاته فاكرمهن أعفهن وأفخر أحسابهن العفة فاذا زلن عنها فهن أنتن من الجيفة فقال له الحجاج ياغضبان انى موجهك الى ابن الأشعث وافدا فماذا أنت قائل له قال أصلح الله الأمير أقول ما يرديه و يؤذيه و يضنيه فقال انى أظنك لا تقول له ما قلت وكأنى بصوت خلاخلك تجلجل فى قصرى هذا قال كلا أصلح الله الأمير سأحدده له لسانى وأجريه فى ميدانى فعند ذلك أمره بالمسير الى كرمان فلما توجه الى ابن الأشعث وهو على كرمان بعث الحجاج عينا عليه أى جاسوسا وكان يفعل ذلك مع جميع رسله فلما قدم الغضبان على ابن الاشعث قال له ان الحجاج قد هم بخلعك وعزلك فخذ حذرك وتغده به قبل أن يتعشى بك فأخذ حذره عند ذلك ثم أمر للغضبان بجائزة سنية وخلع فاخرة فأخذها وانصرف راجعا فأتى الى رملة كرمان فى شدة الحر والقيظ وهى رملة

(وقال آخر) قد أوعدونا الغضا بأ آننا نخلو * في ظل بستان حافف بالثمر نخلو
والطل من فوقنا قد بلنا نخلو * ومن كلام الأعادي قط ما نخلو

(وقال آخر) قسماً بالله مفرقها وجامعها * ومن أمرنا بسجدها وجامعها
لو حل مع بغيتي عابد وجامعها * كان افتتن في محاسنها وجامعها

(ومن اثنين واثنين قال آخر)
قوم اسقني ما تبقى في أباريقو * أما ترى الصبح قد لاحت أباريقو
مع شادن كلما دارت شفاريقو * سقى المداما وان عزت سقى ريقو

(وقال) البارحة ريت بعيني في الدجاجين * اثنين مثل البدور في الدجى جبين
ناديتهم فمن كنتم يا خفاجيين * قالوا لمن قد وعدنا في الخفاجيين

(وقال) قد زدت هجرك جد بالعفو عن صبك * وارحم خضوعي وخف في قتلتي ربك
يكفيك تهجر تكدر قلب من حبك * ما ظن في الناس أقسى قلب من قلبك

(غيره خمري عاطل)
كاس الطلا الطلا الاهاطال الماشر * وصار لما حوى خمراً كال در
مدام لو طعم كاسه حاوما هو مر * ما حل مملوك الاصار مالك حر

(غيره حربي) للث يا امام الوفا في كل موقع حرب * سماع يطرب له السامع وينفي الكرب
هذا ولك كلما دارت رحاة الحرب * سيوف تغني وكفك لا يمل الضرب

(الصفي الحلي في المدح)
أغنت وأفنت كفوفك في الندى والحرب * في القرب والبعد من في شرقها والغرب
وفيض جودك وسيفك بالعطا والضرب * ذا الكرب فرج وهذا قد رمى في الكرب

(وقال أيضاً) من قال جودة كفوفك والحيا مثلين * أخطا القياس وفي قوله جمع ضدين
ما جدت الا وثغرك مبتسم يا زين * وذاك ما جاد الا وهو باكي العين

﴿وقال في التهنئة﴾
رأيت ذا العيد أول يوم في عصرك * ورأيت ذا اليوم مع ذا الشهر في نصرك
ورأيت ذا الشهر مع ذا العام طوع أمرك * والكل بالكل أول مبتدا عمرك

(في المعاتبة) عني تسليت وأسباف الجفا سليت * ومذ توليت عن طرق الوفا وليت
لما تمسليت بالاعمال لي مليت * اذا تخليت تعرف قدر من خليت

(وقال أيضاً) يا قلب ان غدروا فاغدر وان خانوا * نحن وان هم قسوا فاقسوا وان لانوا
فلن وان قربوا فاقرب وان بانوا * فين وكن لي معاهم كيفما كانوا

(وقال آخر) حلف علي باحكاره أن يقاطعني * وصدعني واقسم ما يطاوعني
كم ذا يصد وكم يرجع يصدعني * ان كنت أنا المطلق لا يراجعني

﴿وقال آخر هجواً﴾
قطع قفا ابن اخت خالك وابن اخو عمك * والحق يصفع أبو بنتك أو ابن امك
وان تكلمت تصفع بل يسيل دمك * وان كنت تسكت يبول الكلب في فمك

(وقال آخر) ان ردت تسلم بطول الدهر ما تبرح * لا تيأسن ولا تقنط ولا تفرح
واستعمل الصبر لا تحزن ولا تفرح * وان ضاق صدرك ففكر في ألم نشرح

(وقال آخر) ان كنت عاقل وربك بالتقى برك * ادفع أذاك وهات خيرك ودع شرك
وان تعدى حسودك والحسد ضرك * ناديه يا أيها الانسان ما غرك

(وقال آخر) يا قلب ان خانك المحبوب لا تدبر * عنوه عن قصة السلوان لا تخبر
واستعمل الصبر دائم للعدا تقهر * فان والله ما خاب الذي يصبر

شديدة الرمضاء فضرب قبته فيها وحط عن رواحله فبينما هو كذلك اذا بأعرابي من بني بكر بن وائل قد أقبل على بعير قاصداً نحوه وقد اشتد الحر وحميت الغزالة وقت الظهيرة وقد ظمئ ظمأ شديداً فقال السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال الغضبان هذه سنة وردها فريضة فاز قائلها وخسر تاركها ما حاجتك يا اعرابي قال أصابتني الرمضاء وشدة الحر والظمأ فتيممت قبتك أرجو بركتها قال الغضبان فهلا تيممت قبة أكبر من هذه وأعظم قال أيتهن تعني قال قبة الأمير ابن الأشعث قال تلك لا يوصل اليها قال ان هذه أمنع منها فقال الاعرابي ما اسمك يا عبد الله قال آخذ فقال وما تعطي قال أكره أن يكون لي اسمان قال بالله من أين أنت قال من الأرض قال فأين تريد قال أمشي في مناكبها فقال الاعرابي وهو يرفع رجلاً ويضع أخرى من شدة الحر أتقرض الشعر انما يقرض الشعر الفار فقال أفتسجع قال انما تسجع الحمامة فقال يا هذا ائذن لي أن أدخل قبتك قال خلفك أوسع لك فقال قد أحرقتني الشمس قال مالي عليها من سلطان فقال الرمضاء أحرقت قدمي قال بل عليها تبرد فقال اني لا أريد طعامك ولا شرابك قال لا تتعرض لما لا تصل اليه ولو تلفت روحك فقال الاعرابي سبحان الله قال نعم من قبل أن تطلع أضراسك فقال الاعرابي ما رأيت رجلاً أقسى منك أتيتك مستغيثاً فحرمتني وطردتني هلا أدخلتني قبتك وطارحتني القريض قال مالي بحديثك من حاجة فقال الاعرابي بالله ما اسمك ومن أنت فقال أنا الغضبان ابن القبعثري فقال اسمان منكران خلقا من غضب قال قف متوكئاً على باب قبتي

﴿الفن السادس كان وكان﴾ له وزن واحد وقافية واحدة ولكن الشطر الاول من البيت أطول من الثانى فنه هذه الوعظيات

ياقاسى القلب مالك تسمع وماعندك خبر ومن حرارة وعظى قدلانت الاحجار
أفنيت مالك وحالك فى كل مالاينفعك لينك على ذى الحاله تقلع عن الاصرار
تحضر ولكن قلبك غايب وذهنك مشتغل فكيف يامتخلف تحسب من الحضار
ويحك تنبه فتى وافهم مقالى واستمع ففى المجالس محاسن تحجب عن الابصار
يحمى دقائق فعالك وغمز لحظك يعلمه وكيف تعزب عنه غوامض الاسرار
تسلوت قولى ونصحى لمن تدبر واستمع مافى النصيحه فضيحه كلا ولاانكار

﴿وقال أيضا﴾

صرح بذكر المحبه مافى المعمى فائده وقل نعم أناعاشق صادق بلاتمويه
ودع حديث العواذل ليس الخبر مثل النظر أناعاشق الحبيب كل المعانى فيه
من أين للبدر حسن يحكيه أوشمس الضحى حاشا لذاك المحيا من مشبه يحكيه
ان غبت فهو أنيسى وان حضرت نديمى وان شربت مدامى فالكاس هوساقيه
فنه روحى وراحى اذاسكرت وراحتى وفيه عزى وذلى بمهجتى أفديه
قولوالمن يلحانى فى الحب قصر واعتبر هذا الذى قدعشقته قدحاز وصفى فيه

(الصفى الحلى)

شاهدت فى الليل طيرى وقت حتى انصب شرك ما كل صيد يحصل يفرح الصياد
طيرى الذى كان الفى لوردت مثله ماحصل وهو على معود وأناعليه معتاد
قدكان شرطى وخلقى لبرج غيرى ماعرف كاننا فى الصحبه جيناعلى ميعاد
من قبل ماأبصبص له يجى ويدخل قصورى وأناأرصده فى مطاره خائف عليه ينصاد

(وقال آخر)

ماذقت عمرى جرعه أمر من طعم الهوى الله يصبر قلبى على الذى يهواه
الناس تعلم منى حال الجلاده والقوى وماأطيق التجلد على أليم جفاه
لى حب مثل الخوخه لولون وطعم وريحه ماأكثر مغابن حبيبى وماأقبل وفاه
أناعرفته وحظى وكل ماأحسن لونسى لوكنت أعشق ظلى ما كنت قط أراه

(وله فى الفراقيات)

ياسادة هجرونى وهم نزول بخاطرى لاأوحش الله منكم فى سائر الأوقات
أوحشتم العين منى وأنستم فى خاطرى والقلب فى النور منكم والعين فى ظلمات
قدانتهى الصبر منى وما بقى فيارمق هيهات انى أحيا من بعدكم هيهات
لم يبق غير خيالى يلوح كالشبح الخفى أعد بين الاحيا وأنامع الأموات
ودعتمونى وسرتم والقلب يتبع ركبكم ايش ضرلوكان جسمى من جملة التبعات
مامر ماراًيت ضدى يقول لى من فرحته هناتشق المرائر وتسكب العبرات
لولم أسل روحى وأرض نفسى بالمنى لكان قلبى تقطع من بعدكم حسرات
وقفت لما رحلتم حيران بين أظعانكم أخفض جناح المذله وأرفع الاصوات
طول الليالى أساهر كنى أريد الكيميا أقطع الدمع منى وأصعد الزفرات
ماأطول ليالى جفاكم ساعاتها مثل السنه وماأقصر أيام وصلى كأنها ساعات
مالى أرى حسناتى بالسيآت تبدلت وسيآت الاعادى اتبدلت حسنات
خالفتمونى وعمرى مازلت أتبع أمركم كذا العبيد تتابع أوامر السادات
أسكت وأصبر عنكم ويفعل الله مايشا والدهر من عاداته يقلب الحالات

بجدالك هذه العوجاء فقال قطعها الله ان لم تكن خيرا من رجلك هذه الشنعاء فقال الغضبان لوكنت حاكما لجرت فى حكومتك لان رجلى فى الظل قاعدة ورجلك فى الرمضاء قائمة فقال الاعرابى انى لاظنك حروريا قال اللهم اجعلنى ممن يتحرى الخير ويريده فقال انى لأظن عنصرك فاسدا قال ماأقدرنى على اصلاحه فقال الاعرابى لاأرضاك الله ولاحياك ثم ولى وهو يقول

لابارك الله فى قوم تسودهم
انى أظنك والرحمن شيطانا
أتيت قبته أرجو ضيافته
فأظهر الشيخ ذوالقرنين حرمانا

فلما قدم الغضبان على الحجاج وقد بلغه الجاسوس ماجرى بينه وبين ابن الأشعث وبين الاعرابى قال له الحجاج ياغضبان كيف وجدت أرض كرمان قال أصلح الله الأمير أرضا يابسة الجيش بها ضعاف هزلاء ان كثروا جاعوا وان قلوا ضاعوا فقال له الحجاج ألست صاحب الكلمة التى بلغتنى انك قلتها لابن الأشعث تغد بالحجاج قبل أن يتعشى بك فوالله لاحبسنك عن الوساد ولانزلنك عن الجياد ولأشهرنك فى البلاد قال الأمان أيها الأمير فوالله ماضرت من قيلت فيه ولانفعت من قيلت له فقال له ألم أقل لك كأنى بصوت خلاخلك تجلجل فى قصرى هذا اذهبوا به الى السجن فذهبوا به فقيد وسجن فمكث ماشاء الله ثم ان الحجاج ابتنى الخضراء بواسط فأعجب بها فقال لمن حوله كيف ترون قبتى هذه وبناءها فقالوا أيها الأمير انها حصينة مباركة منيعة نضرة بهجة قليل عيبها كثير خيرها قال لم لم تخبرونى بنصح قالوا لايصفها لك الا الغضبان فبعث الى الغضبان فاحضره وقال له كيف ترى قبتى هذه وبناءها قال أصلح الله الأمير

(الفن السابع فن القوما) قيل أول من اخترعه ابن نقطة برسم الخليفة الناصر والصحيح أنه مخترع من قبله وكان الناصر يطرب له وكان لابن نقطة ولد صغير ماهر فى نظم القوما فلما مات أبوه أراد أن يعرف الخليفة بموت أبيه ليجريه على مفروضه فتعذر عليه ذلك فصبر الى دخول شهر رمضان ثم أخذ أتباع والده من المسحرين ووقف أول ليلة من الشهر تحت الطيارة وغنى القوما بصوت رقيق فأصغى الخليفة اليه وطرب له فكان أول ماقاله قوله

ياسيد السادات * لك بالكرم عادات أنا بنى ابن نقطة * تعيش أبويامات

فاعجب الخليفة منه هذا الاختصار فاستحضره وخلع عليه وفرض له ضعفى ما كان لابيه

(ومنها للصفى الحلى)

من كان يهوى البدور * ووصل بيض الخدور بالبيض والصفر يسخو * وقد جلس فى الصدور
من حب بيض الخدور * ورام لزيم الصدور يسمح والافيبـقى * من بينهم مهبدور
كم بين سجف الخدور * من عاشق مصدور يرعى الكواكب لعلو * يرى جمال البدور
بين الحلل والخدور * وجوه مثل البدور اشراقها فى المعاجز * وغربها فى الصدور
قد كنت فوق الصدور * بين الظبا والبدور فصرت أحسد من أبصر * خيامهم والخدور
نوائب المقـدور * مثل الكواكب تدور من بعد طيب الخواطر * يقضى بضيق الصدور
غيرى يلازم الصدور * وانا عليكم أدور وأصطلى الصدوانا * من بينهم مهدور

(وقال أيضا)

حال الهوى مجبور * يريد جلد صبور يصون سره والا * يبقى من اهل القبور
من كان هواه مستور * يحظى برفع الستور ومن هتك سرجبو * يمحى من الدستور
أبذل لبيض النحور * أموال مثل البحور ان ردت تالك وتظفر * ولدانهم والحور
قم فابذل المذخور * وفى العطا لاتجور تريد هذى المحبه * قلوب مثل الصخور
كم حول تلك الخدور * من عاشق مغدور مثل الدواليب تجرى * دموعها وتدور
من يركب المحذور * هو فى الهوى معذور يظفر بحبه و يبلغ * قصده ويوفى النذور
كن بالهوى مسرور * ولا تبيت مغرور واجعل تراب اعتابهم * لاجفان عينك ذرور
طرق المحبه وعور * كم بينها مذعور من فتك بيض السوالف * على سواد الشعور
كم عاشق مذعور * فى حب بيض الثغور يغار قلبه ولكن * مدامعه ماتغور
كم بينهم يعفور * كالظبى آنس نفور من أهل بدر فديته * ايش ماعمل مغفور

(ومن ذلك) ما نظمه بعضهم ليسحر بعض الخلفاء فى رمضان

لازال سعدك جديد * دائم وجدك سعيد ولابرحت مهنى * بكل صوم وعيد
فى الدهر أنت الفريد * وفى صفاتك وحيد والخلق شعر منقح * وأنت بيت القصيد
يامن جنابه شديد * ولطف رأيه سديد ومن يلاقى الشدائد * بقلب مثل الحديد
لازلت فى تأييد * فى الصوم والتعييد ولابرحت مهنى * بكل عام جديد
نحن لذكرك نشيد * بقولنا والنشيد ونبعث أوصاف مدحك * على خيول البريد
ظلك علينا مديد * مافوق جودك مزيد وكم غمرت بفضلك * قريبنا والبعيد
لازلت فى كل عيد * تحظى بجد سعيد عمرك طويل وقدرك * وافر وظلك مديد
لازال قدرك مجيد * وظل جودك مديد ولا برحت موقى * كما يوقى الوليد
مازال برك يزيد * على أقل العبيد ومابرح جود كفك * منا كحبل الوريد
لازال برك مزيد * دائم وبأسك شديد ولاعدمنا نوالك * فى صوم فطر وعيد

(ومما قيل فى فن الحماق)

أناماعبورى الحمام * لجسمى لكى ينظف الالدمع جارى * على الماولايوقف

بيتها فى غير بلدك لالك ولا لولدك لاتدوم لك ولا يسكنها وارثك ولا تبقى لك وما أنت لها بباق فقال الحجاج قد صدق الغضبان ردوه الى السجن فلما حملوه قال سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين فقال أنزلوه فلما أنزلوه قال رب أنزلنى منزلا مباركا وأنت خير المنزلين فقال اضربوا به الأرض فلما ضربوا به الأرض قال منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى فقال جروه فاقبلوا يجرونه وهو يقول بسم الله مجراها ومرساها ان ربى لغفور رحيم فقال الحجاج ويلكم اتركوه فقد غلبنى دهاء وخبثا ثم عفا عنه وأنعم عليه وخلى سبيله

(وقيل) بينما كثير عزة مار بالطريق يوما اذا هو بعجوز عمياء على قارعة الطريق تمشى فقال لها تنحى عن الطريق فقالت له ويحك ومن تكون قال أنا كثير عزة قالت قبحك الله وهل مثلك يتنحى له عن الطريق قال ولم قالت ألست القائل

وماروضة بالحسن طيبة الثرى
يمج الندى جثجاثها وعرارها
باطيب من أردان عزة موهنا
اذا أوقدت بالمجمر اللدن نارها

ويحك ياهذا لو تبخر بالمجمر اللدن مثلى ومثل أمك لطاب ريحها لم لاقلت مثل سيدك امرئ القيس

وكنت اذا ماجئت بالليل طارقا
وجدت بها طيبا وان لم تطيب

فقطعته ولم يرد جوابا

(حكى عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى) قال خرجت حاجا الى بيت الله الحرام وزيارة نبيه عليه الصلاة والسلام فبينما أنا فى الطريق اذا أنا بسواد على الطريق فتميزت ذاك فاذا هى عجوز عليها درع من صوف وخمار من صوف فقلت السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقالت سلام قولا من رب رحيم قال

وديك المجارى تجرى * ودمعى يسابقها تقول الانام فى الحمام * له أحباب فارقها

(وقال آخر) نرى كل من نعشقو * علينا يقيم أنفه فاسلاه واترك هواه * وسد الطريق خلفه

وان زاد على عشقو * وزادني الهوى والذل تركتو ولو كان يحيى * لأهل القبور الكل

وقد انتهى الكلام فيما أشرت اليه من الفنون السبعة وذكرت منها ما تبتهج به النفوس وتقر به العيون واختصرت ذلك الى الغاية فجاء بتوفيق الله فى الحسن نهاية وأسأل الله التوفيق بمنه وكرمه والمزيد من بره ونعمه وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب الثالث والسبعون فى ذكر النساء وصفاتهن ونكاحهن وطلاقهن وما يحمد و يذم من عشرتهن وفيه فصول﴾

﴿الفصل الأول فى النكاح وفضله والترغيب فيه﴾ قال الله تعالى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع الآية وقال تعالى وأنكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم وقال تعالى ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء أو أكننتم فى أنفسكم الآية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم استوصوا بالنساء خيرا فانهن عوار عندكم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوجوا الودود الولود فانى مكاثر بكم الامم يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم سوداء ولود خير من حسناء عقيم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن النساء بركة أحسنهن وجها وأرخصهن مهرا فينبغى للرجل اذا أراد أن يتزوج أن يرغب فى ذات الدين وأن يختار الشرف والحسب كما حكى أن نوح بن مريم قاضى مرو أراد أن يزوج ابنته فاستشار جارا له مجوسيا فقال سبحان الله الناس يستفتونك وأنت تستفتينى قال لا بد أن تشير على قال ان رئيسنا كسرى كان يختار المال ورئيس الروم قيصر كان يختار الحسب والنسب ورئيسكم محمد كان يختار الدين فانظر أنت بايهم تقتدى وقال رجل للحسن ان لى ابنة فمن ترى أن أزوجها له قال زوجها ممن يتقى الله عز وجل فان أحبها أكرمها وان أبغضها لم يظلمها وقيل لرجل من الحكماء فلان يخطب فلانة فقال أموسر من عقل ودين فقالوا نعم قال فزوجوه اياها ويستحب أن يختار البكر لقوله صلى الله عليه وسلم عليكم بالأبكار فانهن أطيب أفواها وأنتق أرحاما وقالوا أشهى المطى ما لم يركب وأحب اللآلى ما لم يثقب وأنشد بعضهم

قالوا انكحت صغيرة فاجبتهم * أشهى المطى الى ما لم يركب

كم بين حبة لؤلؤ مثقوبة * نظمت وحبة لؤلؤ لم تثقب

(فاجابته امرأة) ان المطية لا يلذ ركوبها * حتى تذلل بالزمام وتركبا

والدر ليس بنافع أربابه * حتى يؤلف بالنظام ويثقبا

(قال خالد بن صفوان) عليك اذا ما كنت فى الناس ناكحا * بذات الثنايا الغر والأعين النجل

وقيل استشار رجل داود عليه السلام فى التزويج فقال له سل سليمان وأخبرنى بجوابه فصادفه ابن سبع سنين وهو يلعب مع الصبيان راكبا قصبة فسأله فقال عليك بالذهب الأحمر أو الفضة البيضاء واحذر الفرس لا يضربك فلم يفهم الرجل ذلك فقال له داود عليه الصلاة والسلام الذهب الأحمر البكر والفضة البيضاء الثيب الشابة ومن وراءهما كالفرس الجموح وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تخيروا لنطفكم وقال صلى الله عليه وسلم انظر فى أى شئ تضع ولدك فان العرق دساس وقال عليه الصلاة والسلام اياكم وخضراء الدمن قالوا وما خضراء الدمن يا رسول الله قال المرأة الحسناء فى المنبت السوء وأنشدوا فيه

اذا تزوجت فكن حاذقا * واسأل عن الغصن وعن منبته

(وقال بعضهم) وأول خبث الماء خبث ترابه * وأول خبث القوم خبث المناكح

وعن على رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لا تسترضعوا الحمقاء ولا العمشاء فان اللبن يعدى وقيل ان جعفر بن سليمان بن على عاب يوما على أولاده وأنهم ليسوا كما يحب فقال له ولده أحمد بن جعفر انك عمدت الى فاسقات مكة والمدينة واماء الحجاز فاوعيت فيهن نطفك ثم تريد أن ينجبن وانما نحن كصاحبات الحجاز

فقلت لها رحمك الله ما تصنعين فى هذا المكان قالت ومن يضلل الله فلا هادى له فعلمت أنها ضالة عن الطريق فقلت لها أين تريدين قالت سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى فعلمت انها قد قضت حجها وهى تريد بيت المقدس فقلت لها أنت منذ كم فى هذا الموضع قالت ثلاث ليال سويا فقلت ما أرى معك طعاما تأكلين قالت هو يطعمنى ويسقينى فقلت فبأى شئ تتوضئين قالت فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا فقلت لها ان معى طعاما فهل لك فى الاكل قالت ثم أتموا الصيام الى الليل فقلت قد أبيح لنا الافطار فى السفر قالت وأن تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون فقلت لم لا تكلمينى مثل ما أكلمك قالت ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد فقلت فمن أى الناس أنت قالت ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلا فقلت قد أخطأت فاجعلينى فى حل قالت لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم فقلت فهل لك أن أحملك على ناقتى فتدركى القافلة قالت وما تفعلوا من خير يعلمه الله قال فانخت الناقة قالت قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم فغضضت بصرى عنها وقلت لها اركبى فلما أرادت أن تركب نفرت الناقة فمزقت ثيابها فقالت وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم فقلت لها اصبرى قالت سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون قال فاخذت بزمام الناقة وجعلت أسعى وأصيح فقالت واقصد فى مشيك واغضض من صوتك فجعلت أمشى رويدا رويدا وأترنم بالشعر فقالت فاقرؤا ما تيسر من القرآن فقلت لها لقد أوتيت خيرا كثيرا قالت وما يذكر الا أولوا

هلا فعلت فى ولدك ما فعل أبوك فيك حين اختار لك عقيلة قومها فتزوجها لك وأنشدوا

صفات من يستحب الشرع خطبتها * جلوتها لأولى الألباب مختصرا
صبية ذات دين زانه أدب * بكر ولود حكت فى نفسها القمرا
غريبة لم تكن من أهل خاطبها * تلك الصفات التى أجلوان نظرا
فيها أحاديث جاءت وهى ثابتة * أحاط علما بها من فى العلوم قرا

(وقال آخر)

مطيات السرور فويق عشر * الى العشرين ثم قف المطايا
فان جزت المسير فسر قليلا * وبنت الأربعين من الرزايا

(وقال آخر)

فايالك ايالك العجوز ووطأها * فما هو الامثل سم الأراقم

واعلم أن العيش كله مقصور على الحليلة الصالحة والبلاء كله موكل بالقرينة السوء التى لا تسكن النفس الى عشرتها ولا تقر العيون برؤيتها وفى حكمة سليمان بن داود عليهما السلام المرأة العاقلة تعمر بيت زوجها والمرأة السفيهة تهدمه وروى أنه لما حضر أبو طالب نكاح رسول الله صلى الله عليه وسلم على خديجة بنت خويلد رضى الله عنها ومعه بنو هاشم ورؤساء مضر خطب فقال الحمد لله الذى جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسمعيل وعنصر مضر وجعلنا حضنة بيته وسوّاس حرمه وجعل لنا بيتا محجوجا وحرما آمنا وجعلنا الحكام على الناس ثم ان محمد بن عبد الله ابن أخى من لا يوزن به رجل من قريش الا رجح به برا وفضلا وكرما ومجدا ونبلا فان كان فى المال قل فالمال ظل زائل ورزق حائل وقد خطب خديجة بنت خويلد وبذل لها من الصداق ما عاجله وآجله من مالى كذا وكذا وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل * ولما خطب عمرو بن حجر الكندى الى عوف بن محلم الشيبانى ابنته أم اياس وأجابه الى ذلك أقبلت عليها أمها ليلة دخوله بها توصيها فكان مما أوصتها به أن قالت أى بنية انك مفارقة بيتك الذى منه خرجت وعشك الذى منه درجت الى رجل لم تعرفيه وقرين لم تألفيه فكونى له أمة ليكون لك عبدا واحفظى له خصالا عشرا يكن لك ذخرا فاما الأولى والثانية فالرضا بالقناعة وحسن السمع له والطاعة وأما الثالثة والرابعة فالتفقد لمواقع عينيه وأنفه فلا تقع عينه منك على قبيح ولا يشم أنفه منك الا أطيب الريح وأما الخامسة والسادسة فالتفقد لوقت طعامه ومنامه فان شدة الجوع ملهبة وتنغيص النوم مغضبة وأما السابعة والثامنة فالاحراز لماله والارعاء على حشمه وعياله وأما التاسعة والعاشرة فلا تعصى له أمرا ولا تفشى له سرا فانك ان خالفت أمره أوغرت صدره وان أفشيت سره لم تأمنى غدره واياك ثم اياك والفرح بين يديه اذا كان مهتما والكآبة لديه اذا كان فرحا فقبلت وصية أمها فانجبت وولدت له الحرث بن عمرو جد امرئ القيس الملك الشاعر * وعن الهيثم بن عدى الطائى عن الشعبى قال لقينى شريح فقال لى يا شعبى عليك بنساء بنى تميم فانى رأيت لهن عقولا فقلت وما رأيت من عقولهن قال أقبلت من جنازة ظهرا فمررت بدورهن واذا أنا بعجوز على باب دار والى جانبها جارية كأحسن ما رأيت من الجوارى فعدلت اليها واستسقيت ومابى عطش فقالت لى أى الشراب أحب اليك قلت ما تيسر قالت ويحك يا جارية ائتيه بلبن فانى أظن الرجل غريبا فقلت للعجوز ومن تكون هذه الجارية منك قالت هى زينب بنت جرير احدى نساء بنى حنظلة قلت هى فارغة أم مشغولة قالت بل فارغة قلت أتزوجينيها قالت ان كنت كفأ (ولم تقل كفوا) وهى لغة بنى تميم فتركتها ومضيت الى منزلى لاقيل فيه فامتنعت منى القائلة فلما صليت الظهر أخذت بيد اخوانى من العرب الأشراف علقمة والأسود والمسيب ومضيت أريد عمها فاستقبلنا وقال ما شأنك أبا أمية قلت زينب ابنة أخيك قال ما بها عنك رغبة فزوجنيها فلما صارت فى حبالى ندمت وقلت أى شئ صنعت بنساء بنى تميم وذكرت غلظ قلوبهن فقلت أطلقها ثم قلت لا ولكن أدخل بها فان رأيت ما أحب والا كان ذلك فلو شهدتنى يا شعبى وقد أقبلت نساؤها يهدينها حتى أدخلت على فقلت ان من السنة اذا دخلت المرأة على زوجها أن يقوم ويصلى ركعتين ويسأل الله تعالى من خيرها ويتعوذ من شرها فتوضأت فاذا هى تتوضأ بوضوئى وصليت فاذا هى تصلى بصلاتى فلما قضيت صلاتى أتتنى جوار بها فاخذن ثيابى وألبسنى ملحفة قد صبغت بالزعفران فلما خلا البيت دنوت منها فمددت يدى الى ناصيتها فقالت على رسلك أبا أمية ثم قالت الحمد لله أحمده وأستعينه وأصلى على محمد وآله أما بعد فانى امرأة غريبة لا علم لى باخلاقك فبين لى ما تحب فآتيه وما تكره فاجتنبه فانه قد كان لك منكح فى قومك ولى فى

الالباب فلما مشيت بها قليلا قلت ألك زوج قالت يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم فسكت ولم أكلمها حتى أدركت بها القافلة فقلت لها هذه القافلة فمن لك فيها فقالت المال والبنون زينة الحياة الدنيا فعلمت ان لها أولادا فقلت وما شأنهم فى الحج قالت وعلامات وبالنجم هم يهتدون فعلمت أنهم أدلاء الركب فقصدت بها القباب والعمارات فقلت هذه القباب فمن لك فيها قالت واتخذ الله ابراهيم خليلا وكلم الله موسى تكليما يا يحيى خذ الكتاب بقوة فناديت يا ابراهيم يا موسى يا يحيى فاذا أنا بشبان كأنهم الاقمار قد أقبلوا فلما استقر بهم الجلوس قالت فابعثوا أحدكم بورقكم هذه الى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاما فليأتكم برزق منه فمضى أحدهم فاشترى طعاما فقدموه بين يدى فقالت كلوا واشربوا هنيأ بما أسلفتم فى الايام الخالية فقلت الآن طعامكم على حرام حتى تخبرونى بامرها فقالوا هذه أمنا لها منذ أربعين سنة لم تتكلم الا بالقرآن مخافة أن تزل فيسخط عليها الرحمن فسبحان القادر على ما يشاء فقلت ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم * قيل * ان معن بن زائدة دخل على المنصور فقال له هيه يا معن تعطى مروان بن أبى حفصة مائة ألف درهم على قوله

معن بن زائدة الذى زادت به
شرفا على شرف بنو شيبان

فقال كلا يا أمير المؤمنين انما أعطيته على قوله

ما زلت يوم الهاشمية معلنا
بالسيف دون خليفة الرحمن
فمنعت حوزته وكنت وقاءه
من وقع كل مهند وسنان

فقال أحسنت والله يا معن وأمر له بالجوائز والخلع * ووفد * ابن أبى

قومي مثل ذلك ولكن اذا قضى الله أمرا كان مفعولا وقد ملكت فاصنع ما أمرك الله تعالى به اما امساك بمعروف أو تسريح باحسان أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولك ولجميع المسلمين قال فاحوجتني والله ياشعبي الى الخطبة في ذلك الموضع فقلت الحمد لله أحمده وأستعينه وأصلي على محمد وآله أما بعد فانك قد قلت كلاما ان ثبت عليه يكن ذلك حظالي وان تدعيه يكن حجة عليك أحب كذا وأكره كذا وما رأيت من حسنة فابثثيها وما رأيت من سيئة فاستريها فقالت كيف محبتك لزيارة الاهل قلت ما أحب أن يملني اصهاري قالت فمن تحب من جيرانك يدخل دارك آذن له ومن تكرهه أكرهه قلت بنو فلان قوم صالحون و بنو فلان قوم سوء قال فبت معها ياشعبي بأنعم ليلة ومكثت معي حولا لا أرى منها الا ما أحب فلما كان رأس الحول جئت من مجلس القضاء واذا أنا بعجوز في الدار تأمر وتنهى قلت من هذه قالوا فلانة أم حليلتك قلت مرحبا وأهلا وسهلا فلما جلست أقبلت العجوز فقالت السلام عليك يا أبا أمية فقلت وعليك السلام ومرحبا بك وأهلا قالت كيف رأيت زوجتك قلت خير زوجة وأوفق قرينة لقد أدبت فأحسنت الادب وريضت فأحسنت الرياضة فجزاكي الله خيرا فقالت أبا أمية ان المرأة لا يرى أسوأ حالا منها في حالتين قلت وما هما قالت اذا ولدت غلاما أو حظيت عند زوجها فان رابك مريب فعليك بالسوط فوالله ما حاز الرجال في بيوتهم أشر من الروعاء المدللة فقلت والله لقد أدبت فأحسنت الادب وريضت فأحسنت الرياضة قالت كيف تحب أن يزورك أصهارك قلت ما شاؤا فكانت تأتيني في رأس كل حول فتوصيني بتلك الوصية فكنت معي ياشعبي عشرين سنة لم أعب عليها شيأ وكان لي جار من كندة يفزع امرأته ويضربها فقلت في ذلك

رأيت رجالا يضربون نساءهم * فشلت يميني يوم تضرب زينب
أأضربها من غير ذنب أتت به * فما العدل مني ضرب من ليس يذنب
فزينب شمس والنساء كواكب * اذا طلعت لم يبد منهن كوكب

وخطب الحجاج بن يوسف الى عبد الله بن جعفر ابنته أم كلثوم على ألفي ألف في السر وخمسمائة ألف في العلانية فأجابه الى ذلك وحملها الى العراق فأقامت عنده ثمانية أشهر فلما خرج عبد الله بن جعفر الى عبد الملك ابن مروان وافدا نزل بدمشق فأتاه الوليد بن عبد الملك على بغلة ومعه الناس فاستقبله ابن جعفر بالترحيب فقال له الوليد لكنك أنت لا مرحبا بك ولا أهلا فقال مهلا يا ابن أخي فلست أهلا لهذه المقالة منك قال بلى والله وبشر منها قال وفيم ذلك قال لانك عمدت الى عقيلة نساء العرب وسيدة نساء بني عبد مناف فعرضتها على عبد ثقيف يتفخذها قال وفي هذا عتبت علي يا ابن أخي قال نعم فقال عبد الله والله ما أحق الناس أن لا يلومني في هذا الا أنت وأبوك لان من كان قبلكم من الولاة يصلون رحمي ويعرفون حقي وانك وأباك منعتماني وفدكما حتى ركبني الدين أما والله لو أن عبدا حبشيا مجدعا أعطاني بها ما أعطاني عبد ثقيف لزوجتها منه انما فديت بها رقبتي فما راجعه كلمة حتى عطف عنانه ومضى حتى دخل على عبد الملك فقال مالك يا أبا العباس قال انك سلطت عبد ثقيف وملكته حتى تفخذ نساء بني عبد مناف فادركت عبد الملك غيرة فكتب الى الحجاج يقسم عليه أن لا يضع كتابه من يده حتى يطلقها ففعل قال ولم يكن يقطع الحجاج عنها رزقا ولا كرامة يجريها عليها حتى خرجت من الدنيا وما زال واصلا لعبد الله بن جعفر حتى مات وما كان يأتي عليه حول الا وعنده عير مقبلة من عند الحجاج عليها أموال وكسوة وتحف (وحكى) أن المغيرة بن شعبة لما ولي الكوفة سار الى دير هند بنت النعمان وهي فيه عمياء مترهبة فاستأذن عليها فقالت من أنت قال المغيرة بن شعبة الثقفي قالت ما حاجتك قال جئت خاطبا قالت انك لم تكن جئتني لجمال ولا مال ولكنك أردت أن تتشرف في محافل العرب فتقول تزوجت بنت النعمان بن المنذر والا فاي خير في اجتماع عمياء واعور * وكان عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما قد تزوج عاتكة بنت عمرو بن نفيل وكانت من أجمل نساء قريش وكان عبد الرحمن من أحسن الناس وجها وأبرهم بوالديه فلما دخل بها غلبت على عقله وأحبها حبا شديدا فثقل ذلك على أبيه فمر به أبو بكر يوما وهو في غرفة له فقال يا بني اني أرى هذه المرأة قد أذهلت رأيك وغلبت على عقلك فطلقها قال لست أقدر على ذلك فقال أقسمت عليك الا طلقتها فلم يقدر على مخالفة أبيه فطلقها فجزع عليها جزعا شديدا وامتنع من الطعام والشراب فقيل لابي بكر أهلكت عبد الرحمن فمر به يوما وعبد الرحمن لا يراه وهو مضطجع في الشمس و يقول هذه الابيات

محجن على معاوية فقام خطيبا فاحسن فحسده معاوية فقال له أنت الذي أوصاك أبوك بقوله

اذا مت فادفني الى جنب كرمة
تروي عظامي بعد موتي عروقها
ولا تدفنني في الفلاة فانني
أخاف اذا مامت أن لا أذوقها

قال بل أنا الذي يقول أبي

لا تسأل الناس ما مالي وكثرته
وسائل الناس ما جودي وما خلقي
أعطي الحسام غداة الروع حصته
وعامل الرمح أرويه من العلق
وأطعن الطعنة النجلاء عن عرض
وأكتم السر فيه ضربة العنق
ويعلم الناس اني من سراتهم
اذا سما بصر الرعديد بالفرق

فقال له معاوية أحسنت والله يا ابن أبي محجن وأمر له بصلة وجائزة (وقيل) دخل مجنون الطاق يوما الى الحمام وكان بغير مئزر فرآه أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه وكان في الحمام فغمض عينيه فقال له المجنون متى أعماك الله فقال منذ هتك سترك * (ومن ذلك) ما يحكى أن الحجاج خرج يوما متنزها فلما فرغ من نزهته انصرف عنه أصحابه وانفرد بنفسه فاذا هو بشيخ من بني عجل فقال له من أين أيها الشيخ قال من هذه القرية قال كيف ترون عمالكم قال شر عمال يظلمون الناس ويستحلون أموالهم قال فكيف قولك في الحجاج قال ذاك ما ولي العراق شر منه قبحه الله وقبح من استعمله قال أتعرف من أنا قال لا قال أنا الحجاج قال جعلت فداءك أوتعرف من أنا قال لا قال أنا فلان بن فلان مجنون بني عجل أصرع في كل يوم مرتين قال فضحك الحجاج منه وأمر له بصلة * وحكى أبو محمد الحسن بن محمد الصالحي * قال كنا حول سرير المعتضد بالله ذات يوم نصف النهار فنام بعد أن أكل خانتية

فوالله ما أنساك ماذر شارق * وما ناح قمري الحمام المطوق * فلم أر مثلي طلق اليوم مثلها
ولا مثلها في غير شيء يطلق * لها خلق عف ودين ومحتد * وخلق سوي في الحياء ومنطق

فسمعه أبوه فرق له وقال له راجعها يا بني فراجعها وأقامت عنده حتى قتل عنها يوم الطائف مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أصابه سهم فقتله فجزعت عليه جزعا شديدا وقالت ترثيه

فآليت لا تنفك نفسي حزينة * عليك ولا ينفك جلدي أغبرا
فتى طول عمري ما أرى مثله فتى * أكر وأحمى في الهياج وأصبرا
اذا شرعت فيه الاسنة خاضها * الى القرن حتى يترك الرمح أحمرا

ثم تزوجها بعده عمر بن الخطاب رضي الله عنه في خلافته ودعا الناس الى وليمته فأتوه فلما فرغ من الطعام وخرج الناس قال له علي بن أبي طالب رضي الله عنه يا أمير المؤمنين ائذن لي في كلام عاتكة حتى أهنيها وأدعو لها بالبركة فذكر عمر ذلك لعاتكة فقالت ان أبا الحسن فيه مزاح فائذن له يا أمير المؤمنين فاذن له فرفع جانب الخدر فنظر اليها فاذا ما بدا من جسدها مضمخ بالخلوق فقال لها يا عاتكة ألست القائلة

فآليت لا تنفك نفسي حزينة * عليك ولا ينفك جلدي أغبرا

وقيل ان عمر لما قتل عنها جزعت عليه جزعا شديدا وتزوجت بعده الزبير بن العوام وكان رجلا غيورا وكانت تخرج الى المسجد كعادتها مع أزواجها فشق ذلك عليه وكان يكره أن ينهاها عن الخروج الى الصلاة لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تمنعوا اماء الله مساجد الله فعرض لها ليلة في ظهر المسجد وهي لا تعرفه فضرب بيده عجيزتها ثم انصرف فقعدت بعد ذلك عن الخروج الى المسجد وكان يقول لها ألا تخرجين يا عاتكة فتقول كنا نخرج اذ الناس ناس وما بهم من باس وأما الآن فلا ثم قتل عنها الزبير قتله عمرو بن جرموز بوادي السباع وهو نائم ثم تزوجها بعده محمد بن أبي بكر فقتل عنها بمصر فقالت لا أتزوج بعده أبدا اني لاحسب اني لو تزوجت جميع أهل الارض لقتلوا عن آخرهم (وحكى) عن الحرث بن عوف بن أبي حارثة أنه قال لخارجة بن سنان أترى أني أخطب الى أحد فيردني قال نعم قال ومن هو قال أوس بن حارثة بن لام الطائي قال اركب بنا اليه فركبنا اليه حتى أتينا أوس بن حارثة في بلاده فوجدناه في فناء منزله فلما رأى الحرث بن عوف قال مرحبا بك يا حارث ثم قال ما جاء بك قال جئت خاطبا قال لست هناك فانصرف ولم يكلمه فدخل أوس على امرأته مغضبا فقالت له من الرجل الذي سلم عليك فلم تطل معه الوقوف ولم تكلمه فقال ذلك سيد العرب الحرث بن عوف فقالت فما لك لا تستنزله قال انه استحمقني قالت وكيف قال لانه جاءني خاطبا قالت ألست تزعم انه سيد العرب قال نعم قالت اذا لم تزوج سيد العرب في زمانه فمن تزوج قال قد كان ذلك قالت فتدارك ما كان منك قال فبماذا قالت بان تلحقه فترده قال وكيف وقد فرط مني اليه ما فرط قالت تقول له انك لقيتني وأنا مغضب لامر فلك المعذرة فيما فرط مني فارجع ولك عندي كل ما طلبت قال فركب في أثرهما قال خارجة ابن سنان فوالله انا لنسير اذ حانت مني التفاتة فرأيته فقلت للحرث وهو ما يكلمني هذا أوس في أثرنا فقال ما أصنع به فلما رآنا لا نقف قال يا حارث أربع علي فوقفنا له وكلمه بذلك الكلام فرجع مسرورا قال خارجة ابن سنان فبلغني أن أوسا لما دخل منزله قال لزوجته ادعي لي فلانة أكبر بناته فأتته فقال لها أي بنية هذا الحرث بن عوف سيد من سادات العرب جاءني خاطبا وقد أردت أن أزوجك منه فما تقولين قالت لا تفعل قال ولم قالت لان في خلقي رداءة وفي لساني حدة ولست بابنة عمه فيراعي رحمي ولا هو بجارك في البلد فيستحي منك ولا آمن أن يرى مني ما يكره فيطلقني فيكون علي بذلك مسبة قال لها قومي بارك الله فيك ثم دعا بنته الاخرى فقال لها مثل قوله لاختها فاجابته بمثل جوابها فقال لها قومي بارك الله فيك ثم دعا بالثالثة وكانت أصغرهن سنا فقال لها مثل ما قال لاختيها فقالت له أنت وذاك فقال لها اني عرضت ذلك على أختيك فأبتاه ولم يذكر لها مقالتهما فقالت له والله اني الجميلة وجها الرفيعة خلقا الحسنة رأيا فان طلقني فلا أخلف الله عليه فقال لها بارك الله فيك ثم خرج اليه فقال زوجتك يا حارث بابنتي هنيسة قال قد قبلت نكاحها وأمر أمها ان تهيئها وتصلح شأنها ثم أمر ببيت فضرب له وأنزله اياه ثم بعثها اليه فلما دخلت عليه لبث هنيهة ثم خرج الي فقلت له أفرغت من شأنك قال لا والله قلت وكيف ذلك قال لما مددت يدي اليها قالت مه أعند أبي واخوتي

منزعجا وقال يا خدم فأسرعنا الجواب فقال ويلكم أعينوني والحقوا بالشط فأول ملاح ترونه منحدرا في سفينة فارغة فاقبضوا عليه وائتوني به ووكلوا بالسفينة من يحفظها فاسرعنا فوجدنا ملاحا في سفينة فجئنا به المعتضد فلما رآه الملاح كاد يتلف فصاح عليه صيحة عظيمة كادت روحه تذهب منها وقال أصدقني يا ملعون عن قضيتك مع المرأة التي قتلتها اليوم والا ضربت عنقك فتلعثم وقال نعم كنت سحرا في المشرعة الفلانية فنزلت امرأة لم أر مثلها عليها ثياب فاخرة وحلي كثير وجواهر فطمعت فيها واحتلت عليها حتى سددت فاها وغرقتها وأخذت جميع ما كان عليها ثم طرحتها في الماء ولم أجسر على حمل سلبها الى داري لئلا يفشو الخبر علي فعولت على الهروب والانحدار الى واسط فصبرت الى أن خلا الشط في هذه الساعة من الملاحين فاخذت في الانحدار فتعلق بي هؤلاء القوم فحملوني اليك فقال أين الحلي والسلب قال في صدر السفينة تحت البواري قال المعتضد علي به الساعة فحضروا به فأمر بتغريق الملاح ثم أمر أن ينادى ببغداد من خرجت له امرأة الى المشرعة الفلانية سحرا وعليها ثياب فاخرة وحلي فليحضر فحضر في اليوم الثاني أهلها وأعطوا صفاتها وصفة ما كان عليها فسلم ذلك اليهم قال فقلت يا مولاي من أعلمك أأوحي اليك بهذه الحالة وأمر هذه الصبية فقال بل رأيت في منامي رجلا شيخا أبيض الرأس واللحية والثياب وهو ينادي يا أحمد أول ملاح ينحدر الساعة فاقبض عليه وقرره على المرأة التي قتلها اليوم ظلما وسلبها ثيابها وأقم عليه الحد ولا تفتك فكان ما شهدتم

(وحكي) ان بهرام الملك خرج

هذا والله لا يكون ثم أمر بالرحلة فارتحلنا بها معنا ر ؤسرنا ماشاء الله ثم قال لى تقدم فتقدمت فعدل عن الطريق فما لبث ان لحقني فقلت أفرغت من شأنك قال لا والله قلت ولم قال قالت تفعل بى كما يفعل بالأمة السبية الأخيذة لا والله حتى تنحر الجزر والغنم وتدعو العرب وتعمل ما يعمل مثلك لمثلى فقلت والله انى لارى همة وعقلا فقال صدقت قال وأرجو الله أن تكون المرأة النجيبة فوردنا الى بلادنا فاحضر الابل والغنم ونحر وأولم ثم دخل عليها وخرج الى فقلت أفرغت من شأنك قال لا والله قلت ولم ذاك قال دخلت عليها أريدها فقلت لها قد أحضرت من المال ما تريدين قالت والله لقد ذكرت من الشرف ما ليس فيك قلت ولم ذاك قالت أتستفرغ لنكاح النساء والعرب يقتل بعضها بعضا وكان ذلك فى أيام حرب قيس وذبيان قلت فماذا تقولين قالت اخرج الى القوم فاصلح بينهم ثم ارجع الى أهلك فلن يفوتك ما تريد فقلت والله انى لأرى عقلا ورأيا سديدا قال فاخرج بنا فخرجنا حتى أتينا القوم فمشينا بينهم بالصلح فاصطلحوا على أن يحسبوا القتلى ثم تؤخذ الدية فحملنا عنهم الديات فكانت ثلاثة آلاف بعير فانصرفنا بأجمل ذكر ثم دخل عليها فقالت له أما الآن فنعم فأقامت عنده فى ألذ عيش وأطيبه وولدت له بنين وبنات وكان من أمرهما ما كان والله أعلم بالصواب (وحكى) الفضل أبو محمد الطيبى قال حدثنا بعض أصحابنا ان رجلا من بنى سعد مرت به جارية لأمية بن خالد بن عبد الله بن أسد ذات ظرف وجمال وكان شجاعا فارسا فلما رآها قال طوبى لمن كان له امرأة مثلك ثم أتبعها رسولا يسألها ألها زوج ويذكرها وكان جميلا فقالت للرسول وما حرفته فابلغه الرسول ذلك فقال ارجع اليها وقل لها شعر

وسائلة ما حرفتى قلت حرفتى * مقارعة الابطال فى كل شارق
اذا عرضت خيل لخيل رأيتنى * امام رعيل الخيل أحمى حقائقى
أصبر نفسى حين لم أر صابرا * على ألم البيض الرقاق البوارق

فلحقها الرسول فأنشدها ما قال فقالت له ارجع اليه وقل له أنت أسد فاطلب لك لبوة فلست من نسائك وأنشدته تقول

ألا انما أبغى جوادا بماله * كريما محياه كثير الصدائق
فتى همه مذ كان خود خريدة * يعانقها فى الليل فوق النمارق

وحدث يحيى بن عبد العزيز عن محمد بن عبد الحكم عن الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه قال تزوج رجل امرأة جديدة على امرأة قديمة فكانت جارية الجديدة تمر على بيت القديمة فتقول

وما يستوى الرجلان رجل صحيحة * وأخرى رمى فيها الزمان فشلت

ثم تعود وتقول

وما يستوى الثوبان ثوب به البلى * وثوب بايدى البائعين جديد

فمرت جارية القديمة على باب الجديدة يوما وقالت

نقل فؤادك ما استطعت من الهوى * ما الحب الا للحبيب الأول
كم منزل فى الأرض يألفه الفتى * وحنينه أبدا لأول منزل

وقال عمرو بن العلاء وكان أعلم الناس بالنساء

فان تسألونى بالنساء فاننى * بصير بادواء النساء طبيب
اذا شاب رأس المرء أو قل ماله * فليس له فى ودهن نصيب

وسئل المغيرة بن شعبة عن صفة النساء فقال بنات العم أحسن مواساة والغرائب أنجب وما ضرب رؤس الاقران مثل ابن السوداء وقال عبد الملك بن مروان من أراد أن يتخذ جارية للمتعة فليتخذها بربرية ومن أراد أن يتخذها للولد فليتخذها فارسية ومن أراد أن يتخذها للخدمة فليتخذها رومية قال الشاعر

لا تشتمن امرأ من يكون له * أم من الروم أو سوداء عجماء
فانما أمهات القوم أوعية * مستودعات وللانساب آباء

وقال الأصمعى أتانى رجل من قريش يستشيرنى فى امرأة يتزوجها فقلت يا ابن أخى أقصيرة النسب أم طويلته فلم يفهم عنى فقلت يا ابن أخى أما القصيرة النسب فالتى اذا ذكرت أباها اكتفت به والطويلة النسب فهى التى لا تعرف حتى تطيل فى نسبها فاياك أن تقع مع قوم قد أصابوا كثيرا من الدنيا مع دناءة فيهم فتضيع نسبك فيهم وخرج رجل من أهل الكوفة فى غزاة فكسب جارية وفرسا وكان مملكا على ابنة عمه فكتب اليها يغيرها ويقول

ألا بلغوا أم البنين باننا * غنينا وأغنتنا الغطارفة المجد

يوما للصيد فانفرد عن أصحابه فرأى صيدا فتبعه طامعا فى لحاقه حتى بعد عن عسكره فنظر الى راع تحت شجرة فنزل عن فرسه يبول وقال للراعى احفظ على فرسى حتى أبول فعمد الراعى الى العنان وكان ملبسا ذهبا كثيرا فاستغفل بهرام وأخرج سكينا فقطع أطراف اللجام وأخذ الذهب الذى عليه فرفع بهرام نظره اليه فرآه فغض بصره وأطرق برأسه الى الارض وأطال الجلوس حتى أخذ الرجل حاجته ثم قام بهرام فوضع يده على عينيه وقال للراعى قدم الى فرسى فانه قد دخل فى عينى من سافى الريح فلا أقدر على فتحهما فقدمه اليه فركب وسار الى أن وصل الى عسكره فقال لصاحب مراكبه ان أطراف اللجام قد وهبتها فلا تتهمن بها أحدا (قيل) مرض أحمد بن أبى دؤاد فعاده المعتصم وقال نذرت ان عافاك الله تعالى ان أتصدق بعشرة آلاف دينار فقال له أحمد يا أمير المؤمنين فاجعلها فى أهل الحرمين فقد لقوا من غلاء الاسعار شدة فقال نويت أن أتصدق بها على من ههنا وأطلق لاهل الحرمين مثلها فقال أحمد متع الله الاسلام وأهله بك يا أمير المؤمنين فانك كما قال النميرى لابيك الرشيد رحمة الله تعالى عليه

ان المكارم والمعروف أودية * أحلك الله منها حيث تجتمع
من لم يكن بامين الله معتصما * فليس بالصلوات الخمس ينتفع

﴿ومن محاسن الاخلاق﴾

ما حكى عن القاضى يحيى بن أكثم قال كنت نائما ذات ليلة عند المأمون فعطش فامتنع أن يصيح بغلام يسقيه وأنا نائم فينغص على نومى فرأيته قد قام يمشى على أطراف أصابعه حتى أتى موضع الماء وبينه وبين المكان الذى فيه الكيزان نحو من ثلثمائة خطوة فاخذ منها

بعيد مناط المنكبين اذا جرى * و بيضاء كالتمثال زينها العقد
فهذا لايام العدو وهذه * لحاجة نفسي حين ينصرف الجند

فلما ورد عليها كتابه وقرأته قالت يا غلام هات الدواة وكتبت جوابه تقول

ألا فاقره مني السلام وقل له * غنينا وأغنتنا غطارفة المرد
اذا شئت أغناني غلام مرجل * ونازعته في ماء معتصر الورد
وان شاء منهم ناشئ مد كفه * الى عكن ملساء أو كفل نهد
فما كنتم تقضون حاجة أهلكم * شهودا فتقضوها على النأي والبعد
فعجل الينا بالسراح فانه * منانا ولا تدعو لك الله بالرد
فلا قفل الجند الذي أنت فيهم * وزادك رب الناس بعدا على بعد

فلما ورد عليه كتابها لم يزد على أن ركب الفرس وأردف الجارية خلفه ولحق بابنة عمه فكان أول شئ بدأها به بعد السلام أن قال لها بالله عليك هل كنت فاعلة ذلك فقالت له الله في قلبي أعظم وأجل وأنت في عيني أذل وأحقر من أن أعصى الله فيك فكيف ذقت طعم الغيرة فوهب لها الجارية وانصرف الى الغزاة والله تعالى أعلم بالصواب

(الفصل الثاني في صفات النساء المحمودة) كتب الحجاج الى الحكم بن أيوب أن اخطب لعبد الملك بن مروان امرأة جميلة من بعيد مليحة من قريب شريفة في قومها ذليلة في نفسها مؤاتية لبعلها فكتب اليه قد أصبتها لولا عظم ثدييها فكتب اليه لا يكمل حسن المرأة حتى يعظم ثدياها فتدفي الضجيع وتروي الرضيع وقال عبد الملك بن مروان لرجل من غطفان صف لي أحسن النساء قال خذها يا أمير المؤمنين ملساء القدمين ردماء الكعبين ناعمة الساقين ضخماء الركبتين لفاء الفخذين ضخمة الذراعين خصبة الكفين ناهدة الثديين حمراء الخدين كحلاء العينين زجاء الحاجبين لمياء الشفتين بلجاء الجبين شماء العرنين شنباء الثغر محلولكة الشعر غيداء العنق مكسرة البطن فقال ويحك وأين توجد هذه قال تجدها في خالص العرب وفي خالص فارس * وقال حكيم عليكم بمن تربت في النعيم ثم أصابتها فاقة فاثر فيها الغنى وأدبها الفقر * وقال رجل لخاطب ابغ لي امرأة لا تؤنس جارا ولا توطن دارا يعني لا تدخل على الجيران ولا تدخل الجيران عليها وفي مثل هذه قال الشاعر

هيفاء فيها اذا استقبلتها صلف * عيطاء غامضة الكعبين معطار
خود من الخفرات البيض لم يرها * بساحة الدار لا بعل ولا جار

(وقال الأعشى)

لم تمش ميلا ولم تركب على جمل * ولم ترالشمس الا دونها الكلل

وكانت امرأة عمران بن حطان من أجمل الناس وجها وكان هو من أقبح الناس وجها فقال لها يوما أنا واياك في الجنة ان شاء الله تعالى فقالت له وكيف ذلك فقال لاني أعطيت مثلك فشكرت وأعطيت مثلي فصبرت والصابر والشاكر في الجنة وقال بعضهم رأيت في طريق مكة اعرابية ما رأيت أحسن منها وجها فقعدت أنظر اليها وأتعجب من جمالها فجاء شيخ قصير فأخذ بردائها وسار بها ومضى فلقيتها مرة أخرى فقلت لها من هذا الشيخ قالت زوجي قلت كيف يرضى مثلك بمثله فأنشدت

أيا عجبا للخود يجري وشاحها * تزف الى شيخ بأقبح تمثال
دعاني اليه أنه ذو قرابة * يعز علينا من بني العم والخال

وسمع بعضهم قائلا يقول شعرا

ومن لا يرد مدحي فان مدائحي * توافق عند الاكرمين نوامي
توافق عند المشتري الحمد بالندى * نفاق بنات الحرث بن هشام

فقال يا ابن أخي ما بلغ من نفاق بنات الحرث بن هشام قال كن من أجمل الناس وجوها وكان أبوهن اذا زوجهن يسوقهن ومهورهن اليه ويعولهن فقال يا ابن أخي لو فعل هذا ابليس ببناته لتنافست فيهن الملائكة المقربون *وقال عبد الملك لابن أبي الرقاع كيف علمك بالنساء قال أنا والله أعلم الناس بهن وجعل يقول

قضاعية الكعبين كندية الحشا * خزاعية الاطراف طائية الفم
لها حكم لقمان وصورة يوسف * ومنطق داود وعفة مريم

(وقالوا)

كوزا فشرب ثم رجع على أطراف أصابعه حتى قرب من الفراش الذي أنا عليه فخطا خطوات خائفا لئلا ينبهني حتى صار الى فراشه ثم رأيته آخر الليل قام يبول وكان يقوم في أول الليل وآخره فقعد طويلا يحاول ان أتحرك فيصيح بالغلام فلما تحركت وثب قائما وصاح يا غلام وتأهب للصلاة ثم جاءني فقال لي كيف أصبحت يا أبا محمد وكيف كان مبيتك قلت خير مبيت جعلني الله فداءك يا أمير المؤمنين قد خصك الله تعالى بأخلاق الانبياء وأحب لك سيرتهم فهنأك الله تعالى بهذه النعمة وأتمها عليك فأمر لي بالف دينار فأخذتها وانصرفت (قال) وبت عنده ذات ليلة فانتبه وقد عرض له السعال حتى غلبه فسعل وأكب على الارض لئلا يعلو صوته فانتبه (وكنت) معه يوما في بستان ندور فيه فجعلنا نمر بالريحان فيأخذ منه الطاقة والطاقتين ويقول لقيم البستان أصلح هذا الحوض ولا تغرس في هذا الحوض شيأ من البقول قال يحيى ومشينا في البستان من أوله الى آخره وكنت أنا مما يلي الشمس والمأمون مما يلي الظل فكان يجذبني ان أتحول أنا في الظل ويكون هو في الشمس فامتنع من ذلك حتى بلغنا آخر البستان فلما رجعنا قال يا يحيى والله لتكونن في مكاني ولاكونن في مكانك حتى آخذ نصيبي من الشمس كما أخذت نصيبك وتأخذ نصيبك من الظل كما أخذت نصيبي فقلت والله يا أمير المؤمنين لو قدرت ان أقيك يوم الهول بنفسي لفعلت فلم يزل بي حتى تحولت الى الظل وتحول هو الى الشمس ووضع يده على عاتقي وقال بحياتي عليك الا وضعت يدك على عاتقي مثل ما فعلت أنا فانه لا خير في صحبة من لا ينصف (وحكى) أن أحمقين اصطحبا في طريق فقال أحدهما

وقالوا الوجه الحسن أحمر وقد تضرب فيه الصفرة مع طول المكث فى الكن والتضمخ بالطيب وقالوا ان الوجه الرقيق البشرة الصافى الاديم اذا خجل يحمر واذا فرق يصفر ومنه قولهم ديباج الوجه يريدون تلونه من رقته قال على بن زيد فى وصفه

حمرة خلط صفرة فى بياض * مثل ما حاك حائك ديباجا

(وقال على بن عبد ربه) بيضاء يحمر خداها اذا خجلت * كما جرى ذهب فى صفحتى ورق

وقالوا ان الجارية الحسناء تتلون بتلون الشمس فهى بالضحى بيضاء و بالعشى صفراء فقال ذو الرمة

بيضاء صفراء قد تنازعها * لونان من فضة ومن ذهب

قالوا ليس المرأة الجميلة التى تأخذ ببصرك جملة على بعد فاذا دنت منك لم تكن كذلك بل الجميلة التى كلما كررت بصرك فيها زادتك حسنا وقالوا ان أردت أن ينجب ولدك فاغضبها ثم قع عليها قال الشاعر

ممن حملن به وهن قواعد * حبك النطاق فعاش غير مهبل

حملت به فى ليلة مزؤورة * كرها وعقد نطاقها لم يحلل

﴿الفصل الثالث فى صفة المرأة السوء نعوذ بالله تعالى منها﴾ فى حكمة داود عليه السلام أن المرأة السوء مثل شرك الصياد لا ينجو منها الا من رضى الله تعالى عنه وقيل المرأة السوء غل يلقيه الله تعالى فى عنق من يشاء من عباده وقيل لاعرابى كان ذا تجربة للنساء صف لنا شر النساء فقال شرهن النحيفة الجسم القليلة اللحم الحياض المراض المصفرة المشؤومة العسرة المبشومة السلطة البطرة النفرة السريعة الوثبة كأن لسانها حربة تضحك من غير عجب وتبكى من غير سبب وتدعو على زوجها بالحرب أنف فى السماء واست فى الماء عرقوبها حديد منتفخة الوريد كلامها وعيد وصوتها شديد تدفن الحسنات وتفشى السيآت تعين الزمان على بعلها ولا تعين بعلها على الزمان ليس فى قلبها عليه رأفة ولا عليها منه مخافة ان دخل خرجت وان خرج دخلت وان ضحك بكت وان بكى ضحكت كثيرة الدعاء قليلة الارعاء تأكل لما وتوسع ذما ضيقة الباع مهتوكة القناع صبيها مهزول وبيتها مزبول اذا حدثت تشير بالاصابع وتبكى فى المجامع بادية من حجابها نباحة عند بابها تبكى وهى ظالمة وتشهد وهى غائبة قد دلى لسانها بالزور وسال دمعها بالفجور ابتلاها الله بالويل والثبور وعظائم الأمور ويقال ان المرأة اذا كانت مبغضة لزوجها فان علامة ذلك أن تكون عند قربها منه مرتدة الطرف عنه كأنها تنظر الى انسان غيره من ورائه وان كانت محبة له لا تقنع عن النظر اليه قال بعضهم

لقد كنت محتاجا الى موت زوجتى * ولكن قرين السوء باق معمر

فيا ليتها صارت الى القبر عاجلا * وعذبها فيه نكير ومنكر

(وقال زيد بن عمير) أعاتبها حتى اذا قلت أقلعت * أبى الله الا خرق بها فتعود

فان طمثت قادت وان طهرت زنت * فهاتيك ترنى دائما وتقود

وقال داود عليه الصلاة والسلام المرأة السوء على بعلها كالحمل الثقيل على الشيخ الكبير والمرأة الصالحة كالتاج المرصع بالذهب كلما رآها قرت عينه برؤيتها والله أعلم

﴿الفصل الرابع فى مكر النساء وغدرهن وذمهن ومخالفتهن﴾ فى حكمة داود عليه الصلاة والسلام وجدت فى الرجال واحدا فى ألف ولم أجد واحدة فى جميع النساء وقيل ان عيسى عليه الصلاة والسلام لقى ابليس وهو يسوق أربعة أحمرة عليها أحمال فسأله فقال أحمل تجارة وأطلب مشترين فقال ما أحدها قال الجور قال من يشتريه قال السلاطين قال فما الثانى قال الحسد قال فمن يشتريه قال العلماء قال فما الثالث قال الخيانة قال فمن يشتريها قال التجار قال فما الرابع قال الكيد قال فمن يشتريه قال النساء وقال حكيم النساء شر كلهن وشر ما فيهن قلة الاستغناء عنهن وقالت الحكماء لا تثق بامرأة ولا تغتر بمال وان كثر وقال النساء حبائل الشيطان قال الشاعر

تمتع بها ما ساعفتك ولا تكن * جزوعا اذا بانت فسوف تبين

وخنها وان كانت تفى لك انها * على قدم الأيام سوف تخون

وان هى أعطتك الليان فانها * لغيرك من طلابها ستلين

وان حلفت ان ليس تنقض عهدها * فليس لمخضوب البنان يمين

تعالى نتمن على الله فان الطريق تقطع بالحديث فقال أحدهما أنا أتمنى قطائع غنم أنتفع بلبنها ولحمها وصوفها وقال الآخر أنا أتمنى قطائع ذئاب أرسلها على غنمك حتى لا تترك منها شيأ قال ويحك أهذا من حق الصحبة وحرمة العشرة فتصايحا واشتدت الخصومة بينهما حتى تماسكا بالاطواق ثم تراضيا على ان أول من يطلع عليهما يكون حكما بينهما فاطلع عليهما شيخ بحمار عليه زقان من عسل فحدثاه بحديثهما فنزل بالزقين وفتحهما حتى سال العسل على التراب ثم قال صب الله دمى مثل هذا العسل ان لم تكونا أحمقين (وقال الاصمعى) بينما أنا أطوف بالبيت ذات ليلة اذ رأيت شابا متعلقا باستار الكعبة وهو يقول

يا من يجيب دعا المضطر فى الظلم
يا كاشف الضر والبلوى مع السقم
قد نام وفدك حول البيت وانتبهوا
وأنت يا حى يا قيوم لم تنم
أدعوك ربى حزينا هائما قلقا
فارحم بكائى بحق البيت والحرم
ان كان جودك لا يرجوه ذو سفه
فمن يجود على العاصين بالكرم

ثم بكى بكاء شديدا وأنشد يقول

ألا أيها المقصود فى كل حاجة
شكوت اليك الضر فارحم شكايتى
ألا يا رجائى أنت تكشف كربتى
فهب لى ذنوبى كلها واقض حاجتى
أتيت بأعمال قباح رديئة
وما فى الورى عبد جنى كجنايتى
أتحرقنى بالنار يا غاية المنى
فأين رجائى ثم أين مخافتى

ثم سقط على الأرض مغشيا عليه فدنوت منه فاذا هو زين العابدين على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهم أجمعين فرفعت رأسه فى حجرى و بكيت فقطرت دمعة من دموعى على خده ففتح عينيه وقال من هذا الذى يهجم

وان سكبت يوم الفراق دموعها * فليس لعمر الله ذلك يقين

(وقال ابن بشار) رأيت مواعيد النساء كأنها * سراب لمرتاد المناهل جافل

ومنتظر الموعود منهن كالذى * يؤمل يوما ان تلين الجنادل

وقال بعض الحكماء لم تنه المرأة عن شئ قط الا فعلته وقال الغنوى

ان النساء متى ينهين عن خلق * فانه واقع لا بد مفعول

وقال النخعى من اقتراب الساعة طاعة النساء ويقال من أطاع عرسه فقد أضاع نفسه وقال على رضى الله تعالى عنه اياك ومشاورة النساء فان رأيهن الى فن وعزمهن الى وهن اكفف أبصارهن بالحجاب فان شدة الحجاب خير لهن من الارتياب وليس خروجهن بأضر من دخول من لا يوثق به عليهن فان استطعت أن لا يعرفن غيرك فافعل وقال السمعانى

لا تأمنن على النساء ولو أخا * ما فى الرجال على النساء أمين

ان الأمين وان تحفظ جهده * لا بد أن بنظرة سيخون

(وقال غيره) لا تركنن الى النسا * ولا تثق بعهودهن فرضاؤهن جميعهن معلق بفروجهن

وقال على رضى الله تعالى عنه لا تطلعوا النساء على حال ولا تأمنوهن على مال ولا تذروهن الا لتدبير العيال ان تركن وما يردن أوردن المهالك وأفسدن الممالك ينسين الخير ويحفظن الشر يتهافتن فى البهتان ويتمادين فى الطغيان وقال أبو بكر رضى الله تعالى عنه ذل من أسند أمره الى امرأة * وقيل ان صيادا أتى أبرويز بسمكة فأعجبه حسنها وحسنها فأمر له بأربعة آلاف درهم فخطأته شيرين زوجته فقال لها ماذا أفعل فقالت له اذا جاءك فقل له أذكرا كانت أم أنثى فان قال لك ذكر فاطلب منه الأنثى وان قال لك أنثى فاطلب منه الذكر فلما أتاه سأله فقال كانت أنثى فقال ائتنى بذكرها فقال عمر الله الملك كانت بكرا لم تتزوج فقال زه وأمر له بثمانية آلاف درهم وقال اكتبوا فى الحكمة الغدر ومطاوعة النساء يؤديان الى الغرم الثقيل وقال حكيم اعص النساء وهواك وافعل ما شئت وقال عمر رضى الله تعالى عنه أكثروا لهن من قول لا فان نعم تغريهن على المسئلة وقال أستعيذ بالله من شرار النساء وكونوا من خيارهن على حذر

﴿ومما قيل فى الباءة﴾ ذكر الجماع عند الامام مالك بن أنس رضى الله تعالى عنه قال هو نور وجهك ومخ ساقك فأقلل منه أو أكثر وقال معاوية رضى الله تعالى عنه ما رأيت نهما فى النساء الا عرفت ذلك فى وجهه وخلا عام بجارية له فعجز عنها فقال ما أوسع حرك فانشأت تقول

أنت الفداء لمن قد كان يملؤه * ويشتكى الضيق منه حين يلقاه

وقال آخر شفاء الحب تقبيل ولمس * وسحب بالبطون على البطون

ورهز تذرف العينان منه * وأخذ بالمناكب والقرون

وقالت امرأة من أهل الكوفة دخلت على عائشة بنت طلحة فسألت عنها فقيل هى مع زوجها فى القيطون فسمعت شهيقا وشخيرا لم أسمع مثله ثم خرجت الى وجبينها يتصبب عرقا فقلت لها ما ظننت حرة تفعل هذا بنفسها فقالت ان الخيل تشرب بالصفير وعاتبت امرأة زوجها على قلة اتيانها فأجابها يقول

أنا شيخ ولى امرأة عجوز * تراودنى على ما لا يجوز

وقالت رق أيرك مذ كبرنا * فقلت بل قد اتسع القفيز

وكان لرجل امرأة تخاصمه وكلما خاصمته قام اليها فواقعها فقالت ويحك كلما تخاصمنى تأتينى بشفيع لا أقدر على رده وأتى رجل الى على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه وقال ان لى امرأة كلما غشيتها تقول قتلتنى فقال اقتلها بهذه القتلة وعلى اثمها وقالوا من قل جماعه فهو أصح بدنا وأنقى جلدا وأطول عمرا ويعتبر ذلك بذكور الحيوان وذلك انه ليس فى الحيوان أطول أعمارا من البغال ولا أقصر أعمارا من العصافير وهى أكثرها سفادا والله تعالى أعلم بالصواب

﴿الفصل الخامس فى الطلاق وما جاء فيه﴾ عن عبد الرحمن بن محمد ابن أخى الأصمعى قال قال عمى للرشيد فى بعض حديثه يا أمير المؤمنين بلغنى أن رجلا من العرب طلق فى يوم واحد خمس نسوة قال وكيف ذلك

علينا قالت عبيدك الأصمعى سيدى ما هذا البكاء والجزع وأنت من أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة أليس الله تعالى يقول انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا قال هيهات هيهات يا أصمعى ان الله خلق الجنة لمن أطاعه ولو كان عبدا حبشيا وخلق النار لمن عصاه ولو كان حرا قرشيا أليس الله تعالى يقول فاذا نفخ فى الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم فى جهنم خالدون انتهى (وكان) أبو العباس السفاح يعجبه السمر ومنازعة الرجال بعضهم بعضا فحضر عنده ذات ليلة ابراهيم بن مخرمة الكندى وخالد بن صفوان بن الأهتم فخاضوا فى الحديث وتذاكروا مضر واليمن فقال ابراهيم بن مخرمة يا أمير المؤمنين ان أهل اليمن هم العرب الذين دانت لهم الدنيا ولم يزالوا ملوكا ورثوا الملك كابرا عن كابر وآخرا عن أول منهم النعمان والمنذر ومنهم عياض صاحب البحرين ومنهم من كان يأخذ كل سفينة غصبا وليس من شئ له خطر الا اليهم ينسب ان سئلوا أعطوا وان نزل بهم ضيف أقروه فهم العرب العاربة وغيرهم المتعربة فقال أبو العباس ما أظن التميمى رضى بقولك ثم قال ما تقول أنت يا خالد قال ان أذن لى أمير المؤمنين فى الكلام تكلمت قال تكلم ولا تهب أحدا قال أخطأ المتقحم بغير علم ونطق بغير صواب وكيف يكون ذلك لقوم ليس لهم ألسن فصيحة ولا لغة صحيحة نزل بها كتاب ولا جاءت به سنة يفتخرون علينا بالنعمان والمنذر ونفتخر عليهم بخير الانام وأكرم الكرام سيدنا محمد عليه

وانما لا يجوز للرجل غير أربعة قال يا أمير المؤمنين كان متزوجا بأربعة فدخل عليهن يوما فوجدهن متنازعات وكان شريرا فقال الى متى هذا النزاع ما أظن هذا الامن قبلك يا فلانة لامرأة منهن اذهبي فانت طالق فقالت له صاحبتها عجلت عليها بالطلاق ولو أدبتها بغير ذلك لكان أصلح فقال لها وأنت أيضا طالق فقالت له الثالثة قبحك الله فوالله لقد كانتا اليك محسنتين فقال لها وأنت أيضا أيتها المعددة أياديهما طالق فقالت الرابعة وكانت هلالية ضاق صدرك الا أن تؤدب نساءك بالطلاق فقال لها وأنت طالق أيضا فسمعته جارة له فاشرفت عليه وقالت له والله ماشهدت العرب عليك ولا على قومك بالضعف الالما بلوه منكم ووجدوه فيكم أبيت الا طلاق نسائك في ساعة واحدة فقال لها وأنت أيتها المتكلمة فيما لا يعنيك طالق ان أجازني بعلك فأجابه زوجها قد أجزت لك فعجب الرشيد من ذلك وطلق رجل امرأته فلما أرادت الارتحال قال لها اسمعي وليسمع من حضراني والله اعتمدتك برغبة وعاشرتك بمحبة ولم أجد منك زلة ولم يدخلني عنك ملة ولكن القضاء كان غالبا فقالت المرأة جزيت من صاحب ومحبوب خيرا فما استقللت خيرك ولا شكوت ضيرك ولا تمنيت غيرك ولا أجد لك في الرجال شبيها وليس لقضاء الله مدفع ولا من حكمه علينا ممنع وقال رجل لابن عباس رضي الله تعالى عنهما ما تقول في رجل طلق امرأته عدد نجوم السماء فقال يكفيه من ذلك عدد نجوم الجوزاء

(ذكر من طلق امرأته فتبعتها نفسه) قال الهيثم بن عدي كانت تحت ابن الغريان بن الاسود بنت عم له فطلقها فتبعتها نفسه فكتب اليها يعرض لها بالرجوع فكتبت اليه تقول

ان كنت ذا حاجة فاطلب لها بدلا * ان الغزال الذي ضيعت مشغول

(فكتب اليها يقول)

ان كان ذا شغل فالله يكلؤه * فقد لهونا به والحبل موصول

وقد قضينا من استظرافه وطرا * وفي الليالي وفي أيامها طول

وطلق الوليد بن يزيد زوجته سعدى فلما تزوجت اشتد ذلك عليه وندم على ما كان منه فدخل عليه أشعب فقال له هل لك أن تبلغ سعدى عني رسالة ولك عشرة آلاف درهم قال أقبضنيها فأمر له بها فلما قبضها قال له هات رسالتك قال ائتها فأنشدها

أسعدى هل اليك لنا سبيل * ولا حتى القيامة من تلاق

بلى ولعل دهرا أن يؤاتي * بموت من خليلك أو فراق

قال فأتاها أشعب فاستأذن عليها فأذنت له فدخل فقالت له ما بدا لك في زيارتنا يا أشعب فقال يا سيدتي أرسلني اليك الوليد برسالة ثم أنشدها الشعر فقالت لجواريها عليكن بهذا الخبيث فقال يا سيدتي انه دفع الي عشرة آلاف درهم فهي لك وأعتقيني لوجه الله فقالت والله لا أعتقك أو تبلغ اليه ما أقول لك قال يا سيدتي فاجعلي لي جعلا قالت لك بساطي هذا قال قومي عنه فقامت فاخذه وألقاه على ظهره وقال هاتي رسالتك فقالت

أتبكي على سعدى وأنت تركتها * فقد ذهبت سعدى فما أنت صانع

فلما بلغه الرسالة ضاقت عليه الأرض بما رحبت وأخذته كظمة فقال الاشعب اختر مني احدى ثلاث اما أن أقتلك واما أن أطرحك من هذا القصر واما أن ألقيك الى هذه السباع فتفترسك فتحير أشعب وأطرق مليا ثم قال يا سيدي ما كنت لتعذب عينا نظرت الى سعدى فتبسم وخلى سبيله * وممن طلق امرأته فتبعتها نفسه الفرزدق الشاعر طلق النوار ثم ندم على طلاقها وقال

ندمت ندامة الكسعي لما * غدت مني مطلقة نوار * فاصبحت الغداة ألوم نفسي

بامر ليس لي فيه اختيار * وكانت جنتي فخرجت منها * كآدم حين أخرجه الضرار

ولو أني ملكت بها يميني * لكان على للقدر الخيار

وممن طلق امرأته فتبعتها نفسه فندم قيس بن ذريح وكان أبوه أمره بطلاقها فطلقها وندم على ذلك فانشد يقول

فني صبري وعاودني رداعي * وكان فراق لبنى كالخداع

تكنفني الوشاة فازعجوني * فيا للناس للواشي المطاع * فأصبحت الغداة ألوم نفسي

على أمر وليس بالمستطاع * كمغبون يعض على يديه * تبين غبنه عند البياع

أفضل الصلاة والسلام فلله المنة به علينا وعليهم فما النبي المصطفى والخليفة المرتضى ولنا البيت المعمور وزمزم والحطيم والمقام والحجابة والبطحاء وما لا يحصى من المآثر ومنا الصديق والفاروق وذو النورين والوصي والولي وأسد الله وسيد الشهداء وبنا عرفوا الدين وأتاهم اليقين فمن زاحمنا زاحمناه ومن عادانا اصطلمناه ثم أقبل خالد على ابراهيم فقال ألك علم بلغة قومك قال نعم قال فما اسم العين عندكم قال الجحمة قال فما اسم السن قال الميدن قال فما اسم الاذن قال الصنارة قال فما اسم الاصابع قال الشناتير قال فما اسم الذئب قال الكنع قال أفعالم أنت بكتاب الله عز وجل قال نعم قال فان الله تعالى يقول انا أنزلناه قرآنا عربيا وقال بلسان عربي مبين وقال تعالى وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه فنحن العرب والقرآن بلساننا أنزل ألم تر أن الله تعالى قال والعين بالعين ولم يقل الجحمة بالجحمة وقال تعالى والسن بالسن ولم يقل والميدن بالميدن وقال تعالى والاذن بالأذن ولم يقل والصنارة بالصنارة وقال تعالى يجعلون أصابعهم في آذانهم ولم يقل شناتيرهم في صناراتهم وقال تعالى فأكله الذئب ولم يقل فأكله الكنع ثم قال لابراهيم اني أسألك عن أربع ان أقررت بهن قهرت وان جحدتهن كفرت قال وما هن قال الرسول منا أو منكم قال منكم قال والقرآن أنزل علينا أو عليكم قال عليكم قال المنبر فينا أو فيكم قال فيكم قال فالبيت لنا أو لكم قال لكم قال فاذهب فما كان بعد هؤلاء فهو لكم بل ما أنت الا سائس قرد أو دابغ جلد أو ناسج برد قال فضحك أبو العباس وأقر لخالد وحباهما جميعا (وحكي) ان الحجاج

وحدث العتبي قال جاء رجل بامرأة كأنها برج من فضة الى عبد الرحمن بن الحكم وهو على الكوفة فقال ان امرأتي هذه شجتني فسألها عبد الرحمن فقالت نعم يا مولاي غير متعمدة لذلك كنت أعالج طيبا فوقع الفهر من يدي على رأسه وليس عندي علم ولا يقوى بدني على القصاص فقال للرجل علام تمسكها وقد فعلت بك ما أرى فقال يا مولاي ان صداقها على أربعة آلاف درهم ولا تطيب نفسي بفراقها قال فان أعطيتك الاربعة آلاف درهم تفارقها قال نعم قال هي لك قال فهي اذن طالق فقال لها عبد الرحمن احبسي علينا نفسك وأنشأ يقول

يا شيخ يا شيخ من دلالك بالغزل * قد كنت يا شيخ عن هذا بمعتزل

رضت الصعاب فلم تحسن رياضتها * فاعمد لنفسك نحو القرح الذلل

والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب الرابع والسبعون في تحريم الخمر وذمها والنهي عنها

قد أنزل الله تعالى في الخمر ثلاث آيات الاولى قوله تعالى يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس الآية فكان من المسلمين من شارب ومن تارك الى أن شرب رجل فدخل في الصلاة فهجر فنزل قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون فشربها من شربها من المسلمين وتركها من تركها حتى شربها عمر رضي الله تعالى عنه فأخذ بلحي بعير وشج به رأس عبد الرحمن بن عوف ثم قعد ينوح على قتلى بدر بشعر الاسود بن يعفر يقول

وكائن بالقليب قليب بدر * من الفتيان والعرب الكرام * أيوعدني ابن كبشة ان سنحيا

وكيف حياة أصداء وهام * أيعجز أن يرد الموت عني * وينشرني اذا بليت عظامي

ألا من مبلغ الرحمن عني * باني تارك شهر الصيام

فقل لله يمنعني شرابي * وقل لله يمنعني طعامي

فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج مغضبا يجرر رداءه فرفع شيأ كان في يده فضربه به فقال أعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله فأنزل الله تعالى انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون فقال عمر رضي الله تعالى عنه انتهينا انتهينا *ومن الأخبار المتفق عليها في تحريمها قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة مدمن خمر وقوله صلى الله عليه وسلم أول ما نهاني ربي بعد عبادة الأوثان عن شرب الخمر وملاحاة الرجال *وممن تركها في الجاهلية عبد الله بن جدعان وكان جوادا من سادات قريش وذلك أنه شرب مع أمية بن أبي الصلت الثقفي فضربه على عينه فأصبحت عين أمية مخضرة يخاف عليها الذهاب فقال له عبد الله ما بال عينك فسكت فألح عليه فقال ألست ضاربها بالامس فقال أبلغ مني الشراب ما أبلغ معه الى هذا لا أشربها بعد اليوم ثم دفع له عشرة آلاف درهم وقال الخمر على حرام لا أذوقها بعد اليوم أبدا *وممن حرمها في الجاهلية أيضا قيس بن عاصم وذلك أنه سكر ذات ليلة فقام لابنته أو لاخته فهربت منه فلما أصبح سأل عنها فقيل له أوما علمت ما صنعت البارحة فاخبر بالقصة فحرم الخمر على نفسه *وممن حرمها في الجاهلية أيضا العباس بن مرداس وقيس بن عاصم وذلك أن قيسا شرب ذات ليلة فجعل يتناول القمر ويقول والله لا أبرح حتى أنزله ثم يثب الوثبة بعد الوثبة ويقع على وجهه فلما أصبح وأفاق قال مالي هكذا فأخبره بالقصة فقال والله لا أشربها أبدا وقيل للعباس بن مرداس لم تركت الشراب وهو يزيد في سماحتك فقال أكره أن أصبح سيد قومي وأمسي سفيههم *ودخل نصيب على عبد الملك بن مروان فانشده فأعجبه انشاده وشعره ووصله ثم دعا بالطعام فطعم منه فقال له عبد الملك يا نصيب هل لك فيما ينادم عليه قال يا أمير المؤمنين جلدي أسود وخلقي مشوه ووجهي قبيح وتكفيني مجالستك ومؤاكلتك ولم يوصلني الى ذلك الا عقلي وأنا أكره أن يدخل عليه ما ينقصه فأعجبه كلامه ووصله وقال الوليد بن عبد الملك للحجاج في وفدة وفدها عليه هل لك في الشراب فقال يا أمير المؤمنين لا خلاف لما أمرت ولكن أنا أمنع أهل عملي منه وأكره أن أمنعهم من شيء ولا أمتنع منه وقد قال الله تعالى وما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه وقال تعالى أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وقيل لاعرابي لم لا تشرب النبيذ فقال لا أشرب ما يشرب عقلي وقال الضحاك بن مزاحم لرجل ما تصنع بشرب

أخذ يزيد بن المهلب بن أبي صفرة وعذبه واستأصل موجوده وسجنه فتوصل يزيد بحسن تلطفه وأرغب السجان واستماله وهرب هو والسجان وقصدا الشام الى سليمان ابن عبد الملك فلما وصل يزيد بن المهلب الى سليمان بن عبد الملك أكرمه وأحسن اليه وأقامه عنده فكتب الحجاج الى الوليد يعلمه أن يزيد هرب من السجن وانه عند سليمان بن عبد الملك أخي أمير المؤمنين وولي عهد المسلمين وان أمير المؤمنين أعلى رأيا فكتب الوليد الى أخيه سليمان بذلك فكتب سليمان الى أخيه يقول يا أمير المؤمنين اني ما أجرت يزيد بن المهلب الا لانه هو وأبوه واخوته من صنائعنا قديما وحديثا ولم أجر عدوا لأمير المؤمنين وقد كان الحجاج قصده وعذبه وغرمه أربعة آلاف ألف درهم ظلما ثم طالبه بثلاثة آلاف ألف درهم وقد صار الي واستجار بي فأجرته وأنا أغرم عنه هذه الثلاثة آلاف ألف درهم فان رأى أمير المؤمنين أن لا يخزيني في ضيفي فليفعل فانه أهل الفضل والكرم فكتب اليه الوليد انه لا بد أن ترسل الي يزيد مغلولا مقيدا فلما ورد ذلك على سليمان أحضر ولده أيوب فقيده ودعا يزيد بن المهلب فقيده ثم شد قيد هذا الى قيد هذا بسلسلة وغلهما جميعا بغلين وأرسلهما الى أخيه الوليد وكتب اليه أما بعد يا أمير المؤمنين فقد وجهت اليك يزيد وابن أخيك أيوب بن سليمان ولقد هممت ان أكون ثالثهما فان هممت يا أمير المؤمنين بقتل يزيد فبالله عليك ابدأ بأيوب من قبله ثم اجعل يزيد ثانيا واجعلني اذا شئت ثالثا والسلام فلما دخل يزيد ابن المهلب وأيوب بن سليمان في سلسلة واحدة أطرق الوليد

النبيذ قال يهضم طعامي قال أما انه يهضم من دينك وعقلك أكثر وقال ابن أبي أوفى لقومه حين نهوا عن الخمر

ألا يا لقومي ليس في الخمر رفعة * فلا تقربوا منها فلست بفاعل
فاني رأيت الخمر شينا ولم يزل * أخو الخمر دخالا لشر المنازل

وقال الحسن لو كان العقل يشترى لتغالى الناس في ثمنه فالعجب ممن يشترى بماله ما يفسده وقال عليه السلام حب الدنيا رأس كل خطيئة والنساء حبائل الشيطان والخمر داعية الى كل شر وقال بعضهم

بلوت نبيذ الخمر في كل بلدة * فليس لاخوان النبيذ حفاظ
اذا دارت الارطال أرضوك بالمنى * وان فقدوها فالوجوه غلاظ

وقال حكيم اياك واخوان النبيذ فبينما أنت متوج عندهم مخدوم مكرم معظم اذ زلت بك القدم فجروك على شوك السلم فاحفظ قول القائل فيه

وكل أناس يحفظون حريمهم * وليس لأصحاب النبيذ حريم
فان قلت هذا لم أقل عن جهالة * ولكنني بالفاسقين عليم

(وللاعرج الطائي)

تركت الشعر واستبدلت منه * اذا داعي صلاة الصبح قاما
كتاب الله ليس له شريك * وودعت المدامة والندامى

(وقال الصفدي)

دع الخمر فالراحات في ترك راحها * وفي كأسها للمرء كسوة عار
وكم ألبست نفس الفتى بعد نورها * مدارع قار في مدار عقار

(نكتة) اجتمع نصراني ومحدث في سفينة فصب النصراني خمرا من زق كان معه في شربة وشرب ثم صب فيها وعرض على المحدث فتناولها من غير فكر ولا مبالاة فقال النصراني جعلت فداءك انما هي خمر قال من أين علمت أنها خمر قال اشتراها غلامي من يهودي وحلف انها خمر فشربها المحدث عن عجل وقال للنصراني يا أحمق نحن أصحاب الحديث نضعف مثل سفيان بن عيينة ويزيد بن هرون أفنصدق نصرانيا عن غلامه عن يهودي والله ما شربتها الا لضعف الاسناد * ومن المجون في ذلك ما حكى أن سكرانا استلقى على طريق فجاء كلب فلحس شفتيه فقال خدمك بنوك ولا عدموك فبال على وجهه فقال وماء حار أيضا بارك الله فيك وقيل حالة السكارى ثلاثة قرد حرك رأسه فرقص وكلب هارش فنبح وحية زويت فنامت ومن عقال الناس كان عقال بن خدام الأسدي فاستسقاه لبنا فصب له خمرا وعلاه بلبن فشربه وسكر ولم يتحرك ثلاثة أيام فقال

سقيت عقالا بالعشية شربة * فمالت بعقل الكاهلي عقالي
قرعت بأم الخل حبة قلبه * فلم ينتعش منها ثلاث ليالي

ويقال الخمر مصباح السرور ولكنها مفتاح الشرور اللهم تب علينا وعلى العصاة والمذنبين برحمتك يا أرحم الراحمين آمين

﴿الباب الخامس والسبعون في المزاح والنهي عنه وما جاء في الترخيص فيه والبسط والتنعم وفيه فصول﴾

﴿الفصل الأول في النهي عن المزاح﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المزاح استدراج من الشيطان واختلاع من الهوى وعن علي "ما مزح أحد مزحة إلا مج الله من عقله مجة وعنه اياك أن تذكر من الكلام ما يكون مضحكا وان حكيت ذلك عن غيرك وكتب عمر رضي الله تعالى عنه الى عماله امنعوا الناس من المزاح فانه يذهب بالمروءة ويوغر الصدور وقال بعض الحكماء تجنب سوء المزح ونكد الهزل فانهما بابان اذا فتحا لم يغلقا الا بعد غم وقال آخر لكل شيء بذر وبذر العداوة المزاح وعن محمد بن المنكدر قال قالت لي أمي لا تمازح الصبيان تهن عندهم وخرج اعرابي بالليل فاذا بجارية جميلة فراودها فقالت أما لك زاجر من عقلك اذا لم يكن لك واعظ من دينك فقال والله ما يرانا الا الكواكب فقالت له يا هذا وأين مكوكبها فأخجله كلامها فقال لها انما كنت مازحا فقالت

فاياك اياك المزاح فانه * يجري عليك الطفل والرجل النذلا
ويذهب ماء الوجه بعد بهائه * ويورث بعد العز صاحبه ذلا

وقال الأحنف كثرة الضحك تذهب الهيبة وكثرة المزاح تذهب المروءة ومن لزم شيأ عرف به ومما روي عن

استحياء وقال لقد أسأنا الى أبي أيوب اذ بلغنا به هذا المبلغ فأخذ يزيد ليتكلم ويحتج لنفسه فقال له الوليد ما نحتاج الى الكلام فقد قبلنا عذرك وعلمنا ظلم الحجاج ثم انه أحضر حدادا وازال عنهما الحديد وأحسن اليهما ووصل أيوب ابن أخيه بثلاثين ألف درهم ووصل يزيد بن المهلب بعشرين ألف درهم وردهما الى سليمان وكتب كتابا الى الحجاج يقول له لا سبيل لك على يزيد بن المهلب فاياك ان تعاودني فيه بعد اليوم فسار يزيد الى سليمان بن عبد الملك وأقام عنده في أعلى المراتب وأرفع المنازل انتهى ﴿وحكى أبو علي المصري﴾ قال كان لي جار شيخ يغسل الموتى فقلت له يوما حدثني بأعجب ما رأيت من الموتى فقال جاءني شاب في بعض الأيام مليح الوجه حسن الثياب فقال لي أتغسل لنا هذا الميت قلت نعم فتبعته حتى أوقفني على باب فدخل هنيهة فاذا بجارية هي أشبه الناس بالشاب قد خرجت وهي تمسح عينيها فقالت أنت الغاسل قلت نعم قالت بسم الله ادخل ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فدخلت الدار واذا بالشاب الذي جاءني يعالج سكرات الموت وروحه في لبته وقد شخص بصره وقد وضع كفنه وحنوطه عند رأسه فلم أجلس اليه حتى قبض فقلت سبحان الله هذا ولي من أولياء الله تعالى حيث عرف وقت وفاته فأخذت في غسله وأنا أرتعد فلما أدرجته أتت الجارية وهي أخته فقبلته وقالت أما اني سألحق بك عن قريب فلما أردت الانصراف شكرتني وقالت أرسل الى زوجتك ان كانت تحسن ما تحسنه أنت فارتعدت من كلامها وعلمت أنها لاحقة به فلما فرغت من دفنه جئت أهلي

الصحابة رضوان الله عليهم أنهم كانوا يتحادثون و يتناشدون الاشعار فاذا جاء ذكر الله انقلبت حماليقهم كأنهم لم يعرفوا أحدا

﴿الفصل الثاني فيما جاء في الترخيص في المزاح والبسط والتنعم﴾ لا بأس بالمزاح مالم يكن سفها والله تعالى وعد في اللمم بالتجاوز والعفو فقال الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم وقيل ان يحيى بن زكريا لقي عيسى عليه الصلاة والسلام فقال مالي أراك لاهيا كأنك آمن فقال له عيسى مالي أراك عابسا كأنك آيس فقال لا تبرح حتى ينزل علينا الوحي فأوحى الله اليهما ان أحبكما الي أحسنكما ظنا بي ويروى ان أحبكما الي الطلق البسام وقال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه لجارية خلقني خالق الخير وخلقك خالق الشر فبكت الجارية فقال لا بأس عليك فان الله خالق الخير والشر قال الشاعر

ان الصديق يريد بسطك مازحا * فاذا رأى منك الملالة يقصر
وترى العدو اذا تيقن انه * يؤذيك بالمزح العنيف يكثر

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمزح ولا يقول الا حقا فمن مزحه صلى الله عليه وسلم أنه جاء رجل فقال يارسول الله احملني على جمل فقال عليه الصلاة والسلام لا أحملك الا على ولد الناقة فقال يارسول الله انه لا يطيقني فقال له الناس ويحك وهل الجمل الا ولد الناقة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لامرأة من الانصار الحقي زوجك ففي عينيه بياض فسعت الى زوجها مرعوبة فقال لها ما دهاك قالت ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لي ان في عينيك بياضا فقال نعم والله وسوادا وأتته أيضا عجوز أنصارية فقالت يارسول الله ادع الله أن يدخلني الجنة فقال لها يا أم فلان ان الجنة لا يدخلها عجوز فولت المرأة تبكي فتبسم صلى الله عليه وسلم وقال لها أما قرأت قوله تعالى انا أنشأناهن انشاء فجعلناهن أبكارا عربا أترابا وقالت عائشة رضي الله تعالى عنها سابقت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبقته فلما كثر لحمي سابقته فسبقني فضرب بكتفي وقال هذه بتلك وعنها أيضا قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل وأنا ألعب مع صويحباتي ولا يعيب علي وسئل النخعي هل كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحكون قال نعم والايمان في قلوبهم مثل الجبال الرواسي وكان نعيمان الصحابي من أولع الناس بالمزاح والضحك قيل انه يدخل الجنة وهو يضحك فمن مزحه انه مر يوما بمخرمة بن نوفل الزهري وهو ضرير فقال له قدني حتى أبول فاخذ بيده حتى أتى به الى المسجد فاجلسه في مؤخره فصاح به الناس انك في المسجد فقال من قادني قالوا نعيمان قال لله علي نذر أن أضرب به بعصاي هذه ان وجدته فبلغ ذلك نعيمان فجاء اليه وقال له يا أبا المسور هل لك في نعيمان قال نعم قال ها هو قائم يصلي وأخذ بيده وجاء به الى عثمان بن عفان وهو يصلي وقال هذا نعيمان فعلاه بعصاه فصاح الناس أمير المؤمنين فقال من قادني قالوا نعيمان فقال والله لا تعرضت له بسوء بعدها وقال عطاء بن السائب كان سعيد بن جبير يقص علينا حتى يبكينا وربما لم يقم حتى يضحكنا وكان رجل يسمى تاج الوعظ يعظ الناس ويقص عليهم حتى يبكيهم ثم لم يقم حتى يضحكهم ويبسط آمالهم فمن لطائفه انه حكى يوما بعدما فرغ من ميعاده قال سمعت الناس يتكلمون في التصحيف وكنت لا أعرفه فوقع في قلبي أن أتعلمه فدخلت في سوق الكتبية واشتريت كتابا في التصحيف فاول ما تصفحته وجدت فيه سكباج تصحيفه شك تاج فرميت الكتاب من يدي وحلفت أني لا أشتغل به أبدا فضحك الناس حتى غشي عليهم ودخل عبد الله بن جعفر على عبد الملك بن مروان فوجده يتأوه فقال يا أمير المؤمنين لو أدخلت عليك من يؤنسك بأحاديث العرب ويباسطك استرحت فقال لست بصاحب لهو فقال ما الذي تشكوه يا أمير المؤمنين قال هاج بي عرق النسا في ليلتي هذه فبلغ مني ما ترى فقال ان بديحا مولاي أرقى الخلق منه فامر باحضاره فلما مثل بين يديه قال له عبد الملك يا بديح ارق رجلي فقال يا مولاي أنا أرقى الناس لها ثم وضع يده عليها وجعل يقول مالا يسمع فقال عبد الملك قد وجدت راحة بهذه الرقية أين فلانة أتتوني بها تكتبها فانه لا يهيج بي الوجع بالليل فقال بديح الطلاق يلزمه ما أكتبها الا بتعجيل جائزتي فامر له باربعة آلاف درهم فقال يا أمير المؤمنين الطلاق يلزمه ما أكتبها حتى تحمل جائزتي الى بيتي قال تحمل فحملت فقال يا أمير المؤمنين الطلاق يلزمه ما رقيت رجلك الا مباسطة بقول نصيب حيث قال

ألا ان ليلى العامرية أصبحت * على النأي مني ذنب غيري تنقم

فقصصت عليها القصة وأتيت بها الى تلك الجارية فوقفت بالباب واستأذنت فقالت بسم الله تدخل زوجتك فدخلت زوجتي فاذا بالجارية مستقبلة القبلة وقد ماتت فغسلتها زوجتي وأنزلتها على أخيها رحمة الله عليهما

أأحبابنا بنتم عن الدار فاشتكت
لبعدكم آصالها وضحاها
وفارقتم الدار الأنيسة فاستوت
رسوم مبانيها وفاح كلاها
كأنكم يوم الفراق رحلتم
بنومي فعيني لا تصيب كراها
وكنت شحيحا من دموعي بقطرة
فقد صرت سمحا بعدكم بدماها
يراني بساما خليلي يظن بي
سرورا وأحشائي السقام ملاها
وكم ضحكة في القلب منها حرارة
يشب لظاها لو كشفت غطاها
رعى الله أياما بطيب حديثكم
تقضت وحياها الحيا وسقاها
فما قلت ايها بعدها لمسامر
من الناس الا قال قلبي آها

قيل لقيس بن سعد هل رأيت قط أسخى منك قال نعم نزلنا بالبادية على امرأة فجاء زوجها فقالت له انه نزل بنا ضيفان فجاء بناقة فنحرها وقال شأنكم فلما كان من الغد جاء باخرى فنحرها وقال شأنكم فقلنا ما أكلنا من التي نحرت البارحة الا القليل فقال اني لا أطعم ضيفاني الغاثث فبقينا عنده أياما والسماء تمطر وهو يفعل كذلك فلما أردنا الرحيل وضعنا مائة دينار في بيته وقلنا للمرأة اعتذري لنا اليه ومضينا فلما ارتفع النهار اذا برجل يصيح خلفنا قفوا فوقفنا فلما دنا منا قال خذوا دنانيركم فاني لا آخذ على اكرامي ثمنا وان لم تأخذوها طعنتكم برمحي هذا فأخذناها وانصرفنا (وكان) يزيد بن المهلب من الأجواد الأسخياء وله أخبار في الجود

فقال ويلك ما تقول فقال الطلاق يلزمه ما رقيتك الا بها فقال اكتبها لي فقال كيف وقد سارت بها الركبان الى أخيك بمصر فضحك حتى فحص برجليه وأعجبه هذا البسط وروى أن ابن سيرين كان ينشد قول الشاعر

أنبئت أن فتاة كنت أخطبها * عرقوبها مثل شهر الصوم في الطول

ثم يضحك حتى يسيل لعابه (وما جاء في الشطرنج واللعب به والنهي عنه والترخيص فيه) أما النهي عنه فقد قيل ان عليا كرم الله وجهه مر بقوم يلعبون بالشطرنج فقال لهم ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون وكان أبو القاسم الكسروي يقول لا ترى شطرنجيا غنيا الا بخيلا ولا فقيرا الا طفيليا ولا تسمع نادرة باردة الا على الشطرنج * واحتضر شطرنجي فصار يقول شاه مات شاه مات مكان الشهادتين حتى مات * وأما الترخيص فيه فقد سئل الشعبي عن اللعب بالشطرنج فقال لا بأس به اذا لم يكن هناك تقامر وتبادل وقال بعضهم كنا في السجن مع ابن سيرين فكان يرانا ونحن نلعب بالشطرنج فيقوم فيأتي و يقول ارفع الفرس ارفع كذا افعل كذا ولا يعيب علينا وعن سعيد بن المسيب قال كنت ألعب بالشطرنج مع صديقي في بيته حين خفت الحجاج ومما قيل لعلي بن الجهم في الشطرنج وقيل للمأمون

أرض مربعة حمراء من أدم * ما بين حرين معروفين بالكرم
تذكرا الحرب فاحتالا لها فطنا * من غير أن يأثما فيها بسفك دم
هذا يغير على هذا وذاك على * هذا يغير وعين الحزم لم تنم
فانظر الى همم جاشت بمعركة * في عسكرين بلا طبل ولا علم

قالوا ان سبب وضع الشطرنج أن ملوك الهند ما كانوا يرون بقتال فاذا تنازع ملكان في كورة أو مملكة تلاعبا بالشطرنج فيأخذها الغالب من غير قتال وقيل انه كان لبعض ملوك الفرس شطرنج من ياقوت أحمر وأصفر القطعة منه بثلاثة آلاف دينار *(وما جاء في لعب الغلمان)* ما حكى أن غلمانا من أهل البحرين خرجوا يلعبون بالصوالجة وأسقف البحرين قاعد فوقعت الأكرة على صدره فأخذها فجعلوا يطلبونها منه فأبى فقال غلام منهم سألتك بحق محمد صلى الله عليه وسلم الا رددتها علينا فأبى لعنه الله وسب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبلوا عليه بصوالجهم فما زالوا يخبطونه حتى مات لعنة الله عليه فرفع ذلك الى عمر رضي الله تعالى عنه فوالله ما فرح بفتح ولا غنيمة كفرحته بقتل الغلمان لذلك الاسقف وقال الآن عز الاسلام ان أطفالا صغارا شتم نبيهم فغضبوا له وانتصروا وأهدر دم الاسقف والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب السادس والسبعون في النوادر وفيه فصول

(الفصل الأول من هذا الباب في نوادر العرب) خرج المهدي يتصيد فغار به فرسه حتى وقع في خباء اعرابي فقال يا اعرابي هل من قرى فأخرج له قرص شعير فأكله ثم أخرج له فضلة من لبن فسقاه ثم أتاه بنبيذ في ركوة فسقاه فلما شرب قال أتدري من أنا قال لا قال أنا من خدم أمير المؤمنين الخاصة قال بارك الله لك في موضعك ثم سقاه مرة أخرى فشرب فقال يا اعرابي أتدري من أنا قال زعمت أنك من خدم أمير المؤمنين الخاصة قال لا أنا من قواد أمير المؤمنين قال رحبت بلادك وطاب مرادك ثم سقاه الثالثة فلما فرغ قال يا اعرابي أتدري من أنا قال زعمت أنك من قواد أمير المؤمنين قال لا ولكني أمير المؤمنين قال فأخذ الاعرابي الركوة فوكاها وقال اليك عني فوالله لو شربت الرابعة لادعيت انك رسول الله فضحك المهدي حتى غشي عليه ثم أحاطت به الخيل ونزلت اليه الملوك والاشراف فطار قلب الاعرابي فقال له لا بأس عليك ولا خوف ثم أمر له بكسوة ومال جزيل * ووجد اعرابي يأكل و يتغوط و يفلي ثوبه فقيل له في ذلك فقال أخرج عتيقا وأدخل جديدا وأقتل عدوا * وقيل لبعض الاعراب ان شهر رمضان قدم فقال والله لابددنه بالاسفار * وسمع اعرابي قارئا يقرأ القرآن حتى أتى على قوله تعالى الاعراب أشد كفرا ونفاقا فقال لقد هجانا ثم بعد ذلك سمعه يقرأ ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر فقال لا بأس هجا ومدح هذا كما قال شاعرنا

هجوت زهيرا ثم اني مدحته * وما زالت الاشراف تهجى وتمدح

وحضر اعرابي على مائدة يزيد بن مزيد فقال لأصحابه افرجوا لأخيكم فقال الاعرابي لا حاجة لي بافراجكم ان

عجيبة من ذلك ما حكاه عقيل بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه قال لما أراد يزيد بن المهلب الخروج الى واسط أتيته فقلت أيها الأمير ان رأيت أن تأذن لي فأصحبك قال اذا قدمت واسط فائتنا ان شاء الله تعالى فسافر وأقمت فقال لي بعض اخواني اذهب اليه فقلت كان جوابه فيه ضعف قال أتريد من يزيد جوابا أكثر مما قال فسرت حتى قدمت عليه فلما كان في الليل دعيت الى السمر فتحدث القوم حتى ذكروا الجواري فالتفت الى يزيد وقال ايه يا عقيل فقلت

أفاض القوم في ذكر الجواري
فأما الأعزبون فلن يقولوا

قال انك لا تبقى عزبا فلما رجعت الى منزلي اذا أنا بخادم قد أتاني ومعه جارية وفرش بيت وبدرة عشرة آلاف درهم وفي الليلة الثانية كذلك فمكثت عشر ليال وأنا على هذه الحالة فلما رأيت ذلك دخلت عليه في اليوم العاشر فقلت أيها الأمير قد والله أغنيت وأقنيت فان رأيت أن تأذن لي في الرجوع فأكبت عدوي وأسر صديقي فقال انما أخيرك بين خلتين اما أن تقيم فنوليك أو ترحل فنغنيك فقلت أولم تغنني أيها الأمير قال انما هذا أثاث المنزل ومصلحة القدوم فنالني من فضله ما لا أقدر على وصفه (وحدث) أبو اليقظان عن أبيه قال حج يزيد بن المهلب فطلب حلاقا فحلق رأسه فجاؤه بحلاق فحلق رأسه فامر له بخمسة آلاف درهم فتحير الحلاق ودهش وقال آخذ هذه الخمسة آلاف وأمضي الى أم فلان أخبرها أني قد استغنيت فقال أعطوه خمسة آلاف أخرى فقال امرأته طالق ان حلقت رأس أحد بعدك (وقيل) ان الحجاج حبسه على خراج وجب عليه مقداره مائة ألف درهم

أطنابي طوال يعني سواعده فلما مديده ضرط فضحك يزيد فقال يا أخا العرب أظن أن طنبا من أطنابك قد انقطع
* وروئي اعرابي يغطس في البحر ومعه خيط وكلما غطس غطسة عقد عقدة فقيل له ما هذا قال جنابات الشتاء
أقضيها في الصيف * وسرق اعرابي غاشية من على سرج ثم دخل المسجد يصلي فقرأ الامام هل أتاك حديث
الغاشية فقال يا فقيه لا تدخل في الفضول فلما قرأ وجوه يومئذ خاشعة قال خذوا غاشيتكم ولا يخشع وجهي
لا بارك الله لكم فيها ثم رماها من يده وخرج * وحضر اعرابي مجلس قوم فتذاكروا قيام الليل فقيل له يا أبا امامة
أتقوم الليل فقال نعم قالوا فما تصنع قال أبول وأرجع أنام * وسرق اعرابي صرة فيها دراهم ثم دخل المسجد
يصلي وكان اسمه موسى فقرأ الامام وما تلك بيمينك يا موسى فقال الاعرابي والله انك لساحر ثم رمى الصرة وخرج
(وحكى) الاصمعي قال ضلت لي ابل فخرجت في طلبها وكان البرد شديدا فالتجأت الى حي من أحياء العرب
واذا بجماعة يصلون وبقربهم شيخ ملتف بكساء وهو يرتعد من البرد وينشد

أيا رب ان البرد أصبح كالحا * وأنت بحالي يا الهي أعلم
فان كنت يوما في جهنم مدخلي * ففي مثل هذا اليوم طابت جهنم

قال الاصمعي فتعجبت من فصاحته وقلت له يا شيخ أما تستحي تقطع الصلاة وأنت شيخ كبير فأنشد يقول

أيطمع ربي أن أصلي عاريا * ويكسو غيري كسوة البرد والحر
فوالله لا صليت ما عشت عاريا * عشاء ولا وقت المغيب ولا الوتر
ولا الصبح الا يوم شمس دفيئة * وان غيمت فالويل للظهر والعصر
وان يكسني ربي قميصا وجبة * أصلي له مهما أعيش من العمر

قال فأعجبني شعره وفصاحته فنزعت قميصا وجبة كانا علي ودفعتهما اليه وقلت له البسهما وقم فصل فاستقبل
القبلة وصلى جالسا وجعل يقول

اليك اعتذاري من صلاتي جالسا * على غير طهر موميا نحو قبلتي
فمالي ببرد الماء يا رب طاقة * ورجلاي لا تقوى على ثني ركبتي
ولكنني أستغفر الله شاتيا * وأقضيكها يا رب في وجه صيفتي
وان أنا لم أفعل فأنت محكم * بما شئت من صفعي ومن نتف لحيتي

قال فعجبت من فصاحته وضحكت عليه وانصرفت وصلى اعرابي مع قوم فقرأ الامام قل أرأيتم ان أهلكني الله
ومن معي أو رحمنا فقال الاعرابي أهلكك الله وحدك ايش كان ذنب الذين معك فقطع القوم الصلاة من شدة
الضحك وقيل دخلت اعرابية على قوم يصلون فقرأ الامام فانكحوا ما طاب لكم من النساء وجعل يرددها
فجعلت الاعرابية تعدو وهي هاربة حتى جاءت لاختها فقالت يا اختاه ما زال الامام يأمرهم أن ينكحوا حتى
خشيت ان يقعوا علي وصلى اعرابي خلف امام فقرأ الامام ألم نهلك الاولين وكان في الصف الاول فتأخر الى
الصف الآخر فقرأ ثم نتبعهم الآخرين فتأخر فقرأ كذلك نفعل بالمجرمين وكان اسم البدوي مجرما فترك الصلاة
وخرج هاربا وهو يقول والله ما المطلوب غيري فوجده بعض الاعراب فقال له مالك يا مجرم فقال ان الامام
أهلك الاولين والآخرين وأراد أن يهلكني في الجملة والله لا رأيته بعد اليوم * وجلس بعض الاعراب يشرب
مع ندمائه فاحتاج الى بيت الخلاء فدلوه عليه فلما دخل جعل يضرط ضراطا شنيعا فضحكوا عليه فأنشد
يقول

اذا ما خلا الانسان في بيت غائط * تراخت بلا شك مصاريع فقعته
فمن كان ذا عقل فيعذر ضارطا * ومن كان ذا جهل ففي وسط لحيته

وكان لسابور ملك فارس نديم مضحك يسمى مرزبان فظهر له من الملك جفوة فلما زاد ذلك عليه تعلم نبيح الكلاب
وعوي الذئاب ونهيق الحمير وصهيل الخيل وصوت البغال ثم احتال حتى دخل موضعا يقرب خلوة الملك
وأخفى أمره فلما خلا الملك بنفسه نبح نبيح الكلاب فلم يشك الملك في أنه كلب فقال انظروا ما هذا فعوى عوي
الذئاب فنزل الملك عن سريره فنهق نهيق الحمير فمضى الملك هاربا ومضت الغلمان يتبعون الصوت فلما دنوا منه
صهل صهيل الخيل فاقتحموا عليه وأخرجوه عريانا فلما وصلوا به الى الملك ورآه مرزبان ضحك الملك ضحكا
شديدا وقال له ما حملك على ما صنعت قال ان الله عز وجل مسخني كلبا وذئبا وحمارا وفرسا لما غضب علي الملك

فجمعت له وهو في السجن فجاءه
الفرزدق يزوره فقال للحاجب
استأذن لي عليه فقال انه في
مكان لا يمكن الدخول عليه فيه
فقال الفرزدق انما أتيت متوجعا
لما هو فيه ولم آت ممتدحا فأذن له
فلما أبصره قال

أيا خالد ضاقت خراسان بعدكم
وقال ذووا الحاجات أين يزيد
فما قطرت بالشرق بعدك قطرة
ولا اخضر بالمروين بعدك عود
وما السرور بعد عزك بهجة
وما الجواد بعد جودك جود

فقال يزيد للحاجب ادفع اليه المائة
ألف درهم التي جمعت لنا ودع الحجاج
ولحمي يفعل فيه ما يشاء فقال الحاجب
للفرزدق هذا الذي خفت منه لما
منعتك من دخولك عليه فأخذها
وانصرف (ومر) يزيد بن المهلب عند
خروجه من سجن عمر بن عبد العزيز
رضي الله تعالى عنه بعجوز اعرابية
فذبحت له عنزا فقال لابنه ما معك
من النفقة قال مائة دينار قال
ادفعها اليها فقال هذه يرضيها اليسير
وهي لا تعرفك قال ان كان يرضيها
اليسير فانا لا أرضى الا بالكثير وان
كانت لا تعرفني فانا أعرف نفسي
(وقال أبو العيناء) تذاكروا السخاء
فاتفقوا على آل المهلب في الدولة
المروانية وعلى البرامكة في الدولة
العباسية ثم اتفقوا على ان أحمد بن
داود أسخى منهم جميعا وأفضل
(وسئل) اسحق الموصلي عن سخاء
أولاد يحيي بن خالد فقال أما الفضل
فيرضيك فعله وأما جعفر فيرضيك
قوله وأما محمد فيفعل بحسب ما يجد
وفي يحيي يقول القائل

سألت الندى هل أنت حر فقال لا
ولكنني عبد ليحيي بن خالد
فقلت شراء قال لا بل وراثة
توارثني عن والد بعد والد

(وفي الفضل يقول القائل)
اذا نزل الفضل بن يحيي ببلدة

قال

قال فأمر الملك أن يخلع عليه وأن يرد الى مرتبته الاولى ومن الملح قول بعض الشعراء

أيا من فاق حسنا واعتدالا * ووجه فى عطيته السبايا
أما فى مال ردفك من زكاة * فتدخل فيه لى هذا النصابا

(وحكى) الاصمعى ان عجوزا من الاعراب جلست فى طريق مكة الى فتيان يشربون نبيذا فسقوها قدحا فطابت نفسها فتبسمت فسقوها قدحا آخر فاحمر وجهها وضحكت فسقوها ثالثا فقالت خبرونى عن نسائكم بالعراق أيشربن النبيذ قالوا نعم قالت زنين ورب الكعبة والله ان صدقتم ما فيكم من يعرف أباه وصلى اعرابى خلف امام فقرأ انا أرسلنا نوحا الى قومه ثم وقف وجعل يرددها فقال الاعرابى أرسل غيره يرحمك الله وأرحنا وأرح نفسك وصلى آخر خلف امام فقرأ فلن أبرح الارض حتى يأذن لى أبى ووقف وجعل يرددها فقال الاعرابى يا فقيه اذا لم يأذن لك أبوك فى هذا الليل نظل نحن وقوفا الى الصباح ثم تركه وانصرف ولزم اعرابى سفيان بن عيينة مدة يسمع منه الحديث فلما ان جاء ليسافر قال له سفيان يا اعرابى ما أعجبك من حديثنا قال ثلاثة أحاديث حديث عائشة رضى الله تعالى عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم انه كان يحب الحلوى والعسل وحديثه عليه الصلاة والسلام اذا وضع العشاء وحضرت الصلاة فابدؤا بالعشاء وحديث عائشة عنه أيضا ليس من البر الصوم فى السفر وقيل لاعرابية ما صفة الاير عندكم قالت عصبة ينفخ فيها الشيطان فلا يرد أمرها وانفرد الرشيد وعيسى بن جعفر ومعه الفضل بن يحيى فاذا هو بشيخ من الاعراب على حمار وهو رطب العينين فقال له الفضل هل أدلك على دواء لعينيك قال ما أحوجنى الى ذلك قال خذ عيدان الهواء وغبار الماء فصيره فى قشر بيض الذر واكتحل به ينفعك فانحنى الشيخ وضرط ضرطة قوية وقال خذ هذه فى لحيتك أجرة وصفتك وان زدت زدناك فضحك الرشيد حتى استلقى على ظهر دابته *وخرج معن بن زائدة فى جماعة من خواصه للصيد فاعترضهم قطيع ظباء فتفرقوا فى طلبه وانفرد معن خلف ظبى حتى انقطع عن أصحابه فلما ظفر به نزل فذبحه فرأى شيخا مقبلا من البرية على حمار فركب فرسه واستقبله فسلم عليه فقال من أين والى أين قال أتيت من أرض لى لها عشرون سنة مجدبة وقد أخصبت فى هذه السنة فزرعتها مقثأة فطرحت فى غير وقتها فجمعت منها ما استحسنته وقصدت به معن بن زائدة لكرمه المشكور وفضله المشهور ومعروفه المأثور واحسانه الموفور قال وكم أملت منه قال ألف دينار قال فان قال لك كثير قال خمسمائة قال فان قال لك كثير قال ثلثمائة قال فان قال لك كثير قال مائة قال فان قال كثير قال خمسين قال فان قال لك كثير قال فلا أقل من الثلاثين قال فان قال لك كثير قال أدخل قوائم حمارى فى حرامه وأرجع الى أهلى خائبا فضحك معن منه وساق جواده حتى لحق بأصحابه ونزل فى منزله وقال لحاجبه اذا أتاك شيخ على حمار بقثاء فادخل به على فأتى بعد ساعة فلما دخل عليه لم يعرفه لهيبته وجلالته وكثرة حشمه وخدمه وهو متصدر فى دسته والخدم والحفدة قيام عن يمينه وشماله وبين يديه فلما سلم عليه قال ما الذى أتى بك أخا العرب قال أملت الامير وأتيته بقثاء فى غير أوان فقال كم أملت فينا قال ألف دينار قال كثير فقال والله لقد كان ذلك الرجل ميشوما على ثم قال خمسمائة دينار قال كثير فما زال الى ان قال خمسين دينارا فقال له كثير فقال لا أقل من الثلاثين فضحك معن فعلم الاعرابى انه صاحبه فقال ياسيدى ان لم تجب الى الثلاثين فالحمار مربوط بالباب وها معن جالس فضحك معن حتى استلقى على فراشه ثم دعا بوكيله فقال أعطه ألف دينار وخمسمائة دينار وثلثمائة دينار ومائة دينار وخمسين دينارا وثلاثين دينارا ودع الحمار مكانه فتسلم الاعرابى المال وانصرف

﴿الفصل الثانى فى نوادر القراء والفقهاء﴾ عن محمد بن عبد الله قال كنا فى دهليز عثمان بن شيبة فخرج الينا فقال ن والقلم فى أى سورة * ومر بعضهم بقارئ يقرأ ألم غلبت الترك فى أدنى الارض فقال له الروم فقال له كلهم أعداؤنا قاتلهم الله وكان جماعة يجلسون الى أبى العيناء وفيهم رجل لا يتكلم فقيل له يوما كيف علمك بكتاب الله قال أنا عالم به فقيل له هذه الآية فى أى سورة الحمد لله لا شريك له فقال له فى سورة الحمد فضحكوا عليه * وجاء رجل الى فقيه فقال أفطرت يوما فى رمضان فقال اقض يوما مكانه قال قضيت وأتيت أهلى وقد عملوا مأمونية فسبقتنى يدى اليها فأكلت منها فقال اقض يوما آخر مكانه قال قضيت وأتيت أهلى وقد عملوا هريسة فسبقتنى يدى اليها فقال أرى أن لا تصوم الا ويدك مغلولة الى عنقك * وجاء رجل الى بعض الفقهاء

رأيت بها غيث السماحة ينبت
فليس بسعال اذا سيل حاجة
ولا بمكب فى ثرى الارض ينكت
(وفى محمد يقول القائل)
سألت الندى والجود مالى أراكما
تبدلتما عزا بذل مؤبد
وما بال ركن المجد أمسى مهدما
فقالا أصبنا بابن يحيى محمد
فقلت فهلا متما بعد موته
وقد كنتما عبديه فى كل مشهد
فقالا أقمنا كى نعزى بفقده
مسافة يوم ثم نتلوه فى غد
وقال على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه وكرم الله تعالى وجهه من كانت له الى حاجة فليرفعها الى فى كتاب لاصون وجهه عن المسئلة (وجاءه) رضى الله تعالى عنه اعرابى فقال له يا أمير المؤمنين ان لى اليك حاجة الحياء يمنعنى أن أذكرها فقال خطها فى الارض فكتب انى فقير فقال يا قنبر اكسه حلتى فقال الاعرابى

كسوتنى حلة تبلى محاسنها
فسوف أكسوك من حسن الثنا حللا
إيه أبا حسن قد نلت مكرمة
ولست تبغى بما قدمته بدلا
ان الثناء ليحيى ذكر صاحبه
كالغيث يحيى نداه السهل والجبلا
لا تزهد الدهر فى عرف بدأت به
كل امرئ سوف يجزى بالذى فعلا

فقال يا قنبر زده مائة دينار فقال يا أمير المؤمنين لو فرقتها فى المسلمين لاصلحت بها من شأنهم فقال رضى الله تعالى عنه صه يا قنبر فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اشكروا لمن أثنى عليكم واذا أتاكم كريم قوم فأكرموه (وسئل) اسحق الموصلى عن المخلوع فقال كان أمره كله عجبا كان لا يبالى أين يقعد مع جلسائه وكان عطاؤه عطاء من لا يخاف الفقر كان عنده سليمان بن أبى جعفر يوما فأراد الرجوع الى أهله فقال له سفر البر أحب اليك

فقال له أنا أعبد الله على مذهب ابن حنبل وانى توضأت وصليت فبينما أنا فى الصلاة اذ أحسست ببلل فى سراويلى يتلزق فشممته فاذا رائحته كريهة خبيثة قال الفقيه عافاك الله خريت باجماع المذاهب * وجاء رجل الى فقيه قال أنا رجل أفسو فى ثيابى حتى تفوح روائحى فهل يجوز لى أن أصلى فى ثيابى قال نعم لكن لا كثر الله فى المسلمين مثلك * ووقع بين الأعمش وبين امرأته وحشة فسأل بعض أصحابه من الفقهاء أن يرضيها ويصلح بينهما فدخل اليها وقال ان أبا محمد شيخ كبير فلا يزهدنك فيه عمش عينيه ودقة ساقيه وضعف ركبتيه ونتن ابطيه وبخر فيه وجمود كفيه فقال له الأعمش قم قبحك الله فقد أريتها من عيوبى ما لم تكن تعرفه * وسكن بعض الفقهاء فى بيت سقفه يقرقع فى كل وقت فجاءه صاحب البيت يطلب الأجرة فقال له اصلح السقف فانه يقرقع قال لا تخف فانه يسبح الله تعالى قال اخشى أن تدركه رقة فيسجد

﴿الفصل الثالث فى نوادر القضاة﴾ كان لبعض القضاة بغلة فقرأ يوما فى المصحف وما من دابة فى الأرض الا على الله رزقها فقال لغلامه اطلق البغلة ورزقها على الله فصارت البغلة تدور الأسواق والأزقة وتأكل قشور الباذنجان وقشور الرمان وقشور البطيخ وقمامات الطريق فماتت فأمر الغلام باحضار المشاعلية ليحملوها لظاهر المدينة فأحضرهم فطلبوا من القاضى عشرة دراهم أجرة حملها وقالوا ليس لنا شئ نرتزق منه الا من مثل هذا وسيدنا رجل غنى وله أشياء كثيرة العدالة والتزويج والعقود والوراقة والسجن والاطلاق وجامكية الحكم وأجرة اليمين والتدريس والأوقاف فقال لهم القاضى المثلى يقال هذا وأنتم لكم اثنا عشر بابا من المنافع منها الوسخ والزفر والملح والولع وبيت النبذة وشركة النفوس وجباية الأسواق وحرق النار وسلب الشطار واسكم الصياح وثمن الاصلاح وما تربحون من هذه البغلة بلاشئ جلدها للدباغين وذنبها للغرابلية ومعرفتها للشعار وتطبيقتها للبيطار قال فتقدم أحدهم اليه وقال بحق من تاب عليك ورد عاقبتك الى خير وأراحك من هذا المعاش تصدق علينا بشئ ولا تدعنا نروح بلاش * تفسير هذه الألفاظ الزفر النساء الزانيات والوسخ المراحيض والملح جباية الأسواق والولع القمار وبيت النبذة محل المزر وشركة النفوس كل من حمل ميتا وله وقبل أن يخرج من باب البلد كانوا شركاء وسلب الشطار كل من شنقوه لهم سلبه * وولى يحيى بن أكثم قاضيا على أهل جبلة فبلغه أن الرشيد انحدر الى البصرة فقال لأهل جبلة اذا اجتاز الرشيد فاذكرونى عنده بخير فوعدوه بذلك فلما جاء الرشيد تقاعدوا عنه فسرح القاضى لحيته وكبر عمته وخرج فرأى الرشيد فى الحراقة ومعه أبو يوسف القاضى فقال يا أمير المؤمنين نعم القاضى قاضى جبلة عدل فينا وفعل كذا وكذا وجعل يثنى على نفسه فلما رآه أبو يوسف عرفه فضحك فقال له الرشيد مم تضحك فقال يا أمير المؤمنين المثنى على القاضى هو القاضى فضحك الرشيد حتى فحص برجله الأرض ثم أمر بعزله فعزل * وأحضر رجل ولده الى القاضى فقال يا مولانا ان ولدى هذا يشرب الخمر ولا يصلى فأنكر ولده ذلك فقال أبوه يا سيدى أفتكون صلاة بغير قراءة فقال الولد انى أقرأ القرآن فقال له القاضى اقرأ حتى أسمع فقال

علق القلب الربابا * بعد ما شابت وشابا ان دين الله حق * لا أرى فيه ارتيابا

فقال أبوه انه لم يتعلم هذا الا البارحة سرق مصحف الجيران وحفظ هذا منه فقال القاضى وأنا الآخر أحفظ آية منها وهى

فارحمى مضنى كئيبا * قد رأى الهجر عذابا

ثم قال القاضى قاتلكم الله يعلم أحدكم القرآن ولا يعمل به * وتقدم اثنان الى أبى عصامة القاضى فادعى أحدهما على الآخر طنبورا فأنكر فقال للمدعى ألك بينة فقال لى شاهدان فاحضر رجلين شهدا له فقال المدعى عليه سلهما يا سيدى عن صناعتهما فأخبر أحدهما انه نباذ وقال الآخر انه قواد فالتفت القاضى الى المدعى عليه وقال أتريد على طنبور أعدل من هذين ادفع اليه طنبوره * وتحاكم الرشيد وزبيدة الى أبى يوسف القاضى فى الفالوذج واللوزينج أيهما أطيب فقال أبو يوسف أنا لا أحكم على غائب فأمر الرشيد باحضارهما وقدما بين يدى أبى يوسف فجعل يأكل من هذا مرة ومن هذا مرة حتى نصف الجامين ثم قال يا أمير المؤمنين ما رأيت أعدل منهما كلما أردت أن أحكم لأحدهما أتى الآخر بحجته * وأتى بعض المجان لبعض القضاة فقال يا سيدى ان امرأتى قحبا نا فقال له القاضى طلقها نا فقال عشقانا فقال قودها نا * وادعى رجل عند قاض على امرأة حسناء بدين فجعل القاضى يميل اليها بالحكم فقال الرجل أصلح الله القاضى يجئ

أم سفر البحر قال البحر ألين على
فقال أوقروا له زورقه ذهبا وأمر له
بألف ألف درهم (وشكا) سعيد
ابن عمرو بن عثمان بن عفان موسى
ابن شهوان الى سليمان بن عبد الملك
وقال قد هجانى يا أمير المؤمنين
فاستحضره سليمان وقال لأم لك
تهجو سعيدا قال يا أمير المؤمنين
أخبرك الخبر عشقت جارية مدنية
وأتيت سعيدا فقلت انى أحب هذه
الجارية وان مولاتها أعطيت فيها
مائتى دينار وقد أتيتك فقال لى بورك
فيك قال فأتيت يا أمير المؤمنين
سعيد بن خالد فذكرت له حالى
فقال يا جارية هاتى مطرفا فأتته
بطرف خز فصر لى فى زاويته مائتى
دينار فخرجت وأنا أقول

أبا خالد أعنى سعيد بن خالد
أخا العرف لا أعنى ابن بنت سعيد
ولكننى أعنى ابن عائشة الذى
أبو أبويه خالد بن أسيد
عقيد الندى ما عاش يرضى به الندى
فان مات لم يرض الندى بعقيد
ذروه ذروه انكم قد رقدتمو
وما هو عن احسانكم برقود

فقال سليمان قل ما شئت وكتب
كلثوم بن عمرو الى بعض الكرماء
رقعة فيها

اذا تكرهت أن تعطى القليل ولم
تقدر على سعة لم يظهر الجود
بث النوال ولا تمنعك قلته
فكل ما سد فقرا فهو محمود

فشاطره ماله حتى بعث اليه بنصف
خاتمه وفرد نعله (ودخل) طلحة بن
عبد الله بن عوف السوق يوما
فوافق فيه الفرزدق فقال يا أبا
فراس اختر عشرا من الابل ففعل
فقال ضم اليها مثلها فلم يزل يقول
مثل ذلك حتى بلغت مائة فقال هى
لك فقال

يا طلح أنت أخو الندى وعقيده
ان الندى ما مات طلحة ماتا

أوضح من هذا النهار فقال له القاضي اسكت يا عدو الله فان الشمس أوضح من النهار قم لاحق لك عليها فقالت المرأة جزاك الله عن ضعفي خيرا فقد قويته فقال الرجل لا جزاك الله عن قوتي خيرا فقد أوهيتها * ورفعت امرأة زوجها الى القاضي تبغي الفرقة وزعمت أنه يبول في الفراش كل ليلة فقال الرجل للقاضي يا سيدي لا تعجل علي حتى أقص عليك قصتي اني أرى في منامي كأني في جزيرة في البحر وفيها قصر عال وفوق القصر قبة عالية وفوق القبة جمل وأنا على ظهر الجمل وان الجمل يطأطئ برأسه ليشرب من البحر فاذا رأيت ذلك بلت من شدة الخوف فلما سمع القاضي ذلك بال في فراشه وثيابه وقال يا هذه أنا قد أخذني البول من هول حديثه فكيف بمن يرى الأمر عيانا ﴿وحكي﴾ أن تاجرا عبر الى حمص فسمع مؤذنا يقول أشهد أن لا اله الا الله وأن أهل حمص يشهدون أن محمدا رسول الله فقال والله لأمضين الى الامام وأسأله فجاء اليه فرآه قد أقام الصلاة وهو يصلي على رجل ورجله الأخرى ملوثة بالعذرة فمضى الى المحتسب ليخبره بهذا الخبر فسأل عنه فقيل انه في الجامع الفلاني يبيع الخمر فمضى اليه فوجده جالسا وفي حجره مصحف وبين يديه باطية مملوأة خمرا وهو يحلف للناس بحق المصحف أن الخمرة صرف ليس فيها ماء وقد ازدحمت الناس عليه وهو يبيع فقال والله لأمضين الى القاضي وأخبره فجاء الى القاضي فدفع الباب فانفتح فوجد القاضي نائما على بطنه وعلى ظهره غلام يفعل فيه الفاحشة فقال التاجر قلب الله حمص فقال القاضي لم تقول هذا فأخبره بجميع ما رأى فقال يا جاهل أما المؤذن فان مؤذننا مرض فاستأجرنا يهوديا يؤذن مكانه فهو يقول ما سمعت وأما الامام فانهم لما أقاموا الصلاة خرج مسرعا فتلوثت رجله بالعذرة وضاق الوقت فأخرجوا من الصلاة واعتمد على رجله الأخرى ولما فرغ غسلها وأما المحتسب فان ذلك الجامع ليس له وقف الا كرم وعنبه ما يؤكل فهو يعصره خمرا ويبيعه ويصرف ثمنه في مصالح الجامع وأما الغلام الذي رأيته فان أباه مات وخلف مالا كثيرا وهو تحت الحجر وقد كبر وجاء جماعة شهدوا عندي انه بلغ فأنا أمتحنه فخرج التاجر من البلد وحلف أنه لا يعود اليها أبدا

﴿الفصل الرابع في نوادر النحاة﴾ وقف نحوي على بياع يبيع أرزا بعسل وبقلا بخل فقال بكم الأرز بالأعسل والأخلل بالأبقل فقال بالأصفع في الأرؤس والأضرط في الأذقن * ووقع نحوي في كنيف فجاءه كناس ليخرجه فصاح به الكناس ليعلم أهو حي أم لا فقال له النحوي اطلب لي حبلا دقيقا وشدني شدا وثيقا واجذبني جذبا رفيقا فقال الكناس امرأته طالق ان أخرجتك منه ثم تركه وانصرف وكان لبعضهم ولد نحوي يتقعر في كلامه فاعتل أبوه علة شديدة أشرف منها على الموت فاجتمع عليه أولاده وقالوا له ندعو لك فلانا أخانا قال لا ان جاءني قتلني فقالوا ونحن نوصيه أن لا يتكلم فدعوه فلما دخل عليه قال له يا أبت قل لا اله الا الله تدخل بها الجنة وتفوز من النار يا أبت والله ما أشغلني عنك الا فلان فانه دعاني بالأمس فاهرس وأعدس واستبذج وسكبج وطهبج وأفرج ودجج وأبصل وأمضر ولوزج وافلوزج فصاح أبوه غمضوني فقد سبق ابن الزانية ملك الموت الى قبض روحي * وجاء نحوي يعود مريضا فطرق بابه فخرج اليه ولده فقال كيف وجدت أباك قال يا عم ورمت رجليه قال لا تلحن قل رجلاه ثم ماذا قال ثم وصل الورم الى ركبتاه قال لا تلحن قل الى ركبتيه ثم ماذا قال مات وأدخله الله في بظر عيالك وعيال سيبويه ونفطويه وجحشويه * وعاد بعضهم نحويا فقال ما الذي تشكوه قال حمى جاشية نارها حامية منها الأعضاء واهية والعظام بالية فقال له لا شفاك الله بعافية يا ليتها كانت القاضية

﴿الفصل الخامس في نوادر المعلمين﴾ قال الجاحظ مررت بمعلم صبيان وعنده عصا طويلة وعصا قصيرة وصولجان وكرة وطبل وبوق فقلت ما هذه فقال عندي صغار أوباش فأقول لأحدهم اقرأ لوحك فيصفر لي بضرطة فاضربه بالعصا القصيرة فيتأخر فاضربه بالعصا الطويلة فيفر من بين يدي فاضع الكرة في الصولجان وأضربه فاشجه فتقوم الي الصغار كلهم بالالواح فاجعل الطبل في عنقي والبوق في فمي وأضرب الطبل وأنفخ في البوق فيسمع أهل الدرب ذلك فيسارعون الي ويخلصوني منهم ﴿وحكي﴾ الجاحظ أيضا قال مررت على خربة فاذا بها معلم وهو ينبح نبيح الكلاب فوقفت أنظر اليه واذا بصبي قد خرج من دار فقبض عليه المعلم وجعل يلطمه ويسبه فقلت عرفني خبره فقال هذا صبي لئيم يكره التعليم ويهرب ويدخل الدار ولا يخرج وله

ان الندى ألقى اليك رحاله
فبحيث بت من المنازل باتا

(ووفد أبو الشمقمق) الى مدينة سابور يريد محمد بن عبد السلام فلما دخلها توجه الى منزله فوجده في دار الخراج يطالب فدخل عليه يتوجع فلما رآه محمد قال

ولقد قدمت على رجال طالما
قدم الرجال عليهم فتمولوا
أخنى الزمان عليهم فكأنما
كانوا بأرض أقفرت فتحولوا

فقال أبو الشمقمق

الجود أفلسهم وأذهب مالهم
فاليوم ان راموا السماحة بخلوا

قال فخلع محمد ثوبه وخاتمه ودفعهما اليه فكتب بذلك مستوفي الخراج الى الخليفة فوقع الى عامله باسقاط الخراج عن محمد بن عبد السلام تلك السنة واسقاط ما عليه من البقايا وأمر له بمائة ألف درهم معونة على مروءته (وحكي عن أبي العيناء انه قال) حصلت لي ضيقة شديدة فكتمتها عن أصدقائي فدخلت يوما على يحيى بن أكثم القاضي فقال ان أمير المؤمنين المأمون جلس للمظالم وأخذ القصص فهل لك في الحضور فقلت نعم فمضيت معه الى دار أمير المؤمنين فلما دخلنا عليه أجلسه وأجلسني ثم قال يا أبا العيناء بالالفة والمحبة ما الذي جاء بك في هذه الساعة فأنشدته

لقد رجوتك دون الناس كلهم
وللرجاء حقوق كلها تجب
ان لم يكن لي أسباب أعيش بها
ففي العلا لك أخلاق هي السبب

فقال يا سلامة انظر أي شيء في بيت مالنا دون مال المسلمين فقال بقية من مال قال فادفع له مائة ألف درهم وابعث له بمثلها في كل شهر فلما كان بعد أحد عشر شهرا مات المأمون فبكى عليه أبو العيناء حتى تقرحت أجفانه فدخل عليه بعض أولاده فقال يا أبتاه بعد ذهاب

كاب يلعب به فاذا سمع صوتي ظن انه صوت الكلاب فيخرج فامسكه وجاءت امرأة الى المعلم بولدها تشكوه فقال له اما أن تنتهي والا فعلت بأمك فقالت يامعلم هذا صبي ماينفع فيه الكلام فافعل ماشئت لعله ينظر بعينه و يتوب فقام وفعل بها أمام ولدها * وقال الجاحظ رأيت معلما في الكتاب وحده فسألته فقال الصغار داخل الدرب يتصارعون فقلت أحب ان أراهم فقال ما أشير عليك بذلك فقلت لابد قال فاذا جئت الى رأس الدرب اكشف رأسك لئلا يعتقدوك المعلم فيصفعوك حتى تعمى وقال بعضهم رأيت معلما وقد جاء صغيران يتماسكان فقال أحدهما هذا عض أذني فقال الآخر لا والله ياسيدنا هو الذي عض أذن نفسه فقال المعلم يا ابن الزانية هو كان جمل يعض أذن نفسه * وقال بعضهم رأيت معلما وهو يصلي العصر فلما ركع أدخل رأسه بين رجليه ونظر الى الصغار وهم يلعبون وقال يا ابن البقال قد رأيت الذي عملت وسوف أكافؤك اذا فرغت من الصلاة

(وحكي) عن الجاحظ انه قال ألفت كتابا في نوادر المعلمين وماهم عليه من التغفل ثم رجعت عن ذلك وعزمت على تقطيع ذلك الكتاب فدخلت يوما مدينة فوجدت فيها معلما في هيئة حسنة فسلمت عليه فرد على أحسن رد ورحب بي فجلست عنده وباحثته في القرآن فاذا هو ماهر فيه ثم فاتحته في الفقه والنحو وعلم المعقول وأشعار العرب فاذا هو كامل الآداب فقلت هذا والله مما يقوي عزمي على تقطيع الكتاب قال فكنت أختلف اليه وأزوره فجئت يوما لزيارته فاذا بالكتاب مغلق ولم أجده فسألت عنه فقيل مات له ميت فحزن عليه وجلس في بيته للعزاء فذهبت الى بيته وطرقت الباب فخرجت الى جارية وقالت ماتريد فقلت سيدك فدخلت وخرجت وقالت باسم الله فدخلت اليه واذا به جالس فقلت عظم الله أجرك لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة كل نفس ذائقة الموت فعليك بالصبر ثم قلت له هذا الذي توفي ولدك قال لا قلت فوالدك قال لا قلت فأخوك قال لا قلت فزوجتك قال لا فقلت وما هو منك قال حبيبتي فقلت في نفسي هذه أول المناحس فقلت سبحان الله النساء كثير وستجد غيرها فقال أتظن اني رأيتها قلت وهذه منحسة ثانية ثم قلت وكيف عشقت من لم تر فقال اعلم اني كنت جالسا في هذا المكان وأنا أنظر من الطاق اذ رأيت رجلا عليه برد وهو يقول

يا أم عمرو جزاك الله مكرمة * ردي على فؤادي أينما كانا
لا تأخذين فؤادي تلعبين به * فكيف يلعب بالانسان انسانا

فقلت في نفسي لولا أن أم عمرو هذه مافي الدنيا أحسن منها ماقيل فيها هذا الشعر فعشقتها فلما كان منذ يومين مر ذلك الرجل بعينه وهو يقول

لقد ذهب الحمار بام عمرو * فلا رجعت ولا رجع الحمار

فعلمت انها ماتت فحزنت عليها وأغلقت المكتب وجلست في الدار فقلت يا هذا اني كنت ألفت كتابا في نوادركم معشر المعلمين وكنت حين صاحبتك عزمت على تقطيعه والآن قد قويت عزمي على ابقائه وأول ما بدأ أبدأ بك ان شاء الله تعالى

(الفصل السادس في نوادر المتنبئين) ادعى رجل النبوة في أيام الرشيد فلما مثل بين يديه قال له ما الذي يقال عنك قال اني نبي كريم قال فأي شيء يدل على صدق دعواك قال سل عما شئت قال أريد أن تجعل هذه المماليك المرد القيام الساعة بلحى فاطرق ساعة ثم رفع رأسه وقال كيف يحل أن أجعل هؤلاء المرد بلحى وأغير هذه الصورة الحسنة وانما أجعل أصحاب هذه اللحى مردا في لحظة واحدة فضحك منه الرشيد وعفا عنه وأمر له بصلة * وتنبأ انسان فطالبوه بحضرة المأمون بمعجزة فقال أطرح لكم حصاة في الماء فتذوب قالوا رضينا فاخرج حصاة معه وطرحها في الماء فذابت فقالوا هذه حيلة ولكن نعطيك حصاة من عندنا ودعها تذوب فقال لستم أجل من فرعون ولا أنا أعظم حكمة من موسى ولم يقل فرعون لموسى لم أرض بما تفعله بعصاك حتى أعطيك عصا من عندي تجعلها ثعبانا فضحك المأمون وأجازه * وتنبأ رجل في أيام المعتصم فلما حضر بين يديه قال أنت نبي قال نعم قال والى من بعثت قال اليك قال أشهد انك لسفيه أحمق قال انما يبعث الى كل قوم مثلهم فضحك المعتصم وأمر له بشيء * وتنبأ رجل في أيام المأمون وادعى انه ابراهيم الخليل فقال له المأمون ان ابراهيم كانت له معجزات وبراهين قال وما براهينه قال أضرمت له نار وألقي فيها فصارت عليه بردا وسلاما ونحن نوقد لك نارا ونطرحك فيها فان كانت عليك كما كانت عليه آمنا بك قال أريد واحدة أخف من هذه

العين اذا ينفع البكاء فأنشأ أبو العيناء يقول

شيئان لو بكت الدماء عليهما
عيناي حتى يؤذنا بذهاب
لم يبلغا المعشار من حقيهما
فقد الشباب وفرقة الأحباب

(وقال الاعمش) كانت عندي شاة فمرضت وفقدت الصبيان لبنها فكان خيثمة بن عبد الرحمن يعودها بالغداة والعشي ويسألني هل استوفت علفها وكيف صبر الصبيان منذ فقدوا لبنها وكان تحتي لبد أجلس عليه فكان اذا خرج يقول خذ ما تحت اللبد حتى وصل الي من علة الشاة أكثر من ثلثمائة دينار من بره حتى تمنيت أن الشاة لم تبرأ (وحكى أبو القدامة العشيري) قال كنا مع يزيد بن مزيد يوما فسمع صائحا يقول يا يزيد بن مزيد فطلبه فأتي به اليه فقال ما حملك على هذا الصياح قال فقدت دابتي ونفدت نفقتي وسمعت قول الشاعر

اذا قيل من للجود والمجد والندى
فناد بصوت يا يزيد بن مزيد

فأمر له بفرس أبلق كان معجبا به وبمائة دينار وخلعة سنية فأخذها وانصرف (ومن الغرائب) ما حكي أن قوما من العرب جاؤا الى قبر بعض أسخيائهم يزورونه فباتوا عند قبره فرأى رجل منهم صاحب القبر في المنام وهو يقول له هل لك أن تبيعني بعيرك بنجيبي وكان الميت قد خلف نجيبا وكان للرائي بعير سمين فقال نعم وباعه في النوم بعيره بنجيبه فلما وقع بينهما عقد البيع عمد صاحب القبر الى البعير فنحره في النوم فانتبه الرائي من نومه فوجد الدم يسيح من نحر بعيره فقام وأتم نحره وقطع لحمه وطبخوه وأكلوه ثم رحلوا وساروا فلما كان اليوم الثاني وهم في الطريق سائرون استقبلهم ركب فتقدم

قال فبراهين موسى قال وما براهينه قال ألقى عصاه فاذا هي حية تسعى وضرب بها البحر فانفلق وأدخل يده في جيبه فأخرجها بيضاء قال وهذه على أصعب من الاولى قال فبراهين عيسى قال وما هي قال احياء الموتى قال مكانك قد وصلت أنا أضرب رقبة القاضي يحيى بن أكثم وأحييه لكم الساعة فقال يحيى أنا أول من آمن بك وصدق * وتنبأ آخر في زمن المأمون فقال المأمون أريد منك بطيخا في هذه الساعة قال أمهلني ثلاثة أيام قال ما أريده الا الساعة قال ما أنصفتني يا أمير المؤمنين اذا كان الله تعالى الذي خلق السموات والارض في ستة أيام ما يخرجه الا في ثلاثة أشهر فما تصبر أنت على ثلاثة أيام فضحك منه ووصله * وتنبأ آخر في زمن المأمون فلما مثل بين يديه قال له من أنت قال أنا أحمد النبي قال لقد ادعيت زورا فلما رأى الاعوان قد أحاطت به وهو ذاهب معهم قال يا أمير المؤمنين أنا أحمد النبي فهل تذمه أنت فضحك المأمون منه وخلى سبيله * وتنبأ آخر في زمن المتوكل فلما حضر بين يديه قال له أنت نبي قال نعم قال فما الدليل على صحة نبوتك قال القرآن العزيز يشهد بنبوتي في قوله تعالى اذا جاء نصر الله والفتح وأنا اسمي نصر الله قال فما معجزتك قال ائتوني بامرأة عاقر أنكحها تحبل بولد يتكلم في الساعة ويؤمن بي فقال المتوكل لوزيره الحسن بن عيسى أعطه زوجتك حتى تبصر كرامته فقال الوزير أما أنا فأشهد انه نبي الله وانما يعطي زوجته من لا يؤمن به فضحك المتوكل وأطلقه * وادعى رجل النبوة في زمن خالد بن عبد الله القسري وعارض القرآن فأتى به الى خالد فقال له ما تقول قال عارضت القرآن قال بماذا قال قال الله تعالى انا أعطيناك الكوثر الآية وقلت انا أعطيناك الجماهر فصل لربك وجاهر ولا تطع كل ساحر فأمر به خالد فضرب عنقه وصلب فمر به خلف بن خليفة الشاعر فضرب بيده على الخشبة وقال انا أعطيناك العود فصل لربك من قعود وأنا ضامن لك أن لا تعود * وأتى المأمون برجل ادعى النبوة فقال له ألك علامة قال علامتي اني أعلم ما في نفسك قال وما في نفسي قال في نفسك اني كاذب قال صدقت ثم أمر به الى السجن فأقام فيه أياما ثم أخرجه فقال هل أوحي اليك بشيء قال لا قال ولم قال لان الملائكة لا تدخل الحبوس فضحك منه وخلى سبيله وأتى بامرأة تنبأت في أيام المتوكل فقال لها أأنت نبية قالت نعم قال أتؤمنين بمحمد قالت نعم قال فانه صلى الله عليه وسلم قال لا نبي بعدي قالت فهل قال لا نبية بعدي فضحك المتوكل وأطلقها * وتنبأ رجل يسمى نوحا وكان له صديق نهاه فلم يقبل فأمر السلطان بقتله فصلب فمر به صديقه فقال له يا نوح ما حصلت من السفينة الا على الصاري

* الفصل السابع في نوادر السؤال * وقف اعرابي بباب يسأل فقال له صغير من باب الدار بورك فيك فقال قبح الله هذا الفم لقد تعلمت الشر صغيرا * ووقف سائل على باب فقال يا أصحاب المنزل فبادر صاحب الدار قبل أن يتم كلامه وقال فتح الله عليك فقال السائل يا قرنان كنت تصبر لعلي جئت أدعوك الى وليمة * وقال أبو عثمان الجاحظ وقف سائل بقوم فقال اني جائع فقالوا له كذبت فقال جربوني برطلين من الخبز ورطلين من اللحم * ووقف سائل على باب فقالوا يفتح الله لك فقال كسرة فقالوا ما نقدر عليها قال فقليل من بر أو فول أو شعير قالوا لا نقدر عليه قال فقطعة دهن أو قليل زيت أو لبن قالوا لا نجده قال فشربة ماء قالوا وليس عندنا ماء قال فما جلوسكم ههنا قوموا فاسألوا فانتم أحق مني بالسؤال

* الفصل الثامن في نوادر المؤذنين * قيل لمؤذن ما نسمع أذانك فلو رفعت صوتك فقال اني أسمع صوتي من مسيرة ميل * وقال بعضهم رأيت مؤذنا أذن ثم غدا يهرول فقلت له الى أين فقال أحب ان أسمع أذاني أين بلغ * واختصم رجلان في جارية فأودعاها عند مؤذن فلما أصبح وفرغ من الأذان قال لا اله الا الله ذهبت الأمانة من الناس فقالوا له كيف ذهبت الامانة من الناس قال هذه الجارية التي وضعت عندي قيل انها بكر فلما أتيتها وجدتها ثيبا * وسمع مؤذن حمص يقول في سحور رمضان تسحروا فقد أمرتكم وعجلوا في أكلكم قبل أن أؤذن فيسخم الله وجوهكم * وشوهد مؤذن يؤذن من رقعة فقيل له ما تحفظ الاذان فقال سلوا القاضي فأتوه فقالوا السلام عليكم فأخرج دفترا وتصفحه وقال وعليكم السلام فعذروا المؤذن * وسمعت امرأة مؤذنا يؤذن بعد طلوع الشمس ويقول الصلاة خير من النوم فقالت النوم خير من هذه الصلاة * ومر سكران بمؤذن ردىء الصوت فجلد به الأرض وجعل يدوس بطنه فاجتمع اليه الناس فقال والله ما بي رداءة صوته ولكن شماتة اليهود والنصارى بالمسلمين

منهم شاب فنادى هل فيكم فلان ابن فلان فقال صاحب البعير نعم ها أنا فلان بن فلان فقال هل بعت من فلان الميت شيأ قال نعم بعته بعيري بنجيبه في النوم فقال هذا نجيبه فخذه وأنا ولده وقد رأيته في النوم وهو يقول ان كنت ولدي فادفع نجيبي الى فلان فانظر الى هذا الرجل الكريم كيف أكرم أضيافه بعد موته (قيل) ان شاعرا قصد خالد بن يزيد فأنشد شعرا يقول فيه

سألت الندى والجود حران أنتما
فقالا يقينا اننا العبيد

فقلت ومن مولا كما فتطاولا
الي وقالا خالد و يزيد

فقال يا غلام اعطه مائة ألف درهم وقل له ان زدتنا زدناك فأنشد يقول

كريم كريم الامهات مهذب
تدفق كفاه الندى وشمائله

هو البحر من أي الجهات أتيته
فلجته المعروف والجود ساحله

جواد بسيط الكف حتى لو انه
دعاه القبض لم تجبه أنامله

فقال يا غلام اعطه مائة ألف درهم وقل له ان زدتنا زدناك فأنشد يقول

تبرعت لي بالجود حتى نعشتني
وأعطيتني حتى حسبتك تلعب

وأنبت ريشا في الجناحين بعدما
تساقط مني الريش أو كاد يذهب

فأنت الندى وابن الندى وأخو الندى
حليف الندى ما للندى عنك مذهب

فقال يا غلام اعطه مائة ألف درهم وقل له ان زدتنا زدناك فقال حسب الامير ما سمع وحسبي ما أخذت وانصرف (وجاء) الى خالد ابن عبد الله بعض الشعراء ورجله في الركاب يريد الغزو فقال له اني قلت فيك بيتين من الشعر فقال في مثل هذا الحال قال نعم فقال هاتهما فأنشد يقول

يا واحد العرب الذي
ما في الانام له نظير

﴿الفصل التاسع في نوادر النواتية﴾ حكى ان بعض النواتية تولى أحد الكراسي السلطانية لمساعدة الزمان فبينما هو جالس في داره اذ سمع صوتا وراء الباب فقال لزوجته اني اسمع غاغة في البر حلى قلوعي واعملي أسفيرتي على جاموري وقدمي الى اسقالة الرجل رقيميني عدرة فامتثلت كلامه فنزل وجلس على مصطبته وقد علت مرتبته واصطفت المقدمون بين يديه ووقفت الحبرتية حواليه واذا بشيخ قد أقبل وثيابه مقطعة وعمامته في حلقه والدم نازل من أنفه وهو يصيح بصوت عال انا بالله وبالوالي فقال له تعالى يا شيخ مالي أرى أرطمونك في حلقك وشبورتك مكسورة وأنت بتزلع ماء متغير وتقسيم الهايلا في الساحل دخل عليك شرد غربي والا دخلت على بواجي فقال الشيخ والله ياسيدي بعض نواتية البحر عمل بي هذا فقال يا أولاد جيبوا غريمو بخنسو اعدته وقشطوا ظهره وجروه على مقدمه فامتثلوا كلام الأمير وجاؤا بالغريم فلما مثل بين يديه قال له ويلك هو أنت بغنوس بسفر البحر أنت الذي قطعت القلس وخرجت في الشعت حتى لقيت هذا الرجل نطحت مخطمته وكسرت اسقالته لو انصلح كنت عملتك في بدراوة وعلقتك في الصاري فلما سمع الرجل كلام الوالي علم أنه من أولاد المعيشة فقال له بهمزة النواتية والله يا خوندهو كارزني في معاشي اجصطن على الوحسة وأنا عايم في الليل الاوشرد جاني من الشرق كابس هز أطرافي وكسر شابورتي وقطع ابانتي وها هو بحمد الله على بر السلامة وان كان انصلح فيه شيء فأنا برسوم الأمير أجيب له القلفاط أسد فتحه وأعيد له وسقه وأخليه يروح في طريقه فقال له الوالي أنت بتقدف في وجهي وتطارح مقاديفك حتى تعبر على الجر يا رجالة الصاري سلسلوا أطرافه وعروا مقاديفه وباواشينة اللبان وانزلوا عليه وسقوا الجنبين والظهر حتى تلعب اليه على بطونسته هيا قوامك خاوا جنب براوجنب جوا قدام الدين وراء الصاري فأكل علقة من كعبه الى أذنه فقالت النواتية يا خوند اهو خنفست عليه الطمية البحرية بحال مدراتين وقيموه فلما أقاموه باس يد الأمير وقال يا خوند سألتك بهبوب الرياح وطيب النسيم الرب لا يبليك بجر اللبان في الحلاق وأنت حافي في الصياقي ويكفيك شر الأربعينيات قال فرق عليه قلب الأمير وقال له وحق من ضرب القلع باللبان الحلفا عند جفنسة الريح وفروغ الزاد بعيد من البلاد وعياط الركاب عند قيام الموجة وبعد البر في أيام لنيل لولا شفاعة الركاب لكنت أهدا سقالتك وأقعد في زوايدك حتى أخلي ظهرك جيفة فقال له والله يا خوند ما بقي جنبي يحمل هذا الوسق العظيم ولكن ان عدت أعبر لهذا الوجه اخسف من أضلاعي لوح وغرقني بالقايم فقال له الامير احمد الله على السلامة واخرج في دي الطيابة وكتب له مرسوم وعلم عليه علامة الرياس البحرية للنواتية الله لك الله لي يا عملات على أبوس

﴿الفصل العاشر في نوادر جامعة﴾ سمعت امرأة في الحديث أن صوم يوم عاشوراء كفارة سنة فصامت الى الظهر ثم أفطرت وقالت يكفيني كفارة ستة أشهر منها شهر رمضان *وأسلم مجوسي في شهر رمضان فثقل عليه الصيام فنزل الى سرداب وقعد يأكل فسمع ابنه حسه فقال من هذا فقال أبوك الشقي يأكل خبز نفسه ويفزع من الناس *وسئل بعض القصاص عن نصراني قال لا اله الا الله لا غير اذا مات أين يدفن قال يدفن بين مقابر المسلمين والنصارى ليكون مذبذبا لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء *وأهدى الى سالم القصاص خاتم بلا فص فقال ان صاحب هذا الخاتم يعطى في الجنة غرفة بلا سقف *وبنى بعض المغفلين نصف دار وبنى رجل آخر النصف الآخر فقال المغفل يوما قد عولت على بيع النصف الذي لي وأشتري به النصف الآخر لتكمل لي الدار كلها *وسئل جامع الصيدلاني عن عمر ابنته فقال لا أدري الا أن أمها ذكرت أنها ولدتها في أيام البراغيث *وقيل لطفيلي أي سورة تعجبك في القرآن قال المائدة قال فأي آية قال ذرهم يأكلوا ويتمتعوا قيل ثم ماذا قال آتنا غداءنا قيل ثم ماذا قال ادخلوها بسلام آمنين قيل ثم ماذا قال وما هم منها بمخرجين وقيل لعثمان بن دارج الطفيلي يوما كيف تصنع بدار العرس اذا لم يدخلك أصحابها قال أنوح على بابهم فيتطيرون من ذلك فيدخلوني وقيل له أتعرف بستان فلان قال أي والله انه الجنة الحاضرة في الدنيا قيل لم لا تدخله وتأكل من ثماره وتستظل بأشجاره وتسبح في أنهاره قال لان فيه كلبا لا يتمضمض الا بدماء عراقيب الرجال وقيل له يوما ما هذه الصفرة التي في لونك قال من الفترة بين الصحنين وقال مرت بنا جنازة يوما ومعي ابني ومع الجنازة امرأة تبكي وتقول الآن يذهبون بك الى بيت لا فراش فيه ولا غطاء ولا وطاء ولا خبز ولا ماء فقال ابني

لو كان مثلك آخر
ما كان في الدنيا فقير

فقال يا غلام أعطه عشرين ألف دينار فأخذها وانصرف (وحيث ذكرنا) نبذة من أخبار الكرماء فلنذكر نبذة من أخبار البخلاء (فمن ذلك) ان رجلا من البخلاء اشترى دارا وانتقل اليها فوقف ببابه سائل فقال له فتح الله عليك ثم وقف ثان فقال له مثل ذلك ثم وقف ثالث فقال له مثل ذلك ثم التفت الى ابنته فقال لها ما أكثر السؤال في هذا المكان فقالت يا أبت ما دمت متمسكا لهم بهذه الكلمة فما تبالي كثروا أم قلوا (وألأم اللئام وأبخلهم) حميد الارقط الذي يقال له هجاء الاضياف وهو القائل في ضيف له يصف أكله من قصيدة

ما بين لقمته الاولى اذا انحدرت
وبين أخرى تليها قيد اظفور

(وقال فيه أيضا)

تجهز كفاه ويحدر حلقه
الى الزور ما ضمت عليه الانامل

(وأكل) اعرابي مع أبي الاسود رطبا فأكثر ومد أبو الاسود يده الى رطبة ليأخذها فسبقه الاعرابي اليها فسقطت منه في التراب فأخذها أبو الاسود وقال لا أدعها للشيطان يأكلها فقال الاعرابي والله ولا لجبريل وميكائيل لو نزلا من السماء ما تركتها (وقال اعرابي)

لنزيل نزل به نزلت بواد غير ممطور
ورحل بك غير مسرور فاقم بعدم
أو ارحل بندم

﴿وللحمدوني﴾

رأيت أبا زرارة قال يوما
لحاجبه وفي يده الحسام
لئن وضع الخوان ولاح شخص
لاختطفن رأسك والسلام
فقال سوى أبيك فذاك شيخ
بغيض ليس يردعه الكلام
فقام وقال من حنق عليه
بيت لم يرد فيه القيام

يا أبت الى بيتنا والله يذهبون (وحكى) عن هرون الرشيد أنه أرق ذات ليلة أرقا شديدا فقال لوزيره جعفر بن يحيى البرمكى انى أرقت فى هذه الليلة وضاق صدرى ولم أعرف ما أصنع وكان خادمه مسرور واقفا امامه فضحك فقال له ما يضحكك استهزاء بى أم استخفافا فقال وقرابتك من سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم ما فعلت ذلك عمدا ولكن خرجت بالامس أتمشى بظاهر القصر الى أن جئت الى جانب الدجلة فوجدت الناس مجتمعين فوقفت فرأيت رجلا واقفا يضحك الناس يقال له ابن المغازلى فتفكرت الآن فى شئ من حديثه وكلامه فضحكت والعفو يا أمير المؤمنين فقال له الرشيد ائتنى الساعة به فخرج مسرور مسرعا الى أن جاء الى ابن المغازلى فقال له أجب أمير المؤمنين فقال سمعا وطاعة فقال له بشرط أنه اذا أنعم عليك بشئ يكون لك منه الربع والبقية لى فقال له بل أجعل لى النصف ولك النصف فأبى فقال الثلث لى ولك الثلثان فأجابه الى ذلك بعد جهد عظيم فلما دخل على الرشيد سلم فأبلغ وترجم فأحسن ووقف بين يديه فقال له أمير المؤمنين ان أنت أضحكتنى أعطيتك خمسمائة دينار وان لم تضحكنى أضربك بهذا الجراب ثلاث ضربات فقال ابن المغازلى فى نفسه وما عسى أن تكون ثلاث ضربات بهذا الجراب وظن فى نفسه أن الجراب فارغ فوقف يتكلم ويتمسخر وفعل أفعالا عجيبة تضحك الجلمود فلم يضحك الرشيد ولم يتبسم فتعجب ابن المغازلى وضجر وخاف فقال له الرشيد الآن استحققت الضرب ثم انه أخذ الجراب ولفه وكان فيه أربع زلطات كل واحدة وزنها رطلان فضربه ضربة فلما وقعت الضربة فى رقبته صرخ صرخة عظيمة وافتكر الشرط الذى شرطه عليه مسرور فقال العفو يا أمير المؤمنين اسمع منى كلمتين قال قل ما بدا لك قال ان مسرورا شرط على شرطا واتفقت أنا واياه على مصلحة وهو أن ما حصل لى من الصدقات يكون له فيه الثلثان ولى فيه الثلث وما أجابنى الى ذلك الا بعد جهد عظيم وقد شرط على أمير المؤمنين ثلاث ضربات فنصيبى منها واحدة ونصيبه اثنتان وقد أخذت نصيبى وبقى نصيبه قال فضحك الرشيد ودعا مسرورا فضربه فصاح وقال يا أمير المؤمنين قد وهبت له ما بقى فضحك الرشيد وأمر لهما بألف دينار فأخذ كل واحد منهما خمسمائة ورجع ابن المغازلى شاكرا والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب السابع والسبعون فى الدعاء وآدابه وشروطه وفيه فصول﴾

﴿الفصل الاول فى الدعاء وآدابه﴾ قال الله تعالى واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان * اختلف فى سبب نزولها فقال مقاتل ان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه واقع امرأته بعد ما صلى العشاء فى رمضان فندم على ذلك وبكى وجاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك ورجع مغتما وكان ذلك قبل الرخصة فنزلت هذه الآية واذا سألك عبادى عنى فانى قريب وروى الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس قال قالت اليهود كيف يسمع ربنا دعاءنا وأنت تزعم أن بيننا وبين السماء خمسمائة عام وغلظ كل سماء مثل ذلك فنزلت هذه الآية وقال الحسن ان قوما قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه فنزلت هذه الآية قوله تعالى أجيب دعوة الداع اذا دعان أى أقبل عبادة من عبدنى فالدعاء بمعنى العبادة والاجابة بمعنى القبول وقال قوم ان الله تعالى يجيب كل الدعاء فاما أن يعجل الاجابة فى الدنيا واما أن يكفر عن الداعى واما أن يدخر له فى الآخرة لما رواه أبو سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها اثم ولا قطيعة رحم الا أعطاه الله بها احدى ثلاث اما أن يعجل له دعوته واما أن يدخر له ثوابها واما أن يكف عنه من السوء مثلها وروى أنه اذا كان يوم القيامة واستقر أهل الجنة فى الجنة فبينما العبد المؤمن فى قصره واذا الملائكة من عند ربه يأتونه بتحف من عند الله فيقول ما هذا أليس الله قد أنعم على وأكرمنى فيقول ألست كنت تدعو الله فى الدنيا هذا دعاؤك الذى كنت تدعوه قد ادخره لك ﴿واعلم﴾ ان اجابة الدعاء لا بد لها من شروط فشرط الداعى أن يكون عالما بأن لا قادر الا الله وان الوسائط فى قبضته ومسخرة بتسخيره وأن يدعو بنية صادقة وحضور قلب فان الله تعالى لا يستجيب دعاء من قلب لاه وأن يكون متجنبا لاكل الحرام ولا يمل من الدعاء ومن شروط المدعو فيه أن يكون من الامور الجائزة الطلب والفعل شرعا كما قال عليه الصلاة والسلام ما لم يدع باثم أو قطيعة رحم فيدخل فى الاثم كل ما يؤثم به من الذنوب ويدخل فى الرحم جميع حقوق المسلمين ومظالمهم قال ابن عطاء الله ان للدعاء أركانا وأجنحة

أبى وابنا أبى والكلب عندى
بمنزلة اذا حضر الطعام

وقال له أبن لى يا ابن كلب
على خبزى أصادر أو أضام

اذا حضر الطعام فلا حقوق
على لوالدى ولا ذمام

فما فى الارض أقبح من خوان
عليه الخبز يحضره الزحام

(ويعجبنى قول بعضهم)

زففت الى نبهان من صفو فكرتى
عروسا غدا بطن الكتاب لها صدرا

فقبلها عشرا وهام بحبها
فلما ذكرت المهر طلقها عشرا

(ومن أخبار البخلاء) ما حكاه بعضهم قال كنت فى سفر فضللت الطريق فرأيت بيتا فى الفلاة فأتيته فاذا به اعرابية فلما رأتنى قالت من تكون قلت ضيف قالت أهلا ومرحبا بالضيف انزل على الرحب والسعة قال فنزلت فقدمت لى طعاما فأكلت وماء فشربت فبينما أنا على ذلك اذ أقبل صاحب البيت فقال من هذا فقالت ضيف فقال لا أهلا ولا مرحبا ما لنا وللضيف فلما سمعت كلامه ركبت من ساعتى وسرت فلما كان من الغد رأيت بيتا فى الفلاة فقصدته فاذا فيه اعرابية فلما رأتنى قالت من تكون قلت ضيف قالت لا أهلا ولا مرحبا بالضيف ما لنا وللضيف فبينما هى تكلمنى اذ أقبل صاحب البيت فلما رآنى قال من هذا قالت ضيف قال مرحبا وأهلا بالضيف ثم أتى بطعام حسن فأكلت وماء فشربت فتذكرت ما مر بى بالأمس فتبسمت فقال مم تبسمك فقصصت عليه ما اتفق لى مع تلك الاعرابية وبعلها وما سمعت منه ومن زوجته فقال لا تعجب ان تلك الاعرابية التى رأيتها هى أختى وان بعلها أخو امرأتى هذه فغلب على كل طبع أهله (وقال عمر بن ميمون) مررت

وأسبابا وأوقاتا فان وافق أركانه قوى وان وافق أجنحته طار الى السماء وان وافق مواقيته فاز وان وافق أسبابه نجح فأركانه حضور القلب والخشوع وأجنحته الصدق ومواقيته الاسحار وأسبابه الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ومن شروط الدعاء أن يكون سليما من اللحن كما قال بعضهم

ينادى ربه باللحن ليث * كذاك اذا دعاه لا يجاب

وقيل ان الله تعالى لا يستجيب دعاء عريف ولا شرطى ولا جابى ولا عشار ولا صاحب عرطبة وهى الطنبور ولا صاحب كوبة وهى الطبل الكبير الضيق الوسط * ومن آداب الدعاء أن يدعو الداعى مستقبل القبلة ويرفع يديه لما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله ربكم حى كريم يستحى من عبده اذا رفع يديه اليه أن يردهما صفرا وأن يمسح بهما وجهه بعد الدعاء لما روى عن عمر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مد يديه فى الدعاء لم يردهما حتى يمسح بهما وجهه وأن لا يرفع بصره الى السماء لقوله صلى الله عليه وسلم لينتهين أقوام عن رفع أبصارهم الى السماء عند الدعاء أو ليخطفن الله أبصارهم وأن يخفض الداعى صوته بالدعاء لقوله تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية وعن أبى عبد الرحمن الهمدانى قال صليت مع أبى اسحق الغداة فسمع رجلا يجهر فى الدعاء فقال كن كزكريا اذ نادى ربه نداء خفيا وينبغى للداعى أن لا يتكلف وأن يأتى بالكلام المطبوع غير المسجوع لقوله صلى الله عليه وسلم اياكم والسجع فى الدعاء بحسب أحدكم أن يقول اللهم انى أسألك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل وأعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل وقيل ادعوا بلسان الذلة والاحتقار ولا تدعوا بلسان الفصاحة والانطلاق وكانوا لا يزيدون فى الدعاء على سبع كلمات فادونها كما فى آخر سورة البقرة وعن سفيان بن عيينة لا يمنعن أحدكم من الدعاء ما يعلم من نفسه فقد أجاب الله دعاء شر الخلق ابليس اذ قال رب أنظرنى الى يوم يبعثون وعن النبى صلى الله عليه وسلم اذا سأل أحدكم مسئلة فتعرف الاجابة فليقل الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات ومن أبطأ عليه من ذلك شئ فليقل الحمد لله على كل حال وعن سلمة بن الاكوع قال ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يستفتح الدعاء الا قال سبحان ربى الاعلى الوهاب وعن أبى سليمان الدارانى من أراد أن يسأل الله حاجة فليبدأ بالصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وينبغى للمؤمن أن يجتهد فى الدعاء وأن يكون على رجاء من الاجابة ولا يقنط من رحمة الله لانه يدعو كريما * وللدعاء أوقات وأحوال يكون الغالب فيها الاجابة وذلك وقت السحر ووقت الفطر وما بين الاذان والاقامة وعند جلسة الخطيب بين الخطبتين الى أن يسلم من الصلاة وعند نزول الغيث وعند التقاء الجيش فى الجهاد فى سبيل الله تعالى وفى الثلث الاخير من الليل لما جاء فى الحديث ان فى الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله شيأ الا أعطاه وفى حالة السجود لقوله عليه الصلاة والسلام أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء وما بين الظهر والعصر فى يوم الاربعاء وأوقات الاضطرار وحالة السفر والمرض هذا كما جاءت به الآثار قال جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنه دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مسجد الفتح ثلاثة أيام يوم الاثنين ويوم الثلاثاء واستجيب له يوم الاربعاء بين الصلاتين فعرفت السرور فى وجهه قال جابر ما نزل بى أمر مهم غليظ الا توخيت تلك الساعة فأدعو فيها فأعرف الاجابة وفى بعض الكتب المنزلة يا عبدى اذا سألت فاسألنى فانى غنى واذا طلبت النصرة فاطلبها منى فانى قوى واذا أفشيت سرك فافشه الىّ فانى وفىّ واذا أقرضت فأقرضنى فانى ملىّ واذا دعوت فادعنى فانى حفىّ وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينزل ربنا كل ليلة الى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الاخير فيقول من يدعونى فأستجيب له من يسألنى فأعطيه من يستغفرنى فأغفر له وقال وهب ابن منبه بلغنى أن موسى مر برجل قائم يبكى ويتضرع طويلا فقال موسى يارب أما تستجيب لعبدك فأوحى الله تعالى اليه ياموسى لو أنه بكى حتى تلفت نفسه ورفع يديه حتى بلغ عنان السماء ما استجبت له قال يارب لم ذلك قال لان فى بطنه الحرام * ومر ابراهيم بن أدهم بسوق البصرة فاجتمع الناس اليه وقالوا يا أبا اسحق ما لنا ندعو فلا يستجاب لنا قال لان قلوبكم ماتت بعشرة أشياء الاول أنكم عرفتم الله فلم تؤدوا حقه الثانى زعمتم أنكم تحبون رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم تركتم سنته الثالث قرأتم القرآن ولم تعملوا به الرابع أكلتم نعمة الله ولم تؤدوا شكرها الخامس قلتم ان الشيطان عدوكم ووافقتموه السادس قلتم ان

ببعض طرق الكوفة فاذا أنا برجل يخاصم جارا له فقلت ما بالكما فقال أحدهما ان صديقا لى زارنى فاشتهى رأسا فاشتريته وتغدينا وأخذت عظامه فوضعتها على باب دارى أتجمل بها فجاء هذا فأخذها ووضعها على باب داره يوهم الناس أنه هو الذى اشترى الرأس (وقال) رجل من البخلاء لاولاده اشتروا لى لحما فاشتروه فأمر بطبخه فلما استوى أكله جميعه حتى لم يبق فى يده الا عظمة وعيون أولاده ترمقه فقال ما أعطى أحدا منكم هذه العظمة حتى يحسن وصف أكلها فقال ولده الاكبر أمششها يا أبت وأمصها حتى لا أدع للذر فيها مقيلا قال لست بصاحبها فقال الاوسط ألوكها يا أبت وألحسها حتى لا يدرى أحد العام هى أم لعامين قال لست بصاحبها فقال الاصغر يا أبت أمصها ثم أدقها وأسفها سفا قال انك صاحبها وهى لك زادك الله معرفة وحزما (وقيل) خرج اعرابى قد ولاه الحجاج بعض النواحى فأقام بها مدة طويلة فلما كان فى بعض الايام ورد عليه اعرابى من حيه فقدم اليه الطعام وكان اذ ذاك جائعا فسأل عن أهله وقال ما حال ابنى عمير قال على ما تحب قد ملأ الارض والحى رجالا ونساء قال فما فعلت أم عمير قال صالحة أيضا قال فما حال الدار قال عامرة بأهلها قال وكلبنا ايقاع قال قد ملأ الارض نباحا قال فما حال جملى زريق قال على ما يسرك قال فالتفت الى خادمه وقال ارفع الطعام فرفعه ولم يشبع الاعرابى ثم أقبل عليه يسأله وقال يا مبارك الناصية أعد على ما ذكرت قال سل عما بدا لك قال فما حال كلبى ايقاع قال مات قال وما الذى أماته قال اختنق بعظمة من عظام جملك زريق فمات قال أومات جملى زريق قال نعم قال وما

الجنة حق فلم تعملوا لها السابع قلتم ان النار حق ولم تهربوا منها الثامن قلتم ان الموت حق فلم تستعدوا له التاسع انتبهتم من النوم واشتغلتم بعيوب الناس وتركتم عيوبكم العاشر دفنتم موتاكم ولم تعتبروا بهم وكان يحيى بن معاذ يقول من أقر لله باساءته جاد الله عليه بمغفرته ومن لم يمن على الله بطاعته أوصله الى جنته ومن أخلص لله فى دعوته من الله عليه باجابته وقال على رضى الله تعالى عنه ارفعوا أفواج البلايا بالدعاء وعن أنس رضى الله تعالى عنه يرفعه لا تعجزوا عن الدعاء فانه لن يهلك مع الدعاء أحد

﴿الفصل الثانى فى الادعية وما جاء فيها﴾ كان من دعاء شريح رحمه الله تعالى اللهم انى أسألك الجنة بلا عمل عملته وأعوذ بك من النار بلا ذنب تركته ودعت اعرابية عند البيت فقالت الهى لك أذل وعليك أدل وكان من دعاء بعض الصالحين اللهم ان كنا عصيناك فقد تركنا من معاصيك أبغضها اليك وهو الاشراك وان كنا قصرنا عن بعض طاعتك فقد تمسكنا بأحبها اليك وهو شهادة أن لا اله الا أنت وان رسلك جاءت بالحق من عندك ومن دعاء سلام بن مطيع اللهم ان كنت بلغت أحدا من عبادك الصالحين درجة ببلاء فبلغنيها بالعافية وقيل لفتح الموصلى ادع الله لنا فقال اللهم هبنا عطاءك ولا تكشف عنا غطاءك وكان من دعاء بعض السلف اللهم لا تحرمنى خير ما عندك لشر ما عندى فان لم تقبل تعبى ونصبى فلا تحرمنى أجر المصاب على مصيبته اللهم لا تكلنا الى أنفسنا ولا الى الناس فنضيع وقال الحسن من دخل المقابر فقال اللهم رب الارواح الفانية والاجساد البالية والعظام النخرة التى خرجت من الدنيا وهى بك مؤمنة أدخل عليها روحا من عندك وسلاما منى كتب الله له بعدد من مات من لدن آدم الى أن تقوم الساعة حسنات ﴿وحكى﴾ عن معروف القاضى أن الحجيج كانوا يجتهدون فى الدعاء وفيهم رجل من التركمان ساكت لا يحسن أن يدعو فخشع قلبه وبكى فقال بلغته اللهم انك تعلم انى لا أحسن شيأ من الدعاء فأسألك ما يطلبون منك مما دعوا فرأى بعض الصالحين فى منامه ان الله قبل حج الناس بدعوة ذلك التركمانى الناظر الى نفسه بالفقر والفاقة وقال الاصمعى حسدت عبد الملك على كلمة تكلم بها عند الموت وهى اللهم ان ذنوبى وان كثرت وجلت عن الصفة فانها صغيرة فى جنب عفوك فاعف عنى وركب ابراهيم بن أدهم فى سفينة فهاجت الريح وبكى الناس وأيقنوا بالهلاك وكان ابراهيم نائما فى كساء فاستوى جالسا وقال أريتنا قدرتك فأرنا عفوك فذهب الريح وسكن البحر وقال الثورى كان من دعاء السلف اللهم زهدنا فى الدنيا ووسع علينا فيها ولا تزوها عنا ولا ترغبنا فيها وكان بعض الاعراب اذا أوى الى فراشه قال اللهم انى أكفر بكل ما كفر به محمد وأومن بكل ما آمن به ثم يضع رأسه وسمعت بدوية تقول فى دعائها يا صباح يا مناح يا مطعم يا عريض الجفنة يا أبا المكارم فزجرها رجل فقالت دعنى أصف ربى وأمجد الهى بما تستحسنه العرب وقال الزمخشرى فى كتابه ربيع الابرار سمعت أناما يدعو من العرب عند الركن اليمانى يا أبا المكارم يا أبيض الوجه وهذا ونحوه منهم انما يقصدون به الثناء على الله تعالى بالكرم والنزاهة عن القبيح على طريق الاستعارة لانه لا فرق عندهم بين الكريم وأبى المكارم ولا بين الجواد والعريض الجفنة ولا بين المنزه والابيض الوجه وقيل لاعرابى أتحسن أن تدعو ربك قال نعم ثم قال اللهم انك أعطيتنا الاسلام من غير أن نسألك فلا تحرمنا الجنة ونحن نسألك وذكر عبد السلام بن مطيع ان الرجل تصيبه البلوى فيدعو فتبطئ عنه الاجابة فقيل بلغنى أن الله تعالى يقول كيف أرحمه من شئ به أرحمه وقال طاوس بينما أنا فى الحجر ذات ليلة اذ دخل على بن الحسين فقلت رجل صالح من أهل بيت الخير لأسمعن دعاءه فسمعته يقول عبيدك بفنائك مسكينك بفنائك فقيرك بفنائك فما دعوت بها فى كرب الا فرج عنى ودعا اعرابى فقال اللهم انا نبات نعمتك وقال ابن المسيب سمعت من يدعو بين القبر والمنبر اللهم انى أسألك عملا بارا ورزقا دارا وعيشا قارا فدعوت به فما وجدت الا خيرا ودعت اعرابية بالموقف فقالت أسألك سترك الذى لا تزيله الرياح ولا تخرقه الرماح وقيل اتقوا مجانيق الضعفاء أى دعواتهم ودعا اعرابى فقال اللهم امح ما فى قلبى من كذب وخيانة واجعل مكانه صدقا وأمانة وصلى رجل الى جنب عبد الله بن المبارك وبادر القيام فجذب ثوبه وقال أما لك الى ربك حاجة وقال سفيان الثورى سمعت اعرابيا يقول اللهم ان كان رزقى فى السماء فأنزله وان كان فى الأرض فأخرجه وان كان بعيدا فقربه وان كان قريبا فيسره وان كان قليلا فكثره وان كان كثيرا فبارك لى فيه (وقال أبو نواس)

الذى أماته قال كثرة نقل اللبن الى قبر أم عمير قال أوماتت أم عمير قال نعم قال وما الذى أماتها قال كثرة بكائها على عمير قال أومات عمير قال نعم قال وما الذى أماته قال سقطت عليه الدار قال أوسقطت الدار قال نعم قال فقام له بالعصا ضاربا فولى من بين يديه هاربا (وقال دعبل) كنا عند سهل بن هرون فلم نبرح حتى كاد يموت من الجوع فقال ويلك يا غلام آتنا غداءنا فأتى بقصعة فيها ديك مطبوخ تحته ثريد قليل فتأمل الديك فرآه بغير رأس فقال لغلامه وأين الرأس فقال رميته فقال والله انى لاكره من يرمى برجله فكيف برأسه ويحك أما علمت ان الرأس رئيس الأعضاء ومنه يصيح الديك ولولا صوته ما أريد وفيه فرقه الذى يتبرك به وعينه التى يضرب بها المثل فيقال شراب كعين الديك ودماغه عجيب لوجع الكلية ولم نر عظما أهش تحت الاسنان من عظم رأسه وهبك ظننت أنى لا آكله ما قلت عنده من يأكله انظر فى أى مكان رميته فائتنى به فقال لا أعرف أين رميته فقال لكنى أنا أعرف أين رميته قد رميته فى بطنك الله حسبك (واشتكى رجل مروزى) صدره من سعال فوصفوا له سويق اللوز فاستثقل النفقة ورأى الصبر على الوجع أخف عليه من الدواء فبينما هو يماطل الايام ويدفع الآلام أتاه بعض أصدقائه فوصف له ماء النخالة وقال له انه يجلو الصدر فأمر بالنخالة فطبخت له وشرب من مائها فجلا صدره ووجده يعصم فلما حضر غداؤه أمر به فرفع الى العشاء وقال لامرأته اطبخى لاهل بيتنا النخالة فانى وجدت ماءها يعصم ويجلو الصدر فقالت لقد جمع الله لك بهذه النخالة بين دواء وغذاء فالحمد لله على هذه

أستحسنت من شعر بشار وكلامه * بيتا لهجت به من شعر بشار

يا رحمة الله حلي في منازلنا * وجاورينا فدتك النفس من جار

وكان بشار يعني بذلك جارية بصرية كان يحبها ويتغزل فيها وتعني بها هنا رحمة الله التي وسعت كل شيء وسمع علي بن أبي طالب رضي الله عنه رجلا يقول وهو متعلق بأستار الكعبة يا من لا يشغله سمع عن سمع ولا تغلطه المسائل ولا يبرمه إلحاح الملحين أذقني برد عفوك وحلاوة مغفرتك فقال علي والذي نفسي بيده لو قلتها وعليك مثل السموات والأرض من الذنوب لغفر لك ومن دعائه رضي الله عنه اللهم صن وجهي باليسار ولا تبذل جاهي بالاقتار فاسترزق طالبي رزقك من غيرك وأستعطف شرار خلقك وأبتلي بحمد من أعطاني وأفتتن بذم من منعني وأنت من وراء ذلك كله ولي الاجابة والمنع وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما انتهيت الى الركن اليماني قط الا وجدت جبريل قد سبقني اليه يقول قل يا محمد اللهم اني أعوذ بك من الكفر والفقر والفاقة ومن مواقف الخزي وهبط جبريل على يعقوب فقال يا يعقوب ان الله تعالى يقول لك قل يا كثير الخير يا دائم المعروف رد على ابني فقالها فأوحى الله تعالى اليه وعزتي لو كانا ميتين لنشرتهما لك وكان أبو مسلم الخراساني اذا نابه أمر قال يا مالك يوم الدين اياك نعبد واياك نستعين وقال جعفر بن محمد ما المبتلى الذي اشتد بلاؤه بأحوج بالدعاء من المعافى الذي لا يأمن وقوع البلاء وكان الزهري يدعو بعد الحديث بدعاء جامع فيقول اللهم اني أسألك من خير ما أحاط به علمك في الدنيا والآخرة وأعوذ بك من شر ما أحاط به علمك في الدنيا والآخرة وعن عقبة بن عبد الغافر دعوة في السر أفضل من سبعين دعوة في العلانية واعلم ان التوحيد والدعاء عند نوازل الملمات هو سفينة النجاة من الحوادث المهلكات وعن أبي الدرداء قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم العصر فربنا كلب فما بلغت يده رجله حتى وقع ميتا فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلاته قال من الداعي على الكلب آنفا فقال رجل من القوم أنا يا رسول الله قال لقد دعوت الله باسمه الذي اذا دعي به أجاب واذا سئل به أعطى كيف دعوت الله قال قلت اللهم اني أسألك بأن لك الحمد لا اله الا أنت المنان بديع السموات والأرض يا ذا الجلال والاكرام وقيل انه دخلت أذن رجل من أهل البصرة حصاة فعالجها الأطباء فلم يقدروا عليها حتى وصلت الى صماخه فأتى الى رجل من أصحاب الحسن فشكا له ما أصابه من الحصاة فدعا له بدعاء العلاء بن الحضرمي وهو يا علي يا عظيم يا حليم يا عليم قال الراوي فما برحنا حتى خرجت الحصاة من أذنه ولها طنين حتى ضربت الحائط وعن أنس اذا قال العبد يا رب يا رب يا رب يقول الله عز وجل لبيك عبدي وعنه قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل وهو يقول يا أرحم الراحمين فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم سل حاجتك فقد نظر الله اليك وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا فتح الله على عبد الدعاء فليكثر فان الله يستجيب له وروي عن علي بن أبي زفر عن أخ له وكان فاضلا صالحا فقال دعوت الله أن يريني الاسم الأعظم الذي اذا دعي به أجاب فقمت ليلة أصلي فسمعت قعقعة في سقف البيت ثم هبط نور حتى صار تلقاء وجهي واذا مكتوب بالنور فقرأته يا الله يا رحمن يا ذا الجلال والاكرام ومن دعاء الكرب ما روي عن وهب أن ابن عباس رضي الله عنهما قال له هل تجد فيما تقرأ من الكتب دعاء تدعو به عند الكرب قال نعم اللهم اني أسألك يا من يملك حوائج السائلين ويعلم ضمير الصامتين فان لكل مسئلة منك سمعا حاضرا وجوابا عتيدا ولكل صامت منك علما ناطقا محيطا أسألك بمواعيدك الصادقة وأياديك الفاضلة ورحمتك الواسعة أن تفعل بي كذا وكذا فقال ابن عباس هذا دعاء علمته في النوم ما كنت أرى أن أحدا يحسنه وعن وهب أيضا قال لما أهبط الله تعالى آدم من الجنة الى الأرض استوحش لفقد أصوات الملائكة فهبط اليه جبريل وقال يا آدم هل أعلمك شيئا تنتفع به في الدنيا والآخرة قال بلى قال قل اللهم أتمم لي النعمة حتى تهنئني المعيشة اللهم اختم لي بخير حتى لا تضرني ذنوبي اللهم اكفني مؤنة الدنيا وكل هول في القيامة حتى تدخلني الجنة معافى وعن معروف الكرخي قال اجتمعت اليهود أخزاهم الله على قتل عيسى عليه الصلاة والسلام بزعمهم وأهبط الله تعالى عليه جبريل وفي باطن جناحيه مكتوب اللهم اني أدعوك باسمك الأجل الأعز وأدعوك اللهم باسمك الأحد الصمد وأدعوك اللهم باسمك العظيم الوتر وأدعوك اللهم باسمك الكبير المتعالي الذي ملأ الأركان كلها أن تكشف عني ضر

النعمة (وعن خاقان بن صبيح) قال دخلت على رجل من أهل خراسان ليلا فأتانا بسرجة فيها فتيلة في غاية الرقة وقد علق فيها عودا بخيط فقلت له ما بال هذا العود مربوطا قال قد شرب الدهن واذا ضاع ولم نحفظه احتجنا الى غيره فلا نجد الا عودا عطشان ونخشى ان يشرب الدهن قال بينما أنا أتعجب وأسأل الله العافية اذ دخل علينا شيخ من أهل مرو فنظر الى العود فقال للرجل يا فلان لقد فررت من شيء ووقعت فيما هو شر منه أما علمت ان الريح والشمس يأخذان من سائر الأشياء وينشفان هذا العود لم لا اتخذت مكان هذا العود ابرة من حديد فان الحديد أملس وهو مع ذلك غير نشاف والعود أيضا ربما يتعلق به شعرة من قطن الفتيلة فينقصها فقال له الرجل الخراساني أرشدك الله ونفع بك فلقد كنت في ذلك من المسرفين (وقال الهيثم ابن عدي) نزل على أبي حفصة الشاعر رجل من اليمامة فأخلى له المنزل ثم هرب مخافة ان يلزمه قراه في هذه الليلة فخرج الضيف واشترى ما احتاج اليه ثم رجع وكتب له

يا أيها الخارج من بيته * وهاربا من شدة الخوف

ضيفك قد جاء بزاد له * فارجع وكن ضيفا على الضيف

وكان أبو العتاهية ومروان بن أبي حفصة بخيلين يضرب ببخلهما المثل قال مروان ما فرحت بشيء أشد مما فرحت بمائة ألف درهم وهبها لي المهدي فوزنتها فرجحت درهما واشترى لحما بدرهم فلما وضعه في القدر دعاه صديقه فرد اللحم على القصاب بنقصان دانقين فجعل القصاب ينادي على اللحم ويقول هذا لحم مروان * واجتاز يوما باعرابية فأضافته فقال ان وهب لي أمير المؤمنين مائة ألف درهم

ما أصبحت وأمسيت فيه فأوحى الله عز وجل الى جبريل أن ارفع عبدى الى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه عليكم بهذا الدعاء ولا تستبطؤا الاجابة فان ما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون اسناد هذا متصل الى معروف الكرخى ثم هو منقطع ولو لم يكن فيه من البركة الا رواية معروف لكان كافيا فى قبوله والعمل به * حدث عبد الله بن أبان الثقفى رضى الله عنه قال وجهنى الحجاج بن يوسف فى طلب أنس بن مالك فظننت أنه يتوارى عنى فأتيت بخيلى ورجلى فاذا هو جالس على باب داره مادا رجليه فقلت له أجب الأمير فقال أى الأمراء فقلت أبو محمد الحجاج فقال غير مكترث به قد أذله الله ما أرانى أعزه لأن العزيز من عز بطاعة الله والذليل من ذل بمعصية الله وصاحبك قد بغى وطغى واعتدى وخالف كتاب الله والسنة والله لينتقم الله منه فقلت له أقصر عن الكلام وأجب الأمير فقام معنا حتى حضر بين يدى الحجاج فقال له أنت أنس بن مالك قال نعم قال أنت الذى تدعو علينا وتسبنا قال نعم قال ومم ذاك قال لانك عاص لربك مخالف لسنة نبيك تعز أعداء الله وتذل أولياء الله فقال له أتدرى ما أريد أن أفعل بك قال لا قال أريد أن أقتلك شر قتلة قال أنس لو علمت ان ذلك بيدك لعبدتك من دون الله قال الحجاج ولم ذاك قال لان رسول الله صلى الله عليه وسلم علمنى دعاء وقال من دعا به فى كل صباح لم يكن لأحد عليه سبيل وقد دعوت به فى صباحى هذا فقال الحجاج علمنيه فقال معاذ الله أن أعلمه لأحد ما دمت أنت فى الحياة فقال الحجاج خلوا سبيله فقال الحاجب أيها الأمير لنا فى طلبه كذا وكذا يوما حتى أخذناه فكيف نخلى سبيله قال رأيت على عاتقه أسدين عظيمين فاتحين أفواههما ثم ان أنسا رضى الله عنه لما حضرته الوفاة علم الدعاء لاخوانه وهو * بسم الله الرحمن الرحيم باسم الله خير الأسماء باسم الله الذى لا يضر مع اسمه أذى باسم الله الكافى باسم الله المعافى باسم الله الذى لا يضر مع اسمه شئ فى الأرض ولا فى السماء وهو السميع العليم باسم الله على نفسى ودينى باسم الله على أهلى ومالى باسم الله على كل شئ أعطانيه ربى الله أكبر الله أكبر الله أكبر أعوذ بالله مما أخاف وأحذر الله ربى لا أشرك به شيأ عز جارك وجل ثناؤك وتقدست أسماؤك ولا اله غيرك اللهم انى أعوذ بك من شر كل جبار عنيد وشيطان مريد ومن شر قضاء السوء ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها ان ربى على صراط مستقيم * وهذا دعاء مشهور الاجابة وله شرح طويل تركناه لطوله وهو * اللهم كما لطفت فى عظمتك دون اللطفاء وعلوت بعظمتك على العظماء وعلمت ما تحت أرضك كعلمك بما فوق عرشك وكانت وساوس الصدور كالعلانية عندك وعلانية القول كالسر فى علمك وانقاد كل شئ لعظمتك وخضع كل ذى سلطان لسلطانك وصار أمر الدنيا والآخرة كله بيدك لا بيد غيرك اجعل لى من كل هم وغم أصبحت أو أمسيت فيه فرجا ومخرجا انك على كل شئ قدير اللهم ان عفوك عن ذنوبى وتجاوزك عن خطيئتى وسترك على قبيح عملى أطمعنى أن أسألك ما لا استوجبه منك مما قصيته لى أدعوك آمنا وأسألك مستأنسا الا خائفا ولا وجلا لانك أنت المحسن الى وأنا المسئ الى نفسى فيما بينى وبينك تتودد الى بالنعم مع غناك عنى وأتبغض اليك بالمعاصى مع فقرى اليك فلم أر مولى كريما أعطف منك على عبد لئيم مثلى لكن الثقة بك حملتنى على الجراءة على الذنوب فاسألك بجودك وكرمك واحسانك وطولك أن تصلى على محمد وآله وأن تفتح لى باب الفرج بطولك وتحبس عنى باب الهم بقدرتك ولا تكلنى الى نفسى طرفة عين فاعجز ولا الى الناس فاضيع برحمتك يا أرحم الراحمين * وروى الحافظ النسفى باسناده عن الزهرى عن أبى سلمة عن أبى هريرة قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل ساجد وهو يقول فى سجوده اللهم انى أستغفرك وأتوب اليك من مظالم كثيرة لعبادك قبلى فايما عبد من عبادك أو أمة من امائك كانت له قبلى مظلمة ظلمتها اياه فى مال أو بدن أو عرض علمتها أو لم أعلمها ولم أستطع أن أتحللها فاسألك أن ترضيه عنى بما شئت وكيف شئت ثم تهبها لى من لدنك انك واسع المغفرة ولديك الخير كله يارب ما تصنع بعذابى ورحمتك وسعت كل شئ فلتسعنى رحمتك فانى لا شئ وأسألك يارب أن تكرمنى برحمتك ولا تعاقبنى بذنوبى وما عليك أن تعطينى الذى سألتك يارب يا الله فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ارفع رأسك فقد غفر الله لك ان هذا دعاء أخى شعيب عليه السلام * وقال صالح المرى قال لى قائل فى منامى اذا أحببت أن يستجاب لك فقل اللهم انى أسألك باسمك المخزون المكنون المبارك الطيب الطاهر المطهر المقدس فما دعوت به فى شئ الا تعرفت الاجابة (وقيل) ان هذا الدعاء فيه اسم الله الأعظم وهو بسم الله الرحمن الرحيم اللهم انى

وهبت لك درهما فوهبته سبعين ألف درهم فوهبها أربعة دوانق * ومن الموصوفين بالبخل آل مرو * يقال ان من عادتهم اذا ترافقوا فى سفر ان يشترى كل واحد منهم قطعة لحم ويشكها فى خيط ويجمعون اللحم كله فى قدر ويمسك كل واحد منهم طرف خيطه فاذا استوى جر كل منهم خيطه وأكل لحمه وتقاسموا المرق * وكان * عمر بن يزيد الاسدى بخيلا جدا أصابه القولنج فى بطنه فحقنه الطبيب بدهن كثير فانحل ما فى بطنه فى الطست فقال لغلامه اجمع الذى نزل من الحقنة وأسرج به * وكان * المنصور شديد البخل جدا مر به مسلم الحادى فى طريقه الى الحج فحداله يوما بقول الشاعر

أغر بين الحاجبين نوره
يزينه حياؤه وخيره
ومسكه يشوبه كافوره
اذا تغدى رفعت ستوره

فطرب حتى ضرب برجله المحمل وقال يا ربيع أعطه نصف درهم فقال نصف درهم يا أمير المؤمنين والله لقد حدوت لهشام فامر لى بثلاثين ألف درهم فقال تأخذ من بيت مال المسلمين ثلاثين ألف درهم يا ربيع وكل به من يستخلص منه هذا المال قال الربيع فما زلت أمشى بينهما وأروضه حتى شرط مسلم على نفسه ان يحدوله فى ذهابه وايابه بغير مؤنة وأخبار البخلاء كثيرة وفيما أوردناه كفاية * نادرة * قيل لابى الحرث ما تقول فى الفالوذجة قال وددت لو أنها وملك الموت اختلجا فى صدرى والله لو أن موسى لقى فرعون بالفالوذجة لآمن به ولكنه لقيه بعصا * ودخل * ابن قزعة يوما على عز الدولة وبين يديه طبق فيه موز فتأخر عن استدعائه فقال ما بال مولانا ليس يدعونى الى الموز يأكل

أسألك بالعزة التي لا ترام والملك الذي لا يضام والعين التي لا تنام والنور الذي لا يطفأ وبالوجه الذي لا يبلى وبالديمومية التي لا تفنى وبالحياة التي لا تموت وبالصمدية التي لا تقهر وبالربوبية التي لا تستذل أن تجعل لنا في أمورنا فرجا ومخرجا حتى لا نرجو غيرك يا أرحم الراحمين * وقال سعيد بن المسيب دخلت المسجد في ليلة مقمرة وأظن أني قد أصبحت وإذا الليل على حاله فقمت أصلي وجلست أدعو وإذا بهاتف يهتف من خلفي يا عبد الله قل قلت ما أقول قال قل اللهم إني أسألك بأنك مالك وأنت على كل شيء قدير وما تشاء من أمر يكون قال سعيد فما دعوت به قط في شيء إلا رأيت نجحه * وعن الشيخ كمال الدين الدميري قال روينا عن قاضي القضاة عز الدين بن جماعة قال أنبأنا الشيخ شرف الدين أبو العباس أحمد بن ابراهيم بن مناع الفزاري خطيب دمشق قال أنبأنا الشيخ زين الدين أبو البقاء خالد بن يوسف النابلسي بقراءتي عليه قال أنبأنا الحافظ بهاء الدين ناصر السنة محمد بن الامام أبي محمد بن الحافظ أبي القاسم علي بن الحسين بن هبة الله بن عساكر قراءة عليه وأنا أسمع قال رويت بالاسناد وذكر اسناده الى الامام الحجة التابعي الجليل محمد بن سيرين قال نزلنا بنهر تيرا فأتانا أهل ذلك المنزل فقالوا لنا ارحلوا فانه لم ينزل هذا المنزل أحد الا أخذ متاعه فرحل أصحابه وتخلفت فلما أمسينا قرأت آيات فما نمت حتى رأيت أقواما قد أقبلوا وجاؤا الى جهتي أكثر من ثلاثين نفرا وقد جردوا سيوفهم فلم يصلوا الي فلما أصبحت رحلت فلقيني شيخ على فرس ومعه قوس عربية فقال لي يا هذا انسي أنت أم جني فقلت بل أنا من بني آدم قال فما بالك لقد أتيناك في هذه الليلة أكثر من سبعين مرة وفي كل ذلك يحال بيننا وبينك بسور من حديد قلت حدثني ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من قرأ في ليلة ثلاثا وثلاثين آية لم يضره في تلك الليلة لص طارق ولا سبع ضار وعوفي في نفسه وأهله وماله حتى يصبح فنزل عن فرسه وكسر قوسه وأعطى الله تعالى عهدا ان لا يعود لهذا الأمر وهذه الآيات وهي أن تقرأ بعد الفاتحة ألم ذلك الكتاب الى قوله المفلحون وآية الكرسي الى قوله هم فيها خالدون وآمن الرسول الى آخر السورة وان ربكم الله الذي الى قوله المحسنين وقل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن الى آخر السورة والصافات صفا الى قوله تعالى لازب ويا معشر الجن والانس ان استطعتم الى قوله فلا تنتصران ولو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا الى آخرها وأنه تعالى جد ربنا الى قوله شططا زاد البوني الى قوله شهابا رصدا والله من ورائهم محيط الى قوله محفوظ قال محمد بن سيرين فذكرت هذا الحديث لشعيب بن حرب فقال كنا نسميها آيات الحرز ويقال ان فيها شفاء من مائة داء وعد منها الجذام وغير ذلك قال محمد بن علي قرأتها على شيخ لنا قد أفلج فأذهب الله تعالى عنه ذلك الفالج قال البوني هذه الآيات شرفها مشهور وفضلها مذكور لا ينكرها الأعمى أو غيور وقد جربها المشايخ وعرف سرها من له في العلم قدم راسخ وقدر شامخ وهي على ما رويناه بل ما رأيناه أولها الفاتحة ثم أول البقرة الى آخر الآيات * وقال أبو العباس أحمد القسطلاني سمعت الشيخ أبا عبد الله القرشي يقول سمعت أبا زيد القرطبي يقول في بعض الآثار ان من قال لا اله الا الله سبعين ألف مرة كانت فداءه من النار فعملت ذلك رجاء بركة الوعد ففعلت منها الأهلي وعملت أعمالا ادخرتها لنفسي وكان اذ ذاك يبيت معنا شاب يكاشف بالجنة والنار وكانت الجماعة ترى له فضلا على صغر سنه وكان في قلبي منه شيء فاتفق أن استدعانا بعض الاخوان الى منزله فنحن نتناول الطعام والشاب معنا اذ صاح صيحة منكرة واجتمع في نفسه وهو يقول يا عم هذه أمي في النار وهو يصيح بصياح عظيم لا يشك من سمعه أنه عن أمر فلما رأيت ما به من الانزعاج قلت اليوم أجرب صدقه فألهمني الله تعالى السبعين ألفا ولم يطلع على ذلك الا الله تعالى فقلت في نفسي الأثر حق والذين رووه لنا صادقون اللهم ان هذه السبعين ألفا فداء أم هذا الشاب من النار فما استتممت هذا الخاطر في نفسي ان قال يا عم هذه أمي أخرجت من النار والحمد لله فحصل عندي فائدتان امتحاني لصدق الأثر وسلامتي من الشاب وعلمي بصدقه * ومن خاف انسانا فليصل ركعتين بعد صلاة المغرب ثم يضع جبهته على التراب ويقول يا شديد المحال يا عزيز أذللت بعزتك جميع من خلقت صل على محمد وآله واكفني فلانا بما شئت كفاه الله تعالى شره وروى الثقفي رحمه الله تعالى باسناده الى محمد بن علي بن الحسين رضي الله تعالى عنه انه كان يقول لولده يا بني من أصابته مصيبة في الدنيا أو نزلت به نازلة فليتوضأ وليحسن الوضوء وليصل أربع ركعات أو ركعتين فاذا انصرف من صلاته يقول يا موضع كل شكوى ويا سامع كل نجوى ويا شاهد كل بلوى ويا منجي موسى والمصطفى محمد

والخليل

الموز فقال صفه حتى أطعمك منه فقال ما الذي أصف من حسن لونه فيه سبائك ذهبية كأنها حشيت زبدا وعسلا أطيب الثمر كأنه مخ الشحم سهل القشر لين المكسر عذب المطعم بين الطعوم سلس في الحلقوم ثم مد يده وأكل * (وسمع) * رجلا يذم الزبد فقال له ما الذي نمت منه سواد لونه أم بشاعة طعمه أم صعوبة مدخله أم خشونة ملمسه * (وقيل) * له ما تقول في الباذنجان قال أذناب المحاجم وبطون العقارب وبزور الزقوم فقيل له انه يحشى باللحم فيكون طيبا فقال لو حشي بالتقوى والمغفرة ما أفلح (وصنع) الحجاج وليمة واحتفل فيها ثم قال لزاذان هل عمل كسرى مثلها فاستعفاه فأقسم عليه فقال أولم عند كسرى فأقام على رؤس الناس ألف وصيفة في يد كل واحدة ابريق من ذهب فقال الحجاج أف والله ما تركت فارس لمن بعدها من الملوك شرفا * (وقال) * معاوية لرجل على مائدته خذ الشعرة من لقمتك فقال وانك تراعيني مراعاة من يرى الشعرة في لقمتي لا أكلت لك طعاما أبدا (وحضر) اعرابي على مائدة بعض الخلفاء فقدم جدي مشوي فجعل الاعرابي يسرع في أكله منه فقال له الخليفة أراك تأكله بحرد كأن أمه نطحتك فقال أراك تشفق عليه كأن أمه أرضعتك (ودعت) أبا الحرث صديقة له فحادثته ساعة فجاع فطلب الأكل فقالت له أما في وجهي ما يشغلك عن الأكل قال جعلت فداك لو أن جميلا وبثينة قعدا ساعة لا يأكلان لبصق كل منهما في وجه صاحبه وافترقا (وقال الشمردل) وكيل عمرو بن العاص قدم سليمان بن عبد الملك الطائف فدخل هو وعمر ابن عبد العزيز الي وقال يا شمردل ما عندك ما تطعمني قلت عندي

جدى كأعظم ما يكون سمنا قال عجل به فأتيته به كأنه عكة سمن فجعل يأكل منه ولا يدعو عمرحتى اذا لم يبق منه الا الفخذ قال هلم يا أبا جعفر فقال انى صائم فأكله ثم قال يا شمردل ويلك أما عندك شيء قلت ست دجاجات كأنهن أفخاذ نعام فأتيته بهن فأتى عليهن ثم قال يا شمردل أما عندك شيء قلت سويق كأنه قراضة الذهب فأتيته به فعبه حتى أتى عليه ثم قال يا غلام أفرغت من غدائنا قال نعم قال ماهو قال نيف وثلاثون قدرا قال ائتنى بقدر قدر فأتاه بها ومعه الرقاق فأكل من كل قدر ثلثه ثم مسح يده واستلقى على فراشه وأذن للناس فدخلوا ووصف الخوان وأكل مع الناس (ونزل رجل) بصومعة راهب فقدم اليه الراهب أربعة أرغفة وذهب ليحضر اليه العدس فحمله وجاء فوجده قد أكل الخبز فذهب وأتى بخبز فوجده قد أكل العدس ففعل معه ذلك عشر مرات فسأله الراهب أين مقصدك قال الى الأردن قال لماذا قال بلغنى ان بها طبيبا حاذقا أسأله عما يصلح معدتى فانى قليل الشهوة للطعام فقال له الراهب ان لى اليك حاجة قال وماهى قال اذا ذهبت وأصلحت معدتك فلا تجعل رجوعك من ههنا (يحكى) أن زيادا أمر بضرب عنق رجل فقال أيها الأمير ان لى بك حرمة قال وماهى قال ان أبى جارك بالبصرة قال ومن أبوك قال يا مولاى انى نسيت اسم نفسى فكيف لا أنسى اسم أبى فرد زياد كمه على فمه وضحك وعفا عنه (وحكى) عن جعفر الصادق رضى الله تعالى عنه ان غلاما له وقف يصب الماء على يديه فوقع الابريق من يد الغلام فى الطست فطار الرشاش فى وجهه فنظر جعفر اليه نظر مغضب فقال يا مولاى والكاظمين الغيظ قال قد كظمت غيظى قال والعافين عن الناس قال عفوت عنك قال والله يحب المحسنين قال اذهب فأنت حر لوجه الله الكريم (وقيل) لما قدم نصر ابن منيع بين يدى الخليفة وكان قد أمر بضرب عنقه قال يا أمير المؤمنين اسمع منى كلمات أقولهن قال قل فانشأ يقول

زعموا بأن الصقر صادف مرة * عصفور برساقه التقدير
فتكلم العصفور تحت جناحه * والصقر منقض عليه يطير
انى لمثلك لا أتم لقمة * ولئن شويت فاننى لحقير
فتهاون الصقر المدل بصيده * كرما وأفلت ذلك العصفور

قال فعفا عنه وخلى سبيله (وكتب) عبد الملك بن مروان الى الحجاج يأمره يبعث اليه برأس عباد بن أسلم البكرى فقال له عباد أيها الامير أنشدك الله لا تقتلنى فوالله انى لأعول أربعا وعشرين امرأة ما لهن كاسب غيرى فرق لهن واستحضرهن فاذا واحدة منهن كالبدر فقال لها الحجاج ما أنت منه قالت انا ابنته فاسمع يا حجاج منى ما أقول ثم قالت

أحجاج اما أن تمن بتركه * علينا واما ان تقتلنا معا
أحجاج لا تفجع به ان قتلته * ثمانا وعشرا واثنتين وأربعا
أحجاج لا تترك عليه بناته * وخالاته يندبنه الدهر أجمعا

فبكى الحجاج ورق له واستوهبه من أمير المؤمنين عبد الملك وأمر له بصلة

والخليل ابراهيم عليهم السلام أدعوك دعاء من اشتدت فاقته وضعفت حركته وقلت حيلته دعاء الغريب الغريق الفقير الذى لا يجد لكشف ماهو فيه الا أنت يا أرحم الراحمين لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين قال على بن الحسين رضى الله عنهما لا يدعو به مبتلى الا فرج الله عنه وقيل الاسم الاعظم هو بسم الله الرحمن الرحيم اللهم انى أسألك يا مؤنس كل وحيد يا قريبا غير بعيد يا شاهدا غير غائب يا غالبا غير مغلوب ياحى يا قيوم يا بديع السموات والارض يا ذا الجلال والاكرام أسألك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم الحى القيوم الذى لا تأخذه سنة ولا نوم وأسألك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم الذى عنت له الوجوه وخشعت له الأصوات ووجلت له القلوب أن تصلى على محمد وعلى آله وأن تعطينى كذا وكذا انك على كل شيء قدير * وهذه أبيات الفرج لأحمد بن حمزة البونى قيل ان فيها اسم الله الأعظم وهى هذه

انى لأرجو عطفة الله ولا * أقول ان قيل متى ذاك متى
لابد ان ينشر ما كان طوى * جودا وأن يعطر ما كان خوى
وربما ينشر ما كان زوى * وربما قدر ما كان لوى
وكل شيء ينتهى الى مدى * والشيء يرجى كشفه اذا انتهى
لطائف الله وان طال المدى * كلمحة الطرف اذا الطرف رمى
كم فرج بعد اياس قد أتى * وكم سرور قد أتى بعد الاسى
من لاذ بالله نجا فمن نجا * من كل ما يخشى ونال مارجا
سبحان من نهفو ويعفو دائما * ولم يزل مهما هفا العبد عفا
يعطى الذى يخطى ولا يمنعه * جلاله من العطا الذى الخطا

ومن المنظوم أيضا

يامن يرى مافى الضمير ويسمع * أنت المعد لكل ما يتوقع
يامن يرجى للشدائد كلها * يامن اليه المشتكى والمفزع
يامن خزائن رزقه فى قول كن * أمنن فان الخير عندك أجمع
مالى سوى فقرى اليك وسيلة * فبالافتقار اليك فقرى أدفع
مالى سوى قرعى لبابك حيلة * فلئن رددت فأى باب أقرع
ومن الذى أدعو وأهتف باسمه * ان كان فضلك عن فقيرك يمنع
حاشا لجودك أن تقنط عاصيا * الفضل أجزل والمواهب أوسع
ثم الصلاة على النبى وآله * خير الأنام ومن به يتشفع

(وقال آخر) ياخالق الخلق يارب العباد ومن * قد قال فى محكم التنزيل أدعونى
انى دعوتك مضطرا فخذ بيدى * ياجاعل الأمر بين الكاف والنون
نجيت أيوب من بلواه حين دعا * بصبر أيوب ياذا اللطف نجينى
واطلق سراحى وامنن بالخلاص كما * نجيت من ظلمات البحر ذا النون

ثم يقرأ وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن ان لن نقدر عليه فنادى فى الظلمات أن لا اله الا أنت سبحانك انى كنت

(وحكى) ان رجلا زور ورقة عن خط الفضل بن الربيع تتضمن أنه أطلق له ألف دينار ثم جاء بها الى وكيل الفضل فلما وقف الوكيل عليها لم يشك انها خط الفضل فشرع فى أن يبذل له الالف دينار واذا بالفضل قد حضر ليتحدث مع وكيله فى تلك الساعة فى أمرهم فلما جلس أخبره الوكيل بأمر الرجل وأوقفه على الورقة فنظر الفضل فيها ثم نظر فى وجه الرجل فرآه كاد يموت من الوجل والخجل فاطرق الفضل بوجهه ثم قال للوكيل أتدرى لم أتيتك فى هذا الوقت قال لا قال جئت لاستنهضك حتى تعجل لهذا الرجل اعطاء المبلغ الذى فى هذه الورقة فاسرع عند ذلك الوكيل فى وزن المال وناوله الرجل فقبضه وصار متحيرا فى أمره فالتفت اليه الفضل وقال له طب نفسا فقال له سترتنى سترك الله فى الدنيا والآخرة ثم أخذ المال ومضى ﴿ومن اللطائف والغرائب الدالة على الوفاء بالذمم﴾ ما حكاه بعض خدم أمير المؤمنين المأمون قال طلبنى أمير المؤمنين ليلة وقد مضى من الليل

ثلثه فقال لى خذ معك فلانا وفلانا وسماهما أحدهما على بن محمد والآخر دينار الخادم واذهب مسرعا لما أقول لك فانه قد بلغنى ان شيخا يحضر ليلا الى دور البرامكة وينشد شعرا ويذكرهم ذكرا كثيرا ويندبهم ويبكى عليهم ثم ينصرف فامض الآن أنت وعلى ودينار حتى تردوا هذه الخربات فاستتروا فى بعض الجدران فاذا رأيتم الشيخ قد جاء وبكى وندب وأنشد شيأ فائتونى به قال فأخذتهما ومضينا حتى أتينا الخربات واذا نحن بغلام قد أتى ومعه بساط وكرسى جديد واذا بشيخ وسيم له جمال وعليه مهابة ووقار قد أقبل فجلس على الكرسى وجعل يبكى وينتحب ويقول

ولما رأيت السيف جندل جعفرا
ونادى مناد للخليفة فى يحيى
بكيت على الدنيا وزاد تأسفى
عليهم وقلت الآن لا تنفع الدنيا

مع أبيات أطالها وردها

فلما قبضنا عليه وقلنا له أجب أمير المؤمنين فزع فزعا شديدا وقال دعونى حتى أوصى وصية فانى لا أوقن بعدها بحياة تكره
ثم تقدم الى بعض الدكاكين فاستفتح وأخذ ورقة وكتب فيها وصية ودفعها الى غلامه ثم سرنا به فلما مثل بين يدى أمير المؤمنين زجره وقال له ومن أنت وبماذا استوجبت البرامكة منك ما تفعله فى خرائب دورهم وما تقوله فيها فقال يا أمير المؤمنين ان للبرامكة عندى أيادى خطيرة أفتأذن لى أن أحدثك حديثى معهم قال قل قال يا أمير المؤمنين أنا المنذر بن المغيرة من أولاد الملوك وقد زالت عنى نعمتى كما تزول عن الرجال فلما ركبنى الدين واحتجت الى بيع مسقط رأسى ورؤس أهلى أشاروا على بالخروج الى البرامكة فخرجت من دمشق ومعى نيف وثلاثون امرأة وصبى وصبية وليس معنا ما يباع ولا ما يوهب حتى دخلنا بغداد ونزلنا فى بعض المساجد فدعوت بثويبات لى كنت قد أعددتها لاستتر بها من الناس فلبستها وخرجت وتركتهم جياعا لا شئ عندهم ودخلت شوارع بغداد سائلا عن دور البرامكة فاذا أنا بمسجد مزخرف وفيه مائة

من الظالمين قال بعضهم
يارب ما زال لطف منك يشملنى * وقد تجدد بى ما أنت تعلمه
فاصرفه عنى كما عودتنى كرما * فمن سواك لهذا العبد يرحمه

(وقال آخر)

يا من تحل بذكره * عقد النوائب والشدائد
يا من اليه المشتكى * واليه أمر الخلق عائد
ياحى ياقيوم يا * صمد تنزه عن مضادد
أنت الرقيب على العبا * د وأنت فى الملكوت واحد
أنت المعزان أطا * عك والمذل لكل جاحد
انى دعوتك والهمو * م جيوشها نحوى تطارد
فافرج بحولك كربتى * يا من له حسن العوائد
فخفى لطفك يستعا * ن به على الزمن المعاند
أنت الميسر والمسبب والمسهل والمساعد
يسر لنا فرجا قريـ * ـبا يا الهى لا تباعد
كن راحمى فلقد يئسـ * ـت من الأقارب والأباعد
ثم الصلاة على النبى * وآله الغر الأماجد
وعلى الصحابة كلهم * ما خر للرحمن ساجد

(دعاء عظيم مأثور)

اللهم انى أشكو اليك ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس أنت رب المستضعفين وأنت ربى الى من تكلنى الى بغيض يتجهمنى أو الى قوى ملكته أمرى ان لم يكن بك غضب على فلا أبالى ولكن عافيتك أوسع لى أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن يحل بى غضبك أو ينزل بى سخطك فلك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة لنا الا بك يارب العالمين

﴿ومما جاء فى أدعية الناس بعضهم لبعض﴾ دعا رجل لآخر فقال سرك الله بما ساءك ولا ساءك فيما سرك ودعا رجل لآخر فقال لا أخلاك الله تعالى من ثناء صادق باق ودعاء صالح واق ودعا اعرابى لآخر فقال رحب واديك وعز ناديك ولا ألم بك ألم ولا طاف بك عدم وسلمك الله ولا أسالك وسمعت بعض العرب يدعو لرجل ويقول سلمك الله تعالى من الرهق والوهق وعافاك الله تعالى من الوحل والزحل وسلمك الله من الشاردات والواردات وسلمك الله بين الاعنة والاسنة ودعا اعرابى لعبد الله بن جعفر رضى الله عنه فقال لا ابتلاك الله تعالى ببلاء يعجز عنه صبرك وأنعم عليك نعمة يعجز عنها شكرك وأبقاك ما تعاقب الليل والنهار وتناسخت الظلم والانوار ودعا بعضهم لآخر فقال زودك الله تعالى الامن فى مسيرك والسعد فى مصيرك ولا أخلاك من شهر تستجده وخير من الله تستقده وعزى شبيب بن شبة يهوديا فقال أعطاك الله على مصيبتك أفضل ما أعطى أحدا من أهل ملتك

﴿ومما جاء فى الدعاء على الاعداء والظلمة ونحوهم﴾ دعا اعرابى على ظالم فقال لا ترك الله لك شفرا ولا ظفرا أى عينا ولا يدا ومن دعاء العرب فته الله فتا وحته حتا وجعل أمره شتى وخرج اعرابى الى سفر وكانت له امرأة

تكرهه فاتبعته نواة وقالت شط نوالك ونأى سفرك ثم أتبعته روثة وقالت رثتك أهلك وورث خيرك ثم أتبعته حصاة وقالت حاص رزقك وحص أثرك ودعا اعرابى على آخر فقال أطفأ الله ناره وخلع نعليه أى جعله أعمى مقعدا ودعا اعرابى على آخر فقال سقاه الله دم جوفه أى قتل ابنه وأخذ ديته فشرب لبنها ودعا اعرابى على آخر فقال بعث الله عليه سنة قاشورة تحلقه كما يحلق الشعر بالنورة ودعا رجل على أمير فقال

أزال الله دولته سريعا * فقد ثقلت على عنق الليالى

(وقالت امرأة من بنى ضبة فى زوجها)

وما دعوت عليه حين ألعنه * الا وآخر يتلوه بآمين

فليته كان أرض الروم منزله * وليتنى قبله قد صرت للصين

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى خطبته يوم الاحزاب اللهم أكل سلاحهم واضرب وجوههم ومزقهم فى البلاد تمزيق الريح للجراد ودعا رجل فقال اللهم اكفنا أعداءنا ومن أرادنا بسوء فلتحط به ذلك السوء احاطة القلائد بترائب الولائد ثم ارسخه على هامته كرسوخ السجيل على هام أصحاب الفيل وحسبنا الله ونعم الوكيل ولنختم هذا الباب بهذا الدعاء المبارك وهو اللهم انك عرفتنا ربوبيتك وغرقتنا فى بحار نعمتك ودعوتنا الى دار قدسك ونعمتنا بذكرك وأنسك الهى ان ظلمة ظلمنا النفوسنا قد عمت وبحار الغفلة على قلوبنا قد طمت والعجز شامل والحصر حاصل والتسليم أسلم وأنت بالحال أعلم الهى ما عصيتك جهلا بعقابك ولا تعرضا لعذابك ولكن سولتها نفوسنا وأعانتنا شقوتنا وغرنا سترك علينا وأطمعنا فى عفوك برك بنا فالآن من عذابك من ينقذنا وبحبل من نعتصم ان قطعت حبلك عنا واخجلتاه غدا من الوقوف بين يديك وافضيحتاه ان عرضت فعالنا القبيحة عليك اللهم اغفر ما علمت ولا تهتك ما سترت الهى ان كنا عصيناك بجهل فقد دعوناك بعقل حيث علمنا أن لنا ربا يغفر لنا ولا يبالى الهى أتحرق بالنار وجها كان لك مصليا ولسانا كان لك ذاكرا وداعيا الا بالذى دلنا عليك وأمرنا بالخشوع بين يديك وهو محمد صلى الله عليه وسلم خاتم أنبيائك وسيد أصفيائك فان حقه علينا أعظم الحقوق بعد حقك كما أن منزلته لديك أشرف المنازل سيد خلقك ومعدن أسرارك صل يارب على محمد وآله وأصحابه وارحم عبادا اغرهم طول امهالك وأطمعهم كثرة افضالك فقد ذلوا لعزك وجلالك ومدوا أكفهم لطلب نوالك ولولا ذلك لم يصلوا الى ذلك اللهم اغفر لنا ولوالدينا ولكل المسلمين أجمعين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الثامن والسبعون فى القضاء والقدر وأحكامه والتوكل على الله عز وجل)

اعلم ان كل ما يجرى فى العالم من حركة وسكون وخير وشر ونفع وضر وايمان وكفر وطاعة ومعصية فكل بقضاء الله وقدره وكذلك فلا طائر يطير بجناحيه ولا حيوان يدب على بطنه ورجليه ولا تطن بعوضة ولا تسقط ورقة

شيخ بأحسن زى وزينة وعلى الباب خادمان فطمعت فى القوم وولجت المسجد وجلست بين أيديهم وأنا أقدم وأؤخر والعرق يسيل منى لانها لم تكن صناعتى واذا بخادم قد أقبل فدعا القوم فقاموا وأنا معهم فدخلوا دار يحيى بن خالد ودخلت معهم واذا بيحيى جالس على دكة له فى وسط بستان فسلمنا وهو يعدنا مائة وواحدا وبين يديه عشرة من ولده واذا غلام أمرد قد عذر خداه أقبل من بعض المقاصير بين يديه مائة خادم ممنطقون فى وسط كل خادم منطقة من ذهب يقرب وزنها من ألف مثقال ومع كل خادم مجمرة من ذهب فى كل مجمرة قطعة من عود كهيئة الفهر قد قرن بها مثلها من العنبر السلطانى فوضعوه بين يدى الغلام الى جنب يحيى ثم قال يحيى للقاضى تكلم وزوج بنتى عائشة من ابن عمى هذا فخطب القاضى وزوجه وشهد أولئك الجماعة وأقبلوا علينا بالنثار ببنادق المسك والعنبر فالتقطت والله يا أمير المؤمنين ملء كمى ونظرت فاذا نحن فى المكان ما بينى والمشايخ وولده والغلام مائة واثنا عشر رجلا فخرج الينا مائة واثنا عشر خادما مع كل خادم صينية من فضة عليها ألف دينار فوضعوا بين يدى كل رجل منا صينية فرأيت القاضى والمشايخ يصبون الدنانير فى أكمامهم ويجعلون الصوانى تحت آباطهم ويقوم الاول فالاول حتى بقيت وحدى بين يدى يحيى لا أجسر على أخذ الصينية فغمزنى الخادم فجسرت وأخذتها وجعلت الذهب فى كمى وأخذت الصينية فى يدى وقمت وجعلت ألتفت الى ورائى مخافة أن أمنع من الذهاب بها فبينما أنا كذلك فى صحن الدار ويحيى يلحظنى اذ قال للخادم ائتنى بذلك الرجل فرددت اليه فأمر بصب الدنانير والصينية وما كان فى كمى ثم أمرنى بالجلوس فجلست فقال لى ممن الرجل فقصصت عليه قصتى فقال للخادم ائتنى بولدى موسى فأتى به فقال يا بنى هذا رجل غريب فخذه اليك واحفظه بنفسك وبنعمتك فقبض موسى على يدى وأدخلنى الى دار من دوره فأكرمنى غاية الاكرام وأقمت عنده يومى وليلتى فى ألذ عيش وأتم سرور فلما أصبح دعا بأخيه العباس وقال ان الوزير قد أمرنى بالعطف على هذا الرجل وقد علمت اشتغالى فى دار أمير المؤمنين فاقبضه اليك وأكرمه ففعل ذلك وأكرمنى غاية الاكرام فلما كان من الغد تسلمنى أخوه ثم لم أزل فى أيدى القوم يتداولوننى عشرة أيام لا أعرف خبر عيالى وصبيانى أفى الاموات هم أم فى الاحياء فلما كان اليوم الحادى عشر جاءنى خادم ومعه جماعة من الخدم فقالوا لى قم فاخرج الى عيالك بسلام فقلت واويلاه سلبت الدنانير والصينية وأخرج الى عيالى على هذه الحالة انا لله وانا اليه راجعون فرفع الستر الأول ثم الثانى ثم الثالث ثم الرابع فلما رفع الخادم الستر الاخير قال لى مهما كان لك من الحوائج فارفعها الى فانى مأمور بقضاء جميع ما تأمرنى به فلما رفع الستر رأيت حجرة كالشمس حسنا ونورا واستقبلنى منها رائحة الند والعود ونفحات المسك واذا بصبيانى وعيالى يتقلبون فى الحرير والديباج وحمل الى ألف ألف درهم وعشرة آلاف دينار ومنشورين

بضيعتين وتلك الصينية التي كنت أخذتها بما فيها من الدنانير والبنادق وأقمت يا أمير المؤمنين مع البرامكة في دورهم ثلاث عشرة سنة لا يعلم الناس أمن البرامكة أنا أم رجل غريب اصطنعوني فلما جاءتهم البلية ونزل بهم من أمير المؤمنين الرشيد ما نزل أجحفني عمرو بن مسعدة وألزمني في هاتين الضيعتين من الخراج ما لا يفي دخلهما به فلما تحامل على الدهر كنت في أواخر الليل أقصد خربات القوم فاندبهم واذكر حسن صنيعهم الي وأشكرهم على احسانهم فقال المأمون علي بعمرو بن مسعدة فلما أتى به قال له يا عمرو أتعرف هذا الرجل قال نعم يا أمير المؤمنين هو بعض صنائع البرامكة قال كم ألزمته في ضيعته قال كذا وكذا قال رد له كل ما استأديته منه في مدته ووقع له بهما ليكوناله ولعقبه من بعده قال فعلا نحيب الرجل وبكاؤه فلما رأى المأمون كثرة بكائه قال له يا هذا قد أحسنا اليك فلم تبكي قال يا أمير المؤمنين وهذا أيضا من صنائع البرامكة اذ لو لم آت خرباتهم واندبهم حتى اتصل خبري بأمير المؤمنين ففعل بي ما فعل فمن أين كنت أصل الى أمير المؤمنين قال ابراهيم بن ميمون فلقد رأيت المأمون وقد دمعت عيناه وظهر عليه حزنه وقال لعمري هذا من صنائع البرامكة فعليهم فابك واياهم فاشكر ولهم فاوف ولاحسانهم فاذكر (ومن ذلك) انه خرج سليمان بن عبد الملك ومعه يزيد بن المهلب في بعض جبانات الشام فاذا امرأة جالسة على قبر تبكي قال سليمان فرفعت البرقع عن وجهها فحكت شمسا عن متون غمامة فوقفنا متحيرين ننظر اليها فقال لها يزيد بن المهلب يا أمة الله هل لك في أمير المؤمنين فنظرت الينا ثم أنشأت تقول

فان تسألاني عن هواي فانه
يحول بهذا القبر يا فتيان
واني لاستحييه والترب بيننا
كما كنت أستحييه وهو يراني

(ومن ذلك ما ذكره عبد الله ابن عبد الكريم) قال ان أحمد بن طولون وجد عند سقاية طفلا مطروحا فالتقطه ورباه وسماه أحمد وشهره باليتيم فلما كبر ونشأ كان أكثر الناس ذكاء وفطنة وأحسنهم رسول زيا وصورة فصار يرعاه ويعلمه حتى تهذب وتمرن فلما حضرت أحمد بن طولون الوفاة أوصى ولده أبا الجيش خمراويه به فاتخذه اليه فلما مات أحمد ابن طولون أحضره الامير أبو الجيش اليه وقال له أنت عندي بمكانة أرعاك بها ولكن عادتي اني آخذ العهد على كل أحد أعرفه أن لا يخونني في شيء فعاهده ثم حكمه في أمواله وقدمه في أشغاله فصار أحمد اليتيم مستحوذا على المقام بما كان على جميع الحاشية الخاص والعام والامير أبو الجيش بن طولون يحسن اليه فلما رأى أحواله متصفة بالنصح ومساعيه متسمة بالنجح ركن اليه واعتمد في أمور بيوته عليه فقال له يوما يا أحمد امض الى الحجرة الفلانية ففي المجلس حيث أجلس سبحة جوهر فائتني بها فمضى أحمد فلما دخل الحجرة وجد جارية من مغنيات الامير وحظاياه مع شاب من الفراشين ممن هم من الامير بمحل قريب فلما رآه خرج الفتى وجاءت الجارية الى أحمد وعرضت نفسها عليه ودعته الى قضاء وطره فقال

الا بقضائه وقدره وارادته ومشيئته كما لا يجري شيء من ذلك الا وقد سبق علمه به واعلم أن كل ما قضاه الله تعالى وقدره فهو كائن لا محالة كما أن ما في علم الله تعالى يكون فهو كائن قريب وما قدر الله وصوله اليك بعد الطلب فهو لا يصل اليك الا بالطلب والطلب أيضا من القدر فان تعسر شيء فبتقديره وان اتفق شيء فبتيسيره فمن رام أمرا من الامور ليس الطريق في تحصيله أنه يغلق بابه عليه ويفوض أمره اليه وينتظر حصول ذلك الامر بل الطريق أن يشرع في طلبه على الوجه الذي شرعه له فيه وقد ظاهر النبي صلى الله عليه وسلم بين درعين واتخذ خندقا حول المدينة حين تحزبت عليه الاحزاب يحترس به من العدو وأقام الرماة يوم أحد ليحفظوه من خالد بن الوليد وكان يلبس لامة الحرب ويهيئ الجيوش ويأمرهم وينهاهم لما فيه من مصالحهم واسترق وأمر بالرقية وتداوى وأمر بالمداواة وقال الذي أنزل الداء أنزل الدواء فان قيل قد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من استرق أو اكتوى فهو بريء من التوكل قلنا أليس قد قال اعقلها وتوكل فان قيل فما الجمع بين ذلك قلنا معناه من استرقى أو اكتوى متكلا على الرقية أو الكي وأن البرء من قبلهما خاصة فهذا يخرجه عن التوكل وانما يفعله كافر يضيف الحوادث الى غير الله وقد أمرنا بالكسب والتسبب ألا ترى ان الله قال لمريم عليها السلام وهزي اليك بجذع النخلة فهلا أمرها بالسكون وحمل الرطب الى فمها وأنشدوا في ذلك

ألم تر أن الله قال لمريم * وهزي اليك الجذع يساقط الرطب
ولو شاء أن تجنيه من غير هزها * جنته ولكن كل شيء له سبب

وقد تقدم هذا الشعر في باب الكسب والتسبب ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا فلم يحمل أرزاقها اليها في أوكارها بل ألهمها طلبه بالغدو والرواح وقد جمعوا بين الطلب والقدر فقالوا انهما كالعدلين على ظهر الدابة ان حمل في واحد منهما أرجح مما في الآخر سقط حمله وتعب ظهره وثقل عليه سفره وان عادل بينهما سلم ظهره ونجح سفره وتمت بغيته وضربوا فيه مثلا عجيبا فقالوا ان أعمى ومقعدا كانا في قرية بفقر وضر لا قائد للاعمى ولا حامل للمقعد وكان في القرية رجل يطعمهما قوتهما في كل يوم احتسابا بالله تعالى فلم يزالا بنعمة الله الى أن هلك ذلك الرجل فلبثا بعده أياما واشتد جوعهما وبلغ الضر منهما جهده فاجتمع رأيهما على ان الاعمى يحمل المقعد فيدله المقعد على الطريق ببصره فاشتغل الاعمى بحمل المقعد يدور به ويرشده الى الطريق وأهل القرية يتصدقون عليهما فنجح أمرهما ولولا ذلك لهلكا فكذلك القدر سببه الطلب والطلب سببه القدر وكل واحد منهما معين لصاحبه ألا ترى أن من طلب الرزق والولد ثم قعد في بيته لم يطأ زوجته ولم يبذر أرضه معتمدا في ذلك على الله واثقا به ان تلد امرأته من غير مواقعة وان ينبت الزرع من غير بذر كان عن المعقول خارجا ولامر الله كارها قال الغزالي أما المعيل فلا يخرج عن حد التوكل بادخار قوت سنة لعياله جبرا لضعفهم وتسكينا لقلوبهم وقد ادخر

لها معاذ الله أن أخون الأمير وقد أحسن الي وأخذ العهد علي ثم تركها وأخذ السبحة وانصرف الى الأمير وسلمها اليه وبقيت الجارية شديدة الخوف من أحمد بعد ما أخذ السبحة وخرج من الحجرة لئلا يذكر حالها للأمير فاقامت أياما لم تجد من الامير ما غيره عليها ثم اتفق ان الامير اشترى جارية وقدمها على حظاياه وغمرها بعطاياه واشتغل بها عمن سواها وأعرض لشغفه بها عن كل من عنده حتى كاد لا يذكر جارية غيرها ولا يراها وكان أولا مشغولا بتلك الجارية الخائنة العاهرة فلما أعرض عنها اشتغالا بالجارية الجديدة وصرف لبهجة محاسنها وكثرة آدابها وجهه عن ملاعبة أترابها وشغلته بعذوبة رضابها عن ارتشاف ضرب أضرابها وكانت تلك الجارية الأولى لحسنها متأمرة على تأمير لا تخاف من وليه ولا نصيره كبر عليها اعراضه عنها ونسبت ذلك الى أحمد اليتيم لاطلاعه على ما كان منها فدخلت على الامير وقد ارتدت من السكآبة بجلباب نكرها وأعلنت بالبكا بين يديه لاتمام كيدها ومكرها وقالت ان أحمد اليتيم راودني عن نفسي فلما سمع الامير ذلك استشاط غضبا وهم في الحال بقتله ثم عاوده حلم عقله فتأنى في فعله واستحضر خادما يعتمد عليه وقال له اذا أرسلت اليك انسانا ومعه طبق من ذهب وقلت لك على لسانه املأ هذا الطبق مسكا فاقتل ذلك الانسان واجعل رأسه في الطبق وأحضره مغطى ثم ان الامير أبا الجيش جلس لشربه وأحضر عنده ندماءه الخواص وأدناهم لمجلس قربه وأحمد اليتيم واقف بين يديه آمن في سربه لم يخطر بخاطره شيء فلما مثل بين يدي الامير وأخذ منه الشراب شرع في التذكير فقال يا أحمد خذ هذا الطبق وامض به الى فلان الخادم وقل له يقول لك أمير المؤمنين أملأ هذا الطبق مسكا فأخذه أحمد اليتيم ومضى فاجتاز في طريقه بالمغنين وبقية الندماء والخواص فقاموا اليه وسألوه الجلوس معهم فقال أنا ماض في حاجة الامير أمرني باحضارها في هذا الطبق فقالوا له ارسل من ينوب عنك في احضارها وخذها أنت وادخل بها على الامير فادار عينيه فرأى الفتى الفراش الذي كان مع الجارية فاعطاه الطبق وقال له امض الى فلان الخادم وقل له يقول لك الامير املأ هذا الطبق مسكا فمضى ذلك الفراش الى الخادم فذكر له ذلك فقتله وقطع رأسه وغطاه وجعله في الطبق وأقبل به فناوله لاحمد اليتيم فاخذه وليس عنده علم من باطن الامر فلما دخل به على الامير كشفه وتأمله وقال ما هذا فقص عليه خبره وقعوده مع المغنين وبقية الندماء وسؤالهم له الجلوس معهم وما كان من انفاذ الطبق وارساله مع الفراش وأنه لا علم عنده غير ما ذكر قال أتعرف لهذا الفراش خبرا يستوجب به ما جرى عليه فقال أيها الامير ان الذي تم عليه بما ارتكبه من الخيانة وقد كنت رأيت الاعراض عن اعلام الامير بذلك وأخذ أحمد يحدثه بما شاهده وما جرى له من حديث الجارية من أوله الى آخره لما أنفذه لاحضار السبحة الجوهر فدعا الأمير أبو الجيش بتلك الجارية واستقررها فاقرت بصحة ما ذكره أحمد فاعطاه اياها وأمره بقتلها ففعل وازدادت مكانة

رسول الله صلى الله عليه وسلم قوت سنة ونهى أم أيمن وغيرها ان تدخر شيأ وقال أنفق يا بلال ولا تخش من ذي العرش اقلالا وقال عبد الله بن الفرج اطلعت على ابراهيم بن أدهم وهو في بستان بالشام فوجدته مستلقيا على قفاه واذا بحية في فمها باقة نرجس فما زالت تذب عنه حتى انتبه فحسبك توكل يؤدي الى هذا * وعن عبد الله الهروي قال كنا مع الفضيل بن عياض على جبل أبي قبيس فقال لو ان رجلا صدق في توكله على الله ثم قال لهذا الجبل اهتز لاهتز فوالله لقد رأيت الجبل اهتز وتحرك فقال له الفضيل رحمه الله تعالى لم أعنك رحمك الله فسكن * وفي الاسرائيليات ان رجلا احتاج الى أن يقترض ألف دينار فجاء الى رجل من المتمولين فسأله في ذلك وقال له تمهل علي بدينك الى أن أسافر الى البلد الفلاني فان لي مالا آتيك به وأوفيك منه وتكون مدة الاجل بيني وبينك كذا وكذا فقال له هذا غرر فانا ما أعطيتك مالي الا أن تجعل لي كفيلا ان لم تحضر طلبته منه فقال الرجل الله كفيل بمالك وشاهد على أن لا أغفل عن وفائك فان رضيت فافعل فداخل الرجل خشية الله تعالى وحمله التوكل على أن دفع المال للرجل فأخذه ومضى الى البلد الذي ذكره فلما قرب الاجل الذي بينه وبين صاحبه جهز المال وقصد السفر في البحر فعسر عليه وجود مركب ومضت المدة وبعدها أيام وهو لا يجد مركبا فاغتم لذلك وأخذ الالف دينار وجعلها في خشبة وسمر عليها ثم قال اللهم اني جعلتك كفيلا بايصال هذه الى صاحبها وقد تعذر علي وجود مركب وعزمت على طرحها في البحر وتوكلت عليك في ايصالها اليه ثم نقش على الخشبة رسالة الى صاحبها بصورة الحال وطرحها في البحر بيده وأقام في البلد مدة بعد ذلك الى أن جاءت مركب فسافر فيها الى صاحب المال فابتدأه وقال أنت سيرت الالف دينار في خشبة صفتها كيت وكيت وعليها منقوش كذا وكذا قال نعم قال قد أوصلها الله تعالى الي والله نعم الكفيل فقال فكيف وصلت اليك قال لما مضى الاجل المقدر بيني وبينك بقيت أتردد الى البحر لاجدك أو أجد من يخبرني عنك فوقفت ذات يوم الى الشط واذا بالخشبة قد استندت الي ولم أرها طالبا فأخذها الغلام ليجعلها حطبا فلما كسرها وجد ما فيها فاخبرني بذلك فقرأت ما عليها فعلمت ان الله تعالى حقق أملك لما توكلت عليه حق التوكل وقيل ان سبب بداية ذي النون المصري رحمه الله تعالى انه رأى طيرا أعمى بعيدا عن الماء والمرعى فبينما هو يتفكر في أمر ذلك الطائر فاذا هو بسكرجتين برزتا من الارض احداهما ذهب والاخرى فضة هذه فيها ماء والاخرى فيها قمح فلقط القمح وشرب الماء ثم غاب بعد ذلك فذهل ذو النون وانقطع الى الله تعالى من ذلك الوقت (وحكى) ان رجلا من أبناء الناس كانت له يد في صناعة الصياغة وكان أوحد أهل زمانه فساءت حاله وافتقر بعد غناه فكره الاقامة في بلده فانتقل الى بلد آخر فسأل عن سوق الصاغة فوجد دكانا لمعلم السلطنة وتحت يده صناع كثيرة يعملون الاشغال للسلطنة وله سعادة ظاهرة ما بين مماليك وخدم وقماش وغير ذلك فتوصل الصائغ الغريب الى أن بقي من أحد الصناع الذين في دكان هذا المعلم وأقام يعمل عنده مدة وكلما فرغ

أحمد عنده وعلت منزلته لديه وضاعف احسانه اليه وجعل أزمة جميع ما يتعلق به بيديه (قلت) ويقرب من ذلك ما حكى ان ملكا من ملوك
الفرس يقال له ازدشير وكان ذا مملكة متسعة وجند كثير وكان ذا بأس شديد وقد وصف له بنت ملك بحر الأردن بالجمال البارع وان هذه البنت بكر
ذات خدر يسير أزدشير من يخطبها من أبيها فامتنع من اجابته ولم يرض بذلك فعظم ذلك على أزدشير وأقسم بالأيمان المغلظة ليغزون الملك أبا
البنت وليقتلنه هو وابنته شر قتلة وليمثلن بهما أخبث مثلة فسار اليه أزدشير في جيشه فقاتله فقتله أزدشير وقتل سائر خواصه ثم سأل عن ابنته
المخطوبة فبرزت اليه جارية من القصر من أجمل النساء وأكمل البنات حسنا وجمالا وقدا واعتدالا فبهت ازدشير من رؤيتها فقالت له أيها
الملك انني ابنة الملك الفلاني ملك المدينة الفلانية وان الملك الذي قتلته أنت قد غزا بلادنا وقتل أبي وقتل سائر أصحابه قبل أن تقتله أنت وأنه
أسرني في جملة الاسارى وأتى بي في هذا القصر فلما رأتني ابنته التي أرسلت تخطبها أحبتني وسألت أباها ان يتركني
عندها للتأنس بي فتركني
لها فكنت أنا وهي كأننا
روحان في جسد واحد فلما
أرسلت تخطبها خاف أبوها
عليها منك فارسلها الى بعض
الجزائر في البحر الملح عند
بعض أقاربه من الملوك
فقال أزدشير وددت لو اني
ظفرت بها فكنت أقتلها شر
قتلة ثم انه تأمل الجارية
فرآها فائقة في الجمال فمالت
نفسه اليها فاخذها للتسري
وقال هذه أجنبية من الملك
ولا أحنث في يميني باخذها
ثم انه واقعها وأزال بكارتها
فحملت منه فلما ظهر عليها
الحمل اتفق انها تحدثت معه
يوما وقد رأته منشرح الصدر
فقالت له أنت غلبت أبي
وأنا غلبتك فقال لها ومن
أبوك فقالت له هو ملك بحر
الأردن وأنا ابنته التي
خطبتها منه واني سمعت
انك أقسمت لتقتلني
فتحيلت عليك بما سمعت
والآن هذا ولدك في بطني
فلا يتهيأ لك قتلي فعظم ذلك
على أزدشير اذ قهرته امرأة
وتحيلت عليه حتى تخلصت من بين يديه فانتهرها وخرج من عندها مغضبا وعول على قتلها ثم ذكر لوزيره ما اتفق له معها
فلما رأى الوزير عزمه قويا على قتلها خشي أن يتحدث الملوك عنه بمثل هذا وانه لا يقبل فيها شفاعة شافع فقال أيها الملك ان الرأي هو الذي خطر لك
والمصلحة هي التي رأيتها أنت وقتل هذه الجارية في هذا الوقت أولى وهو عين الصواب لانه أحق من أن يقال ان امرأة قهرت رأي الملك وحنثته
في يمينه لا لأجل شهوة النفس ثم قال أيها الملك ان صورتها مرحومة وحمل الملك معها وهي أولى في الستر ولا أرى في قتلها أهون ولا أستر عليها من
الغرق فقال له الملك نعم ما رأيت خذها غرقها فاخذها الوزير ثم خرج بها ليلا الى بحر الاردن ومعه ضوء ورجال وأعوان فتحيل الى أن طرح شيأ في
البحر أوهم من كان معه انها الجارية ثم انه أخفاها عنده فلما أصبح جاء الى الملك فاخبره انه غرقها فشكره على فعله ثم ان الوزير ناول الملك حقا
مختوما وقال أيها الملك اني نظرت مولدي فرأيت أجلي قد دنا على ما يقتضيه حساب حكماء الفرس في النجوم وان لي أولادا وعندي مال قد ادخرته

النهار دفع له درهمين من فضة وتكون أجرة عمله تساوي عشرة دراهم فيكسب عليه ثمانية دراهم في كل
يوم فاتفق أن الملك طلب المعلم وناوله فردة سوار من ذهب مرصعة بفصوص في غاية من الحسن قد عملت في غير
بلاده كانت في يد احدى محاظيه فانكسرت فقال له الحمها فاخذها المعلم وقد اضطرب عليه في عملها فلما أخذها
وأراها للصناع الذين عنده وعند غيره فما قال له أحد انه يقدر على عملها فازداد المعلم لذلك غما ومضت مدة وهي
عنده لا يعلم ما يصنع فاشتد الملك على احضارها وقال هذا المعلم نال من جهتنا هذه النعمة العظيمة ولا يحسن أن
يلحم سوارا فلما رأى الصانع الغريب شدة ما نال المعلم قال في نفسه هذا وقت المروءة أعملها أولا وأؤاخذه ببخله
علي وعدم انصافه ولعله يحسن الي بعد ذلك فحط يده في درج المعلم وأخذها وفك جواهرها وسبكها ثم صاغها
كما كانت ونظم عليها جواهرها فعادت أحسن ما كانت فلما رآها المعلم فرح فرحا شديدا ثم مضى بها الى الملك
فلما رآها استحسنها وادعى المعلم انها صنعته فاحسن اليه وخلع عليه خلعة سنية فجاء وجلس مكانه فبقي الصانع
يرجو مكافأته عما عامله به فما التفت اليه المعلم ولما كان النهار ما زاده على الدرهمين شيأ فلما مضت الأيام
قلائل واذا الملك اختار أن يعمل زوجين أساور على تلك الصورة فطلب المعلم ورسم له بكل ما يحتاج اليه وأكد
عليه في تحسين الصنعة وسرعة العمل فجاء الى الصانع وأخبره بما قال الملك فامتثل مرسومه ولم يزل منتصبا الى
أن عمل الزوجين وهو لا يزيده شيأ على الدرهمين في كل يوم ولا يشكره ولا يعده بخير ولا يتجمل معه فرأى
المصلحة أن ينقش على زوج منهما أبياتا يشرح فيها حاله ليقف عليها الملك فنقش في باطن أحدهما هذه
الأبيات نقشا خفيفا يقول

مصائب الدهر كفي * ان لم تكفي فعفي
خرجت أطلب رزقي * وجدت رزقي توفي
فلا برزقي أحظى * ولا بصنعة كفي
كم جاهل في الثريا * وعالم متخفي

قال وعزم الصانع على انه ان ظهرت الابيات للمعلم شرح له ما عنده وان غم عليه ولم يرها كان ذلك سبب توصله
الى الملك ثم لفهما في قطن وناولهما المعلم فرأى ظاهرهما ولم ير باطنهما لجهله بالصنعة وما سبق له في القضاء
فأخذهما المعلم ومضى بهما فرحا الى الملك وقدمهما اليه فلم يشك الملك في انهما صنعته فخلع عليه وشكره ثم جاء
فجلس مكانه ولم يلتفت الى الصانع وما زاده في آخر النهار شيأ على الدرهمين فلما كان اليوم الثاني خلا خاطر
الملك فاستحضر الحظية التي عمل لها السوارين الذهب فحضرت وهما في يديها فاخذهما ليعيد نظره فيهما وفي
حسن صنعتهما فقرأ الأبيات فتعجب وقال هذا شرح حال صانعهما والمعلم يكذب فغضب عند ذلك وأمر باحضار
المعلم فلما حضر قال له من عمل هذين السوارين قال أنا أيها الملك قال فما سبب نقش هذه الابيات قال لم يكن
عليهما أبيات قال كذبت ثم أراه النقش وقال ان لم تصدقني الحق لاضربن عنقك فاصدقه الحق فامر الملك
باحضار الصانع فلما حضر سأله عن حاله فحكى له قصته وما جرى له مع المعلم فرسم الملك بعزل المعلم وأن تسلب
نعمته

من نعمتك تأخذه اذا مت ان رأيت وهذا الحق فيه جوهر أسأل الملك ان يقسمه بين أولادى بالسوية فانه ارثى الذى قد ورثته من أبى وليس عندى
شئ اكتسبته منه الا هذا الجوهر فقال له الملك يطول الرب فى عمرك ومالك لك ولاولادك سواء كنت حيا أو ميتا فالح عليه الوزير ان يجعل الحق
عنده وديعة فاخذه الملك وودعه عنده فى صندوق ثم مضت أشهر الجارية فوضعت ولدا ذكرا جميلا احسن الخلقة مثل القمر فلاحظ الوزير جانب
الأدب فى تسميته فرأى انه ان اخترع له اسما وسماه به وظهر لوالده بعد ذلك فيكون قد أساء الأدب وان هو تركه بلا اسم لم يتهيأ له ذلك فسماه
شاه بور ومعناه بالفارسية ابن ملك فان شاه ملك وبور ابن ولغتهم مبنية على تأخير المتقدم وتقديم المتأخر وهذه تسمية ليس فيها مؤاخذة ولم يزل
الوزير يلاطف الجارية والولد الى أن بلغ الولد حد التعليم فعلمه كل ما يصلح لأولاد الملوك من الخط والحكمة والفروسية وهو يوهم انه مملوك له
اسمه شاه بور الى أن راهق البلوغ هذا كله وأزدشير ليس له ولد وقد طعن فى السن وأقعده الهرم فمرض وأشرف على

الموت فقال للوزير أيها الوزير قد هرم جسمى وضعفت قوتى وانى أرى انى ميت لا محالة وهذا الملك يأخذه بعدى من قضى له به فقال الوزير لو شاء الله أن يكون للملك ولد كان قد ولى بعده الملك ثم ذكره بأمر بنت ملك بحر الاردن وبحملها فقال الملك لقد ندمت على تغريقها ولو كنت أبقيتها حتى تضع فلعل حملها يكون ذكرا فلما شاهد الوزير من الملك الرضا قال أيها الملك انها عندى حية وقد ولدت ذكرا من أحسن الغلمان خلقا وخلقا فقال الملك أحق ما تقول فاقسم الوزير أن نعم ثم قال أيها الملك ان فى الولد روحانية تشهد بابوة الاب وفى الوالد روحانية تشهد ببنوة الابن لا يكاد ذلك ينخرم أبدا وانى آتى بهذا الغلام بين عشرين غلاما فى سنه وهيئته ولباسه وكلهم ذوو آباء معروفين خلا أباه وانى أعطى كل واحد منهم
صولجانا وكرة وآمرهم ان يلعبوا بين يديك فى مجلسك هذا وتتأمل الملك صورهم وخلقتهم وشمائلهم فكل من مالت اليه نفسك وروحانيتك
فهو هو فقال الملك نعم التدبير الذى قلت فاحضرهم الوزير على هذه الصورة ولعبوا بين يدى الملك فكان الصبى فيهم اذا ضرب الكرة وقربت
من مجلس الملك تمنعه الهيبة ان يتقدم ليأخذها الا شاه بور فانه كان اذا ضربها وجاءت عند مرتبة أبيه تقدم فاخذها ولا تأخذه الهيبة منه
فلاحظ أزدشير ذلك منه مرارا فقال أيها الغلام ما اسمك قال شاه بور فقال له صدقت أنت ابنى حقا ثم ضمه اليه وقبله بين عينيه فقال له الوزير هذا
ابنك أيها الملك ثم أحضر بقية الصبيان ومعهم عدول فاثبت لكل صبى منهم والدا بحضرة الملك فتحقق الصدق فى ذلك ثم جاءت الجارية وقد
تضاعف حسنها وجمالها فقبلت يد الملك فرضى عنها فقال الوزير أيها الملك قد دعت الضرورة فى الوقت الى احضار الحق المختوم فامر الملك
باحضاره ثم أخذه الوزير وفتح ختمه وفتحه فاذا فيه ذكر الوزير وأنثياه مقطوعة مصانة فيه من قبل أن يتسلم الجارية من الملك وأحضر

نعمته وتعطى للصانع وان يكون عوضا عنه فى الخدمة ثم خلع عليه خلعة سنية وصار مقدما سعيدا فلما نال
هذه الدرجة وتمكن عند الملك تلطف به حتى رضى عن المعلم الاول وصار اثنين مكينين ومكثا على ذلك الى آخر
العمر ورحم الله من قال اذا كان سعد المرء فى الدهر مقبلا * تدانت له الاشياء من كل جانب
(وقال آخر) ما سلم الله هو السالم * ليس كما يزعمه الزاعم
تجرى المقادير التى قدرت * وأنف من لا يرتضى راغم
وقال كعب بن زهير
لو كنت أعجب من شئ لاعجبنى * سعى الفتى وهو مخبوء له القدر * يسعى الفتى لامور ليس يدركها
والنفس واحدة والهم منتشر * والمرء ما عاش ممدود له أمل * لا ينتهى ذاك حتى ينتهى العمر
روى فى الاسرائيليات أن نبيا من الانبياء عليهم الصلاة والسلام مر بفخ منصوب واذا بطائر قريب منه فقال
له الطائر يا نبى الله هل رأيت أقل عقلا ممن نصب هذا الفخ ليصيدنى به وأنا أنظر اليه قال فذهب عنه ذلك
النبى صلى الله عليه وسلم ثم رجع واذا بالطائر فى الفخ فقال له عجبا لك ألست القائل كذا وكذا آنفا فقال يا نبى
الله اذا جاء الحين لم يبق أذن ولا عين *ويروى أن رجلا قال لبزرجمهر تعال نتناظر فى القدر قال وما تصنع
بالمناظرة قال رأيت شيئا ظاهرا استدللت به على الباطن رأيت جاهلا مبرورا وعالما محروما فعلمت أن التدبير
ليس للعباد * ولما قدم موسى بن نصير بعد فتح الاندلس على سليمان بن عبد الملك قال له يزيد بن المهلب
أنت أدهى الناس وأعلمهم فكيف طرحت نفسك فى يد سليمان فقال ان الهدهد ينظر الى الماء فى الأرض
على ألف قامة ويبصر القريب منه والبعيد على بعده فى التخوم ثم ينصب له الصبى الفخ بالدودة أو الحبة فلا
يبصره حتى يقع فيه وأنشدوا فى ذلك
واذا خشيت من الامور مقدرا * وفررت منه فنحوه تتوجه
(وقال آخر) أقام على المسير وقد أنيخت * مطاياه وغبر حادياها
وقال أخاف عادية الليالى * على نفسى وان ألقى رداها
مشيناها خطا كتبت علينا * ومن كتبت عليه خطا مشاها
ومن كانت منيته بأرض * فليس يموت فى أرض سواها
(ولما) قتل كسرى بزرجمهر وجد فى منطقته كتاب فيه اذا كان القضاء حقا فالحرص باطل واذا كان الغدر
فى الناس طباعا فالثقة بكل أحد عجز واذا كان الموت بكل أحد نازلا فالطمأنينة الى الدنيا حمق وقال ابن عباس
وجعفر بن محمد رضى الله تعالى عنهما فى قوله تعالى وكان تحته كنز لهما انما كان الكنز لوحا من ذهب مكتوب
فيه بسم الله الرحمن الرحيم عجبت لمن يوقن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يوقن بالرزق كيف ينصب وعجبت
لمن يوقن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يوقن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يرى الدنيا وتقلبها باهلها

كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله (وحكى) الطرطوشى رحمه الله تعالى فى كتابه سراج الملوك قال من عجيب ما اتفق بالاسكندرية أن رجلا من خدم نائب الاسكندرية غاب عن خدمته أياما ففى بعض الايام قبض عليه صاحب الشرط وحمله الى دار النائب فانفلت فى بعض الطرق وترامى فى بئر والمدينة اذذاك مسردبة بسرداب يمشى الماشى فيه قائما فما زال الرجل يمشى الى أن لاحت له بئر مضيئة فطلع منها فاذا البئر فى دار النائب فلما طلع أمسكه النائب وأدبه فكان فيه المثل السائر الفار من القضاء الغالب كالمتقلب فى يد الطالب وأنشدوا فيه

قالوا تقيم وقد أحا * ط بك العدو ولا تفر * لانلت خيرا ان بقيـ
ـت ولا عدانى الدهر شر * ان كنت أعلم أن غير الله ينفع أو يضر

﴿الباب التاسع والسبعون فى التوبة والاستغفار﴾

قد تظاهرت دلائل الكتاب والسنة واجماع الامة على وجوب التوبة وأمر الله تعالى بالتوبة فقال وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون * ووعد بالقبول فقال تعالى وهو الذى يقبل التوبة عن عباده وفتح باب الرجاء فقال يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم * وروى فى الصحيح عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا أيها الناس توبوا الى الله تعالى فانى أتوب الى الله تعالى فى اليوم مائة مرة * وروى أحمد بن عبد الرحمن السلمانى قال اجتمع أربعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أحدهم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تعالى يقبل التوبة من عبده قبل أن يموت بيوم فقال الثانى أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم قال وأنا سمعته يقول ان الله تعالى يقبل توبته قبل أن يموت بنصف يوم فقال الثالث أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم قال وأنا سمعته يقول ان الله تعالى يقبل توبة العبد قبل موته بضحوة أو قال بضجعة فقال الرابع أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم قال وأنا سمعته يقول ان الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر وفى الصحيحين من حديث ابن مسعود رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لله أفرح بتوبة عبده من رجل نزل بأرض دوية مهلكة معه راحلته فنام واستيقظ وقد ذهبت راحلته فطلبها حتى اذا أدركه الموت قال أرجع الى المكان الذى ضللتها فيه وأموت فأتى مكانه فغلبته عينه فاستيقظ واذا راحلته عند رأسه فيها طعامه وشرابه وزاده وما يصلحه فالله أشد فرحا بتوبة عبده المؤمن من هذا براحلته وزاده وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول والله انى لاستغفر الله وأتوب اليه فى اليوم أكثر من سبعين مرة رواه البخارى وعن أبى موسى عبد الله بن قيس الأشعرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسىء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسىء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها رواه مسلم وعن أبى

هريرة

عدولا من الحكماء وهم الذين كانوا فعلوا به ذلك فشهدوا عند الملك بأن هذا الفعل فعلناه به من قبل أن تتسلم الجارية بليلة واحدة قال فدهش الملك أزدشير وبهت لما أبداه هذا الوزير من قوة النفس فى الخدمة وشدة نصحه فزاد سروره وتضاعف فرحه لصيانة الجارية واثبات نسب الولد ولحوقه به ثم ان الملك عوفى من مرضه الذى كان به وصح جسمه ولم يزل يتقلب فى نعمه وهو مسرور بابنه الى أن حضرته الوفاة ورجع الملك الى ابنه شاهبور بعد موت أبيه وصار ذلك الوزير يخدم ابن الملك أزدشير وشاهبور يحفظ مقامه ويرى منزلته حتى توفاه الله تعالى (قلت ومن بديع ما جاء فى المكافأة على الصنيع) ما حكى عن الحسن بن سهل قال كنت عند يحيى بن خالد البرمكى وقد خلا فى مجلسه لاحكام أمر من أمور الرشيد فبينما نحن جلوس اذ دخل عليه جماعة من أصحاب الحوائج فقضاها لهم ثم توجهوا لشأنهم فكان آخرهم قياما أحمد بن أبى خالد الاحول فنظر يحيى اليه والتفت الى الفضل ابنه وقال يا بنى ان لابيك مع أبى هذا الفتى حديثا فاذا فرغت من شغلى هذا فاذكرنى أحدثك به فلما فرغ من شغله قال له ابنه الفضل أعزك الله يا أبى أمرتنى أن أذكرك حديث أبى خالد الاحول قال نعم يا بنى لما قدم أبوك من العراق أيام المهدى كان فقيرا لا يملك شيأ فاشتد بى الأمر الى أن قال لى من فى منزلى انا قد كتمنا حالنا وزاد ضررنا ولنا ثلاثة أيام ما عندنا شىء نقتاته قال فبكيت يا بنى لذلك بكاء شديدا وبقيت ولهان حيران مطرقا مفكرا ثم تذكرت منديلا كان عندى فقلت لهم ما حال المنديل فقالوا هو باق عندنا فقلت ادفعوه الى فأخذته ودفعته الى بعض أصحابى وقلت له بعه بما تيسر فباعه بسبعة عشر درهما فدفعتها الى أهلى وقلت أنفقوها الى أن يرزق الله غيرها ثم بكرت من الغد الى باب أبى خالد وهو يومئذ وزير المهدى فاذا الناس وقوف على داره ينتظرون خروجه فخرج عليهم راكبا فلما رآنى سلم على وقال كيف حالك فقلت يا أبا خالد ما حال رجل يبيع من منزله بالامس منديلا بسبعة عشر درهما فنظر الى نظرا شديدا وما أجابنى جوابا فرجعت الى أهلى كسير القلب وأخبرتهم بما اتفق لى مع أبى خالد فقالوا بئس والله ما فعلت توجهت الى رجل كان يرتضيك الامر جليل فكشفت له سرك وأطلعته على مكنون أمرك فازريت عنده بنفسك وصغرت عنده منزلتك بعد ان كنت عنده جليلا فما يراك بعد اليوم الا بهذه العين فقلت قد قضى الامر الآن بما لا يمكن استدراكه فلما كان من الغد بكرت الى باب الخليفة فلما بلغت الباب استقبلنى صاحب أبى خالد فقال لى أين تكون قد أمرنى أبو خالد باجلاسك الى أن يخرج من عند أمير المؤمنين فجلست حتى خرج فلما رآنى دعانى وأمر لى بمركوب فركبت وسرت معه الى منزله فلما نزل قال على بفلان وفلان الخياطين فاحضرا فقال لهما ألم تشتريا من غلات السواد بثمانية عشر ألف ألف درهم قالا نعم قال ألم أشترط عليكما شركة رجل معكما قالا بلى قال هو هذا الرجل الذى

اشترطت شركته لكما ثم قال لي قم معهما فلما خرجنا قالا لي ادخل معنا بعض المساجد حتى نكلمك في أمر يكون لك فيه الربح الهني فدخلنا مسجدا فقالا لي انك تحتاج في هذا الأمر الى وكلاء وأمناء وكيالين وأعوان ومؤن لم تقدر منها على شيء فهل لك أن تبيعنا شركتك بمال نعجله لك فتنتفع به ويسقط عنك التعب والكلف فقلت لهما وكم تبذلان لي فقالا مائة ألف درهم فقلت لا أفعل فما زالا يزيدانني وأنا لا أرضى الى أن قالا لي ثلثمائة ألف درهم ولا زيادة عندنا على هذا فقلت حتى أشاور أبا خالد قالا لك ذلك فرجعت اليه وأخبرته فدعا بهما وقال لهما أهل وافقتماه على ما ذكر قالا نعم قال اذهبا فاقبضاه المال الساعة ثم قال لي أصلح أمرك وتهيأ فقد قلدتك العمل فأصلحت شأني وقلدني ما وعدني به فزلت في زيادة حتى صار أمري الى ما صار ثم قال لولده الفضل يا بني فما تقول في ابن من فعل بأبيك هذا الفعل وما جزاؤه قال حق لعمري وجب عليك له فقال والله يا ولدي ما أجد له مكافأة غير أن أعزل نفسي وأوليه ففعل ذلك وهكذا تكون المكافأة

هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه رواه مسلم وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال كان فيمن قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسا فسأل عن أعبد أهل الأرض فدل على راهب فأتاه فقال انه قتل تسعة وتسعين نفسا فهل له من توبة قال لا فقتله وكمل به المائة ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدل على رجل عالم فأتاه وقال له انه قد قتل مائة نفس فهل له من توبة قال نعم ومن يحول بينك وبين التوبة انطلق الى أرض كذا وكذا فان بها أناسا يعبدون الله تعالى فاعبد الله تعالى معهم ولا ترجع الى أرضك فانها أرض سوء فانطلق حتى كان نصف الطريق أدركه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقالت ملائكة الرحمة جاء تائبا مقبلا بقلبه الى الله تعالى وقالت ملائكة العذاب انه لم يعمل خيرا قط فأتاهم ملك في صورة آدمي فحكموه بينهم فقال قيسوا ما بين الأرضين فالى أيتهما كان أدنى فهو أقرب لها فقاسوه فوجدوه أدنى الى الأرض التي أراد فقبضته ملائكة الرحمة متفق عليه وفي الصحيحين فكان أدنى الى أرض التوبة الصالحة بشبر فجعل من أهلها وعن أبي نجيد بضم النون وفتح الجيم عمران بن حصين الخزاعي رضي الله عنه ان امرأة من جهينة أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي حبلى من الزنا فقالت يا رسول الله أصبت حدا فأقمه على فدعا نبي الله صلى الله عليه وسلم فشدت عليها ثيابها ثم أمر بها فرجمت ثم صلى عليها فقال عمر يا رسول الله تصلي عليها وقد زنت قال لقد تابت توبة لو قسمت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم وهل وجدت أفضل ممن جادت بنفسها لله عز وجل رواه مسلم وعن أبي نضرة قال لقيت مولى لابي بكر رضي الله عنه فقلت له سمعت من أبي بكر شيأ قال نعم سمعته يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أصر من استغفر ولو عاد الى الذنب في اليوم سبعين مرة (وحكى) أن نبهان التمار وكنيته أبو مقبل أتته امرأة حسناء تشتري تمرا فقال لها هذا التمر ليس بجيد وفي البيت أجود منه فذهب بها الى بيته وضمها الى نفسه وقبلها فقالت اتق الله فتركها وندم على ذلك فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك فأنزل الله تعالى والذين اذا فعلوا فاحشة الى آخر الآية وعن أسماء بن الحكم الفزاري قال سمعت عليا يقول اني كنت رجلا اذا سمعت من رسول الله حديثا ينفعني الله منه بما شاء ينفعني واذا حدثني أحد من أصحابه استحلفته فاذا حلف لي صدقته وانه حدثني أبو بكر وصدق أبو بكر انه سمع رسول الله يقول ما من عبد يذنب ذنبا فيحسن الطهور ويصلي ثم يستغفر الله الا غفر له وروى في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا أذنب العبد ذنبا فقال يا رب أذنبت ذنبا فاغفره لي قال الله عز وجل علم عبدي ان له ربا يغفر الذنب ويأخذ به فغفر له ثم اذا مكث ما شاء الله وأصاب ذنبا آخر فقال يا رب أذنبت ذنبا فاغفره لي قال ربه علم عبدي أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به قد غفرت لعبدي فليفعل ما شاء وكان قتادة رضي الله تعالى عنه يقول القرآن يدلكم على دائكم ودوائكم أما داؤكم فالاستغفار

﴿ومن ذلك ما حكى عن العباس صاحب شرطة المأمون﴾ قال دخلت يوما الى مجلس أمير المؤمنين ببغداد وبين يديه رجل مكبل بالحديد فلما رآني قال لي يا عباس قلت لبيك يا أمير المؤمنين قال خذ هذا اليك فاستوثق منه واحتفظ وبكر به الي في غد واحترز عليه كل الاحتراز قال العباس فدعوت جماعة فحملوه ولم يقدر أن يتحرك فقلت في نفسي مع هذه الوصية التي أوصاني بها أمير المؤمنين من الاحتفاظ به ما يجب الا أن يكون معي في بيتي فأمرتهم فتركوه في مجلس لي في داري ثم أخذت أسأله عن قضيته وعن حاله ومن أين هو فقال من دمشق فقلت جزى الله دمشق وأهلها خيرا فمن أنت من أهلها قال وعمن تسأل قلت أتعرف فلانا قال ومن أين تعرف ذلك الرجل فقلت وقع لي معه قضية

فقال ما كنت بالذي أعرفك خبره حتى تعرفني قضيتك معه فقال ويحك كنت مع بعض الولاة بدمشق فبغى أهلها وخرجوا علينا حتى أن الوالي تدلى في زنبيل من قصر الحجاج وهرب هو وأصحابه وهربت في جملة القوم فبينما أنا هارب في بعض الدروب واذا بجماعة يعدون خلفي فما زلت أعدو أمامهم حتى فتهم فمررت بهذا الرجل الذي ذكرته لك وهو جالس على باب داره فقلت أغثني أغاثك الله قال لا بأس عليك ادخل الدار فدخلت فقالت زوجته ادخل تلك المقصورة فدخلتها ووقف الرجل على باب الدار فما شعرت الا وقد دخل الرجال معه يقولون هو والله عندكم فقال دونكم الدار ففتشوها ففتشوها حتى لم يبق سوى تلك المقصورة وامرأته فيها فقالوا ههنا فصاحت بهم المرأة وتهرتهم فانصرفوا وخرج الرجل وجلس على باب داره ساعة وأنا قائم أرجف ما تحملني رجلاي من شدة الخوف فقالت المرأة اجلس لا بأس عليك فجلست فلم ألبث حتى دخل الرجل فقال لا تخف قد صرف الله عنك شرهم وصرت الى الامن والدعة ان شاء الله تعالى فقلت له جزاك الله خيرا فما زال يعاشرني

أحسن معاشرة وأجملها وأفرد لى مكانا فى داره ولم يحوجنى الى شئ ولم يفتر عن تفقد أحوالى فاقمت عنده أربعة أشهر فى أرغد عيش وأهنئه الى أن سكنت الفتنة وهدأت وزال أثرها فقلت له أتأذن لى فى الخروج حتى أتفقد حال غلمانى فلعلى أقف منهم على خبر فأخذ على المواثيق بالرجوع فخرجت وطلبت غلمانى فلم أرلهم أثرا فرجعت اليه وأعلمته الخبر وهو مع هذا كله لا يعرفنى ولا يسألنى ولا يعرف اسمى ولا يخاطبنى الا بالكنية فقال لى علام تعزم فقلت قد عزمت على التوجه الى بغداد فقال ان القافلة بعد ثلاثة أيام تخرج وها أنا قد أعلمتك فقلت له انك قد تفضلت على هذه المدة ولك على عهد الله انى لا أنسى لك هذا الفضل ولا وفينك مهما استطعت قال فدعا غلاما له أسود وقال له أسرج الفرس الفلانى ثم جهز آلة السفر فقلت فى نفسى أظن أنه يريد أن يخرج الى ضيعة له أوناحية من النواحى فاقاموا يومهم ذلك فى كد وتعب فلما كان يوم خروج القافلة جاءنى فى السحر وقال لى يافلان قم فان القافلة تخرج الساعة وأكره أن تنفرد عنها فقلت فى نفسى كيف أصنع وليس معى ما أتزود به ولا ما أكرى به مركوبا ثم قمت فاذا هو وامرأته يحملان بقجة من أفخر الملابس وخفين جديدين وآلة السفر ثم جاءنى بسيف ومنطقة فشدهما فى وسطى ثم قدم بغلا حمل عليه صندوقين وفوقهما فرش ورفع الى نسخة مافى الصندوقين وفيهما خمسة آلاف درهم وقدم الى الفرس الذى كان جهزه وقال اركب وهذا الغلام الاسود يخدمك ويسوس مركوبك وأقبل هو وامرأته يعتذران الى من التقصير فى أمرى وركب معى يشيعنى وانصرفت الى بغداد وأنا أتوقع خبره لا فى بعهدى له فى مجازاته ومكافأته واشتغلت مع أمير المؤمنين فلم أتفرغ ان أرسل اليه من يكشف خبره فلهذا أنا أسأل عنه فلما سمع الرجل الحديث قال لقد أمكنك الله تعالى من الوفاء له ومكافأته على فعله ومجازاته على صنعه بلا كلفة عليك ولا مؤنة تلزمك فقلت وكيف ذلك قال أنا ذلك الرجل وانما الضر الذى أنا فيه غير عليك حالى وما كنت تعرفه منى ثم لم يزل يذكرلى تفاصيل الاسباب حتى أثبت معرفته فما تمالكت ان قمت وقبلت رأسه ثم قلت له فما الذى آل بك الى ما أرى فقال هاجت بدمشق فتنة مثل الفتنة التى كانت فى أيامك فنسبت الى وبعث أمير المؤمنين بجيوش فاصلحوا البلد وأخذت أنا وضربت الى أن أشرفت على الموت وقيدت وبعث بى الى أمير المؤمنين وأمرى عنده عظيم وخطبى لديه جسيم وهو قاتلى لا محالة وقد أخرجت من عند أهلى بلا وصية وقد تبعنى من غلمانى من ينصرف الى أهلى بخبرى وهو نازل عند فلان فان رأيت أن تجعل من مكافأتك لى ان ترسل من يحضره لى حتى أوصيه بما أريد فاذا أنت فعلت ذلك فقد جاوزت حد المكافأة وقمت لى بوفاء عهدك قال العباس قلت يصنع الله خيرا ثم أحضرت حدادا فى الليل ففك قيوده وأزال ما كان فيه من الانكال وأدخله حمام داره وألبسه من الثياب ما احتاج اليه ثم أرسل

وأما ادواكم فالذنوب وكان على رضى الله تعالى عنه يقول العجب لمن هلك ومعه كلمة النجاة قيل وماهى قال الاستغفار وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال عشرا حين يصبح وحين يمسى أستغفر الله العظيم الذى لا اله الا هو الحى القيوم وأتوب اليه وأسأله التوبة والمغفرة من جميع الذنوب غفرت ذنوبه ولو كانت مثل رمل عالج ومن قال سبحانك ظلمت نفسى وعملت سوأ فاغفرلى ذنوبى فانه لا يغفر الذنوب الا أنت غفرت ذنوبه ولو كانت مثل دبيب النمل وقال أبو عبد الله الوراق لو كان عليك مثل الذنوب مثل عدد القطر وزبد البحر محيت عنك اذا استغفرت بهذا الاستغفار وهو هذا اللهم انى أسألك وأستغفرك من كل ذنب تبت اليك منه ثم عدت فيه وأستغفرك من كل ما وعدتك من نفسى ثم لم أوف لك وأستغفرك من كل عمل أردت به وجهك فخالطه غيرك وأستغفرك من كل نعمة أنعمت بها على فاستعنت بها على معصيتك يقول الله عز وجل لملائكته ويح ابن آدم يذنب الذنب ثم يستغفرنى فاغفرله ثم يذنب الذنب فيستغفرنى فاغفرله لا هو يترك الذنب من مخافتى ولا ييأس من مغفرتى أشهدكم ياملائكتى انى قد غفرت له وقال بشر الحافى بلغنى أن العبد اذا عمل الخطيئة أوحى الله تعالى الى الملائكة الموكلين ترفقوا عليه سبع ساعات فان استغفرنى فلا تكتبوها وان لم يستغفرنى فاكتبوها

﴿نكتة﴾ قيل انقطع الغيث عن بنى اسرائيل فى زمن موسى عليه الصلاة والسلام حتى احترق النبات وهلك الحيوان فخرج موسى عليه الصلاة والسلام فى بنى اسرائيل وكانوا سبعين رجلا من نسل الانبياء مستغيثين الى الله تعالى قد بسطوا أيدى صدقهم وخضوعهم وقربوا قربان تذللهم وخشوعهم ودموعهم تجرى على خدودهم ثلاثة أيام فلم تمطرهم فقال موسى اللهم أنت القائل ادعونى أستجب لكم وقد دعوتك وعبادك على ماترى من الفاقة والحاجة والذل فأوحى الله تعالى اليه ياموسى ان فيهم من غذاؤه حرام وفيهم من يبسط لسانه بالغيبة والنميمة وهؤلاء استحقوا أن أنزل عليهم غضبى وأنت تطلب لهم الرحمة كيف يجتمع موضع الرحمة وموضع العذاب فقال موسى ومن هم يارب حتى نخرجهم من بيننا فقال الله تعالى ياموسى لست بهتاك ولا نمام ولكن ياموسى توبوا كلكم بقلوب خالصة فعساهم يتوبون معكم فاجود بانعامى عليكم فنادى منادى موسى فى بنى اسرائيل أن اجتمعوا فاجتمعوا فاعلمهم موسى عليه الصلاة والسلام بما أوحى اليه والعصاة يسمعون فذرفت أعينهم ورفعوا مع بنى اسرائيل أيديهم الى الله عز وجل وقالوا الهنا جئناك من أوزارنا هاربين ورجعنا الى بابك طالبين فارحمنا ياارحم الراحمين فمازالوا كذلك حتى سقوا بتوبتهم الى الله تعالى اللهم تب علينا وعلى سائر العصاة والمذنبين يارب العالمين * أوحى الله الى داود عليه الصلاة والسلام ياداود لو يعلم المدبرون عنى كيف انتظارى لهم ورفقى بهم وشوقى الى ترك معاصيهم لماتوا شوقا الى وتقطعت أوصالهم من محبتى ياداود هذه ارادتى فى المدبرين عنى فكيف ارادتى بالمقبلين على ولقد أحسن من قال

أسيء فيجزى بالاساءة افضالا * وأعصى فيولينى جميلا وامهالا * فحتى متى أجفوه وهو يبرنى * وابعد

وأبعد عنه وهو يبدل ابصالا * وكم مرة قد زغت عن نهج طاعة * ولا حال عن ستر القبيح ولا زالا

وهذا آخر مايسره الله تعالى في هذا الباب والله أعلم بالصواب

﴿الباب الثمانون فيما جاء في ذكر الأمراض والعلل والطب والدواء وماجاء في السنة من العيادة وما أشبه ذلك وفيه فصول﴾

﴿الفصل الاول في الامراض والعلل وماجاء في ذلك من الاجر والثواب﴾ روى عن عبد الله بن أنيس رضى الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أيكم يحب أن يصح جسمه فلا يسقم فقالوا كلنا يارسول الله قال أتحبون أن تكونوا كالحمير الصوالة ألا تحبون أن تكونوا أصحاب بلايا وأصحاب كفارات والذى بعثني بالحق نبيا ان الرجل لتكون له الدرجة في الجنة فلا يبلغها بشئ من عمله فيبتليه الله تعالى ليبلغ درجة لا يبلغها بعمله وقال صلى الله عليه وسلم مامن مسلم يعرض مرضا الاحط الله من خطاياه كما تحط الشجرة ورقها وكان يقول لاتزال الاوصاب والمصائب بالعبد حتى تتركه كالفضة البيضاء النقية المصفاة وقيل ان الناس قد حموا في فتح خيبر فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أيها الناس ان الحمى رائد الموت وسجن الله في الارض وقطعة من النار فاذا وجدتم ذلك فبردوا لها الماء في الشنان ثم صبوا عليكم بين المغرب والعشاء ففعلوا ذلك فزالت عنهم وعن أنس رضى الله تعالى عنه قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على شاب وهو في الموت فقال له كيف تجدك فقال أرجو الله وأخاف ذنوبي فقال عليه الصلاة والسلام هما لا يجتمعان في قلب عبد في هذا الموطن الا أعطاه الله مايرجو وآمنه مما يخاف وعن عفيرة بنت الوليد البصرية العابدة الزاهدة رحمها الله تعالى أنها سمعت رجلا يقول ما أشد العمى على من كان بصيرا فقالت له ياعبد الله عمى القلب عن الله أشد من عمى العين عن الدنيا والله لوددت ان الله وهب لى كنه معرفته ولم يبق مني جارحة الا أخذها وكتب مبارك لاخيه سفيان الثورى يشكو اليه ذهاب بصره فكتب اليه أما بعد فقد فهمت كتابك فيه شكاية ربك فاذكر الموت يهن عليك ذهاب بصرك والسلام وقيل لعطاء في مرضه ماتشتهى قال ماترك خوف جهنم في قلبي موضعا للشهوة وأصاب ابن أدهم بطن فتوضأ في ليلة سبعين مرة وقيل لاعرابي في مرضه ماتشتهى قال الجنة فقيل أفلا ندعو لك طبيبا قال طبيبي هو الذى أمرضني

﴿الفصل الثاني من هذا الباب في ذكر العلل كالبخر والعرج والعمى والصمم والرمد والفلج وغير ذلك نسأل الله العفو والعافية والمعافاة الدائمة في الدنيا والآخرة﴾

قيل تسارر أبخر وأصم فقال له الاصم قد فهمت ثم فارقه فسأله رجل فقال والله لا أدرى انه فسا في أذني وقيل ان عبد الملك بن مروان كان أبخر فعض يوما على تفاحة ورمى بها الى زوجته فدعت بسكين فقال ماتصنعين بها قالت أميط الاذى عنها فشق عليه ذلك منها فطلقها وسارر أبو الاسود الدؤلى سليمان بن عبد الملك وكان

من أحضر اليه غلامه فلما رآه جعل يبكي ويوصيه فاستدعى نائبه وقال على بالفرس الفلاني والبغل الفلانية حتى عد عشرة ثم عشرة ومن الصناديق ومن الكسوة كذا وكذا ومن الطعام كذا وكذا قال ذلك الرجل وأحضر لى بدرة عشرة آلاف درهم وكيسا فيه خمسة آلاف دينار وقال لنائبه في الشرط خذ هذا الرجل وشيعه الى حد الأنبار فقلت له ان ذنبي عند أمير المؤمنين عظيم وخطبي جسيم وان أنت احتججت بأني هربت بعث أمير المؤمنين في طلبي كل من على بابه فأراد واقتلى فقال لى انج بنفسك ودعني أدبر أمرى فقلت والله لا أبرح من بغداد حتى أعلم مايكون من خبرك فان احتجت الى حضورى حضرت فقال لصاحب الشرطة ان كان الأمر على مايقول فليكن في موضع كذا فان أنا سلمت في غداة غد أعلمته وان أنا قتلت فقد وقيته بنفسي كما وقاني بنفسه وأنشدك الله ان لا يذهب من ماله درهم وتجتهد في اخراجه من بغداد فى الرجل فأخذني صاحب الشرطة وصيرني في مكان أثق به وتفرغ العباس لنفسه وتحنط وجهزله كفنا قال العباس فلم أفرغ من صلاة الصبح الا ورسل المأمون في طلبي يقولون يقول لك أمير المؤمنين هات الرجل معك وقم قال فتوجهت الى دار أمير المؤمنين فاذا هو جالس عليه ثيابه وهو ينتظرنا فقال أين الرجل فسكت فقال ويحك أين الرجل فقلت يا أمير المؤمنين اسمع مني فقال لله على عهد لئن ذكرت أنه هرب لاضربن عنقك فقلت لا والله يا أمير المؤمنين ماهرب ولكن اسمع حديثي وحديثه ثم شأنك وماتريد ان تفعله في أمرى فقال قل فقلت يا أمير المؤمنين كان من حديثي معه كيت وكيت وقصصت عليه القصة جميعها وعرفته انني أريد ان أوفى له وأكافئه على مافعله معي وقلت أنا وسيدى ومولاى أمير المؤمنين بين أمرين اما أن يصفح عني فأكون قد وافيت وكافأت واما أن يقتلني فاقيه بنفسي وقد تحنطت وها كفني يا أمير المؤمنين فلما سمع المأمون الحديث قال ويلك لا جزاك الله عن نفسك خيرا انه فعل بك مافعل من غير معرفة وتكافئه بعد المعرفة والعهد بهذا الاغير هلا عرفتني خبره فكنا نكافئه عنك ولا نقصر في وفائك له فقلت يا أمير المؤمنين انه ههنا قد حلف أن لا يبرح حتى يعرف سلامتي فان احتجت الى حضوره حضر فقال المأمون وهذه منة أعظم من الاولى اذهب الآن اليه فطيب نفسه وسكن روعه وائتني به حتى أتولى مكافأته قال العباس فأتيت اليه وقلت له ليزل خوفك ان أمير المؤمنين قال كيت وكيت فقال الحمد لله الذى لا يحمد على السراء والضراء سواه ثم قام فصلى ركعتين ثم ركب وجئنا فلما مثل بين يدى أمير المؤمنين أقبل عليه وأدناه منه وحدثه حتى حضر الغداء وأكل معه وخلع عليه وعرض عليه أعمال دمشق فاستعفى فأمر له المأمون بعشرة أفراس بسروجها ولجمها وعشرة بغال بآلاتها وعشر بدر وعشرة آلاف دينار وعشرة مماليك بدوابهم وكتب الى عامله بدمشق بالوصية به واطلاق خراجه وأمره بمكاتبته بأحوال دمشق فصارت كتبه تصل

الى المأمون وكما وصلت خريطة البريد وفيها كتابه يقول لى يا عباس هذا كتاب صديقك والله تعالى أعلم (ومن عجائب هذا الاسلوب وغرائبه) ما أورده محمد بن القاسم الانبارى رحمه الله تعالى أن سوارا صاحب رحبة سوار وهو من المشهورين قال انصرفت يوما من دار الخليفة المهدى فلما دخلت منزلى دعوت بالطعام فلم تقبله نفسى فأمرت به فرفع ثم دعوت جارية كنت أحبها وأحب حديثها واشتغل بها فلم تطب نفسى فدخل وقت القائلة فلم يأخذنى النوم فنهضت وأمرت ببغلة لى فأسرجت فركبتها فلما خرجت من المنزل استقبلنى وكيل لى ومعه مال فقلت ما هذا فقال ألفا درهم جبيتها من مستغلاتك الجديد قلت أمسكها معك واتبعنى وأطلقت رأس البغلة حتى عبرت الجسر ثم مضيت فى شارع دار الرقيق حتى انتهيت الى الصحراء ثم رجعت الى باب الانبار وانتهيت الى باب دار نظيف عليه شجرة وعلى الباب خادم فعطشت فقلت للخادم أعندك ماء تسقينيه قال نعم ثم دخل وأحضر قلة نظيفة طيبة الرائحة عليها منديل فناولنى فشربت وحضر وقت العصر فدخلت مسجدا على الباب فصليت فيه فلما قضيت صلاتى اذا أنا بأعمى يلتمس فقلت ما تريد يا هذا قال اياك أريد قلت فما حاجتك فجاء حتى جلس الى جانبى وقال شممت منك رائحة طيبة فظننت انك من أهل النعيم فاردت أن أحدثك بشئ فقلت قل قال ألا ترى الى باب هذا القصر قلت نعم قال هذا قصر كان لأبى فباعه وخرج الى خراسان وخرجت معه فزالت عنا النعم التى كنا فيها وعميت فقدمت هذه المدينة فأتيت صاحب هذه الدار لاسأله شيأ يصلنى به وأتوصل الى سوار فانه كان صديقا لأبى فقلت ومن أبوك قال فلان ابن فلان فعرفته فاذا هو كان من أصدق الناس الى فقلت له يا هذا ان الله تعالى قد أتاك بسوار منعه من الطعام والنوم والقرار حتى جاء به فاقعده بين يديك ثم دعوت الوكيل فأخذت الدراهم منه فدفعتها اليه وقلت له اذا كان الغد فسر الى منزلى ثم مضيت وقلت ما أحدث أمير المؤمنين بشئ أطرف من هذه فأتيته فاستأذنت عليه فاذن لى فلما دخلت عليه حدثته بما جرى لى فأعجبه ذلك وأمر لى بألفى دينار فأحضرت فقال ادفعها الى الأعمى فنهضت لاقوم فقال اجلس فجلست فقال أعليك دين قلت نعم قال كم دينك قلت خمسون ألفا فحادثنى ساعة وقال امض الى منزلك فمضيت الى منزلى فاذا أنا بخادم معه خمسون ألفا وقال يقول لك أمير المؤمنين اقض بها دينك قال فقبضت منه ذلك فلما كان من الغد أبطأ على الأعمى وأتانى رسول المهدى يدعونى فجئته فقال قد فكرت البارحة فى أمرك فقلت يقضى دينه ثم يحتاج الى القرض أيضا وقد أمرت لك بخمسين ألفا أخرى قال فقبضتها وانصرفت فجاءنى الأعمى فدفعت اليه الالفى دينار وقلت له قد رزقك الله تعالى بكرمه وكافأك على احسان أبيك وكافأنى على اسداء المعروف اليك ثم أعطيته شيأ آخر من مالى فأخذه وانصرف والله سبحانه وتعالى أعلم ﴿ومن ذلك ما حكاه

أبو الاسود أبخر فستر سليمان أنفه بكمه فعبر أبو الاسود وهو يقول لا يصلح للخلافة من لا يقدر على مناجاة الشيوخ البخر وقيل طول انطباق الفم يورث البخر وكل رطب الفم سائل اللعاب سالم منه وقيل ان الزنج أطيب الناس أفواها والسباع موصوفة بالبخر والمثل مضروب بالاسد والصقر فى البخر والكلاب من بينهما طيب الفم وليس فى البهائم أطيب أفواها من الظباء ﴿وحكى﴾ أن أبخر تزوج بامرأة فلما ضاجعها عافته وتولت عنه بوجهها ثم أنشدت تقول

يا حب والرحمن ان فاكا * أهلكنى فولنى قفاكا * اذا شدوت فاتخذ مسواكا
من عرفط ان لم تجد أراكا * لا تقربنى بالذى سواكا * انى أراك ماضغا خراكا

وفى ديوان المنثور كم من ذى عرج فى درج المعالى عرج وكم من صحيح قدم ليس له فى الخير قدم وقيل ان من الصم من يسمع السر فاذا رفعت اليه الصوت لم يسمعه ورأيت من العمش من لا ينظر صورة الانسان من قريب ولكن يقرأ الخط الرقيق الحواشى وقيل ان طريفا الشاعر مدح عمرو بن هداب وكان أبرص فلما انتهى الى قوله أبرص فياض اليدين مهذب * صاح به الناس وقالوا اقطع الله لسانك فقال عمرو مه ان البرص مما تتفاخر به العرب أما سمعتم قول سهل حيث قال

أيشتمنى زيد بان كنت أبرصا * وكل كريم لا أبالك أبرص

(وقال)

كفى حزنا أنى أعاشر معشرا * يخوضون فى بعض الحديث وأمسك
وما ذاك من عى ولا من جهالة * ولكنه ما فى للصوت مسلك
فان سد منى السمع فالله قادر * على فتحه والله للعبد أملك

﴿ومما جاء فى العمى﴾ ما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال من عدم احدى كريمتيه ضمنت له على الله الجنة وكان أبو عبد الرحمن بن الحرث بن هشام يطعم الطعام وكان أعور فجعل اعرابى يطيل النظر اليه حابسا نفسه عن طعامه فكلمه المغيرة فى ذلك فقال له والله انى ليعجبنى طعامك وتريبنى عينك قال فما يريبك من عينى قال أعور وأراك تطعم الطعام وهذه صفة الدجال فقيل له ان عينه أصيبت فى فتح الروم فقال ان الدجال لا تصاب عينه فى سبيل الله وعن أنس رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال من قاد أعمى أربعين خطوة لم تمسه النار وقال على كرم الله وجهه ربما أخطأ البصير قصده وأصاب الاعمى رشده وقال أبو على البصير

لئن كان يهدينى الغلام لوجهتى * ويقتادنى فى السير اذا أنا راكب
لقد يستضئ القوم بى فى وجوههم * ويخبو ضياء العين والقلب ثاقب

(وقال)

اذا عدمت طلابة العلم مالها * من العلم الا ما تسطر فى الكتب
غدوت بتشمير وجد عليهم * ومحبرتى سمعى ودفترى قلبى

(وقال)

القاضي يحيى بن أكثم رحمة الله تعالى عليه) قال دخلت يوما على الخليفة هرون الرشيد ولد المهدي وهو مطرق مفكر فقال لي أتعرف قائل هذا البيت

الخير أبقى وان طال الزمان به * والشر أخبث ما أوعيت من زاد

فقلت يا أمير المؤمنين ان لهذا البيت شأنا مع عبيد بن الأبرص فقال علي بعبيد فلما حضر بين يديه قال له أخبرني عن قضية هذا البيت فقال يا أمير المؤمنين كنت في بعض السنين حاجا فلما توسطت البادية في يوم شديد الحر سمعت ضجة عظيمة في القافلة ألحقت أولها بآخرها فسألت عن القصة فقال لي رجل من القوم تقدم ترما بالناس فتقدمت الى أول القافلة فاذا أنا بشجاع أسود فاغر فاه كالجذع وهو يخور كما يخور الثور ويرغو كرغاء البعير فهالني أمره وبقيت لا أهتدي الى ما أصنع في أمره فعدلنا عن طريقه الى ناحية أخرى فعارضنا ثانيا فعلمت انه لسبب ولم يجسر أحد من القوم أن يقربه فقلت أفدي هذا العالم بنفسي وأتقرب الى الله تعالى بخلاص هذه القافلة من هذا فأخذت قربة من الماء تقلدتها وسللت سيفي وتقدمت فلما رآني قربت منه سكن وبقيت متوقعا منه وثبة يبتلعني فيها فلما رأى القربة فتح فاه فجعلت فم القربة في فيه وصببت الماء كما يصب في الأناء فلما فرغت القربة تسيب في الرمل ومضى فتعجبت من تعرضه لنا وانصرافه عنا من غير سوء لحقنا منه ومضينا لحجنا ثم عدنا في طريقنا ذلك وحططنا في منزلتنا تلك في ليلة مظلمة مدلهمة فأخذت شيأ من الماء وعدلت الى ناحية عن الطريق فقضيت حاجتي ثم توضأت وصليت وجلست أذكر الله تعالى فأخذتني عيني فنمت مكاني فلما استيقظت من النوم لم أجد للقافلة حسا وقد ارتحلوا وبقيت منفردا لم أر أحدا ولم اهتد الى ما أفعله وأخذتني حيرة وجعلت أضطرب فاذا بصوت هاتف أسمع صوته ولا أرى شخصه يقول

يا أيها الشخص المضل مركبه * ماعنده من ذي رشاد يصحبه
دونك هذا البكر منا تركبه * وبكرك الميمون حقا تجنبه
حتى اذا ما الليل غاب غيهبه * عند الصباح في الفلا تسيبه

فنظرت فاذا أنا ببكر قائم عندي وبكري الى جانبي فأنخته وركبته وجنبت بكري فلما سرت قدر عشرة أميال لاحت لي القافلة وانفجر الفجر ووقف البكر فعلمت انه قد حان نزولي فتحولت الى بكري وقلت

يا أيها البكر قد أنجيت من كرب * ومن هموم تضل المدلج الهادي
ألا تخبرني بالله خالقنا * من الذي جاء بالمعروف في الوادي
وارجع حميدا فقد أبلغتنا مننا * بوركت من ذي سنام رائح غادي

فالتفت البكر الي وهو يقول

أنا الشجاع الذي ألفيتني رمضا * والله يكشف ضر الحائر الصادي
جدت بالماء لما ضن حامله * تكرما منك لم تمنن بانكاد
فالخير أبقى وان طال الزمان به * والشر أخبث ما أوعيت من زاد
هذا جزاؤك مني لا أمن به * فاذهب حميدا رعاك الخالق الهادي

فعجب الرشيد من قوله وأمر بالقصة والأبيات فكتبت عنه وقال لا يضيع المعروف أين وضع (موعظة)

(وقال)

ان يأخذ الله من عيني نورهما * ففي لساني وسمعي منهما نور
فهمي ذكي وقلبي غير ذي غفل * وفي فمي صارم كالسيف مشهور

(وقال)

عزاءك أيها العين السكوب * وحقك انها نوب تنوب
وكنت كريمتي وسراج وجهي * وكانت لي بك الدنيا تطيب
على الدنيا السلام فما لشيخ * ضرير العين في الدنيا نصيب
يموت المرء وهو يعد حيا * ويخلف ظنه الامل الكذوب
اذا ما مات بعضك فابك بعضا * فان البعض من بعض قريب

(وحكي) ان ربيعة رمدت عينه فارسل الى امرأة كان يحبها ثم أنشد يقول

عينا ربيعة رمدا وان فاحتسبي * بنظرة منك تشفيه من الرمد
ان تكتحل بك عيناه فلا رمد * على ربيعة يخشى آخر الأمد

وعن عبد الرحمن بن قيس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال داء الانبياء الفالج واللقوة قال الجاحظ ومن المفاليج سيدنا ادريس عليه الصلاة والسلام وأكثر ما يعتري المتوسطين من الناس لان الشاب كثير الحرارة والشيخ كثير اليبس وقيل ان أبان بن عثمان كان أفلج حتى صار مثلا فكانت الناس تقول لا رماك الله بفالج ابن عثمان وكان معاوية ألوق وعبد الملك بن مروان أبخر وحسان أعمى وابن سيرين أصم وممن فلج ابن أبي داود قاضي قضاة المعتصم كان من الشرف والكرم بمنزلة عظيمة وقد ضرب المثل بفالجه قال الشاعر في رجل ضرب غلامه

أتضرب مثله بالسوط عشرا * ضربت بفالج ابن أبي داود

وشجة عبد الحميد كانت مثلا في الحسن وهو عبد الحميد بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهم وكان بارعا في الحسن والجمال فزادته حسنا الى حسنه حتى ان النساء كن يخططن في وجوههن شجة عبد الحميد وكان يقال لعمر بن عبد العزيز أشج بني أمية وكان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه يقول ان من ولدي رجلا بوجهه أثر في جبهته قال أصبغ الله أكبر هذا أشج بني أمية يملأ الارض عدلا وقال أعور لابي الاسود ما الشيء ونصف الشيء ولا شيء فقال أما الشيء فالبصير كأنا وأما لا شيء فالاعمى وأما نصف الشيء فانت يا أعور اللهم اكفنا شر العاهات برحمتك ومنك وكرمك آمين

(الفصل الثالث من هذا الباب في التداوي من الامراض والطب) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تداووا فان الذي أنزل الداء أنزل الدواء وقال صلى الله عليه وسلم ما أنزل الله داء الا وله دواء عرفه من عرفه وجهله من جهله وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدواء والرقى هل يردان شيأ من قضاء الله تعالى قال هما من قدر الله تعالى وقال عبد الله بن عكرمة عجبت لمن يحتمي من الطعام خوف الداء ولا يحتمي من الذنوب

يحكى أنه كان بمدينة بغداد رجل يعرف بأبي عبد الله الأندلسي وكان شيخا لكل من بالعراق وكان يحفظ ثلاثين ألف حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يقرأ القرآن بجميع الروايات فخرج في بعض السنين الى السياحة ومعه جماعة من أصحابه مثل الجنيد والشبلي وغيرهما من مشايخ العراق قال الشبلي فلم نزل في خدمته ونحن مكرمون بعناية الله تعالى الى أن وصلنا قرية من قرى الكفار فطلبنا ماء نتوضأ به فلم نجد فجعلنا ندور بتلك القرية واذا نحن بكنائس وبها شمامسة وقساقسة ورهبان وهم يعبدون الأصنام والصلبان فتعجبنا منهم ومن قلة عقلهم ثم انصرفنا الى بئر في آخر القرية واذا نحن بجوار يستقين الماء على البئر وبينهن جارية حسنة الوجه ما فيهن أحسن ولا أجمل منها وفي عنقها قلائد الذهب فلما رآها الشيخ تغير وجهه وقال هذه ابنة من فقيل له هذه ابنة ملك هذه القرية فقال الشيخ فلم لا يدللها أبوها ويكرمها ولا يدعها تستقي الماء فقيل له أبوها يفعل ذلك بها حتى اذا تزوجها رجل أكرمته وخدمته ولا تعجبها نفسها فجلس الشيخ ونكس رأسه ثم أقام ثلاثة أيام لا يأكل ولا يشرب ولا يكلم أحدا غير أنه يؤدي الفريضة والمشايخ واقفون بين يديه ولا يدرون ما يصنعون قال الشبلي فتقدمت اليه وقلت له يا سيدي ان أصحابك ومريديك يتعجبون من سكوتك ثلاثة أيام وأنت ساكت لم تكلم أحدا قال فأقبل علينا وقال يا قوم اعلموا ان الجارية التي رأيتها بالأمس قد شغفت بها حبا واشتغل قلبي بها وما بقيت أقدر أفارق هذه الأرض قال الشبلي فقلت له يا سيدي أنت شيخ أهل العراق ومعروف بالزهد في سائر الآفاق وعدد مريديك اثنا عشر ألفا فلا تفضحنا واياهم بحرمة الكتاب العزيز فقال يا قوم جرى القلم بما حكم ووقعت في بحار العدم وقد انحلت مني عرى الولاية وطويت أعلام الهداية ثم انه بكى بكاء شديدا وقال يا قوم انصرفوا فقد نفذ القضاء والقدر فتعجبنا من أمره وسألنا الله تعالى أن يجيرنا من مكره ولا ثم بكينا وبكى حتى أروى التراب ثم انصرفنا عنه راجعين الى بغداد فخرج الناس الى لقائه ومريدوه في جملة الناس فلم يروه فسألونا عنه فعرفناهم بما جرى فمات من مريديه جماعة كثيرة حزنا عليه وجعل الناس يبكون ويتضرعون الى الله تعالى أن يرده عليهم وأغلقت الرباطات والزوايا والخوانق ولحق الناس حزن عظيم فأقمنا سنة كاملة وخرجت مع بعض أصحابي نكشف خبره فأتينا القرية فسألنا عن الشيخ فقيل لنا انه في البرية يرعى الخنازير قلنا وما السبب في ذلك قالوا انه خطب الجارية من أبيها فأبى أن يزوجها الا من هو على دينها ويلبس العباءة ويشد الزنار ويخدم الكنائس ويرعى الخنازير ففعل ذلك كله وها هو في البرية يرعى الخنازير قال الشبلي فانصدعت قلوبنا وانهملت بالبكاء عيوننا وسرنا اليه واذا به قائم قدام الخنازير فلما رآنا نكس رأسه واذا عليه قلنسوة النصارى وفي وسطه زنار وهو متوكئ على العصا التي كان يتوكأ

خوف النار وقيل ان الربيع بن خيثم لما مرض قالوا له ألا ندعو لك طبيبا فقال لهم ان مرضي من الطبيب وانه متى أراد عافاني ولا حاجة لي بطبيبكم وأنشد

فأصبحت لا أدعو طبيبا لطبه * ولكنني أدعوك يا منزل القطر

وعاد الفرزدق مريضا فقال

يا طالب الطب من داء تخوفه * ان الطبيب الذي أبلاك بالداء

فهو الطبيب الذي يرجى لعافية * لا من يذيب لك الترياق بالماء

قال ولما مرض بشر الحافي رحمه الله تعالى قالوا ندعو لك طبيبا فقال اني بعين الطبيب يفعل بي ما يريد فألح عليه أهله وقالوا لا بد أن ندفع ماءك الى الطبيب فقال لاخته ادفعي اليهم الماء في قارورة وكان بالقرب منهم رجل ذمي وكان حاذقا في الطب فأتوه بمائه في القارورة فلما رآه قال حركوه فحركوه ثم قال ضعوه ثم قال ارفعوه فقالوا له ما بهذا وصفت لنا قال وبم وصفت لكم قالوا بالحذق والمعرفة قال هو كما تقولون غير ان هذا الماء ان كان ماء نصراني فهو راهب قد فتتت كبده العبادة وان كان مسلما فهو ماء بشر الحافي فانه أوحد أهل زمانه في السلوك مع الله تعالى قالوا هو ماء بشر الحافي فأسلم النصراني وقطع زناره فلما رجعوا الى بشر قال لهم أسلم الطبيب فقالوا ومن أعلمك قال لما خرجتم من عندي هتف بي هاتف وقال يا بشر ببركة مائك أسلم الطبيب وصار من أهل الجنة * وفلج الربيع بن خيثم فقيل له هلا تداويت فقال قد عرفت أن الدواء حق ولكن عاد وثمود وقرون بين ذلك كثيرا كانت فيهم الأوجاع كثيرة والاطباء أكثر فلم يبق المداوي ولا المداوى وقد أبادهم الموت ثم قال هذا المفرد

هلك المداوي والمداوى والذي * جلب الدواء وباعه والمشتري

وقيل لجالينوس حين نهكته العلة أما تتعالج فقال اذا كان الداء من السماء بطل الدواء من الارض واذا نزل قضاء الرب بطل حذر المربوب ومر قوم بماء من مياه العرب فوصف لهم ثلاث بنات متطببات وهن من أجمل الناس فأحبوا أن يروهن فكواساق أحدهم حتى أدموها ثم قصدوهن فقالوا هذا جريح مريض فهل من طبيب فخرجت صغراهن وهي كأنها الشمس الطالعة فلما رأت جرحه قالت ليس هو بمريض بل خدشه عود بالت عليه حية فاذا طلعت الشمس مات فكان الامر كما قالت وقيل دواء كل مريض بعقاقير أرضه فان الطبيعة تتطلع لهوائها وقالوا من قدم الى أرض غير أرضه وأخذ من ترابها وجعله في مائها وشرب به لم يمرض فيها وعوفي من وبائها واحتمى أحمد بن المعدل لعلة أصابته فبرئ فقال الحمية طالع الصحة لاهل الدنيا تبرئهم من المرض ولاهل الآخرة تبرئهم من النار وقيل ان الابدان المعتادة بالحمية آفتها التخليط والمعتادة بالتخليط آفتها الحمية لان الحكماء تقول عودوا كل جسد بما اعتاد وكان كسرى أنوشروان يمسك عما تميل اليه شهوته

عليها اذا قام فى الخطبة فسلمنا عليه فرد علينا السلام فقلنا يا شيخ ماذاك وماذا وماهذه الكروب والهموم بعد تلك الأحاديث والعلوم فقال يا اخوانى ليس لى من الأمر شئ سيدى تصرف فى كيف شاء وحيث أراد أبعدنى عن بابه بعدان كنت من جملة أحبابه فالحذر الحذر يا أهل وداده من صده وابعاده والحذر الحذر يا أهل المودة والصفاء من القطيعة والجفاء ثم رفع طرفه الى السماء وقال يا ولاى ما كان ظنى فيك هذا ثم جعل يستغيث ويبكى ونادى ياشبلى اتعظ بغيرك فنادى الشبلى بأعلى صوته بك المستعان وأنت المستغاث وعليك التكلان اكشف عنا هذه الغمة بجلالك فقد دهمنا أمر لا كاشف له غيرك قال فلما سمعت الخنازير بكاءهم وضجيجهم أقبلت اليهم وجعلت تمرغ وجوهها بين أيديهم وزعقت زعقة واحدة دوت منها الجبال قال الشبلى فظننت ان القيامة قد قامت ثم ان الشيخ بكى بكاء شديدا قال الشبلى فقلنا له هل لك أن ترجع معنا الى بغداد فقال كيف لى بذلك وقد استرعيت الخنازير بعدان

كنت أرعى القلوب فقلت يا شيخ كنت تحفظ القرآن وتقرؤه بالسبع فهل بقيت تحفظ منه شيأ فقال نسيته كله الا آيتين فقلت وما هما قال قوله تعالى ومن يهن الله فماله من مكرم ان الله يفعل مايشاء والثانية قوله تعالى ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل فقلت ياشيخ كنت تحفظ ثلاثين ألف حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فهل تحفظ منها شيأ قال حديثا واحدا وهو قوله صلى الله عليه وسلم من بدل دينه فاقتلوه قال الشبلى فتركناه وانصرفنا ونحن متعجبون من أمره فسرنا ثلاثة أيام واذا به أمامنا قد تطهر من نهر وطلع وهو يشهد شهادة الحق ويجدد اسلامه فلما رأيناه لم نملك أنفسنا من الفرح والسرور فنظر الينا وقال يا قوم اعطونى ثوبا طاهرا فأعطيناه ثوبا فلبسه ثم صلى وجلس فقلنا له الحمد لله الذى ردك علينا وجمع شملنا بك فصف لنا ماجرى لك وكيف كان أمرك فقال يا قوم لما وليتم من عندى سألته بالوداد القديم وقلت له يا مولاى أنا المذنب الجانى فعفا عنى بجوده وبستره غطانى فقلت له بالله نسألك هل كان لمحنتك من سبب قال نعم لما وردنا القرية وجعلتم تدورون حول الكنائس قلت فى نفسى ماقدر هؤلاء عندى وأنا مؤمن موحد فنوديت فى سرى ليس هذا منك ولو شئت عرفناك ثم أحسست بطائر قد خرج من قلبى فكان ذلك الطائر هو الايمان قال الشبلى ففرحنا به فرحا شديدا وكان يوم دخولنا يوما عظيما مشهودا وفتحت الزوايا والرباطات والخوانق ونزل الخليفة للقاء الشيخ وأرسل اليه الهدايا وصار يجتمع عنده لسماع علمه أربعون ألفا وأقام على ذلك زمانا طويلا ورد الله عليه ما كان نسيه من القرآن والحديث وزاده على ذلك فبينما نحن جلوس عنده فى بعض الأيام بعد صلاة الصبح اذا بطارق يطرق باب الزاوية فنظرت من الباب فاذا شخص ملتف بكساء أسود فقلت له ما الذى تريد فقال قل لشيخكم ان الجارية الرومية التى تركتها بالقرية الفلانية قد جاءت لخدمتك قال فدخلت فعرفت الشيخ

ولا ينهمك عليه ويقول تركنا ماتحبه لنستغنى عن العلاج بما نكرهه وقال لقمان لاتطيلوا الجلوس على الخلاء فانه يورث الباسور وكانت هذه الحكمة مكتوبة على أبواب الحشوش أى الكنف وقيل كفى بالمرء عارا أن يكون صريع مأكله وقتيل أنامله

فكم أكلة أكلت نفس حر * وكم أكلة جلبت كل ضر

وقيل من غرس الطعام أثمر الاسقام وعن بعض أهل البيت النبوى عليهم السلام انه كان اذا أصابته علة جمع بين ماء زمزم والعسل واستوهب من مهر أهله شيأ وكان يقول قال الله تعالى وأنزلنا من السماء ماء مباركا وقال تعالى فيه شفاء للناس وقال عليه الصلاة والسلام ماء زمزم لما شرب له وقال تعالى فان طبن لكم عن شئ منه نفسا فكلوه هنيأ مريأ فمن جمع بين مابورك فيه وبين مافيه شفاء وبين الهنئ المرئ يوشك أن يلاقى العافية وقيل خمسة من المهلكات دخول الحمام على الشبع والمجامعة على الشبع وأكل القديد وشرب الماء البارد على الريق ومجامعة المرأة العجوز وقال لاتنكح العجوز ولا تخرج الدم وأنت مستغن عن اخراجه وقال الامام على رضى الله عنه

توقى مدى الايام ادخال مطعم * على مطعم من قبل هضم المطاعم

وكل طعام يعجز السن مضغه * فلا تقربنه فهو شر الطاعم

ووفر على الجسم الدماء فانها * لقوة جسم المرء خير الدعائم

واياك أن تنكح طواعن سنهم * فان لها سما كسم الاراقم

وفى كل أسبوع عليك بقيئة * تكن آمنا من شر كل البلاغم

ومما يورث الهزال النوم على غير وطاء وكثرة الكلام برفع الصوت وقال النظام رحمه الله تعالى ثلاثة تخرب العقل طول النظر فى المرآة وكثرة الضحك والنظر الى النجوم وفى الحديث احتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أم مغيث وهى وسط الرأس وكان صلى الله عليه وسلم يحتجم فى الاخدعين ونهى عن الحجامة فى نقرة القفا فانها تورث النسيان وأمر بالاستنجاء بالماء البارد فانه أمان من الباسور وخطب المأمون بمسجد مروان فوجد غالب أهل المسجد يشكوا من السعال فقال فى آخر خطبته من كان يشكو سعالا فليتداو بالخل ففعلوا فعافاهم الله وقال بعض الحكماء اياك أن تطيل النظر فى عين أرمد واياك أن تسجد على حصير جديدة قبل أن تمسها بيدك فرب شظية حقيرة قلعت عينا خطيرة وقيل كانت الادوية تنبت فى محراب سليمان عليه الصلاة والسلام ويقول كل دواء يانبى الله أنا دواء لكذا وكذا وقال جالينوس البطنة تقتل الرجال وتورث الفالج والاسهال الذريع والاقعاد وصنفا من الجذام يقال له الفهد لا يسمع صاحبه ولا يبصر نسأل الله العفو والعافية وقيل البطنة تورث الصداع والكمنة فى العينين والضربان فى الاذنين والقولنج فى البطن فعليك أيها

فاصفر لونه وارتعد ثم أمر بدخولها فلما دخلت عليه بكت بكاء شديدا فقال لها الشيخ كيف مجيئك ومن أوصلك الى ههنا فقالت يا سيدى لما وليت من قرىٍ يتناجانى من أخبرنى بك فبت ولم يأخذنى قرار فرأيت فى منامى شخصا وهو يقول ان أحببت أن تكونى من المؤمنات فاتركى ما أنت عليه من عبادة الأصنام واتبعى ذلك الشيخ وادخلى فى دينه فقلت وما دينه قال دين الاسلام قلت وما هو قال شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فقلت كيف لى بالوصول اليه قال اغمضى عينيك واعطينى يدك ففعلت فمشى قليلا ثم قال افتحى عينيك ففتحتهما فاذا أنا بشاطئ دجلة فقال امضى الى تلك الزاوية وأقرئى الشيخ منى السلام وقولى له ان أخاك الخضر يسلم عليك قال فادخلها الشيخ الى جواره وقال تعبدى ههنا فكانت أعبد أهل زمانها تصوم النهار وتقوم الليل حتى نحل جسمها وتغير لونها فرضت مرض الموت وأشرفت على الوفاة ومع ذلك لم يرها الشيخ فقالت قولوا للشيخ يدخل على قبل الموت فلما بلغ الشيخ ذلك دخل عليها فلما رأته بكت فقال لها لا تبكى فان اجتماعنا غدا فى القيامة فى دار الكرامة ثم انتقلت الى رحمة الله تعالى فلم يلبث الشيخ بعدها الا أياما قلائل حتى مات رحمة الله تعالى عليه قال الشبلى فرأيته فى المنام وقد تزوج بسبعين حوراء وأول ما تزوج بالجارية وهما مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما اه (فليتأمل) العاقل فى ذلك ولا يرى له فضلا على أحد من خلق الله تعالى فهو الفاعل المختار يعطى من يشاء ويمنع فالكل منه واليه (موعظة) قيل عشش ورشان فى شجرة فى دار رجل فلما همت أفراخه بالطيران زينت امرأة ذلك الرجل له أخذ أفراخ ذلك الورشان ففعل ذلك مرارا وكلما أخرج الورشان أخذ أفراخه فشكا الورشان ذلك الى سليمان عليه الصلاة والسلام وقال يارسول الله أردت أن يكون لى أولاد يذكرون الله تعالى من بعدى فأخذها الرجل بأمر امرأته ثم أعاد الورشان الشكوى فقال سليمان لشيطانين اذا رأيتماه يصعد الشجرة فشقاه نصفين فلما أراد الرجل أن يصعد الشجرة اعترضه سائل فأطعمه كسرة من خبز شعير ثم صعد وأخذ الأفراخ على عادته فشكا الورشان ذلك الى سليمان عليه الصلاة والسلام فقال للشيطانين ألم تفعلا ما أمرتكما به فقالا اعترضنا ملكان فطرحانا فى الخافقين اه (وكان الحسن بن صالح) اذا جاءه سائل فان كان عنده ذهب أو فضة أو طعام أعطاه فان لم يكن عنده من ذلك شئ أعطاه دهنا أو غيره مما ينتفع به فان لم يكن عنده شئ أعطاه كحلا أو أخرج ابرة وخيطا فرقع بهما ثوب السائل (وحكى) أن رجلا جلس يوما يأكل هو وزوجته وبين أيديهما دجاجة مشوية فوقف سائل ببابه فخرج اليه وانتهره فذهب فاتفق بعد ذلك ان الرجل افتقر وزالت نعمته وطلق زوجته وتزوجت بعده برجل آخر فجلس يأكل معها فى بعض الأيام وبين

الانسان بالطريقة الوسطى واتق الليل وطعامه بجهدك وقال جالينوس الغم المفرط يميت القلب ويجمد الدم فى العروق فيهلك صاحبه والسرور المفرط يلهب حرارة الدم حتى يغلب الحرارة الغريزية فيهلك صاحبه وقيل انه وضع على مائدة المأمون فى يوم عيد أكثر من ثلاثين لونا فكان يصف وهو على المائدة منفعة كل لون ومضرته فقال يحيى بن أكثم يا أمير المؤمنين ان خضنا فى الطب فانت جالينوس فى معرفته أو فى النجوم فانت هرمس فى صناعته أو فى الفقه فانت على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه فى علمه أو فى السخاء فانت حاتم فى كرمه أو فى الحديث فانت أبو ذر فى صدق لهجته أو فى الوفاء فانت السموأل بن عاديا فى وفائه فسر بكلامه وقال يا أبا محمد انما فضل الانسان على غيره بالعقل ولولا ذلك لكانت الناس والبهائم سواء وقال طبيب الهند ان منفعة الحقنة للجسد كمنفعة الماء للشجر وقال سفيان بن عيينة أجمع أطباء فارس على أن الداء ادخال الطعام على الطعام وقالوا ادخال اللحم على اللحم يقتل السباع فى البر وقيل الشرب فى آنية الرصاص أمان من القولنج وعرض رجل على طبيب قارورته فقال له ما هى قارورتك لانه ماء ميت وأنت حى تكلمنى فما فرغ من كلامه حتى خر الرجل ميتا وقيل ان ملكا من الملوك حصل عنده صداع فى رأسه فاحضر الطبيب فأمره أن يضع قدميه فى الماء الحار وكان عنده خصى فقال أين القدمان من الرأس فقال له الطبيب وأين وجهك من خصيتيك نزعتا فذهبت لحيتك وقيل ان المأمون حصل له صداع بطرسوس فأحضر طبيبا كان عنده فلم ينفعه علاجه فبلغ قيصر فأرسل اليه قلنسوة وكتب له بلغنى صداعك فضعها على رأسك يزل ما بك فخاف أن تكون مسمومة فوضعها على رأس القاصد فلم يصبه شئ ثم انه أحضر رجلا به صداع فوضعها على رأسه فزال ما به فتعجب المأمون ثم انه فتحها فوجد فيها رقعة مكتوبا فيها بسم الله الرحمن الرحيم كم من نعمة لله تعالى فى عرق ساكن وغير ساكن حمعسق لا يصدعون عنها ولا ينزفون من كلام الرحمن خمدت النيران ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وقال على رضى الله تعالى عنه ادهنوا بالبنفسج فانه حار فى الشتاء بارد فى الصيف وقال أيضا رضى الله عنه عليكم بالزيت فانه يذهب البلغم ويشد العصب ويحسن الخلق ويطيب النفس ويذهب الغم وعنه رضى الله عنه ان لم يكن فى شئ شفاء ففى شرطة حاجم أو شربة من عسل وقال الحجاج لطبيبه أخبرنا بجوامع الطب فقال لا تنكح الا فتاة ولا تأكل من اللحم الا فتيا واذا تغديت فنم واذا تعشيت فامش ولو على الشوك ولا تدخلن بطنك طعاما حتى تستمرئ ما فيه ولا تأوالى فراشك حتى تدخل الخلاء وكل الفاكهة فى اقبالها وذرها فى ادبارها وأوصى حكيم خليفته وصية ووعده انه اذا لازمها لا يعرض الا مرض الموت فقال اياك أن تدخل طعاما على طعام ولا تمش حتى تعيا ولا تجامع عجوزا ولا تدخل حماما على شبع واذا جامعت فكن على حال وسط من الغذاء وعليك فى كل أسبوع بقيئة ولا تأكل الفاكهة الا فى أوان نضجها ولا تأكل القديد من اللحم واذا تغديت فنم واذا تعشيت فامش أربعين خطوة ونم على يسارك لتقع الكبد على المعدة فينهضم

أيديهما دجاجة مشوية واذا بسائل يطرق الباب فقال الرجل لزوجته ادفعي اليه هذه الدجاجة فخرجت بها اليه فاذا هو زوجها الأول فدفعت اليه الدجاجة ورجعت وهي باكية فسألها زوجها عن بكائها فأخبرته أن السائل كان زوجها وذكرت له قصتها مع ذلك السائل الذي انتهره زوجها الأول فقال لها أنا والله ذلك السائل (ومما وقفت عليه) ما حكى أن بعضهم قال دخلت البادية فاذا بعجوز بين يديها شاة مقتولة والى جانبها جرو ذئب فقالت أتدري ما هذا فقلت لا قالت هذا جرو ذئب أخذناه صغيرا وأدخلناه بيتنا وربيناه فلما كبر فعل بشاتي ما ترى وأنشدت

بقرت شويهتي وفجعت قلبي * وأنت لشاتنا ابن ربيب
غذيت بدرها ونشأت معها * فمن أنباك ان أباك ذيب
اذا كان الطباع طباع سوء * فلا أدب يفيد ولا أديب

(قيل) مر عمرو بن عبيد بجماعة وقوف فقيل ما هذا قيل السلطان يقطع سارقا فقال

فينهضم ما فيها وتستريح الكبد من حرارة المعدة ولا تنم على يمينك فيبطئ الهضم ولا تأكل بشهوة عينيك بعد الشبع ولا تنم ليلا حتى تعرض نفسك على الخلاء ان احتجت الى ذلك أو لم تحتج واقعد على الطعام وأنت تشتهيه وقم عنه وأنت تشتهيه قال بعضهم

شره النفوس على الجسوم بلية * فتعوذوا من كل نفس تشره
ما من فتى شرهت له نفس وان * نال الغنى الا رأى ما يكره

وقال أبو الفيض القضاعي يمدح الفصل وقد فصد

أرقت دما لو تسكب المزن مثله * لأصبح وجه الأرض أخضر زاهيا
دما طيبا لو يطلق الشرع شربه * لكان من الأسقام للناس شافيا

﴿الفصل الرابع فيما جاء في العيادة وفضلها﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة في ظل العرش عائد المريض ومشيع الموتى وطائم والدته وفي رواية ومعزي الثكلى ومن السنة تخفيف الجلوس في العيادة مرض بكر بن عبد الله المزني فعاده أصحابه فأطالوا الجلوس عنده فقال المريض يعاد والصحيح يزار قال الشاعر

يعدن مريضا هن هيجن داءه * ألا انما بعض العوائد دائيا

وقيل اذا دخل العواد على الملك فحقهم أن لا يسلموا عليه فيحوجوه الى رد السلام و يتعبوه فاذا علموا أنه لاحظهم دعوا له وانصرفوا * قيل مرض انسان فكتب اليه بعض أصدقائه كشف الله عنك ما بك من السقم وطهرك بالعلة من الخطايا ومتعك بأنس العافية وأعقبك دوام الصحة * ومرض انسان فكتب اليه صديقه

بأخوانك الادنين لا بك كل ما * شكوت الى اليوم من ألم الورد
فكل امرئ منهم بقدر احتماله * وان عجزوا عنه تحملته وحدي

(وقال آخر) بي السوء والمكروه لا بك كلما * أرادك كان بي وكان لك الأجر

﴿وقال عبد الله بن مصعب﴾

مالي مرضت فلم يعدني عائد * منكم ويمرض كلبكم فأعود

فسمي بعد ذلك عائد الكلاب * وعاد مالك بن أنس رضي الله تعالى عنه بعض المرضى فقال

عادني مالك فلست أبالي * بعد من عادني ومن لم يعدني

(وقال علي بن الجهم) أراقد الليل مسرورا اعدمت اذا * عيشي وأحمد يرعى ليله وصبا
الله يعلم أني قد نذرت له * صيام شهر اذا ما أحمد ركبا

(وقال آخر) اذا مرضتم أتينا كم نعودكم * وتذنبون فنأتيكم ونعتذر

(وقال آخر) أعاذك الله من أشياء أربعة * الموت والعشق والافلاس والجرب

لا اله الا الله سارق العلانية يقطع سارق السر (ومن ذلك ما حكى) أن رجلا من العرب دخل على المعتصم فقربه وأدناه وجعله نديمه وصار يدخل على حريمه من غير استئذان وكان له وزير حاسد فغار من البدوي وحسده وقال في نفسه ان لم أحتل على هذا البدوي في قتله أخذ بقلب أمير المؤمنين وأبعدني منه فصار يتلطف بالبدوي حتى أتى به الى منزله فطبخ له طعاما وأكثر فيه من الثوم فلما أكل البدوي منه قال له احذر أن تقرب من أمير المؤمنين فيشم منك رائحة الثوم فيتأذى من ذلك فانه يكره رائحته ثم ذهب الوزير الى أمير المؤمنين فخلا به وقال يا أمير المؤمنين ان البدوي يقول عنك للناس ان أمير المؤمنين أبخر وهلكت من رائحة فمه فلما دخل البدوي على أمير المؤمنين جعل كمه على فمه مخافة أن يشم منه رائحة

الثوم فلما رآه أمير المؤمنين كتب كتابا الى بعض عماله يقول له فيه اذا وصل اليك كتابي هذا فاضرب رقبة حامله ثم دعا بالبدوي ودفع الكتاب اليه وقال له امض به الى فلان وائتني بالجواب فامتثل البدوي ما رسم به أمير المؤمنين وأخذ الكتاب وخرج به من عنده فبينما هو بالباب اذ لقيه الوزير فقال أين تريد قال أتوجه بكتاب أمير المؤمنين الى عامله فلان فقال الوزير هذا البدوي يحصل له من هذا التقليد مال جزيل فقال له يا بدوي ما تقول فيمن يريحك من هذا التعب الذي يلحقك في سفرك و يعطيك ألفي دينار فقال له أنت الكبير وأنت الحاكم ومهما أردت افعل فقال أعطني الكتاب فدفعه اليه فأعطاه الوزير ألفي دينار وسار بالكتاب الى المكان الذي هو قاصده فلما قرأ العامل الكتاب أمر بضرب رقبة الوزير فبعد أيام تذكر الخليفة في أمر البدوي وسأل عن الوزير فأخبر بأن له أياما ما ظهر وان البدوي بالمدينة مقيم فتعجب من ذلك وأمر باحضار البدوي فحضر فسأله عن حاله فأخبره بالقصة التي اتفقت له مع الوزير من أولها الى آخرها فقال له أنت قلت

وقيل ان حق العيادة يوم بعد يوم أو يوم بعد يومين وعلى الأول قول الشاعر

قالت مرضت فعدتها فتبرمت * فهى الصحيحة والعليل العائد
والله لو أن القلوب كقلبها * مارق للولد الصغير الوالد

﴿وعلى الثانى قول بعضهم﴾

حق العيادة يوم بعد يومين * وجلسة مثل خلس اللحظ بالعين
لا تبرمن عليلا فى مساءلة * يكفيك من ذاك تسآل بحرفين

وفضل العيادة مشهور وشرفها مذكور وبها تعظم الأجور وهذا ما انتهى الينا من هذا الباب والله الموفق للصواب

﴿الباب الحادى والثمانون فى ذكر الموت وما يتصل به من القبر وأحواله﴾

(روى) عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مات لأحدكم ميت فحسنوا كفنه وعجلوا انجاز وصيته وأعمقوا له فى قبره وجنبوه جار السوء قيل يارسول الله وهل ينفع الجار الصالح فى الآخرة قال وهل ينفع فى الدنيا قالوا نعم قال وكذلك فى الآخرة ومن وصية على رضى الله عنه لأبى ذر زر القبور تذكر بها الآخرة ولا تزرها بالليل وغسل الموتى يتحرك قلبك وصل على الجنائز لعل ذلك يحزنك فان الحزين فى ظل الله تعالى ويقال جزعك فى مصيبة صديقك أحسن من صبرك وصبرك فى مصيبتك أحسن من جزعك ونظر فيلسوف الى ميت يحمل الى قبره فقال حبيب تحمله أهله الى حبس الأبد ودخل عمرو بن العاصى رضى الله عنه على معاوية فى مرضة مرضها فقال له أعائد أنت أم شامت فقال له عمرو لم تقول هذا والله ما كلفتنى رهقا ولا أصعدتنى زلقا ولا جرعتنى علقا فلم أستطل حياتك ولم أستبطئ وفاتك فانشد معاوية يقول

فهل من خالدين اذا هلكنا * وهل فى الموت بين الناس عار

ولما مرض معاوية رضى الله عنه مرضه الذى مات فيه وفد اليه الناس يعودونه فقال لأهله مهدوا الى فراشا واسندونى وأوسعوا رأسى دهانا ثم اكحلوا عينى بالأثمد ثم ائذنوا للناس يدخلوا ويسلموا على قياما ولا تجلسوا عندى أحدا ففعلوا ذلك فلما خرجوا من عنده أنشد يقول

وتجلدى للشامتين أريهم * انى لريب الدهر لا أتضعضع
واذا المنية أنشبت أظفارها * ألفيت كل تميمة لا تنفع

وقيل لما دنا منه الموت تمثل بهذا البيت

هو الموت لا منجى من الموت والذى * نحاذر بعد الموت أدهى وأفظع

قال ثم رفع يديه وقال اللهم أقل العثرة واعف عن الزلة وعد بحلمك على من لم يرج غيرك ولا يثق الا بك فانك

للناس عنى الى أبخر فقال يا أمير المؤمنين أنا أتحدث عما ليس لى به علم انما كان ذلك مكرا منه وحسدا وأعلمه كيف دخل به الى بيته وأطعمه الثوم وما جرى له معه فقال أمير المؤمنين قاتل الله الحسد ما أعدله بدأ بصاحبه فقتله ثم اتخذ البدوى وزيرا وراح الوزير بحسده انتهى (وحكى) أن معاوية بن أبى سفيان رضى الله تعالى عنه لما مرض مرضه الذى مات فيه دخل عليه بعض بنى هاشم ليعوده فلما استأذن عليه قام وجلس وأظهر القوة والتجلد وأذن للهاشمى فدخل عليه ثم قال متمثلا بقول أبى ذؤيب الهذلى من قصيدة رثى بها أولاده ماتوا بالطاعون وتجلدى للشامتين أريهم * أنى لريب الدهر لا أتضعضع فاجابه الهاشمى على الفور من القصيدة المذكورة بعينها واذا المنية أنشبت أظفارها * ألفيت كل تميمة لا تنفع * (ومما يشا كل ذلك) ما حكاه لى سيدى ومولاى عمدة العلماء الاعلام ونتيجة قضايا الادباء الفخام الشيخ عبد الغنى أفندى الرافعى حفظه الله تعالى انه حكى له عبد الله أفندى ابن قاضى الموصل ان بعض علماء بغداد وفد على دار الخليفة العلية فى أيام السلطان سليم ابن السلطان عثمان خان ونزل فى دار صاحب المشيخة العظمى اذ ذاك فاتفق له ان رأى السلطان سليما فى القائق بين أسكى دار واسلامبول فرقائق الشيخ بالقرب من قائق السلطان فلما وقع عليه نظر الملك ورأى عليه سيما أهل العلم أحب أن يداعبه فقال عندما ناداه

فيم اقتحامك لج البحر تركبه * وأنت يكفيك منه مصة الوشل

(فاجابه على الفور من القصيدة)

أريد بسطة كف أستعين بها * على قضاء حقوق للعلا قبلى

فعند ذلك سأله عن مكانه فاخبره انه نزيل شيخ الاسلام ثم مر كل منهما بقائقه وبعد أيام اجتمع السلطان سليم بشيخ الاسلام وسأله عن الشيخ وذكر له صفته ثم أمره ان يسأله عن مراده فسأله من غير أن يعلمه ان ذلك من أمر الملك فقال بغيتى القرية الفلانية فى محل كذا ان أقطعنيها كفتنى ولا أريد سواها فاخبر الملك بذلك فاقطعه القرية وعاد وقد بعث تجارته واسع ببضاعة أدبه (ومن هذا القبيل) ما وقع فى عصرنا العوض بيك الاسعدر رحمه الله تعالى انه حين بدا تغير ابراهيم باشا سر عسكر الدولة المصرية على بكوات عكا وكان جالسا على دكان فى سوق العقادين من طرابلس الشام وكان أحد أمراء الالايات جالسا على دكان يقابله فكتب له أمير الالاى يهدده ضمنا بقول عنترة من قصيدة وأرسل يقول له انظر خطى وهو لى النفوس وللطير اللحوم * وللوحش العظام وللخيالة السلب فاجابه بقوله من القصيدة بعينها وأرسل يقول له انظر خط من أحسن ان كنت تعلم يا نعمان ان يدى * قصيرة عنك فالاحوال تنقلب (وكتب العلامة زين الدين بن الوردى) الى قاضى القضاة الكمال البارزى وقد كان عزله من منصب القضاء وولى أخاه حملتنى وأخى تباريح البلا * وتركتنا ضدين مختلفين يا حاكم عصرنا وزماننا * ألك التصرف فى دم الاخوين فاجابه بقوله أيا عمر انزجر عن مثل هذا *

فأحمد بالولاية مطمئن   فان يك فيك معرفة وعدل * فأحمد فيه معرفة ووزن   (قال صاحب التالد والطريف) وأذكر لك هنا حكاية لطيفة فيها لفظ أمرع من كلام الخصيب أبي محمد أغرب فيه وأبدع كنت أقرأ عليه زمن الحداثة فذكرت له انني أزن الشعر فأخبرني بكلام هذا نصه أدام الله عزك ان بيني و بينك ماشددت عليه من بعد ذلك راحتي و بحق ذا كم علينا فاعلموا من ود أمرع والحمد لله وقال لي أخرج من هذا الكلام بيتين تامين فقلت له هذا الشعر من بحر الوافر وآخر البيت الاول حرف العين من بعد وآخره أمرع فقال أحسنت انتهى (وذكر ابن خلكان فى تاريخه) انه كان بين الملك العادل نور الدين و بين أبي الحسن سنان صاحب قلاع الاسماعيلية ومقدم الفرق الباطنية مكاتبات ومحاورات فكتب اليه نور الدين كتابا يهدده فيه و يتوعده بسبب اقتضى ذلك فشق على سنان فكتب جوابه نثرا وأبياتا تامنها

ياذا الذى بقراع السيف هددنى * لاقام مصرع جنبي حين تصرعه   قام الحمام الى البازى (٢٣٧) يهدده * واستيقظت لاسود البر أضبعه

وقفنا على تفصيله وجمله وعلمنا ماهددنا به من قوله وعمله فيالله العجب من ذبابة تطن فى أذن فيل و بعوضة تعض فى التماثيل ولقد قالها من قبلك قوم آخرون فدمرنا عليهم وما كان لهم ناصرون وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون وهى عجيبة طويلة غريبة (قال صاحب التالد والطريف) أنشدت بعض الاخوان الظرفاء بيتى ذى القرنين ابن حمدان الحمدانى وهما

انى لاحسد لا فى أسطر الصحف * اذا رأيت اعتناق اللام للالف
وما أظنهما طال اعتناقهما * الا لما لقيا من شدة الشغف

فلما سمعهما قال وقد وقع لى فى هذين البيتين حكاية لطيفة غريبة ظريفة وهى انى كنت أحب غلاما لطيفا أديبا ظريفا فكتبت له صورة لام ألف لا وقصدت بها ما قاله الشاعر فى البيتين فكتب ل ا مفترقين هكذا وقصد أذيتى بها وأرسلها الى كأنه يقول لا أملكك من عناق أبدا فكتبت له لفظ لام هكذا وأردت مقلوب ذلك فكتب لا متصلة هكذا وأرسلها الى فعلمت بذلك رشاه وتعجبت من فهمه وحذقه فلما اجتمعنا عتب على وقال عميت الامر على وأتعبتنى قلت مثلك يصلح للمنادمة والمجالسة اه (قلت) وهذه الحكاية تشبه أن تكون عن أبي زيد السروجى أو من باب التجريد (قلت) مثل هذين البيتين المتقدمين قول القائل   يامن اذا قرأ الانجيل ظل به * قلب الحريف عن الاسلام منحرفا   انى رأيتك فى نومى تعانقنى * كما تعانق لام الكاتب الالفا   وقولى من قصيدة

ان تنأ عمن يعانى فيك كل عنا * فحسبه صوب دمع للنوى وكفا   بالحب صيرت لاما قامتى أترى * يوما تعانق من أعطافك الالفا

(وما أرق قول بعضهم فى المعنى)   حكت قامتى لاما وقامة منيتى * حكت ألفا للوصل قلت مسائلا   اذا اجتمعت لامى مع الالف التى * حكتك قواما مايصير فقال لا   (ذكر ابن خلكان فى تاريخه) انه اجتمع الامام أبو بكر محمد ابن الامام داود الظاهرى وأبو العباس بن شريح

واسع المغفرة وليس لذى خطيئة منك مهرب ومات رحمه الله تعالى * وذكر أبو العباس الشيبانى قال وفد على أبي دلف عشرة من أولاد على بن أبي طالب رضى الله عنه فى العلة التى مات فيها فاقاموا ببابه شهرا لا يؤذن لهم لشدة العلة التى أصيب بها ثم أفاق فقال لخادمه بشر ان قلبي يحدثنى ان بالباب قوما لهم الينا حوائج فافتح الباب ولا تمنعن أحدا قال فكان أول من دخل آل على رضى الله عنه فسلموا عليه ثم ابتدأ الكلام رجل منهم من ولد جعفر الطيار فقال أصلحك الله انا من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وفينا من ولده وقد حطمتنا المصائب وأجحفت بنا النوائب فان رأيت أن تجبر كسيرا وتغنى فقيرا الا علك قط مبرا فافعل فقال لخادمه خذ بيدى واجلسنى ثم أقبل معتذرا اليهم ودعا بدواة وقرطاس وقال ليكتب كل منكم بيده انه قبض منى ألف دينار قالوا فقمنا والله متحيرين فلما ان كتبنا الرقاع ووضعناها بين يديه قال لخادمه على بالمال فوزن لكل واحد منا ألف دينار ثم قال لخادمه يا بشر اذا أنامت فادرج هذه الرقاع فى كفنى فاذا لقيت محمدا صلى الله عليه وسلم فى القيامة كانت حجة لى أنى قد أغنيت عشرة من ولده ثم قال يا غلام ادفع لكل واحد منهم ألف درهم ينفقها فى طريقه حتى لا ينفق من الالف دينار شيأ حتى يصل الى موضعه قال فأخذناها ودعونا له وانصرفنا ثم مات رحمه الله وقيل لما دفن عمر بن عبد العزيز نزل عند دفنه مطر من السماء فوجد وا بردة مكتوبا فيها بالنور (بسم الله الرحمن الرحيم) أمان لعمر بن عبد العزيز من النار وقيل لاعرابى انك تموت قال والى أين أذهب قالوا الى الله تعالى فقال لا أكره أن أذهب الى من لا أرى الخير الا منه و بكى الخولانى عند موته فقيل له ما يبكيك قال أبكى لطول السفر وقلة الزاد وقد سلكت عقبة ولا أدرى الى أين أهبط والى أى مكان أسقط ودخل ملك الموت على داود عليه السلام فقال له من أنت قال أنا الذى لا يهاب الملوك ولا تمنع منه القصور ولا يقبل الرشا فقال اذن أنت ملك الموت وانى لم أستعد بعد فقال له يا داود أين فلان جارك أين فلان قريبك قال ماتا قال أما كان لك فى موت هؤلاء عبرة لتستعد بها ثم قبضه عليه السلام (وفى الخبر) من حديث حميد الطويل عن أنس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الملائكة تكتنف العبد وتحتبسه ولولا ذلك لكان يعدو فى الصحراء والبرارى من شدة سكرات الموت وقد أجمعت الامة على أن الموت ليس له زمن معلوم فليكن المرء على أهبة من ذلك * وقيل بينما احسان جالس وفى حجره صبى يطعمه الزبد بالعسل اذ شرق الصبى فمات فقال

اعمل وأنت صحيح مطلق فرح * مادمت ويحك يامغرور فى مهل
يرجو الحياة صحيح ربما كمنت * له المنية بين الزبد والعسل

وقيل ان المأمون لما قرب وفاته دخل عليه بعض أصدقائه فوجده قد فرش له جل دابة و بسط عليه الرماد وهو يتمرغ فيه ويقول يامن لا يزول ملكه ارحم من زال ملكه (ولما) احتضر عمرو بن العاصى دعا بغل وقيد وقال البسونى اياهما فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان التوبة مقبولة مالم يغرغر ابن آدم

في مجلس الوزير الجراح فتناظرا فقال له ابن شريح أنت الذي تقول من كثرت لحظاته دامت حسراته أنا أبصر منك بالكلام فقال له أبو بكر لئن قلت ذلك فاني أقول أنزه في روض المحاسن مقلتي * وأمنع نفسي أن تنال المحرما وأحمل من ثقل الهوى مالوانه * يصب على الصخر الاصم تهدما وينطق طرفي عن مترجم خاطري * فلولا اختلاسي رده لتكلما رأيت الهوى دعوى من الناس كلهم * فلا أن أرى حبا صحيحا مسلما فقال له ابن شريح ولم تفتخر علي ولو شئت أنا أيضا لقلت ومسامر بالغنج من لحظاته * قد بت أمنعه لذيذ سناته ضنا بحسن حديثه وغنائه * وأكرر اللحظات في وجناته حتى اذا ما الصبح لاح عموده * ولى بخاتم ربه وبراته فقال أبو بكر يحفظ الوزير عليه ذلك حتى يقيم شاهدي عدل أنه ولى بخاتم ربه فقال أبو العباس بن شريح يلزمني من ذلك ما يلزمك في قولك أنزه في روض المحاسن مقلتي * وأمنع نفسي ان تنال المحرما فضحك الوزير وقال جمعتما لطفا وظرفا وفهما وعلما اهـ (وذكر أبو بكر الخطيب) انه كان في مدينة بغداد محلة تسمى باب الطاق كان بها سوق الطير يزعمون انه من عسر عليه أمر أطلق طيرا فيتيسر أمره فمر عبد الله ابن طاهر وقد طال مكثه في بغداد ولم يأذن له الخليفة بالذهاب فمر بذلك السوق فرأى قمرية تنوح فأمر بشرائها فامتنع صاحبها فدفع له بها خمسمائة درهم فاشتراها وأطلقها في ذلك السوق وأنشد يقول

ناحت مطوقة بباب الطاق * فجرت سوابق دمعي المهراق
كانت تغرد بالاراك وربما * كانت تغرد في فروع الساق
فرمى الفراق بها العراق فأصبحت * بعد الاراك تنوح في الاسواق
فجعت بأفراخ فأسبل دمعها * ان الدموع تبوح بالاشواق
تعس الفراق وبت حبل متينه * وسقاه من سم الاساود ساق
ماذا أراد بقصده قمرية * لم تدر ما بغداد في الآفاق
بي مثل ما بك يا حمامة فاسألي * من فك أسرك أن يحل وثاقي

قيل انه في ثاني يوم أطلق ورجع الى بلاده (وحكي عن خالد الكاتب) انه قال جاءني يوما رسول ابراهيم فسرت اليه فوجدته على فرش قد غاص فيها فاستجلني وقال أنشدني من أجود شعرك فأنشدته

رأت منه عيني منظرين كما رأت * من الشمس والبدر المنير على الارض
عشية حياني بورد كأنه * خدود أضيفت بعضهن الى بعض
ونازعني كاسا كأن حبابها * دموعي لما صد عن مقلتي غمضي
وراح فكل الراح في حركاته * كفعل نسيم الريح في الغصن الغض

فزحف حتى صار في ثلثي الفراش وقال يا فتى شبهوا الخدود بالورد وأنت شبهت الورد بالخدود فزدني فأنشدته

عاتبت نفسي في هواك * فلم أجدها تقبل
وأطعت داعيها اليك * ولم أطع من يعذل
لا والذي جعل الوجو * ه بحسن وجهك تمثل
لا قلت ان الصبر عنك * من الصبابة أجمل

فزحف حتى انحدر من الفراش واستخف طربا ثم قال لخادمه كم معك لنفقتنا قال ثمانمائة

بنفسه ثم استقبل القبلة وقال اللهم انك أمرتنا فعصينا ونهيتنا فارتكبنا وهذا مقام العائذ بك فان تعف فأنت أهل العفو وان تعاقب فبما قدمت يداي لا اله الا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين ثم مات وهو مغلول مقيد فبلغ ذلك الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهما فقال استسلم الشيخ ولعلها تنفعه (ولما) احتضر المعتصم جعلوا يهونون عليه فقال هان على النظارة ما يمر بظهر المجلود * وسمع أبو الدرداء رجلا في جنازة يقول من هذا فقال أنت فان كرهت فأنا وقيل مات عكرمة مولى ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وكثير عزة في يوم واحد فقال رجل اللهم كما جمعتهما في زيارة القبور فلا تفرق بينهما يوم النشور فما بقي في المدينة أحد الا استحسن كلامه (ولما) احتضر ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام قال هل رأيت خليلا يقبض روح خليله فأوحى الله اليه هل رأيت خليلا يكره لقاء خليله قال فاقبض روحي الساعة * وقيل اذا قضى الله لرجل أن يموت بارض جعل له اليها حاجة فيسيره اليها وقال بعضهم

اذا ما حمام المرء كان ببلدة * دعته اليها حاجة فيطير

﴿حكي﴾ ان شابا تقيا من بني اسرائيل كان يجتمع مع سليمان عليه السلام ويحضر مجالسه فبينما هو عند سليمان في مجلسه اذ دخل ملك الموت عليه فلما رآه الشاب اصفر لونه وارتعدت فرائصه وقال يا نبي الله اني خفت من هذا الرجل فمر الريح أن تذهب بي الى الهند فأمر سليمان الريح فذهبت به فما كان الا قليل حتى دخل ملك الموت على سليمان وهو متعجب فقال له سليمان مم تعجب قال أعجب أني أمرت بقبض روح الشاب الذي كان عندك بأرض الهند ودخلت عليك فوجدته عندك فصرت متعجبا ثم توجهت الى الهند فرأيته هنالك وقبضت روحه فهذا عجبي فقال له سليمان انه لما رآك خاف وانزعج وطلب مني أن تحمله الريح الى الهند فأمرتها فحملته وفي ذلك المعنى قال محمد بن الحسن

ومتعب الروح مرتاح الى بلد * والموت يطلبه في ذلك البلد

وقيل ان الانسان يحصل له عند الموت قوة حركة نحو ما يحصل للسراج عند انطفائه من حركة سريعة وضياء ساطع وتسميها الاطباء النعشة الاخيرة والله أعلم * وقيل ان الرشيد ماتت له جارية وكانت من خواص محاظيه فجزع عليها جزعا شديدا فقال لبعض أصدقائه أما ترى ما بليت به ما أحببت أحدا الا مات فقال يا أمير المؤمنين أحببني فقال ويحك ان الحب ليس هو شيء يصنع انما هو شيء يقع في القلب تسوقه الأسباب فقال قل أنا أحبك قال نعم أنا أحبك قال فحم من وقته ومات وفي الحديث المرفوع كسر عظم الميت ككسره في حياته وقال يزيد بن أسلم لقد كان يمضي في الزمن الأول أربعمائة سنة ما يسمع فيها بجنازة وعن ميمون بن مهران قال شهدت جنازة ابن عباس رضي الله عنه بالطائف فلما وضع ليصلى عليه جاء طائر أبيض حتى وقف على أكفانه ثم دخل فيها فالتمسناه فلم نجده ولما سوينا عليه التراب سمعنا من يسمع صوته ولا يرى شخصه يقول

يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك الآية وقال ابن عباس رضي الله عنهما ان قبر آدم عليه السلام بمسجد الخيف بمنى وقال عطاء بلغني ان قبره تحت المنارة التي وسط الخيف وكان عثمان بن عفان رضي الله عنه اذا وقف على قبر بكى مالا يبكيه عند ذكر الجنة والنار فقيل له في ذلك فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول القبر اول منازل الآخرة فان نجا العبد منه فما بعده أيسر منه وعن معاذ بن رفاعة الزرقي قال أخبرني رجل من رجال قومي أن جبريل عليه السلام أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم في جوف الليل معتجرا بعمامة من استبرق فقال يا محمد من هذا الميت الذي فتحت له أبواب السماء واهتز له العرش فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يجر ثوبه مبادرا الى سعد بن معاذ رضي الله عنه فوجده قد قبض وقال الحسن رضي الله عنه ما من يوم الا وملك الموت يتصفح وجوه الناس خمس مرات فمن رآه على لهو ولعب أو معصية أو ضاحكا حرك رأسه وقال له مسكين هذا العبد غافل عما يراد به ثم يقول له اعمل ما شئت فان لي فيك غمزة أقطع بها وتينك وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه لرجاء بن حيوة يا رجاء اذا وضعت في لحدي فاكشف الثوب عن وجهي فان رأيت خيرا فاحمد الله وان رأيت غير ذلك فاعلم أن عمر قد هلك قال رجاء فلما دفناه كشفت عن وجهه فرأيت نورا ساطعا فحمدت الله تعالى ان قد صار الى خير وقال أيضا دخلت على عمر بن عبد العزيز وهو محتضر فقال يا رجاء انى أرى وجوها كراما ليست بوجوه انس ولا جان وهو يقلب طرفه يمينا وشمالا ثم رفع يده فقال اللهم أنت ربي أمرتني فقصرت ونهيتني فعصيت فان غفرت فقد مننت وان عاقبت فما ظلمت الا أني أشهد أن لا اله الا أنت وحدك لا شريك لك وأن محمدا عبدك ورسولك المصطفى ونبيك المرتضى بلغ الرسالة وأدى الامانة ونصح الامة فعليه السلام والرحمة ثم قضى نحبه رحمه الله وعن أسماء بنت عميس قالت كنت عند أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه بعد ما ضربه ابن ملجم اذ شهق شهقة بعد أن أغمي عليه ثم أفاق وقال مرحبا الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فقيل له ما ترى قال هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا أخي جعفر وعمي حمزة وأبواب السماء مفتحة والملائكة ينزلون علي يبشروني بالجنة وهذه فاطمة قد أحاط بها وصائفها من الحور العين وهذه منازلي لمثل هذا فليعمل العاملون (ولما) احتضر عبد الملك بن مروان قال لابنه الوليد اذا أنا مت اياك أن تجلس وتعصر عينيك كالمرأة الوكعاء لكن ائتزر وشمر والبس جلد النمر وضعني في حفرتي وخلني وشأني وعليك شأنك وادع الناس الى بيعتك فمن قال برأسه هكذا فقل له بسيفك هكذا ثم بعث الى محمد وخالد ابني يزيد بن معاوية فقال هل عندكما ندامة في بيعة الوليد فقالوا لا نعرف أحدا أحق منه بالخلافة فقال أما انكما لو قلتما غير هذا لضربت الذي فيه أعينكما ثم رفع كان فراشه فاذا تحته سيف مسلول تحت يمينه كل هذا وروحه تتردد في حنجرته وهو يقول الحمد لله الذي لا يبالي أصغيرا أخذ أم كبيرا لا اله الا الله محمد رسول الله ثم بعد ساعة نفذت روحه فدخل عليه الوليد ومعه بناته يبكون فتمثل بقول الشاعر

وخمسون درهما فقال له اقسمها بيني و بين خالد فدفع لي نصفها وانصرفت (لطيفة) جاز بعض الظرفاء على باب دار فعزمه شيخها وأدخله عنده وأجلسه في المكان منفردا ثم استدعى بجاريتين احداهما صفراء والاخرى سوداء ودفع لكل واحدة مزهرا وقال لهما اضربا له عليهما وغنيا وشاغلاه ثم ذهب الشيخ وبقي الضيف والجاريتان فلما اشتد به الجوع ومضى النهار ولم ير للطعام رائحة كتب في مكان الشيخ هذين البيتين

يادعوة كانت علينا دعوة * عز الطعام بها وغيض الماء
سودا وصفرا كلما غنين لي * لعبت بي السوداء والصفراء

(يحكى) ان شهاب الدين الخفاجي المصري شرب الدخان هو وجماعة فاعترض عليهم شيخي زاده فكتب له الشهاب بقوله

اذاشرب الدخان فلا تلمنا * وجد بالعفو يا روض الاماني
تريد مهذبا لا عيب فيه * وهل عود يفوح بلا دخان

(فاجابه شيخي أفندي بقوله)

اذاشرب الدخان فلا تلمني * على لومي لابناء الزمان
أريد مهذبا من غير ذنب * كريح المسك فاح بلا دخان

(وحكى) عن شرف الدين ابن الشريحي أنه اجتمع هو وشهاب الدين في ليلة أنس عند الملك الناصر فاتفق ان قام شرف الدين الى الطهارة وعاد فامره الناصر بالاشارة أن يصفع شهاب الدين فلما صفعه أمسك التلعفري بذقن شرف الدين وأنشد سريعا وذقنه بيده

قد صفعنا بذا المحل الشريف * وهو ان كان يرتضي تشريفي
فارث للعبد من مصيف طباع * يا ربيع الندى والاخريفي

فانقلب المجلس ضحكا (وروى) أن ابن القطان الشاعر البغدادي دخل ذات يوم على الوزير الرضي وعنده الحيص بيص الشاعر المشهور فقال ابن القطان قد نظمت بيتين لا يمكن أن يعمل لهما ثالث لاني قد استوفيت المعنى فيهما فقال له الوزير ما هما فأنشده

زار الخيال بخيلا مثل مرسله * فما شفاني منه الضم والقبل
مازارني قط الا كي يوافقني * على الرقاد فينفيه ويرتحل

فقال الوزير للحيص بيص

وما درى أن نومي حيلة نصبت * لطيفه حين أعيا اليقظة الحيل

(ومما يشاكل ذلك) ما اتفق للوزير القوصي وقد أنشد ابن المرصص بيتين بين يديه نظمهما في جارية حسناء كاملة المعاني والاوصاف وزعم انه لا ثالث لهما وهما

تبدت فهذا البدر منكسف بها * وحقك مثلي في دجى الليل حائر
وماست فشق الغصن غيظا ثيابه * ألست ترى أوراقه تتناثر

فأطرق الوزير يسيرا وقال

وفاحت فألقى العود في النار نفسه * كذا نقلت عنه الحديث المجامر

وقالت فغار الدر واصفر لونه * كذلك ما زالت تغار الضرائر

وكان في المجلس النواجي الشاعر فأنشد ارتجالا

وغنت فظل الجنك يطرق نفسه * وجادت لها بالروح منها المزامر
ومن لحظها الهندي في غمده اختفى * وظبي الفلا في لفتة وهو نافر
ومن وجنتيها الورد راح بخجلة * ألست تراه أحمرا وهو فاتر
ومن ريقها الصهبا شكت نار شوقها * فاطفأها بالماء ساق مسامر

ومستخبر عنا يريد بنا الردى * ومستخبرات والعيون سواكن

وقال محمد بن هرون

كأني باخواني على جنب حفرتي * يهيلون فوقي والعيون دما تجري

فيا أيها المذري على دموعه * ستعرض في يومين عني وعن ذكري

عفا الله عني انزل القبر ثاويا * ازار فلا ادري وأجفى فلا أدري

وكان يزيد الرقاشي يقول من كان الموت موعده والقبر بيته والثرى مسكنه والدود أنيسه وهو مع هذا ينتظر الفزع الاكبر كيف تكون حالته ثم يبكي حتى يغشى عليه فيجب على العاقل أن يحاسب نفسه بنفسه على مافرط من عمره ويستعد لعاقبة أمره بصالح العمل ولا يغتر بالامل فان من عاش مات ومن مات فات وكل ماهو آت آت نسأل الله أن يلهمنا رشدنا ويوفقنا الاتباع أوامره واجتناب نواهيه وأن يجعل الموت خير غائب ننتظره وأن يختم لنا بالخير وأن يتغمدنا برحمته انه على مايشاء قدير وبالاجابة جدير وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب الثاني والثمانون في الصبر والتأسي والتعازي والمراثي ونحو ذلك وفيه فصول﴾

﴿الفصل الاول في الصبر﴾ قال الله تعالى وبشر الصابرين الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون وقال صلى الله عليه وسلم مامن مسلم يصاب بمصيبة وان قل عهدها فاحدث استرجاعا الا أحدث الله له مثله وأعطاه مثل أجره ذلك يوم أصيب بها وعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصبح حزينا أصبح ساخطا على ربه ومن أصبح يشكو مصيبته فكانما يشكو الله ومن تواضع لغني سأله مافي يده أحبط الله ثلثي عمله ومن أعطى القرآن ولم يعمل به وتهاون به حتى دخل النار أبعده الله عن رحمته لانه هو الذي فعل ذلك بنفسه حيث لم يعرف حرمة القرآن * وروى عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من مات له ثلاثة من الولد لم يلج النار الا تحلة القسم يعني قوله تعالى وان منكم الا واردها وعن أم سلمة رضي الله تعالى عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أصيب بمصيبة فقال كما أمر الله انا لله وانا اليه راجعون اللهم أوجرني في مصيبتي وأعقبني خيرا منها الا فعل الله به ذلك وروى أنه لما مات ابراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذرفت عيناه فقال له عبد الرحمن بن عوف يارسول الله ألم تنه عن البكاء قال انما نهيت عن الغناء والصوتين الاحمقين والندب ولكن هذه رحمة جعلها الله تعالى في قلوبنا ومن لا يرحم لا يرحم فان القلب يخشع والعين تدمع وانا بك يا ابراهيم لمحزونون ولا نقول الا ما يرضي الله ربنا انا لله وانا اليه راجعون وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أول شئ كتبه الله في اللوح المحفوظ انني أنا الله لا اله الا أنا محمد عبدي ورسولي من استسلم لقضائي وصبر على بلائي وشكر نعمائي كتبته صديقا وبعثته مع الصديقين ومن لم يستسلم لقضائي ولم يصبر على بلائي ولم يشكر نعمائي فليتخذ ربا سوائي وقال ابن المبارك ان

المصيبة

﴿ذكر ابن شاكر الكتبي﴾ في تاريخه في ترجمة شمس الدين بن عفيف الدين التلمساني أن جماعة من أهل الادب اجتمعوا وعملوا سماعا وفيهم غلمان حسان فبعثوا منهم غلاما مليحا الى الشيخ عفيف الدين يطلبون شمس الدين للحضور فلما جاء الرسول كتب عفيف الدين على يده

أرسلتمالي رسولا في رسالته * حلو المراشف والاعطاف والهيف

وقد تمادى يسيرا اذ أتاك أتكا * أوقد تما النار في أحشاء ذي دنف

فلما حضر والده شمس الدين وأخبره بالقضية كتب الى ولده

مولاي كيف انثنى عنك الرسول ولم * تكن لوردة خديه بمقتطف

جاءتك من بحر ذاك الحسن لؤلؤة * فكيف ردت بلا ثقب الى الصدف

(ومما نقلته من التاريخ المذكور) ان علية بنت المهدي العباسية أخت أمير المؤمنين هرون الرشيد كانت من أحسن خلق الله وجها وأظرف النساء وأعقلهن ذات صيانة وأدب بارع تزوجها موسى بن عيسى العباسي وكان الرشيد يبالغ في اكرامها واحترامها ولها ديوان شعر عاشت خمسين سنة وتوفيت سنة عشر ومائتين وكان سبب موتها أن المأمون سلم عليها وضمها الى صدره وجعل يقبل رأسها ووجهها مغطى فشرقت من ذلك وماتت بعد أيام يسيرة وكانت تتغزل بشعرها في خادمين اسم الواحد طل والآخر رشاء فمن قولها في طل وصحفت اسمه

أيا سروة البستان طال تشوقي * فهل لي الى ظل لديك سبيل

متى يلتقي من ليس يقضى خروجه * وليس لمن يهوى اليه وصول

فبلغ الرشيد ذلك فحلف أنها لا تذكره أبدا ثم تسمع عليها الرشيد يوما فوجدها وهي تقرأ في آخر سورة البقرة حتى بلغت قوله تعالى فان لم يصبها وابل فقالت فان لم يصبها وابل فالذي نهى عنه أمير المؤمنين فدخل الرشيد وقبل رأسها وقال لها قد وهبتك طلا ولا منعتك بعد هذا عما تريدين وكانت من أعف الناس كانت اذا طهرت لازمت المحراب وان لم تكن طاهرة غنت ولما خرج الرشيد الى الري أخذها معه فلما وصل الى المرج نظمت قولها

ومغترب بالمرج يبكي لشجوه * وقد غاب عنه المسعدون على الحب

اذا ما أتاه الركب من نحو أرضه * تنشق يستشفي برائحة الركب

وغنت بهما فلما سمع الرشيد الصوت علم أنها قد اشتاقت الى العراق وأهلها فأمر بردها ومن شعرها

اني كثرت عليه في زيارته * فمل والشئ مملول اذا كثرا

ورابني منه أني لا أزال أرى * في طرفه قصرا عني اذا نظرا

انتهى ﴿لطيفة﴾ يحكى أن عبد الملك بن مروان جمع عمر بن أبي ربيعة وكثير عزة وجميل بثينة وأحضر لديه ناقة موقرة دراهم وقال ينشد كل واحد منكم بيتا في الغزل فأيكم كان أبدع فهي له بما عليها فقال جميل

ولو أن راقي الموت يرقي جنازتي * بمنطقها في العالمين حييت

وقال كثير

وسعى الي بعيب عزة نسوة * جعل الاله خدودهن نعالها

وقال عمر بن أبي ربيعة

فليت الثريا في المنام ضجيعتي * لدى الجنة الخضراء أو في جهنم

فقال له عبد الملك

خذها يا صاحب جهنم والثريا هي بنت علي بن عبد الله الاموية تزوجها سهل بن عبد الرحمن بن عوف الزهري فقال فيه عمر

أيها المنكح الثريا سهيلا * عمرك الله كيف يلتقيان
هي شامية اذا ما استقلت * وسهيل اذا استقل يماني

وكان يتشبب بذكرها كثيرا (حكي) أنها واعدته يوما فجاءت في الوقت الذي وعدته به فصادفت أخاه الحرث قد نام مكانه فلم يشعر الحرث الا والثريا قد ألقت نفسها عليه فانتبه وجعل يقول أعزبي عني فلست بالفاسق أخزاكما الله فانصرفت فلما جاء عمر أخبره الحرث بذلك فاغتم لفواتها وقال له أيم الله لا تمسك أبدا وقد ألقت نفسها عليك فقال له الحرث عليك وعليها لعنة الله ومات عمر بعد أن تاب وأحسن التوبة وقد عاش ثمانين سنة و يقال انه تغزل أربعين سنة وتنسك أربعين سنة رحمه الله تعالى * روي أنه عرضت جارية على الرشيد ليشتريها فطلب بها البائع مبلغا جليلا فقال الرشيد أنا أعرض عليها بيتا ان أجابت عنه أعطيتك ما تقول وزدتك والتفت اليها وقال

* ماذا تقولين فيمن شفه أرق * من أجل حبك حتى صار حيرانا

فقالت بديها

اذا رأينا محبا قد أضر به * أمر الصبابة أوليناه احسانا

فأعجبه جوابها واشتراها (ومن اللطائف) ما حكي عن الشيخ يحيي السالحي انه لما قدم دمشق الشأم وقرأ في الجامع الأموي نظر الى غلام بديع الجمال فوقع حبه في قلبه فافتتن به فسأل عنه فأخبر عن أبيه وكان ممن يتردد الى الشيخ فاجتمع معه وقال له لم لا تحضر ولدك يتعلم عندي العلم فقال له انه يحضر علم الحساب عند بعض المشايخ فقال أنا أقرأ قبل شيخه فاذا حضر عندي يكون محصلا للفضيلتين فاجابه لذلك وأمر ابنه بما ذكر فتوجه الغلام عند الشيخ يحيي فأجلسه بجانبه وأطال القراءة في ذلك اليوم أكثر من الايام الماضية فلما انقضى الدرس وأراد الغلام الانصراف لقراءة علم الحساب دفع له الشيخ يحيي رقعة وقال ادفعها الى شيخك فلما حضر قال له ما أبطأك عن الحضور فأخبره بالقصة ودفع له الرقعة فاذا فيها

ياجاعلا علم الحساب وسيلة * تصطاد فيه فائت الالباب
ان كنت في علم الحساب رزقته * فالله يرزقنا بغير حساب

فكتب له على ظهر الرقعة وأمره أن لا يحضر عنده بعدها فأخذ الغلام الرقعة ودفعها للشيخ يحيي فاذا فيها

طوت به ظبيا غريرا مهفهفا * ومذ صار تيسا بعته للسالحي

(ومما نقلته) أن أحد أمراء العرب كان عنده جماعة من أجلاء العرب فقام صاحب المنزل الى الطهارة وعاد وهو قابض بيده على شيء من تحت ثوبه كهيئة المستبرئ من البول ودخل على الجماعة وهو على تلك الصفة وقال من يأخذ الذي بيده الى زوجته فأطرق القوم خجلا فقام رجل منهم وقال زوجتي أولى به يا أمير العرب فأطلق الامير يده وقال هو لك خذه واذا بعقد جوهر في يده فبهت القوم وحسدوا الرجل فقال الامير للرجل ما أجرأك على ذلك قال ثقتي انه لا يظهر منك الا الكمال فدفع له ألف دينار (ذكر ابن خلكان)

المصيبة واحدة فاذا جزع صاحبها فهما اثنتان لان احداهما المصيبة بعينها والثانية ذهاب أجره وهو أعظم من المصيبة وعن العلاء بن عبد الرحمن أن النبي صلى الله عليه وسلم لما حضرته الوفاة بكت فاطمة فقال لا تبكي يا بنتاه قولي اذا مت انا لله وانا اليه راجعون فان لكل انسان مصيبة معوضة قالت ومنك يا رسول الله قال ومني وعن عطاء بن رباح قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصابته مصيبة فليذكر مصيبته بي فانها من أعظم المصائب وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنه قال من أخذت حبيبتاه يعني عينيه فصبر واحتسب أدخله الله الجنة وقيل ان امرأة أيوب عليه الصلاة والسلام قالت له لو دعوت الله تعالى أن يشفيك فقال لها ويحك كنا في النعماء سبعين عاما أفلا نصبر على الضراء مثلها فلم يلبث الا يسيرا أن عوفي وقيل الصبر مفتاح الظفر والتوكل على الله تعالى رسول النجاح وقيل من لم يلق نوائب الدهر بالصبر طال عتبه عليه * وقيل ان معاوية رضي الله تعالى عنه خرج يوما ومعه عبد العزيز بن زرارة الكلابي وكان ذا منصب وشرف وعقل وأدب فقال له معاوية يا عبد العزيز أتاني نعي سيد شباب العرب فقال له ابني أو ابنك قال بل ابنك قال للموت تلد الوالدة ومما قيل اصبر لحكم من لا تجد معولا الا عليه ولا مفزعا الا اليه وقال سويد السدوسي

فأوصيكما يا ابني سدوس كلاكما * بتقوى الذي أعطاكما وبراكما
بشكر اذا ما أحدث الله نعمة * وصبر لامر الله فيما ابتلاكما

(وقال)

أيا صاحبي ان رمت أن تكسب العلا * وترقى الى العلياء غير مزاحم
عليك بحسن الصبر في كل حالة * فما صابر فيما يروم بنادم

(وقال آخر)

هو الدهر قد جربته وبلوته * فصبرا على مكروهه وتجلدا

وحدث الزبير قال قامت عائشة بعد ما دفن أبوها أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه فقالت نضر الله وجهك وشكر صالح سعيك فقد كنت للدنيا مذلا بادبارك عنها وللآخرة معزا باقبالك عليها ولئن كان رزؤك أعظم المصائب بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكبر الاحداث بعده فان كتاب الله قد وعدنا بالثواب على الصبر في المصيبة وأنا تابعة له في الصبر فأقول انا لله وانا اليه راجعون ومستعيضة بأكثر الاستغفار لك فسلام الله عليك توديع غير قالية لحياتك ولا رازئة على القضاء فيك (ولما) مات ذر الهمداني جاء أبوه فوجده ميتا وكان موته فجأة وعياله يبكون عليه فقال مالكم والله ما ظلمناه ولا قهرناه ولا ذهب لنا بحق ولا أصابنا فيه ما أخطأ من كان قبلنا في مثله ولما وضعه في حفرته قال رحمك الله يا بني وجعل أجري فيك لك والله ما بكيت عليك وانما بكيت لك فوالله لقد كنت بي بارا ولي نافعا وكنت لك محبا ومابي اليك من وحشة ومابي الى أحد غير الله من فاقة وما ذهبت لنا بعزة وما أبقيت لنا من ذل ولقد شغلنا الحزن لك عن الحزن عليك يا ذر لولا هول المطلع لتمنيت ما صرت اليه فليت شعري ماذا قلت وماذا قيل لك ثم رفع رأسه الى السماء وقال اللهم انك وعدت الصابرين

في تاريخه في ترجمة يحيى بن أكثم ما نصه رأيت في بعض المجاميع أنه أي يحيى بن أكثم مازح الحسن بن وهب وهو يومئذ صبي ثم جمشه فغضب
الحسن فأنشد يحيى أيا قمراً جمشته فتغضبا * وأصبح لي من تيهه متجنبا   اذا كنت للتجميش والعض كارها * فكن أبدا ياسيدي متنقبا
ولا تظهر الاصداغ للناس فتنة * وتجعل منها فوق خديك عقربا   فتقتل مشتاقا وتفتن ناسكا * وتترك قاضي المسلمين معذبا
(قال صاحب التالد والطريف) أنشد الشيخ أبو اسحق الشيرازي امام الشافعية لنفسه   جاء الربيع وحسن ورده * ومضى الشتاء وقح برده
فاشرب على وجه الحبيب * ووجنتيه وحسن خده   قال ابن السمعاني قال لي المظفر شعيب بن الحسين القاضي أنشدني الشيخ أبو
اسحق الشيرازي هذين البيتين لنفسه ثم بعد مدة كنت جالسا عند الشيخ فذكر بين يديه ان هذين البيتين أنشدا عند القاضي عين الدولة
حاكم صور بلد على ساحل بحر الروم

فقال لغلامه أحضر ذلك الشاب يريد الشراب فقد أفتانا به الامام أبو اسحق فبكى
الشيخ ودعا على نفسه وقال ليتني لم أقل هذين البيتين ثم قال لي كيف تردهما من أفواه الناس فقلت ياسيدي هيهات قد سارت بهما الركبان أورد ذلك ابن النجار في تاريخه واسمه محمد ويلقب محب الدين انتهى (لطيفة) حكى الصفدي رحمه الله بالوافي بالوفيات أن أبا الحسين الجزار رحمه الله تعالى سأله طلبته يوما التنزه فقالوا له ياسيدي أنت أجدر بشراء اللحم منا فتقدم للجزار وأطلعه من مكانه ووقف هو وأخذ السكين وقطع قطعا ثم انه قطع قطعة رديئة فقالوا له ياسيدي هذه ليست جيدة فقال الشيخ معتذرا والله يا أولادي لما وقفت خلف القرمة أدركني لؤم الجزارين (قصد) ابن عيينة قبيصة المهلبي واستماحه فلم يسمح له بشيء فانصرف مغضبا فتوجه اليه داود بن زيد بن حاتم فترضاه وأحسن اليه فقال في ذلك
داود محمود وأنت مذمم * عجبا لذاك وأنتما من عود   ولرب عود قد يشق لمسجد * نصفا وباقيه لحش يهودي
فالحش له أنت وذاك لمسجد * كم بين موضع مسلح وسجود   (وله هجاء في خالد) أبوك لنا غيث نعيش بوبله * وأنت جراد لست تبقي ولا تذر
له أثر في المكرمات يسرنا * وأنت تعفي دائما ذلك الاثر   (ولما قتل) جعفر بن يحيى بكى عليه أبو نواس فقيل له أتبكي على جعفر
وأنت هجوته فقال كان ذلك لركوبه الهوى وقد بلغه والله اني قلت   ولست وان أطنبت في وصف جعفر * بأول انسان خرى في ثيابه
فكتب يدفع اليه عشرة آلاف درهم يغسل بها ثيابه (ودخل) أبو دلامة على المهدي وعنده اسمعيل ابن علي وعيسى بن موسى والعباس بن
محمد وجماعة من بني هاشم فقال له المهدي والله ان لم تهج واحدا ممن في هذا البيت لاقطعن لسانك فنظر الى القوم وتحير في أمره وجعل ينظر
الى كل واحد فيغمزه بأن عليه رضاه قال أبو دلامة فازددت حيرة فما رأيت أسلم لي من أن أهجو نفسي فقلت

على المصيبة ثوابك ورحمتك اللهم وقد وهبت ما جعلت لي من الاجر الى ذرصلة مني له فلا تحرمني ولا تعرفه قبيحا
وتجاوز عنه فانك رحيم بي وبه   اللهم قد وهبت لك اساءته لي فهب لي اساءته اليك فانك أجود مني وأكرم
اللهم انك قد جعلت لك عليه حقا وجعلت لي عليه حقا قرنته بحقك فقلت اشكر لي ولوالديك الي المصير   اللهم
اني قد غفرت له ما قصر فيه من حقي فاغفر له ما قصر فيه من حقك فانك أولى بالجود والكرم   فلما أراد الانصراف
قال ياذر قد انصرفنا وتركناك ولو أقمنا عندك ما نفعناك * وفي الحديث اذا مات ولد العبد يقول الله تعالى
للملائكة ماذا قال عبدي عند قبض روح ولده وثمرة فؤاده فيقولون الهنا حمدك واسترجع فيقول الله تعالى
أشهدكم يا ملائكتي أني بنيت له بيتا في الجنة وسميته بيت الحمد   وعن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما
أنه دفن ابنا له وضحك عند قبره فقيل له أتضحك عند القبر قال أردت أن أرغم أنف الشيطان فينبغي للعبد أن
يتفكر في ثواب المصيبة فتسهل عليه فاذا أحسن الصبر استقبله يوم القيامة ثوابها حتى يود لو أن أولاده وأهله
وأقاربه ماتوا قبله لينال ثواب المصيبة وقد وعد الله تعالى في المصيبة ثوابا عظيما اذا صبر صاحبها واحتسب وقال
تعالى ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين   وقال تعالى ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع
ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين الآية اللهم رضنا بقضائك وصبرنا على بلائك واغفر
لنا ولوالدينا ولكل المسلمين يارب العالمين

(الفصل الثاني من هذا الباب في التعازي والتأسي) روى الترمذي في كتاب السنن للبيهقي عن عبد الله
ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من عزى مصابا فله مثل أجره وروينا في كتاب الترمذي أيضا
بسند متصل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من عزى ثكلى كسي بردا في الجنة وروينا في سنن ابن ماجه
والبيهقي باسناد حسن عن عمرو بن حزم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من مؤمن يعزي أخاه بمصيبته
الا كساه الله من حلل الكرامة يوم القيامة (واعلم) ان التعزية هي التصبير وذكر ما يسلي صاحب
الميت ويخفف حزنه ويهون مصيبته وهي مستحبة فانها مشتملة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهي
أيضا داخلة في قوله تعالى وتعاونوا على البر والتقوى وهي من أحسن ما يستدل به في التعزية وثبت في الصحيح
أن النبي صلى الله عليه وسلم قال والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه * واعلم أن التعزية مستحبة
قبل الدفن وبعده وتكره بعد ثلاثة أيام لان التعزية لتسكين قلب المصاب والغالب سكونه بعد ثلاثة أيام
فلا يجدد الحزن هكذا قال الجماهير من أصحاب الشافعي رضي الله تعالى عنه وقيل انها لا تفعل بعد ثلاثة أيام
الا في صورتين وهما اذا كان المعزي أو صاحب المصيبة غائبا حال الدفن فتتفق رجوعه بعد الثلاثة وأما لفظ
التعزية فلا حجر فيه فبأي لفظ عزاه حصلت واستحب أصحاب الشافعي أن يقول في تعزية المسلم بالمسلم عظم
الله أجرك وأحسن عزاءك وغفر لميتك وفي المسلم بالكافر أعظم الله أجرك وأحسن عزاءك وفي الكافر
بالكافر

بالكافر أخاف الله عليك ولا نقص لك عددا وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم فقد بعض أصحابه فسأل عنه فقالوا يارسول الله بنيه الذي رأيته هلك فلقيه النبي صلى الله عليه وسلم فسأل عن بنيه فقال يارسول الله هلك فعزاه فيه ثم قال يافلان أيما كان أحب اليك أن تتمتع به عمرك أولا تأتي غدا بابا من أبواب الجنة الا وجدته وقد سبقك اليه فيفتحه لك فقال يارسول الله يسبقني الى باب الجنة أحب الى من التمتع به في دار الدنيا قال ذلك لك وروى البيهقي باسناده في مناقب الشافعي رحمه الله أن الشافعي قد بلغه أن عبد الرحمن بن مهدي مات له ابن فجزع عليه جزعا شديدا فبعث اليه الشافعي رحمه الله يقول يا أخي عز نفسك بما تعزي به غيرك واستقبح من نفسك ما تستقبحه من غيرك واعلم ان أمض المصائب فقد سرور وحرمان أجر فكيف اذا اجتمعا مع اكتساب وزر ألهمك الله عند المصائب صبرا وأجزل لنا ولك بالصبر أجرا وروى عن ابن المبارك قال مات لي ابن فربي مجوسي وقال ينبغي للعاقل أن يفعل اليوم ما يفعله الجاهل بعد خمسة أيام فقال اكتبوها منه وعن معاذ بن جبل أنه قال مات لي ابن فكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى معاذ بن جبل سلام عليكم فاني أحمد الله الملك الذي لا اله الا هو أما بعد فعظم الله لك الاجر وألهمك الصبر ورزقنا واياك الشكر ثم اعلم ان أنفسنا وأموالنا وأهلنا وأولادنا من مواهب الله تعالى الهنية وعواريه المستودعة يمتعنا بها الى أجل معدود ويقبضها لوقت معلوم ثم فرض الله تعالى علينا الشكر اذا أعطى والصبر اذا ابتلى وكان ابنك من مواهب الله الهنية وعواريه المستودعة متعك الله به في غبطة وسرور وقبضه بأجر كبير ان صبرت واحتسبت فاصبر واحتسب واعلم أن الجزع لا يرد ميتا ولا يطرد حزنا وروى أن أبا بكر رضي الله تعالى عنه كان اذا عزى امرأ قال ليس مع العزاء مصيبة ولا مع الجزع فائدة والموت أشد مما قبله وأهون مما بعده فاذكر مصيبتك برسول الله صلى الله عليه وسلم تهن عليك مصيبتك وعزى الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه صديقا له فقال

انا نعزيك لا أنا على ثقة * من الحياة ولكن سنة الدين

فما المعزى بباق بعد ميته * ولا المعزى ولو عاشا الى حين

وكتب بعضهم الى أخ له يعزيه أنت يا أخي أعزك الله عالم بالدنيا وما خلقت له من الفناء وانها لم تعط الا أخذت ولم تسر الا أحزنت وان الموت سبيل محتوم على الأولين والآخرين لا دافع عنه ولا مؤخر لما قضى الله عز وجل منه وانا لله وانا اليه راجعون * وعزى رجل بعض الخلفاء بابن له فكتب اليه يقول

تعز أمير المؤمنين فانه * لما قد ترى يغدو الصغير ويولد

هل الابن الا من سلالة آدم * لكل على حوض المنية مورد

وكتب بعضهم الى صديق له وقد ماتت ابنته فقال

الموت أخفى سوأة للبنات * ودفنها يروى من المكرمات

أما رأيت الله سبحانه * قد وضع النعش بجنب البنات

وكتب بعضهم الى صديق له يعزيه بأخيه ويسليه ما تصنع يا أخي والقضاء نازل والموت حكم شامل وان لم تلذ بالصبر فقد اعترضت على مالك الأمر وأنت تعلم أن نوائب الدهر لا تدفع الا بعزائم الصبر فاجعل بين هذه اللوعة الغالبة والدمعة الساكبة حاجبا من فضلك وحاجزا من عقلك ودافعا من دينك ومانعا من يقينك فان المحن اذا لم تعالج بالصبر كانت كالمنح اذا لم تقابل بالشكر فصبرا صبرا ففحول الرجال لا تستفزها الأيام بخطوبها كما أن متون الجبال لا تهزها العواصف بهبوبها فعزيز على أن أخاطب مولاي معزيا وأكاتبه مسليا عن كبير أو صغير مما يتعلق بخدمته أو ينتمي الى جملته فكيف بالصنو الاكرم والذخر الاعظم والركن الاشد والسهم الاسد والشهاب الاسطع والحسام الاقطع لكن التعزية سير سائرة وسنة ماضية غابرة وقدر الله هو المقدر وأجل الله اذا جاء لا يؤخر ولو أن الذكرى تنفع والتعزية يستوي فيها الاشرف والاوضع لاجللت مولاي أن أفاتحه معزيا وأخاطبه مسليا ولكن بحمد الله العالم لا يعلم والسابق لا يتقدم فبمولاي يقتدى في الصبر على النوائب وبنوره يهتدى في مشكلات المذاهب وكل ما كان من الرزء أوجع كان الاجر عليه أوسع جعل الله مولاي من الصابرين على المصيبة وأعظم أجره وجعل الجنة نصيبه * وعزى رجل فتى عن أبيه فلم يجده كما أحب فقال يابني سوء الخلف أضر علينا من فقد السلف * ومات

ألا أبلغ لديك أبا دلامة
فلست من الكرام ولا كرامه
جمعت دمامة وجمعت لؤما
كذاك اللؤم تتبعه الدمامه
اذا لبس العمامة قلت قرد
وخنزير اذا نزع العمامه
فضحك القوم ولم يبق منهم أحد الا أجازه (وكان) لاعرابي امرأتان فولدت احداهما جارية والأخرى غلاما فرقصته أمه يوما وقالت معيرة لضرتها
الحمد لله الحميد العالى
أنقذني اليوم من الجوالى
من كل شوهاء كشن بالى
لا تدفع الضيم عن العيال
فسمعتها ضرتها فاقبلت ترقص ابنتها وتقول
وما على ان تكون جاريه
تغسل رأسي وتكون الفاليه
وترفع الساقط من خماريه
حتى اذا ما بلغت ثمانيه
أزرتها بنقبة يمانيه
أنكحتها مروان أو معاويه
أصهار صدق ومهور غاليه
قال فسمعها مروان فتزوجها على مائة ألف مثقال وقال ان أمها حقيقة أن لا يكذب ظنها ولا يخان عهدها فقال معاوية لولا مروان سبقنا اليها لاضعفنا لها المهر ولكن لا نحرم الصلة فبعث اليها بمائة ألف درهم (قيل) ان رجلا قال لولده وهو في المكتب في أي سورة أنت فقال لا أقسم بهذا البلد والدى بلا ولد فقال لعمري من كنت ولده فهو بلا ولد (وأرسل) رجل ولده يشتري له رشاء للبئر طوله عشرون ذراعا فوصل الى نصف الطريق ثم رجع فقال يا أبت عشرون ذراعا في عرض كم قال في عرض مصيبتي فيك يابني (وكان لرجل من الاعراب ولد اسمه حمزة) فبينما هو يوما يمشي مع أبيه اذا برجل يصيح بشاب ياعبد

لبعض ملوك كندة ابنة فوضع بين يديه بدرة من المال وقال من بالغ فى تعزيته فهى له فدخل عليه اعرابى وقال عظم الله أجر الملك كفيت المؤنة وسترت العورة ونعم الصهر القبر فقال قد أبلغت وأوجزت ثم دفعها له *وعزت اعرابية قوما فقالت جافى الله عن ميتكم الثرى وأعانه على طول البلى وآجركم ورحمه *وكان لعلى ابن الحسين جليس مات له ابن فجزع عليه جزعا شديدا فعزاه على بن الحسين رحمه الله ووعظه فقال يا ابن رسول الله ان ابنى كان مسرفا على نفسه فقال لا تجزع فان من ورائه ثلاث خلال أولهن شهادة أن لا اله الا الله وأن سيدنا محمدا رسول الله والثانية شفاعة جدى صلى الله عليه وسلم والثالثة رحمة الله التى وسعت كل شئ فأين يخرج ابنك عن واحدة من هذه الخلال وقال سليمان بن عبد الملك عند موت ابنه لعمر بن عبد العزيز ورجاء بن حيوة ان فى كبدى جمرة لا يطفئها الا عبرة فقال عمر اذكر الله يا أمير المؤمنين وعليك بالصبر فنظر الى رجاء كالمستريح بمشورته فقال رجاء أفضها يا أمير المؤمنين فما بذلك من بأس لقد دمعت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابنه ابراهيم وقال ان العين لتدمع وان القلب ليخشع ولا نقول ما يسخط الرب وانا بك يا ابراهيم لمحزونون فارسل سليمان عينيه حتى قضى أربه ثم أقبل عليهم وقال لولا نزفت هذه العبرة لانصدع كبدى ثم انه لم يلبث بعدها *وكتب الاسكندر الى أمه قبل وفاته بقليل اذا وصل اليك كتابى هذا فاجمعى أهل بلدك وأعدى لهم طعاما ووكلى بالأبواب من يمنع من أصابته مصيبة فى أم أو أب أو أخ أو أخت أو ولد ففعلت فلم يدخل اليها أحد فعلمت أن الاسكندر عزاها فى نفسه * ولما قتل الفضل بن سهل دخل المأمون على أمه يعزيها فيه فقال لها يا أماه لا تحزنى على الفضل فانا خلف منه فقالت كيف لا أحزن على ولد عوضنى عنه خليفة مثلك فعجب المأمون من جوابها وكان يقول ما سمعت قط أحسن منه ولا أجلب للقلوب فقال لها عليك بالصبر فان فيه مزيد الاجر *وممن جزع على ولده جعفر بن علبة لما قتله الحرث قام نساء الحى يبكون عليه وقام أبوه الى ولد كل شاة وناقة فذبحه وألقاها بين أيديها وقال لها ابكين معى على جعفر فما زالت النوق ترغو والشياه تيعر والنساء يصرخن ويبكين وهو يبكى معهن فلم ير مأتم كان أوجع منه *وقال يحيى بن خالد التعزية بعد ثلاثة أيام تجديد الحزن والتهنئة بعد سنة تجديد الفرح *(ومما قيل فى التأسى والتسلى بالخلف عن السلف)* قيل عزى بعض الشعراء يزيد بن معاوية فى والده فقال

اصبر يزيد فقد فارقت ذا ثقة * واشكر الهك من بالملك حاباكا

لا رزء أصبح فى الايام نعرفه * كما رزئت ولا عقبى كعقباكا

(وقال آخر) لابد من فقد ومن فاقد * هيهات ما فى الناس من خالد

(وقال آخر) تبصر فلو أن البكا رد هالكا * على أحد فاكثر بكاك على عمر

وكتب بعضهم الى أولاد صديقه يعزيهم ويسليهم فى والدهم فقال

فلو كان فيض الدمع ينفع باكيا * لعلمت غرب الدمع كيف يسيل

فان غاب بدر فالنجوم طوالع * ثوابت لا يقضى لهن أفول

يغاث بها فى ظلمة الليل حائر * ويسرى عليها بالرفاق دليل

(ودخل) عبد الملك بن صالح على الرشيد وقد مات له ولد وولد له فى تلك الليلة ولد فقال سرك الله يا أمير المؤمنين فيما ساءك ولا ساءك فيما سرك وجمع لك بين أجر الصابر وثواب الشاكر وقال بعضهم

أليس لهذا صار آخر أمرنا * فلا كانت الدنيا القليل سرورها

فلا تعجبى يا نفس مما ترينه * فكل أمور الناس هذا مصيرها

وسئل الاصمعى عن قول الخنساء فى نعيها صخرا حين مات ونعته فقالت

يذكرنى طلوع الشمس صخرا * وأندبه لكل غروب شمس

فقالوا له لماذا انها خصت الشمس دون القمر والكواكب فقال لكونه كان يركب عند طلوع الشمس يشن الغارات وعند غروبها يجلس مع الضيفان فذكرته بهذا مدحا لانه كان يغير على أعدائه ويقيد بضيفه وقدرته بعد البيت الأول بأبيات منها

ألا يا نفس لا تنسيه حتى * أفارق عيشى وأزور رمسى * ولولا كثرة الباكين حولى

الله فلم يجبه ذلك الشاب فقال ألا تسمع فقال يا عم كلنا عبيد الله فاى عبد الله تعنى فالتفت أبو حمزة اليه وقال يا حمزة فقال حمزة ابن الاعرابى كلنا حمايز الله فاى حمزة تعنى فقال أبوه أعنيك يامن أخمد الله به ذكر أبيه *(ويعجبنى قول الصفدى)*

لولا شفاعة شعره فى صبه

ما كان زار ولا أزال سقاما

لكن تنازل فى الشفاعة عنده

وغدا على أقدامه يترامى

(وقال ابن الصائغ)

ثنى غصنا ومد عليه فرعا

كحظى حين أطلب منه وصلا

وبلبله على الارداف منه

فلم أر مثل ذاك الفرع أصلا

(وقول الآخر)

بدت ثريا قرصها وشعرها

متصل بكعبها كما ترى

يا عجبا لشعرها لما ابتدى

من الثريا فانتهى الى الثرى

(وقول ابن نباتة)

وبمهجتى رشأ يميس قوامه

فكأنه نشوان من شفتيه

شغف العذار بخده ورآه قد

نعست لواحظه فدب عليه

(وقوله أيضا مضمنا)

وضعت سلاح الصبر عنه فماله

يغازل بالالحاظ من لا يغازله

وسال عذار فوق خديه سائل

على خده فليتق الله سائله

(ولبعضهم فى ذم العذار)

غدا لما التحى ليلا بهيما

وكان كأنه قمر منير

وقد كتب السواد بعارضيه

ألم يقرأ وجاءكم النذير

(ولآخر)

ما زال ينتف ريحانا بعارضه

حتى استطال عليه صار يحلقه

كأنما طور سينا فوق عارضه

طول الزمان فموسى لا يفارقه

على أمواتهم لقتلت نفسي * وما يبكون مثل أخي ولكن * أسلي النفس عنه بالتأسي

(وقال آخر) ولولا الأسى ما عشت في الناس ساعة * ولكن اذا ناديت جاوبني مثلي

(وقال آخر) وهون وجدي عن خليلي انني * اذا شئت لاقيت الذي أنا صاحبه

(وقال آخر) ومما يؤديني الى الصبر والعزا * تردد فكري في عموم المصائب

(الفصل الثالث في المراثي) لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم رثاه جماعة من أصحابه وآله بمراث كثيرة فمنها ما روي عن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه فانه كان أقرب الناس اليه وهو أول من رثاه فقال

لما رأيت نبينا متجدلا * ضاقت علي بعرضهن الدور * فارتاع قلبي عند ذاك لموته

والعظم مني ما حييت كسير * أعتيق ويحك ان خلك قد ثوى * والصبر عندك ما بقيت يسير

ياليتني من قبل مهلك صاحبي * غيبت في لحد عليه صخور

فلتحدثن بدائع من بعده * تعيا بهن جوانح وصدور

(وقال آخر)

فقدت أرضنا هناك نبيا * كان يغدو به النبات زكيا * خلقا ماليا ودينا كريما

وصراطا يهدي الأنام سويا * وسراجا يجلو الظلام منيرا * ونبيا مؤيدا اعربيا

حازما ماجدا حليما كريما * عائدا بالنوال برا تقيا * ان يوما أتى عليك ليوم

كورت شمسه وكان جليا * فعليك السلام منا جميعا * دائم الدهر بكرة وعشيا

ورثاه صلى الله عليه وسلم أبو سفيان بن الحرث فقال

أرقت فبات ليلي لا يزول * وليل أخي المصيبة فيه طول * وأسعدني البكاء وذاك فيما

أصيب المسلمون به قليل * لقد عظمت مصيبتنا وجلت * عشية قيل قد قبض الرسول

وأضحت أرضنا مما عراها * تكاد بنا جوانبها تميل * فقدنا الوحي والتنزيل فينا

يروح به ويغدو جبرئيل * وذاك أحق ما سالت عليه * نفوس الناس أو كادت تسيل

نبي كان يجلو الشك عنا * بما يوحى اليه وما يقول * ويهدينا فلا نخشى ملاما

علينا والرسول لنا دليل * أفاطم ان جزعت فذاك عذر * وان لم تجزعي فهو السبيل

فقبر أبيك سيد كل قبر * وفيه سيد الناس الرسول

(ولما مات أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه رثاه عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه بهذه الابيات حين رجع من دفنه فقال ذهب الذين أحبهم * فعليك يادنيا السلام

لا تذكرن العيش لي * فالعيش بعدهم حرام * اني رضيع وصالهم * والطفل يؤلمه الفطام

ورثى بعضهم محمد بن يحيى بعد موته فقال

سألت الندى والجود مالي أراكما * تبدلتما عزا بذل مؤبد * وما بال ركن المجد أمسى مهدما

فقالا أصبنا بابن يحيى محمد * فقلت فهلا متما بعد موته * وقد كنتما عبديه في كل مشهد

فقالا أقمنا كي نعزي بفقده * مسافة يوم ثم نتلوه في غد

(وقال آخر) ولا أرتجي في الموت بعدك طائلا * ولا أتقي للدهر بعدك من خطب

(وفي المعنى لبعضهم)

لقد آمنت نفسي المصائب بعده * فأصبحت منها آمنا لا أروعا

فما أتقي للدهر بعدك نكبة * ولا أرتجي للعيش بعدك مرتعا

ورثى أشجع السلمي عبد الله بن سعيد فقال

مضى ابن سعيد حيث لم يبق مشرق * ولا مغرب الا له فيه مادح * وما كنت أدري ما فواضل كفه

على الناس حتى غيبته الصفائح * وأصبح في لحد من الأرض ميتا * وكانت به حيا تضيق الصحاصح

سأبكيك ما فاضت دموعي فان تفض * فحسبك مني ما تكن الجوانح * وما أنا من رزء وان جل جازع

ولا بسرور بعد فقدك فارح * لئن حسنت فيك المراثي بذكرها * فقد حسنت من قبل فيك المدائح

(برهان الدين القيراطي)

شبه السيف والسنان بعيني
من لقتلي بين الانام استحلا
فأبى السيف والسنان وقالا
حدنا دون ذاك حاشا وكلا

(ابن الصائغ)

لمثلي من لواحظها سهام
لها في القلب فتك أي فتك
اذا رامت تشككه فؤادا
يموت المستهام بغير شك

(الصلاح الصفدي)

يا عاذلا لي على عين محجبة
خف سحر ناظرها فالسحر فيه خفي
وخذ فؤادي ودعه نصب مقلتها
لا ترم نفسك بين السهم والهدف

(آخر)

أنفقت كنز مدامعي في ثغره
وجمعت فيه كل معنى شارد
وطلبت منه جزاء ذلك قبلة
فقضى وراح تغزلي في البارد

(عز الدين الموصلي)

كالزرد المنظوم أصداغه
وخده كالورد لما ورد
بالغت في اللثم وقبلته
في الخد تقبيلا يفك الزرد

(ابن نباتة)

انسية في مثال الجن تحسبها
شمسا بدت بين تشريق وتغييم
شقت لها الشمس ثوبا من محاسنها
فالوجه للشمس والعينان للريم

(آخر)

يصدرها كوكبا در كأنهما
ركنان لم يدنسا من لمس مستلم
صانتهما بستور من غلائلها
فالناس في الحل والركنان في الحرم

(الصلاح الصفدي)

تقول له الاغصان مذ هز عطفه
أتزعم ان اللين عندك ما قوي
فقم نحتكم للروض عند نسيمه
ليقضي على من مال منا الى الهوى

(وكأنه ينظر الى قول السراج)

(وقال آخر) الى الله أشكو لا الى الناس انني * أرى الارض تبقى والاخلاء تذهب
أخلاى لو غير الحمام أصابكم * عتبت ولكن ما على الدهر معتب

(وقال العباس بن الاحنف)

اذا ما دعوت الصبر بعدك والبكا * أجاب البكا طوعا ولم يجب الصبر
فان ينقطع منك الرجاء فانه * سيبقى عليك الحزن ما بقى الدهر

(وقال آخر يرثى صديقه)

خليلى ما أزداد الاصبابة * اليك وما تزداد الا تنائيا * خليلى لو نفس فدت نفس ميت
فديتك مسرورا بنفسى وماليا * وقد كنت أرجو ان تعيش وان أمت * فحال قضاء الله دون رجائيا
ألا فليمت من شاء بعدك انما * عليك من الاقدار كان حذاريا

(أخذها بعضهم فقال) كنت السواد لمقلتى * يبكى عليك الناظر
من شاء بعدك فليمت * فعليك كنت أحاذر

(وقال آخر يرثى بعض أولاده)

وقاسمنى دهرى بنى مشاطرا * فلما تقضى شطره عاد فى شطرى * ألا ليت أمى لم تلدنى وليتنى
سبقتك اذ كنا الى غاية نجرى * وقد كنت ذا ناب وظفر على العدا * فأصبحت لا يخشون نابى ولا ظفرى

وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه للخنساء اخبرينى بأفضل بيت قلتيه فى أخيك فقالت

وكنت أعير الدمع قبلك من بكى * فأنت على من مات بعدك شاغله

لابى المحاسن الشواء فى صديق له مات وسقط الثلج عقيب موته

لم أنسه وبنو الملوك امامه * يدمون للاسف الاكف عضاضا
والثلج قد غطى الربا فكانها * من حزنها لبست عليه بياضا

(وقال آخر) وليس صرير النعش ما تسمعونه * ولكنه أصلاب قوم تقصفوا
وليس نسيم المسك ريا حنوطه * ولكنه ذاك الثناء المخلف

(وقال مقاتل بن عطية يرثى الوزير نظام الملك)

كان الوزير نظام الملك لؤلؤة * يتيمة صاغها الرحمن من شرف
عزت ولم تعرف الايام قيمتها * فردها غيرة منه الى الصدف

(وقال آخر) وقبرت وجهك وانصرفت مودعا * بأبى وأمى وجهك المقبور
وأرى ديارك بعد وجهك قفرة * والقبر منك مشيد معمور * فالناس كلهم لفقدك واحد
فى كل بيت رنة وزفير * عجبا لاربع أذرع فى خمسة * فى جوفها جبل أشم كبير

وكان رجل توفى ولده فى يوم عيد فقال

لبس الرجال جديدهم فى عيدهم * ولبست حزن أبى الحسين جديدا * أيسرنى عيد ولم أر وجهه
فيه ألا بعد الذلك عيدا * فارقته وبقيت أخلد بعده * لا كان ذاك بقا ولا تخليدا
من لم يمت جزعا لفقد حبيبه * فهو الخئون مودة وعهودا * مت مع حبيبك ان قدرت ولا تعش
من بعده ذا لوعة مكمودا * ما أم خشف قد ملا أحشاءها * حذرا عليه وجفنها تسهيدا
ان نام لم تهجع وطافت حوله * فيبيت مكلوا بها محسودا * مسنى بأوجع اذ رأيت نوائحا
لأبى الحسين وقد لطمن خدودا * ولقد عدمت أبا الحسين جلادتى * لما رأيت جمالك المفقودا
كنت الجليد على الرزايا كلها * وعلى فراقك لم أجد تجليدا * ولئن بقيت وما هلكت فان لى
أجلا وان لم أحصه معدودا * لاموت لى الا اذا الاجل انقضى * فهناك لا أتجاوز المحدودا
حزنى عليك بقدر حبك لا أرى * يوما على هذا وذاك مزيدا * ما هدركنى بالسنين وانما
أصبحت يعدلك بالاسى مهدودا * ياليت أنى لم أكن لك والدا * وكذاك أنت لم تكن مولودا
فلقد شقيت ورب عاشق الفتى * بفراق من يهوى وكان سعيدا * من ذم جفنا باخلا بدموعه

ومهفهف عنى يميل ولم يمل
يوما الى فقلت من ألم الجوى
لم لا تميل الى يا غصن النقى
فأجاب كيف وأنت من جهة الهوى

(أراد ملك الروم) أن يباهى أهل الاسلام فبعث الى معاوية رجلين أحدهما طويل والثانى قصير شديد القوة فدعا للطويل بقيس ابن سعد بن عبادة فنزع قيس سراويله ورمى بها اليه فلبسها الطويل فبلغت ثدييه فلاموا قيسا على نزع السراويل فقال

أردت لكيما يعلم الناس أنها
سراويل قيس والوفود شهود
وكيلا يقولوا غاب قيس وهذه
سراويل عاد أحرزتها ثمود
وانى من القوم اليمانين سيد
وما الناس الا سيد ومسود

ثم دعا معاوية للرجل الشديد القوة بمحمد بن الحنفية فخيره بين أن يقعد فيقيمه أو يقوم فيقعده فغلبه فى الحالتين وانصرفا مغلوبين (وحكى الجاحظ) ما أخجلنى قط الا امرأة مرت بى الى صائغ فقالت له اعمل مثل هذا فبقيت مبهوتا ثم سألت الصائغ فقال هذه امرأة أرادت أن أعمل لها صورة شيطان فقلت لا أدرى كيف أصوره فأتت بك الى لاصوره على صورتك وفى الجاحظ يقول بعضهم

لو يمسخ الخنزير مسخا ثانيا
ما كان الا دون قبح الجاحظ
رجل ينوب عن الجحيم بوجهه
وهو القذى فى عين كل ملاحظ
ولو ان مرآة جلت تمثاله
ورآه كان له كأعظم واعظ

(قيل) انه قدم تاجر الى المدينة يحمل من خمر العراق فباع الجميع الا السود فشكا الى الدارمى وقد تنسك وتعبد فعمل بيتين وأمر من يغنى بهما فى المدينة وهما

فعليك جفني لم يزل محمودا * فلأنظمن مراثيا مشهورة * تنسي الأنام كثيرا ولبيدا
وجميع من نظم القريض مفارق * ولداله أو صاحبا مفقودا

وقال الفقيه منصور بن اسمعيل المصري

سألت رسوم القبر عمن ثوى به * لأعلم مالاقى فقالت جوانبه
أتسأل عمن عاش بعد وفاته * باحسانه اخوانه وأقاربه

وقال الامام السبكي رحمه الله تعالى يرثي فضل الله العالم

مصاب ليس يشبهه مصاب * لذي الألباب اذ فقد الشهاب * امام قد حوى من كل علم
كنوزا نحوها يسعى الركاب * ليبكي كل ذي علم عليه * فكم علم له ضم التراب
وكم كام موانع قد أتته * ثناها وهي عاصية صعاب * فسلطان البلاغ بغير شك
شهاب الدين ما فيه ارتياب * سقى الله الكريم ثراه صوبا * له من كل رضوان رضاب

(وقال الصدفي) يا غائبا في الثرى تبلى محاسنه * الله يوليك غفرانا واحسانا
ان كنت جرعت كأس الموت واحدة * في كل يوم أذوق الموت ألوانا

(وقال محمد بن عبد الله العتبي يرثي ابناله)

أضحت بخدي للدموع رسوم * أسفا عليك وفي الفؤاد كلوم
والصبر يحمد في المواطن كلها * الا عليك فانه مذموم

وكتب أحمد بن يوسف الى عمر بن سعيد يرثي بنتاله فقال

عجبا للمنون كيف أتتها * وتخطت عبد الحميد أخاكا
شملتنا مصيبتان جميعا * فقدنا هذه ورؤية ذاكا

(وله يرثي الامير بليغا) ألا انما الدنيا غرور وباطل * فطوبى لمن كفاه منها تفرغا
وما يجتني الا من بات واثقا * بأيام دهر ما وعى حق بليغا

(وقال آخر) الى الله أشكو أن كل قبيلة * من الناس قد أفنى الحمام خيارها

(وقال رجل يرثي صديقاله توفي وكان من الكرماء)

ما درى نعشه ولا حاملوه * ما على النعش من عفاف وجود

(ولبعض الكتاب في ابن مقلة) استشعر الكتاب فقدك سالفا * وقضت بصحة ذلك الايام
فلذاك سودت الدواة كآبة * أسفا عليك وشقت الاقلام

وقال الحسن بن مطير الاسدي يرثي معن بن زائدة رحمه الله تعالى

ألما الى معن وقولا لقبره * سقتك الغوادي مربعا ثم مربعا * فيا قبر معن كنت أول حفرة
من الارض خطت للسماحة مضجعا * ويا قبر معن كيف واريت جوده * وقد كان منه البر والبحر مترعا
بلى قد وسعت الجود والجود ميت * ولو كان حيا ضقت حتى تصدعا * فتى عاش في معروفه بعد موته
أناس لهم بالبر قد كان أوسعا * ولما مضى معن مضى الجود كله * وأصبح عرنين المكارم أجدعا

(وقال آخر) عجبت لصبري بعده وهو ميت * وقد كنت أبكيه دما وهو غائب
(وقال آخر) فديتك لم أصبر ولي فيك حيلة * ولكن دعاني اليأس منك الى الصبر

(وقالت ريطة بنت عاصم)

وقفت فأبكتني ديار عشيرتي * على رزئهن الباكيات الحواسر * غدوا كسيوف الهند ورد ادحومة
من الموت أعيا ورده ن المصادر * فوارس حاموا عن حريمي وحافظوا * بدار المنايا والقنا متشاجر
ولو أن سلمى نالها مثل رزئنا * لهدت ولكن تحمل الرزء عامر

ولما قتل ابراهيم بن عبد الله بن الحسين وحمل رأسه الى المنصور أنفذها المنصور مع الربيع الى عميه ادريس ومحمد وكانا في حبسه وكان أبوه قائما يصلي فقال له محمد أوجز فأوجز وسلم فلما أتاه وضع الرأس في حجره فقال أهلا وسهلا يا أبا القاسم تالله لقد كنت من الناس الذين قال الله تعالى في حقهم الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق

قل للمليحة في الخمار الاسود
ماذا فعلت بزاهد متعبد
قد كان شمر للعبادة ذيله
حتى وقفت له بباب المسجد

فشاع الخبر في المدينة ان الدارمي رجع عن زهده وتعشق صاحبة الخمار الاسود فلم تبق في المدينة مليحة الا اشترت لها خمارا أسود فلما أنفذ التاجر ما كان معه رجع الدارمي الى تعبده وعمد الى ثياب نسكه فلبسها (ومر) رجل أشمط بامرأة عجيبة في الجمال فقال يا هذه ان كان لك زوج فبارك الله لك فيه والا فاعلمينا فقالت كأنك تخطبني قال نعم فقالت ان في عيبا قال وما هو قالت شيب في رأسي فثنى عنان دابته فقالت على رسلك فلا والله ما بلغت عشرين سنة ولكنني أحببت أن أعلمك اني أكره منك مثل ما تكره مني (وقال عبد الله الماجشون) وهو من فقهاء المدينة قال لي المهدي يوما يا ماجشون ما قلت حين فارقت أحبابك قال قلت يا أمير المؤمنين

لله باك على أحبابه جزعا
قد كنت أحذر هذا قبل أن يقعا
ما كان والله شؤم الدهر يتركني
حتى يجرعني من بعدهم جزعا
ان الزمان رأى الف السرور لنا
فدب بالبين فيما بيننا وسعى
فليصنع الدهر بي ما شاء مجتهدا
فلا زيادة شيء فوق ما صنعا

فقال والله لاغنينك فاعطاه عشرة آلاف دينار (وحكى بعضهم) قال دخلنا الى دير هرقل فنظرنا الى مجنون في شباك وهو ينشد شعرا فقلنا له أحسنت فاومأ بيده الى حجر يرمينا به وقال امثلي يقال له أحسنت ففررنا منه فقال أقسمت عليكم الا ما رجعتم حتى أنشدكم فان أنا أحسنت فقولوا أحسنت وان أنا أسأت فقولوا أسأت فرجعنا اليه

ثم قبله بين عينيه وأنشأ يقول

فتى كان يحميه من العار سيفه * ويكفيه سوآت الأمور اجتنابها

ثم قال للربيع قل لصاحبك المنصور قد مضى من بؤسنا أيام ومن نعمتك أيام والملتقى غدا بين يدى الله تعالى فكان ذلك فالاعلى المنصور ولم ير بعد ذلك اليوم راحة * وقيل لحسان ما بالك لم ترث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لم أرشيأ الا رأيته يقصر عنه والله أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب الثالث والثمانون فى ذكر الدنيا وأحوالها وتقلبها بأهلها والزهد فيها﴾

قال الله تعالى قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى فوصف سبحانه وتعالى جميع الدنيا بأنها متاع قليل وأنت أيها الانسان تعلم أنك ما أوتيت من القليل الا قليلا ثم ان القليل ان تمتعت به فهو لعب ولهو لقوله تعالى انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وقال تعالى وان الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون فلا تبع أيها العاقل حياة قليلة تفنى بحياة كثيرة تبقى كما قال ابن عياض لو كانت الدنيا ذهبا يفنى والآخرة خزفا يبقى لوجب علينا ان نختار ما يبقى على ما يفنى ثم تأمل بعقلك هل آتاك الله من الدنيا مثل ما أوتى سليمان عليه الصلاة والسلام حيث ملكه الله تعالى جميع الدنيا من انس وجن وسخر له الريح والطير والوحوش ثم زاده الله تعالى أحسن منها حيث قال هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب فوالله ما عدها نعمة مثل ما عددتموها ولا حسبها رفعة مثل ما حسبتموها بل خاف أن يكون استدراجا من حيث لا يعلم فقال هذا من فضل ربى ليبلونى أأشكر أم أكفر وهذا فصل الخطاب لمن تدبر هذا وقد قال لك ولجميع أهل الدنيا فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون وقال تعالى وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أريك الدنيا بما فيها قلت بلى يا رسول الله فأخذ بيدى وأتى الى واد من أودية المدينة فاذا مزبلة فيها رؤس الناس وعذرات وخرق بالية وعظام البهائم فقال يا أبا هريرة هذه الرؤس كانت تحرص حرصكم وتأمل آمالكم وهى اليوم صارت عظاما بلا جلد ثم هى صائرة عظاما رميما وهذه العذرات ألوان أطعمتهم اكتسبوها من حيث اكتسبتموها فى الدنيا فأصبحت والناس يتحامونها وهذه الخرق البالية رياشهم أصبحت والرياح تصفقها وهذه العظام عظام دوابهم التى كانوا ينتجعون عليها أطراف البلاد فمن كان باكيا على الدنيا فليبك قال فما برحنا حتى اشتد بكاؤنا وروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه دخل على النبى صلى الله عليه وسلم وهو على سرير من الليف وقد أثر الشريط فى جنبه فبكى عمر رضى الله تعالى عنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا عمر فقال تذكرت كسرى وقيصر وما كانا فيه من سعة الدنيا وأنت رسول الله وقد أثر الشريط بجنبيك فقال صلى الله عليه وسلم هؤلاء قوم عجلت لهم طيباتهم فى حياتهم الدنيا ونحن قوم أخرت لنا طيباتنا فى الآخرة وروى عن الضحاك قال لما أهبط الله آدم وحواء الى الأرض ووجدا ريح الدنيا وفقدا ريح الجنة غشى عليهما أربعين يوما من نتن الدنيا وعن ابن معاذ قال الحكمة تهوى من السماء الى القلوب فلا تسكن فى قلب فيه أربع خصال ركون الى الدنيا وهم غد وحسد أخ وحب شرف وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال لعلى يا على أربع خصال من الشقاء جمود العين وقسوة القلب وبعد الأمل وحب الدنيا وروى ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال يؤتى بالدنيا يوم القيامة على صورة عجوز شمطاء زرقاء العينين أنيابها بادية مشوهة الخلق لا يراها أحد الا هرب منها فتشرف على الخلائق أجمعين فيقال لهم أتعرفون هذه فيقولون لا نعوذ بالله من معرفة هذه فيقال هذه الدنيا التى تفاخرتم بها وتقاتلتم عليها وعن الفضيل بن عياض انه قال جعل الخير كله فى بيت واحد وجعل مفتاحه الزهد فى الدنيا وجعل الشر كله فى بيت واحد وجعل مفتاحه حب الدنيا وقيل ان الدنيا مثل ظل الانسان ان طلبته فر وان تركته تبعك وفيه قال بعضهم

انما الرزق الذى تطلبه * يشبه الظل الذى يمشى معك
أنت لا تدركه متبعا * وهو ان وليت عنه تبعك

(وقد شبهها بعضهم بخيال الظل فقال)

فأنشد يقول

لما أناخوا قبيل الصبح عيسهم
وحملوها وسارت بالدمى الابل
وقلبت بخلال السجف ناظرها
ترنو الى ودمع العين ينهمل
وودعت ببنان زانها عنم
ناديت لا حملت رجلاك يا جمل
يا حادى العيس عرج كى أودعهم
يا حادى العيس فى ترحالك الأجل
انى على العهد لم أنقض مودتهم
يا ليت شعرى لطول البعد ما فعلوا

فقلنا له ماتوا فقال وأنا والله أموت ثم شهق شهقة فاذا هو ميت (قيل) لما وفد المهدى من الرى الى العراق امتدحه الشعراء فقال أبو دلامة

انى نذرت لئن رأيتك قادما
أرض العراق وأنت ذو وفر
لتصلين على النبى محمد
ولتملأن دراهما حجرى

فقال المهدى صلى الله على محمد فقال أبو دلامة ما أسرعك للاولى وأبطأك عن الثانية فضحك وأمر ببدرة فصبت فى حجره (وتزوج) مغن بنائحة فسمعها تقول اللهم أوسع لنا فى الرزق فقال لها يا هذه انما الدنيا فرح وحزن وقد أخذنا بطرفى ذلك فان كان فرح دعوف وان كان حزن دعوك (وكان عروة بن الزبير صبورا حين يبتلى) حكى أنه خرج الى الوليد بن يزيد فوطئ عظما فما بلغ دمشق حتى بلغ به كل مذهب فجمع له الوليد الاطباء فاجمع رأيهم على قطع رجله فقالوا له اشرب مرقدا فقال ما أحب أن أغفل عن ذكر الله تعالى فاحمى له المنشار وقطعت رجله فقال ضعوها بين يدى ولم يتوجع ثم قال لئن كنت ابتليت فى عضو فقد عوفيت فى أعضاء فبينما هو كذلك اذ أتاه خبر ولده انه اطلع من سطح على دواب الوليد فسقط بينها فمات فقال الحمد لله على كل حال لئن

رأيت خيال الظل أعظم عبرة * لمن كان في علم الحقائق راقي * شخوصا وأصواتا يخالف بعضها
لبعض وأشكالا بغير وفاق * تجيء وتقضي بابة بعد بابة * وتفنى جميعا والمحرك باقي

(وما أحسن ما قال سليمان بن الضحاك)

ما أنعم الله على عبده * بنعمة أوفى من العافيه * وكل من عوفي في جسمه
فإنه في عيشة راضيه * والمال حلو حسن جيد * على الفتى لكنه عاريه
ما أحسن الدنيا ولكنها * مع حسنها غدارة فانيه

وتوفي رجل من كندة فكتب على قبره هذه الأبيات

يا واقفين ألم تكونوا تعلموا * ان الحمام بكم علينا قادم * لو تنزلون بشعبنا لعرفتموا
أن المفرط في التزود نادم * لا تستعزوا بالحياة فانكم * تبنون والموت المفرق هادم
ساوى الردى ما بيننا في حفرة * حيث المخدم واحد والخادم

(وقال آخر) عن قليل أصيركم تراب * وتقول الرفاق هذا فلان
صار تحت التراب عظاما رميما * وجفاه الأصحاب والخلان

(وما أحسن ما قال عبد الله بن طاهر)

أليس الى ذا صار آخر أمرنا * فلا كانت الدنيا القليل سرورها
فلا تعجبي يا نفس مما ترينه * فكل أمور الناس هذا مصيرها

(وقال شرف الدين بن أسد)

يا من تملك ملكا لا بقاء له * حملت نفسك آثاما وأوزارا
هل الحياة لذي الدنيا وان عذبت * الا كطيف خيال في الكرى زارا

(وقال بعضهم) وغاية هذي الدار لذة ساعة * ويعقبها الاحزان والهم والندم
وهاتيك دار الامن والعز والتقى * ورحمة رب الناس والجود والكرم

(وقال غيره) حسنت ظنك بالأيام اذ حسنت * ولم تخف سوء ما يأتي به القدر
وسالمتك الليالي فاغتررت بها * وعند صفو الليالي يحدث الكدر

(وقال آخر) فان كنت لا تدري متى الموت فاعلمن * بأنك لا تبقى الى آخر الدهر

ابن آدم أين الأولون والآخرون أين نوح شيخ المرسلين أين ادريس رفيع رب العالمين أين ابراهيم خليل الرحمن أين موسى الكليم من بين سائر النبيين أين عيسى روح الله وكلمته رأس الزاهدين وامام السائحين أين محمد خاتم النبيين أين أصحابه الأبرار أين الأمم الماضية أين الملوك السالفة أين القرون الخالية أين الذين نصبت على مفارقهم التيجان أين الذين قهروا الابطال والشجعان أين الذين دانت لهم المشارق والمغارب أين الذين تمتعوا باللذات والمشارب أين الذين تاهوا على الخلائق كبرا وعتيا أين الذين راحوا في الحلل بكرة وعشيا أين الذين اغتروا بالاجناد أين أصحاب الوزراء والقواد أين أصحاب السطوة والاعوان أين أصحاب الامرة والسلطان أين أصحاب الأعمال والولايات أين الذين خفقت على رؤسهم الالوية والرايات أين الذين قادوا الجيوش والعساكر أين الذين عمروا القصور والدساكر أين الذين أعطوا النصر في مواطن الحروب والمواقف أين الذين أمنوا بسطوتهم كل خائف أين الذين ملؤا ما بين الخافقين فخرا وعزا أين الذين فرشوا القصور حريرا وقزا أين الذين تضعضعت لهم الارض هيبة وعزا هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا أفناهم مفني الأمم وأبادهم مبيد الرمم وأخرجهم من سعة القصور الى ضيق القبور تحت الجنادل والصخور فأصبحوا لا ترى الا مساكنهم لم ينفعهم ما جمعوا ولا أغنى عنهم ما اكتسبوا أسلمهم الاحباء والأولياء وهجرهم الاخوان والأصفياء ونسيهم الاقرباء والبعداء ولو نطقوا لانشدوا

مقيم بالحجون رهين رمس * وأهلي راحلون بكل واد
كأني لم أكن لهمو حبيبا * ولا كانوا الاحبة في السواد
فعوجوا بالسلام فان أبيتم * فأوموا بالسلام على البعاد

أخذت واحدا لقد أبقيت جماعة (وقدم) على الوليد وفد من عبس فيهم شيخ ضرير فسأله عن حاله وسبب ذهاب بصره فقال خرجت مع رفقة مسافرين ومعي مالي وعيالي ولا أعلم عبسيا يزيد ماله على مالي فعرسنا في بطن واد فطرقنا سيل فذهب ما كان لي من أهل ومال وولد غير صبي صغير وبعير فشرد البعير فوضعت الصغير على الأرض ومضيت لآخذ البعير فسمعت صيحة الصغير فرجعت اليه فاذا رأس الذئب في بطنه وهو يأكل فيه فرجعت الى البعير فحطم وجهي برجليه فذهبت عيناي فأصبحت بلا عينين ولا ولد ولا مال ولا أهل فقال الوليد اذهبوا به الى عروة ليعلم ان في الدنيا من هو أعظم مصيبة منه (ومما نقلته) ما حكي عن مسلم بن الوليد انه قال كنت يوما جالسا عند خباز لي بازاء منزلي فمر بي انسان أعرفه فقمت اليه وسلمت عليه وجئت به الى منزلي لأضيفه وليس معي دراهم بل كان عندي زوج أخفاف فأرسلتهما مع جاريتي لبعض معارفي فباعهما بتسعة دراهم واشترى بها ما قلته لها من الخبز واللحم فجلسنا نأكل واذا بالباب يطرق فنظرت من شق الباب واذا بانسان يسأل هذا منزل فلان ففتحت الباب وخرجت فقال أنت مسلم بن الوليد قلت نعم واستشهدت له بالضيف على ذلك فأخرج لي كتابا وقال هذا من الأمير يزيد بن مزيد فاذا فيه قد بعثنا لك بعشرة آلاف درهم لتكون في منزلك وثلاثة آلاف درهم تتجمل بها في قدومك علينا فأدخلته الى داري وزدت في الطعام واشتريت فاكهة وجلسنا فأكلنا ثم وهبت لضيفي شيأ يشتري به هدية لأهله وتوجهنا الى باب يزيد

وقالوا الآخر فيما يزول ولا غنى فيما لا يبقى وهل الدنيا الا كما قال بعض الحكماء المتقدمين قدر يغلى وكنيف
يملى وفى هذا المعنى قال الشاعر

ولقد سألت الدار عن أخبارهم * فتبسمت عجبا ولم تبدى
حتى مررت على الكنيف فقال لى * أموالهم ونوالهم عندى

ولقد أصاب ابن السماك حيث قال للرشيد لما قال له عظنى وكان بيده شربة ماء فقال له يا أمير المؤمنين لو
حبست عنك هذه الشربة أكنت تفديها بملكك قال نعم قال يا أمير المؤمنين لو شربتها وحبست عن الخروج
أكنت تفديها بملكك قال نعم فقال له لا خير فى ملك لا يساوى شربة ولا بولة وقال ابن شبرمة اذا كان البدن
سقيما لم ينفعه الطعام واذا كان القلب مغرما لم تنفعه الموعظة له وروى ان أبا العتاهية مر بدكان وراق واذا بكتاب
فيه

لا ترجع النفس عن غيها * مالم يكن منها لها زاجر

فقال لمن هذا البيت فقيل لابى نواس قاله للخليفة هرون حين نهاه عن حب الجمال وعشق الملاح فقال وددت أنه
لى بنصف شعرى (وممن) استبصر من أبناء الملوك فرأى عيب الدنيا وتقضيها وزوالها ابراهيم بن أدهم بن
منصور كان من أبناء ملوك خراسان من كورة بلخ لما زهد الدنيا زهد فى ثمانين سريرا قال ابن بشار سألت
ابراهيم بن أدهم كيف كان بدء أمرك حتى صرت الى هذا فقال كان أبى من ملوك خراسان وكان قد حبب
الىّ الصيد فبينما أنا راكب فرسى وكلبى معى اذ رأيت ثعلبا أو أرنبا فحركت فرسى نحوه فسمعت نداء من ورائى
يا ابراهيم ما لهذا خلقت ولا بهذا أمرت فوقفت أنظر يمنة ويسرة فلم أر شيئا فقلت لعن الله الشيطان ثم حركت
فرسى فسمعت نداء أعلى من الاول يا ابراهيم ما لهذا خلقت ولا بهذا أمرت فوقفت أنظر يمنة ويسرة فلم أر شيئا
فقلت لعن الله الشيطان ثم حركت فرسى فسمعت النداء من قربوس سرجى يا ابراهيم ما لهذا خلقت ولا بهذا
أمرت فوقفت وقلت هيهات جاءنى النذير من رب العالمين والله لا عصيت ربى ما عصمنى بعد يومى هذا فتوجهت
الى أهلى وخلفت فرسى وجئت الى بعض رعاة أبى فاخذت جبته وكساءه وألقيت اليه ثيابى فلم أزل أرض
تقلنى وأرض تضعنى حتى صرت الى العراق فعملت بها أياما فلم يصف لى شئ من الحلال فسألت بعض المشايخ
عن الحلال فقال عليك بالشام قال فانصرفت الى بلد يقال لها المنصورية فعملت بها أياما فلم يصف لى شئ من
الحلال فسألت بعض المشايخ فقال ان أردت الحلال فعليك بطرسوس فان المباحات بها والعمل فيها كثير
فانصرفت اليها قال فبينما أنا قاعد على باب البحر اذ جاءنى رجل فاكترانى أنظر له بستانا فتوجهت معه
فاقمت فى البستان أياما كثيرة فاذا انا بخادم له قد أقبل ومعه أصحاب له ولو علمت ان البستان لخادم ما نظرته فقعد
فى مجلسه ثم قال يا ناطورنا فاجبته قال اذهب فائتنا بأكبر رمان تقدر عليه وأطيبه فاتيته برمان فكسر الخادم
واحدة فوجدها حامضة فقال يا ناطورنا أنت منذ كذا وكذا فى بستاننا تأكل من فاكهتنا ورماننا ولا تعرف
الحلو من الحامض فقلت والله ما أكلت من فاكهتكم شيأ ولا أعرف الحلو من الحامض قال فغمز الخادم أصحابه
وقال ألا تعجبون من هذا ثم قال لى لو كنت ابراهيم بن أدهم ما كنت بهذه الصفة قال ثم تحدث الناس بذلك
وجاؤا الى البستان فلما رأيت كثرة الناس اختفيت والناس داخلون وأنا هارب منهم وكان يأكل من كسب
يده وكان يحصد ويحفظ البساتين ويعمل فى الطين فبينما هو يوما يحرس كرما اذ مر به جندى فقال اعطنا
من هذا العنب فقال له ان صاحبه لم يأذن لى فضربه بالسوط فطأطأ رأسه وقال اضرب رأسا طالما عصى الله
يا سيدى الجندى فاستحى الرجل وتركه ومضى * وروى ان داود عليه الصلاة والسلام بينما هو يسيح فى الجبال
اذ مر على غار فيه رجل عظيم الخلقة من بنى آدم ملقى على ظهره وعند رأسه حجر محفور مكتوب فيه أنا دوسيم
الملك ملكت ألف عام وفتحت ألف مدينة وهزمت ألف جيش وافتضضت ألف بكر من بنات الملوك ثم صرت
الى ما ترى التراب فراشى والحجر وسادى فمن رآنى فلا تغره الدنيا كما غرتنى * وقال وهب بن منبه خرج عيسى
عليه الصلاة والسلام ذات يوم مع أصحابه فلما ارتفع النهار مر وا بزرع قد أفرك فقالوا يا نبى الله انا جياع فاوحى
الله تعالى اليه ان ائذن لهم فى قوتهم فاذن لهم فتفرقوا فى الزرع يفركون ويأكلون فبينما هم كذلك اذ جاء
صاحب الزرع يقول زرعى وأرضى ورثتها من أبى وجدى فباذن من تأكلون يا هؤلاء قال فدعا عيسى ربه أن
يبعث جميع من ملكها من لدن آدم الى تلك الساعة فاذا عند كل سنبلة ما شاء الله من رجل وامرأة يقولون

بالرقة فوجدناه فى الحمام فلما خرج
استؤذن لى عليه فدخلت فاذا هو
جالس على كرسى وبيده مشط
يسرح به لحيته فسلمت عليه فرد
أحسن رد وقال ما الذى أقعدك
عنا قلت ذات اليد وأنشدته قصيدة
مدحته بها قال أتدرى لم أحضرتك
قلت لا أدرى قال كنت عند
الرشيد منذ ليال أحادثه فقال لى
يا يزيد من القائل فيك هذه الأبيات

سل الخليفة سيفا من بنى مضر
يمضى فيخترق الاجسام والهاما
كالدهر لا ينثنى عما يهم به
قد أوسع الناس انعاما وارغاما

فقلت والله لا أدرى يا أمير المؤمنين
فقال سبحان الله أيقال فيك مثل
هذا ولا تدرى من قاله فسألت فقيل
لى هو مسلم بن الوليد فأرسلت اليك
فانهض بنا الى الرشيد فسرنا اليه
واستؤذن لنا فدخلنا عليه فقبلنا
الارض وسلمت فرد علىّ السلام
فأنشدته مالى فيه من شعر فامر لى
بمائتى ألف درهم وأمر ليزيد
بمائة وتسعين ألف درهم وقال
ما ينبغى لى أن أساوى أمير المؤمنين
فى العطاء انتهى (نادرة) قيل
ترافق رجلان فى طريق فلما قربا
من مدينة من المدن قال أحدهما
للآخر قد صار لى عليك حق وانى
رجل من الجان ولى اليك حاجة قال
وما هى قال اذا وصلت الى المكان
الفلانى من هذه المدينة فهناك
عجوز عندها ديك فاشتره منها واذبحه
فقال له الآخر وأنا أيضا لى اليك
حاجة قال وما هى قال اذا ركب الجنى
انسانا ما يعمل له قال تشد ابهاميه
بسير من جلد اليحمور وتقطر فى
أذنيه من ماء السذاب أربعا وفى
اليسرى ثلاثا فان الراكب له يموت ثم
تفرقا ودخل الانسى ففعل ما أمره
به الجنى من شراء الديك وذبحه

أرضنا

أرضنا ورثناها عن آبائنا وأجدادنا ففر الرجل منهم وكان قد بلغه أمر عيسى ولكن لا يعرفه فلما عرفه قال معذرة اليك يا نبي الله انى لم أعرفك زرعى ومالى حلال لك فبكى عيسى عليه الصلاة والسلام وقال ويحك هؤلاء كلهم ورثوها وعمروها ثم ارتحلوا عنها وأنت مرتحل عنها ولاحق بهم ليس لك أرض ولا مال * ولما مات اسكندر قال ارسطاطاليس أيها الملك لقد حركتنا بسكونك وقال بعض الحكماء من أصحابه لقد كان الملك أمس أنطق منه اليوم وهو اليوم أوعظ منه أمس أخذه أبو العتاهية فقال

كفى حزنا بدفنك ثم انى * نفضت تراب قبرك من يديا

وكانت فى حياتك لى عظات * وأنت اليوم أوعظ منك حيا

(وقال عبد الله بن المعتز)

نسير الى الآجال فى كل ساعة * فأيامنا تطوى وهن مراحل

ولم أر مثل الموت حتى كأنه * اذا ماتخطته الأمانى باطل

وما أقبح التفريط فى زمن الصبا * فكيف به والشيب فى الرأس شاعل

ترحل من الدنيا بزاد من التقى * فعمرك أيام تعد قلائل

(وقال) عبد الله بن المعلم خرجنا من المدينة حجاجا فاذا أنا برجل من بنى هاشم من بنى العباس بن عبد المطلب قد رفض الدنيا وأقبل على الآخرة فجمعتنى واياه الطريق فانست به وقلت له هل لك ان تعادلنى فان معى فضلا من راحلتى فجزانى خيرا وقال لو أردت هذا لكان سهلا ثم أنس الى فجعل يحدثنى فقال أنا رجل من ولد العباس كنت أسكن البصرة وكنت ذا كبر شديد ونعمة طائلة ومال كثير وبذخ زائد فأمرت يوما خادما لى أن يحشو لى فراشا من حرير ومخدة بورد نثير ففعل فانى لنائم اذا بقمع وردة قد نسيه الخادم فقمت اليه فأوجعته ضربا ثم عدت الى مضجعى بعد اخراج القمع من المخدة فأتانى آت فى منامى فى صورة فظيعة فهزنى وقال أفق من غشيتك وانتبه من رقدتك ثم أنشأ يقول

ياخل انك ان توسد لينا * وسدت بعد اليوم صم الجندل

فامهد لنفسك صالحا تسعد به * فلتندمن غدا اذا لم تفعل

فانتبهت مرعوبا وخرجت من ساعتى هاربا الى ربى كما ترانى ثم أنشأ يقول

من كان يعلم أن الموت يدركه * والقبر مسكنه والبعث يخرجه * وانه بين جنات مزخرفة

يوم القيامة أو نار ستنضجه * فكل شئ سوى التقوى به سمج * ومن أقام عليه منه أسمجه

ترى الذى اتخذ الدنيا له وطنا * لم يدر ان المنايا سوف تزعجه

قال وهب بن منبه أصبت على قصر غمدان وهو قصر سيف بن ذى يزن بارض صنعاء اليمن وكان من الملوك الاجلة مكتوبا بالقلم المسندى فترجم بالعربى فاذا هى أبيات جليلة وموعظة عظيمة جميلة وهى هذه الابيات

باتوا على قلل الاجبال تحرسهم * غلب الرجال فلم تنفعهم القلل * واستنزلوا من أعالى عز معقلهم

فاسكنوا حفرة يابئس مانزلوا * ناداهم صارخ من بعد مادفنوا * أين الاسرة والتيجان والحلل

أين الوجوه التى كانت محجبة * وكان من دونها الاستار والكلل * فافصح القبر عنهم حين ساءلهم

تلك الوجوه عليها الدودة تنتقل * قد طالما أكلوا دهرا وما شربوا * فأصبحوا بعد ذاك الاكل قد أكلوا

وروى ان عيسى عليه الصلاة والسلام كان معه صاحب فى بعض سياحاته فأصابهما الجوع وقد انتهيا الى قرية فقال عيسى عليه الصلاة والسلام لصاحبه انطلق فاطلب لنا طعاما من هذه القرية وأعطاه مايشترى به فذهب الرجل وقام عيسى عليه الصلاة والسلام يصلى فجاء الرجل بثلاثة أرغفة فقعد ينتظر انصراف عيسى من الصلاة فأبطأ عليه فأكل رغيفا وكان عيسى عليه الصلاة والسلام رآه حين جاء ورأى الارغفة ثلاثة فلما انصرف من صلاته لم يجد الا رغيفين فقال له أين الرغيف الثالث فقال الرجل ما كانا الا رغيفين فاكلاهما ثم مرا على وجوههما حتى أتيا على ظباء ترعى فدعا عيسى عليه الصلاة والسلام واحدا منها فجاء فذكاه وأكلا منه فقال له عيسى بالذى أراك هذه الآية من أكل الرغيف الثالث فقال ما كانا الا اثنين ثم مرا على وجوههما حتى جا آ قرية فدعا عيسى ربه أن ينطق له من يخبره عن حال هذه القرية فانطق الله له لبنة فسألها عيسى

فلم يشعر بعد أيام الا وقد أحاط به أهل صبية من تلك البلدة وقالوا له أنت ساحر ومن حين ذبحت الديك سلبت صبية عندنا عقلها ولا نفلتك الا الى صاحب المدينة قال فقلت لهم ائتونى بسير من جلد اليحمور وقليل من ماء السذاب ودخلت على الصبية فربطت ابهاميها وقطرت ماء السذاب فى أذنيها فسمعت صوتا يقول آه علمتك على نفسى ثم مات من ساعته وشفى الله تلك الشابة واليحمور دابة وحشية لها قرنان طويلان كأنهما منشاران تنشر بهما الشجر وقيل هو كالايل يلقى قرنيه كل سنة وهما صامتان وقال الجوهرى هو الحمار الوحشى (ومن اللطائف) ما حكاه أبو الفرج فى كتاب النساء وابن الكردبوس فى الاكتفاء قالا كانت عند أبى العباس السفاح أم سلمة بنت يعقوب بن عبد الله المخزومى وكان قد أحبها حبا شديدا ووقعت فى قلبه موقعا عظيما فحلف لها أن لا يتخذ عليها سرية ولا يتزوج عليها امرأة فوفى لها بذلك فخلا به خالد بن صفوان يوما وقال له يا أمير المؤمنين فكرت فى أمرك وسعة ملكك وأنك قد ملكت نفسك امرأة واقتصرت عليها فاذا مرضت مرضت واذا حاضت حضت وحرمت نفسك التلذذ بالسرارى واستطراف الجوارى ومعرفة اختلاف حالاتهن وأجناس التمتع بما تشتهى منهن فمنهن يا أمير المؤمنين الطويلة الغيداء والغنيجة الادماء والرهيفة السمراء والمولدات المغنيات اللواتى يفتن بحلاوتهن ولو رأيت يا أمير المؤمنين السمراء واللعساء من مولدات البصرة والكوفة وذوات الالسن العذبة

فأخبرته بكل ما أراد وصاحبه يتعجب مما رأى فقال له عيسى بحق من أراك هذه الآية من صاحب الرغيف الثالث فقال ما كانا الا اثنين فراعلى وجوههما حتى انتهيا الى نهر عجاج فاخذ عيسى صلوات الله عليه بيد الرجل ومشى به على الماء حتى جاوز النهر فقال الرجل سبحان الله فقال عيسى عليه الصلاة والسلام بالذى أراك هذه الآية من صاحب الرغيف الثالث فقال ما كانا الا اثنين فراعلى وجوههما حتى أتيا قرية عظيمة خربة واذا قريب منها ثلاث لبنات عظام وقيل ثلاثة اكوام من الرمل فقال لها كونى ذهبا باذن الله فكانت فلما رآها الرجل قال هذا مال فقال عيسى نعم واحدة لى وواحدة لك وواحدة لصاحب الرغيف الثالث فقال الرجل أنا صاحب الرغيف الثالث فقال عليه الصلاة والسلام هى لك كلها ثم فارقه عيسى وأقام الرجل ليس معه ما يحملها عليه فمر بثلاثة نفر فقتلوه فقال اثنان منهما للثالث انطلق الى القرية فأتنا بطعام فانطلق فلما غاب قال أحدهما للآخر اذا جاء قتلناه واقتسمنا المال بيننا فقال الآخر نعم وأما الذى ذهب ليشترى الطعام فانه أضمر لصاحبيه السوء وقال أجعل لهما فى الطعام سما فاذا أكلاه ماتا وآخذ المال لنفسى فوضع السم فى الطعام وجاء فقاما اليه فقتلاه وأكلا الطعام فماتا فمر بهم عيسى عليه الصلاة والسلام وهم مصروعون حولها فقال هكذا الدنيا تفعل باهلها * وقال الهيثم بن عدى وجد غار فى جبل لبنان زمن الوليد بن عبد الملك وفيه رجل مسجى على سرير من الذهب وعند رأسه لوح من الذهب أيضا مكتوب فيه بالرومية أناسبا بن نواس خدمت عيصو بن اسحق بن ابراهيم خليل الرب الاكبر وعشت بعده دهرا طويلا ورأيت عجبا كثيرا ولم أر فيما رأيت أعجب من غافل عن الموت وهو يرى مصارع آبائه ويقف على قبور أحبائه ويعلم أنه صائر اليهم ثم لا يتوب وقد علمت ان الاجلاف الجفاة يستنزلوننى عن سريرى ويتولونه وذلك حين يتغير الزمان ويكثر الهذيان ويترأس الصبيان فمن أدرك هذا الزمان عاش قليلا ومات ذليلا وعن عمرو بن ميمون انه قال افتتحنا مدينة بفارس فدلنا على مغارة فيها بيت فيه سرير من الذهب عليه رجل عند رأسه لوح مكتوب فيه أنا بهرام ملك فارس كنت أعتاهم بطشا وأقساهم قلبا وأطولهم أملا وأحرصهم على الدنيا قد ملكت البلاد وقتلت الملوك وهزمت الجيوش وأذللت الجبابرة وجمعت من الاموال ما لم يجمعه أحد قبلى ولم أستطع أن أفتدى به من الموت اذ نزل بى ويروى فى الاسرائيليات أن عيسى عليه الصلاة والسلام بينما هو فى سياحته اذ مر بجمجمة نخرة فسأل الله فى أن تتكلم فأنطقها الله له فقالت يا نبى الله أنا بلوان بن حفص ملك اليمن عشت ألف سنة ورزقت ألف ولد وافتضضت ألف بكر وهزمت ألف جيش وفتحت ألف مدينة فما كان كل ذلك الا كحلم النائم فمن سمع قصتى فلا يغتر بالدنيا فبكى عيسى عليه الصلاة والسلام بكاء شديدا حتى غشى عليه ووجد مكتوبا على قصر قد خربت أركانه وبادت أهله وأظلمت نواحيه هذه الابيات

هذى منازل أقوام عهدتهم * يوفون بالعهد مذ كانوا وبالذمم

تبكى عليهم ديار كان يطربها * ترنم المجد بين الجود والكرم

(وقيل فى المعنى)

بالله ربك كم قصر مررت به * قد كان أعمر باللذات والطرب

نادى غراب المنايا فى جوانبه * وصاح من بعده بالويل والحرب

(وفيه)

أيها الرافع البناء رويدا * لا يرد المنون عنك البناء

(وحكى) * ان رجلين تنازعا فى أرض فانطق الله تعالى لبنة من جدار تلك الارض فقالت انى كنت ملكا من الملوك ملكت الدنيا ألف سنة ثم صرت رميما ألف سنة ثم أخذنى خزاف وعملنى اناء فاستعملت ألف سنة حتى تكسرت وصرت ترابا فأخذنى طواب وعملنى لبنا وأنا فى هذا الجدار كذا وكذا سنة فلم تتنازعان فى هذه الارض وأنتم عنها زائلون والى غيرها منقلبون والله سبحانه وتعالى أعلم (وروى) أن ملكا بنى قصرا وقال انظروا ان كان فيه عيب فاصلحوه فقال رجل أرى فيه عيبين فقالوا وما هما قال يموت الملك ويخرب القصر قال صدقت ثم أقبل على الله وترك القصر والدنيا * وقيل سئل الخضر عليه السلام عن أعجب شئ رآه فى الدنيا مع طول سياحته وقطعه للقفار والفلوات فقال أعجب شئ رأيته انى مررت بمدينة لم أر على وجه الارض أحسن منها فسألت بعض أهلها متى بنيت هذه المدينة فقالوا سبحان الله لم يذكر آباؤنا ولا أجدادنا متى بنيت وما زالت كذلك من عهد الطوفان ثم غبت عنها خمسمائة سنة ومررت بها فاذا هى خاوية على عروشها

والقدود المهفهفة والاوساط المخصرة والثدى النواهد المحققة وحسن زيهن وشكلهن لرأيت فتنا ومنظرا حسنا وأين أنت يا أمير المؤمنين من بنات الاحرار والنظر الى ما عندهن من الحياء والتخفر والدلال والتعطر ولم يزل خالد يجيد فى الوصف ويكثر فى الاطناب بحلاوة لفظه وجودة كلامه فلما فرغ قال له أبو العباس ويحك والله ما سلك مسامعى قط كلام أحسن مما سمعته منك فاعده على فاعاده عليه وزاد فيه ثم انصرف خالد وبقى العباس متفكرا مغموما فدخلت عليه أم سلمة وكانت تبره كثيرا وتحرى مسرته وموافقته فى جميع ما أراده فقالت له مالى أراك مغموما يا أمير المؤمنين فهل حدث أمر تكرهه أو أتاك أمر ارتعت له قال لم يكن شئ من ذلك قالت فما قصتك فجعل يكتم عنها فلم تزل به حتى أخبرها بمقالة خالد قالت فما قلت لابن الفاعلة قال سبحان الله ينصحنى وتشتمينه فخرجت من عنده وأرسلت الى خالد عبيدا وأمرتهم بضربه والتنكيل به قال خالد وانصرفت الى منزلى مسرورا بما رأيت من اصغاء أمير المؤمنين الى كلامى واعجابه بما ألقيت اليه وأنا لا أشك فى الصلة فلم ألبث ان جاء العبيد فلما رأيتهم أقبلوا نحوى أيقنت بالجائزة فوقفوا على وسألوا عنى فعرفتهم نفسى فأهوى الى أحدهم بعمود كان فى يده فبادرت الى الدار وأغلقت الباب ومكثت أياما لا أخرج من منزلى وطلبنى أمير المؤمنين طلبا شديدا فلم أشعر ذات يوم الا بقوم هجموا على فقالوا أجب أمير المؤمنين فأيقنت بالموت وقلت لم أر دم شيخ أضيع من دمى وركبت

ولم أر أحدا أسأله واذا رعاة غنم فدنوت منهم فقلت أين المدينة التي ههنا فقالوا سبحان الله لم يذكر آباؤنا ولا أجدادنا انه كان ههنا مدينة ثم غبت خمسمائة سنة ومررت بها واذا موضع تلك المدينة بحر واذا غواصون يخرجون منه شبه الحلية فقلت للغواصين منذ كم هذا البحر ههنا فقالوا سبحان الله لم يذكر آباؤنا ولا أجدادنا الا أن هذا البحر من عهد الطوفان فغبت خمسمائة سنة وجئت فاذا البحر قد غاض ماؤه واذا مكانه غيضة وصيادون يصيدون فيها السمك في زوارق صغار فقلت لبعضهم أين البحر الذي كان ههنا فقالوا سبحان الله لم يذكر آباؤنا ولا أجدادنا انه كان ههنا بحر فغبت خمسمائة عام ثم جئت الى ذلك فاذا هو مدينة على الحالة الأولى والحصون والقصور والاسواق قائمة فقلت لبعضهم أين الغيضة التي كانت ههنا ومتى بنيت هذه المدينة فقالوا سبحان الله لم يذكر آباؤنا ولا أجدادنا الا أن هذه المدينة على حالها من عهد الطوفان فغبت عنها نحو خمسمائة سنة ثم أتيت اليها فاذا عاليها سافلها وهي تدخن بدخان شديد فلم أر أحدا أسأله ثم أتيت راعيا فسألته أين المدينة قال سبحان الله لم يذكر آباؤنا ولا أجدادنا الا أن هذا المكان هكذا منذ كان فهذا أعجب شيء رأيته في سياحتي فسبحان مبيد العباد ومفني البلاد ووارث الارض ومن عليها وباعث من خلق منها بعد رده اليها (ولبعضهم)

وقف بالديار فهذه آثارهم * تبكي الأحبة حسرة وتشوقا
كم قد وقفت بها أسائل أهلها * عن حالها مترحما أو مشفقا
فأجابني داعي الهوى في رسمها * فارقت من تهوى وعز الملتقى

(ولبعضهم)

أيها الربع الذي قد دثرا * كان عينا ثم أضحى أثرا
أين سكانك ماذا فعلوا * خبرن عنهم سقيت المطرا
فلقد نادى منادي دارهم * رحلوا واستودعوني عبرا

وقال عيسى عليه الصلاة والسلام أوحى الله الى الدنيا من خدمني فاخدميه ومن خدمك فاستخدميه يا دنيا مري على أوليائي ولا تحلي لهم فتفتنيهم وقال بعض الحكماء الدنيا كالماء المالح كلما ازداد صاحبها شربا ازداد عطشا أو كالكأس من عسل وفي أسفله سم فللذائق منه حلاوة عاجلة وفي أسفله الموت أو كحلم النائم يفرح في منامه فاذا استيقظ زال فرحه أو كالبرق يضيء قليلا ثم يذهب * ولما بنى المأمون قصره الذي ضرب به المثل نام فيه فسمع قائلا يقول

أتبني بناء الخالدين وانما * بقاؤك فيها ان عقلت قليل
لقد كان في ظل الاراك كفاية * لمن كل يوم يقتضيه رحيل

قال فلم يلبث بعدها الا قليلا ومات وقال

ومن يأمن الدنيا يكن مثل قابض * على الماء خانته فروج الاصابع

(ووجد مكتوبا على قصر باد أهله)

هذي منازل أقوام عهدتهم * في خفض عيش نفيس ماله خطر
صاحت بهم نائبات الدهر فانقلبوا * الى القبور فلا عين ولا أثر

ولو قيل للدنيا صفي نفسك ماعدت ما وصفها به أبو نواس بقوله

وما الناس الا هالك وابن هالك * وذو نسب في الهالكين عريق
اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت * له عن عدو في ثياب صديق

(وروي) أن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه لما رجع من صفين ودخل أوائل الكوفة رأى قبرا فقال قبر من هذا فقالوا قبر خباب بن الارت فوقف عليه وقال رحم الله خبابا أسلم راغبا وهاجر طائعا وعاش مجاهدا وابتلي في جسمه آخرا ألا وان الله لا يضيع أجر من أحسن عملا ثم مشى فاذا هو بقبور فجاء حتى وقف عليها وقال السلام عليكم أهل الديار الموحشة والمحال المقفرة أنتم لنا سلف ونحن لكم تبع وبكم عما قليل لاحقون اللهم اغفر لنا ولهم وتجاوز عنا وعنهم طوبى لمن ذكر المعاد وعمل ليوم الحساب وقنع بالكفاف ورضي عن الله تعالى ثم قال يا أهل القبور أما الأزواج فقد نكحت وأما الديار فقد سكنت وأما الأموال فقد قسمت وهذا ما عندنا فما عندكم ثم التفت الى أصحابه وقال أما انهم لو تكلموا لقالوا وجدنا خير الزاد التقوى والله سبحانه وتعالى أعلم

الباب الرابع والثمانون فيما جاء في فضل الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو آخر الأبواب وبه يختم الكتاب

ولنذكر أربعين حديثا في فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم

(الحديث الأول) عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على

فلم أصل الى الدار حتى استقبلني عدة رسل فدخلت على أمير المؤمنين فوجدته جالسا فأومأ الي بالجلوس فثاب الي عقلي وفي المجلس باب عليه ستور وقد أرخيت وخلفه حركة فقال لي يا خالد منذ ثلاث لم أرك قلت كنت عليلا يا أمير المؤمنين قال أنت وصفت في آخر دخلة لي من أمر النساء والجواري ما لم يطرق سمعي قط كلام أحسن منه فأعده علي قلت نعم يا أمير المؤمنين أعلمتك ان العرب انما اشتقت اسم الضرة من الضرر وان أحدا لم يك عنده امرأتان الا كان في ضرر وتنغيص قال ويحك لم يكن هذا في حديثك قلت نعم يا أمير المؤمنين ان الثلاث من النساء كأثافي القدر تغلي عليها أبدا وان الاربع شر مجموع لصاحبه يمرضنه ويسقمنه ويضعفنه وان أبكار الاماء رجال ولكن لا خصي لهن قال فقال أبو العباس برئت من قرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما سمعت منك من هذا شيأ قط قال خالد بلى والله يا أمير المؤمنين وعرفتك ان بني مخزوم ريحانة قريش وان عندك ريحانة الرياحين وأنت تطمح بعينك الى الاماء والسراري قال خالد فقال لي أبو العباس ويحك أتكذبني قلت أفتقتلني يا أمير المؤمنين قال فسمعت ضحكا من وراء الستر وقائلا يقول صدقت والله يا عماه هذا الذي حدثته ولكنه بدل وغير ونطق على لسانك بما لم تنطق به قال خالد فقمت عنهما وتركتهما يتراوضان في أمرهما فما شعرت الا برسل أم سلمة معهم المال وتخوت ثياب فقالوا لي تقول لك أم سلمة اذا حدثت أمير المؤمنين فحدثه بمثل حديثك هذا انتهى * ومن

صلت عليه الملائكة ومن صلت عليه الملائكة صلى الله عليه ومن صلى الله عليه لم يبق شيء في السموات ولا في الأرض الا صلى عليه ﴿الحديث الثاني﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على صلاة واحدة أمر الله حافظيه أن لا يكتبا عليه ذنبا ثلاثة أيام ﴿الحديث الثالث﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على مرة خلق الله من قوله ملكا له جناحان جناح بالمشرق وجناح بالمغرب رأسه وعنقه تحت العرش وهو يقول اللهم صل على عبدك ما دام يصلي على نبيك ﴿الحديث الرابع﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على مرة صلى الله عليه بها عشرا ومن صلى على عشرا صلى الله عليه بها مائة ومن صلى على مائة صلى الله عليه بها ألفا ومن صلى على ألفا لم يعذبه الله بالنار ﴿الحديث الخامس﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على مرة كتب الله له عشر حسنات ومحا عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات ﴿الحديث السادس﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاني جبريل يوما وقال يا محمد جئتك ببشارة لم آت بها أحدا قبلك وهي ان الله تعالى يقول لك من صلى عليك من أمتك ثلاث مرات غفر الله له ان كان قائما قبل أن يقعد وان كان قاعدا غفر له قبل أن يقوم فعند ذلك خر ساجدا لله شاكرا ﴿الحديث السابع﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على في صباح عشرا محيت عنه ذنوب أربعين سنة ﴿الحديث الثامن﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على ليلة الجمعة أو يوم الجمعة مائة مرة غفر الله له خطيئة ثمانين سنة ﴿الحديث التاسع﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على ليلة الجمعة أو يوم الجمعة مائة مرة قضى الله له مائة حاجة ووكل الله به ملكا حين يدفن في قبره يبشره كما يدخل أحدكم على أخيه بالهدية ﴿الحديث العاشر﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على في يوم مائة مرة قضيت له في ذلك اليوم مائة حاجة ﴿الحديث الحادي عشر﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أقربكم مني مجلسا أكثركم على صلاة ﴿الحديث الثاني عشر﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على ألف مرة بشر بالجنة قبل موته ﴿الحديث الثالث عشر﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءني جبريل عليه السلام وقال لي يا رسول الله لا يصلي عليك أحد الا ويصلي عليه سبعون ألفا من الملائكة ﴿الحديث الرابع عشر﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدعاء بعد الصلاة على لا يرد ﴿الحديث الخامس عشر﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة على نور على الصراط وقال عليه الصلاة والسلام لا يلج النار من يصلي على ﴿الحديث السادس عشر﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جعل عبادته الصلاة على قضى الله له حاجة الدنيا والآخرة ﴿الحديث السابع عشر﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من نسي الصلاة على أخطأ طريق الجنة ﴿الحديث الثامن عشر﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله ملائكة في الهواء بأيديهم قراطيس من نور لا يكتبون الا الصلاة على وعلى أهل بيتي ﴿الحديث التاسع عشر﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أن عبدا جاء يوم القيامة بحسنات أهل الدنيا ولم يكن فيها الصلاة على ردت عليه ولم تقبل منه ﴿الحديث العشرون﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أولى الناس بي أكثرهم على صلاة ﴿الحديث الحادي والعشرون﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على في كتاب لم تزل الملائكة تصلي عليه ما لم يندرس اسمي من ذلك الكتاب ﴿الحديث الثاني والعشرون﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله ملائكة سياحين في الأرض يبلغوني الصلاة على من أمتي فاستغفر لهم ﴿الحديث الثالث والعشرون﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على كنت شفيعه يوم القيامة ومن لم يصل على فأنا بريء منه ﴿الحديث الرابع والعشرون﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤمر بقوم الى الجنة فيخطئون الطريق قالوا يا رسول الله ولم ذاك قال سمعوا اسمي ولم يصلوا على ﴿الحديث الخامس والعشرون﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤمر برجل الى النار فأقول ردوه الى الميزان فأضع له شيأ كالأنملة معي في ميزانه وهو الصلاة على فترجح ميزانه وينادي سعد فلان ﴿الحديث السادس والعشرون﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اجتمع قوم في مجلس ولم يصل على فيه الا تفرقوا كقوم تفرقوا عن ميت ولم يغسلوه ﴿الحديث السابع والعشرون﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى وكل بقبري ملكا أعطاه أسماء الخلائق كلها فلا يصلي على أحد الى يوم القيامة الا بلغني اسمه وقال يا رسول الله ان فلان بن فلانة صلى عليك ﴿الحديث الثامن والعشرون﴾ عن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه أنه قال الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم أمحى للذنوب من الماء لسواد اللوح ﴿الحديث التاسع

والعشرون

البدائع﴾ ما يحكى ان السلطان الملك الكامل أصبح متمرضا فأشار عليه الأطباء باستعمال شراب ليمون شتوي فأمر بعض الخدام باحضاره فمضى الخادم وأحضر شراب ليمون سائل فقال الطبيب ما طلبت الا شتويا وهذا سائل ردوه فقال الأمير صلاح الدين والله ما من عادة مولانا السلطان أن يرد سائلا فقال السلطان والله ما أرد سائلا هاتوه أحسنت والله يا صلاح الدين فأكله وكان الشفاء فيه (ونظير ذلك) ما حكي انه كان بالقاهرة شاب حسن الوجه يسمى بركن الدين وله معلم اسمه ابراهيم وكان ربما يتهم به وكان بعض الأدباء يميل الى هذا الصبي وله فيه غزل حسن قال الناقل فركبت يوما مع الأمير صلاح الدين فررنا على باب ذلك الصبي فوجدت ذلك الأديب قريبا من الباب فقلت له أي شيء تصنع ههنا فقال أطوف بالبيت فلعلي أستلم الركن أو أصل الى مقام ابراهيم فاستحسنت ذلك منه وسألني الأمير صلاح الدين ما معنى ذلك فغالطته في الجواب فأقسم أن لا بد أن أخبره فأخبرته فاستحسن ذلك منه وأمر باحضاره الى مجلسه ونال منه راحة (ذكر ابن الجوزي في كتاب تلقيح فهوم الادباء) عن محمد بن عثمان بن أبي خيثمة السلمي عن أبيه عن جده قال بينما عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه يطوف ذات ليلة في سكك المدينة اذ سمع امرأة تقول

هل من سبيل الى خمر فأشربها
أم من سبيل الى نصر بن حجاج
الى فتى ماجد الاعراق مقتبل
سهل المحيا كريم غير ملجاج

والعشرون ﴿ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى أوحى الى موسى عليه السلام ان أردت أن أكون اليك أقرب من كلامك الى لسانك ومن روحك لجسدك فأكثر الصلاة على النبي الأمى صلى الله عليه وسلم ﴿الحديث الثلاثون﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ملكا أمره الله تعالى باقتلاع مدينة غضب عليها فرحمها ذلك الملك ولم يبادر الى اقتلاعها فغضب الله عليه وكسر أجنحته فمر به جبريل عليه السلام فشكا له حاله فسأل الله فيه فأمره أن يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم فصلى عليه فغفر الله له ورد عليه أجنحته ببركة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ﴿الحديث الحادى والثلاثون﴾ عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت من صلى على رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر مرات وصلى ركعتين ودعا الله تعالى تقبل صلاته وتقضى حاجته ودعاؤه مقبول غير مردود ﴿الحديث الثانى والثلاثون﴾ عن زيد بن حارثة قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصلاة عليه فقال صلى الله عليه وسلم صلوا على واجتهدوا فى الدعاء وقولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ﴿الحديث الثالث والثلاثون﴾ عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلوا على فان صلاتكم على زكاة لكم واسألوا الله لى الوسيلة ﴿الحديث الرابع والثلاثون﴾ عن سهل بن سعد الساعدى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا صلاة لمن لم يصل على نبيه صلى الله عليه وسلم ﴿الحديث الخامس والثلاثون﴾ عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل على ﴿الحديث السادس والثلاثون﴾ عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال جزى الله عنا محمدا خيرا او جزى الله نبينا محمدا ما هو أهله فقد أتعب كاتبيه ﴿الحديث السابع والثلاثون﴾ عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجعلوا بيوتكم قبورا وصلوا على فان صلاتكم تبلغنى حيثما كنتم ﴿الحديث الثامن والثلاثون﴾ عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من أحد يصلى على الا رد الله على روحى حتى أرد عليه ﴿الحديث التاسع والثلاثون﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أقربكم منى منزلا يوم القيامة أكثركم على صلاة ﴿الحديث الأربعون﴾ نقل الشيخ كمال الدين الدميرى رحمه الله تعالى عن شفاء الصدور لابن سبع أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من سره أن يلقى الله وهو عليه راض فليكثر من الصلاة على فانه من صلى على فى كل يوم خمسمائة مرة لم يفتقر أبدا وهدمت ذنوبه ومحيت خطاياه ودام سروره واستجيب دعاؤه وأعطى أمله وأعين على عدوه وعلى أسباب الخير وكان ممن يرافق نبيه فى الجنان

اللهم صل على سيد المرسلين وخاتم النبيين ورسول رب العالمين الذى أنزل عليه فى محكم الكتاب العزيز تعظيما له وتوقيرا يا أيها النبي انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا فهذا خطاب خاص الخاص ولم يخاطب الله أحدا من المرسلين ولا من الانبياء بالرسالة ولا بالنبوة الا سيد خلقه محمدا صلى الله عليه وسلم فان الله تعالى نادى أبا البشر يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة ويانوح اهبط بسلام منا ويا ابراهيم أعرض عن هذا ويا داود انا جعلناك خليفة فى الارض ويا عيسى اذكر نعمتى وقال لمحمد صلى الله عليه وسلم يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك يا أيها الرسول لا يحزنك يا أيها النبي حسبك الله يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين يا أيها النبي اذا طلقتم النساء يا أيها النبي لم تحرم يا أيها النبي اتق الله يا أيها النبي انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا وما ناداه باسمه يا محمد كغيره الا فى أربع مواضع اقتضت الحكمة أن يذكر هنالك باسمه محمد صلى الله عليه وسلم * الأول قوله عز وجل وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل لأن سبب انزالها أن الشيطان صاح يوم أحد قد قتل محمد وكان ما كان فانزل الله تعالى هذه الآية ولو قال وما رسولى لقال الاعداء ليس هو محمدا فذكره باسمه لانهم ما كانوا ينكرون أن اسمه محمد * الثانى قوله عز وجل ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين * الثالث قوله عز وجل الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد فلو قال وآمنوا بما نزل على رسولى لقال الاعداء ليس هو فعرفه باسمه محمد صلى الله عليه وسلم * الرابع قوله عز وجل محمد رسول الله والحكمة فى ذكره هنا باسمه أنه سبحانه وتعالى قال قبلها هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكان من الاعداء من يقول من هو رسوله الذى أرسله فعرفه باسمه فقال محمد رسول الله وسماه تعالى باسمه

تنميه أعراق صدق حين تنسبه
أخى وفاء عن المكروب فراج

فقال عمر رضى الله تعالى عنه لا أدرى معى بالمدينة رجلا تهتف به العواتق فى خدورهن على بنصر بن حجاج فلما أصبح أتى بنصر بن حجاج فاذا هو من أحسن الناس وجها وأحسنهم شعرا فقال عمر عزيمة من أمير المؤمنين لتأخذن من شعرك فأخذ من شعره فخرج من عنده وله وجنتان كأنهما شقتا قمر فقال له اعتم فاعتم فافتتن الناس بعينيه فقال له عمر والله لا تساكننى فى بلدة أنا فيها فقال يا أمير المؤمنين ما ذنبى قال هو ما أقول لك ثم سيره الى البصرة وخشيت المرأة التى سمع منها عمر ما سمع ان يبدو من عمر اليها شئ فدست اليه أبياتا وهى

قل للامام الذى تخشى بوادره
مالى وللخمر أو نصر بن حجاج
لا تجعل الظن حقا أن تبينه
ان السبيل سبيل الخائف الراجى
ان الهوى زم بالتقوى لتحبسه
حتى يقر بالجام واسراج

قال فبكى عمر رضى الله تعالى عنه وقال الحمد لله الذى زم الهوى بالتقوى قال وطال مكث نصر بن حجاج بالبصرة فخرجت أمه يوما بين الاذان والاقامة متعرضة لعمر فاذا هو قد خرج فى ازار ورداء وبيده الدرة فقالت يا أمير المؤمنين والله لأقفن أنا وأنت بين يدى الله تعالى وليحاسبنك الله أيبيتن عبد الله وعاصم الى جنبيك وبينى وبين ابنى الفيافى والاودية فقال لها ان ابنى لم تهتف بهما العواتق فى خدورهن ثم أرسل عمر الى البصرة بريدا الى عتبة فقال عتبة من أراد أن يكتب الى أمير المؤمنين فليكتب فان البريد خارج فكتب نصر بن حجاج بسم

أحمد في موضع واحد وله حكمة وهي ان الله تعالى لما أرسل عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام قال لقومه من بني اسرائيل يابني اسرائيل اني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة التي أنزلت على موسى ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد لانهم كانوا يعرفونه في التوراة أحمد فناداه سبحانه وتعالى باسمه محمد ولا أحمد واغا ذكر ذلك اعلاما به وتعريفا له وما ناداه الا بالنبوة والرسالة فقال يا أيها النبي انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا أي شاهدا بالايمان للمؤمنين ومبشر الأهل التمجيد ونذير الأهل التجحيد وقيل شاهد الأهل القرآن ومبشرا لهم بالغفران ونذير الأهل الكفر والعصيان وقيل شاهد الامتك ومبشرا بشفاعتك ونذير المن ارتكب مخالفتك وقيل شاهدا بالمنة ومبشرا بالجنة وقوله وداعيا الى الله باذنه أي يدعو الناس بامر الله تعالى الى لا اله الا الله قال تعالى وأنه لما قام عبد الله يدعوه وسمى رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه داعيا فقال أنا الداعي الى الله وقوله تعالى وسراجا منيرا أي يهتدى به كما يهتدى بالسراج في ظلمة الليل (فان قلت) ما الحكمة في قوله تعالى وسراجا منيرا ولم يقل قمرا منيرا * فالجواب عن ذلك أن السراج أعم من القمر لان المراد بالسراج هنا الشمس قال تعالى وجعل الشمس سراجا والشمس أعم نفعا ونورا من القمر وقيل المراد بقوله تعالى وسراجا منيرا السراج الذي يقتبس منه لان القمر لا تصل اليه الأيدي حتى يقتبس منه والسراج اذا كان في بلد علا ذلك البلد نورا لان كل من جاء يقتبس منه والقمر ليس كذلك ولهذا كانت الدنيا قبل ولادته صلى الله عليه وسلم ظلاما فلما ولد ظهر سراج دينه بمكة فكان أول من اقتبس من الرجال أبو بكر ومن النساء خديجة ومن الشباب علي ومن الموالي زيد ومن العبيد بلال رضي الله تعالى عنهم أجمعين وجاء سلمان من أرض فارس فاقتبس وصهيب من الروم وبلال من الحبشة ووفد الوفود واقتبسوا وأبو لهب الى جانب البيت ولم يقتبس واقتبس الناس من مشارق الأرض ومغاربها حتى امتلأت الأرض من نور سراجه فهو صلى الله عليه وسلم أعظم الأنبياء وأكرم المرسلين وسيد الخلق أجمعين لم يخلق الله أحسن ولا أجمل ولا أكمل ولا أفضل ولا أفصح ولا أرجح ولا أسمح ولا أصبح ولا أجل ولا أعظم ولا أسخى ولا أكرم ولا أبهى ولا أنصف ولا أعدل منه صلى الله عليه وسلم فلو أن البحار مداد والنبات أقلام وجميع الخلق تكتب معجزاته صلى الله عليه وسلم لعجزوا عن وصف نزر النزر من معجزاته صلى الله عليه وسلم اللهم اجعلنا من خالص أمته واحشرنا في زمرته وأمتنا على محبته ولا تخالف بنا عن ملته ولا عما جاء به برحمتك يا أرحم الراحمين آمين وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي عدد ما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون

نحمدك يامن هيأت لكسب الآداب جميع المعدات وفتحت للتحلي بأنوار آياتك سبل الخيرات ونصلي ونسلم على من كملت آدابه ورشحت بكمال البيان واعجاز التبيان جنابه سيدنا محمد القائل ان من البيان لسحرا وعلى آله وصحبه ما أطلعت حدائق الاتباع زهرا * أما بعد فقد تم بحمده تعالى طبع كتاب المستطرف في كل فن مستظرف تأليف العلامة الفاضل واللوذعي الكامل الشيخ شهاب الدين أحمد الابشيهي رحمه الله وأعلى منزله في دار رضاه وقد حليت طرر الجزء الاول منه بكتاب ثمرات الأوراق في المحاضرات لمن اسمه يكفي عن التنويه بشانه ومحاسن مؤلفاته أكبر شاهد على تفرده في بيانه العلامة تقي الدين أبو بكر بن علي المعروف بابن حجة الحموي تغمده الله برحمته وأسكنه فراديس جنته ووشيت غرر الجزء الثاني منه ببقية الكتاب المذكور ثم ذيلت هذه البقية بكتابين في الأدب حو يا من هذا الشأن لمسرح النظر فيهما كل طرب أحدهما يسمى طراز الأدب لعلامة زمانه وفريد أوانه الامام تقي الدين بن حجة المذكور ضاعف الله له الاجور وثانيهما للفهامة الأديب واللوذعي الاريب الفاضل الشيخ ابراهيم ابن الاحدب عامله الله من احسانه بكل ما يحب فجاء هذا الكتاب حاويا من أساليب البلاغة كل طريف وتالد جامعا من أسرار الآداب كل معنى على انفراده في بابه شاهد وذلك بالمطبعة العثمانية الكائنة بحارة سوق الزلط بقسم الازبكية ادارة مديرها ومنشيها ذي الرأي الفائق حضرة الشيخ عثمان عبد الرازق ولاح بدر تمامه وفاح مسك ختامه في أواخر جمادى الثاني سنة ١٣١١ هجريه على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التحيه

الله الرحمن الرحيم سلام عليك يا أمير المؤمنين أما بعد فاسمع مني هذه الابيات

لعمري لئن سيرتني أو حرمتني
وما نلت من عرضي عليك حرام
فأصبحت منفيا ملوما عنية
وبعض أماني النساء غرام
ظننت بي الظن الذي ليس بعده
بقاء ومالي جرمة فألام
فيمنعني عما تقول تكرمي
وآباء صدق سالفون كرام
ويمنعها عما تقول صلاتها
وحال لها في قومها وصيام
فهاتان حالان فهل أنت راجعي
فقد جب مني كاهل وسنام

قال فلما قرأ عمر رضي الله تعالى عنه هذه الابيات قال أما ولي السلطان فلا وأقطعه دارا بالبصرة في سوقها فلما مات عمر ركب راحلته وتوجه نحو المدينة اهـ (قيل) دخل بعض الشعراء على الاديب جمال الدين ابن نباتة فرأى في نواحي منزله نملا كثيرا فأنشد يقول

مالي أرى منزل المولى الاديب به
نمل تجمع في أرجائه زمرا

(فأجابه ابن نباتة بقوله)

لا تعجبن اذن من نمل منزلنا
فالنمل من شأنها ان تتبع الشعرا

(هذا آخر) ما أردت ايراده في هذا الذيل مما وقفت عليه من المستطرف والنكات المتخيرة والزند الواري والتالد والطريف وغير ذلك والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

